نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار

تأليف

الشيخ الإمام المجدد عبد القادر بن محمد بن محمد سالم
المجلسي الشنقيطي المالكي الأشعري
المتوفى ١٣٣٧ هـ

شرح به النظم المسمى قرة الأبصار في سيرة النبي المختار
للشيخ عبد العزيز اللمطي المالكي الأشعري

حققه وصححه جماعة من ذوي المؤلف

الجزء الأول

قام بنشره وطباعته على نفقته السيد الفاضل الشريف
اعزيزي بن المامي السباعي

نواكشوط - موريتانيا ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع :

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عن المؤلف العلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي: مولده ونشأته، نسبه، إخوته، مؤلفاته، مؤلفات والده، مقتطفات من تقاريظ كتبه وتزكياته.

الحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته ومنه هدايته واجتبايته وبه سبب نيله للعلى ومكانته حمدا يستجلب المرغوب من رضائه ويجعلنا الشاكرين لنعمائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين محمد الذي قال تعالى في حقه «إنّ اللّه وملائكته يصلّون على النبيء يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا».

مولده ونشأته

ولد الشيخ الإمام المجدد عبد القادر بن محمد بن محمد سالم في بيئة بدوية شأنه في ذلك شأن الشناقطة الذين كان لهم الفضل في إحياء التراث العلمي العربي الإسلامي وازدهاره خلال القرون الماضية وهم بدو رحّل.

وصاحبنا هذا ذكره باهر، وخصمه عاثر، لا تحصى الدفاتر، ما يتحلى به من المآثر، تبوأ هامة زحل، بعلمه وورعه يضرب المثل.

ناهز عمره قرنا وتوفي تغمده الله بنعمائه سنة ١٣٣٧ هجرية قبل صلاة الظهر يوم عيد النحر ودفن بـ"اسباعيه"، وهي أكمة صغيرة في "امخاسير" أرض ذات رمال وغيطان جنوب شرقي اكجوجت تابعة إداريا لأبي تلميت من ولاية اترارزه تربى في حجر جده لأمه الشيخ

محمد بن سيدي محمد السباعي خال أبيه وبعد ما تفوق إخوته قدمت والدته فاطمة "أمّتُّ" على أبيها وقالت له إن إخوته تفوّقوا في كل فن فأجابها دعي عنك ولدي واشتغلي بأبنائك فعبد القادر مهمل في الظاهر إلا أنه سيتفوق في آخر المطاف.

وكان والده دب سالم بعد ذلك يقول "عبد القادر سيل يكفح" وقد بعث له الشيخ باب بن الشيخ سيدي أثناء شرح عبد القادر لقول عبد العزيز اللمطي

في عام حفظ من سنى الاسكندر   في طالع الجدي وكان المشترى
مع زحل في وسط السماء   تقارنا بالعقرب الغراء

لما تحير عبد القادر في شرح بعض هذين البيتين بعث له أن يشرحهما بما تبادر له وكتب له إن عندياته تفوق عنده كثيرا من النقول فلما شرحهما عبد القادر حلف باب أن ما شرحهما به هو مراد قائل البيتين عبد العزيز اللمطي.

وقد ألف محمد حبيب الله بن ماياب كتابا سماه تزيين الدفاتر في مناقب الشيخ عبد القادر.

وكان بادئ أمره يحفظ شرح التراجم حتى أمره والده بترك حفظها ليلا تشغله عن حفظ النصوص

وسمته والدته عبد القادر الجيلاني بأمر والدها لأجل رؤيا فسرها لها بذلك وقد رأى رجل في النوم أنه أناخ ببابه محمد عليه الصلاة والسلام فأناخ بذلك المكان عبد القادر معه ابنه محمد عبد الله بلاّه وكان عبد القادر ثريا جدا بشكل مدهش وكذلك والده وإخوته وسبب ذلك الثراء هو التدريس وتقوى الله.

وكانت محاظرهم تاتيها من أقصى الجنوب وأقصى الشمال ومن الشرق والغرب طلبة العلم يبلغون المئات في كل وقت وكان كثير من التلاميذ يخرجون علماء أثرياء من الزكاة والهبات.

وكان جل سكنى آل محمد سالم في الصحراء الغربية "تيرس" ودفن هنالك لمرابط محمد واحمد ابنه الكبير وأبناء عبد الله بن أحمدو بن محمد سالم رحمهم الله.

نسبه

ذكره هو نفسه في ترجمة هذا الكتاب وهو من مجالس العلم من ذرية ابراهيم الأموي الذي اختاره أبوبكر بن عمر قاضيا ومعلما خلال تأسيس دولة المرابطين.
وابراهيم هذا يقال والله أعلم أنه من ولد عمر بن عبد العزيز وللعلامة محمد مولود بن اغشممت المجلسي :

بني سالم من يشهد الحال أنهم   بقية أسباط الأشج الرضى عمر

وصاحبنا عبد القادر والدته فاطمة بنت الشيخ محمد بن سيدي محمد السباعية الجليلة كأبيها وإخوتها وأعمامها.

إخوته

أولا : أحمد بن دب سالم وهو أسن من المؤلف وأحمد رغم أنه لا عقب له تسمى به القبيلة لدى كثير من الناس في أقصى الشرق وفي أقصى الغرب يقولون آل أحمد بن محمد سالم لعظمة صيته وكثرة تلامذته توفي في تيرس عند ابير أحمد سنة ١٣٠٩ هجرية.

في عام بز بعد سين بعد شين   قد مات أحمد الأمين بن الامين

تصدر من محظرة أحمد كثير جدا من فطاحلة العلماء ومن بينهم العلامة يحظيه بن عبد الودود والعلامة سيدي محمد بن داداه والعلامة عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل بن حرمه واَدّدَوْ ويقول عبد السلام فيه:

إذا خضت في من تيقنت أنه   مدى الدهر لم يسطر سواه له سطر

ويقول فيه العلامة اَدّدَوْ رحمه الله.

فما الشهد إلا وجهه وحديثه   وما الراح إلا راحه والأصابع

وكان أديبا شاعرا فائقا لا يتغزل على النساء وله قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم إحداهن مطلعها:

أتذري عينه فضض الجمان   غراما من تذكره المغان إلخ.

وواحدة مطلعها:

لما من الشوق والتهيام قد دخله		نار الرغام على أحشاه مشتعله

وآثاره لا تحصى إلخ..

ثانيا: حبيب الله بن محمد

وهو أصغر من عبد القادر وكان علامة صوفيا ورعا مثقفا ترك فيه والده السر وكان قادريا كإخوته.

توفي سنة ١٣٣٧ هجرية عام الدفّاره عبارة عن مطر شديد وفي ثناء العلامة اشريف بن سيد احمد بن الصبار عليهم يقول فيه:

قرت عيون هدى الهدى بـــتقاته		وقنـــوته في ليلـــة ونـهار

إعراضـــه عن زهـــرة الدنـــيا به		ولي الرجيـــم مـولى الإدبار

صافي الحقيقة والسريـــرة والندى		سام الـــوري بسكيـــنة ووقار

صبح الهدى شمس الهدى بدر الهدى		نجم الهـدى علـم الهدى المختار

ويقول فيه عبد السلام:

فلتبـــكه الايـــتـــام والارامل		وليبـــكه أبـــو العيال الخامل

ولتبكه العزلة والتـعــبـــد		والنســـك والصيام والتهجد

ولتـــبـــكه تـــلاوة القـــرآن		في الســـر والاعـــلان كل آن إلخ..

ويقول فيه العلامة محمد الامين بن أبي المعالي:

حبيب الله ليس له نظـــير		إذا مـــا الدهر ســـاق له عديما

يقاسمه معيشته احتـــسابا		كما الانصـــار تفـعله قديـــما

ثالثا: حمد الله بن محمد

عبد الله وهو أصغر أولاده أعطاه الله من الذكاء والعلم ما لا يتصور وتعبيره ومنهجيته في التعليم عبرة للمعتبر كما قال فيه أهل مراكش لما سافر ومرض ولم يتمكن من إكمال رحلة حجه ثم تزوج

هناك بالسيدة إنكيه بنت أحميدت السباعية التي انجبت له بنته فاطمة بنت حمد الله.
توفي حمد الله سنة ١٣٢١ هجرية وأرخ لوفاته هو ورجال معه من قال:
في عام ألف وثلاثمائة والحادي والعشرين بعد الهجرة
ماتت عبادلة آل مالك ومجلس والحاج في الهوالك
وأنظامه معروفة بالكثرة والجودة والدقة ويقول في النميمة
إذا سمعت كلاما قيل فيك فقل لنا قل لا تقل وابغضه في الله
واستغفر الله مما قد سمعت وكن مكذبا قول ذاك الفاسق اللاه
ولا تعاتب بذاك القول قائله هذا لميارة ذي العلم والجاه
ويقول في تذكر الموت:
إن نحن إلا مغذ السير عن عجل بلا تهاون ولا عي ولا كسل
ولا مبيت ولا نوم بقائلة ولا انتظار رفيق لا ولا ملل
إلى المقابر لا ندري المعد لنا ولم نكن يا لنا منه على وجل إلخ..
وفي ثناء اشريف بن سيد احمد بن الصبار الذي تقدمت الإشارة إليه عليهم يخصه بقوله:
والحبر عبد الله ذي الفيض الذي في العلم حقا فاق في الأقطار
اللوذعي المعمع الشهم الذي يذري العلوم تبعق الامطار
إلخ..
ويقول فيه الشيخ عبد العزيز بن الرباني:
بناظم الدول عبد الله وبأبيه القانت الأواه إلخ..

مؤلفات المصنف رحمه الله

أ- في علم الكلام

- تأليف في تكفير من قال إن عذاب النار يفنى (ورقات)
- العقيدة الصغرى (ورقات)
- شرح كتاب والده محمد في الصغيرة (نبذة كبيرة)
- نظم الواضح المبين في أن أشرف العلوم أصل الدين حوالي ثمانمائة

بين (٨٠٠ بيت)
- بغية الراغبين على الواضح المبين شرح لنفس النظم مجلد كبير في طريق الطباعة
- سلم القاصد على أشرف المقاصد (نبذة كبيرة)
- شرح إضاءة الدجنّه في اعتقاد أهل السنه مجلد كبير
- المباحث الجليله على شرح الوسيله شرح لنظم المختار بن بونه وهو في علم الكلام (مجلد ضخم جدا جدا)

ب- في الفقه المالكي

وقد تطرق فيها لكثير من أقوال المذاهب الأخرى
- الحق الراسخ في أن تحريم المبتوتة لم يرد فيه ناسخ
- ثمان الدرر في هتك أستار المختصر شرح لمختصر خليل سبع مجدات اختصر فيه "لوامع" والده
- توضيح المعاني علي رسالة القيرواني أي على رسالة ابن أبي زيد في التوحيد والفقه (مجلد ضخم).
- ورقات في عدم ملك الأرض باللحاء يتضمن أن الصمغ العربي لا يملك شجره بنزع دباغه

جـ- في السيرة النبوية

- قرة العينين في شرح غزوات سيد الكونين مجلد شرح فيه نظم الشيخ البدوي المجلسي في السيرة النبوية المتداول في المحاظر نظم بديع جدا
- نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار وهو الذي بين أيدينا مجلد ضخم وقد تقررت طباعته في جزئين لتسهيل قراءته.

د- المنطق

- شرح على نظم السلم المرونق للامام الأخضري

هـ- مؤلفات أخري

- الدرر الثمان علي تبصرة الاذهان للإمام الجكني على البيان
- وجوب إكرام الشرفاء آل البيت ومحبتهم
- الفائق البديع في الذب عن الجناب الرفيع "نظم"
- نظم في ذم الغضب

قد غرز الغضـــــب في الانسان وأصـــل غـــرزه من النيران

مصنفات والده لمرابط محمد بن محمد سالم

- الريان في تفسير القرآن سبع مجلدات ضخام جدا فحجمه حجم تفسير القرطبي
- تفسير النهر الجاري على صحيح البخاري سبع مجلدات كذلك بحجم فتح الباري
- لوامع الدرر في شرح المختصر أي على مختصر خليل بنفس الحجم السابق.
- منح العلي في شرح الاخضري في الفقه كتاب صغير
-ورقات في الطريقة النقشبندية وهي طريقته رحمه الله مع أدعية وأنظام

وهذه الكتب تبهر العقول كما وكيفا ولذا قرظها أجلاء عصره وأثنوا عليه

الشيخ ماء العينين بن مامين

الشيخ سعد أبيه

محمد عبد الله بن البخاري بن الفلالي اليزيدي

الشيخ محمد المامي البزيدي

الشيخ احمد حامد بن محمد بن المختار الله البحبيني التندغي

محمد فال بن احمد بن العاقل الديماني

اشريف بن سيد احمد بن الصبار المجلسي

الشيخ محمد عبد الحي المجلسي

محمد بن الهادي المجلسي

زياد الإدكو دي
ادّدوْ المباركي
محمد مولود بن اغشممت المجلسي
السالك بن احمدناه السمسدي
الشيخ عبد العزيز بن الرباني التندغي
البخاري بن الشيخ محمد المامي البزيدي
محمد فال بن عينينه الحسني
احمد وباب بن عينينه الحسني
محمد محمود بن الرباني
احمد بن الشيخ محمد بن سيدي محمد السباعي
عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل بن حرمه العلوي
محمد بن عبد الجليل بن حرمه العلوي
احمد بن محمد بن احمدبابُ اليعقوبي
الشيخ عبد ابن تكرور اليعقوبي
ابنه احمد
ابنه عبد القادر
ابن أخيه عبد الله بن احمدُو بن محمد سالم
لبيخاري بن ادّ الشاعر المعروف
وجلهم من تلامذته.
امحمد بن هدار
حمدا القناني

وقد كتب المعمر الفرنسي اتيان رشى المتوفى بباريس ١٩٢٠ في كتابه موريتانيا تحت عنوان القبيلة والفخذ أن بداية محظرة محمد بن محمد سالم نهاية المحاظر وأن العلماء يبعثون بنيهم وتلامذتهم بعد التخرج لينهلوا من معين محظرة محمد وأنها كلية للحقوق يعني الفقه (انظر ١٤٣-١٤٤) من كتاب هذا الاوربي والحق ما شهدت به الأعداء.

وقد حرر ستة تلاميذ من خريجي المعهد العالي رسائل على حياة محمد ودوره العلمي الكبير، وحقق أحمد بن النين مقدمة كتابه الريان في تفسير القرآن ١٩٩٣ المعهد العالي للدراسات الإسلامية من كتابة الريان نالوا بها شهادة المتريز.

مقتطفات من تقاريظ كتب عبد القادر وتزكياته

أَدّدوْ المباركي رحمه الله في نزهة الافكار "تقريظ"

كتاب جليل جل عن قدر جنسه   أنار منار الدين من بعد طمسه

كتاب سراج الدين وابن سراجه   وبدر ظلام المشكلات وشمسه

وما نزهة الافكار إلا بصنعه   وما طيب الاثمار إلا بغرسه

إلى أن قال:

يغوص على اللغز المعمي بفهمه   فيستخرج المدفون من قعر رمسه

كأنك إن طالعت ما فيه حاضر   وتر نوالي خير البرية نفسه

إلخ إلخ..

باب بن الشيخ سيدي يقرظه أيضا

عد عن زورة حلال الديار   وفرار من طيف نائي المزار

إلى أن قال

بحر علم حوى جواهر منها   عاطل جل هذه الاسفار

هبة من مواهب الله للجهل شفاء عنوان فتح البار

أحكمته صناعة الحبر عبدالقادر اللوذعي ذي الأنوار

إلخ...إلخ...

محمد حبيب الله بن ماياب الذي صدر علم آبائه وعلم هؤلاء إلى الجزيرة العربية وجميع العالم الاسلامي وكان من خريجي محظرة أهل محمد ولد محمد سالم.

لئن كنت يوما بالمدينة ثاويا   ومكة والبيت العتيق وبالحرم

إلى أن يقول

فيا ليتني جبت المهامه نحوهم وكنـــــت ولا ساق لدي ولا قدم
فذلك عبد القادر الشيخ ناشر فتاوي يبدي ضوءها بعد ما ادلهم
إلخ... إلخ...

عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل بن حرمه العلوي

في عام سبع وثلاثيـــــن سنه قرن يد والدهر قوام السنه
في يوم عيد النحر قبل الظهر حـــــدث امر أي أمر أمْرِ
أن مات محي الدين عبد القادر مجـــــدد الشوارد النوادر
فكم لـــــــه من المؤلفـــات مختـــصرات ومطولات
إلى أن يقول
كشـــــرحه لقرة الابصـــار ناهيك حسنا نزهة الافكار
الخ.. الخ..

وتقاريظ كتب هذا الشيخ ووالده ومدائحهم دواوين يصعب التعرض لعشرها.
فمصنفاته الأخرى قرظها الشيخ سعد ابيه والشيخ ماء العينين وكثير من الاجلاء لا يحصون
وفي الشعر الحساني يقول الاستاذ الفاضل والد ولد صلاحي البحبيني من آل محمذ رثاء
كانْ جادْ اعليّ ولْشْ گاعْ جَدْ وُجُود ذَا الموتْ من گُول كوّانْ
بالمُشاهدَ الْمَا اتْگَدْ تِنْجْحَدْ وامن امتَنْ الْيَقِينْ يَقِينْ عِيّانِ
إلى أن قال
والدّنْيَ مَاهِ لُ گاعْ فِي ابْلَدْ مَا گَطْ عَادْ فِيهَ كُونْ بَرّانِ
الخ.. الخ..

ويقول اشريف بن سيد احمد بن الصبار المجلسي في ثنائه عليهم
كالحبر عبد القادر الجـيلاني من قد رئي غرّة قيهل الاعصار
من فاز من غر التـقي بفوارض واهاله والعـون والأبـكار
من شق في حرب الرجيم عجاجة خاض الرجيـم بها أخا إدبار

من اعربت اسـفـــاره عن كونه	كغطمـطـــم متلاطم التّيار
من قبل عـقــد يميـــــنه لازاره	أبدا على الشيطان شن مغار

الخ. الخ...

الشيخ ماء العينين يقرظ المباحث سجعا

الحمد لله الذي أمد علينا من يتولى عنا الامور الجسام ويتحفنا بما اردنا من الرغائب والفضائل الجسام

إلى أن كتب

وبعد فإن كاتب هذه الحروف غفر الله له واعاذه من كل مخوف تصفح هذا الكتاب العجب العجاب فالفاه مسماك سماء حضرة الأقطاب وثفال رحى الكون وقطبه من الاضطراب الخ.. الخ..

الشيخ سعد ابيه يقرظ المباحث ايضا سجعا

السلام عليك ورحمة الله وبركاته اكرمك الله بصحة الايمان والبدنْ والتعمير في عافيه واكرمك بدوام المراقبة والمشاهدة والمكالمة في عين الاستقامة وملاقاة الارواح الروحانية وممازجة الانوار البهيه الخ... الخ..

بقلم القاضي
دب سالم بن دحّمْ محمد محمود بن حبيب الله

كلمة عن الناشر اعزيزي بن المامي

بقلم القاضي دب سالم بن دحم

الحمد لله منقذنا من عبادة الأوثان، ومن الكفر والطغيان مدير الأفلاك وخالق الأملاك، لا إله غيره، نحمده ونشكره ونستغفره، ونصلي ونسلم على سيّدنا محمد ما سحت البهائم وشدت العمائم، ما دجت الأحلاك، وسبحت الأملاك ودارت الأفلاك.

وبعد فلقد كان من توفيق الله تعالى للسيد الفاضل الشريف اعزيزي بن المامي أن ألهمه العزم الأكيد والعمل الصادق على طباعة هذا الكتاب الجليل «نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار» للشيخ العلامة المحقق عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي، وهو شرح لكتاب قرة الأبصار في سيرة النبي المختار للشيخ العالم الفهامة عبد العزيز اللمطي.

ويمتاز هذا الشرح بالدقة والشمولية حيث حاول الشارح رحمه الله الإحاطة قدر استطاعته بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم صعوبة تلك المهمة، فالمؤلف وكل من سبقوه في هذا العمل العظيم بصدد النبي الخاتم رسول الحق والرحمة سيد الأولين والآخرين مضرب الأمثال في الصدق والأمانة والصبر والتضحية والزهد وحسن الخُلق، وتمام الخَلْق، محمد صلى الله عليه وسلم بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فجزاه الله عن أمته بخير ما جوزي نبي عن أمته، لتكون هذه السيرة الزكية العطرة نبراسا تهتدي به الأجيال، ويقتدي به المسلمون في سائر حياتهم مهما تتالت الأيام وتبادلت الأزمان.

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه «تركت فيكم ما إن لو تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي».

ولقد اعتنى هذا الشرح إضافة إلى ما سبق بمختلف جوانب المعرفة من لغة وعلوم وآداب، وغيرها تبعا لسياق النظم ومتطلبات الشرح وقد امتاز المؤلف بالتدقيق والحرص على إيراد الصحيح، وتجنب المرجوح،

ومواطن الضعف والشك، وهو بذلك يبين عن منهج محكم محترم ناضج يستحق الإشادة والتقدير.
وقد تابع السيد الفاضل اعزيزي ولد المامي كافة مراحل طباعة هذا الكتاب في مرحلة الجمع على الكومبيوتر إلى السحب النهائي في المطبعة، وخروج الكتاب في صورته النهائية، وصرف على ذلك من ماله، ومن وقته فجزاه الله خيرا بما خدم به سيرة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتعه بالعمر المديد مع الصحة والعافية.

وفيما يلي كلمة عن الناشر السيد اعزيزي ولد المامي،

هو الشريف عبد العزيز بن احمد باب بن المامي بن لمخيطير بن الخنوسي الدميسي السباعي الإدريسي الحسني الهاشمي القرشي وشهرته اعزيزي بن المامي.
ولد سنة ١٩٣٣ ببلدة اندگبعد على بعد ١٤٠ كلم جنوب غربي أگجوجت بولاية اينشيري.
وتربى في أحضان بيت علم ودين وشرف وإنفاق فقد كان والده أحمد باب بن المامي شهما عالما عابدا ورعا لا تلومه في الله لومة لائم، حسن الخلق كريما، ذا مكانة مرموقة في قبيلته ومنطقته بشكل عام، وكانت والدته الشريفة اغلانه بنت اعلي سيدة فاضلة ذات حظ وافر من العلم سخية منفقة على الفقراء مساعدة للضعفاء وذوي الحاجة. وهكذا حرص هذان الوالدان الجليلان على تربية أبنائهما المكرمين ومن بينهم أعزيزي أحسن تربية، فكان هذا البيت المبارك مدرسته الأولى حيث درس فيه القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية قبل أن يواصل تعليمه على يد عدد من علماء عصره، كما كان لمطالعاته الخاصة دورها الهام في اكتمال شخصيته العلمية التي تميزت بالشمولية والمزج على نحو متميز بين الأصيل في فرادته وعمقه المتجدد وبين الحديث في معاصرته التي تتواصل مع الماضي وتستشرف المستقبل.
وقد اطلع أعزيزي ولد المامي بدور اقتصادي بارز سخره لمصلحة بلاده الغالية موريتانيا التي لم يدخر وسعا في خدمتها وتنميتها ولا يزال والحمد لله، هذا إضافة إلى مكانته الاجتماعية المتميزة.

ولم يشغله ذلك كله عن البحث العلمي والتأليف والنشر وذاعت مؤلفاته في موريتانيا، ونفد بعضها من المكتبات بسبب إقبال الجمهور عليها، كما استفاد منها الباحثون والدارسون واشتهر اعزيزي بن المامي بتقدير العلماء وإكرامهم وإعانة الضعفاء وذوي الحاجة، والحضور المادي والمعنوي عند الشدائد ومن أبرز صفاته الصدق والكرم والوفاء أطال الله في عمره.

مؤلفاته

١- موسوعة الأمثال الشعبية: وقد اشتمل على ٩٣٢ مثلا وقد اتجه اهتمام المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب عندما لاحظ ضعف عرى التواصل بين ثقافة الأجيال، بل إن الأبناء أصبحوا يجدون صعوبة في فهم أساليب الآباء، وذلك بسبب قلة محصولهم من التراث الشعبي خاصة الأمثال التي هي ذاكرة الأمم.
وبتشجيع من السيد الرئيس معاوية ولد سيد أحمد الطايع الحريص على حفظ التراث الموريتاني فقد قام المؤلف بجمع زبدة الأمثال في هذا الكتاب الذي نشره عام ١٩٩٧ حيث لقي إقبالا منقطع النظير، ونفدت نسخه في عدة شهور، وتزايد الإلحاح على المؤلف من طرف جمهور القراء والباحثين بإعادة طبعه، الشيء الذي استجاب له، حيث قام بإعادة النظر في الطبعة الأولى وهكذا صدرت الطبعة الثانية بعنوان: موسوعة الأمثال الحسانية، وتضاعف عدد الأمثال الوارد فيها حيث بلغت ٢٣٩٦ وقد أورد المؤلف الأمثال الحسانية مع مضربها ودلالتها وامتازت أيضا بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونماذج من الشعر العربي ولغن الحساني أوردها المؤلف حسب السياق.
وأخذ المؤلف بعين الاعتبار ملاحظات الأصدقاء المهتمين والباحثين على الطبعة الأولى وخاصة صديقه العزيز المثقف الكاتب صاحب التآليف القيمة محمد محمود ولد ودادي الكنتي الذي أشار عليه أن يقوم «بتفصيح» الأمثال الحسانية، باللغة العربية بعد إيراد نصها الأصلي

وكان لذلك فائدة عظيمة، وقد لقيت هذه الطبعة من الترحيب أكثر مما لقيته سابقتها والحمد لله.

٢-منهل الحكم من فرائد أمثال الأمم

ويمثل إكمالا للجهود القيّمة التي بذلها المؤلف في إطار رصد الأمثال، إذ يمتد هذا العمل ليشمل عقدا من لآلئ أمثال العالم سواء العربية أو الافريقية أو الآسيوية أو الأوربية أو الامريكية...

ويمثل هذا الكتاب موسوعة غنية لثقافات العالم من خلال الأمثال التي هي عصارة العقل البشري وتجاربه عبر الزمن.

وقد اهتم به القراء نظرا لتميّزه وطرافته وفائدته الكبيرة، وقرظه الكثيرون كسابقيه من كتب المؤلف.

٣- من تاريخ الأنظمة في موريتانيا

وهو يؤرخ على نحو دقيق وبأسلوب مشرق لمراحل هامة من تاريخ البلاد الحديث خاصة منذ الاستقلال إلى اليوم ويعتبر أول كتاب حسب علمنا في هذا المجال باللغة العربية، وقد تلقفه القراء بإقبال كبير ويشتد الإلحاح على المؤلف لإعادة طبعه.

القاضي دب سالم بن دحم

مراحل تحقيق الكتاب

لقد عيّنت لجنتان للإشراف على أعمال تحقيق الكتاب وطباعته وتصحيحه وتنفيذ ذلك على أفضل صورة بعون الله وتيسيره وذلك كالآتي:

أولا: لجنة المتابعة وتتألف من:

١- اعزيزي بن المامي - ناشر الكتاب
٢- محمد الحسن بن محمد المصطفى - أستاذ جامعي وباحث
٣- لكور بن محمد عبد القادر أقا - إمام ومعلم محظرة وخريج المعهد العالي الإسلامي
٤- محمد بن ابيمين محمد الامين بن عبد القادر - إمام جامع
٥- أحمد بن انين محمد الأمين بن حمد الله - مدير مؤسسة الأوقاف
٦- أحمد محمد بن ابيمين - من أساتذة المحاظر
٧- القاضي دبّ سالم بن دحم - مدير زواية محمد بن محمد سالم والأمين العام المساعد لرابطة العلماء الموريتانيين.

ثانيا: لجنة تحقيق الكتاب وتصحيحه في مختلف مراحل الطباعة حتى خروجه في نسخته النهائية:

١- لكور بن أقا محمد عبد القادر بن حبيب الله
٢- القاضي دبّ سالم بن دحم محمد محمود بن حبيب الله
٣- احمد بن انين محمد الامين بن حمد الله
٤- محمد بن ابيمين محمد الامين بن عبد القادر
٥- أحمد محمد بن ابيمين محمد الامين بن عبد القادر

وقد داومت هاتان اللجنتان الاجتماعات وبعد إملاء الكتاب وإتمام نسخه تم سحبه وتصحيحه بصبر وتأن عدة مرات لضمان خروجه إلى القارئ في أصح صورة والحمد لله.
وقد قام الاستاذ الباحث محمد الحسن بن محمد المصطفى بجهد مشكور في عملية التحقيق والطباعة تمثل في المتابعة المستمرة لمراحلها المختلفة، والإسهام في التصحيح والتدقيق.

هذا وقد اعتمدت أربع نسخ هي:

١- نسخة أصلية بخط والد بن صلاحي البحبيني يملكها الاستاذ لكور بن أقا
٢- نسخة أصلية بخط انين محمد الامين بن حمد الله يملكها الاستاذ أحمد بن انين
٣- نسخة مصورة بخط محمد بن بلاه بن عبد القادر يملكها الاستاذ احمد محمد بن ابيمين
٤- نسخة مصورة بخط انين محمد الامين بن حمد الله يملكها القاضي دبّ سالم بن دحم
ونظرا لكبر حجم الكتاب، وصعوبة تداوله والاستفادة منه إن ظل في مجلد واحد كما هو الحال في الأصل، فقد ارأتينا بعد التشاور والدراسة المتأنية أن نقسمه إلى جزأين يكون حجمهما واحدا تقريبا ليكون سهل الاستخدام والقراءة.
وينبغي القول إنه لولا الإشراف المباشر للناشر السيد الفاضل اعزيزي بن المامي والمراقبة المستمرة للعمل والصبر والرزانة والخلق الكريم، وما صرفه من ماله في كامل تكاليف طباعة الكتاب، لما قدر لهذا الكتاب أن يظهر وبهذه الصورة المحترمة الأنيقة التي خدمت بالتحقيق والمراجعة.. جزانا الله وإياه أحسن الجزاء وأقر أعيننا وإياه في النفس والأهل والمال والولد وتقبل منا ومنه إنه سميع مجيب وأعطانا وإياه

مقعد صدق عند مليك مقتدر:
بعد طول العمر على طاعة الديان ومتعنا وإياه بصحة الأبدان
وسلوك مناهج الأعيـــــــان اللهم أجب دعاءنا بجاه أسمائك الحسنى
وبجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وجاه جميع أنبيائك يا الله
وجاه من له جاه عندك أمين يا رب العالمين.
ونذكر هنا أن الكتاب تم تصحيحه من الأخطاء وقد قلت تنويها بنشر
هذا الكتاب:

عبد العزيز بن احمد باب قد طرقا بابا عظيـــما به للمــكرمات رقى
ها هو ابرز للعشاق نزهـــــتهـــم بالحى زُفّــت تُــنير الدُور والأفقا
تزور عشاقها في عقر دورهـــــم ولا تغـازِل جـهالا ولا حُـــمقـا
جاءت تبرّجُ للأندا ترواد هــــــم ولا تسيءُ إذا ما خـــانها الرُفَــقا
بسيرة المصطفى الغرّا تعـاشرهم وسيرة الصحب قد جاءت بذا نسقا
يا رب حقق لنا كل الرجا ولــــه وحطم الكفر والطغيــان والنزقا

تمت الكلمة بقلم دبّ سالم بن محمد محمود بن حبيب الله الامين العام المساعد لرابطة العلماء الموريتانيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله تعالى وسلم على محمد نبيه الكريم صلاة نستجير بها من عذاب الجحيم وننال بها في الدارين نحن وأحبتنا أرفع التكريم بجاه من قال توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم.

الحمد لله الذى من علينا بجزيل الانعام وأتحفنا بما لا نطيق شكره من أياديه الجسام وتفضل علينا بالتوفيق لأجل نعمائه فآمنا به وبكتبه وملائكته وجميع أنبيائه وخصنا بخيرته من خلقه ونخبته من أصفيائه، ومن يكون آدم فمن دونه من الأنبياء في القيامة تحت لوائه أرسله إلى كافة الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وجعله للمقربين إماما وللأنبياء والمرسلين ختاما ولما به صلاح العباد في الدارين قواما ونظاما وخصه بالشفاعة الكبرى في الموقف الهائل حين تبرأ منها أكابر الرسل الأماثل صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم وعلى آله وأزواجه وأصحابه الأخيار ما همعت ديم معارفه على قلوب الأبرار وما تغنى الحمام بالأسحار ومادام النظر في سيره وشمائله قرة للأبصار وروضة تنزه للأفكار وعدد ما وصل إلى العباد من المواهب في هذه الدار وما يصل إليهم في تلك الدار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير وأن محمدا عبده ورسوله شهادة عبد معترف بالتقصير ونتوسل إلى ربنا اللطيف القدير أن يثبتنا عليها في الحياة الدنيا وبعد الممات وأن يبدل بمحض فضله وكرمه سيئاتنا حسنات، إنه جواد كريم ورؤوف رحيم، له الفضل العظيم والطول العميم.

أما بعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الحليم الكبير المجلسي المالكي الأشعري عبد القادر بن محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن عمر بن أبي السيد بن أبي بكر بن عليّ بن يمغدش ومعناه بالعربية السالم بن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت، ومعناه اخيار بن

يدر ومعناه بإعجام الدال الحسن وبإهمالها يعيش بن إبراهيم الأموي، وإبراهيم هذا يقال والله أعلم انه من ولد عمر بن عبد العزيز، لا يخفى أن الإشتغال بالعلوم من أشرف المكاسب والاعتناء بها من أفضل المراتب وشرف كل علم إنما هو بحسب شرف المعلوم فلهذا كان الإهتمام بعلم السيرة النبوية فضله عظيم وخطبه جسيم لأنه هو الكفيل ببيان أحوال نبينا العلية وأطواره الشريفة الزكية من لدن كان في بطن آمنة الشريفة حملا إلى انتقاله إلى دار كرامته ولحوقه بالرفيق الأعلى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ولذا كان من أشرف العلوم قدرا وأرفعها منزلة وأطيبها ذكرا، فاليه ترتاح الأنفس والطباع وبه تلتذ الأفواه وتتشنف الأسماع وبرسمه ترشح المحابر والأقلام وباشادة ما اشتمل عليه تفرح الليالي والأيام، فهو حديث لا يمل منه، يا ليتنا لم نله قط عنه. وقد اعتنى بالتأليف فيه من أهل الإسلام كثير من الأكابر الأجلة الأعلام فتبوؤوا من المجد السنام وحازوا من الشرف أعلى مقام وقربوا في تآليفهم للأنام ما كان من السيرة صعب المرام ما بين منثور يروق عند العيان ومنظوم يزري بالدر على نحور الخرد الحسان، جزاهم الله تعالى عنا أحسن الجزاء ومن علينا وعليهم بالعفو والإرضاء، ومن أجمع ما رأينا فيه كتاب «المواهب» وشرح الزرقاني عليه وفيه أنشد لسان الحال ما صدق المقال:

هذا كتاب لو يباع بوزنه ... ذهبا لكان البائع المغبون

ومن أشهر المختصرات المؤلفة فيه في هذه الأقطار النظم المسمى ب: «قرة الأبصار» فقد تداولته الكبار والصغار وهو كتاب قد طابق منه الإسم المسمى، فكم احتوى عليه من أخبار صاحب العز الأحمى والقدر المنيف الأسمى عليه أفضل السلام وأعلاه وأزكى الثناء وأعذبه وأحلاه، لكنه في هذه الناحية لا شرح له يحل رموزه ويفتح ألفاظه ويبرز كنوزه فحملني التطفل على الدخول في خدمة هذا الجناب العالي والانتماء إلى ظل حماه المتعالي على أن صرفت قصدي إلى شرح هذا الكتاب فشرحته بعون الملك الوهاب شرحا يبين ألفاظه لمن يتعاطاه من

الطلاب وذكرت فيه الغزوات النبوية وجل ما اطلعت عليه من بعث وسرية ولم آل جهدا في تبيين ما يحتاج إليه من البيان لكن من هو مثلي عرضة للذهول والنسيان وسميته «نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار» وإلى الله تعالى الضراعة في أن يجعله لوجهه الكريم وأن يحمينا نحن وأحبتنا من عذاب الجحيم وأن ينيلنا بمحض فضله رفيع الدرجات وأن يحلنا من الفردوس أعالي الغرفات. وجعلت اعتمادي في هذا الشرح على الزرقاني وشروحه وسيرة العراقي وشرح المناوي عليها وعيون الأثر وغير ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الناظم رحمه الله تعالى وهو الشيخ العابد الحافظ الفائق لأقرانه عبد العزيز اللمطي نسبا المالكي مذهبا الأشعري اعتقادا المدني دارا وقد ألف كتابه هذا في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها، كذا قاله شارح لهذا النظم رأيته ولم يعرف بنفسه والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على البسملة هنا من ثمانية أوجه: معنى مفرداتها ومعنى تركيبها وإعرابها وسبب الإبتداء بها وحكمها وفضلها وقرآنيتها وكتابتها وأذكر جميعها إن شاء الله تعالى على طريق الاختصار وبالله تعالى التوفيق.

أما معنى مفرداتها فالباء يصح أنها للمصاحبة والمصطحبان هما العمل المبدو بها أو البادي ومدخول الباء والمراد منها التبرك والتبرك منسحب على جميع العمل فكأن المبتدئ بها يقول أفعل كذا متبركا فيه ببسم الله ويصح أن الباء للاستعانة وباء الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل، فكأن باسم الله هي الواسطة في حصول الفعل ببركة الإسم الشريف فمآل المعنيين هنا واحد وقيل الباء للالصاق وقيل للاستعلاء المجازي والإسم هو اللفظ الدال بالوضع على معنى ما فيتناول الإسم النحوي وقسيميه وقوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها يعم جميع ذلك وهو هنا اسم جنس أضيف إلى معرفة فيعم جميع أسماء الله تعالى فالتبرك بجميع الأسماء.

والله علم خاص بالذات الموصوفة بكل كمال المنزهة عن كل ما يتصف به الحوادث والأكثر على أنه غير مشتق وعلى أنه مشتق قال الإمام السنوسي الأقرب أنه مشتق من أله بالمكان إذا أقام به.

قال:

ألهنا بدار لا تبين رسومها   كأن بقاياها وشام على اليد

وقيل مشتق من أله إلهة كعبد عبادة وزنا ومعنى فإله بمعنى مألوه أي معبود وقيل من لاه بمعنى ارتفع ومنه قيل للشمس إلهة، قال:

تروحنا من اللهباء قسرا   واعجلنا الإلهة أن تغيبا

أو بمعنى احتجب، ومنه:

لاهت فما عرفت يوما بخارجة   يا ليتها برزت حتى عرفناها

وقيل من وله إذا تحير لأنه تتحير في عظمته العقول ومذهب سيبويه أنه هو أعرف المعارف وحكي أنه رئ في النوم فأخبر ان الله

فعل به خيرا كثيرا لقوله إنه هو أعرف المعارف والرحمن هو المنعم بالنعم التى لا تدخل تحت كسب العباد كبعث الرسل والرحيم المنعم بالنعم التى تدخل تحت كسبهم وغيرها فهو أعم من الرحمن على هذا ولهذا صح إطلاقه على غيره تعالى.

أو الرحمن ذو الرحمة العامة في الدنيا على جميع الخلق والرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمومنين في الآخرة أو الرحمن المنعم بجلائل النعم كمية وكيفية والرحيم المنعم بدقائقها كمية وكيفية وأخر عن الرحمن لاختصاص الرحمن به تعالى وأما معنى تركيبها فاعلم أنها نقلت من الخبر إلى الإنشاء فهي لإنشاء التبرك لأنه يحصل عند النطق بها واما اعرابها فالمجرور متعلق بمحذوف والمختار كونه فعلا ويقدر مؤخرا ليدل على الحصر والرد على الكفار في ابتدائهم بأسماء آلهتهم خاصا كأولف هنا لا عاما كأبدأ والعمل المشروع فيه يعين العامل المحذوف فكل فاعل يضمر أي يقدر في ضميره عاملا مناسبا لما شرع فيه من أكل أو قراءة مثلا، وقيل المجرور خبر مبتدء محذوف واسم الجلالة مضاف إليه وليست إضافته بيانية لأن المقصود من الأول الأسماء ومن الثاني الذات ولذا وصف بما بعده على طريق النعت أو البيان أو البدل وقيل الأول بدل من الجلالة والرحيم نعت للرحمن. وأما سبب الابتداء بها فالاقتداء بالقرآن العظيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وقد أجمع علماء كل أمة أن الله افتتح كل كتاب بها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ بها في رسائله وكان أولا يكتب باسمك اللهم حتى نزلت باسم الله مجريها فكتب بسم الله فلما نزل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت بجملتها في سورة النمل كتبها.

وفي الحديث: «كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع» وفي رواية «أبتر»، وفي رواية «أجذم» أي ناقص البركة وإن تم حسا، وأما حكمها فتجب مرة في العمر وتسن في الأكل والشرب وتندب في سوى ذلك مما تشرع فيه وتكره في المحرم والمكروه وقيل تحرم في

المحرم، وذكر غير واحد أنها تجب في الذكاة، وقال الأمير: ان الواجب في الذكاة مطلق ذكر اسم الله تعالى ومما تشرع فيه: الشعر المحتوي على علم أو وعظ أو مدحه صلى الله عليه وسلم.

فائدة:

نظم بعضهم ما يجب مرة في العمر من الكلام فقال:

هاك جميع ما من القول يجب　　في العمر مرة وما زاد استحب
بسملة حمدلة والهيللة　　استغفر الله كذا والحوقلة
والحكم في التسبيح والتكبير　　كذا وتعويذ بذي التقدير
ثم الصلاة معها السلام　　على الذي اقتدى به الأنام

وأما فضلها فصحح الحاكم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة». وقال: «من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صرف الله عنه سبعين بابا من البلاء أدناها الهم والغم واللمم». وقال: «ستر ما بينكم وبين الجن أن تقولوا بسم الله الرحمن الرحيم». وقال: «خير الناس وخير من مشى على الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فإن المعلم إذا قال للمعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها كتب الله للصبي ولوالديه وللمعلم براءة من النار».

وأما قرآنيتها فمذهبنا أنها ليست من القرآن وإنما هي رقية تنزل مع كل نبي وترتفع معه إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بقيت رحمة لأمته. ومذهب الشافعي أنها آية من الفاتحة فمن تركها بطلت صلاته. وقيل آية من كل سورة وقيل بعض آية من كل سورة وقيل آية في الفاتحة وجزء آية في غيرها وقيل بالعكس وقيل آية فذة. ومحل الخلاف في غير التى في «النمل» وأما هي فلا خلاف أنها من القرآن.

وأما كتابتها فعن معاوية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ألق الدواة

وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك» اهـ. يقال لاق الدواة ثلاثيا كباع وألاقها رباعيا أصلحها فلاقت هي أي صلحت والمراد أن يلزق مدادها على صوفة ونحوها، وتحريف القلم جعل أحد شقيه أطول من الأخر قال بعضهم الأقصر هو الأيسر وهو الذي يلي الكاغد، وإقامة الباء جعلها غير منعطفة، وتفريق السين إبعادها من الميم أو تفريق رؤوسها، ومعني لا تعور الميم اتركها مفتوحة، ومعنى حسن الله، اكتبها بخط حسن وقلم حسن ومداد حسن، ومد الرحمن أن يمد بين الميم والنون، وتجويد الرحيم كتابتها كتابة جيدة. والباء ترسم قدر نصف الألف فالقدر الذي جرى عرفك في كتابة الألف اجعل الباء نصفه وحروفها الرسمية تسعة عشر عدد الزبانية فمن ذكرها نجا منهم.

(الحمد لله الذى بأحمدا هدى إلى أقوم نهج من هدى)

قوله الحمد لله مبتدأ وخبره، والذى نعت لله وهو موصول وصلته قوله هدى، ومن مفعوله ،وبأحمدا يتعلق بهدى، وكذا إلى أقوم. ونهج بالتنوين مضاف إليه ما قبله ومعناه أن الوصف بكل كمال ثابت ومستحق لله تعالى الذى هدى أي أرشد من أراد هدايته إلى أقوم الطريق وهي طريق الإسلام بسبب نبينا أحمد صلى الله تعالى عليه وسلم. والنهج الطريق الواضح وهذا المعنى أخذه من قوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} وقوله تعالى: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}. قال صاحب الأنوار: الهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير. وقوله تعالى: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم} وارد على التهكم، وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا: الأول إفاضة القوى التى يتمكن بها المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالعقل والحواس، والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل وإليه أشار تعالى حيث قال: {وهديناه النجدين} وقال: {فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، والثالث الهداية بإرسال الرسل {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}، {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}، والمستقيم المستوي يعنى طريق الخير أو

الإسلام، والرابع كشف السرائر على القلوب وإراءة الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام .وهذا يختص به الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله: {أولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده} وقوله: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} نقله الزرقاني في شرح المواهب.

فائدة:

لم يتسم أحد بأحمد قبله، صلى الله عليه وسلم. قال ابن حجر: والمشهور أن أول من سمي به بعده، صلى الله عليه وسلم، والد الخليل بن أحمد لكن زعم الواقدي أنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد وحكى ابن فتحون في ذيل الاستيعاب ان اسم أبي حفص بن المغيرة الصحابي أحمد، ويقال في والد أبي السفر إن اسمه أحمد. قال الترمذي: أبو السفر هو سعيد بن محمد ويقال ابن أحمد، اهـ من الزرقاني في موضع آخر.

والحمد لغة هو الوصف بالجميل على الجميل الاختياري أو القديم، والوصف ذكر الصفة منسوبة الى المتصف بها فلا يكون إلا بالكلام، وبالجميل مخرج للوصف بالقبيح بذم وبما ليس جميلا ولا قبيحا كزيد تميمي إذا قصد مجرد الإعلام بنسبه، وعلى الجميل مخرج للوصف بالجميل لأجل قبيح كقولك للبخيل ما أجوده في مقام التهكم. ومجموع الإختياري أو القديم مخرج للوصف برشاقة الخد. والحمد عرفا الثناء باللسان أو القلب أو غيرهما من الأركان بسبب ما أسدى إلى الحامد فالأول أخص موردا لأنه لا يكون إلا بالكلام وأعم متعلقا لأنه يكون في مقابلة نعمة وغيرها، والثاني أعم موردا لحصوله بالكلام وغيره وأخص متعلقا إذ لا يكون إلا في مقابلة نعمة فبينهما عموم وخصوص من وجه.

(حمدا جديدا دائم البقاء)

قوله حمدا منصوب بفعل محذوف أي أحمده حمدا، ولا يصح أن يعمل فيه قوله الحمد لأن المصدر لا يخبر عنه إلا بعد تمام معمولاته. وقوله جديدا أي طارئا بعد الحمد الأول مع أنه دائم البقاء والظاهر أن الحمد

الأول حمد منه لله تعالى لأنه يستحق الحمد لذاته والثاني حمدٌ له لإنعامه فلا يتكرر مع الأول كما يرشد له قوله: (مكافيا) أي مساويا، (ترادف) أي تتابع، (الآلاء) أي النعم. فكلما تجددت لي نعمة منه تعالى تجدد مني حمد له تعالى. واعلم أن مقابلة الحمد لجميع النعم يعجز عنها الخلق غاية العجز لأن التوفيق للحمد نعمة جليلة تقتضي حمدا وهلم جرا.. قال:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ... ومن جملة النعماء قولي لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة ... تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

تنبيه:

اختلف في تعيين الفاضل من الحمد، فقيل: الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم، وقيل: اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وقيل: الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده. قال الشيخ يوسف بن عمر وينبني على ذلك مسألة فقهية فيمن حلف ليحمدن الله تعالى بأفضل محامده، فمن أراد أن يخرج من الخلاف فليحمد بجميعها، اهـ. نقله الحطاب.

وأتى الناظم رحمه الله بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالقرآن العظيم وعملا بقوله، صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» أو قال: «أبتر» أو قال: «أجدع» أو قال: «أقطع» أي ناقص الشرف.

(ثم الصلاة والسلام تترا ... على أجل المرسلين قدرا)

أردف الحمد بالصلاة والسلام على من وصلت النعم المحمود عليها بواسطته، صلى الله عليه وسلم، امتثالا لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} وعملا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يبدأ بذكر الله ثم بالصلاة عليّ فهو أقطع». والصلاة من الله تعالى انعامه، ومن العبد طلبه منه تعالى كانت على

نبي أو غيره، وكل ما ذكروه فيها يرجع إلى هذا، قاله في «نور البصر».
وهي وإن كان معناها طلب الرحمة التى هي الانعام فيها معنى زائد عليه وهو التعظيم ولذلك اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإن كان الراجح جوازه. والسلام من الله تعالى انعامه بالسلامة، ومن العبد طلب ذلك منه تعالى قاله في «نور البصر» أيضا.
والصلاة مبتدء والسلام عطف عليه وخبره المجرور بعده. وتترا حال أي متتابعة فإن كانت ألفها للتأنيث فهي حال من الصلاة وإن كانت منونة، والألف فيها كالألف في زيدا من رأيت زيدا، فهي حال من السلام أو من كل منهما. وهذا كقوله تعالى: {أرسلنا رسلنا تترا} قال الخازن أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا، وقال في «الضياء» تترا بلا تنوين للجمهور وبه لابن كثير وأبي عمرو أي متتابعين والتاء بدل من واو لأنه من المواترة وهي المتابعة بين الأشياء اهـ. وقال ابن جزي تترا مصدر وهو موضوع موضع الحال أي متواترين والتواتر التتابع اهـ.
وقال في القاموس وجاؤوا تترا وينون وأصله وترا أي متتابعين وواتره مواترة ووتارا تابع أو لا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينهما فترة وإلا فهي مداركة ومواصلة اهـ.
وقوله على أجل المرسلين قدرا أي أفضلهم منزلة عند الله تعالى. ولا شك أنه، صلى الله عليه وسلم، أفضل من جميع الرسل والملائكة وجميع الخلق اجماعا ولا يدخل في الخلاف الجاري في التفضيل بين الأنبياء والملائكة. قال السراج البلقيني: ولا تظن بأحد من أيمة المسلمين أنه يتوقف في أفضليته، صلى الله عليه وسلم، على جميع الملائكة وسائر الأنبياء ومن زعم أن هذا ليس مما كلفنا به فزعمه باطل بل هذا من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف اهـ. نقله محمد الأيسي في شرحه للهمزية في البيت الأول. وكون هذا عقيدة نحوه للهيثمي عن الزركشي وغيره. وقال السنوسي في شرح الجزائري: أفضليته صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقات تكاد أن تكون مما علم من الدين ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم خارج عن الخلاف في

التفضيل بين الأنبياء والملائكة اهـ.

(وآله)، عطف على أجل، وآله الصحيح في مذهبنا أنهم بنو هاشم قيل وبنو المطلب وهو مذهب الشافعي، وقيل ما خرج من لؤي آل له، وهو قول أصبغ، وقيل ما خرج من غالب وقيل آله: أتباعه. قال الزرقاني في شرح المواهب: وفي انهم بنو هاشم أو والمطلب أو عترته وأهل بيته أو بنو غالب أو أتقياء أمته واختير في مقام الدعاء وأيد بأنه إذا اطلق شمل الصحب والتابعين لهم بإحسان أقوال اهـ منه.

(وصحبه) اسمٌ جمع صاحب، والصاحب في الأصل الملازم وفي العرف إذا أضيف له صلى الله عليه وسلم كل من لقيه مؤمنا به وإن لم يلازمه ولا روى عنه ولا رآه لعمى أو غيره مميزا أو غيره حيث يحكم بإسلامه لإسلام أبيه ومن ارتد منهم والعياذ بالله تعالى ثم أسلم عاد له اسم الصحابي على المرجح ولابد من كون اللقاء قبل الوفاة فيخرج من لقيه بعدها كأبي ذؤيب ولا يدخل الأنبياء الذين اجتمع بهم ليلة الإسراء ولا الملائكة لأن المراد الاجتماع على الوجه المتعارف.

(ومن سلك سبيلهم) أي ذهب واتبع طريقهم ،وسلك يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالهمزة وعداه بعضهم بالباء، والسبيل والطريق والصراط ألفاظ مترادفة كلها تذكر وتؤنث.

(ما دار) أي تقلب **(نجم في فلك)** والفلك جسم لطيف مستدير الشكل مشتمل على أجرام صقيلة نورانية تتحرك بتحركه دائما وتلك الأجرام هي الكواكب، والقمر في الفلك الذى يلينا وهو السماء الدنيا، والفلك الثاني السماء الثانية وهو العطارد والثالث وهو السماء الثالثة للزهرة كرطبة والرابع للشمس والخامس للمريخ وهو نجم الحمرة ويقال له كوكب الدم وكوكب النار للدلالة على ذلك في زعمهم والفلك السادس وهو السماء السادسة للمشتري والسابع لزحل اهـ.

وكل ما يظهر من المنازل والكواكب في الفلك الثامن وهو فوق السماء السابعة بألف عام كما قال بعضهم وأصغرها أكبر من الأرض بمائتين وعشرين مرة كما في بعض شراح الرسالة، عند قوله ولا ينظر

في النجوم إلا ما يستدل به على القبلة نقله في شرح المقنع. ولبعضهم بيت نقله الحفني في شرح الجامع الصغير في ترتيب الدراري في الأفلاك وهو:

زحلُ اشترى مريخه من شمسه   فتزاهرت لعطارد الأقمار

ويسمى زحل كيوان والمقاتل والشيخ ويسمى المشتري البرجيس ويسمى عطارد بالكاتب وفي طوالع البيضاوي ممزوجا ببعض كلام الشيخ زكريا والأفلاك تسعة محيط بعضها ببعض الأول منها الفلك الأعظم وهو بلسان أهل الشرع العرش المجيد وهو الجسم المحيط بسائر الأجسام ويسمى الفلك الأطلس لكونه غير مكوكب وتحت الفلك الأعظم فلك الثوابت وسميت بذلك لبطء حركتها ثم بعده سبعة أفلاك: فلك زحل على الترتيب المار إلى أن وصل إلى فلك القمر وهو سماء الدنيا، اهـ.

وقال العضد في المواقف ممزوجا ببعض كلام غيره المقصد الأول أن الحكماء زعموا أن الأفلاك تسعة: فلك الأفلاك وهو المسمى عندهم بالفلك الأطلسي لأنه غير مكوكب والمسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع وتحته فلك الثوابت وهو الكرسي ثم فلك زحل إلى أن وصل إلى فلك القمر، قال وهو سماء الدنيا. اهـ.

وفي الطوالع والمواقف أن الأفلاك شفافة لا لون لها إذ لو كانت ملونة لحجبت الأبصار عن رؤيتها ورؤية ما وراءها لأن كل ملون كذلك واللازم باطل ولم ير شيء من الكواكب فكذلك الملزوم اهـ. ومقتضاهما أن الأفلاك السبعة هي السماوات وفي كلام بعضهم أنها أجسام لاصقة بالسماوات والله أعلم.

وقال الزرقاني في شرح المواهب: ذهبت طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة وربما سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس قاله ابن كثير وليس بجيد لأنه قد ثبت في الشرع ان له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا قوائم له وأيضا فالعرش في اللغة سرير الملك وليس فلكا والقرآن إنما نزل بلغة العرب

فهو سرير تحمله الملائكة كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات اهـ.

تنبيهـــان:

الأول: قال في المواهب اللدنية: قال الحليمي المقصود بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى وقضاء بعض حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله لكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء، فأرشدنا الله لما علم من عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه ونحوه للشيخ المرجاني وقال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلى المصلي عليه لدلالة ذلك على نصوص العقيدة وإظهار المحبة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم اهـ. منه. ونقله العارف بالله أبو زيد الفاسي في حاشيته على كيمياء السعادة.

الثاني: سئل الإمام السنوسي عن قول الفقهاء ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا هل هو صحيح أم لا؟ فأجاب: بأنه رأى ذلك منصوصا للإمام الشاطبي، قال وهو مشكل إذ لو قطع بقبولها لقطع للمصلي عليه بحسن الخاتمة، ثم أجاب بأن معنى القطع بالقبول أنه إذا ختم له بحسن الخاتمة وجد حسناتها مقبولة حتما بخلاف سائر الحسنات لا يوثق بقبوله ولو مات صاحبه على الإيمان ويحتمل أن قبولها إذا صدرت من صاحبها على وجه محبته له عليه السلام فيقطع بانتفاعه بها في الآخرة، ولو في تخفيف العذاب إذا قضي عليه به، ولو على وجه الخلود لعظم موضع محبة أشرف الخلق. ألا ترى أن تخفيف العذاب عن أبي لهب يوم الاثنين لعتقه من بشرته بولادته عليه الصلاة والسلام اهـ.

وبحث اللمطي في هذا الجواب بأنه احتمال عقلي لا دليل عليه، لأن النصوص مصرحة بإحباط عمل الكافر. قال وأما أبو لهب فخرج بالنص فلا يقاس عليه.

(وبعد) ظرف زمان بني لشبهه بحرف الجواب، كنعم في الاستغناء به عما بعده وعامله محذوف، أي وأقول بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنبه **(فاعلم)** أيها المخاطب أي تحقق؛ **(ان خير)** أي أفضل، **(ما اقتفى)** من العلوم أي اتبعه وتعلمه أو علمه وألف فيه؛ **(ذو)** أي صاحب؛ **(همة)** هي قوة الانبعاث في الشيء وطلبه بالصدق بقطع الشواغل عما سواه؛ **(سيرة)** خبر أن وهو مضاف لقوله **(خير مقتفي)** بصيغة اسم مفعول أي متبع وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ والسيرة بكسر السين هيأة السير وجمعها سير أي طريقته وهيأته وحالته ثم خصت بحاله في غزواته ونحوها نقله الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح المواهب ولا يخفى عظيم فضل الاهتمام بسيرته صلى الله عليه وسلم لأن شرف كل علم بحسب شرف معلومه وهذا العلم هو الكفيل ببيان أحواله صلى الله عليه وسلم العلية وأطواره الشريفة من لدن كان في بطن أمه إلى انتقاله إلى دار كرامته ولحوقه بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم تسليما. **(وها أنا)** ها حرف تنبيه وأنا مبتدأ وخبره قوله **(أذكر)** أي أبين ويكثر استعمال ها التنبيه مع ضمير رفع منفصل بشرط أن يكون مرفوعا بالإبتداء بخلاف ما قام إلا أنا فلا تدخل على أنا وبشرط أن يخبر عنه باسم إشارة نحوها أنتم هؤلاء، وشذ قوله:

أبا حكم ها أنت خصم مجادل

قاله الدماميني واستعملها الناظم بدون اسم إشارة **(في هذا الرجز)** أحد البحور المعروفة يعني نظمه هذا **(من ذاك)** أي من علم السيرة النبوية **(ما)** مفعول أذكر أي الذى **(فيه)** لمن حفظه وشرحه **(سداد)** بكسر السين وفتحها أي غنى وكفاية **(من عوز)** أي احتياج وعدم يعني انه جمع في هذا النظم من علم السيرة ما يغني من تعلمه ويكفيه حتى لا يحتاج إلى غيره قال في المصباح السداد بالكسر ما تسد به القارورة وغيرها واختلف في سداد من عيش وسداد من عوز لما يرمق به العيش وتسد به الخلة فقال ابن السكيت والفارابي وتبعه الجوهري بالفتح

والكسر واقتصر الأكثر على الكسر منهم ابن قتيبة وثعلب والأزهري لأنه مستعار من سداد القارورة. اهـ. من شرح الزرقاني للمواهب بلفظه. وفي القاموس وسداد من عوز وعيش لما يسد به الخلة قد يفتح أو يجر وإذا تأملته علمت أن قول مولاي إبراهيم في شرحه هو بكسر السين لا بالفتح مخالف لما مر وذكر في شرحه هنا أن المامون قال يوما بحضرة النضر بن شميل انه صلى الله عليه وسلم قال: «ان الرجل إذا تزوج المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز» بفتح السين، فقال النضر بكسر السين، فقال له المامون أوتلحنني يا نضر؟ قال لا ولكن لحن هشيم الذى حدثك. فأجازه المامون بجائزة سنية وقال النضر سبحان الله كُسرت سين أعطاني الله عليها كذا وكذا..

(المبتغي التحصيل من أولي الهدى)

المجرور متعلق بقوله سداد والمبتغى الطالب والتحصيل تمييز ما أراد حصوله ومعرفته وأولى الهدى أصحابه والهدى التوفيق، يعنى أنه يبين في هذا النظم من علم السيرة النبوية ما فيه الكفاية لمن يطلب معرفة ما يريد حصوله من أصحاب التوفيق حتى لا يحتاج إلى غير هذا النظم لكثرة ما جمع من مسائل هذا الفن إذ قد حصل له من هذا النظم ما يسد خلته ويغنيه من احتياجه. وفي القاموس العَوَزُ بالتحريك الحاجة عوز الشيء كفرح لم يوجد والرجل افتقر كأعوَزَ.

(عسى بنفعهم به أن أرشدا) هذا في المعنى بيان للسبب الحامل له على النظم فأفاد أنه إنما نظمه لأجل رجائه أن يرشد أي يوفق بسبب نفعه للناس بنشر العلم لكثرة ثواب من يعلم الناس الخير والنفع إيصال الخير ودفع الضر وأن أرشدا خبر عسى وبنفعهم معمول أرشدا وقدم على أن لأنه مجرور يتسع فيه ما لا يتسع في غيره كقوله:

كان جزائي بالعصا أن أجلدا

وفي القاموس رشد كنصر وفرح اهتدى وأرشده الله، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه اهـ.

(سميته) أي هذا النظم أي وضعت له هذا الاسم **(بقرة الأبصار)** جمع

بصر يقال قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرة بالضم وقرورا أي سكنت وثبتت لأنها رأت ما كانت متشوفة إليه وأقر الله عينه، واسمها طابق مسماها، فإن من حصلها وفهم معناها تم مرامه وشفي غليله لكثرة ما حصل له من علم السير وسكن بصره فلم يتشوف إلى غيره **(في سيرة المشفع المختار)** أي طريقته وأحواله والمشفع من قبلت شفاعته والشّفاعة لغة الضم ومنه الشفع ضد الوتر لأنه ضم واحد لآخر وكذا الشفعة لأنها ضم أحد الشريكين نصيب صاحبه إلى نصيبه هو والشفاعة ضمك للغير في جاهك قاله القرطبي في المفهم في شرح مسلم، والجاه الشرف ورفعة القدر، والمختار المفضل على جميع الخلائق يعنى بهذا نبينا وحبيبنا وقرة أعيننا وملاذنا ووسيلتنا إلى ربنا محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ولا شك أنه المنفرد بالشفاعة العظمى في الموقف الهائل حين ضاق بالخلائق الخناق واتهم البرآء أنفسهم وكشف عن ساق نسأل الله تعالى بمنه أن يميتنا على ملته ومحبته وأن يحشرنا في زمرته نحن وأحبتنا بجاهه العظيم فقد قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» **(مرتبا)** حال من فاعل أذكر **(له)** أي لهذا الرجز **(على الأبواب)** جمع باب وهو في اللغة فرجة في ساتر يتوصل بها من داخل إلى خارج وبالعكس حقيقة في الذوات كباب الدار ومجازا في المعاني كما هنا فقوله بيان نسبة إلخ.. هو الباب الذى يتوصل منه إلى معرفة نسبه، صلى الله عليه وسلم، التى هي وراء الساتر الحائل دون معرفته والساتر هو الجهل فمن دخل من هذا الباب توصل إلى ما وراء ذلك الساتر، ورتب الناظم رحمه الله مسائل السيرة النبوية على أحواله، صلى الله عليه وسلم، فذكر كل حال في باب معبرا عن الباب بالبيان لأن ذلك أيسر لمن أراد الوقوف على مسألة منه فإنه إذا كانت أبوابه مرتبة مذكورا كل نوع منها خاص في باب بانفراده سهل طلب تلك المسألة على طالبها إذ لا يبحث عنها إلا في باب واحد بخلاف ما إذا كانت أنواع مسائله كلها مذكورة في باب واحد من غير ترتيب فإنه يعسر على الطالب الوقوف على تلك المسألة

التى يريد الوقوف عليها إذ لا يدري في أي موضع من الكتاب كما أشار له بقوله: **(مقربا)** حال أيضا ومفعوله قوله، **(مقاصد الطلاب)** والمقاصد جمع مقصِد بكسر الصاد كما قاله الزرقاني على المواهب وهو الأمر الذى يقصَد والطلاب جمع طالب يعنى أنه رتبه على أبواب فذكر كل نوع خاص في باب بعد باب آخر حال كونه مقربا أي مسهلا ما يقصده طلاب الوقوف على كل مسألة بانفرادها إذ لا يطلب إلا في باب نوعها الخاص بها، ولما ذكر أنه يذكر في هذا الرجز ما يسد خلة المحتاج إلى معرفة هذا العلم وأنه يرتبه على أبواب متعددة ليسهل طلبه على طالبه وكان مقصده ذلك لا قدرة له على اتمامه إلا بعون الله تعالى تبرأ من حوله وقوته تواضعا لله تعالى فقال سائلا منه تعالى أن يعينه على ذلك:

(ومن ممد الكون في انعامه   استوهب العون على اتمامه)

المجرور معمول لقوله استوهب وقدمه لإفادة الحصر والامداد من معانيه الإعطاء {أمدكم بأنعام وبنين} ويعدى لمفعول ثان بالباء والناظم عداه بفي وعليه، ففي بمعنى الباء، ومن معانيه الإمهال وهو اللائق بفي. والله تعالى أعلم. والكون المكون فهو يعم جميع الحوادث، والعون التقوية على الأمر ومعنى البيت عليه أنه يسأل العون على اتمام هذا الرجز على وفق مراده من الله تعالى لا من سواه فهو الذى امهل جميع الخلائق في انعامه أي أخرهم ولم يعاجلهم بالعقوبة مع كثرة الكفر والعصيان في إنسهم وجنهم وهذا استعطاف منه لله تعالى ليحصل له مراده، وممد اسم فاعل من أمده رباعيا ومعنى أستوهب العون أطلب منه أن يهبني أي يعطيني العون على اتمام هذا النظم وإنما سأله ذلك لأنه لا قوة له على اتمامه إلا بعون الله تعالى وفي هذا المعنى قال بعضهم:

إذا كان عون الله للمرء خادما   تهيأ له من كل صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجني عليه اجتهاده

(والنفع للراوي وللمروي عنه بجاه المصطفى النبي)

قوله والنفع بالنصب عطف على العون، أي ومن الله تعالى أسأل النفع لكل من روى شيئا من علم السيرة أي نقله ولكل مروي أي منقول عنه ممن تقدم أو تأخر فيدخل فيه الناظم ومن نقل هو عنه ومن نقل عن الناظم هذا النظم المحتوي على السيرة الغراء وهو دعاء عام بعد خاص وهو قوله أستوهب العون على اتمامه. وبدأ بنفسه لأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دعى بدأ بنفسه، وقال تعالى حكاية عن نوح: {رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات} وفي الخبر: «الدعاء إذا عم نفع وإذا خص ارتفع» وتوسل في هذا المطلب بجاه أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم تسليما، والنفع إيصال الخير ودفع الضر والجاه الشرف ورفعة القدر، والمصطفى المخلص من الكدر، ولفظ النبي على وجهين في اللغة: مهموز وغير مهموز، فأما المهموز فيصح أنه بمعنى مُفعل بصيغة اسم الفاعل لأنه من أنبأ لأنه مخبر عن الله تعالى ويصح أنه بمعنى مفعل بصيغة اسم المفعول لأنه مُنبأ أي مُخبر ويصح أنه من نَبَا بمعنى ارتفع ففي القاموس نبا الشيء يعنى بالهمزة بمعنى ارتفع ويصح انه مأخوذ من النبيء بالهمز على وزنه وهو الطريق الواضح لأنه طريق إلى الله تعالى وأما غير المهموز فيصح أن أصله الهمز وترك الهمز تسهيلا ويصح أن يكون واويا فيحتمل معنيين أحدهما أنه من النبوة وهي الارتفاع والثاني أنه من النبي على وزنه وهو الطريق أيضا قاله المحقق اليوسي في حواشي الكبرى **(عليه)** الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم **(أزكى)** أي أكثر وأفضل **(صلوات البارئ)** أي رحماته المقترنة بالتعظيم والإجلال والباري الخالق لجميع المخلوقات من برأ الله الخلق خلقهم **(وآله وصحبه)** تقدم قريبا تفسيرهما **(الأبرار)** أهل الصدق والطاعة والإحسان الذين اختارهم الله تعالى لصحبة خير خلقه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيئين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي

كلهم خير »، وفي الحديث: « مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به » وفيه: « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ذكرها في الشفا.

تنبيهـــــان:

الأول: قال في الشفا عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال شارحه ابن سلطان أي من سائر الأنبياء بل هي مستحبة لما روى البيهقي والخطيب مرفوعا صلو على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلاة كما استحقها اهـــ وفي الشرح بعد هذا ما يفيد أنه لا خلاف في جواز الصلاة على غير الأنبياء تبعا وفي الشفا ان الذى ذهب إليه المحققون ما قاله مالك وسفيان وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء قال شارحه المذكور أي افرادا وإنما تجوز اتباعا اهـــ

الثاني: أتى الناظم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الدعاء لأن ذلك أرجى لإجابته ففي الحديث: «كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء »، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض لا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعن علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد قاله في الشفا، وقوله الصلاة أي المفروضة والنافلة وقوله معلق أي كل منهما وقوله إلى الله أي محل قبوله أو مكان عرشه وقوله منه أي مما ذكر قاله ابن سلطان. ولما فرغ من خطبة نظمه شرع في ذكر نسب هذه الدرة الشريفة والذات المطهرة المنيفة لينجز ما بذكره وعد ويتمم من مرامه ما قصد فقال:

(بيـــان نســـبـــة النبي المصطفي صلى عليـــه ربنا وشـــرفـــا)

قوله بيان خبر مبتدء محذوف والنسب محركة والنسبة بالكسر

والضم القرابة أو في الآباء خاصة قاله في القاموس أي هذا بيان نسب النبي صلى الله عليه وسلم المجمع عليه إلى عدنان إذ بذكر نسبه يقع تمييزه عن غيره ويظهر شرفه على من سواه بانتقاله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة وبالعكس وفي معالم التنزيل كان آدم يسمع من تخطيط أسارير جبهته نشيشا فقال يا رب ما هذا فنودي يا آدم هذا تسبيح ولدك محمد مزج بمائك فيكون لك ولدا وأنت له أب فنعم الوالد ونعم المولود، ثم انتقل ذلك الجزء من صلب آدم إلى رحم حواء ومنها إلى صلب شئث ومنه إلى رحم قيصلة ومنها إلى صلب أنوش وهكذا كان ينتقل وكان يؤخذ في كل مرتبة عهد وميثاق على أن لا يوضع ذلك الجزء إلا في المطهرات اهـ نقله مولاي ابراهيم في شرحه، والنشيش: الصوت. وقوله صلى الله عليه وسلم تقدم معناه، وربنا مالكنا جميع الحوادث ومبلغنا إلى كمالنا شيئا فشيئا وأصل الرب مصدر يقال ربه ربا ورباه تربية وربيه تربيبا وربته ترتبيتا وربته ربتا أي بلغه إلى كماله شيئا فشيئا فمن الأول لئن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن، ومن الثاني:

ربيتــــــه حـتى إذا تمـعـددا وآض نهـدا كـالحصـان أجـردا

ومن الثالث:

بيضا مـرازبة غلبا أساورة أسدا تربب في الغيضات أشبالا

ومن الرابع:

ألا ليت شـعـري هل أبيتن ليلة بجمهور حزوى حيث ربتني أهلي

وقيل أصله راب فخفف بحذف الألف كما فعل في برّ. وقوله وشرفا أي أعلاه والشرف العلو وهذا دعاء بلفظ الخبر وهو صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق نسبا وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه فهو نخبة بني هاشم خلاصة قريش وصميمها ولله در القائل:

قد أورث المجد عبد الله شيبة عن عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

فجاء فيهم بمن جال السماء ومن سمى على النجم في سامي بيوتهم

فالعرب خير أناس ثم خيرهم قريشهم وهو فيهم خيرهم

قوم إذا قيل من قالوا نبيكم منا فهل هذه تلفى لغيرهم

وفي الحديث: «إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم». قال الترمذي حديث صحيح. وفي حديث الطبراني ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم العرب ثم اختارني من العرب فلم أزل خيارا من خيار. وقوله ان الله اختار خلقه أي ممن لو تعلقت بهم الإرادة ووجدوا كانوا دونهم في الفضل لكونهم لم يختاروا أي اختارهم ممن يقدر وجودهم فلا يراد أن الاختيار إنما يكون من شيء إذ لابد من مختار ومختار منه اهـ حرره الزرقاني في شرح المواهب وفي الحديث: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» بمعنى أن نبوءته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه في عالم الأرواح وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوأته والاقرار بها فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم إلى خروجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح ونبأه وأخذ عليه الميثاق قبل نفخ الروح في آدم إذ هو المقصود من خلق النوع الإنساني إذ لولاه ما خلق، انظر الزرقاني. ولبعضهم:

ألا بأبي من كان ملكا وسيدا وآدم بين الماء والطين واقف

فذاك النبي الأبطحي محمد له في العلا مجد تليد وطارف

أتى بزمان السعد في آخر المدى وكان له في كل عصر مواقف

أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه فأثنت عليه ألسن وعوارف

إذا رام أمرا لا يكون خلافه وليس لذاك الأمر في الكون صارف

أنشدها القسطلاني في المواهب لغيره. وقوله في آخر المدى بفتحتين يعنى الزمان الأخير من أزمنة الأنبياء وقوله مواقف أي أحوال لتقدم خلقه وقوله وعوارف جمع عارفة ومعناه أن الأمور المعروفة في الشرع أثنت عليه لإظهاره لها وذبه عن معارضتها قاله الزرقاني.

(ونسب المختار محفوظ إلى عدنان بالإجماع عند الفضلا)

يعني أن آباءه صلى الله عليه وسلم إلى جده عدنان أجمع العلماء وهم

مراده بالفضلاء على عددهم ومعرفتهم وإن اختلفوا في أسماء بعضهم وأما ما فوق ذلك ففيه اختلاف كثير، قال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يجاوزه، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون، قال الله تعالى {وقرونا بين ذلك كثيرا}.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إنما ينسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا يدرى ما هو. وقوله إنما ينسب بتحتية فنون النبي صلى الله عليه وسلم أو بنونين أي معاشر قريش وقوله لا يدرى بياء ونون وفي سيرة العسقلاني اختلف فيما بين عدنان وإسماعيل اختلافا كثيرا ومن إسماعيل إلى آدم متفق على أكثره وفيه خلاف يسير في عدد الآباء وفيه خلف أيضا في ضبط بعض الأسماء. وقال عروة بن الزبير ما وجدنا أحدا يعرف بعد معد بن عدنان.

وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، قيل له فإلى اسماعيل فكره ذلك أيضا وقال على سبيل الانكار من أخبره حتى يعتمد عليه وكذا روي عنه أنه كره ذلك في رفع نسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى آدم وإذا كان كذلك فالذي ينبغي لنا الاعراض عن ما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ وصعوبة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في ذكرها اهـ من المواهب وشرحها.

ورأيت في شرح لهذا النظم لم يسم مؤلفه نفسه أن معرفة آبائه صلى الله عليه وسلم المجمع عليهم واجبة على كل مؤمن. وفي مطالع المسرات بعد قول دلائل الخيرات النبي العربي القرشي الزمزمي المكي التهامي ما نصه هذه الأوصاف المذكورة هنا مما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم إذ هي من جملة مشخصاته المعينة له اهـ.

(وها أنا أشير لاسم كل منهم بحرف منه مستقل)

ها حرف تنبيه وأنا مبتدء وأشير خبره ومرّ ما يقال فيه، وبحرف متعلق بأشير ومنهم صلة لحرف أي حرف من اسم كل واحد منهم

ومستقل صفة لحرف والإشارة تأدية المعنى بلفظ غير صريح.

أخبر الناظم رحمه الله أنه يشير -أي في البيت الآتي- لاسم كل واحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وآبائهم إلى عدنان بحرف من اسم كل واحد مستقل بذلك الحرف أي كاف في تعيين من أشير إليه به لقصد الاختصار وضيق النظم والبيت الذى فيه الحروف المشار بها إلى أسمائهم هو قوله: مع إلخ.

ولنذكر عمود نسبه صلى الله عليه وسلم أولا على طريق الاختصار متواليا فأقول كما قال في المواهب: اعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشترك معه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوأة غاية ولتمام الشرف نهاية فإذا علمت شرف نسبه وطهارة مولده علمت أن هذا النبي العربي الأبطحي القرشي الهاشمي المنتخب من خير بطون العرب حسبا وأعرقها نسبا وأكرمها من قبل أبيه وأمه ومن أكرم بلاد الله تعالى على الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(مع) أما الميم فهي إشارة لاسم نبينا صلى الله عليه وسلم محمد الذى سماه به جده عبد المطلب فطابق ما سماه الله تعالى به فقيل له لم سميت ابنك محمدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ فقال رجوت أن يحمده أهل السماء والأرض فحقق الله رجاءه والمحمد الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة، قال الأعشى:

إليك أبيت اللعن كان وجيفها إلى الماجد القرم الجواد المحمد

وأما العين فهي إشارة إلى والد المصطفى صلى الله عليه وسلم عبد الله، قال الحافظ لم يختلف في اسمه الذبيح وكنيته أبو قثم بقاف فمثلثة وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم مأخوذ من القثم وهو الإعطاء أو الجمع، يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم وقيل كنيته أبو

محمد وقيل أبو أحمد، قاله ابن الأثير اهـ فإن قلنا بالمشهور من وفاته والمصطفى صلى الله عليه وسلم حمل فلعله كنى بالإلهام وإلا فالأمر ظاهر قاله الزرقاني.

(شه) أما الشين فهي إشارة لاسم جده شيخ البطحاء عبد المطلب بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل كما في المصباح وفي «الحلة السيراء» انه بفتح اللام شيبة الحمد مركب إضافي سمي به كما قال ابن قتيبة لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال فكان يقال مطعم طير السماء والفياض لجوده وفيه يقول الشاعر:

على شيبة الحمد الذى كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وهو قول ابن اسحاق وهو الصحيح كما قال السهيلي وقيل سمي به لأنه ولد في رأسه شيبة وقيل لأن آباه أوصى أمه بذلك ولعل وجه إضافته إلى الحمد رجاء أنه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له فحقق الله ذلك. فكثر حمدهم له لأنه مفزع قريش في النوائب وسيدهم كمالا وفعالا وكان مجاب الدعوة وحرم الخمر على نفسه، قال ابن الأثير وهو أول من تَحَنَّثَ بحراء كان إذا دخل رمضان صعده وأطعم المساكين وقال ابن قتيبة اسم شيبة عامر وتابعه على ذلك صاحب القاموس وقال أبو عمران ذلك لا يصح وكنية شيبة أبو الحارث وهو أكبر ولده وقيل كنيته أبو البطحاء وسمي عبد المطلب لأن أباه هاشما لما حضرته الوفاة قال لأخيه المطلب أدرك عبدك يشرب، وقال له ذلك استعطافا وقيل إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه وهو بهيأة بذة فكان يسأل عنه فيقول هو عبدي حياء من أن يقول ابن أخي فلما أدخله مكة أحسن حاله وأظهر أنه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وعاش مائة وأربعين سنة فيما قاله الزبير بن بكار وجزم به السهيلي وقيل مائة وعشرين وصدر به مغلطاي نقله الزرقاني وأما الهاء فإشارة لهاشم واسمه عمر وسمي هاشما لأنه أول من هشم الثريد بمكة لأهل الموسم ولقومه أولا في سنة المجاعة فإنه لما أصاب أهل مكة شدة رحل إلى فلسطين فاشترى منها

دقيقا كثيرا وكعكا وقدم به مكة فأمر به فخبز ثم نحر جزورا وجعلها ثريدا عم به أهل مكة ولم يزل يفعل ذلك حتى استقلوا، وفيه يقول ابن الزبعرى:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

والثريد بمثلثة ما اتخذ من لحم وخبز، قال:

إذا ما الخبز تادمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

وفي المنتقى كان هاشم أفخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لا في السراء ولا في الضراء وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه يتوقد شعاعه ولا يراه حبر إلا قبل يده ولا يمر بشيء إلا سجد له تغدوا إليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث إليه هرقل ملك الروم وقال إن لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم علي حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك وإنما أراد نور المصطفى الموصوف عندهم في الإنجيل فأبى هاشم، قال ابن اسحاق وهو أول من مات من بني عبد مناف واختلف في سنه فقيل عشرون وقيل خمس وعشرون سنة قاله الزرقاني.

(عـــق) أما العين فإشارة لعبد مناف من أناف ينيف إذا ارتفع لقب بذلك لأن أمه حبى بضم الحاء المهملة وموحدة مشددة ممالة أخدمته صنما عظيما لهم يسمى مناة ثم نظر أبوه قصي يوما فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله إلى عبد مناف واسمه كما قال الشافعي المغيرة منقول من الوصف والهاء للمبالغة سمي به تفاؤلا أنه يغير على الأعداء وساد في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش ويدعى القمر لجماله، قال الواقدي وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده لواء نزار وقوس إسماعيل وذكر الزبير عن موسى بن عقبة أنه وجد في كتابة في حجر أنا المغيرة بن قصي آمر بتقوى الله العظيم، وبصلة الرحم وإياه عنى القائل بقوله:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمخ خالصه لعبد مناف

ومات بغزة. وأما القاف فإشارة لقصي تصغير قصي بفتح فكسر فياء ساكنة أي بعيد لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته فاطمة بنت سعد العذري وكرهوا اجتماع ثلاث ياءات فصغروه على فعيل مثل فليس واسمه مجمع قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

في مكة بعد تفرقهم في البلدان، ذكر ثعلب في أماليه أنه كان يجمع قومه يوم العروبة فيذكرهم ويامرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم أنه سيبعث فيهم نبي، وقوله به جمع بالتثقيل للمبالغة وفي الخميس كان اسمه زيد فسمي مجمعا لما جمّع من أمر قريش فسمي مجمّعا، اهـ.

وبعد البيت المتقدم:

وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وقيل اسمه يزيد وكان قصي أول بنى كعب أصاب ملكا طاع له به قومه وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء وحاز شرف مكة جميعا وكان جلدا جميلا وعالم قريش وأقولها بالحق.

(كم) أما الكاف فإشارة لكلاب وهو إما منقول من مصدر كالبت العدو مكالبة وكلابا ومعناه المشارة وإما من جمع كلب للحيوان المعروف كأنهم يريدون الكثرة كما يسمون بسباع وأنمار. وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعببيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء عدة للأعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الأسماء دون عبيدهم لأنهم لا يقصد منهم قتال غالبا بل كان ذلك عارا عند العرب وقيل لقب بكلاب لمحبته كلاب الصيد وكان يجمعها فمن مرت به قال هذه كلاب ابن مرة واسمه حكيم وقيل عروة، هذا كله من المواهب وشرحها.

وأما الميم فإشارة لمرة بضم الميم علم منقول من وصف الرجل بالمرارة والتاء للمبالغة وكنيته أبو يقظة وأولاد مرة ثلاثة: كلاب وتميم ويقظة.

(كــل) أما الكاف فإشارة لكعب قال ابن دريد منقول من كعب القناة

سمي بذلك لشرفه وارتفاعه في قومه فكانوا يخضعون له حتى أرخوا بموته إلى عام الفيل فأرخوا به، ثم بموت عبد المطلب، وقيل من الكعب الذى هو قطعة السمن الجامد وهو أول من جمع الناس لمجرد الوعظ يوم العروبة وكانت تجتمع إليه قريش فيه فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويامرهم بالإيمان به إن أدركوه وينشد مع ذلك أبياتا منها قوله:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقوله نجواء بنون وجيم أي دعوته السر إشارة إلى ما في ابتداء الدعوة من الخفاء قبل الأمر بالصدع ومده ضرورة وفي نسخة فحواء بفاء فحاء مهملة أي معنى ومده ضرروة. وقوله تبغي بضم الفوقية وفتح الموحدة وكسر الغين المعجمة من بغاه الشيء بالتخفيف طلبه شدد مبالغة وفي نسخة: حين العشيرة تبغي الحق خذلانا، بفتح فسكون فكسر مخففا، والمراد أنه يتمنى إدراك زمن دعوته صلى الله عليه وسلم للناس وقريش يعارضونه ويطلبون خذلان دينه لينصره ويظهر دينه وكان كعب فصيحا خطيبا وكان يأمر بتعظيم الحرم وعلمه هو به صلى الله عليه وسلم من الوصية المستمرة من آدم أن من كان فيه النور لا يضعه إلا في المطهرات لأن ختام الأنبياء منه وكان طاهرا أو من الكتب القديمة أن من كان بصفة كذا كان محمد من ولده والأول أظهر، وروى أبو نعيم عن كعب الأحبار أن بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة وستين سنة، انظر الزرقاني. وأما اللام فإشارة إلى لؤي بضم اللام وبالهمز وتبدل واوا، تصغير لأى كعصى وهو الثور الوحشي قاله ابن الانباري، قال ويحتمل أنه تصغير لأي بوزن عبد وهو البطء ويؤيده قوله:

فدونكم بنى لؤي أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو

واختار السهيلي الثاني وقال أبو حنيفة اللأ البقرة وقال الأصمعي هو تصغير لواء الجيش وقيل منقول من لوى الرمل وكنيته أبو كعب وكان له سبعة ذكور.

(غف) أما الغين فإشارة لغالب منقول من اسم فاعل مشتق من الغلب بالتحريك أو بفتح فسكون ويقال غلبة بهاء وأما الفاء فإشارة إلى فهر بكسر الفاء وسكون الهاء فراء منقول من الفهر الحجر الطويل الأملس، قاله السهيلي وقال الخشني الفهر حجر ملء الكف يذكر ويؤنث وخطأ الأصمعي من أنثه وفي الفتح الفهر الحجر الصغير وفي الارشاد الطويل والأملس واسمه قريش. وعن الزهري أن أمه سمته قريشا وأبوه سماه فهرا وقيل فهر لقبه وقيل بالعكس وإليه تنسب قريش ونسب للأكثر، قال الزهري وهو الذى أدركت عليه من أدركت من نساب العرب أن من جاوز فهرا فليس من قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي على الصحيح قاله في المواهب. قال الزرقاني صححه الدمياطي والعراقي وغيرهما. **(من)** أما الميم فإشارة لمالك، اسم فاعل من ملك، قال الخميس سمي مالكا لأنه كان ملك العرب وأما النون فإشارة للنضر واسمه قيس ولقب بالنضر لنضارة وجهه وجماله وله من الذكور مالك والصلت ويخلد بفتح التحتية وسكون المعجمة وضم اللام فدال مهملة وبه يكنى أبوه ولكن لم يعقب إلا من مالك وذهب الأكثرون إلى أن النضر هو قريش وبه قال الشافعي قال النووي وهو الصحيح المشهور وصححه أيضا الحافظ العلائي وعزاه للمحققين وللعراقي.

أما قريش فالأصح فهرُ جماعها والأكثرون النضر

قال الحافظ: وعندي أنه لا خلف في ذلك لأن فهرا جماع قريش ثم أن أباهم مالكا لم يعقب غيره وكذلك النضر لا عقب له إلا مالك فاتفق القولان بحمد الله تعالى فقريش ينتهي نسبها كلها إلى فهر وقيل قريش هو إلياس وقيل مضر وقيل قصي، قال البرهان وهو باطل وكأنه قول رافضي لأنه يقتضي أن أبا بكر وعمر ليسا من قريش فإمامتهما باطلة وهو خلاف إجماع المسلمين. واختلف في سبب تسمية قريش فقيل منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة من أقوى دواب البحر سميت به لقوتها لأنها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وكذلك قريش أخرج البخاري في تاريخه أن ابن عباس سأله عمرو بن العاص فقال ان

قريشا تزعم أنك أعلمها فلم سميت قريش قريشا؟ فقال بأمر بين. فقال ففسره لنا. ففسره: قال هل قال فيه أحد شعرا؟ قال نعم. وقد قال الشمرخ بن عمرو الحميري:

وقريش هي التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قرشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخُموشَا
يملأ الأرض خيله ورجال يحشرون المطي حشرا كشيشا

وأكلا كميشا أي سريعا والخموش الخدوش قاله الزرقاني وقيل من التقريش وهو التفتيش لأنهم يفتشون عن خلة الناس فيسدونها وقيل لأنهم كانوا يتجرون من قرش كضرب إذا تجر وقيل من الاقراش وهو وقوع الرايات والرماح بعضها على بعض وقيل غير ذلك، وقريش البطحاء من دخل مكة مع قصي والظواهر من أقام بظاهر مكة ولم يدخل الأبطح.

(كخم) أما الكاف فإشارة إلى كنانة بكاف مكسورة فنونين مفتوحتين بينهما ألف ثم هاء منقول من الكنانة التى هي الجعبة بفتح الجيم وسكون العين المهملة سمي بذلك تفاؤلا بأنه يصير كالكنانة الساترة للسهام فكان سترا على قومه وقيل سمي به لأنه لم يزل في كن من قومه وكان عظيم القدر يجتمع إليه العرب لعلمه وفضله بينهم وأما الخاء فإشارة لخزيمة تصغير خزمة وهي مرة من الخزم وهو شد الشيء وإصلاحه وقال الزجاجي يجوز أنه من الخزم بفتح فسكون تقول خزمته فهو مخزوم إذا أدخلت في أنفه الخزام وقيل تصغير خزمة بكسر فسكون برة في أنف البعير يشد فيها الزمام، قال في الغرر ولم أر من تعرض لوجه المناسبة لنقله مما ذكر، قال ابن عباس مات خزيمة على ملة ابراهيم.

تنبيه:

ذكر الزبير بن بكار وتبعه السهيلي أن خزيمة لما مات خلف ابنه كنانة على زوجته برة بنت إد بن طابخة فتزوجها فولدت له النضر علي ما كانت تفعله الجاهلية من أن أحدهم إذا مات خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها وقد قال تعالى: {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف} أي من تحليل ذلك قبل الإسلام. قال وفائدة الإستثناء ليلا يعاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم وليعلم أنه لم يكن في أجداده سفاح اهـ. وتعقب هذا الحافظ القطب الحلبي بما حاصله أن هذا غلط نشأ من اشتباه وذلك أن أبا عثمان الحافظ قال ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد ذكرا ولا أنثى فنكح ابنة أخيها وهي برة بنت مرّ بن إد بن طابخة فولدت له النضر، قال الحافظ وإنما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما، قال وهذا الذى عليه مشائخنا من أهل العلم ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال: «مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام،» ومن قال غير هذا فقد أخطأ والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا اهـ.

قال الدميري وهذا أرجو به الفوز للحافظ في منقلبه وأن يتجاوز عنه ما سطره في جميع كتبه اهـ. وقد صوب مغلطاي كلام الحافظ وأن خلافه غلط ظاهر، قال وهذا الذى يثلج به الصدر ويذهب حره ويزيل الشك ويطفؤ شرره قال الشامي وهو من النفائس التى يرحل إليها والسهيلي تبع الزبير بن بكار والزبير كأنه تبع الكلبي وهو متروك بل لو نقله ثقة لم يقبل لمخالفة الأحاديث الناطقة بخلافه اهـ.

وكذا ما قيل أن هاشما خلف على وافدة زوجة أبيه بفرض صحته وليست جدة للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن أم عبد المطلب أنصارية ولذا كانت الأنصار أخوال المصطفى صلى الله عليه وسلم، اهـ. نقله محمد بن عبد الباقي.

وأما الميم فإشارة لمدركة والتاء للمبالغة منقول من اسم فاعل من

الإدراك لقب به لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ظاهرا بينا واسمه عمرو عند الجمهور وهو الصحيح وقيل عامر وتنوين كخم غير معتبر.

(أمن) أما الهمزة فإشارة إلى إلياس والمعروف أنه اسمه وفي سيرة مغلطاي اسمه حبيب وهمزته همزة قطع، ثبت في الدرج عند ابن الأنباري وهي مكسورة وفي الخميس إنما سمي إلياس لأن أباه كبر ولم يولد له فولد على الكبر الياس فسمي إلياس وكنيته أبو عمر وله أخ يقال له الناس وهو عيلان قال ابن الأنباري وهو إفعال من قولهم أليس الشجاع الذى لا يفر. قال الشاعر:

اليس كالنشوان وهو صاح

ووافق ابن الأنباري علي كسر همزته طائفة وقال قاسم بن ثابت هو بفتحها وهي همزة وصل من اليأس ضد الرجاء واللام للتعريف وأنشد قاسم على ذلك قول قصي:

أمهتي خندف وإلياس أبي

قال الإمام السهيلي وهذا أصح من قول ابن الأنباري وهو أول من أهدى البدون إلى البيت ويذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم في الحج ولما أدرك إلياس أنكر علي بنى إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به فردهم إلى سنن آبائهم وكان ذا جمال بارع وهو وصي أبيه ولم تزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه وكان يدعى كبير قومه وسيد عشيرته ولا يقطع أمر دونه، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا»، ولما مات إلياس أسفت عليه زوجته خندف أسفا شديدا ونذرت أن لا يأويها بيت ولا تقيم في بلد فتركت بنيها منه وساحت في الأرض حتى هلكت حزنا عليه ومات يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلعت الشمس يوم الخميس حتى تغيب وضربت الأمثال بحزنها عليه انظر الزرقاني. وأما الميم فإشارة لمضر قيل سمي به لأنه كان يحب اللبن الماضر أي الحامض

وفيه نظر لأنه يستدعي أن يكون له اسم غير هذا قبل أن يتصف بهذه الصفة. نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ولا يلزم أن يكون متصفا بهذه الصفة وقيل لبياضه وقيل لأنه كان يمضر القلوب لحسنه وجماله، وفي الخميس لأنه أخذ بالقلوب ولم يكن يراه أحد إلا أحبه، وفي السبل: اسمه عمرو وكنيته أبو إلياس ومن حكمه: من يزرع شرا يحصد ندامة، وخير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فُواق بضم الفاء وتفتح ما بين الحلبتين وهو أول من سن الحداء للإبل وذلك أنه سقط وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه، وكان من أحسن الناس صوتا فآبت إليه الإبل من المرعى فلما صح وركب حدى وقيل بل كسر مولى له فصاح فاجتمعت إليه الإبل فوضع الحداء وزاد الناس فيه. وأخرج ابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم» اهـ من الزرقاني.

وفي القاموس مضر اللبن كنصر وفرح وكرم حمض وابيض ثم قال ومضر بن نزار كزفر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سمي به لولوعه بشرب اللبن الماضر أو لبياض لونه اهـ. وسمي مضر الحمراء لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه وأعطي ربيعة الخيل انظر القاموس.

وأما النون فإشارة لنزار بكسر النون من النزور وهو القليل. قيل سبب ذلك أنه لما ولد ونظر أبوه إلى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو نور النبوءة الذى كان في الأصلاب فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال إن هذا كله نزر لحق هذا المولود فسمي نزار بذلك وبهذا جزم السهيلي وتبعه النور والخميس وزاد انه خرج أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وقال أبو الفرج الأصبهاني سمي بذلك لأنه فريد عصره واقتصر عليه الفتح والإرشاد وقيل لقب به لنحافته، قال الماوردي كان اسمه خلدان وكان مقدما وانبسطت له اليد عند الملوك وكان مهزول البدن فقال له ملك الفرس ما لك يا نزار، قال وتفسيره يا مهزول فغلب عليه هذا الاسم وكنيته أبو إياد وقيل أبو ربيعة ويقال إن

قبر نزار بذات الجيش قرب المدينة قاله الزرقاني.

(مـــــع) أما الميم فإشارة إلى معد بفتح الميم المهملة وشد الدال ابن الانباري يحتمل انه مفعل من العد أو من معد في الأرض إذا أفسد وقيل غير ذلك قاله في الفتح وقال الخميس: سمي معدا لأنه كان صاحب حروب وغارات على بنى إسرائيل ولم يحارب أحدا إلا رجع بالنصر والظفر وكنيته أبو قضاعة وقيل أبو نزار قاله الزرقاني وذكره في القاموس في فصل العين وفي فصل الميم ولفظه في فصل العين ومعد بن عدنان أبو العرب أو الميم أصلية لقولهم تمعدد أي تزيا بزي معدٍ في تقشفهم أو تنسب إليهم أو تصبر على عيشهم. وأما العين فإشارة إلى عدنان من العدن أي الإقامة وعن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير. وروى الزبير بن بكار مرفوعا: « لا تسبوا مضرا ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين » وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل ابن المسيب.

(إلى هنا زكن) المجرور معمول لزكن معناه علم والإشارة لعدنان ونائب زكن راجع من النسب الشريف أي علم نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان. وأما ما فوق عدنان من النسب فلم يعلم كما تقدم.

فائدتان:

الأولى: لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهة آدم كالشمس المشرقة رواه ابن عباس ثم كان في وجه وصيه على أولاده ابنه شيث بكسر المعجمة فتحتية ساكنة فمثلثة وهو مصروف وقيل لا يصرف بناء على أن الثلاثي الأعجمي الساكن الوسط يجوز صرفه وعدمه، قال في الهمع وهو فاسد وقال السهيلي هو بالسريانية شياث وبالعبرانية شيث ومعنى شيث هبة الله وفي الشامية يقال شاث بإمالة الشين وكان شيث أجمل أولاد آدم وأشبههم به وأحبهم إليه وأفضلهم وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وولد شيث وحده على المشهور كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل معه أخت. ثم

بعدما أوحى الله تعالى إلى شيثَ ان اتخذ ابنك أنوش صفيا ووصيا علم أنه نعيت إليه نفسه فأوصى ولده أنوش بفتح الهمزة فنون مضمومة آخره شين معجمة ومعناه الصادق ويقال يا نش بتحتية فنون مفتوحة فمعجمة لوصية آدم وهي أن لا يضع هذا النور الذى كان في وجه آدم كالشمس إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن إلى قرن أي من واحد إلى واحد وسماه قرنا تجوزا إلى أن أوصل الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ولم يوص عبد المطلب ولده بذلك لتعاطيه تزوجه من آمنة مع علمه بمكانها وأن نكاحها لا أثر فيه من الجاهلية فكفاه ذلك عن الوصية وذلك النور موجود في جميع الآباء ويجوز تفاوته فيهم انظر الزرقاني، وما ذكره من ضبط شيث أنه بالتحتية نحوه في شرح الشفا لابن سلطان وفي مطالع المسرات وكذا في الحلة السيراء أنه كقيل ولم أر الهمز في واحد منهم.

الثانية: اعلم ان الله تعالى طهر هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الأحاديث المرضية فروى البيهقي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام» والسفاح الزنا والمراد به هنا أن تسافح المرأة رجلا مدة ثم إذا أعجبته وأعجبها يتزوجها بعد ذلك، وهذا التفسير للقسطلاني، قال شارحه ولولي كما قال شيخنا أن يراد به ما هو أعم فإن جملة الأحاديث دلت على نفي جميع نكاح الجاهلية عن نسبه من نكاح زوجة الأب لأكبر بنيه والجمع بين الأختين ونكاح البغايا وهو أن يطأ البغي جماعة متفرقون فإذا ولدت ألحق بمن غلب عليه الشبه منهم ونكاح الاستبضاع وهو ان المرأة إذا طهرت من الحيض قال لها زوجها أرسلي لفلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى يبين حملها فإن بان أصابها زوجها إن أحب ومن نكاح الجمع وهو أن يجتمع رجال دون عشرة ويدخلوا على بغي كلهم يطؤها فإذا وضعت ومر لها ليال بعده أرسلت إليهم فلا يتخلف رجل منهم فتقول قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحبت فلا يستطيع نفيه

وان لم يشبهه اهـ.

وقال الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في أمر الجاهلية وفي الحديث خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي رواه الطبراني وابن عساكر وروى أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا « لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا »، وروى ابو نعيم عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال: « قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام، ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم » وأخرجه الطبراني والإمام أحمد والبيهقي والديلمي وابن لال وغيرهم قال الحافظ ابن حجر لوائح الصحة لائحة على صفحات هذا المتن وقال ابن تيمية وليس فضل العرب لقريش فبني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل أي باعتبار الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة. قال وبذلك يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا وإلا ثبت الدور انظر الزرقاني.

ولما ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم جره ذلك إلى ذكر حفر زمزم وذكر الذبيحين لأن حافرها عبد المطلب جده وحفرها هو بسبب كون عبد الله ذبيحا، فقال:

(وشيبة) هو عبد المطلب شيبة الحمد **(إذ)** أي حين فهو ظرف زماني مضاف للجملة بعده والعامل فيه قوله الآتي همت وقوله **(بئر زمزم)** مفعول حفر ومضاف إليه ما قبله ومعنى **(حفر)** أراد حفرها وشرع فيه كما يأتي وحفر كضرب **(همت بمنعه)**من اتمام حفرها **(قريش)** فاعل همت وذلك أنه جعل يحفرها ثلاثة أيام فلما بدى له الطي كبر وقال هذا طي إسماعيل فقاموا إليه فقالوا إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا فيها فأبى فقال عدي بن نوفل بن عبد مناف، يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك ولم يكن له يومئذ ولد إلا

الحارث فقال له أبا القلة تعيرني والله لئن آتاني الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة رواه ابن سعد والبلاذري وفي الخميس سفه عليه وعلى ولده ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما قاله الزرقاني وإلى هذا أشار بقوله **(فنذر)** كضرب ونصر أي إلتزم بالحلف كما مرّ فيحتمل أنه المراد بالنذر ويحتمل أن الإلزام تكرر مرة بالنذر ومرة بالحلف قاله محمد بن عبد الباقي. وفي عبارة المواهب المماثلة لعبارة الناظم **(إن جاءه)** أي ولد له من **(البنين)** أي الذكور **(عشره)** بفتح الشين وكسرها **(يحمونه)** أي يمنعونه **(من البغاة)** جمع باغ وهو الظالم وإنما كانوا بغاة لأنهم أرادوا منعه من أمر اختصه الله تعالى به بل هي في الحقيقة إنما قصد بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ولده فهي لعبد المطلب لا لغيره **(الفجره)** جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي **(لينحرن واحدا)** منهم عند الكعبة **(تقربا* به)** مفعول لأجله أي لأجل التقرب لله، وعبارة المواهب وشرحها ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة **(فلما رام)** أي طلب وقصد عبد المطلب **(نحره)** أي نحر ولده الذى خرج القدح عليه وهو عبد الله والد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان أحب ولد عبد المطلب إليه لرؤية نور المصطفى صلى الله عليه وسلم في وجهه كما في الزرقاني **(أبى)** أي امتنع **(منه)** أي من نحره **(قريش)** لعزه وشرفه فيهم فقاموا إليه في أنديتهم وقالوا له والله لا ندعك تذبحه حتى تعذر فيه إلى ربك بأن تسأل الكاهنة فإنها إن ذكرت أنه يذبح كان ذلك عذرا عندهم ولإن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه ويذبحه وتكون سنة مستمرة في قومك لأنك رئيسهم فيقتدون بك فما بقاء الناس على هذا. وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر وابن مخزوم وكان عبد الله بن أختهم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه انظر الزرقاني. **(فمضى)** عبد المطلب أي ذهب وركبوا معه **(لخيبرا)** حصن قرب المدينة **(مستامرا)** حال من فاعل مضى أي حال كونه مشاورا **(كاهنها)** أي خيبر فيما يصنع أي شخصها الموصوف بالكهانة وذلك أنهم قالوا له انطلق إلى فلانة الكاهنة وعند

ابن اسحاق وانطلق إلى الحجاز فإنه به عرافة لها تابع من الجن وهو على حذف مضاف أي أحد أرض الحجاز فلعلها أن تامرك بأمر فيه فرج لك فركبوا حتى أتوها بخيبر والكاهنة قيل اسمها قطبة ذكره عبد الغني في كتاب الغوامض وذكر ابن اسحاق ان اسمها سجاح والذى في الروض سجساح فلما أتوها قص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر، كم الدية عندكم؟ فقالوا عشرة من الإبل، فقالت ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم إلى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل عشرة أخرى ثم اضربوا أيضا هكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم، فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجى صاحبكم وإلى هذا أشار بقوله **(فأمرا)** أي الكاهن عبد المطلب **(أن)** بفتح الهمزة تفسيرية **(استهم عليه)** أي على عبد الله أي اضرب عليه بالسهام أي القداح **(والآبالي)** جمع إبل **(فإن عليه)** أي على عبد الله **(خرجت)** القداح بالذبح **(في الحال)** أي الزمن الذى ضربت القداح فيه عليه وعلى الإبل **(فزد عليه)** أي على العدد الذى ضربت عليه وعلى عبد الله القداح **(عشرة)** أخرى **(واقترعا)** أي أضرب عليه وعلى عبد الله القداح أيضا وهكذا حتى تقع القداح على الإبل **(حتى)** غاية للزيادة **(إذا السهم)** أي القدح، **(عليها)** أي الإبل **(وقعا* فانحر)** الإبل فداء له **(فإن ربه)** أي الولد **(قد رضيا* بأنها)** أي الإبل **(له)** أي لولدك **(فداء)** خبر إن ويتعلق به المجرور قبله أي فإن وقوع السهم على الإبل أمارة على رضى ربك بفداء ولدك بالإبل فانحرها ودع ولدك وكأنها غلب على ظنها أن السهم واقع على الإبل لا محالة قال جميعه في المواهب وشرحها **(فعيا)** فعل أمر من وعى أي حفظ والألف بدل من نون التوكيد الخفيفة تتميم للبيت، **(ففعل)** عبد المطلب بعد ان رجع هو وقومه إلى مكة **(الذي به قد أمرا)** أي أمرته به الكاهنة فقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الإبل وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى، قاله

الزرقاني فخرج القدح في كل مرة على ولده فلم يزل يزيد عشرة ويضرب عليه وعلى الإبل القداح **(حتى انتهت)** الإبل **(المائة)** أي وصلتها فوقع السهم على الإبل **(فنحرا)** عبد المطلب الإبل **(من بعد ضربها)** أي السهام على الإبل وولده **(ثلاثا)** أي ثلاث مرات وذلك أنه لما وقع السهم على الإبل أول مرة قالت قريش ومن حضر قد انتهى. رضي ربك يا عبد المطلب، فقال لا والله حتى أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربها ثلاث مرات كلها تخرج على الإبل فنحرت وتركت لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع،

(وهي) بسكون الهاء أي الإبل **(لا تعدو)** أي لا تجاوز **(العشار)** جمع عشراء وهي النوق التي أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء، قاله في القاموس، **(الكوم)** جمع كوماء وهي العظيمة السنام **(فيما نقلا)** ومراده أن المائة كلها عشار كوم ولم أقف على أوصافها في كتاب معتمد غيره والله تعالى أعلم، **(فكان)** مفرعا على ما قبله **(والد النبي)** صلى الله عليه وسلم **(المفتدى)** بصيغة اسم المفعول صفة لوالد **(بمائة)** من الإبل **(فداؤه من الردى)** أي الهلاك ووالد اسم كان وفداؤه مبتدء وخبره قوله بمائة والجملة خبر كان ومن الردى يتعلق بقوله فداؤه **(وكان ذاك)** المال المفتدى به **(سنة)** أي شريعة مستمرة إلى يوم القيامة **(في أمته)**أي أتباعه صلى الله عليه وسلم **(عن نفس كل مؤمن في فديته)** لم أجد من تكلم على هذا والظاهر أن قوله عن نفس يتعلق بمحذوف صفة لسنة أي سنة مؤداة عن نفس كل مؤمن يتعلق بذلك المحذوف أيضا قوله في فديته والضمير للمؤمن ويكون أطلق الفدية على الدية تجوزا ويصح على بعد أن الضمير في فديته راجع للوالد ويتعلق أيضا بمحذوف أي كان ذلك المال المؤدى في فديته أي عبد الله سنة في أمة النبي صلى الله عليه وسلم مؤداة عن نفس كل مؤمن والله تعالى أعلم. ولنذكر حين تم شرح هذه الأبيات رؤيا عبد المطلب التي هي سبب حفره لزمزم وما يتعلق بها وذكر البرقي عن ابن عباس سميت زمزم لأنها زمت بالتراب ليلا تاخذ يمينا وشمالا ولو تركت

لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقال الحربي لزمزمة الماء وهي صوته وقال أبو عبيد لكثرة مائها وليس بخلاف حقيقي فقد تكون التسمية لجميع ذلك، وتسمى زمزم وزمازم وتسمى همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي وهزمة جبريل بتقديم الزاي وتسمى طعام طعم وشفاء سقم وهي بئر إسماعيل التى سقاه الله حين ظمأ وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعو الله وتستسقيه لإسماعيل ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك فبعث الله جبريل فهمز بعقبه في الأرض وظهر الماء وسمعت أمه أصوات السباع فخافت عليه فأقبلت نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء تحت خده ويشرب. قال السهيلي وحكمة همز جبريل بعقبه دون يده أو غيرها الإشارة إلى أنها تعقبه أي إسماعيل ووارثه وهو محمد صلى الله عليه وسلم، اهـ. من الزرقاني.

وفي القاموس همزه يهمزه غمزه بيده فصارت فيه حفرة ثم قال وهزم البئر حفرها اهـ. فمعنى همزة جبريل وهزمته واحد والله أعلم.

وفيه ماء زمزم كجعفر وزمازم كعلابط كثير وفيه زمه شده، اهـ. والمراد بحفر عبد المطلب لها إظهارها وتجديدها بعد أن بالغ الجرهمي في طمها أي دفنها وتسويتها وذلك أن عمرو بن الحارث بن مضاض بكسر الميم وضمها كما في الزرقاني لما بغي قومه بحرم الله وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا ما يهدى للكعبة وقيض الله لهم من أخرجهم من مكة فعمد عمرو إلى غزلان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن كما عند ابن هشام وغيره فجعلها في زمزم وبالغ في طمسها وفر إلى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى حفر شيبة الحمد لها بسبب رؤياه التى دلت عليها وعينت له موضعها وروى ابن اسحاق عن علي قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال احفر طيبة! فقلت وما طيبة؟ فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني وقال احفر برة! فقلت وما برة؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال أحفر المضنونة! فقلت وما المضنونة؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه

فجاءني فقال أحفر زمزم! قلت وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدا ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل. برة بفتح الموحدة وشد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها، قال في الروض وهو اسم صادق عليها لأنها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار والمضنونة بضاد معجمة ونونين لأنه ضُنّ بها عن غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق قاله وهب. وفي رواية الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له أحفر المضنونة ضننت بها عن الناس إلا عليك ولا يزف بكسر الزاء لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها ولا تذم بمعجمة لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة أي قليل ماؤها. قال والغراب الأعصم فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الذى إحدى رجليه بيضاء فلما بين لعبد المطلب شأنها ودل على موضعها غدى بمعوله ومعه ولده الحارث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة فلما بدى له الطي كبر وقال هذا طي إسماعيل فقاموا إليه فقالوا إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها، قال ما أنا بفاعل. إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم. قالوا له فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم عليه. قالوا كاهنة سعد بن هذيم وكانت بإشراق الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتي إذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام وظمأ عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستقوا من معهم من قبائل قريش وقالوا إنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى ما صنع القوم قال ماذا ترون؟ قالوا ما رأينا إلا نتبع رأيك، فأمرنا بما شئت. فأمرهم بحفر قبورهم، وقال من مات واروه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت عجز لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤوا

أسقيتهم ثم دعى قبائل قريش فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضي لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبدا إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا، فرجع ورجعوا معه وخلوا بينه وبينها وفي رواية أنه وجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عنها بين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهم فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقامت إليه قريش فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه الحارث رد عني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت، فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر، فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والأسياف والأدراع التى دفنتها جرهم، فقالت قريش انا معك في هذا شرك، فقال لا، ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها القداح، قالوا كيف نصنع؟ قال: اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له، فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأبيضين لقريش، فخرج الأصفران على الغزالين والأسودان على الأسياف والأدراع وتخلف قدحا قريش فضرب الأسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم لما حفرها كانت له عزا وفخرا على قريش وعلى سائر العرب.

وقوله فعمد بفتح الميم ومضارعه بكسرها كذا المنقول ورأيت في بعض الحواشي أن في بعض شروح الفصيح انه يجوز فيه العكس. وقوله إسافَ بكسر الهمزة وفتح المهملة مخففة ونائلة بنون فألف فتحتية صنمان عند الكعبة، قال الكلبي إساف رجل من جرهم ونائلة امرأة من جرهم وكان يعشقها فحجا فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فمسخا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما عبدا. نقله الزرقاني مفرقا. ثم لما كمل لعبد المطلب بنون عشرة بعد حفره لزمزم بثلاثين سنة كما عند ابن سعد والبلاذري وقر الله بهم عينه نام ليلة عند الكعبة فرأى قائلا

يقول له يا عبد المطلب أوف بنذرك فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فنودي أن قرب ما هو أكبر من ذلك، قال وما هو أكبر من ذلك؟ قال قرب أحد أولادك الذى نذرته! فاغتم غما شديدا، وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء فقالوا إنا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم إيتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل بضم الهاء وفتح الموحدة صنم عظيم عندهم من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب وكان في جوف الكعبة وكان تحته بئر يجمع فيه ما يهدى للكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون عنده بالقداح، قال ابن اسحاق كان عنده قداح سبعة كل قدح في كتاب قدح العقد إذ اختلفوا من يحمله وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه وقدح فيه لا وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه إذا أرادوا حفرها فكانوا إذا أرادوا الختان أو النكاح أو دفن ميت أو شكوا في نسب ذهبوا إلى هبل بمائة درهم وجزور فأعطوها الذى يضرب بها ثم ما خرج عملوا به، فدفع عبد المطلب إلى القيم القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم إني نذرت لك نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت، ثم ضرب السادن للقداح فخرج على عبد الله فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة إلى آخر ما مر من منع قريش له.

نكتة حسنة:

استشكل كون عبد المطلب نذر ذبح أحد بنيه إذا بلغوا عشرة بأن حمزة والعباس إنما ولدا بعد وفائه بنذره، وأولاده إنما كانوا عشرة بهما، وأجيب بأن بعض العلماء قال أولاده اثنى عشر وقيل ثلاثة عشر فكانوا عشرة بدونهما وقال بعضهم الولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا

مجازا، وكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره وهذا أحسن لسلامته من الإشكال انظر المواهب وشرحها.

ولما ذكر أن الوالد الشريف وقع عليه قدح الذبح ففدي، جره ذلك إلى الخلاف الذى جرى في ولد إبراهيم هل الذى أمر بذبحه وفدي إسماعيل جده صلى الله عليه وسلم أو هو إسحاق على نبينا وجميعهم الصلاة والسلام فقال **(والخلف في ثاني الذبيحين)** أي ثانيهما بالنسبة لوالده صلى الله عليه وسلم، فهو ذبيح بلا خلاف **(ورد)** أي جاء عن الصحابة فمن بعدهم من العلماء **(فجلهم)** أي أكثرهم قال في القاموس: وجل الشيء وجلاله بضمهما معظمه **(إسحاق)** بالرفع خبر مبتدء محذوف والجملة محكية بقول محذوف، أي قال هو إسحاق أو بالنصب بجعل محذوف خبر جلهم أي فجلهم فجعل الذبيح الثاني إسحاق **(وهو)** بسكون الهاء أي كون الذبيح الثاني إسحاق **(المعتمد)** أي الصحيح فقال به من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنه ومن التابعين ومن بعدهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي، قاله الخازن نقله الوالد حفظه الله في الريان وفي شرح المواهب مع هؤلاء وقال به القاسم بن زيد والقاسم بن أبي برة وعبد الرحمن بن سابق ومكحول والحسن وإليه ذهب مالك واختاره ابن جرير وجزم به عياض والسهيلي وعزاه ابن عطية والقرطبي للأكثرين **(وقال قوم)** الذبيح الثاني **(هو إسماعيل)** فقال به جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس في رواية عنه وعبد الله بن سلام وقال به سعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي قاله الخازن نقله في الريان أيضا وفي الزرقاني أنه رجحه جماعة وقال أبو حاتم إنه الصحيح والبيضاوي أنه الأظهر ثم قال والحاصل كما قال السيوطي أن الخلاف فيه مشهور بين الصحابة ومن بعدهم ورجح كل منهما اهـ **(وكل قول)** منهما **(فله دليل)** يرجحه، قال الخازن وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم. واحتج الأول بقوله تعالى: {**فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي**} أمر بذبح من بشره به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق كما في هود {**بشرناه بإسحاق**} وكما في قوله تعالى: {**فبشرناها بإسحاق**} فثبت أن أول الآية وآخرها يدل على أنه الذبيح واحتج بما ذكر من كتابة يعقوب لولده يوسف بمصر من يعقوب بن اسحاق ذبيح الله واحتج الثاني بأن الله ذكر البشارة بعد الفراغ من قصة المذبوح فدل على أن الذبيح غيره. وبقوله تعالى في هود: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} فكيف يامر بذبح إسحاق وقد وعد بيعقوب بعده ووصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: {وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين} وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق العدل لأنه وعد أباه بالصبر على الذبح وبأن عمر بن عبد العزيز سأل رجلا من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه أي ابني إبراهيم أمر بذبحه فقال إسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم. يا معشر العرب ان يكون أبوكم هو الذى أمر الله بذبحه ويدعون أنه إسحاق أبوهم وبأن قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بنى إسماعيل إلى احتراق البيت في زمن ابن الزبير. وفي البيضاوي أن ما روي من كتابة يعقوب لما مرّ لم يثبت وفي ابن جزي اختلف في الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعني إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله، الثاني أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح {وبشرناه بإسحاق} الآية، فدل على أن الذبيح غيره، الثالث أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علي وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة بالولد إنما كانت بإسحاق لقوله تعالى: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} الثاني أنه روي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله. اهـ

من الريان باختصار.

وروى الحاكم في المستدرك وابن جرير وابن مردويه عن معاوية قال كنا عند رسول صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة أي مجدبة لا خصب فيها والماء أي محلاته التى يصيبها يابسة لعدم الماء وخلفت المال عابسا أي متغيرا مهزولا هلك المال وضاع العيال فعد عليّ أي اعطني شيئا مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه. وهذا الحديث احتج به معاوية على من قال انه إسحاق. واحتج من قال انه إسحاق بحديث الدارقطني مرفوعا الذبيح إسحاق وتأولوا الأول بأن العرب تسمى العم أبا قال تعالى: {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت} إلى قوله: {وإله آبائكم إبراهيم وإسماعيل}، فجعل إسماعيل أبا وهو عم. اهـ من المواهب وشرحها.

وجزم تقي الدين السبكي بأن الذبيح إسماعيل ورده بعضهم وأنشد لبعضهم في المواهب:

ان الذبيح هديت إسماعيل ... نطق الكتاب بذاك والتنزيل

شرف به خص الإله نبينا ... وأبانه التفسير والتاويل

(ثالثها) أي لأقوال **(الوقف)** عن تعيين الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام. قال الناظم وهو مروي **(عن الزجاج فاسلك سبيلا)** أي طريقا ذا استقامة **(غير ذي)** أي صاحب **(اعوجاج)** والاعوجاج ضد الاستقامة **(بيان)** خبر مبتدأ محذوف أي هذا بيان **(مولد)** أي ولادة أي وقت ولادة **(النبي المجتبى)** أي الذى اختاره الله تعالى وفضله على جميع مخلوقاته صلى الله عليه وسلم **(صلى عليه الله ما هب الصبا)** هبت الريح تهبُ بالضم، ثارت والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، قاله في القاموس، قال في المواهب اللدنية ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل مرّ على إمرأة من بني عبد العزى عند الكعبة واسمها فيما صدر به مغلطاي قُتيلة بضم القاف وفتح الفوقية فتحتية ساكنة فلام فهاء تأنيث وقيل رقيقة بنت نفيل بن أسد أخت ورقة وكانت تسمع من

أخيها أنه كائن في هذه الأمة نبي، فقالت حين نظرت إلى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل ريئ في قريش لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع علي الآن أي جامعني ولعله كان من شرعهم ان المرأة تزوج نفسها بلا ولي ولا شهود لأنها لم تكن زانية ولا مريدة له بل هي عفيفة وقالت له ذلك لما رأت في وجهه من نور النبوءة رجاء أن تحمل بهذا النبي الكريم فأبى الله أن يجعله إلا حيث شاء، فقال لها أنا مع أبي ولا أستطيع فراقه ولو لم أكن معه لوقعت عليك بوجه جائز كتزويجي بك وقيل أجابها بقوله:

أما الحرام فالحمام دونه	والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه	يحمي الكريم عرضه ودينه

قوله فالحمام في رواية فالمماة وقوله والحل لا حل أي لعدم تزوجي بك وقوله فأستبينه أي أطلب ظهوره وأعمل بمقتضاه وتبغينه تطلبينه ويحمي يمنع وعرضه كلما يحمد عليه أو يذم من نفسه أو أسلافه أي لا يفعل ما يدنس عرضه أو دينه. وعند أبي نعيم لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مرّ على كاهنة من تَبَالَةَ بفتح الفوقية فموحدة خفيفة فألف فلام فتاء تأنيث موضع باليمن وآخر بالطائف متمسكة بدين اليهود قد قرأت الكتب يقال اسمها فاطمة بنت مرٍ الخثعمية فرأت نور النبوءة في وجهه وذكر نحو ما تقدم من دعائه إلى نكاحها وإبايته، زاد البرقي فلما أبى قالت :

إني رأيت مخيلة نشأت	فتلألأت بحناتم القطر
فسمي لها نور يضيء به	ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد	وقعت به وعمارة الفقر
ورأيتها شرفا ينوء به	ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت	منك الذى استلبت وما تدري

ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة بضم الزاء بن كلاب وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا أي من جهة الأب

وموضعا أي من جهة الأم فأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي وأم أمها حبيب بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب فزعموا أن عبد الله لما تزوج آمنة وقع عليها مكانه فحملت بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها بعد ما أقام عندها ثلاثا وكانت تلك السنة عندهم فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي ما عرضت بالأمس فقالت فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة لأني إنما أردت أن يكون النور في فأبى الله إلا أن يجعله حيث شاء. وعن العباس أنه لما بنى عبد الله بآمنة أحصوا مائتي امرأة من بنى عبد مناف وبني مخزوم متن أسفا على ما فاتهن من عبد الله. اهـ. من المواهب وشرحها والإكتفاء.

(وحملت آمنة الزهرية) بضم الزاء نسبة إلى زهرة بن كلاب فهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وزعم ابن قتيبة والجوهري ان زهرة امرأة كلاب وغلب على ولدها النسب إليها مردود كما في الفتح وقال السهيلي منكر غير معروف. وما مرّ من أن وهبا هو المزوج لها هو المشهور. وقيل كانت في حجر عمها وهيب وهو المزوج لها واقتصر عليه اليعمري، قاله الزرقاني **(طوبى لها)** بضم الطاء مصدر طاب الشيء لذّ ومعناه فرح لها وقرة عين بحملها بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فهي مبتدء وخبره المجرور وقيل عطية ونعم وهو مقتبس من حديث يأتي قريبا **(بأكمل البرية)** أي الخلق كله فهو صلى الله عليه وسلم أكملهم خلقا وخُلقا ونسبا والمجرور متعلق بحملت وكذا قوله **(في رجب الفرد)** هو شهر الله المعظم وسمي فردا لانفراده عن غيره من الأشهر الحرم وهي أربعة ثلاثة متوالية وهو منفرد عنها وجمعها بعضهم بقوله:

ذو قعدة ذو حجة محرم ورجب الفرد شهور حرم

وحملها في يوم الإثنين منه، وقيل يوم الاثنين في أيام منى وبه صدر في المواهب واقتصر عليه في الحلة السيرا ففيها وحملت به أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى يوم الاثنين فأما آدم فأطواره كلها يوم الجمعة وأطوار نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين

حتى لا يتوهم شرفه بشرف الزمان والمكان فالزمان والمكان يشرفان به صلى الله عليه وسلم اهـ.

(بدار وهب* والدها) متعلق أيضا بحملت **(وقيل بل)** حملت به صلى الله عليه وسلم **(في الشعب)** بكسر المعجمة أي شعب أبي طالب ولفظ المواهب ممزوجا ببعض الشرح فزعموا كما قال ابن إسحاق أنه دخل عليها عبد الله حين ملكها مكانه فوقع عليها أي جامعها زاد الزبير بن بكار يوم الإثنين من أيام منى وقيل من شهر رجب في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى كما هو المنقول عن الزبير قال النجم وهذا موافق لمن ذهب إلى أن ميلاده في رمضان، وأما القول بأنه في رجب فمنطبق على أن ميلاده في ربيع وزعم الحاكم أن سنّ عبد الله حينئذ ثلاثون سنة والصحيح خلافه وهو ما جزم به السهيلي من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين أبيه ثمانية عشر عاما اهـ ثم قال في المواهب وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب لما أراد الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد في السماوات والأرض ألا إن النور المخزون المكنون الذى يكون منه الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن آمنة ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا. وفي رواية كعب الأحبار أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها أي جوانبها والأرض وبقاعها ان النور المكنون الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل في بطن أمه فيا طوبى لها ثم يا طوبى وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا جميعها منكوسة أي مقلوبة على رؤوسها وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرِّفد بالكسر أي الخير الكثير من كل جانب فسميت تلك السنة سنة الفتح والإبتهاج اهـ وما ذكر من حملها به ليلة الجمعة لا ينافي كون أطواره عليه السلام يوم الإثنين لأنه في الأطوار الظاهرة كالولادة وما هنا ما قبلها قاله الزرقاني. والتستري نسبة إلى تُسْتَر بضم الفوقية الأولى وفتح الثانية بينهما مهملة ساكنة

آخره راء مهملة كما ضبطه النووي وغيره، وحكي ضم الفوقيتين وفتح الأولى وضم الثانية مدينة بالأهواز. وطوبى الحسنى والخير قاله في القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال عكرمة نعم وفي حديث ابن اسحاق أن آمنة كانت تحدث أنها أوتيت أي رأت في المنام حين حملت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الأمة وقالت ما شعرت بأني حملت به ولا وجدت ثقلا ولا وحما إلا أني أنكرت رفع حيضتي والثقل بكسر المثلثة وفتح القاف وتسكن، الفتور والوحم بفتحتين وحكي بكسر الحاء شهوة الحبلى، وحيضتي هنا، بكسر الحاء. قالت وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال قولي إذا وضعتيه:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

ثم سميه محمداً وعند غير ابن إسحاق وعلقي عليه هذه التميمة فانتبهت وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد
وكل خلق رائد من قائم وقاعد
عن السبيل حائد على الفساد جاهد
من نافث وعاقد وكل خلق مارد
ياخذ بالمراصد من طرق الموارد

قال العراقي هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارة وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن

يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم. وعن غيره لم يبق في تلك الليلة دار إلا أشرقت ولا مكان إلا دخله النور ولا دابة إلا نطقت، وقوله رائد أي طالب له بسوء وقوله على الفساد جاهد، أي يتحمل للمشقة في تحصيله حتى كأنه استعلى عليه والنافث الساحر والعاقد من يعقد عقداً في خيط وينفخ فيها بشيء يقوله بلا ريق أو معه بيان لجاهد والموارد المواضع التي يجتمع بها الناس وطرق المياه المقصودة للاستقاء.

فائدة:

اختلف في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة أشهر كاملة وبه صدر مغلطاي قال في الغرر وهو الصحيح وقيل عشرة أشهر وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة ذكرها في المواهب وشرحها.

(بيان مولد النبي الهادي) أي المرشد للخلق إلى الدين الحق **(صلى عليه خالق العباد)** أي أعطاه صلاة أي رحمة مقرونة بالتعظيم **(عام قدوم)** أي مجيء **(الفيل)** الذي قص الله تعالى ما فعل بأهله والعياذ بالله تعالى في سورة الفيل **(للأقوام)** أي قريش لهدم الكعبة، ومراده أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل، قال ابن الجوزي اتفقوا على أنه ولد عام الفيل وكذا قال ابن الجزار لكن قال مغلطاي في الاتفاق نظر لكثرة الخلاف **(بإثر)** بكسر الهمزة وسكون المثلثة وفي الزرقاني في قصة إتيانه صلى الله عليه وسلم لثقيف في شرح قول المواهب ولما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود ما نصه إثره بتثليث الهمزة وفتح المثلثة وإسكانها اهـ.

(خمسين من الأيام) أي ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما، وهذا الذي ذكر الناظم هو الذي شهره القسطلاني تبعا لجماعة منهم السهيلي وقيل ولد بعده بخمسة وستين يوما وبه قال أبو جعفر محمد بن علي قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين لعشر خلون من ربيع الأول وكان قدوم الفيل لنصف المحرم فبين الفيل ومولده خمس وخمسون ليلة نقله في المنتقى، وذكر اليعمري في عيون الأثر عن الخوارزمي أن قدوم

الفيل يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة وقيل ولد بعد قدومه بشهر وقيل بعد قدومه بأربعين يوما وقيل لم يولد عام الفيل بل ولد بعده قيل بسنتين وقيل بعشر سنين، قال مغلطاي وهذا الأخير لا يصح وقيل ولد بعد الفيل بخمس عشرة سنة ورد وقيل غير ذلك، والمشهور أنه ولد بعد الفيل لأن قصة الفيل كانت توطئة لنبوءته وتأسيسا لظهوره وقد كثرت الخوارق قبله إرهاصا بكسر الهمزة أي تأسيسا لرسالته كقصة الفيل وكثرة الهواتف به وإخبار الكهنة وغير ذلك. والصحيح الذى عليه الجمهور، بل حكى بعضهم عليه الاتفاق أنه ولد بمكة فقيل في الدار التى كانت بيد عقيل بن أبي طالب وصارت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج وهي بزقاق المدكك بدال مهملة قيل ان المصطفى صلى الله عليه وسلم وهبها لعقيل فلم تزل بيده حتى توفي عنها فباعها ولده محمد بن يوسف. وقيل إن عقيلا باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين فأدخل محمد بن يوسف ذلك البيت الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم في داره ولم تزل كذلك حتى حجت خيزران جارية المهدي أم هارون الرشيد فأفردت ذلك البيت وجعلته مسجدا يصلى فيه، وفي الروض أن الدار التى لمحمد بن يوسف بنتها زبيدة زوجة الرشيد مسجدا حين حجت وهي عند الصفا وقيل إنه ولد بالشعب بكسر الشين المعروف بشعب بنى هاشم وقيل ولد بالرَّدم بفتح الراء وسكون الدال المهملتين أي ردم بنى جمح وقيل لم يولد بمكة بل ولد بعسفان، قال في النور وهي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة اهـ. لكن هذا القول لا يعول عليه، قاله محمد بن عبد الباقي **(في يوم الإثنين من الشهر الأغر)** الغرة بياض في الوجه وغرة المال خياره وغرة القوم شريفهم والأغر الأبيض من كل شيء ووصفه بكونه أغر لإضاءته بوجود المصطفى صلى الله عليه وسلم فيه دون غيره من الشهور، فيا لها من خصوصية ما أعظمها، ومراده به ربيع الأول **(في ثالث الشهر) الذى** هو ربيع **(أو الثاني عشر)** منه وهو المشهور عند الجمهور، قاله ابن كثير، قال محمد بن عبد

الباقي وهو الذى عليه العمل وبالغ ابن الجوزي وابن الجزار فنقلا فيه الإجماع، وقال القسطلاني هو الذى عليه عمل أهل مكة قديما وحديثا في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت **(أو لثمان من ربيع الأول)** أي بعد مضي ثمان منه، قال قطب الدين القسطلاني وهو اختيار من له معرفة بهذا الشأن واختاره الحميد الأندلسي وحكى القضاعي إجماع أهل الميقات عليه ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وقيل ولد لعشرة مضين من ربيع حكاه مغلطاي والدمياطي وصححه، وقيل لثمان عشرة خلت منه وقيل لثمان بقين منه وقيل ولد لليلتين خلتا منه وقيل لسبع عشرة خلت منه، وقيل في يوم اثنين من ربيع غير معين. **قال جامعه** سمح الله له القول الأول في كلام الناظم لم أره والأقوال الأخر الثمانية حصلها القسطلاني سبعة منها في تعيين اليوم الذى ولد فيه من ربيع والثامن أنه غير معين منه وقيل ولد في ربيع الآخر وقيل في رمضان وقيل في يوم عاشورا، وهو غريب لا يعرف، وقيل ولد في رجب واختلف هل ولد بالليل أو النهار والمشهور أنه ولد في النهار مع بقاء الظلمة كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ولد عند طلوع الفجر وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال لما حضرت آمنة الولادة قال الله للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وكان قد أذن الله تعالى أي أراد تلك السنة أي التى حمل فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم لنساء الدنيا الحاملات منهن أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم اهـ وكانت تقول أتاني آت حين مر من حملي ستة أشهر في المنام وقال يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين فإذا ولدته فسميه محمدا واكتمي شأنك، قالت ثم أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالني أي رؤية -عين بصيرة- كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء أي بآنية شربة أوأطلق الشربة على

محلها وهو المشربة بكسر الميم مجازا من تسمية المحل باسم الحال فيه فتناولتها فشربتها. وفي رواية وكنت عطشى فشربتها فإذا هي أحلى من العسل فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينما أنا أتعجب وأنا أقول وا غوثاه من أين علمن بي؟ فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الأمر وإني أسمع الوجبة في كل ساعة أهول وأعظم مما تقدم، فبينما أنا كذلك إذ بديباج بكسر الدال ويجوز فتحها نوع من الحرير أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذاه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة، قال شارحه ولعل الحكمة في ذلك الإشارة إلى أن دينه يعم المشارق والمغارب ويعلو مكة ويصير بيننا كالأعلام فأخذني المخاض، قال البيضاوي بفتح الميم وكسرها مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج، فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني ثم سمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته. وقولها من بنات عبد مناف شبهت بهن لاشتهارهن بين النساء بالطول والجمال. ومن عجائب ولادته أيضا روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم، قال انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمه

فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوءة من بني إسرائيل أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب، ومن عجائب أمره أنه ولد مختونا وذكروا معه ستة عشر كلهم ولد مختونا ونظمهم السيوطي فقال:

وسبعة مع عشر قد رووا خلقوا ... وهم ختان فخذ لازلت مأنوسا
محمد آدم إدريس شيث ونو ... ح، سام هود شعيب يوسف موسى
لوط سليمان يحي صالح زكر ... ياء وحنظلة الرسي مع عيسى

وقوله حنظلة لم يزد في تعريفه على أن قال وحنظلة بن صفوان.

فائدة:

كما ولد صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين بعث فيه فهو أول يوم أوحي إليه فيه، كما رواه مسلم، وهاجر فيه ودخل المدينة فيه ووضع الحجر الأسود موضعه فيه، ونزلت فيه {اليوم أكملت لكم دينكم} وفتحت مكة فيه على قول والمعروف أنها افتتحت يوم الجمعة وتوفي صلى الله عليه وسلم فيه، انظر الزرقاني **(موافق)** حال كون المولد المفهوم من ولد موافق **(النيسان)** بفتح النون وكسرها وسكون الياء رابع الشهور الرومية وهو إبريل بكسر الهمزة وابتداؤها من ينّيْر بشد النون وسكون الياء قاله اليوسي **(عند)** جماعة العلماء **(الأول)** بضم الهمزة أي المتقدمة وأشار بهذا إلى أنه صلى الله عليه وسلم ولد في فصل الربيع وهو أعدل الفصول وأنشد القسطلاني في ذلك لغيره:

يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذل للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ... ربيع في ربيع في ربيع

قوله فوجهي الفاء جواب شرط مقدر أي إن سألت عن صفاتي فوجهي إلخ.. وربيع الأول وجهه عليه السلام شبهه بالربيع في اعتداله وحسنه والثاني الفصل والثالث شهر ربيع النبوي. قال محمد بن سعيد السوسي وقد نظم شيخنا القاضي أسماء الشهور القبطية والسريانية

فقال:

ولشهور القبط * حقق تفز بالقسط * توت وبابه وهتور * على التوالي بالشهور * كيهك طوب يات * امشير برهمات * برمودة بشنس * بؤونة لالبس * ثم أبيب مسرى * له فقدر قدرا.

ثم قال:

ومن أغشت الابتدا * حكي على طول المدى * ثمت بالسريانيه * خذ عدها علانيه * أولها تشرين * كالثاني إذ يبين * وبعد كانون ظهر * وما يلي به اشتهر * سباط مع آذارا * نيسان مع أيارا * ثم حزيران أتى * تموز أيضا ثبتا * آب وأيلول ورد * وهو الأخير في العدد * والبدء من اكتوبرا * فحققن الخبرا.

وتوت بمثناتين من فوق أولاهما مضمومة وبينهما واو ساكنة وبابه بموحدتين بينهما ألف وآخره هاء، وهتور بفتح الهاء وضم المثناة الفوقية، وكيهك بكاف وتحتية مفتوحة وهاء وفي نسخة بتقديم الهاء على الياء وطوب بضم الطاء المهملة وامشير بفتح الهمزة وسكون الميم وشين معجمة مكسورة بعدها ياء ساكنة وراء وبرهمات بفتح الموحدة وسكون الراء وبرمودة بفتح الموحدة وسكون الراء وميم بعدها واو ساكنة فدال مهملة فهاء وبشنس بموحدة مفتوحة وشين معجمة ونون ساكنة فسين مهملة وبؤونة بهمز بين الموحدة والواو وأبيب بفتح الهمزة وكسر الباء فباء ساكنة وموحدة ومسرى بضم الميم وسكون السين المهملة وقوله تشرين كالثاني أي تشرين الأول وتشرين الأخير بشين معجمة ساكنة وراء مهملة مكسورة بعدها ياء ساكنة فنون وكانون الأول وكانون الأخير على وزن فاعول وسُباط بضم وإذار بقصر الهمزة ومدّ الذال وإيار بتشديد المثناة التحتية وحزيران بحاء مهملة مفتوحة فزاي فراء بينهما ياء ساكنة فألف فنون وتموز بفتح التاء وضم الميم مشددة بعدها واو ساكنة، وآب بمد الهمزة، وأيلول بفتح الهمزة وسكون التحتية اهـ. من شرح المقنع لمؤلفه وفي البناني برهمات بياء تحتية وهو مخالف لما مر عن السوسي أنه بالموحدة وفيه

بؤونة على وزن شؤونة اهـ.

وفي القاموس أن إذار بذال معجمة وأن تشرين بكسر أوله وفيه حزيران إسم شهر بالرومية. قال في التاج يفتح فكسر والمشهور على الألسنة بضم ففتح اهـ. وقال قبل هذه ان سعيدا افترى ضبطه بالتصغير اهـ. واكتوبر بفتح الهمزة وسكون الكاف والواو الساكنة بعد التاء المضمومة قاله السوسي.

(في عام) متعلق بمولد **(جفظ من سني الأسكندري)** قوله جفظ قال الشريف مولاي إبراهيم في شرحه هو بالجيم والفاء المروسة والظاء المشالة لأن الذى بين ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ووفاة الأسكندري الرومي ثلاث وثمانون وثمانمائة سنة على ما حكاه في جامع الأصول وقيل اثنتان وثمانون على ما صدر به، قال ولا تعارض بينهما إذ لعله لم يعتبر الكسر في القول الأول واعتبره في الثاني، قال والجاري على الألسنة من قراءة حفظ بالحاء المهملة لا أصل له وجلب على ذلك كلام جامع الأصول. والمراد به ذو القرنين الأصغر وهو الذى قتل دارا وسلب ملكه وتزوج بابنته اهـ. منه.

واقتصر اليوسي في شرح المقنع علي أنه صلى الله عليه وسلم ولد سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة سنة لتاريخ ذي القرنين والله أعلم.

(بطالع الجدي) والظاهر ان الباء للمصاحبة والجدي هو أحد البروج ومنازله سعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود ومراده والله تعالى أعلم أنه صلى الله عليه وسلم ولد مصحوبا بطالع الجدي ويصح أنه أراد بعض طوالعه وهو سعد السعود ولم يرد أنه ولد بذلك البرج لما سيأتي وإنما مراده أن مولده صلى الله عليه وسلم طلع به نجم كل سعد على البرايا لأنه هو الواسطة في نيل كل نعمة في الدارين ويصح أنه أراد جميع طوالع الجدي لأنه صلى الله عليه وسلم طلع به سعد الذبح والبلع على من كذبه وأشرك بالله وطلع به سعد السعود على من آمن به قال الإمام السنوسي وقد حجر الله تعالى نعمه أن يصل منها إلى مخلوق شيء إلا بواسطته صلى الله عليه وسلم اهـ.

مـــا أرسل الرحــــمن أو يرسـل	من رحــمــة تصــعـد أو تنــــزل
فـي ملكوت اللـه أو ملكـــــه	من كل مــا يخـتــص أو يشــمـل
إلا وطـه المصطفى عـــبـــده	نبيـه مـخـتـــاره المرســـل
واسطة فــيــهــا وأصـل لهـــا	يعلـــم هذا كـــل من يعـــقـل

وإنما لم أحمله على ظاهره لأن مولده صلى الله عليه وسلم في فصل الربيع في النيسان وهو إبريل كما هو معلوم وقد قال الناظم: موافق النيسان، والجدي من بروج فصل الشتاء كما سنبينه إن شاء الله وقد قيل إنه عليه السلام ولد عند طلوع الغفرة وهو من منازل الميزان وهو أول بروج فصل الخريف. وفي القسطلاني: وقيل انه ولد عند طلوع الغفرة وهو مولد الأنبياء ثم قال وقيل انه ولد ليلا، قال الزرقاني في شرحه أي من غير تعيين لكونه عند طلوع الغفرة اهـ. واقتصر السوسي في شرح المقنع على أنه صلى الله عليه وسلم ولد عند طلوع الغفرة في شهر إبريل ولفظه وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم ولد ليلة الإثنين عند طلوع الغفرة في شهر إبريل والشمس في الحمل اهـ. وكذا في المواهب وشرحها أنه ولد في برج الحمل، أي ولد والشمس في برج الحمل كما هو لفظ السوسي وبرج الحمل منازله النطح والبطين وثلث الثريا، وكونه عليه السلام ولد والشمس في برج الحمل هو الذى يلائم أنه ولد في إبريل ويلائم كونه عند طلوع الغفرة في إبريل أي طلوعها ليلا في إبريل وإن كان مولده ليلا فيه خلاف وبيان ذلك أن تكون الشمس في برج الحمل وتكون الغفرة إذ ذاك في ابريل من مطالع الليل. وأما حمل كلام المؤلف على ظاهره فلم يظهر لى أنه يلائم كون ولادته عليه السلام في النيسان كما ذكر المؤلف وغيره هذا مع أني أعلم قوة كون المولد عند طلوع الفجر لكن لم اهتد أيضا لالتئامه مع القول بأنه ولد عند الغفرة هذا معنى البيت عندي وقلته ارتجالا والله تعالى أعلم بالصواب. وقولي الجدي واحد البروج وهي اثنى عشر برجا أولها الحمل بالتحريك ثم الثور فالجوزاء، فالسرطان، فالأسد فالسنبلة ثم الميزان، فالعقرب، فالقوس، فالجدي وهو عاشرها، فالدلو فالحوت وقد

أشار بعضهم لها على الترتيب فقال:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيتان

قال بعض شروح المقنع: البروج عند المنجمين عبارة عن أجزاء قسم الفلك عليها بحسب سير الشمس ومكثها في كل جزء منها شهرا فتقطع الفلك كله في إثنى عشر شهرا وقسموا الفلك لأجل ذلك على اثنى عشر جزءا وسميت تلك الأجزاء بروجا أولها الحمل إلى آخرها ثم لما كانت تقيم في كل برج ثلاثين يوما قسموا كل برج ثلاثين جزءا ثم قسموا تلك الأجزاء دقائق مفردها دقيقة والبروج عند العرب عبارة عن جماعة من النجوم على صورة حيوان أو صورة آلة في رؤية العين فسميت كل جماعة باسم تلك الصورة التى هي عليها والفرق بين قسمة العرب وقسمة المنجمين مع ان كلا منهما على اثنى عشر برجا ان قسمة العرب محسوسة مدركة بالرؤية غير متساوية وقسمة المنجمين معقولة غير محسوسة مدركة بالذهن مستوية فأخذ المنجمون تسمية العرب لأجزائهم المرئية ووضعوها على أجزائهم الذهنية. وأما المنازل فهي عند العرب ثمانية وعشرون وعند المنجمين عبارة عن ثمانية وعشرين جزءا مستوية قسم الفلك عليها قسمة متوهمة معقولة ومقدار كل منزلة ثلاث عشرة درجة تنقص سُبع درجة فلذلك كانت الشمس تقيم في كل واحد ثلاثة عشر يوما إلا الجبهة فأربعة عشر فتقطعها جميعا في عام واحد اهـ منه. وقوله ثم قسموا كل برج ثلاثين جزءا هي الدرجات والدرجات هي المقسومة إلى الدقائق وقال محمد بن سعيد في شرحه الكبير وكذلك تقسم البروج على الفصول الأربعة فلكل فصل ثلاثة بروج فلفصل الربيع الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة لفصل الصيف والميزان والعقرب والقوس للخريف والجدي والدلو والحوت للشتاء وكل برج له منزلتان وثلث، فللحمل النطح والبطين وثلث الثريا وللثور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة وللجوزاء ثلثا الهقعة والهنعة والذراعان إلى أن قال وللميزان غفرة

وزوبانيان وثلث اكليل والميزان أول بروج الخريف وللجدي سعد الذابح وبلع وثلث سعد السعود فالجدي أول بروج الشتاء فلو ولد عليه السلام في طالعه لكانت الولادة في الشتاء وحينئذ فلا تكون في إبريل لأنه من شهور الربيع لكنه ولد في الربيع فليست ولادته صلى الله عليه وسلم في طالع الجدي قاله كاتبه وفقه الله لما يرضاه وأحسن بمحض فضله عقباه.

(وكان المشتري * مع زحل في وسط السماء) مراده والله أعلم أن هذين الدريين وهما المشتري ويقال له البرجس والقاضي وزحل بوزن عمر معدول عن زاحل ويقال له الشيخ والكيوان والمقاتل كانا في وقت مجتمعين في وسط السماء **(تقارنا)** اصطحبا الظاهر انها حال مؤكدة **(بالعقرب)** أي برج العقرب أحد بروج الخريف **(الغراء)** أي الشهيرة ومحل زحل في الفلك السابع والمشتري في السادس والله أعلم.

وإذا كانت الشمس مع البطين في برج الحمل كانت العقرب في وسط السماء في الليل والله تعالى أعلم. والفلك مر قول العلماء فيه عند قول الناظم:

مـــا دار نجــــــم في فــــلك

وأن الأفلاك هي السماوات السبع والكرسي والعرش وقال المنجمون حقيقة الفلك جسم لطيف مستدير الشكل كفلكة المغزل وبعضها على بعض كقشور البصلة ونحن في وسطها أقربها إلينا الذى في سماء الدنيا وهو أصغرها والثاني أكبر منه وكذا كل فلك أكبر من الذى تحته وأصغر من الذى فوقه وانظر يا أخي إلى عظيم قدرته حين جعلنا نرى الكواكب في السموات السبع وما فوقها مع بعد المسافة وغلظ الحجاب فإنما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل واحدة كذلك وقيل ان الفلك السابع والثامن بينهما مسيرة ألف عام ثم حجب عنا ما هو أدنى وأدنى من ذلك كالثوب يغطي الإنسان لا ندري ما تحته هل بياض أو سواد مع قرب المسافة ورقة الحجاب، إن ربك فعال لما يريد لا إله إلا هو اهـ من شرح المقنع لمؤلفه.

تتمة:

محالُّ الدراري السبعة عند أهل الحساب أشار لها في المقنع بقوله:

فالتسعة الأفلاك كان القمر منها بتالينا وثان أكبر
فيها عطارد وجيم زهره للشمس دال ها لنجم الحمره
مريخ والسادس مشتر زحل لسابع والغير في الثامن حل
وتاسع عار فدار، عز ربنا وجلا

يعني أن الأفلاك تسعة سبعة هي في السماوات السبع وهي التى فيها الدراري السبعة والثامن فوق السماوات السبع وهو الذى فيه كل نجم سوى الدراري والتاسع فوق الثامن ولكنه عار من الكواكب وفيه جميع الأفلاك الثمانية يدور بها كل يوم وليلة دورة واحدة عز ربنا إذ غلب جميع هذه الاشياء العظيمة فهي تحت قهره. ومحل القمر الفلك الذى يوالينا والثاني أكبر منه وفيه عطارد والثالث المشار له بالجيم للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل. وفي الحديث: «رأيت ليلة أسري بي النجوم معلقة بسلاسل من نور في أيدي الملائكة»، وقال بعض شروح الرسالة أصغر كوكب في السماء أكبر من الأرض بمائة وعشرين مرة اهـ من شرح المقنع الكبير لمؤلفه ولبعضهم في ترتيب الدراري في الأفلاك بادئا بأعلاها بيت وهو:

زحل اشترى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد أقمار

نقله الحفني. وقوله عام قدوم الفيل لم يذكر المصنف قصة الفيل ولنذكرها على وجه الاختصار إظهارا لإكرام من وقعت لأجله وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحاصلها أنه لما كان المحرم والنبي صلى الله عليه وسلم حمل على الصحيح كما مرّ قدم ابرهة بفتح الهمزة والراء ابن الصباح الأشرم لهدم الكعبة لما ولي اليمن من قبل النجاشي وسبب ملكه لليمن أن بعض أهلها من أصحاب الأخدود لما أكثر فيهم ملكهم القتل وهو ذو نواس آخر من ملك اليمن من حمير فرّ إلى قيصر يستغيثه فكتب له إلى النجاشي ليغيثه فأرسل معه أميرين إلياط

وابرهة بجيش عظيم فقتلوا ملك اليمن واستولوا عليه ثم اختلفا فقتل إلياط بعد أن شرم أنف ابرهة وحاجبه وعينه وشفته فبرئ واستقل بالملك فغضب عليه النجاشي فأرسل تحفا إليه حتى رضي فأقره ولهذا سمي الأشرم وقيل لأن أباه ضربه فشرم أنفه وجبينه ثم إن ابرهة رأى ان الناس يتجهزون أيام الموسم فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال ما هو قيل من الحجارة قال وما كسوته قيل ما يأتي من هنا، قال والمسيح لأبنين لكم خيرا منه فبني كنيسة بصنعاء بأنواع الرخام ونقل لها الحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وحلى الكنيسة بالذهب والفضة وأنواع الجواهر ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وغيره كان يشرف منها على عدن لارتفاع بنائها ولذا سماها القليس بضم القاف وفتح اللام مشددة ومخففة فتحتية ساكنة فسين مهملة أو بفتح القاف وكسر اللام لأن الناظر لها تسقط قلنسوته عن رأسه، فأراد صرف الحج إليها وكتب للنجاشي إني بنيت كنيسة باسم الملك لم يكن مثلها أريد صرف حج العرب إليها وأمنعهم من الذهاب لمكة فلما شاع ذلك في العرب خرج رجل من كنانة مغضبا فتغوط فيها ولحق بأرضه، وقيل أججت فيها فتية من العرب نارا فحلف ليهدمن الكعبة حجرا حجرا فكتب إلى النجاشي بذلك وسأله أن يبعث له فيله "محمودا" فلما قدم الفيل خرج في ستين ألفا فلما سمعت العرب بخروجه رأوا جهاده حقا عليهم فخرج رجل من ملوك اليمن اسمه ذو نفر بنون ففاء فراء فقاتله فهزم هو وأصحابه وأتى به في وثاق فحبسه عنده ثم مضى فلما كان بأرض خثعم خرج إليه نفيل الخثعمي في قبيلته ومن تبعه من العرب فهزموا وأسر نفيل فلما هم بقتله قال لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب فخرج به يدله فلما مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فقالوا أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون مطيعون ولست تريد هذا البيت يعنون بيت اللات إنما تريد الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك فبعثوا معه أبا رغال فلما بلغ الجيش المغمس وهو موضع بطريق الطائف كمعظم

ومحدث على ثلثي فرسخ من مكة مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذى يرجم إلى اليوم ثم أرسل ابرهة خيلا له عليها رجل من الحبشة يقال له الأسود بن مفصود بفاء وصاد مهملة وأمره بالغارة فاستاق إبل قريش وغنمها وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وقيل له فيها أربعمائة ناقة وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم فتركوه وركب عبد المطلب في قريش فلما طلع جبل ثبير استدارت دارة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته واشتد شعاعها حتى صار مثل الشمس ومعنى استدارة الدارة حصولها فلما نظر عبد المطلب إلى ذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر فوالله ما استدار هذا النور مني إلا أن يكون لنا الظفر فرجعوا ثم إن ابرهة أرسل حناطة بضم المهملة الحميري وقال سل عن سيد أهل هذا البلد ثم قل له ان الملك لم يأت لحربكم إنما جاء لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا دونه فلا حاجة له بدمائكم فإن هو لم يرد حربا فأتني به فسأل فقيل له عبد المطلب فقال ما أمره به ابرهة فقال عبد المطلب والله لا نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فإن يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخلي بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه قال حناطة فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه فتكلم أنيس سائس فيل ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عز مكة ويطعم الناس في السهل والوحوش والطير في رؤوس الجبال فأذن له ابرهة وكان عبد المطلب أجمل الناس وأعظمهم فعظم في عين ابرهة فأجله أن يجلس تحته وكره ان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره وجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك قال حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك تكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك لا تكلمني فيه، فقال عبد المطلب إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه. قال ما كان ليمنع مني، فقال أنت وذاك،

فرد عليه إبله فقلدها وأشعرها وهللها وجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم فرجع عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعب الجبال والشعاب اهـ ويروى ان حناطة لما نظر إلى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند الذبح فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا ثم أخبره بمراد ابرهة ويروى أن عبد المطلب لما حضر عند ابرهة أمر أنيسا بضم الهمزة وفتح النون وسكون المثناة سائس فيله الأكبر الأبيض العظيم الذى كان لا يسجد للملك ابرهة كما كانت تسجد له الفيلة أن يحضره بين يديه ليرهب به شيبة الحمد فأحضره فلما نظر إلى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله تعالى الفيل وقال السلام على النور الذى في ظهرك يا عبد المطلب واستشكل كون النور في عبد المطلب على المشهور من أنه كان عليه السلام حملا في بطن أمه إذ ذاك وأجيب بأن الله تعالى أحدث نورا في عبد المطلب يحاكي النور الذى استقر في آمنة مع زيادة حتى صار في وجهه كالشمس وأطلع عليه الفيل فسجد إكراما له قاله الزرقاني ثم ان ابرهة لما بلغ المغمس برك الفيل فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك فوجهوه الي المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك، وفي ذلك يقول أمية ابن أبي الصلت:

إن آيات ربنا بينات	ما يماري بهن إلا الكفور
برك الفيل بالمغمس حتى	ظل يحبو كأنه معقور

ويروى أنه لما برك ضربوه في رأسه ضربا شديدا ليقوم فأبى ونحوه قول ابن اسحاق فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجنهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى. والطبرزين بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكونها آلة عوجاء من حديد والمحاجن جمع محجن عصى معوجة وقد يكون في طرفها حديد والمراق أسفل البطن وبزغوه بفتح الموحدة وزاي مشددة فغين معجمتين شرطوه بحديد

المحاجن ثم بعد بروك الفيل أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي جماعات قال الشافعي أمام كل جماعة طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر في منقره وحجران في رجليه وعلى كل حجر اسم من يقع عليه واسم أبيه لا تصيب أحدا منهم إلا أهلكته وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فإن كان راكبا خرج من مركبه فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وأصيب ابرهة بالجدري وما مات حتى تساقطت أنامله أنملة أنملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه. وحكمة إظهار شناعة امر أبي رغال حتى صار يرجم دون نفيل مع أنه كان دليلا لهم أيضا أنه إنما جعل نفسه دليلا وقاية له من القتل فكان كالمكره على ذلك بخلاف أبي رغال فإن قومه تلقوا ابرهة بالسلم واختاروه دليلا له وهو بكسر الراء وخفة المعجمة واللام. اهـ.

من الزرقاني (**فغاضت المياه**) هذا من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم يعني فلما ولد صلى الله عليه وسلم غاضت المياه أي نقصت تلك الليلة حتى لم يبق منها شيء ويعني بالمياه بحيرة ساوة بسين مهملة بعدها ألف بعدها واو مفتوحة فهاء تأنيث تصغير بحرة وهي بحيرة عظيمة بين همذان وقم وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر إلى ما حولها من البلاد فنشف ماؤها في تلك الليلة بالكلية وأصبحت يابسة كأن لم يكن بها شيء من ماء حتى بنيت موضعها مدينة ساوة الموجودة إلى اليوم. وفي المواهب أن بحيرة طبرية غاضت تلك الليلة قال في ترتيب المطالع وهي بالشام لزمتها التاء وهي تصغير بحرة وهي بحيرة عظيمة يخرج منها نهر، بينها وبين الصخرة ثمانية عشر ميلا، قال البكري طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال اهـ. لكن المعروف بالغيض إنما هو بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس كانت بحيرة كبيرة إلى آخر ما قدمت من وصفها وقال

فأما بحيرة طبرية فباقية إلى اليوم وأجيب بأن غيض كليهما ثابت في الأحاديث فمن أثبت غيض بحيرة طبرية أراد أنها نقصت نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل وأن ماءها غار ثم عاد لما فيها من العيون النابعة التى تمدها الأمطار اهـ من الزرقاني.

وذكر في الشفا أن بحيرة طبرية غاضت. قال شارحه ابن سلطان وطبرية بفتحتين مدينة معروفة بناحية الأردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين والبحيرة مصغرة مع أنها عظيمة وغيضها نقصها، هذا والمعروف ان الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس اهـ.

(والنيران * قد خمدت) كنصر وسمع يعنى أنه من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم خمود نار فارس التى كانوا يعبدونها فإنها خمدت أي انطفأت تلك الليلة وكان لها ألف عام لم تخمد فكأنها طفئت بماء بحيرة ساوة قاله ابن سلطان وقال البوصيري:

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها إطفاء

وروى البيهقي وأبو نعيم والخرائطي وابن عساكر وابن جرير كلهم من حديث مخزوم بن هانئ عن أبيه وأتت عليه مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأي الموبذان فذكر الحديث بطوله قاله الزرقاني ورؤيا الموبذان التى أشار إليها تأتي قريبا إن شاء الله **(وانصدع الإيوان)** أي انشق وسقطت شرفاته والإيوان بالكسر وأصله بواوين فاعل كديوان ويقال بوزن كتاب وهو الصفة العظيمة يعنى إيوان كسرى بكسر أوله ويفتح لقب ملوك الفرس كقيصر لملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشي لملوك الحبشة قاله ابن سلطان وفي القاموس الإيوان بالكسر الصفة العظيمة كالأزج كالإوان ككتاب اهـ. يعنى انه من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته ليلة ولادته والارتجاس الصوت الشديد

من الرعد ومن هدير البعير كما ضبطه البرهان وفي نسخ ارتجاج بجيمين أي تحركه واهتزازه فكأنه لما صوت تحرك وهو بناء أزج بفتحتين أي بنى طولا فإنه ارتج حتى سمع صوته وانشق لا لخلل في بنائه وقد كان بناؤه بالمدائر محكما مبنيا بالآجر الكبار والجص، سمكه مائة ذراع في طول مثلها وقد أراد الخليفة الرشيد هدمه لما بلغه أن تحته مالا عظيما فعجز عن هدمه وإنما أراد الله أن يكون آية باقية لنبيه صلى الله عليه وسلم قاله الزرقاني.

(وخـــرس الملوك) يقال خرس كفرح، انعقد لسانه عن الكلام ومراده والله أعلم انهم لما رأوا ما حدث تلك الليلة من الحوادث الخارقة العادة علموا أنه حدث عظيم وخطب جسيم فارتج عليهم في الكلام لما رأوا من الحوادث العظام حتى صاروا يبعثون إلى من يظن به علم بهذا الشأن من علماء أهل الكتاب والكهان فهذا هو مراده بخرسهم والله أعلم. ألا ترى ما روي أن كسرى لما سقطت شرفات إيوانه لم يدر ما سبب ذلك ولم يتكلم فيه، فبعث عبد المسيح الغساني إلى سطيح يسأله هل له علم بذلك. روي أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم ارتعد إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وكتب إليه صاحب اليمن بأن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب إليه صاحب فارس بأن النيران التى كانوا يعبدونها خمدت تلك الليلة ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وكتب إليه صاحب الشام بأن وادي السماوة انقطع جريه تلك الليلة ثم أخبره الموبذان ومعناه القاضي والمفتي بلغتهم أنه رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا فانتشرت في بلادهم، فأرسل عبد المسيح الغساني إلى سطيح الكاهن يستخبره علم ذلك وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له ووجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ وقد قيل له أنى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى عليه السلام فهو يؤدي إليه من ذلك ما يؤدي فلما قدم عبد المسيح عليه وجده قد أشفى على الموت فسلم عليه فلم يرد عليه جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن — أم باد فازلم به شأو العنن
يا فاضل الخطبة أعييت من ومن — أتاك شيخ الحي من آل سنن
وأمه آمن آل ديب بن حجن — أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العُرب يسري في الوسن — لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بالأرض علنداة شزن — ترفعني وجن وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجي والقطن — تلفه في الرحل بوغاء الدمن

الغطريف: السيد وباد: يبود بالباء المروسة هلك وازلم: قبض أو ولى وشأو العنن: الموت والفضفاض: الواسع والقيل: الملك، وأصله التشديد، وهو ذو القيل النافذ، والعلنداة: الناقة الشديدة، الشزن: الغليظ، والوجن: جمع وجن، سكنت جيمه تخفيفا وهو متين الأرض ذو الحجارة الصغار، والجآجئ: جمع جؤجؤ وهو الصدر وجعل كل شيء منه جؤجؤا فلهذا جمعه والبوغاء: التراب الهاب، والدمن: جمع دمنة وهي ما قرب من الدار تبول فيه المواشي وتبعر. فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح، أي مسرع جاء إلى سطيح وقد أشفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، رأي إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة يعني السيف وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة وغاض وادي السماوة فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم مليك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت. ثم مات سطيح مكانه. قالوا وكان أقصى ملكهم عشرة رجال وامرأتين فنقص عن عدد الشرفات ولعله أخطأ في النقل وقد فتحت بلادهم على يد عمر رضي الله عنه وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق فلم يكن ملك للفرس بعد هذا كله، ذكره الإمام السنوسي في شرح وسطاه وسطيح بفتح فكسر كاهن بني ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن في بدنه عظم سوى رأسه وزعم الكلبي أنه عاش ثلاث مائة سنة وأنه خرج مع الأزد أيام سيل العرم قاله ابن سلطان. وفي الحلة السيرا أن اسمه ربيع بن

ربيعة بن عدي بن مازن بن ذؤيب وأنه له رأس وكفان ويطوى طي الثوب من ترقوته إلى رجله. اهـ.

وقوله والقطن في القاموس، القطن محركة ما بين الوركين والسماوة بفتح السين المهملة وتخفيف الميم مفازة بين الشام والكوفة.

تنبيه:

لم يذكر القسطلاني ولا الزرقاني أن ملوك الفرس نقصوا عن اربعة عشر عدد الشرفات كما قال السنوسي بل ظاهره هما خلافه ونص المواهب وقد ملك منهم عشرة أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان اهـ وآخر ملكهم يزدجرد قتل في أول خلافة عثمان قاله السهيلي انظر الزرقاني، **(والأصنام * تنكست)** أي سقطت على وجوهها ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم **(فما لها قيام)** أي انتصاب والأصنام جمع صنم بالتحريك، قال في القاموس الصنم محركة الوثن يعبد، وقال الوثن محركة الصنم، اهـ، وقال اليوسي في حاشية الكبرى الصنم والوثن شيء واحد هكذا في الصحاح والقاموس وفرق ابن التلمساني بينهما بأن الصنم ما له صورة جعلت تمثالا والوثن ما لا صورة له وقال السهيلي في الروض يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه اهـ، فيكون الصنم أعم على هذا والله تعالى أعلم. اهـ. كلامه.

وللإمام الشقراطي:

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت ... بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده ... وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت ... شواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

قوله وانقض بمهملة سقط من أصله وبمعجمة أسرع سقوطه، ونار فارس أي التى كانوا يبعدونها وكان لبيوتها سدنة ينتابون إيقادها فلم يخمد لها لهب في ليل ولا نهار إلى ليلة مولده عليه السلام. وقوله لم

توقد أي كأنها لم توقد تلك الليلة مع تعاطيهم إيقادها بل خمدت، قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي ومن عجائب ولادته أيضا انه صلى الله عليه وسلم لما ولد قال في أذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علما وأشجعهم، اهـ من المواهب.

تنبيه:

إنما فسرت قوله وخرس الملوك بما مرّ لأني لم أر ممن تعرض لعجائب ولادته عليه الصلاة والسلام من ذكر ذلك وإنما رأيته في الحمل به. ففي المواهب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا. قال الزرقاني بأن صار أعلاه أسفله، قال الزرقاني وفي الخميس وكلت الملوك حتى لم يقدروا في ذلك اليوم على التكلم وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا أن ابشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم اهـ. وقد مرّ بعضه ويحتمل أن هذا هو الذى أشار له الناظم لقرب زمن الولادة من زمن الحمل ويصح ان ذلك وقع لهم أيضا عند الولادة والله تعالى أعلم. **(بيان)** خبر مبتدء محذوف وكذا كل ما فيه من لفظ بيان أي هذا بيان **(موت والد المختار)** صلى الله عليه وسلم **(و)** بيان **(كم له كان من الأظآر)** أي يذكر في هذه الأبيات موت أعز فتى في قريش وأفضله وأجمله وهو عبد الله الشريف ابن شيخ البطحاء عبد المطلب وهو والد المختار المفضل على جميع الأولين والآخرين عليه أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين ويذكر فيها أيضا عدد ما كان له صلى الله عليه وسلم من الأظآر جمع ظئر بالكسر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له. فقوله وكم عطف على موت كما قررت فهو مجرور بإضافة

كم إليه ولا يعمل في كم متقدم عليها إلا مضاف أو حرف جر وقد ذكر العلماء أن مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشر: أمه آمنة أرضعته تسعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وما وقع لبعضهم من سبعة أشهر وهم وهي أول من أرضعه وما رواه ابن سعد من أن أول من أرضعته ثويبة فالأولية نسبية ثم بعد أمه الكريمة ثويبة أرضعته أياما قلائل قبل قدوم حليمة وأرضعت قبله حمزة وبعده أبا سلمة المخزومي وحليمة السعدية التى فازت بجناية سعدها منه قاله ابن الجوزي وابن المنذري وعياض وغيرهم وخولة بنت المنذر بن زيد أم بردة الأنصارية وامرأة من بنى سعد غير حليمة أرضعته عند حليمة وأم أيمن ذكرها القرطبي والمشهور أنها من الحواضن لا من المراضع وأم فروة ذكرها المستغفري وثلاث نسوة من سُليم، قال في الاستيعاب مُرّ به صلى الله عليه وسلم على نسوة أبكار من سُليم فأخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرت قال بعضهم ولذا قال: «أنا ابن العواتك من سُليم» اهـ، لكن قال السهيلي عاتكة بنت هلال أم عبد مناف عمة عاتكة بنت مرة أم هاشم وعاتكة بنت الأوقص أم وهب جده صلى الله عليه وسلم لأمه ثلاث عواتك ولدنه صلى الله عليه وسلم ولذا قال أنا ابن العواتك من سُليم وقيل في تأويل هذا الحديث أن ثلاث نسوة من بنى سليم أرضعنه كل تسمى عاتكة والأول أصح نقله الزرقاني. **(ومات عبد الله)** بن عبد المطلب، والده عليه السلام، **(وهو حمل)** جملة حالية والحال ان المصطفى صلى الله عليه وسلم حمل في بطن أمه الكريمة وقد مضى لها شهران من حملها على ما صدر به في المواهب وقيل قبل ولادته بشهرين وكونه توفي عنها وهي حامل قول ابن اسحاق وخالفه كثير من الفقهاء فقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في المهد حين توفي أبوه قيل ابن شهرين وقيل أكثر من ذلك قاله الكلاعي والقول بأنه كان في المهد قال السهيلي هو قول أكثر العلماء واحتج له بقول عبد المطلب لأبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمؤتم بعدَ أبيه فرد

فارقه وهو ضجيع المهد. اهـ.

والمهد ما يمهد للصبي ليربى عليه من مهدت له المكان أي وطأته له ولينته قاله الزرقاني. وقال في المواهب قيل توفي عنه وهو ابن شهرين وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الأول اهـ. يعني أن كون عبد الله مات وهو حمل رجحه الواقدي وابن كثير والبلاذري وابن سعد والذهبي والحجة لهم ما في المستدرك عن قس بن مخرمة، قال توفي أبو النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حبلى به قال الحاكم صحيح على شرط مسلم، قاله محمد بن عبد الباقي وكان عبد الله قد خرج تاجرا مع قريش فرجع من غزة ضعيفا فمروا بالمدينة فتخلف مريضا عند أخواله أي أخوال أبيه بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث إليه أخاه الحارث وقال ابن الأثير الزبير فوجده قد توفي بالمدينة ودفن بها في دار التابعة بفوقية فموحدة فعين مهملة كما في الزهر الباسم وهو رجل من بني عدي بن النجار وقيل دفن بالابواء وقالت آمنة زوجته ترثيه:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم	وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها	وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره	تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنون وريبها	فقد كان معطاء كثير التراحم

جعلت خلوها منه خلوا من آل هاشم مبالغة لعدم قيام غيره منهم مقامه فقولها وجاور لحدا إلخ.. الغماغم بغينين معجمتين وميمين أي الأغطية والمراد بها الأكفان التى لف فيها والمجرور حال وقولها خارجا صفة للحد فكأنها قالت وجاور حال كونه مدرجا في أكفانه لحدا بعيدا عن أماكن أهله ومعنى تعاوره إلخ.. أي تداوله أصحابه مع التزاحم عليه ففي بمعنى مع وريب المنون أسبابها المؤدية لها وعبر بأن التى هي للشك لاستبعاد وقوع الموت به استعظاما له وجواب الشرط محذوف أي أسف الناس عليه لأنه كان معطاء الخ.. فالفاء للتعليل انظر الزرقاني. وروي أنه لما توفي عبد الله قالت الملائكة يا إلهنا وسيدنا بقي نبيك

يتيما فقال الله تعالى أنا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لقب بذلك لأنه ما كذب قط لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق ويتم بكسر التاء كما اقتصر عليه الجوهري وزاد المجد فتحها والمصباح ضمها قاله الزرقاني **(وكم حوت من شرف هذيل)** فاعل حوت يقال حواه واحتوى عليه جمعه وأحرزه وكم تكثيرية مفعول حوت والشرف العلو **(لما غدت)** أي صارت **(بنتهم السعدية)** نسبة إلى جدها وخبر غدت قوله **(من أمهات)** جمع أم وأمهة والأكثر في جمع العاقل أمهات ويقال أمات **(أشرف البرية)** أي أفضل الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم . وقول الناظم رحمه الله: وكم حوت من شرف هذيل إلخ.. سبق لسان بلا شك لأن هذيلا بن مدركة كما هو معلوم وكون مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة من بني سعد بن بكر بن هوازن أظهر من أن يستدل عليه وهوازن أخو منصور والد سليم وهما ابنا عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وكأنه غره أن في هذيل قبيلة يقال لها بنو سعد منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهي مماثلة في الاسم لبني سعد بن بكر ولما سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن قالوا له يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك كن يكفلنك ولو أنا أرضعنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أنزل بنا مثل ما أنزلت بنا رجونا عطفه وأنت خير المكفولين، فخيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سباياهم وأموالهم فاختاروا السبي فرده عليهم وهي حليمة بنت أبي ذؤيب مصغرا واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بكسر الشين المعجمة فجيم ساكنة فنون فهاء تأنيث هكذا في النور وفي الشامية بشين مهملة ابن جابر بن رزام بكسر الراء ثم زاي فألف فميم ابن ناصر بن سعد بن بكر بن هوازن هكذا في الاستيعاب وقيل غير ذلك قاله في شرح المواهب وفي الحلة السيرا أما بنو سعد بن بكر بن هوازن فهم أظآره صلى الله عليه وسلم منهم حليمة بنت أبي ذؤيب واسمه الحارث بن عبد الله بن شحنه بن قاصرة بن فصية بالفاء تصغير فصاة وهي النواة أو حب الزبيب ويروى قصية

بالقاف بن نصر بن سعد بن بكر والصحيح أنها أسلمت وأسلم زوجها أيضا وأسلمت بنتها الشيماء أو الشماء اهـ. المراد منه.

وفي الزرقاني في موضع آخر قيل بنت عبد الله بن الحارث وقيل بنت الحارث بن عبد الله إلخ.. وقال في الشفا لما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء أو الشماء في سبايا هوازن بسط لها رداءه اهـ. وهي بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية أو بلا ياء وهي ممدودة، قال الحجازي أسلم أبوها الحارث بمكة وأسلمت هي واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فألف فميم وقيل خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم وقال الحلبي الشيماء فيها قولان هل هي بنت حليمة أو اختها اهـ، قيل انها فازت هي وأبواها وأخوها بسعادة الإسلام وزيادة الإكرام ببركته عليه السلام وقوله أبوها يعنى أباها وأمها حليمة وقال الحافظ الدمياطي لا يعرف لحليمة صحبة ولا إسلام والمرأة التى بسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها الشيماء وروى ابن عبد البر أن حليمة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه وفي سيرة مغلطاي وصحيح ابن حبان وغيره ما يدل على إسلامها اهـ، من شرح ابن سلطان.

وفي الزرقاني ان ابن أبي خثيمة وابن عبد البر وابن الجوزي وابن المنذر والحافظ ابن حجر وغيرهم قد ذكروا حليمة في الصحابة قال وحسبك بهذا حجة قال وقول ابن كثير لم تدرك البعثة رده الحافظ بأن عبد الله بن جعفر حدث عنها عند أبي يعلى والطبراني وابن حبان وهو إنما ولد بعد البعثة وزعم أبي حيان النحوي أنها لم تسلم مردود فقد ألف مغلطاي فيها جزءا سماه التحفة الجسيمة في إثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره.

فأما أبو حيان فليس من فرسان هذا الميدان يذهب إلى زيده وعمره اهـ. كلامه.

وقد ذكروا انه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التى لا يوجد لمثلها قيمة قال الطّيُور نحن نكفله

ونغتنم خدمته العظيمة وقالت حيوانات البر نحن أولى بذلك منكم، ننال شرفه وتعظيمه، فنادى لسان القدرة أن يا جميع المخلوقات ان الله كتب في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة وذكر العزفي أن عبد المطلب وقت دخول حليمة سمع هاتفا يقول:

إن ابن آمنة الأمين محمدا ... خير الأنام وخيرة الأخيار

ما إن له غير الحليمة مرضع ... نعم الأمينة هي على الأبرار

مأمونة من كل عيب فاحش ... ونقية الأثواب والأزرار

لا تسلمنه إلى سواها إنه ... أمر وحكم جا من الجبار

وذكر ابن الطراح ومغلطاي والحافظ وأبو المظفر ان حليمة كانت ترقص النبي صلى الله عليه وسلم وهي تقول:

يا رب إذ أعطيته فأبقه ... وأعله إلى العلا ورقه

(وفي رواية وأرقه)

وادحض أباطيل العدى بحقه (...)

وقوله وادحض بكسر الحاء حذفت همزته للضرورة أي أذل، وذكر ان الشيماء أخته من الرضاعة كانت تحضنه وتقول:

هذا أخ لي لم تلده أمي ... وليس من نسل أبي وعمي

فديته من مخول معمي ... فأنمه اللهم فيما تنمي

رجل مخول معم أي كريم الأخوال والأعمام بكسر الواو والعين وفتحها ومنع الأصمعي الكسر وقال كلام العرب الفتح وقولها فأنمه اللهم من إطلاق السبب وإرادة المسبب، فالكثرة يلزمها القوة فكأنها قالت قوه فيمن قويت وزد رفعته أو بحذف مضاف أي اتم أتباعه. وقالت الشيماء أيضا:

يا ربنا أبق أخي محمدا ... حتى أراه يافعا وأمردا

ثم أراه سيدا مسودا ... واكبت أعاديه معا والحسدا

وأعطه عزا يدوم أبدا

قال الأزدي ما أحسن ما أجاب الله دعاءها يعني لرؤيتها إياه بجميع

ما طلبت اهـ من الزرقاني.

وقولها واكبت يقال كبت العدو كضرب رده بغيظه وأذله كما في القاموس، **(وكم رأت)** أي عاينت وأبصرت **(له)** أي النبي صلى الله عليه وسلم **(من الآيات)** أي العلامات الدالة على رسالته ومكانته صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى **(حليمة)** ولما كان ما رأت له عليه السلام لا يكاد ينحصر أشار لبعضه بمن التبعيضية فقال **(منها)** أي الآيات المذكورة **(درور الشاة)** أي كثرة لبنها، وفي المصباح درّ اللبن وغيره درا من باب قتل وضرب كثر وشاة دار بغير هاء ودرور اهـ، وأراد بالشاة الجنس يعني غنمها كلها كما يأتي في قولها فكانت غنمي تروح حين قدمنا به شباعا لبنا بضم اللام وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وشد الموحدة أي كثيرة اللبن جمع لبون واعلم أن عادة نساء قبائل العرب التي حول مكة ونواحي الحرم أنهن ياتينها في كل عام مرتين ربيعا وخريفا للرّضعاء يذهبن بهم حتى تتم الرضاعة لأن نساء قريش يرين ارضاع أولادهن عارا عليهن كما قاله العزفي وقال غيره لينشأ الولد غريبا فيكون أنجب له ولسانه أفصح لخبر أنا أعربكم أنا من قريش واسترضعت في بني سعد وكانت مشهورة في العرب بالكمال وتمام الشرف وقيل لتفرغ النساء للأزواج فلما كان عام ولادته صلى الله عليه وسلم خرجت حليمة كما رواه ابن اسحاق وابن راهويه والبيهقي وأبو نعيم أنها قالت قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء على أتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع مع صبينا ذلك لا يجد في ثديي ما يغذيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل انه يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعا غيري فلم أعط لما أنا عليه من الضيق فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلناخذنه، فذهبت إليه فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه

المسك وتحته حرير أخضر راقد عليه يغط فأشفقت أن أوقظه لحسنه وجماله فدنوت منه فتبسم وفتح عينيه فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته إلى الأيسر فأبى وكانت تلك حالته بعد، ثم أخذته بما هو فيه إلى أن جئت به إلى رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي فقام صاحبي تعني زوجها إلى شارفنا تلك فإذا أنها لحافل فحلب لنا ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال صاحبي يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة فلم يزل الله يزيدنا خيرا. وفي النطق المفهوم فودعت النساء بعضهن وودعت أنا أم النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت أتاني وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها إلى السماء ألهمها الله ذلك شكرا له أن خصها بكونه صلى الله عليه وسلم على ظهرها ثم مشت حتى سبقت دواب الناس والناس معي يتعجبون ويقلن النساء لي وهن ورائي يا بنت أبي ذؤيب أهذه أتانك التي كنت عليها فأقول تالله انها لهي فيعجبن ويقلن إن لها لشأنا عظيما قالت فكنت أسمع أتاني تقول والله ان لي لشأنا عظيما بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكي: يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري، على ظهري خير النبيئين وسيد المرسلين وخير الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان غيرنا قطرة لبن حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامي شباعا لبنا اهـ..

وابن راهويه هو اسحاق اجتمع له الحديث والفقه والصدق والورع براء فألف فهاء مضمومة فتحتية مفتوحة عند المحدثين لأنهم لا يحبون

ويه وبفتح الهاء والواو وسكون التحتية قال الكرماني وهو المشهور وقولها ومعي صبي لنا هو عبد الله بن الحارث قال النووي لا أعلم له إسلاما ولا ترجمة وهوتقصير ففي الإصابة سماه بعضهم عبد الله وذكره في الصحابة والشارف الناقة المسنة وتبض بفتح الفوقية وكسر الموحدة وشد الضاد المعجمة تدر وزوجها هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي أدرك الإسلام وأسلم ويغط بكسر المعجمة يردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله كما في المصباح والحافل ممتلئة الضرع والنسمة محركة الذات ولبنا بضم اللام وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وشد الموحدة كثيرة اللبن جمع لبون ونحلب بضم اللام وكسرها والحاضر القوم المجتمعون على ماء يجتمعون به ولا يرحلون عنه ويقال للمناهل المحاضر للاجتماع والحضور اهـ من الزرقاني. ولله در القائل:

لقد بلغت بالهاشمي حليمة مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها وقد عم هذا السعد كل بني سعد

قالت حليمة لما دخلت به منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد إلا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته في قلوب الناس حتى أن أحدهم كان إذا نزل بجسده أذى يأخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعه على موضع الأذى فيبرأ سريعا وكذا إذا اعتل لهم بعير أو شاة. وعن العباس رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال فقال إني كنت أحدثه ويحدثني يلهيني عن البكاء والمناغاة: المحادثة، وقد ناغت الأم صبيها أي لاطفته وشاغلته بالملاعبة والمحادثة. وعن ابن عائذ أول ما تكلم به صلى الله عليه وسلم حين خرج من بطن أمه: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا. وفي شواهد النبوءة أنه صلى الله عليه وسلم لما وقع على الأرض رفع رأسه وقال بلسان فصيح لا إله إلا الله وإني رسول الله ونظم السيوطي جملة من تكلم في المهد فقال:

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريح ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مرّ بالأمة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

ذكر هذه الأبيات بهذا اللفظ الزرقاني في شرح المواهب في ولادته صلى الله عليه وسلم وقوله وطفل لدى الأخدود هو ان امرأة جيء بها لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي فتقاعست فقال لها يا أماه اصبري إنك على الحق. والمبارك يعنى به مبارك اليمامة وكانت قصته في حجة الوداع أوتي بصبي فقال له من أنا فقال له أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت يا صبي، بارك الله فيك، ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة ويعرف حديثه بحديث شاهونة. انظر الشفا. وروى ان حليمة رأت غمامة تظله عليه السلام عندها نقله في الشفا **(وشق صدر أكرم الأنام)** الأنام كسحاب وساباط وأمير الخلق **(وهو ابن عامين وسدس عام)** أي شهرين أشار بهذا إلى ما رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تترك النبي صلى الله عليه وسلم يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده قالت في هذا الحر قالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظلل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع.

وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليمة فلما فصلته تعني بعد مضي عامين قدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا نود لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فإنا نخشى عليه وباء مكة ولم تزل بها حتي ردته معنا فرجعنا به فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان

عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا ثم رداه كما كان فرجعناه معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نرده إلى أهله فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه فقالت ما ردكما فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه فقالت ما ذاك فأصدقاني شأنكما فلم تتركنا حتى أخبرناها خبره، قالت أخشيتما عليه الشياطين كلا والله ما للشياطين عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن عظيم فدعاه عنكما اهـ. واسم أخيه عبد الله وفي رواية البيهقي ان اسمه ضمرة والبهم بفتح الموحدة ولد الضأن كذا في النهاية. وقولها قالت في هذا الحر بحذف الهمز أي أفيه تخرجين به. ويشب بكسر الشين. روي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما صار ابن شهرين كان يتزحلق مع الصبيان إلى كل جانب وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمشي ولما مضى له ثمانية أشهر شرع يتكلم بكلام فصيح وفي عشرة أشهر كان يرمي بالسهام وقولها أو ثلاثة شكت ويشتد يسرع ومنتقعا لونه بنون ففوقية فقاف مفتوحة أي متغيرا وقوله رجلان أي ملكان في صورة رجلين وهما جبريل وميكائيل وقوله شيئا هو مضغة سوداء وقوله أصيب أي من الجن وقولها فقدمنا به على أمه أي بعدما ضل منا في باب مكة حين نزلت لأقضي حاجتي فأعلمت بذلك عبد المطلب فطاف بالبيت أسبوعا ودعى الله يرده فسمع مناديا ينادي معاشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد ربا لا يضيعه ولا يخذله. قال عبد المطلب يا أيها الهاتف من لنا به وأين هو قال بوادي تهامة فأقبل عبد المطلب راكبا متسلحا فلما صار في بعض الطريق لقي ورقة بن نوفل فسارا جميعا فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وعن ابن عباس لما رد الله محمدا صلى الله عليه وسلم على عبد المطلب تصدق بألف ناقة كوماء وخمسين رطلا من ذهب وجهز حليمة أفضل الجهاز قاله الزرقاني، قال وظاهر هذا السياق

بل صريحه أن شق الصدر ورجوعه إلى أمه كانا في السنة الثالثة لقوله بشهرين أو ثلاثة وقال ابن عباس رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين وقال غيره ابن أربع حكاهما الواقدي وقال ابن عبد البر ردته بعد خمس سنين ويومين وقال الأموي ابن ست سنين والراجح أنه صلى الله عليه وسلم رجع إلى أمه وهو ابن اربع سنين وان شق الصدر إنما وقع في الرابعة كما جزم به الحافظ العراقي وتلميذه الحافظ بن حجر في سيرته وذكر انه التزم فيها الاقتصار على الأصح مما اختلف فيه نقله الزرقاني وعلى هذا فقوله وهو ابن عامين إلخ، خلاف الراجح. والراجح انه وقع وهو ابن أربع سنين والله تعالى أعلم. وفي الكلاعي قال ابن عباس يقال رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين وكان غيره يقول ردّ إليها وهو ابن أربع سنين اهـ. وعند أبي يعلي وابن عساكر وأبي نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ممتلأ ثلجا فأخذوني من بين أصحابي فانطلق الصبيان هرابا مسرعين إلى الحي فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي وأنا أنظر إليه وصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم مال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار فيه الناظر دونه فختم به قلبي وامتلأ نورا وذلك نور النبوءة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني ثم قال الأول للثالث زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا

رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك:

(وشـــق للبعث وللإســـراء أيضـا كـمـا قـدجـاء في الأنبـاء)

يعني أنه صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف وأخرج قلبه عند مجيء جبريل بالوحي في غار حراء وكذا وقع له الشق ليلة الإسراء فذكر الناظم رحمه الله تعالى أنه وقع له ثلاث مرات الأولى عند حليمة وهو صبي والثانية عند نزول إقرأ باسم ربك والثالثة في قصة الإسراء كما جاء في الأنباء جمع نبأ وهو الخبر يعني الأحاديث الواردة بذلك أما الأولى فقد مر الكلام عليها وأما الثانية فرواها أبو داوود الطيالسي والحارث البغدادي في مسنديهما والبيهقي وأبو نعيم في دلائلهما كلهم عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فقال السلام عليك قال فظننت أنها فجأة الجن فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ما شأنك فأخبرتها فقالت أبشر فإن السلام خير ثم خرجت أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فملت عنه فجئت مسرعا فإذا هو بيني وبين الباب فكلمني حتى أنست منه ثم واعدني موعدا فجئت له فأبطأ علي فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائل قد سدا الأفق فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفى ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله ان يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم كفاني كما يكفؤ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي اهـ من نسخة مطبوعة من محمد بن عبد الباقي ولعله سقط منه قبل قوله فقال السلام فجاءه جبريل والله أعلم وقوله لحلاوة القفى لم يتعرض لشرحه وفي القاموس حلاوة القفى ويضم وحلاءته وحلواؤه وحلواوه وحلاواه بالضم وسطه جمع حلاوى اهـ والحكمة في هذا الشق ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى إليه بقلب قوي

في أكمل الأحوال من التطهير. وأما الثالثة وهي شقه عند الإسراء فرواها الشيخان وأحمد من حديث قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم فذكره الشيخان والترمذي والنسائي من طريق الزهري عن انس عن أبي ذر مرفوعا ورواه البخاري من طريق شريك عن أنس رفعه ومسلم والبرقاني وغيرهما من طريق ثابت عن أنس رفعه بلا واسطة فلا عبرة بمن نفاه لأن رواته ثقاة مشاهير قال الحافظ والحكمة فيه الزيادة في إكرامه ليتأهب للمناجاة اهـ. من الزرقاني.

وقال العراقي قد انكر وقوع الشق ليلة الإسراء ابن حزم وعياض وادعيا انه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك في الصحيحن وقال القرطبي لا يلتفت إلى إنكاره لأن رواته ثقاة مشاهير وقال العسقلاني استنكر بعضهم وقوع الشق ليلة الإسراء وقال إنما وقع وهو صغير في بني سعد ولا إنكار في ذلك فقد تواترت به الروايات وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة ولكل حكمة فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم وقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان اهـ. المراد من ابن سلطان.

فائدة:

الراجح أن الشق وغسل القلب الشريف في طست ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل شاركته فيه الأنبياء كما قاله الشامي وابن كثير والطبري وأخرج هو وسعد بن منصور بإسناد صحيح عن السدي الكبير في قوله تعالى: {فيه سكينة من ربكم} قال طست من ذهب الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، قال الشامي وما صححه الشيخ يعني السيوطي من عدم المشاركة لم أر ما يعضده بعد الفحص الشديد اهـ أنظر الزرقاني. ولمؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه في هذه المسألة ونظائر لها أبيات على طريق السؤال وهي:

أجبني عن الاسرا إلى حضرة الحق … أكان لغير الهاشمي من الخلق

وهل هو مخصوص بغسل لقلبه ... أم الرسل قد ساوته في الغسل والشق
وهل كان نسج العنكبوت لغيره ... أم النسج خصيص الذى جاء بالصدق
وبدأ من الأنصار عد مهاجرا ... فحاز بذاك الوصف سبقا على سبق

جواب ما ذكر أن الإسراء بالروح والجسد يقظة من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما في المواهب وأن نسج العنكبوت ليس من خصائصه فقد نسجت على داوود مرتين حين كان طالوت يطلبه ونسجت على الغار الذى دخله عبد الله بن أنيس لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلي وعلى عورة زيد بن علي بن زين العابدين لما صلب عريانا وأما الأنصاري المهاجري فهو ذكوان بن عبد القيس الزرقي كذا في المواهب وكذا العباس بن عبادة كما في الزرقاني عليها وشق الصدر عند البعثة هو الثالث وقبله شق ثان في قصة له مع عبد المطلب رواها عبد الله بن الإمام أحمد بسند رجاله ثقاة وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء أن أبا هريرة قال يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوءة قال إني لفي صحراء ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو هو؟ فقال نعم، فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني وفي لفظ فقال أحدهما لصاحبه أفلق صدره ففلقاه فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي ثم قال شق قلبه فشق قلبي فأخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذه، قال الشامي هل كان في هذه المرة بختم لم أقف عليه في شيء وأما الثلاث المرات ففي كل منهما يختم. انتهي من الزرقاني.

وروي شق صدره مرة خامسة وهو ابن عشرين ولا يثبت وخلقت هذه العلقة فيه تكملة للخلق الإنساني لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية ونزعت منه كرامة ربانية فإخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء من خلقه بدونها قاله السبكي اهـ من الزرقاني.

(وكم حـوت)أ ي جمـعت وأحـرزت، **(ثـويـبـة)** بضـم المثلثـة وفـتـح الواو وسكون التـحـتـيـة فـيـاء مـوحدة فـهاء تأنيث عـتـيـقـة أبي لـهب اعـتـقـهـا لما بشـرتـه بـولادة الـنـبـي صلى الـلـه علـيـه وسلم **(من بـركـه)** من الخـيـر الكثـيـر **(لما غـدت)** أي حين صـارت **(ظـئـرا)** بكسـر الظاء **(لـه)** أي الـنـبي صلى الـلـه عليـه وسلم فـإنـهـا أرضعـتـه أيامـا قـلائل قـبـل مـقـدم حليـمـة وتـوفـيـت بمكة سنـة سبـع من الـهـجـرة قـال ابن منده اختلف في إسلامـهـا وقـال أبـو نـعيم لـم أر أحـدا ذكـره إلا ابن منـده، وقـال ابـن الجـوزي لا نـعلم أنـهـا أسـلمت والـبـرهان لم يـذكـرهـا أبـو عـمـر في الـصـحـابـة وقـال الـذهـبي يـقـال انـهـا أسـلمت فـإذن الـراجح عنده انـهـا لـم تـسلم وقـال الحـافـظ في طـبـقـات ابن سـعـد مـا يـدل علـى أنـهـا لـم تـسلم لكن لا يـدفـع بـه نـقـل ابـن مـنـده قـال ولم أقـف فـي شـيء من الطـرق علـى إسلامـهـا مـع ابـنـهـا مسروح اهـ.

وذكـر ابـن الـعـربـي أنـه لـم تـرضـعـه مـرضـعـة إلا أسـلمت نـقـلـه الـسـيـوطي. ومسـروح بـفـتـح الميم وسـكـون السين المهملة فـراء مضمـومـة فـحـاء مـهـملـتـين قـال الـبـرهان لا أعـلم أحـدا ذكـره بـإسـلام قـالـه الزرقـاني وقـد رئي أبـو لـهـب بـعـد مـوتـه أي رآه أخـوه الـعـبـاس فـقـال لـه مـا لك؟ قـال فـي الـنـار. إلا أنـه خـفـف عـنـي كل لـيـلـة اثـنـين وأمـص من بـين أصـبـعـي هـاتـين مـاء وأشـار بـرأس أصـبـعـه وإن ذلك بـاعـتـاقـي ثـويـبـة حين بـشـرتـنـي بـولادة الـنـبـي صلى الـلـه علـيـه وسلم وبـإرضـاعـهـا لـه أي بـأمـره. قـولـه اصـبـعـي هـاتـين الـظـاهـر انـهـمـا الـسـبـابـة والإبـهـام، وقـولـه أمـص بـفـتـح الميم أفـصـح من ضـمـهـا من بـاب تـعـب وقـتـل، وقـولـه خـفـف عـنـي أي بـسـبـب مـا أسـقـاه من المـاء وحـمـلـنـاه على أن الـتـخـفـيـف بـسـبـب المـاء لـيـلـتـئـم مـع مـا رواه الـبـخـاري وعـبـد الـرزاق والإسـمـاعـيـلي أن ثـويـبـة مـولاة أبـي لـهـب كـان أبـو لـهـب اعـتـقـهـا فـأرضـعـت الـنـبـي صلى الـلـه علـيـه وسلم فـلـمـا مـات أبـو لـهـب أوريـه بـعـض أهـلـه بـشـر خـيـبـة فـقـال مـاذا لـقـيـت؟ قـال لـم ألـق بـعـدكـم، زاد عـبـد الـرزاق رحـمـة، والإسـمـاعـيـلي رخـاء، وقـال ابـن بـطـال سـقـط المـفـعـول من جـمـيـع رواة الـبـخـاري ولا يـسـتـقـيـم إلا بـه غـيـر أنـي سـقـيـت فـي هـذه، زاد عـبـد الـرزاق وأشـار إلـى الـنـقـرة الـتـى تـحـت إبـهـامـه، بـعـتـاقـتـي ثـويـبـة حـبـيـبـة بـحـاء مـهـمـلـة

مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة أي سوء حال وأصلها حوبة وهي المسكنة والحاجة وذكر البغوي أنها بفتح الحاء وللمستملي بخاء معجمة مفتوحة، قال ابن الجوزي وهو تصحيف وروي بالجيم، قال السيوطي هو تصحيف باتفاق. قوله وأشار برأس أصبعه أي أشار إلى تقليل ما يسقاه، قال ابن بطال يعنى أن الله سقاه ماء في مقدار نقرة إبهامه لأجل عتقها وقال غيره أراد بالنقرة التى بين ابهامه وسبابته إذا مد إبهامه فصار بينهما نقرة يسقى من الماء بقدر ما تسعه تلك النقرة وبهذا علم أن النقرة التى أشار إليها على صورته في الدنيا لا على صورة الكفار في جهنم والمراد أنه وصل إلى جوفه بسبب ما يمصه من أصابعه لأنه يؤتى له به من خارج جمعا بين الروايتين. وقد تعسف من قال ما يسقاه ليس من الجنة لأن الله حرمها على الكافرين فإنه لا يتوهم أحد أنه من الجنة سواء قلنا انه مما يمصه أو يؤتى له به من خارج، قاله الزرقاني وهذا لا ينافي ما ورد من إحباط عمل الكافر لأن هذه خصوصية له كما خفف عن أبي طالب حتى كان هو أهون أهل النار عذابا إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم انظر إزالة اللبس وفي التوشيح قيل هذا خاص به إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبي طالب بسببه، نقله الزرقاني. ولله در حافظ الشام محمد بن ناصر في قوله:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما ... يخفف عنه بالسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره ... بأحمد مسرورا ومات موحدا

(وبركه * إذ حضنته) قوله وبركة عطف على ثويبة أي وكم جمعت وأحرزت من الخير الكثير بركة إذ حضنته صلى الله عليه وسلم وكنيتها أم أيمن بفتح الهمزة وسكون التحتية، وفتح الميم وبالنون بن عبيد الخزرجي المستشهد يوم حنين وهي حبشية وهي بنت ثعلبة بن حصن اعتقها أبو المصطفى وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لأمه أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين. وفي صحيح مسلم عن الزهري أنها

ماتت بعده صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر وقيل بستة أشهر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لها: «أنت أمي بعد أمي»، أي كأمي في رعايتك لي، وتعظيمي والشفقة علي أو في رعايتي لك واحترامي لك وكانت تدل عليه صلى الله عليه وسلم وكان العمران يزورانها بعده. ومن مناقبها ما رواه ابن سعد أنها لما هاجرت أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت فدلي عليها دلو من السماء برشاء أبيض فأخذته فشربت حتى رويت فكانت تقول ما أصابني بعد تلك الشربة عطش ولقد تعرضت للصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، قاله الزرقاني مفرقا، وقوله حضنته في القاموس حضن الصبي حضنا وحضانة بالكسر جعله في حضنه أو رباه اهـــ.

وفي عبد الباقي وغيره زيادة الفتح **(ثم بعد الأم * غدى كفيل الجد)** غدى بمعنى صار واسمها مستتر يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وخبرها كفيل يعني أنه صلى الله عليه وسلم كفله جده عبد المطلب بعد موت أمه آمنة أي ضمه إليه ورق له رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه وأولاده لا يجلسون عليه وذكر ابن اسحاق أنه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه من بنيه أحد إجلالا له وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فتذهب أعمامه يوخرونه فيقول عبد المطلب دعوا ابني ويمسح على ظهره بيده ويقول ان لابني هذا لشأنا **(ثم العم)** أي ثم بعد موت جده عبد المطلب وله مائة وعشرون سنة وقيل عشر ومائة وقيل أربعون ومائة كفله عمه أبو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله دون الحارث وقيل أن عبد المطلب أقرع بينه وبين الزبير وهو شقيق عبد الله أيضا وخرجت القرعة لأبي طالب، وكان عيال ابي طالب إذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل المصطفى معهم شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي فيأكل معهم فيفضل من طعامهم، وإذا كان لبنا شرب أولهم ثم يشربون فيروون كلهم

من قعب واحد، وإن كان أحدهم يشرب قعبا وحده فيقول أبو طالب إنه لمبارك. وروى أبو نعيم عن ابن عباس قال كان بنو أبي طالب يصبحون عمشا رمصا ويصبح محمد صلى الله عليه وسلم صغيلا دهينا كحيلا وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج وذكر ابن قتيبة انه كان يوضع له الطعام ولصبية أبي طالب فيتطاولون إليه ويتقاصر هو تكرما منه ونزاهة نفس وأخرج ابن عساكر عن جلهمة بضم الجيم وتفتح ابن عرفطة بضم العين والفاء قال قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم اعمدوا مناة فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل؟ قالوا كأنك عنيت أبا طالب! قال إيها! فقاموا جميعهم فقمت فدققنا عليه الباب فخرج إلينا فثاروا إليه فقالوا يا أبا طالب اقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب معه غلام يعني النبي صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه أي أشار به إلى السماء كالمتضرع المتلجئ وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالؤوا عليه صلى الله عليه وسلم يده وبركته عليهم من صغره:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

في قصيدته الآتية إن شاء الله تعالى في ذكر الحصار.

قوله آقحط الوادي بالبناء للفاعل والمفعول والقتماء التي يعلوها سواد غير شديد أي كأنه شمس يوم الغيم حين ينجلي سحابها، الرقيق فانها حينئذ تكون مشرقة مقبولة للناس ليست محرقة والقزعة:

القطعة من السحاب. وقوله من ههنا إلخ.. أي من جميع الجهات، وأغدق السحاب كثر ماؤه واغدودق مرادف له والنادي أراد به أهل الحضر، والبادي أهل البادية والثمال الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة والفواضل الأيادي الجسيمة، عطف خاص على عام وأبيض مجرور برب مقدرة على ما صدر به الحافظ كالكرماني والسيوطي وجزم به في المغني وهو منصوب، قال الحافظ بإضمار أعني أو أخص، قال والراجح أنه بالنصب عطف على سيدا في البيت قبله وهو:

وما ترك قومي لا أبا لك سيدا يحوط الذمار عند ذرب مواكلي

انتهى.

وبه قطع الدماميني في مصابيحه ورد على ابن هشام واستظهره في شرح المغني. ومرفوع خبر مبتدء محذوف قاله الكرماني وأفاده القسطلاني عن ضبط الشرف في نسخته من البخاري والذمار بالكسر ما يحق على الإنسان حمايته والذرب بذال معجمة بوزن كتف وسكنت راؤه تخفيفا الحاد والمواكل المتكل علي غيره والأرامل المساكين من رجال ونساء انظر المواهب وشرحها، ولما اختلف في سنه عليه الصلاة والسلام حين وفاة أمه وحين وفاة جده عبد المطلب، فقيل ماتت أمه وله أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل هو ابن اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وقيل مات جده وله ثمان سنين وقيل وشهر وعشرة أيام وقيل تسع وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر بين الراجح من ذلك فقال:

(وخلفته أمه ابن أربع سنين والجد ابن ضعفها فعي)

قوله خلفته أي تركته خلفها أي ماتت عنه وابن في الموضعين منصوب على الحال والجد بالرفع عطف على أمه يعنى أنه صلى الله عليه وسلم ماتت عنه أمه الشريفة وهو ابن أربع سنين وكفله بعدها جده أربع سنين ومات عنه وهو ابن ثمان سنين، أما موت أمه وهو ابن أربع فصدر به مغلطاي وتبعه في المواهب وحكاه العراقي والقول بأنه ابن ست قطع به ابن إسحاق وصدر به العراقي وزاد عليها مائة يوم

واقتصر الحافظ على أنه ابن ست سنين وثلاثة أشهر وأما كون جده مات وهو ابن ثمان سنين فجزم به ابن إسحاق وتبعه العراقي وتلميذه الحافظ هذا كله من المواهب وشرحها وموت أمه الكريمة كان بالأبواء بفتح الهمزة واد بين مكة والمدينة وقيل بشعب أبي ذؤيب رجل من سراة بني عمرو بالحجون بفتح المهملة وضم الجيم جبل بمعلاة مكة الشعب بكسر المعجمة منفرج بين جبلين أو الطريق في الجبل وفي القاموس ودار رائعة أي براء بعدها ألف فتحتية بمكة فيه مدفن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله أي أخوال جده عبد المطلب بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعها أم أيمن فنزلت به دارا لتابعة رجل من بني عدي وهذه الدار دفن فيها عبد الله بن عبد المطلب كما مر فأقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت في مقامه كذلك ونظر صلى الله عليه وسلم إلى الدار وهو في المدينة فقال ها هنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلى قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة، وهذه الدار دار هجرته يعني المدينة، فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به أمه قاصدة إلى مكة سريعا خوفا عليه، عليه السلام من اليهود، فلما كانت بالأبواء توفيت.

وعن أسماء بنت رهم بضم الراء المهملة عن أمها قالت شاهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التى ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع بفتح الفاء أي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه إلى وجهه وقالت:

بارك فيك الله من غلام ... يا ابن الذى من حومة الحمام

نجى بعون الملك المنعام ... فدي غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام ... ان صح ما أبصرت في المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام ... تبعث في الحل وفي الحرام

تبعث بالتحقيق والإسلام ... دين أبيك البر إبرهام

فـــالله أنـهــــــاك عن الأصنـــــام أن لا تــــــواليـــــهـا مع الأقــــوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، ثم ماتت رضي الله عنها كما قاله الزرقاني.

فكنا نسمع نوح الجن عليها أسفا فحفظنا من ذلك أبياتا هي:

تبكي الفـتـاة البـــرة الأمـيـنـه ذات الجــمــال العــفـة الرزينـــه

زوجــة عــبـد الـلـــه والقــريـنــه أم نـبــــي الـلـه ذي السكـيـنـــه

صـــارت إلى حــفــرتهــا رهـيـنه لـو فــــديت لفــديت ثمــيـنـه

ولـلـمنــايا شـــفـــرة سنـيـنـــة لا تـبـــقى ظعـــانا ولا ظعــيـنـــه

إلا أتـت وقـطـعـت وتـيـنـة، اهـــ

والتابعة بمثناة فوقية فموحدة فمهملة كما مرّ وموتها بالأبواء هو المشهور وهو قول ابن إسحاق وجزم به العراقي والحافظ ويعارضه ما في الأحاديث أنها بالحجون وجمع بينهما بأنها دفنت أولا بالأبواء ثم نبشت ونقلت إلى مكة والحمام ككتاب الموت وحومة القتال معظمه والمعنى هنا يا ابن الذى نجى من سبب الموت وفدي بلا واو أو به أي أعطي فداءه والمراد بضرب السهام ضرب عبد المطلب القداح على عبد الله وإخوته والسوامي جمع سامية أي مرتفعة القيمة بدون ياء في أكثر النسخ وفي بعضها بياء وهو القياس لأن الياء أصلية، وقوله أخواله لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حداش بن عامر بن عدي بن النجار وقولها تبعث في الحل وفي الحرام أي في بيان الحلال والحرام أو في أرض الحل والبلد الحرام، أي تبعث في جميع الأرض وقوله تبعث في التحقيق أي لبيان الحق من الباطل، وقال السيوطي وعندي أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف وإبرهام لغة في إبراهيم قرأ بها ابن عامر في مواضع والله منصوب على التوسع أي أنها مقسمة عليك بالله والبرة المطيعة والعفة بفتح العين وشد الفاء والرزينة ذات الوقار انظر الزرقاني.

فائدة حسنة:

وباتباع من قال بها قمنة، اعلم ان بعض العلماء جزم بأن أبويه صلى

الله عليه وسلم في الجنة تمسكا بحديث إحيائهما له وأنهما آمنا به، قال السيوطي مالت طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث إلى أن الله أحياهما حتى آمنا به واستندوا في ذلك إلى حديث ضعيف لا موضوع كما قاله ابن الجوزي فقد خالفه في حديثنا هذا كثير من الحفاظ وذكروا أنه ضعيف تجوز روايته في الفضائل والمناقب كالخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والمحبّ الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وابن سيد الناس ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح الصفدي والحافظ بن ناصر قال وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الإسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا اهـ وقال العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لأنه صلى الله عليه وسلم انتقل من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ولا يكون ذلك إلا مع الإيمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب اهـ.

قال الزرقاني وهذا لازم في جميع الآباء وإن قصراه على الأبوين وإلا لزم المحذور اهـ.

وقال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم عند قبر أمه ليس لتعذيبها إنما هو على ما فاتها من إدراك أيامه والايمان به وقد رحم الله تعالى بكاءه فأحياها له حتى آمنت به اهـ.

وقال الإمام السيوطي بعد ذكر الحجج على نجاتهما ثم إني لم أدع أن المسألة اجماعية غير أني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لأنه الأنسب بهذا المقام وقال في المواهب بعد الإطناب في هذه المسألة ولقد أحسن ابن ناصر الدمشقي حيث قال:

حبى الله النبيّ مزيد فضل	على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه	لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير	وإن كان الحديث به ضعيفا

ثم قال القسطلاني والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فإن ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لأن العرف جار بأنه إذ ذكر أبو

الشخص بما ينقصه أو وصف يوصف به فيه نقص آذى ولده ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر اهـ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الباقي بعد كثير من الكلام ما نصه وقد بينا لك أيها المالكي حكم الأبوين فإذا سئلت عنهما فقل هما ناجيان في الجنة إما لأنهما أحييا له حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وإن كان الحديث ضعيفا كما جزم به أولهم ووافقته جماعة من الحفاظ لأنه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الأبي وإما لأنهما كانا على الحنفية والتوحيد ولم يتقدم لهما شرك كما قطع به الإمام السنوسي والتلمسانى المتأخر محشي الشفا فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم ما يخالفه إلا ما يشم من نفس ابن دحية وقد تكفل برده القرطبي اهـ بحروفه. وقال السخاوي الذى أراه الكف عن ذلك اثباتا أو نفيا اهـ.

وقال السيوطي ومن لم تقو عنده هذه المسالك ولم يجب عما في مسلم بنسخ ولا غيره فمع ذلك قالوا لا يجوز أن يذكر ذلك، وسئل أبو بكر بن العربي عن رجل قال ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فقال أنه ملعون لقوله تعالى: {إن الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله} الآية ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار. وأخرج بن سعد عن ابن عباس قال ما بين آدم إلى نوح من الآباء كانوا على الإسلام وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والإجماع بل ورد في أثر أنه نبي ويدل على أن آباءه صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال تعالى: {إنما المشركون نجس} فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا، قال الهيثمي أجمع أهل الكتابيين والتاريخ أن آزر لم يكن أبا إبراهيم حقيقة وإنما كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما جزم به الفخر بل في القرآن ذلك قال تعالى: {وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل} مع أنه عم يعقوب وقال في الدرج المنيفة الأرجح أن آزر عم إبراهيم لا أبوه انتهى من الزرقاني في

(ثم إلى الشـــام مع العم ارتحل والعمـر فى ثالثـة العشر دخل)

المجرور الأول متعلق بارتحل والعم هو أبو طالب وفاعل ارتحل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والعمر مدة الحياة وهو مبتدء وخبره دخل والجملة حالية أي ثم سافر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبى طالب والحال أن عمره دخل فى السنة الثالثة عشر، قال ابن الجوزي قال أهل السير والتواريخ وذلك لما أتت عليه صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وفى سيرة مغلطاي اثنتى عشرة سنة وشهر، والذى اقتصر عليه فى المواهب انه ابن اثنتي عشرة سنة قال الزرقاني: قاله الأكثر وقيل تسع سنين قاله الطبري وغيره وقيل ثلاثة عشر حكاه أبو عمر، قال الزرقاني بعد نقله لكلام ابن الجوزي ومغلطاي ويمكن حمل القول الأول يعني ما للمواهب عليه بأن المراد اثنتا عشرة سنة وما قاربها.

(فـــرده خـــوفـــا من اليـــهـــود عليـــه أهل المكر والجــحـــود)

فـاعل رد عـائد على العم والمنصـوب للنبي صلى الله عليـه وسلم كالمجرور بعلى وخوفا مفعول لأجله وأهل نعت لليهود والمكر الخديعة والجحود الإنكار للشيء مع علم حقيقته ولا شك أن اليهود جحدوا المصطفى صلى الله عليه وسلم، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أي فرد أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة أي رجع به إليها لأجل خوفه عليه من اليهود أهل الخديعة وجحدوا النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بهذا إلى ما روي أن أبا طالب أراد الخروج فى ركب من قريش تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للخروج صبّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب، وقال والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا، فخرج به حتى بلغ بُصرى بضم الموحدة فرأى بحيرا الراهب وكان إليه علم النصرانية فخرج إليهم وكانوا قبل يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ قريش وما

علمك بذلك؟ قال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي وصبّ بصاد مهملة فموحدة مشددة اشتاق، قال السهيلي الصبابة رقة الشوق يقال صببت بكسر الباء أصب، وقرئ {أصب إليهن}، وروي أنهم لما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا ونزلوا ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة وأظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأي ذلك بحيرا نزل عن صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضروه كلكم صغيركم وكبيركم أحراركم وعبيدكم، فقال رجل منهم والله يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا صدقت! ولكنكم ضيف وقد أحببت إكرامكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه فى رحال القوم فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي! قالوا والله ما تخلف إلا غلام هو أحدث القوم سنا، قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر! فقال رجل من قريش ان كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا فقام إليه الحارث بن عبد المطلب فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال له يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. وإنما قال له ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرا بالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، من نومه ويقظته وهيأته

وأموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوءة فلما فرغ أقبل على أبى طالب فقال ما هذا الغلام منك؟ فقال ابني، فقال ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا، قال انه ابن أخي، قال ما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به. قال صدقت! فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لإن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغتنه شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلده. فخرج به أبو طالب سريعا حتى أقدم به مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

قوله تهصرت بالصاد المهملة المشددة أي مالت وتدلت. وروى أنه وجدهم سبقوه لفيئها فجلس فمال إليه فيئ الشجرة، وروي أنه فى هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم؟ قالوا هذا النبي خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس، فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا لا، فبايعوه وأقاموا معه ورده أبو طالب. وفى الترمذي أن بحيرا قال أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا قال البيهقي هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي وضعفه الذهبي بأن أبا بكر لم يبلغ إذ ذاك عشر سنين وبأن بلالا لم يكن خلق، قال اليعمري ولم يملكه أبو بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين عاما وقال ابن حجر رواته ثقات وهذه اللفظة يحتمل أنها مدرجة مقتطعة من حديث آخر وهما أي غلطا من أحد رواته فلا يحكم على جميع الحديث بالضعف اهـ.

وبَحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة قاله فى المواهب، وإلى هذه القصة أشار أبو طالب بأبيات من قوله:

فلما هبطنا أرض بصرى تشوفوا	لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بَحيرا عند ذلك حاشدا	لنا بشراب عنده وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا	فقمنا جميع القوم غير غلام

يتيم فقال ادعوه إن طعامنا	كثير عليه اليوم غير حرام
فلما رآه مقبلا فوق رأسه	ويوقيه حر الشمس ظل غمام
حنى ظهره شبه السجود وضمه	إلى نحره والصدر أي ضمام
فذلك من أعلامه وبيانه	وليس نهار واضح كظلام

(وعاد) هو أي النبي صلى الله عليه وسلم أي رجع **(مع مسيرة)** غلام خديجة. قال في النور ولا ذكر له في الصحابة فيما أعلمه والظاهر انه مات قبل البعثة ولو أدركها لأسلم **(للشام)** في تجارة لخديجة رضي الله عنها وكانت ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فتكون عيرها كعامة عير قومها وكانت تستأجر الرجال وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا منهم فليس بشيء عندهم فخرج صلى الله عليه وسلم في تجارتها وله عليه السلام خمس وعشرون سنة فيما رواه الواقدي وابن السكن وصدّر به ابن عبد البرّ وقطع به عبد الغني قال في الغرر وهو الصحيح الذي عليه الجمهور وقيل سنه إحدى وعشرون قاله الزهري. وقال البرقي تسع وعشرون وقيل ثلاثون، حكاه ابن عبد البر. وقال ابن جريج سبع وثلاثون انظر المواهب وشرحها واقتصر الكلاعي على الأول **(وهو)** بسكون الهاء أي النبي صلى الله عليه وسلم مبتدء **(من الرحمن)** متعلق بخبر المبتدء وهو قوله **(في إكرام)** أي تعظيم لا تعظيم يدانيه، وإحسان لا إحسان يوازيه فالتنكير للتعظيم وبين بعض إكرامه المتعلق بالظاهر بقوله **(تظله)** أي النبي صلى الله عليه وسلم **(الأملاك)** جمع ملك ياتي أن ميسرة كان يرى عليه ملكين يظلانه في الهاجرة **(في المسير)** أي مسيره هذا **(حين اشتداد الحر)** الظرف متعلق بتظله **(في الهجير)** أي القائلة. وسبب هذه القصة أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليست لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها من طهارتك وإن كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف

عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بداً فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل إلي في ذلك. فقال أبو طالب إني أخاف أن تؤتى غيرك، فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم إخلاقه وقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت إليه وقالت دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك فذكر ذلك لعمه فقال إن هذا لرزق ساقه الله إليك وخرج رسول صلى الله عليه وسلم ومعه ميسرة في تجارة لخديجة حتى بلغ سوق بصرى لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة قريبا من صومعة نسطورا الراهب فاطلع إلى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، وروي أن الراهب دنى إليه صلى الله عليه وسلم وقبل رأسه وقدميه، فقال آمنت بك وأشهد أنك الذي ذكر الله في التوراة، فلما رأى الخاتم قبله وقال أشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى فإنه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ثم قال الراهب لميسرة في عينيه حمرة قال ميسرة لا تفارقه أبدا، قال الراهب هو هو، وهو آخر الأنبياء ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج، فوعى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع واشترى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل أحلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط، فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به هذا نبي والذي نفسي بيده إنه لهو الذي تجد أحبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس ولما رجعا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية بكسر العين والضم لغة أي غرفة لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجبن بذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأخبرها بما ربح فسرت به.

وروي أن تجارتها ربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له خديجة ما كانت سمته له، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت قال قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول نسطورا وبقول الآخر الذي خالفه في البيع اهـ ونسطورا بفتح النون وسكون السين وضم الطاء المهملتين وألفه مقصورة وقوله ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي قال السهيلي يريد ما نزل تحتها هذه الساعة ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعد العهد بالأنبياء وإن كان لفظ قط في رواية فقد تكلم بها على جهة التوكيد بالنفي ويبعد في العادة أن تخلو شجرة من نزول أحد تحتها حتى يجيء نبي إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث أحد بعد عيسى. وقوله وكان ميسرة يرى إلخ.. فيه جواز رؤية الملائكة، اهـ ملخصا من الكلاعي والمواهب وشرحها.

(وإذ إلى مكة عاد) إذ ظرف زمان مضاف للجملة بعده والعامل فيه نكح الآتي أي ونكح خديجة حين عاد أي رجع من سفره مع ميسرة إلى مكة **(و)** الحال أنه صلى الله عليه وسلم حين نكاحه إياها قد **(افتتح)** أي ابتدأ **(ستا وعشرين)** سنة **(من العمر)** قال في القاموس العمر بالفتح وبضمتين الحياة وتزوجه بها عقب قدومه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما وذلك عقب صفر سنة ست وعشرين قاله ابن عبد البر نقله الزرقاني **(نكح)** أي تزوج **(خديجة)** بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكانت في الجاهلية تدعى بالطاهرة لشدة صيانتها وعفافها وكانت تسمى سيدة نساء قريش وأم خديجة فاطمة بنت زائدة ابن الأصم العامرية وللبدوي:

وأمها فاطمة بنت الخضم　　زائدة القرم الهمام ابن الأضم

خديجة **(من بعد أربعينا* مضت لها من عمرها سنينا)** بدل من أربعين رواه ابن سعد واقتصر عليه اليعمري وقدمه مغلطاي والبرهان قال في الغرر وهو الصحيح وقيل عمرها إذ ذاك خمس وأربعون وقيل ثلاثون سنة وقيل ثمانية وعشرون وقول المواهب أربعون سنة وبعض

أخرى قال فيه الزرقاني فلينظر ما قدر البعض اهـ.
ثم ان خديجة رضي الله عنها عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة كما عند ابن إسحاق، قالت يا ابن عمي إني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك أو بواسطة كما رواه ابن سعد عن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر قد طلبوها وبذلوا لها الأموال فأرسلتني دسيسا إلي محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به، قلت فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال فمن هي؟ قلت خديجة! قال وكيف لي بذلك فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن آتي الساعة كذا قال الزرقاني والجمع بينهما ممكن بأنها بعثت نفيسة أولا لتعلم هل يرضى فلما علمت ذلك كلمته بنفسها وسبب عرضها ما أخبرها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش إنه يوشك أن يبعث فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل، فحصبنه وأغلظن له وأغضت خديجة ووقر ذلك في نفسها. فلما أخبرها ميسرة بما رأى وما رأته هي قالت إن كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك إلا هذا اهـ وحصبنه : رمينه بالحصباء، وأغضت بغين وضاد معجمتين سكتت قاله الزرقاني، ثم لما أرسلت إليه خديجة ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة كما عند ابن إسحاق وخطبها من أبيها له صلى الله عليه وسلم فتزوجها عليه السلام وقال المبرد ان أبا طالب هو الذي نهض معه وهو الذي خطب خطبة النكاح، قال في النور فلعلهما خرجا جميعا والذى خطب أبو طالب لأنه أسن من حمزة اهـ.
ولابن إسحاق من طريق آخر: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر فخطب

أبو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به فإن كان في المال قل المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما عاجله وآجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم. وفي المنتقى فلما أتم أبو طالب الخطبة قال ورقة بن نوفل الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربع مائة دينار ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها أشهدوا علي يا معشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة من ماله زيادة على ما دفعه أبو طالب وهو على ما ذكره الدولابي أربعون أوقية ذهبا ونشا، والنش بفتح النون وبالشين المعجمة نصف أوقية وتقدم عن المنتقى أنه أصدقها أربعمائة دينار اهـ.

وما مرّ من أنه خطبها إلى أبيها وأنه هو الذي زوجها هو ما جزم به ابن إسحاق أولا، وقيل ان الذي زوجها عمرو بن أسد عمها ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه لأن أباها مات قبل ذلك قال السهيلي وهو الأصح وقيل زوجها أخوها عمرو بن خويلد وكونه صلى الله عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة قاله في المواهب. قال الزرقاني عقبه كما قاله المحب الطبري قائلا ولا تخالف بينه وبين ما يقال ان أبا طالب أصدقها عنه لجواز أنه صلى الله عليه وسلم زاد في صداقها فكان الكل صداقا اهـ وقولي فيما مرّ زيادة على ما دفعه أبو طالب قاله الزرقاني أيضا في موضع آخر. وقوله وزرع إسماعيل أي مزروعه والمراد ذريته غاير

بينه وبين ما قبله تفننا وكراهة لتوارد الألفاظ. والضئضئ بكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الأولى ساكنة ويقال ضئضيئ بوزن قنديل وضؤضوء بوزن سرسور ويقال أيضا بضادين وسينين مهملتين وهو في الجميع الأصل. والعنصر بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد المهملة وقد تفتح الأصل والإضافة فيهما بيانية أي أصل هو معد ومضر وسوّاس حرمه أي مدبروه والقائمون بأمره وقوله الحكام على الناس أي حكم طوع وانقياد لمكارم أخلاقهم وحسن معاملاتهم لا حكم ملك وقهر ولا ينافي قول صخر لقيصر ليس في آبائه من ملك. والقُل بالضم مشترك بين ضد الكثرة والشيء القليل. وقوله حائل أي لا بقاء له لتحوله من شخص لآخر ومن صفة إلى أخرى. وقوله عرفتم قرابته أي لهاشم وعبد المطلب الآباء الكرام، فالحسب أعظم من كثرة المال. وقوله ما آجله إلخ.. في رواية ان أبا طالب قال: وقد بذل لها من الصداق ما حكم عاجله وآجله اثنتي عشرة أوقية ذهبا ونشا، قالوا وكل أوقية أربعون درهما وجملة الصداق خمسمائة درهم شرعي والصداق ذهب ولا ينافيه التعبير بالدرهم لأنه بيان للوزن فلا يستلزم كون الصداق فضة قاله الزرقاني.

فائدة:

تزوج خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هالة التميمي بميمين نسبة إلى تميم وكان حليفا لبني عبد الدار كما في الفتح، فولدت له هند الصحابي راوي حديث وصف النبي صلى الله عليه وسلم وكان فصيحا بليغا وصافا وكان يقول أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخي القاسم وأختي فاطمة وأمي خديجة، وولدت له أيضا هالة وهو ذكر قال أبو عمر له صحبة ووهم من زعم أن هالة أنثى واسم أبي هالة قيل زرارة وقيل مالك، وقيل هند وقيل النباش بفتح النون وشد الموحدة ومات في الجاهلية وبعد موته تزوجها عتيق بن عابد بالموحدة والدال المهملة بن عبد الله

بن عمرو بن مخزوم كذا ضبطه فى الإكمال، وتبعه التبصير وقال اليعمري انه الصواب، ولابن الأثير أنه بتحتية وذال معجمة وهو مردود وقد صرح العلامة النساب الزبير بن بكار بأن من كان من ولد عمرو فهو بالموحدة والمهملة كان من ولد أخيه عمران فهو عائذ بتحتية ومعجمة وولدت لعتيق أنثى اسمها هند أسلمت وصحبت وقيل ان عتيقا هو الذي تزوجها أولا وهي بكر واقتصر عليه فى العيون والفتح ثم هلك عنها، وتزوجها بعده أبو هالة انظر المواهب وشرحها.

(**خير نساء الناس أجمعينا**) قوله خير منصوب نعت لخديجة ويصح رفعه خبر مبتدأ محذوف على أنه مقطوع عن التبعية ومراده أن خديجة رضي الله عنها هي أفضل النساء جميعا وظاهره تفضيلها حتى على فاطمة ومريم، وقد قال فى فتح الباري فى فضل عائشة، قال السبكي الكبير الذى ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والخلاف شهير ولكن الحق أحق أن يتبع، ثم قال ابن حجر وقيل انعقد الإجماع على تفضيل فاطمة، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة اهـ - المراد منه هنا.

وقال فى مناقب فاطمة وأقوى ما استدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها قوله صلى الله عليه وسلم انها سيدة نساء العالمين إلا مريم، وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، رفى بعض طرقه ذكر مريم عليها السلام وغيرها مشاركا لها اهـ.

وقال ابن حجر أيضا فى شرح حديث البخاري خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة، عن الطيبي أنه قال: والذى يظهر لى أن قوله خير نسائها خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نسائها، أي نساء زمانها، وكذا فى خديجة وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها، ثم قال جاء ما يفسر المراد صريحا فروى البزار والطبراني من حديث عمار رفعه لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، وهو حديث حسن وأخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عباس مرفوعا: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم

وآسية » وقد أورد ابن عبد البر من وجه آخر عن ابن عباس رفعه: «سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية» قال وهذا حديث حسن يدفع الإشكال اهـ.

وقال ابن جزي في قوله تعالى: {واصطفاك على نساء العالمين} يحتمل أن يكون الإصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب فيكون علي نساء العالمين عاما وأن يكون الاصطفاء عاما ويخصص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ويكون على نساء عالم زمانها وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق وقال الثعالبي: والعالمين يحتمل زمانها وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق وقال الثعالبي واليعمري والعالمين يحتمل عالم زمانها وقال ابن عطية وسائغ أن يتأول عموم الاصطفاء على العالمين وقد قال بعض الناس أن مريم نبيئة وجمهور الناس على انها لم تتنبأ امرأة وقال السيوطي على نساء العالمين أهل زمانك اهـ.

وقال الشيخ محي الدين النووي ويظهر أن معناه يعنى حديث البخاري المتقدم، أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض فى عصرها، فأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه، روي البخاري عن ابى موسى رفعه، كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، انتهى من الريان.

وقال فى المواهب ممزوجا ببعض كلام شرحها وكانت خديجة أول من آمن من الناس على الإطلاق، كما حكى عليه الثعالبي وابن عبد البر وابن الأثير الاتفاق وفى الصحيحين ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة أتتك أي توجهت إليك بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب، بالشك من الراوى، فإذا هي أتتك فاقرأ بهمزة وصل وفتح الراء، عليها السلام من ربها ومنى. وهذه خاصة لم تكن لسواها، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة، الصياح والمنازعة برفع الصوت، ولا نصب بفتح النون والمهملة فموحدة التعب، والقصب اللؤلؤ المجوف، وروى الطبراني عن

فاطمة قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أمي خديجة؟ قال في بيت من قصب! قلت أمن هذا القصب؟ قال لا من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت اهـ.

وفي لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق لمبادرتها إلى الإيمان وكذا في لفظ البيت لأنها كانت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها، وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه، فلذا عبر ببيت دون قصر، وفيه مناسبة أخرى لأن مرجع آل بيته صلى الله عليه وسلم إليها، وكذا في نفي الصخب والنصب مناسبة لفعلها، فلم تحوج النبي صلى الله عليه وسلم لما دعى إلى الإيمان إلى رفع صوت ولا تعب، قال الإسكاف والبيت زائدا على ما أعد لها من ثواب عملها، ولذا قال ولا نصب، أي لم تتعب بسببه ففي جميع ألفاظه مناسبة وخرج الإمام أحمد والنسائي وأبو داوود والحاكم وصححاه أنه صلى الله عليه وسلم قال: « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية إمرأة فرعون »، وهما من زوجاته صلى الله عليه وسلم في الجنة كما عند ابن عساكر بسند ضعيف، قال الشيخ العراقي خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار عند العلماء بدليل هذا الحديث والذي قبله من اقراء السلام عليها من الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة أي مريم خير نساء الأمة الماضية وخديجة خير نساء هذه الأمة كما قال الحافظ جاء ما يفسر المراد صريحا يعني ما قدمت عنه في حديث البزار والطبراني وقال في الإصابة يفسره ما أخرجه ابن عبد البرّ أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا أبت فأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالمها اهـ.

ولأنه صلى الله عليه وسلم أثنى على خديجة ما لم يثن على غيرها، قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها. وللطبراني وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم

من ثناء عليها واستغفار لها، وقيل عائشة أفضل وضعف بحيث بالغ ابن العربي فقال لا خلاف أن خديجة أفضل من عائشة قال في الفتح ورد بأن الخلاف ثابت وإن كان الراجح أفضلية خديجة. وقال شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضليتهما خلاف وصحح ابن العماد والسبكي وغيرهما تفضيل خديجة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لما حملتها الغيرة من كثرة ثنائه على خديجة على أن قالت قد رزقك الله خيرا منها، قالت فغضب حتى قلت والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير. فقال والله ما رزقني الله خيرا منها. آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقت بي حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت مني الولد إذ حرمتموه . وسئل الإمام أبو بكر بن الامام المجتهد دواوود الظاهري أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل من قبل نفسه وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربه على لسان محمد، فهي أي خديجة أفضل، قيل له فمن الأفضل خديجة أم فاطمة؟ قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني بفتح الموحدة كما هو في الرواية وحكي ضمها وكسرها أي فاطمة لحم مني فلا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا. قال السهيلي وهذا استقراء حسن، ويشهد له أن أبا لبابة لما ربط نفسه وحلف أن لا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة لتحله فأبى لقسمه فقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني، فحلته ويشهد له أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فهذا دليل على فضلها على أمها، وبهذا استدل السبكي قال في الفتح والذي يظهر أن الجمع بين الحديثين أولى وأن لا تفضل إحداهما على الأخرى. اهـ..

وقال في الإصابة وقد ذكر حديث خير نسائها خديجة وقوله لفاطمة أما ترضين بأنك سيدة نساء العالمين يحتمل على التفرقة بين السيادة

والخيرية أو على أن ذلك بالنسبة لما وجد من النساء حين قاله لفاطمة. اهـ.

وفيه نظر فإن المراد بالسيادة الخيرية وهي الفضل كما صرح به فى رواية أحمد وحمله على الموجودات يأباه قوله نساء العالمين وهو فى الصحيحين لأنه تخصيص للعام بلا مخصص فقد ساوت أمها وزادت عليها لكونها بضعة المختار فهي أفضل منها وقد صرح هو فى الفتح فى المناقب بما لفظه قيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة. وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة اهـ. بل توسع بعض المتأخرين فقال فاطمة وأخوها إبراهيم أفضل من سائر الصحابة حتى من الخلفاء الأربعة فإن أراد من حيث البضعة فمحتمل وإن كان الخلفاء أفضل من حيث العلوم الجمة وكثرة المعارف ونصر الدين والأمة قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي وقال فى المواهب عن السبكي الكبير والذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة. قال فى المواهب واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة قال الزرقاني ولم يتعرض للتفضيل بين مريم وفاطمة واختار السيوطي تفضيل فاطمة على مريم وسبقه إلى اختيار ذلك الزركشي والخيضري والمقريزي لكن يرد عليهم قوله لفاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم نعم يعارضه حديث أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا أبت فيأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالمها. ولم ينقدح لى وجه الجمع اهـ كلام الزرقاني، قال مؤلفه سمح الله له وتحصل مما مرّ أن الراجح المشهور تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما وأن الراجح تفضيل فاطمة على أمها كما جزم به السبكي والإمام أبو بكر بن داوود واستحسنه السهيلي وجزم به الزرقاني وتعقب ما فى الفتح من أنه لا يفضل بينهما بما مرّ قريبا ومنه أنه فى الفتح نقل الاجماع على أفضلية فاطمة فى كتاب المناقب ويعني به ترجمة فضل عائشة فقد ذكر ذلك فيها، وأما التفضيل بين مريم وفاطمة فاختار الزركشي والسيوطي والخيضري والمقريزي أن فاطمة أفضل وأما ما بين خديجة ومريم فقال فيه النووي أن التفضيل

بينهما مسكوت عنه يعني على أنها ليست نبية كما هو مذهب الجمهور. وقد مرّ عن المفسرين أنه قيل بتفضيلها على نساء العالمين على الإطلاق والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وحينئذ فقول الناظم خير *نساء الناس* أجمعينا يعني الموجودات في زمانها وتستثنى من ذلك فاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

(قد) للتحقيق **(أقامت معه عشرينا)** سنة **(وأربعا)** من السنين ومراده أن خديجة رضي الله عنها مدة حياتها بعد تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها أربع وعشرون سنة وقال الحافظ في الفتح وأقامت معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح وقال ابن عبد البر أربعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وسيأتي من حديث عائشة ما يؤيد الصحيح في أن موتها قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك بعد المبعث على الصواب بعشر سنين وتقدم تصديقها للنبي صلى الله عليه وسلم في أول وهلة اهـ.

وقال القسطلاني في المواهب وكانت مدة مقامها مع النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة اهـ، قال في الشرح على الصحيح كما في الفتح وهو المطابق للصحيح وهو قول الأكثر أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وقال في المواهب وشرحها وقيل أربعا وعشرين سنة وأربعة أشهر قاله ابن عبد البر وهو مطابق له أيضا بإلغاء الكسر في عامي الزواج والوفاة، اهـ. وقد علم أن الناظم مشى على الصحيح من أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين ودخل في السادسة وقوله هنا أربعا وعشرين أي وأربعة أشهر فيصح كلامه بإلغاء الكسر في عام التزويج وعام الوفاة، كما أول به الزرقاني عبارة المواهب المحكية بقوله وهي موافقة لعبارة الناظم والله أعلم. أما على أن سنه إحدى وعشرون أو ثلاثون فلا يتأتى أن قالا ان موتها سنة عشر من البعثة، قاله الزرقاني وغيره **(ورزق البنينا منها سوى أحدهم يقينا)** نائب رزق ضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والبنين مفعوله الثاني والضمير المجرور لأمنا خديجة رضي الله عنها ويقينا مصدر مؤكد

لمضمون الجملة قبله وعامله محذوف أي أتيقن هذا أو نحوه يعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى من الذرية الكرام ما أعطاه من البنين والبنات سوى إبراهيم من خديجة الطاهرة سيدة نساء قريش وهي من أعظم مزاياها التى اختصت بها عن غيرها ليمنها وسعادتها وإبراهيم هو المراد بقوله سوى أحدهم وسياتى للناظم التعرض لأولاده صلى الله عليه وسلم وياتى الكلام عليهم إن شاء الله تعالى عند ذكر الناظم لهم.

وتوفيت خديجة رضي الله عنها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح كما فى الفتح والإصابة وزاد عن الواقدي لعشر خلون من رمضان وقيل قبل الهجرة بأربع سنين وقيل خمس حكاهما فى الإصابة وقيل ست حكاه فى الفتح ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وهي بنت خمس وستين سنة كما فى رواية الواقدي، وفى السمط الثمين أربع وستون وستة أشهر ولم يكن يومئذ يصلى على الجنائز وروى ابن عساكر بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي فى الموت فقال يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن منى السلام، فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال لا. ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى ورواه الزبير بن بكار بلفظ أنه دخل على خديجة وهي فى الموت فقال تكرهين ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله فى الكره خيرا، أشعرت أن الله أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة مريم وآسية وكلثم؟ فقالت الله أعلمك بهذا؟ قال نعم. وماتت هي وأبو طالب فى عام واحد، قيل فسماه عام الحزن صلى الله عليه وسلم، انظر الزرقاني.

(ثم ابن خمس وثلاثين حضر بناء بيت الله ...)

قوله ابن بالنصب حال من فاعل ضمير وهو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وبيت الله الكعبة زادها الله تعالى تعظيما يعني أنه صلى الله عليه وسلم حضر بناء قريش للكعبة وهو عليه السلام إذ ذاك ابن

خمس وثلاثين سنة من مولده عليه الصلاة والسلام.

(إذ) أي حين **(بنى)** أي وضع صلى الله عليه وسلم **(الحجر)** الأسود موضعه إذ تولى هو صلى الله عليه وسلم وضعه في محله **(بيده)** متعلق ببنى **(الكريمة)** أي الثابت لها ولصاحبها صلى الله عليه وسلم أعلى ما توصف به الحوادث من الكمالات **(الزكية)** أي المباركة الكثيرة الخير **(صلى عليه بارئ البرية)** أي خالق المخلوقات كلها وهو الله تعالى. وكونه صلى الله عليه وسلم حين بناء قريش للكعبة ابن خمس وثلاثين هو الذى جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء وهو الأشهر كما قال الحافظ وقيل ابن خمس وعشرين وجزم به موسى بن عقبة وروي عن مجاهد ومحمد بن جبير وسبب بناء قريش للكعبة أن قريشا خافت أن تنهدم الكعبة من السيول وذلك أن السيل أتى من فوق الردم الذى بأعلى مكة فخربه فخافوا أن يدخلها الماء، وقيل سببه احتراقها، فروي أن امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة فى ثيابها فأحرقتها، وقيل أن نفرا سرقوا حلي الكعبة وغزالين من ذهب وقيل غزالا واحدا مرصعا بجوهر وكان فى بئر فى جوف الكعبة فأرادوا أن يرفعوا بنيانها حتى لا يدخلها إلا من شاؤوا، وقيل ان السيل دخلها وصدع جدرانها بعد توهينها وجمع كما فى الزرقاني بأنه لا مانع أن سبب بنائهم ذلك كله ويجوز أن خشية هدم السيل حصل من الحريق حتى أوهن بناءها ووجدت السرقة بعد ذلك، وأعدوا لذلك نفقة وعمالا ثم عمدوا إليها ليهدموها على إشفاق وحذر منهم أن يمنعهم الله ما أرادوا فأمروا باقوم القبطي مولى أسيد بن العاصي بن أمية وصانع المنبر النبوي المدني أن يبنيها لهم وباقوم بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة ويقال بلام بدل الميم صحابي كما فى الإصابة، وروى ابن عيينة عن عبيد بن عمير قال اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم الرومي وكان فى سفينة حبسها الريح وخرجت إليها قريش فأخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بناء الكنائس فيحتمل أنهما اشتركا فى بنائها أو أحدهما بنى والآخر سقف وأنهما واحد رومي فى الأصل ونسب إلى القبط حلفا وهذا هو الظاهر من كلام

الإصابة اهـ.

وروي ان السفينة ألقاها الريح بجدة فتحطمت فخرج إليها الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش فابتاعوا خشبها وكلموا باقوم فى بنائها فقدم معهم. وقال ابن اسحاق كان بمكة رجل قبطي نجار فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها قال فهاب الناس هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأكم فى هدمها فأخذ المعول وهو يقول اللهم لم ترع بفوقية مضمومة فراء مفتوحة أي لم تفزع الكعبة وهذا أولى من إعادة السهيلي الضمير لله تعالي، وفى رواية لم نزغ بفتح النون وكسر الزاء وغين معجمة أي لم نمل عن دينك اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين الأسود واليماني وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننتظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيئ هدمنا فقد رضي الله ما صنعنا. فأصبح الوليد عائدا إلى عمله فهدم وهدم معه الناس، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم أفضووا إلى حجارة خضر كالأسنمة جمع سنام وهو أعلى الظهر للبعير ومن رواه كالأسنة جمع سنام شبهها بها فى الخضرة، أخذ بعضها ببعض فأدخل رجل ممن كان يهدم عتلة بين حجرين ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنغضت مكة بأسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الأساس وبنوا عليه اهـ.

وقوله عتلة فى القاموس العتلة محركة حديدة كأنها رأس فأس أو العصى الضخمة من حديد لها رأس مفلطح يهدم بها الحائط وفى القاموس تنغض أي بالغين والضاد المعجمتين تحرك اهـ.

وفى رواية أنهم لما شرعوا فى نغض البناء خرجت لهم الحية التى كانت فى بطنها تحرسها سوداء البطن فمنعتهم من ذلك فاعتزلوا عند مقام إبراهيم فتشاوروا فقال لهم الوليد ألستم تريدون الإصلاح؟ قالوا بلى! قال فإن الله لا يهلك المصلحين ولكن لا تدخلوا فى بيت ربكم إلا طيب أموالكم فإن الله لا يقبل إلا طيبا وعند موسى بن عقبة أنه قال لا تجعلوا فيها مالا أخذ غصبا ولا قطعت فيه رحم ولا انتهكت فيه حرمة

وعند ابن اسحاق أن الذى أشار بذلك أبو وهب بن عمر بن عامر بن عمران بن مخزوم ففعلوا وقالوا اللهم إن كان لك فى هدمها رضى فاتمه واشغل عنا هذا الثعبان فأقبل طائر من جو السماء كهيأة العقاب ظهره أسود وبطنه أبيض ورجلاه صفراوان والحية على جدار البيت فأخذها ثم طار بها فقالت قريش إنا لنرجو أن الله قبل عملكم ونفقتكم ثم إن قبائل قريش جمعت الحجارة لبنائها فكل قبيلة تنقل الحجارة على حدة وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة من أجياد وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال له العباس اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل، فلبط به بالموحدة كعني أي سقط من قيامه فهو من الأفعال التى جاءت بصيغة المبنى للمفعول وهي بمعنى المبني للفاعل ونودي يا محمد غط عورتك فشد عليه إزاره فلما ريئ بعد ذلك عريانا، وفى رواية كانوا كلما أرادوا القرب منه أي البيت لهدمه بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألغاها نحو أجياد فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادى فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك فلم ير عريانا بعد، قال الزرقاني ليس المراد العورة المغلظة اهـ..

وفى المواهب فى هذه القصة وكان ذلك أول ما نودي اهـ.. ثم إن قريشا بنوها فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فكل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحازبوا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فسموا لعقة الدم فمكث قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا فى المجسد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة وكان عامئذ أسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما

تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فؤوتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الكريمة صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه، وعند موسى ابن عقبة ان الذى أشار إليهم بذلك أخوه الوليد قال السهيلي وذكر أن إبليس كان معهم فى صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أرضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى أسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا.

خاتمة:

نسأل الله تعالى بحسنها

أختلف فى أول من بنى الكعبة فذكر الطبرى أن الله وضعه أولا لا ببناء أحد وذكر الأزرقي ان الملائكة بنته قبل آدم وروي عن عطاء أول من بنى البيت آدم وعن وهب أول من بناه شئث بن آدم وفى الكشاف أول من بناه إبراهيم وجزم به ابن كثير، قال إذ لم يثبت عن معصوم أنه كان مبنيا قبله ثم بنته العمالقة ثم جرهم ثم قصي بن كلاب نقله الزبير بن بكار وجزم به الماوردي ثم قريش فجعلوا ارتفاعه ثمانية عشر ذراعا، وفى رواية عشرين ذراعا ثم لما حوصر ابن الزبير من جهة يزيد تضعضعت من الرمي بالمنجنيق فهدمها فى خلافته وبناها على قواعد إبراهيم وأعاد طولها على ما هو عليه الآن وأدخل من الحجر الأذرع المذكورة وجعل لها بابا آخر فلما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك فى نقض ما فعله ابن الزبير فكتب إليه أما ما زاده فى طولها فأقره وأما ما زاده فى الحجر فرده إلى بنائه وسد بابه الذى فتح ففعل ذلك كما فى مسلم.

وذكر الفاكهي أن عبد الملك ندم على إذنه للحجاج في هدمها ولعن الحجاج وفي مسلم نحوه من وجه آخر وقد أراد الرشيد أو أبوه أو جده أن يعيده على ما فعل ابن الزبير فناشده مالك وقال أخشى أن يصير ملعبة للملوك فتركه واستمر ما فعله الحجاج إلى الآن وسيبقى إلى تخريب الحبشة للكعبة فقال العلماء ان هذا البناء لا يغير ولم يتفق لأحد من الخلفاء ولا غيرهم تغيير شيء مما فعله الحجاج إلا في الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترقيم في الجدار والسقف وسلم السطح غير مرة وجدد فيها الرخام وأول من فرشها به عبد الملك قال الزرقاني فالمتحصل من الآثار كما أفاده الفتح والإرشاد والسبل وشفاء الغرام أنها بنيت عشر مرات، وقد علمتها. وزعم بعضهم أن عبد المطلب بناها بعد قصي وقبل بناء قريش قال الفاسي ولم أره لغيره وأخشى أن يكون وهما اهـ. المراد منه.

وبعض ما قدمته من الاكتفاء وفي الإكتفاء أن آدم على بنائه له بناه من خمسة أجبل، طور سيناء وطور زيتاء ولبنى والجودي وبنى قواعده من حراء وفيه أن آدم وحواء أسساه بصخر أمثال الخلفات أي النوق الحوامل أذن الله للصخر أن تطيعهما فلما مات آدم وليه بعده ابنه شئث فكان كذلك حتى حجه نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع البيت وبقيت قواعده وعلى أن شئث أول من بنى الكعبة فإنها كانت قبل أن يبنيها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويانس بها لأنها أنزلت إليه من الجنة وأول من بناه بعد رفعه إبراهيم اهـ. المراد منه.

(بيان مبعث النبي الهادي صلى عليه خالق العباد)

المبعث الإرسال والنبي تقدم اشتقاقه عند قوله بجاه المصطفى النبي وهو من أوحي إليه بواسطة ملك أو دونه سواء أمر مع ذلك بالتبليغ أو لم يؤمر به فإن أمر بالتبليغ فرسول وإلا فنبي غير رسول هذا هو المشهور الذى عليه الجمهور كما قاله القاضى عياض والسنوسي وغيرهما. وقال التفتازاني بترادفهما وأن كلا منهما مامور بالتبليغ وهي طريق المشارقة وقيل بينهما عموم وخصوص بإطلاق لكن لا على الوجه المتقدم وعليه فالنبي أعم لأنه من أوحي إليه كان له كتاب أو

شـرع جـديد أو لم يكن، ويخص الرسول بمن أوحي إليه وكان له شـرع جـديد أو كتـاب، والهـادي المرشـد للعـبـاد إلى دين الله تعالى، ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى تعيين الآتي له بالوحي من الله تعالى وتعيين المكان الذي أتاه فيه والسن التي أوحي إليه عند بلوغها وغير ذلك مما يتعلق بأمر البعثة مما سيذكره فقال:

(وجاءه)أي النبي صلى الله عليه وسلم **(جبريل)** سيد الملائكة على مذهب الجمهور وقيل ميكائيل أفضل منه وهما أفضل من جميع الملائكة اتفاقا قاله البيجوري وجبريل هو صاحب الوحي إلى الأنبياء على نبينا وعلى جميعهم الصلاة والسلام، ومعناه عبد الله، قال في القاموس وجبرائيل أي عبد الله، وفيه لغات كجبرعيل وحزقيل وجبرعل وسمويل وجبراعيل وجبرعل وحزعال وكربال وبسكون الياء بلا همز كجبريل وبفتح الياء جبريل وبياءين جبرييل وجبرين بالنون ويكسر اهـ.

(في غار حرا) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء والمد والتذكير على الصحيح وحكي الفتح والقصر وهي لغة مصروف على إرادة المكان ممنوع على إرادة البقعة فيذكر ويؤنث جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى وزعم الخطابي خطأ المحدثين في قصره وفتح حائه والأربعة في قباء أيضا وجمعها القائل:

حيا وقبا ذكر وأنثهما معا ومد واقصر واصرفن وامنع الصرفا

قاله الزرقاني.

(من بعد أربعين عاما غبرا) أي مضى يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان أول مجيء جاءه جبريل له صلى الله عليه وسلم بالوحي أي كلام الله عز وجل بعد أن أتم أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذي قاله جمهور العلماء، قال السهيلي وهو الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر، النووي وهو الصواب المروي في الصحيحين عن ابن عباس وأنس وقيل وأربعين يوما، وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين، وعن مكحول أنه بعث بعد اثنين وأربعين سنة، وقيل ابن ثلاث وأربعين، وهو شاذ، وقيل خمس وأربعون، وهو أشذ منه قال الخطابي وجمع بأن ذلك حين حمي الوحي وتتابع **(في يوم الإثنين)** متعلق بجاء أي وجاءه

جبريل في يوم الاثنين ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي قتادة الحارث بن ربعي بكسر الراء شهد المشاهد إلا بدرا ففيها خلف أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الإثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل علي وفى رواية لمسلم فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أوقال أنزل علي فيه والمشهور الذى عليه الأكثر أنه بعث فى رمضان قاله الحافظان ابن كثير وابن حجر وصححه الحافظ العلائي، قال فى الفتح فعلى الصحيح المشهور أن مولده فى ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر وعلى أنه بعث فى رمضان فالذى اقتصر عليه القسطلاني فى الإرشاد وبه صدر فى المواهب أنه بعث يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع منه وقيل لأربع وعشرين ليلة منه وقال ابن عبد البرّ والمسعودي بعث يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وبه صدر ابن القيم وعزاه للأكثرين ثم حكي أنه كان فى رمضان قال فى الفتح فعلى هذا يعنى كونه بعث فى ربيع يكون عمره أربعين سنة سواء، وجمع بين النقلين بما فى حديث عائشة أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة وحكى البيهقي أن مدتها ستة أشهر فيكون نبئ بالرؤيا فى ربيع الأول ثم أتاه جبريل فى رمضان وحمل عليه بعضهم الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوءة، لأن مدة الوحي كانت ثلاثا وعشرين سنة فيها ستة أشهر مناما وذلك جزء من ستة وأربعين وأما الجمع بين نزول اقرأ فى رمضان وأول المدثر فى ربيع فاعترض بأن نزول المدثر بعد ثلاث سنين وقيل كان ابتداء المبعث فى رجب لسبع وعشرين منه، اهـ ملخصا من المواهب وشرحها.

تنبيه:

أختلف فى المنزل علي النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقوال:

* أحدها اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ كل حرف بقدر جبل قاف، وتحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله،
* الثاني ان جبريل نزل بالمعانى خاصة وعلم صلى الله عليه وسلم تلك

المعاني وعبر عنها بلغة العرب لظاهر قوله نزل به الروح الأمين على قلبك،

* الثالث أن جبريل ألقى عليه المعنى وعبر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماوات يقرؤنه بالعربية اهـ من الزرقاني.

وقريب منه اليوسي في حاشية الكبرى، فعلى الأول يكون جبريل تلقى الحروف من اللوح وعلى كلا القولين الأخيرين يكون جبريل سمع كلام الله تعالى القائم بذاته الذي ليس بحرف ولا صوت ولكن على الأول منهما عبر جبريل عما فهمه من كلام الله تعالى بلغته للنبي صلى الله عليه وسلم فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عما فهمه من كلام جبريل بلغته التي هي العربية وعليه فألفاظ القرآن مخلوقة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الأخير فألفاظه مخلوقة على لسان الملك، وهي التي نزل بها، ويدل على أن المنزل الألفاظ ظاهر قوله تعالى قل نزله روح القدس انظر اليوسي.

(... بسورة العلق صلى عليه الله فالق الفلق)

المجرور متعلق أيضا بجاء يعني أن أول ما نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن سورة العلق وهي إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق والعلق الدم المجتمع الغليظ لأن أول الإنسان نطفة ثم يكون علقة والفلق الصبح وفالقه خالقه وهو الله تعالى، قال المفسرون في قوله تعالى {فالق الإصباح} وهو مصدر بمعنى الصبح أي خالق الصبح، فالفلق هو الخلق وقيل الفلق الشق وهو على حذف مضاف أي فالق ظلمة الصبح انظر الريان. وأشار بهذا إلى ما رواه البخاري وغيره ففي كتاب التعبير منه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال إقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ

مني الجهد ثم أرسلني فقال إقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال إقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال إقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني، زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال يا خديجة ما لي.. وأخبرها الخبر، وقال قد خشيت علي فقالت له كلا أبشر والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها أخو أبيها وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة أي ابن عمي اسمع من ابن أخيك! فقال ورقة ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك. وقال صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم؟ فقال ورقة نعم. لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدى منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك لرسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك، انتهى.

والرؤيا الصادقة التي لا تكذب فيها وفي بدأ الوحي الصالحة هما بمعنى بالنسبة للآخرة في حق الأنبياء، وأما بالنسبة لأمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا الأنبياء كلها صادقة وقد تكون صالحة وهي الأكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كرؤيا يوم أحد ومثل فلق

الصبح أي شبيهة له في الوضوح، وقال البيضاوي شبه ما وجده في الخارج طبقا لما رآه في النوم بالصبح في إنارته و وضوحه.

والفلق الصبح لكنه لما استعمل في هذا المعنى وغيره أضيف إليه للتخصيص، ويتحنث يتجنب الحنث أي الإثم، كتحوب وتأثم أو هو بمعنى رواية ابن هشام يتحنف أي يتبع الحنفية دين إبراهيم والفاء تبدل ثاء وقوله وهو التعبد من إطلاق المسبب على السبب على التفسير الأول، وعلى الثاني ظاهر والليالي ظرف نصب بيتحنث وهل تعبده قبل البعثة بشريعة أم لا؟ قولان:

الجمهور على الثاني، واختار ابن الحاجب والبيضاوي الأول يعني أنه بشرع إبراهيم أو موسى أو عيسى أو بجميع الشرائع، ونسب للمالكية أو الوقف أقوال، ولم يأت تصريح بصفة تعبده بحراء وعن ابن المرابط كان يتعبد بالفكر وقوله لمثلها أي الليالي وفجئه بكسر الجيم وتفتح والحق الوحي والملك جبريل اتفاقا وقوله فقلت كذا في رواية الأكثر، وفي رواية أبي ذر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وغطني بغين معجمة وطاء مهملة ضمني وعصرني والجهد بالنصب وفاعل بلغ هو الغط وبالرفع والمفعول محذوف أي بلغ مني الجهد، مبلغه، وما أنا بقارئ أي لا أحسن القراءة أي حكمي كسائر الناس من أن القراءة لا تحصل إلا بالتعلم، وقوله فرجع بها أي بالآية وترجف بضم الجيم تضطرب، والبوادر بفتح الموحدة وخفة الواو فألف فدال مهملة فراء جمع بادرة ما بين المنكب والعنق، قال في المواهب ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا من جبريل عليه السلام، فإنه صلى الله عليه وسلم أجل من ذلك وأثبت جنانا، بل غبطة أي فرحا لحاله وقيل خاف من ثقل أعباء النبوءة انتهى. وزملوني أي غطوني، وزملوه أي لفوه أي خديجة ومن معها، ولا يخزيك بضم التحتية وسكون المعجمة وكسر الزاء فتحتية ساكنة أي لا يفضحك والكلّ بفتح الكاف وشد اللام من لا يستقل بأمره زاد هنا في بدء الوحي وتكسب المعدوم بفتح التاء في الأشهر، وروي بضمها، أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، يقال كسبته مالا وأكسبته إياه

بمعنى وتقرى بفتح الفوقية ثلاثي قال الأبي وسمع بضمها رباعيا والنوائب الحوادث وهي جامعة لما سبق ولغيره، وقيدت بالحق لأنها تكون فيه وفى الباطل أي فلا يصيبك مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق. وفيه دلالة على أن ذلك سبب للسلامة من مصارع السوء وفيه مدح الإنسان فى وجهه لمصلحة، وأما حديث «أحثوا التراب فى وجوه المداحين» ففى مدح بباطل، أو تؤدي إلى باطل، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة وكمال خديجة وجزالة رأيها وانطلقت به أي معه فالباء للمصاحبة وأخو أبيها بالرفع خبر مبتدء محذوف والناموس صاحب السر والمراد به جبريل وأهل الكتاب يسمونه الناموس الأكبر والعبرانية بكسر العين وهي لغة التورية وأما الإنجيل فالمشهور أنه سرياني، وقيل عبراني وجذعا بالنصب وهو المشهور فى الصحيحين خبر أكون مقدرة أو حال من الضمير المستكن فيها أي مدة النبوءة أو على أن ليت تنصب الجزأين كقوله:

يا ليت أيام الصبا رواجعا ...

وهو بفتح الجيم المعجمة أي شابا، أو مخرجيّ؟ بفتح الواو وشد الياء مفتوحة خبر مقدم لهم، ويومك يوم انتشار نبوءتك ومؤزرا بضم الميم وفتح الزاء المشددة آخره راء مهموز من الأزر أي القوة أي قويا بليغا، وقال أبو شامة يحتمل أنه من الإزار إشارة إلى تشميره فى نصرته قال الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

ولم ينشب بفتح التحتية والمعجمة أي لم يلبث وأن توفيّ بفتح الهمزة بدل اشتمال من ورقة أي لم تتأخر وفاته وفترة الوحي بعد مجيئه له فى غار حراء، كانت مدتها ثلاث سنين على ما فى المواهب، وقيل سنتان ونصف وفى المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني ودليل كونها ثلاث سنين ما فى تاريخ الإمام أحمد عن الشعبي أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوءة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوءته إسرافيل ثلاث سنين وكان ياتيه بالكلمة والشيء أي الأفعال والآداب

التى يعلمها له، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه لأن إنزال الكتب الإلهية من خصائص جبريل، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوءته جبريل عليه السلام فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة اهـ.

وما ذكر من أن أول ما أنزل عليه إقرأ، هو الصواب وهو الذى عليه الجماهير من الخلف والسلف كما قاله النووي، وأما ما روي أن أول ما نزل مطلقا أول سورة يا أيها المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل، وإنما أنزلت يا أيها المدثر بعد فترة الوحي، وقوله حزن بكسر الزاي وجزم عياض بأن هذا من قول معمر وخالفه السيوطي والقسطلاني تبعا للحافظ وقالوا هو شيخه الزهري، وقوله غدا بغين معجمة من الذهاب غدوة وبمهملة من العدو وهو الذهاب بسرعة ويتردى يسقط وشواهق الجبال طوالها وأوفى بفتح الهمزة والفاء وسكون الواو أشرف، والذروة بكسر الذال المعجمة وتفتح وتضم وإلقاؤه لنفسه للإشفاق أن تكون الفترة لسبب منه، فخشي أن تكون عقوبة من ربه، ففعل ذلك ولم يرد بعد شرع بالنهي عنه فيعترض به وجأشه بجيم فهمزة ساكنة فشين معجمة أي إضطراب قلبه وتقر بفتح الفوقية والقاف والعطف تفسيري، قال القاضى عياض وابتدأ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوءة بغتة فلا تحملها قوى البشر، فبدأ بأوائل خصال النبوءة وتباشير الكرامة من المرائى الصادقة الصالحة الدالة على ما يؤول إليه أمره.

تنبيه:

قال غير واحد لم يبعث نبي إلا بعد أربعين سنة، لأنها سن كمال القوة والعقل، قال الزرقاني وهذا الحصر شامل لجميع الأنبياء حتى يحيى وعيسى وهو الصحيح، ففي زاد المعاد ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، لا يعرف به أثر متصل يجب الرجوع إليه. قال أبو شامة وهو كما قال والمصرح به فى الأحاديث النبوية أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين، ففى الطبراني بسند رجاله ثقاة أنه صلى الله عليه

وسلم قال فى مرضه الذى توفي فيه لفاطمة إن جبريل كان يعارضني القرآن فى كل عام مرة، وإنه عارضني بالقرآن العام مرتين وأخبرني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف الذى قبله وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش مائة وعشرين سنة، ولا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين اهـ. وجزم السيوطي بأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين اهـ.

(فقام يدعو الإنس والجن إلى توحيد رب العالمين مرسلا)

أشعرت الفاء بالفورية، وقام بمعنى شرع والتوحيد إفراد الإله بالعبادة واعتقاد أنه واحد فى ذاته، فليست ذاته مركبة من الأجزاء ولا ذات تماثلها، وواحد فى صفاته، فلا صفة تماثل صفته تعالى وواحد فى أفعاله، فلا فعل لشيء سواه، فهو الخالق لجميع المخلوقات وأفعالها، والرب المالك، والعالمين جميع الخلائق، ومرسلا حال من الضمير فى قام، يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما أتاه جبريل عليه السلام بأنه مرسل إلى كافة الثقلين لم يتوانى فى دعائهم إلى ما أرسل به طرفة عين، بل شرع يدعو الثقلين وهما الإنس والجن إلى توحيد الله تعالى، حال كونه مرسلا إليهم من الله تعالى قال اليوسي فى حواشي الكبرى لا نزاع بين المسلمين أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الثقلين جميعا الإنس والجن، مؤمنها وكافرها، عربيها وعجميها، جاهليها وكتابيها، والدليل على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الكلّ أنه صلى الله عليه وسلم ادعى ذلك، وقال إنه خاتم النبيئين وأقام على ذلك المعجزات فوجب تصديقه فى كل ما قال، والقرآن الذي هو أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم مفصح بذلك، قال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس، {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} ليظهره على الدين كله، هذا فى حق الإنس وأما الجن فقال تعالى: {قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن} (الآية). وقال: {وإذ صرفنا إليك نفر من الجن} (الآية). وقد قيل إن لفظ الناس يشملهم. الجوهري: الناس يكون من الإنس والجن، وقال ابن عقيل الجن داخلون فى مسمى الناس لغة، وقال صاحب أحكام الجان لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى أنه صلى

الله عليه وسلم مرسل إلى الإنس والجن وفى الحديث: «بعثت إلى الأحمر والأسود».. قيل المراد الإنس والجن، وأما الملائكة فقيل إنه مبعوث إليهم وصححه السبكي والسيوطي، وقيل لم يبعث إليهم، وبه قال البيهقي والحليمي والعراقي والنسفي والفخر، وغيرهم وحكى بعضهم عليه الإجماع، وذهب قوم إلى أنه مرسل إلى جميع الأنبياء وأممهم السابقة وأن قوله صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الخلق كافة شامل لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة وحكاه السيوطي عن السبكي قال ورجحه المازري، وقال السيوطي إنه مرسل إلى حور الجنة وولدانها. اهـ المراد من اليوسي.

وما مرّ من قوله قيل المراد الإنس والجن وقيل المراد بالأحمر والأسود العرب والعجم، وهو الذي اقتصر عليه فى شرح الشفاء.

(مـــؤيدا) حال بعد حال وهو بصيغة اسم المفعول أي مقوا هو أي الرسول صلى الله عليه وسلم على دعواه الرسالة أي مصدقا، **(منه)** أي من الله تعالى، **(بما)** أي بالذي، **(أعيى البشر إحصاؤه)** يقال أعيى السير البعير إذا أكله والبشر محركة الإنسان ذكرا أو أنثى واحدا أو جمعا، والإحصاء العد، يقول قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الثقلين إلى توحيد الله تعالى حال كونه مقوا من الله تعالى بما أكل بني آدم عده **(من معجزات)** تبيين لما، **(كالمطر)** الغيث **(نفعا)** منصوب بنزع الخافض أي مثل الغيث فى الانتفاع والنفع إيصال الخير ودفع الضر **(وكثرة)** عطف على ما قبله **(وكالسراج نورا ورفعة)** السراج هنا الشمس والنور الضياء، والرفعة بكسر الراء العلو **(مع ابتهاج)** أي حسن وجمال ومراد الناظم تشبيه معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر فى الكثرة والإنتفاع به، ولا شك أن الانتفاع بالمعجزة أعظم بكثير من الإنتفاع بالمطر بل لا مناسبة بينهما لأن المعجزة هي دليل صدق الرسول فهي سبب الإيمان به الذى يحصل به فى هذه الدار الأمان والعصمة للأموال والأبدان، وفى الآخرة النجاة من النيران والفوز بفراديس الجنان، ومحاسن الحور والولدان، بفضل الكريم المنان، وتشبيهها أيضا بالشمس

فى الضياء والعلو والحسن، ولا شك أن معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه أرفع من الشمس وأنور وأحسن منها وأظهر، وكيف لا ومنها وهو أعظمها القرآن الذى عجز عن معارضته جميع البلغاء والفصحاء مع كثرتهم كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء، وأقر جميع العقلاء بأنه أحسن من جميع الكلام وأنهم لم يقدروا على الإتيان بمثله فى نثر ولا نظام، والمعجزة فى الأصل اسم فاعل من الإعجاز وهي لفظ أطلق على الآية الدالة على صدق الرسول والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الإسمية أو للمبالغة كعلامة قاله اليوسي وهي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي الرسالة مقارن لدعوى الرسالة، متحدى به قبل وقوعه، غير مكذب ولا يقدر أحد على معارضته، قال السنوسي وعبر بأمر دون فعل لشموله للفعل كنبع الماء وعدمه، كعدم إحراق النار وخرّج بالخارق للعادة الموافق لها وبالجارى على يد مدعى الرسالة الكرامة، لأنها على يد مدعى الولاية واحترز به أيضا من أن يتخذ الكاذب معجزة نبي قبله معجزة له هو إذ لم تظهر على يده، واحترز بقوله متحدى به إلخ.. عن الخوارق الواقعة قبل البعثة إرهاصا بكسر الهمزة، أي تأسيسا للنبوءة مصدر أرهص الحائط، جعل له رهصا أي أساسا كما فى اليوسي وذلك كشق الصدر وإظلال الغمامة الواقعين له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وأصل التحدى طلب المعارضة، يقال تحديت فلانا إذا نازعته الغلبة، وأصله من المباراة فى الحداء وهو هنا كما قال السنوسي عبارة عن قول الرسول آية صدقى أن يكون كذا.. وليس من شرط التحدى أن يقول ولا ياتى أحد بمثل ما جئت به، لكن لابد من عدم صدور المعارضة ممن يبغيها، وقال الهيثمي أن قيد التحدى إنما يخرج ما قبل البعثة ولا يخرج المتأخر عنه ولا يخرجه عن المقارنة العرفية لأنه يلزم عليه إخراج أكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم، كنطق الحصى ونبع الماء وحنين الجذع مع ان اصطلاح السلف ومنهم الإمام أحمد على إطلاق المعجزة على كل خارق ليس بسحر، اهـ كلامه.

ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث دعا الناس إلى الإيمان فكان

أول الناس إيمانا خديجة كما مرّ وحكى ابن عبد البرّ والثعلبي والسهيلي عليه الاتفاق. وقال ابن الأثير لم يتقدمها رجل ولا إمرأة بإجماع المسلمين، فآمن بعدها صديق هذه الأمة أبو بكر واسمه عبد الله بن عثمان أبي قحافة، وكان أبو بكر يسمى أيضا عتيقا، إما لحسنه أو لسبقه إلى الإسلام، أو لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار أو لأن أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم إن هذا عتيقك من الموت، لأنه كان لا يعيش لها ولد وكونه أول من آمن بعدها قاله ابن عباس واستشهد بقول حسان رضي الله عن جميعهم:

إذا تذكرت شجوى من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها إلى النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرسلا

ووافقهما على ذلك الأخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء فتحتية ساكنة واسم الأخنس أبي وهو ثقفي حليف لبني زهرة صحابي من مسلمة الفتح وشهد حنينا وأعطي مع المؤلفة وتوفي أول خلافة عمر، ذكره الطبري وابن شاهين، ووافقتهم أسماء بنت أبي بكر وإبراهيم النخعي وابن الماجشونَ وقيل أسلم قبله وبعد خديجة علي قاله أبو ذر وسلمان وجابر وأبو سعيد الخدري بضم المعجمة وقتادة وقطع به ابن اسحاق ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن مسلم الزهري وحكاه العراقي عن أكثر العلماء، وقال الحاكم لا أعلم فيه خلافا بين أصحاب التواريخ، قال والصحيح عند الجماعة أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال البالغين ثم زيد بن حارثة ثم عثمان بن عفان والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله أسلموا بدعاء أبي بكر فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة والأرقم بن أبى الأرقم المخزوميان رضي الله عن جميعهم. ولبعضهم:

أول الناس بالنبي اقتداء أم أولاده الكرام الجدود
فعلي ثم ابن حارثة الكلـ ـبي زيد مولى النبي المجيد

ثم إذ آمن العتيق دعى الناس فجاءت عصابة كالفريد
وهي عثمان والزبير وسعد وابن عوف وطلحة بن عبيد

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به ثم ان الله تعالى أمر رسوله أن يصدع بما أمر به أي يظهره فصدع بما أمره به وكان إظهاره لأمره بعد ثلاث سنين من مبعثه فيما يقال، ومع ذلك لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه بل كانوا إذا مرّ عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب، يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى عاب آلهتهم وعبادتهم لها، وكان ذلك سنة أربع من النبوءة فأجمعوا على خلافه وصمموا على عداوته، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وحدب عليه بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أي عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه ومنعه منهم فاشتد الأمر بينهم حتى تضاربوا بالفعل كما جاء أن سعد بن أبي وقاص كان في نفر من قريش يصلون في بعض شعاب مكة فظهر عليهم نفر من المشركين فعابوا صنعهم حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه فكان أول دم أريق في سبيل الله، وتذامرت قريش أي حض بعضهم بعضا على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وبني هاشم ما عدى أبا لهب، وببني المطلب بن عبد مناف إذ طلب منهم أبو طالب ذلك، **(ومع ذا)** الذي رأوا منه صلى الله عليه وسلم من الآيات الدالة على صدقه، **(حاصره)** قال في القاموس حصره وحاصره حبسه وحصار العدو معروف اهـ.. **(الفجار)** جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي يعني كفار من حاصره من قريش ولا معصية أعظم من الكفر **(كما أتت بذلك)** الحصار **(الأخبار)** أي الروايات، وسبب الحصار أنه لما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وبإسلام عمر بن الخطاب وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الإسلام في القبائل قالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وأجمعوا أن يقتلوه صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك أبا طالب وبني هاشم وبني أخيه المطلب فأمرهم أبو طالب فأدخلوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى شعب بنى هاشم وكان منزل بنى هاشم غير مساكنهم وكان لهاشم فقسمه عبد المطلب بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حظ أبيه ومنعوه صلى الله عليه وسلم حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك إئتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم بفتح حرف المضارعة أي لا يتزوجوا منهم، فإلى بمعنى من ولا ينكحوهم بضمها أي لا يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله للقتل وكتبوه فى صحيفتهم بخط منصور بن عكرمة، قال ابن إسحاق فشلت يده على ما يزعمون، قال فى النور والظاهر هلاكه على كفره، وقيل بخط بغيض بفتح الموحدة فمعجمتين بينهما تحتية ابن عامر ابن هاشم ابن عبد مناف ابن عبد الدار ابن قصي فشلت يده، والظاهر أنه لم يسلم وهو بغيض كاسمه، وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوءة وقيل سنة ثمان، وكان كتبها بخيف بنى كنانة كما فى الصحيح وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه فى شعبهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن دينا والكافر حمية إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا قاله ابن إسحاق، وأو تحتمل الشك والإشارة إلى قول، وجزم موسى بن عقبة بأنها ثلاث سنين، وقال بن سعد سنتين حتى جهدوا لقطع الميرة عنهم وكان لا يصل شيئ إليهم إلا سرّاً ولا يخرجون إلا من موسم إلى موسم وكان يصلهم حكيم بن حزام وهشام بن عمرو العامري وهو أوصلهم لبنى هاشم وكان أبو طالب مدة إقامتهم فى الشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فياتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة، فإن نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه فاضجع على فراش المصطفى وأمره أن ياتى بعض فرشهم فيرقد عليها. ثم فى السنة العاشرة أو التاسعة قام فى نقض الصحيفة خمسة رجال وأشدهم فى نقضها هشام بن عمرو بن الحارث العامري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه

وكان يصلهم في الشعب، أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاما، فعلمت قريش فكلموه فقال إني غير عائد إلى شيء خالفكم، ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهل رحمه، أما أني أحلف بالله لو فعل مثل ما فعل لكان أحسن بنا، فمشى هشام إلى زهير بن أبي أمية رضي الله تعالى عنه أسلم بعد، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أتاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت؟ فقال ويحك يا هشام ما أصنع، فإنما أنا رجل واحد!؟ والله لو كان معي رجل واحد لقمت في نقضها. فقال أنا معك. فقال ابغنا ثالثا. ومشيا إلى المطعم بن عدي فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد؟ فقال إنما أنا واحد. فقالا إنا معك. فقال ابغنا رابعا، فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال ابغنا خامسا، فذهب إلي زمعة بن الأسود فقعدوا ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا على ذلك، فلما جلسوا في الحجر تكلموا في ذلك وانكروه، فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل، وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة ومزقوها وأبطلوا حكمها وروي أنه عليه الصلاة والسلام أطلعه الله على أن الأرضة أكلت ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا أسماء الله فقط، وروي أنها لم تدع إسما لله إلا أكلته وبقي ما عداه، قال البرهان وهو أثبت.

وعلى تقدير تساوي الروايتين يجمع بأنهم كتبوا نسختين فأبقت في إحداهما ذكر الله وفي الأخرى ما عداه لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم، وروي انه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك أبا طالب قال له أربك أخبرك بهذا قال نعم. فانطلق في نفر من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر ذلك قريش وظنوا أنهم قد خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال أبو طالب جرت بيننا أمور لم تذكر في صحيفتكم فاتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح وإنما قال ذلك خشية أن ينظروها قبل أن ياتوا بها، فاتوا بها معجبين لا يشكون أنه صلى الله عليه وسلم يدفع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا

لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال إنما أتيتكم لأمر هو نصف بيننا وبينكم، إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى إن الله بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك لله اسما إلا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان كما قال فأفيقوا. فلا والله لا نسلموه حتى نموت عن آخرنا وإن كان باطلا دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم. فقالوا رضينا. فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم، فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا. والجمع بين هذا وبين ما مرّ من سعي رجال فى نقضها أنهم لما جلسوا فى الحجر وتكلموا وافق قدوم أبى طالب وقومه بهذا الخبر، فزادهم رغبة فيما هم فيه انظر الزرقاني.

وروي أن أبا طالب لما رأى من قومه ما يسره من حدبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ويذكر مكانه ليشتد رأيهم فقال:

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها يوم كل كريهة ... ونضرب عن أحسابها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما ... بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

وروي أن قريشا لما علموا أنه لا يسلمه إليهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد ليتخذه ولدا ويسلم إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، فقال لهم والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه!؟ هذا والله ما لا يكون أبدا! وقال حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم وهذا تعليق لهم على ما لا يقع لأنها لا تحن إلى غيره مع كونها عجماء، فأولى أنا مع أني ذو لب ومعرفة. وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم … حتى أوسد فى التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة … وابشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحى … ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وعرضت دينا لا محالة أنه … من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة … لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

قوله سرها السرّ لب كل شيء ومحض النسب أفضله والصميم الخالص والأروم بالفتح ويضم الأصل قاله فى القاموس، وقوله فاصدع أي أجهر بالشيء الذى أمرت بتبليغه والغضاضة بفتح الغين وضادين معجمات الذلة، وابشر بحذف الهمز للضرورة وأصله القطع نحو وأبشروا بالجنة، وقر إلخ.. من قرت عينه، سكنت وبردت، وعيونا تمييز ولغة نجد كسر القاف وبهما قرئ وقرى عينا ودعوتنى طلبت منى الدخول فى دينك، ولا محالة بفتح الميم لا حيلة، أو دفع، والسبة بضم السين العار، وقال أبو طالب لما رأى تمالؤ قريش عليهم:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم … وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد جاهرونا بالعداوة والأذى … وقد طاوعوا أمر العدو المزائل

وقد حالفوا قوما علينا أظنة … يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة … وأبيض عضب من تراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى … وأمسكت من أثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجه … لدى حيث يقضي حلفه كل نافل

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم … بمفض السيول من أساف ونائل

موسمة الأعضاد أو قصراتها … مخيسة بين السديس وبازل

ترى الودع فيها والرخام وزينة … بأعناقها معقودة كالعثاكل

أعوذ برب الناس من كل طاعن … علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة … ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه … وراق لبر فى حراء ونازل

وبالبيت حق البيت فى بطن مكة … وبالله إن الله ليس بغافل

وبالحجر الأسود إذ يمسحونه … إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة … على قدميه حافيا غير ناعل

ومن حج بيت الله من كل راكب ... ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها ... يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
كذبتم وبيت الله، نبزى محمدا ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وما ترك قومي لا أبا لك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... عقوبة شر عاجلا غير آجل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وآل قصي في الخطوب الأوائل
فعبد مناف أنتمُ خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل
لعمري لقد وهنتموا وعجزتموا ... وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل

قال الزرقاني وما أحلى قوله في آخرها:

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد ... وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة ... تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها صورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

العرى: العهود، والوسائل: القرابات، والمزائل: المفارق، والواغل: الضعيف النذل، والمدعي نسبا: كاذبا والداخل على القوم، والملح: اسم فاعل من ألح إذا واظب، وثور بمثلة مفتوحة جبل وثبير بفتح المثلثة فموحدة مكسورة فتحتية فراء، والراقي: الصاعد، والبر بكسر الموحدة الطاعة، وهذه النسخة هي الصواب. وأما رواية ابن هشام ليرقى من

الرقي فقال السهيلي هو وهم منه أو من شيخه، وفى الشامية انه تصحيف ضعيف المعنى، فمعلوم أن الراقي يرقى ونبزى بضم النون وسكون الموحدة وفتح الزاء أي نقهر ونسلب، ومحمدا بالنصب كذا ضبطه الشامي لكن فى النهاية أنه بالتحتية بدل النون ورفع محمد على أنه نائب فاعل يبزى أي لا يبزى أي لا يقهر، فحذف لا من جواب القسم، ونناضل نجادل ونخاصم، وقال الشامي ترامي بالسهام والذمار والذمار بكسر الذال المعجمة ما يحق على الإنسان حمايته، والذرب بذال معجمة وموحدة على زنة كتف سكنت راؤه تخفيفا وهو الحاد والمواكل المتكل على غيره، وقوله وأبيض مجرور برب كما صدّر به الحافظ كالكرماني والسيوطي وجزم به فى المغنى أو منصوب قال الحافظ بإضمار أعني وأخص، قال والراجح أنه بالنصب معطوف على سيد المنصوب فى البيت قبله اهـ. وبه قطع الدماميني فى مصابيحه واستظهره فى شرح المغنى. أو، مرفوع خبر مبتدء محذوف وقاله الكرماني وأفاده القسطلاني عن ضبط اليونيفي فى نسخته من البخاري، ويستسقى إلخ.. أي يطلب السقي من الغمام بوجهه، أي يتوسل إلى الله به، وقوله يلوذ به إلخ.. أي وإذا التجأ بنو هاشم فغيرهم أولى، والفواضل الأيادي الجسيمة أو الجميلة وعطفه على النعمة عطف خاص على عام لشمول النعمة للعظيمة والدقيقة، والثمال بكسر المثلثة وتخفيف الميم الملجأ والغياث وقيل المطعم فى الشدة وتصح إرادتهما معا، وعصمة للأرامل أي يمنعهم من الضياع، والأرامل المساكين من رجال ونساء وهذه القصيدة قال القسطلاني فى شرح البخاري عدة أبياتها مائة بيت وعشرة أبيات وفى المزهري زاد الناس فى قصيدة أبي طالب هذه بحيث لا يدرى أين منتهاها اهـ من الزرقاني.

وفي الجوهري أبزا فلان بفلان: قهره وغلبه. وحدبت بكسر الدال أي عطفت، قاله فى محل آخر، اهـ. والسمراء الرمح، والسمحة اللينة، والعضب : القاطع، والمقاول: جمع مقول كمنبر، وهو من ينفذ قوله، والرتاج: ككتاب الباب، وأساف: كسحاب وكتاب صنم وضعه عمرو بن

لحي على الصفا ونائلة صنم على المروة ورخمه هنا، والقصرات: جمع قصرة بالتحريك وهي أصل العنق، والمخيسة: المذللة، والودع: ويحرك خرز بيض تخرج من البحر شقها كشق النواة تعلق لدفع العين والرخام: كغراب حجر أبيض رخو والعثاكل جمع عثكول أو عثكولة بضمهما أو عثكال كقرطاس وهو العنق أو الشمراخ، والكاشح العدو لأنه يضمر عداوته في كشحه، وقوله وبالحجر الأسود فيه حذف نون مفاعيل مثل ألا رب يوم لك منهن صالح، وصمدوا لها: قصدوها، والطائش: خفيف العقل، والسبة: بضم السين العار، والأرومة: وتضم الأصل، والسورة: بفتح السين الارتفاع، والمتطاول: المرتفع، والكلاكل: الصدر، قاله جامعه غفر الله له.

ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى عظيم حلمه مع قومه صلى الله عليه وسلم مع شدة إيذائهم له فقال:

(وكان قادرا على التدمير لو شاء لكن جاد بالتأخير
حتى هدى الله به من شاء منهم ومن أصلابهم أبناء)

التدمير: الإهلاك. يعني أنه صلى الله عليه وسلم لم يواخذ قومه في تكذيبهم له وحصارهم له وقطيعتهم وإيذائهم له ولأصحابه مع أنه أعطاه الله القدرة على إهلاكهم واستئصالهم أول مرة، لكنه صلى الله عليه وسلم لشدة حلمه ورأفته بهم وشفقته عليهم أخر الدعاء عليهم حتى آمن منهم من أراد الله إيمانه وآمن من أراد إيمانهم ممن خرج من أصلابهم فضمير شاء لله تعالى أي أراد، وضمير به للنبي صلى الله عليه وسلم وأشار بهذا إلى ما رواه الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم لمّا كذبه قريش أتاه جبريل أي تسلية له وتسكينا لتألمه فقال له إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك وقد أمر ملك الجبال أي بالانقياد لك لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت أي في قومك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا. وقوله أطبق بضم الهمزة وكسر الموحدة أي أوقع

وأرمي وجواب الشرط محذوف أي فعلت، وفي أصل الدلجي أطبقت لكنه مخالف للنسخ المصححة والأخشبان بخاء وشين معجمتين فموحدة تثنية الأخشب وهو الجبل الخشن، قيل وهما أبو قبيس وقعيقعان، أو الجبل الأحمر الذي أشرف على قعيقعان، وعن ابن وهب هما جبلان تحتهما عقبة منى فوق المسجد، وقوله لا يشرك به شيئا كالمؤكد لما قبله، وقد أمضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالخير اهـ من ابن سلطان.

وفي الشفا أيضا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فامرها بما شئت، فقال أوخر عن أمتى لعل الله أن يتوب عليهم، وقوله أوخر عن أمتي أي العذاب الذى استحقوه بكفرهم. ولما كسرت رباعيته وشج وجهه صلى الله عليه وسلم يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم، فقال إنى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون. وروي أن عمر بن الخطاب قال له بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال: {رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا} ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا: اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قال القاضى أبو الفضل رحمه الله أنظر ما فى هذا القول من جماع الفضائل وحسن الخلق وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم رحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم أغفر أو اهد، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله عليه السلام: لقومى، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون اهـ.

قال ابن سلطان وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجي وقال كل ذلك لكونهم رحمه إذ ما من بيت إلا وله قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع أمته ورباعية بفتح الراء بوزن ثمانية وهي بين الثنية والناب وفي سيرة ابن هشام أنها ثنيته السفلى

اليمنى وجارح شفته السفلى وكاسرها، والعياذ بالله تعالى، عتبة بن أبى وقاص فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي ولم يولد من نسله ولد فيبلغ الحلم إلا وهو أبخر أو اهتم فعرف ذلك فى عقبه اهـ.

والصحيح أنه لم يسلم وعده ابن منده فى الصحابة وأنكر ذلك أبو نعيم وفى المستدرك أنه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن أبى بلتعة فقال يا رسول الله من فعل بك هذا؟ فأشار إلى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله والذى جرح وجنته فى سيرة ابن هشام انه ابن قميئة لعنه الله. قال يعقوب بن عاصم فسلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله أو فألقاه من شاهق فمات. اهـ.

وروي ان الذي شج وجهه الشريف عبد الله بن شهاب الزهري وأسلم بعد ذلك اهـ من ابن سلطان.

(ثم أعز) الله بالنبي صلى الله عليه وسلم **(دينه)** الذي هو الإسلام أي قواه غاية التقوية **(ونصره)** أي أعانه ضمير الفاعل لله تعالى والمنصوب للنبي صلى الله عليه وسلم **(وأيد)** هو أي الله تعالى أي قوى الدين **(الحق)** أي الثابت فى نفس الأمر وهو الإسلام **(به)** أي بالنبي صلى الله عليه وسلم **(وأظهره)** أي أعلاه على سائر الأديان كلها **(وأبطل)** أي أذهب **(الباطل)** وهو الكفر بهذا، فسروا قوله تعالى ويبطل الباطل **(والأعداء كبتا)** قوله الأعداءا مفعول بفعل محذوف ناصب للمصدر الذى هو كبتا أي وكبت الأعداء كبتا والأعداء الكفار وكبت العدو كضرب رده بغيظه وأذله كما فى القاموس **(وخزيا)** الخزي بالكسر الفضيحة وهو منصوب بمحذوف أي أخزاهم خزيا أي فضحهم ويقال أيضا خزاه خزوا بالواو قهره كما فى القاموس **(لهم جزاء)** قوله جزاء مفعول مطلق أو مفعول لأجله ولهم متعلق به أي وكبت الأعداء وأخزاهم لأجل المجازاة أي المكافأة لهم على فعلهم وهو الكفر.

(وأمد الحصار فى الشعب على حولين أربى لا ثلاثا وصلا)

قوله أمد مبتدء وخبره قوله أربى والأمد، هنا، الزمان فهو كقوله

تعالى: {فطال عليهم الأمد} قال الخازن أي الزمان، ونحوه للنسفي والشعب بالكسر الطريق فى الجبل أو ما انفرج بين الجبلين يعنى أن زمن حصار قريش لبنى هاشم يزيد على سنتين ولا يبلغ ثلاث سنين على ما للناظم والذى فى المواهب وشرحها أنهم قاموا على حصاره سنتين أو ثلاثا على ما قاله ابن إسحاق، قال الزرقاني وأو يحتمل الشك والإشارة إلى قول وجزم موسى بن عقبة بأن مدته ثلاث سنين وقال ابن سعد إنها سنتان اهـ..

(وعندما انقضى الحصار عمره تسعا وأربعين كان قدره)

يعنى أن عمره صلى الله عليه وسلم وقت خروجهم من الشعب الذى كانوا فيه زمن الحصار تسع وأربعون سنة وفى الإستيعاب خرجوا من الشعب فى أول سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعد خروجهم بستة أشهر انتهي.

وفي المواهب وكان ذلك يعنى انقضاء الحصار في السنة العاشرة قال الزرقاني من النبوءة بناء على ما صدّر به فيما مرّ أن إقامتهم بالشعب ثلاث سنين، أما على قول ابن سعد سنتين فيكون فى التاسعة والله أعلم اهـ كلامه.

وفي المواهب ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما مات عمه أبو طالب وقيل مات فى شوال من السنة العاشرة انتهي.

وقوله مات عمه أبو طالب أي بعد خروجهم من الشعب فى ثانى عشر رمضان سنة عشر من النبوءة وقوله وقيل مات أي بعد ذلك بقليل فى شوال فقوله من السنة العاشرة متعلق بكل من القولين. وفى سيرة الحلبي أنه مات فى السنة العاشرة بعد خروجهم من الشعب بثمانية أشهر وعشرين يوما انظر الزرقاني ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات عمه أبو طالب وخديجة رضي الله عنها خرج إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف لما ناله من قريش بعد موت عمه أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا ولابن سعد عشرة أيام وجمع بأن

العشرة في نفس الطائف والعشرين فيما حولها يدعو أشراف ثقيف إلى الله، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمحابك من أرضك وأغرو به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه والعياذ بالله تعالى، وقعدوا صفين على طريقه فلما مرّ بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم إذا أزلقته بمعجمة وقاف أي آلمته الحجارة قعد فيأخذون بعضديه فيقيمونه لئلا يخف تعبه وليتمكنوا من رميه في المراق والمفاصل لأن ألمها أشد فإذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج زيد شجاجا في رأسه. وفي الصحيحين أن عائشة قالت له صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد؟ قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق ما أنا فيه إلا وأنا بقرن الثعالب فعرفت نفسي وإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت إليها فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وما ردوه عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني إليك ربك لتامرني بأمرك إن شئت أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

قوله لقيت من قومك: سقط المفعول في رواية مسلم وثبت في البخاري بلفظ لقيت من قومك ما لقيت وأبهمه تعظيما وقوله أشد بالرفع أو بالنصب واسم كان عائد على مقدر هو مفعول لقد لقيت، وقوله ما لقيت منهم أي من قومك قريش، إذ كانوا سببا لذهابي إلى ثقيف فهو من إضافة الشيء إلى سببه فلا يرد أن ثقيفا ليسوا من قومها والعقبة قال شيخنا لعل المراد بها هنا موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبدياليل وقوله ابن عبد ياليل ابن عبد كلال كذا في الحديث

والذى ذكره أهل المغازى أن الذي كلمه صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ وغيره، وعبد ياليل بتحتية بعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم لام بوزن هابيل قال ابن حبان له صحبة وقال غيره إنما هو ولده مسعود أختلف فيه وعبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عوف وهم سادة ثقيف ومسعود وحبيب أسلما بعد وصحبا كما جزم به فى الإصابة وكلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام بعد ألف وقرن الثعالب جبل هو ميقات أهل نجد انظر الزرقاني.

ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف مرّ فى طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فى حائط لهما من بساتين الطائف فلما رأيا ما لقي عليه السلام تحركت رحمهما فبعثا له قطف عنب مع غلامهما عدّاس، بفتح العين وشد الدال فألف فسين مهملات، النصراني، فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فى القطف قال بسم الله ثم أكل فنظر عدّاس إلى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك؟ قال نصراني من نينوى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال عدّاس وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال ذلك أخى وهو نبي مثلى، فأكب عدّاس على رأسه ويديه ورجليه يقبلهما وأسلم رضي الله عنه، فلما جاء لابني ربيعة قالا له ويلك ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه؟ فقال يا سيديّ بشد الياء مثنى ما فى الأرض شيء خير من هذا لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي قالا له ويحك لا يصرفك عن دينك فإنه خير من دينه. والقطف بكسر القاف العنقود ونينوى بكسر النون وسكون التحتية فنون مفتوحة على الأشهر وروي بضمها فواو مفتوحة فألف قال ياقوت ممالة، ومتى بفتح الميم وشد الفوقية مقصور اسم أبيه وفى تفسير عبد الرزاق انه اسم أمه ورده الحافظ اهـ. من المواهب وشرحها.

وإنما ذكرت هذه القصة هنا لأن قصة الجن التى ذكر المؤلف كانت فى

منصرفه من الطائف سنة عشر وهو صلى الله عليه وسلم ابن خمسين سنة كما قال:

(وبعدما أكمل خمسين سنه جن نصيبين أتته مذعنه)

قوله جن مبتدأ ونصيبين بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة مكسورة فتحتية ساكنة أيضا فنون: بلد مشهور ويجوز صرفه وتركه. وفي خبر أن جبريل رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم ورآها قال فسألت الله أن يعذب ماؤها ويطيب ثمارها ويكثر مطرها وهي في الجزيرة كما في مسلم ووهم من قال باليمن، قاله الزرقاني وخبر المبتدء قوله أتته ومذعنه بضم الميم وسكون الذال المعجمة وكسر العين فنون فهاء تأنيث حال اسم فاعل من أذعن له أي خضع وانقاد وأقر وأسرع في الطاعة كما في القاموس وقوله بعد معمول لأتته يعني أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فجاءه سبعة من جن نصيبين خاضعين له مقرين برسالته مسرعين في طاعته وذلك بعدما أتم صلى الله عليه وسلم خمسين سنة فوجدوه يصلي في جوف الليل فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن وقيل إقرأ وقيل الرحمن وجمع لأن إقرأ في الأولى والرحمن في الثانية والجن في الثالثة وكونهم سبعة هو الذى رواه الحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وإسناده جيد واسم أحدهم زوبعة وقيل كانوا تسعة وفي تفسير عبد بن حميد أن الجن من نينوى وقيل ثلاثة من نجران وأربعة من نصيبين وعن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل وهؤلاء الوفد هم المذكورون بقوله تعالى: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن} (الآية)، وسمى السهيلي في الروض عن ابن دريد منهم منشا بميم فنون فشين معجمة وناشئا ونون وشاصر بشين معجمة فألف فصاد فراء، وماضر بميم فألف فمعجمة والأحقب وذكر السهيلي أن واحدا منهم سرق وفي الإصابة أنه بضم السين وفتح الراء المشددة المهملتين وقاف، قال وضبطه العسكري بتخفيف الراء على وزن عمر وأنكر شدّ الراء وعن ابن عباس أنهم

تسعة سليط وشاصر وماضر وحسا ونسا وبجعم والأرقم والأدرس وخاصر وضبط فى الإصابة خاضرا بخاء وضاد معجمتين وآخره راء. اهـ.

وفي التجريد أن حديث هامة بن الهيم بن الأريقيس بن إبليس فى الجنة موضوع وروى ابن حبّان والحاكم مرفوعا الجن على ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حياة وعقارب وصنف يحلون ويظعنون اهـ.

وعن ابن عباس كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل المبعث النبوي فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابه منه فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده، وفى الصحيحين فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمن النفر جماعة أخذوا نحو تهامة فإذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه أي إبليس فقال هذا الحدث الذى حدث فى الأرض قال فى المواهب وحديث ابن عباس وحديث ابن مسعود هذا يقتضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة وبهذا جزم الدمياطي ثم بعد ذلك وفدوا عليه أرسالا فوجا بعد فوج اهـ.

قال الزرقاني عقبه كما تفيده الأحاديث ففى حديث أنهم كانوا على ستين راحلة وآخر ثلاث مائة وآخر خمسة عشر، وعن عكرمة اثني عشر ألفا فهذا الإختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه فالمتحصل من الأخبار أنهم وفدوا عليه لما خرجوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها لاستكشاف الخبر عن حراسة السماء بالشهب فوافوه صلى الله عليه وسلم بنخلة عامدا سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر فسمعوا القرآن وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا. فأنزل الله قل أوحي إليّ وما قرأ عليهم وما رآهم كما قاله ابن عباس فى الصحيحين وغيرهما وأخرى بنخلة

وهو عائد من الطائف، وأخرى بالحجون، وفى لفظ بأعلى مكة بالجبال لما أتاه داعي الجن فذهب معه وقرأ عليهم القرآن ورجع لأصحابه من جهة حراء وأخرى ببقيع الغرقد، وفى هاتين حضر ابن مسعود وخط عليه خطا بأمر المصطفى وأخرى خارج المدينة وحضرها الزبير وأخرى فى بعض أسفاره وحضرها بلال بن الحارث، وبهذا لا يبقي تعارض بين الأحاديث ويحصل الجمع بين نفي ابن عباس رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم وبينما أثبته غيره من رؤيته لهم والله أعلم ولا يشكل ما مرّ من حراسة الشهب عند المبعث بما روي من أن السماء حرست بمولده صلى الله عليه وسلم لجواز أن يبقي لهم بعض قدرة الإستماع كاللصّ فلما بعث زال ذلك بل قال السهيلي إنه بقي منه بقايا يسيرة بدليل وجوده نادرا فى بعض الأزمنة وبعض البلاد وقال البيضاوي لعل المراد منعهم من كثرة وقوعه انتهي من الزرقاني فى موضوعين.

وقوله يصلى الفجر، ولا يعارضه ما ذكر ابن إسحاق من أنه كان يصلي فى جوف الليل لأن الأول كان قبل عند المبعث لما منعوا من استراق السمع، نعم وقع لمن ساق القصة التى هنا وهو يصلي الفجر فإن صح فيكون أطلق على الفجر جوف الليل لاتصاله به أو ابتداء الصلاة فى الجوف فاستمر حتى دخل الفجر، والمراد بالفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس فسقط اعتراض البرهان بأن صلاة الفجر لم تكن فرضت اهـ.

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم أعلمته بهم سمرة وهي بفتح السين وضم الميم شجرة من شجر الطلح وفى الصحيح أنهم سألوه الزاد أي ما يفضل من طعام الإنس فقال: كل عظم ذكر اسم الله عليه هو زادكم يقع فى يد أحدكم أوفر ما كان لحما، ولأبى داوود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه، وجمع بينهما بأن رواية مسلم فى حق المؤمنين وهذه فى حق شياطينهم، قال السهيلي وهو صحيح تعضده الأحاديث، وكل بعر علف لدوابكم، زاد ابن سلام فى تفسيره إن البعر يعود خضرا، وسؤالهم الزاد كان فى قصة أخرى كما قال الدمياطي لا فى رجوعه من الطائف إذ

لم يشعر بهم صلى الله عليه وسلم حين استمعوه وفى هذا ردّ على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب، قال ابن العربي من نفى عن الجن الشرب والأكل فقد وقع فى إلحاد وعدم رشاد، بل الشيطان وجميع الجن يأكلون ويشربون وينكحون ويولد لهم وذلك جائز عقلا، وتظافرت به الأحاديث فلا يخرج عن هذا إلا حمار، ومن زعم أن أكلهم شم فما شم رائحة العلم اهـ من المواهب وشرحها.

وقال المحلي فى تفسير وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن جن نصيبين أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان وقال الثعالبي اختلف الرواة هل هؤلاء الجن هم الوفد أو المتجسسون والتحرير فى هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نفر من الجن دون أن يشعر بهم وهم المتجسسون المتفرقون من أجل رمي الشهب الذى حل بهم وهؤلاء هم المرادون بقوله قل أوحي إلي ثم بعد ذلك وفد عليه وفدهم حسب ما ورد من الآثار اهـ.

وفي الخازن بعد كلام طويل: وروي ان الجن لما رموا بالشهب بعث إبليس سرياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة ثم قال وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عزّ وجلّ نفرا من الجن وهم أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني؟ فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال ابن مسعود ولم يحضر معه أحد غيرى، قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك، فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم

وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر، فانطلق إلي فقال لي نمت فقلت لا. والله يا رسول الله لقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا، فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، اهـ المراد منه.

وفي الخازن أيضا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الإنس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وفي مسلمهم مبتدعة ومنهم من يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع اهـ.

نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف جلس في ظل حبلة بمهملة فموحدة مفتوحة قال السهيلي وسكونها ليس بالمعروف اشتق لها اسمها من الحبل لأنها تحبل بالعنب والحبلة الكرمة فلما اطمأن صلى الله عليه وسلم في ظلها دعا بالدعاء المشهور المعروف بدعاء الطائف كما نقله العلامة الزرقاني وها أنا أذكره إن شاء الله تعالى تبركا به ممزوجا ببعض كلام الزرقاني عليه وهو: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي بضم الضاد أرجح من فتحها وقلة حيلتي في مخلص أتوصل به إلى القيام بما كلفتني وهواني على الناس احتقارهم لي واستخفافهم بشأني، والشكوى إليه عزّ وجلّ لا تنافي أمره بالصبر في التنزيل لأن إعراضه عن الشكوى لغيره وجعلها له هو الصبر، والله تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ويحب من يشكو ما به إليه، يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين، وصف له تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر لنفسه ما يوجبها، وأنت رب المستضعفين، في ذكر لفظ رب والإضافة إليهم مزيد استعطاف فطوى في هذه الألفاظ نحو أن يقول فقوني واجعل لي المخلص وأعزني في الناس وعدل إلي الثناء لأن الكريم بالثناء يعطى المرام ولا أكرم منه سبحانه وتعالى، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد؟ وسقط لفظ بعيد في رواية الطبراني، يتجهمني، بتحتية ففوقية فجيم فهاء مشددة مفتوحات أي يلقاني

بالغلظة والوجه الكريه، ومن المجاز الدهر يتجهم الكرام، والاستفهام للاستعطاف بحذف الأداة أي أ تكلني إلى عدو بعيد أم إلى صديق قريب ملكته أمرى، جعلته مسلطا على إيذائى؟ أي لا تجعل لى ذلك إن لم تكن غضبانا علي فلا أبالى بما تصنع بى أعدائى، غير أن عافيتك هي السلامة من البلايا والأسقام، أوسع لى فيه، إن الدعاء بالعافية مطلوب، وهكذا عادة الأنبياء إنما يسألون بعد البلاء عنهم، أعوذ بنور وجهك أي ذاتك زاد الطبراني الكريم أي الشريف النافع الدائم نفعه الذى أضاءت له السماوات والأرض وأشرقت بالبناء للفاعل أي أضاءت له الظلمات أي أزيلت وصلح بفتح اللام وتضم استقام عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بكسر الحاء وضمها بى سخطك ولك العتبى بضم العين وألف مقصورة أي أطلب رضاك حتى ترضى فى النهاية، استعتب: طلب أن يرضى عنه، ولا حول ولا قوة إلا بك اهـ.

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة فى جوار المطعم بن عدي بعد أن أقام بنخلة أياما وقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك؟ فقال يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه، ثم انتهى إلى حراء وبعث عبد الله بن الأريقط إلى الأخنس بن شريف ليجيره، فقال أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال إنا بنى عامر لا نجير على بنى كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه فدخل صلى الله عليه وسلم فبات عنده، فلما أصبح تسلح هو وبنوه وهم ستة أو سبعة فقالوا له صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف فقال أبو سفيان للمطعم أمجير أم تابع، قال بل مجير، قال إذا لا تخفر قد أجرنا من أجرت، فقضى صلى الله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه إلى منزله.

(وبعد واحد مع الخمسينا وأشهر مضت له يقينا
شرفه الرحمن بالإسراء وبعروجه إلى السماء)

يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما مضت من عمره المبارك إحدى

وخمسون سنة وأشهر هي تسعة على ما لليعمري شرفه الله تعالى بالإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، وصلى فيه بالنبيئين إماما لهم ثم عرج به إلى السماء فأم الأنبياء أيضا كما في الشفاء ثم ارتقى حتى جاوز سدرة المنتهى وبلغ إلى موضع لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولما وصل معه جبريل سدرة المنتهى قال له ها أنت وربك هذا مقامي لا أتعداه. وقوله هذا مقامي بفتح الميم أي موضعي المشار إليه بقوله تعالى: {وما منا إلا له مقام معلوم} وهو سدرة المنتهى التي لم يتجاوزها أحد إلا نبينا صلى الله عليه وسلم، قاله النووي، قاله الزرقاني وما ذكره الناظم ذكره ابن سلطان في آخر ما ذكر من الأقوال مضعفا له فإنه قال بعد قول الشفا وقد قال غير واحد إنها، يعني قصة الإسراء كانت قبل الهجرة بسنة ما نصه، ذكر النووي أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الإسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكي الذي نختاره ما قاله شيخنا أبو محمد الدمياطي أنه قبل الهجرة بسنة وهو في ربيع الأول اهـ.

وروى السيد جمال الدين أنه كان في سبعة وعشرين من رجب على وفق ما هم عليه في الحرمين الشريفين من العمل، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في رمضان، وقيل في شوال، وقيل في ذي الحجة، لأن كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما اهـ. منه.

وقال القاضي أبو الفضل عياض في الشفا: لا خلاف بين أئمة المسلمين في صحة الإسراء به، عليه السلام، إذ هو نص القرآن، قال تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} وقال: {والنجم إذا هوى} إلى قوله {لقد رأى من آيات ربه الكبرى}، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديث كثيرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها ثم ذكر حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أتيت بيت

المقدس فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل. قيل من معك؟ قال محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء عليهما السلام، فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير، قال الله تعالى: {ورفعناه مكانا عليا}، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله، فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله، فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم، قال فرجعت إلى ربى قلت يا رب خفف عن أمتى، فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى، فقلت حط عنى خمسا، فقال إن أمتك لا يطيقون فارجع إلى

ربك فاسأله التخفيف، قال فلم أزل أرجع بين ربي وموسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها فلم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال فنزلت حتى أتيت موسى فأخبرته، فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه. وفي حديث ابن شهاب قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له: والابن الصالح. وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنه حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام اهـ.

والإسراء مصدر أسرى؛ يقال سرى وأسرى إذا سار ليلا قال أهل الإشارة وهم المحققون من الصوفية والحكمة في تخصيص الإسراء بالليل أنه تعالي لما محى آية الليل أي طمس نورها لتسكن فيه والإضافة بيانية وجعل آية النهار مبصرة أي مبصرا فيها انكسر الليل فجبر بأن أسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أعظم الجبر، وقد افتخر النهار بالشمس فقيل لا تفخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود في الليل إلى السماء، وقيل لأنه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج إنما يحصل الإنتفاع به بإيقاده ليلا، وفي ذلك المعنى قيل:

قلت يا سيدي فلم توثر الـ	ـليل على بهجة النهار المنير
قلت لا أستطيع تغيير وسم	هكذا الوسم في طلوع البدور
إنما زرت في الظلام لكي ما	يشرق الليل من أشعة نوري

ومعنى الأبيات أنه سأله محبوبه عن حكمة زيارته ليلا دون النهار فقال أنا بدر وهو إنما يظهر أثره ليلا ولا يستطيع تغيير ذلك الأثر، وإن في زيارته ليلا فائدة تظهر لو زار نهارا وهي إشراق الليل بنوره، اهـ - من الزرقاني.

وظاهر الآية ان ابتداء الإسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا أنا

فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أتانى جبريل بالبراق أو من الحرم كما قال صاحب البردة: سريت من حرم ليلا، وسماه مسجدا لإحاطته به، ولحديث أنه كان فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ويمكن الجمع بينهما بأنه كان فى بيت أم هانئ فرجع إلى المسجد وأتى الحجر وإنما وصف المسجد بالأقصى لبعده من المسجد الحرام، والمراد بالبركة حوله، بركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى إلى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالأنهار والأشجار والأزهار والأثمار وقوله والنجم أي الثرياء أو نجوم السماء أو الرجوم منها وهوى غرب أو طلع أو انقض قاله ابن سلطان والبراق مأخوذ من البرق لسرعته أو من البريق وليس بذكر ولا أنثى قاله الهيثمي فى المنح وقال ابن سلطان هو بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق وقوله دابة أي مركوب أبيض وقوله بيت المقدس لأنه فيه يتقدس من الذنوب والحلقة بإسكان اللام وفتحها ويربط بضم الموحدة وكسرها مفعوله محذوف أي دوابهم عند باب المسجد، كما صرح به صاحب التحرير، وللترمذي أنه صلى الله عليه وسلم حين انتهى إلى بيت المقدس أشار جبريل إلى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ثم فى ربطها دليل على أن الإيمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك والحذر ومنه قوله عليه السلام أعقل وتوكل، وقد قال وهب بن منبه كذا وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله وقوله اخترت الفطرة أي علامة الإسلام والإستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور فى الحلق، سليم العاقبة، وقوله ابني الخالة لأن أم يحيى إيشاع اخت حنة أم مريم، وقوله شطر الحسن أي نصفه أو بعضه والمراد بالحسن جنسه أو حسن حواء أو حسن سارة أو حسن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله إدريس هو سبط شيث وجد والد نوح أول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم، وقوله مكانا عليا هو شرف النبوءة ومقام القربة، وعن الحسن هو الجنة إذ قال لملك الموت اذقنى الموت ليهون عليّ ففعل فإذن الله تعالى ثم حييّ فقال له ادخلنى

النار أزدد رهبة ففعل ثم قال له أدخلني الجنة أزدد رغبة ففعل، ثم قال ملك الموت له أخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج، فقال الله تعالى بإذني دخل دعه وقيل هو في السماء الرابعة لهذا الحديث وقوله البيت المعمور روي عن عليّ كرم الله وجهه: البيت المعمور في السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء فألف من الضراحة بمعنى المقابلة إذ هو مقابل للكعبة وسدرة المنتهى أي ينتهي علم الخلائق عندها، والفيّلة بكسر الفاء وفتح التحتية جمع فيل والقلال بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قُلة لأنها تقل أي تُرفع وليست بهجر التي من توابع البحرين، وقوله فرجعت إلى ربي: إلى الموضع الذي ناجيته فيه أولا، وقوله فتلك خمسون أي بحسب المضاعفة واعلم ان الصلوات الخمس فرضت في مكة اتفاقا، وكذا الزكاة مطلقا وأما تفاصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها، قال جميعه ابن سلطان وقوله حتى ظهرت بمستوى أي صعدت في مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على، وقوله أسمع فيه صريف الأقلام أي صوت حركتها وجريانها على الخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه، وينسخ من اللوح المحفوظ وفي نسخة صرير براءين قاله أيضا والمراد بالحلقة المارة، حلقة باب مسجد بيت المقدس، وجمع بينه وبين ما مرّ من أن جبريل خرق الصخرة يعني صخرة بيت المقدس فشد بها البراق فإنه صلى الله عليه وسلم ربطه أولا بالحلقة تأدبا واتباعا للأنبياء فأخذه جبريل وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها، كأنه يقول له أنت لست ممن يكون مركوبه بالباب بل أنت أعلى وأغلى، فلا يكون مركوبك إلا في داخل المحل، قاله الزرقاني. وقال في قوله: اخترت الفطرة، قال ابن دحية الفطرة تطلق على الإسلام كخبر كل مولود يولد على الفطرة وعلى أصل الخلقة نحو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وقول جبريل اخترت الفطرة أي الذي عليه بنيت الخلقة، وبه نبت اللحم

ونشر العظم، وقال النووي المراد بالفطرة هنا: الإسلام. قال ومعناه اخترت علامة الإسلام وجعله علامة الإسلام لكونه سهلا طيبا إلى آخر ما مرّ عن ابن سلطان، وروى أبو سعد فى هذه القصة: فكان الذى أمسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل، قال الزرقاني ولا ينافى ذلك أن جبريل كان راكبا معه كما يأتي، لأنه أمسك ركابه حتى ركب فركب أمامه، نعم يعارضه رواية: وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره رواه سعيد بن منصور والطبراني فإنه ظاهر فى عدم الركوب إلا أن يكون ذلك إخبارا عن مبدإ مسراه ثم ركب جبريل قدامه رفقا به والله أعلم.

وفي رواية عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم أوتي بالبراق مسرجا ملجما، فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا؟ ما ركبك خلق أكرم على الله منه. قال فارفض عرقا اهـ.

وكان البراق معدا لركوب الأنبياء فليس ركوبه من خصائصه صلى الله عليه وسلم، نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأجيب عن استصعابه بأنه لبعد عهده بالركوب ويحتمل أن يكون استصعابه تيها، بكسر التاء وسكون التحتية أي تكبرا بركوبه صلى الله عليه وسلم وأراد جبريل بقوله أبمحمد تستصعب؟ استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة وإنما تاه زهوا أي تكبرا أي فخرا لمكان الرسول عليه السلام ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه أجاب بلسان الحال متبرئا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل وهو أحد حين صعده هو وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال اثبت أحدٌ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان، فإنها هزة الطرب لا هزة الغضب اهـ من المواهب وشرحها.

تنبيهات:

الأول فى رواية للبخاري: فحملت عليه يعني البراق، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا، انتهي المراد منه.

قال الزرقاني ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء وليس بمراد بل هذا اختصار من الراوي وقال بعد هذا في قول ابن المنير: إن البراق يكون بلوغه أعلى السماوات في سبع خطوات لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه أي بصره اهـ. وهو مبني على أنه عرج به على البراق أخذا بظاهر الحديث والصحيح خلافه اهـ.

وقال في المواهب بعد كلام، فأما المعراج ففي غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به في حديث عن ابن اسحاق والبيهقي، قال الزرقاني وقال النعماني ما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم رقي في المعراج فوق ظهر البراق لظاهر الحديث، اهـ. قال الزرقاني، والمانع موجود وهو أحاديث ربطه البراق بالحلقة اهـ. والمعراج مرقاة له درجة من ذهب ودرجة من فضة وبه سميت القصة.

الثاني في حديث عند أبي يعلا والبزّار أن البراق إذا أتى أي أقبل على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه أي فلا مشقة على راكبه في صعود ولا هبوط، وفي رواية عن الواقدي أنه له جناحان قال ابن حجر ولم أره لغيره. قال الزرقاني وهو عجب، مع قول الشامي له جناحان في فخذيه يحفز بهما رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا، ورواه ابن سعد عن الواقدي وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة. ويحفز بفتح التحتية وسكون المهملة وكسر الفاء أي يحث بهما رجليه على سرعة السير اهـ. وفي الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس له خد كخد إنسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر وصدره ياقوتة حمراء قاله في المواهب، أي كياقوتة لا أن ذاته ياقوتة قاله الزرقاني.

الثالث: اختلف السلف والعلماء في الإسراء هل كان بالروح والجسد

أو بالروح فقط، وهل هو يقظة أو منام؟ فذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه بالجسد يقظة في القصة كلها، قال في الشفاء وهو الحق والصحيح وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الإستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة وذهبت طائفة أنه بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح اهـ. المراد من الشفا.

(حتى أراه أكبر الآيات) غاية لقوله بالإسراء وبعروجه إلى السماء وفاعل أرى عائد إلى الله تعالى والمفعول للنبي صلى الله عليه وسلم يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به الله تعالى وعرج إلى السماء حتى أراه الله تعالى أعظم الآيات أي العلامات الدالة على عظيم قدرته تبارك وتعالى وهذا اقتباس من قوله تعالى: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} واللام للقسم أي والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى، أي الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقى به إلى السماء فأراه عجائب الملكوت، قاله النسفي وقال الخازن يعني رأى رسول الله صلى الله عليه سلم الآيات العظام، وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى، وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قال رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح، وروى البخاري عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سدّ فوق السماء. وذكر الخازن أن جبريل كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل كما كان ياتي الأنبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الأفق إلى المغرب وأما التي في السماء فعند

سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة التي خلق عليها إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى المراد من كلامه.

(وعاد) أي رجع هو، أي النبي صلى الله عليه وسلم، إلى منزله في تلك الليلة **(بعد الفرض للصلاة)** أي بعد أن أوجب الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس وقد مرّ ذلك في حديث الإسراء واختلف هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينه ليلة الإسراء أم لا؟ ومذهب الجمهور أنه رآه قال المقري:

وقد رأى خير الورى الديانا	ليلة إسراء به عيانا
في المذهب المصحح المشهور	وهو الذي ينمى إلى الجمهور

انتهى.

وروى الترمذي عن ابن عباس قال إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية. وقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال بهذا أنس بن مالك وعكرمة والحسن، وكان يحلف عليه، وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي ذرّ وأحمد بن حنبل، وروي عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه واختلف هل كلمه ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا؟ فعن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه، وعزاه بعضهم إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس، اهـ من الخازن.

وفيه بعد هذا قال الشيخ محي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عزّ وجلّ بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بإسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا مما لا ينبغي أن يشك فيه اهـ.

وفي الجزء الأول من المواهب اللدنية ممزوجا ببعض كلام الزرقاني، ولما كان في شهر ربيع الأول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو شوال خمسة أقوال:

* أسرى بروحه وجسده يقظة لا مناما مرة واحدة في ليلة واحدة عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه

* وقيل وقع الإسراء والمعراج مرتين مناما يقظة
* وقيل وقع الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة
* وقيل الإسراء يقظة والمعراج مناما
* وقيل الخلاف في أنه يقظة أو مناما خاص بالمعراج لا في الإسراء.

وقيل الإسراء مرتان يقظة: الأولى بلا معراج والثانية به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سموات إلى حيث شاء العلي الأعلى ورأى ربه بعيني رأسه وأوحى إليه ما أوحي، ابهمه للتعظيم فلا يطلع عليه، أو الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك أو تخصيصه بالكوثر أو الصلوات الخمس أقوال. وفرضت عليه الصلاة ثم انصرف ليلته إلى مكة فأخبر بذلك الناس مؤمنهم وكافرهم فصدقه الصديق، قيل لقب بذلك يومئذ وكل من آمن بالله وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له، وفي البخاري فجلى الله لي بيت المقدس أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته، وعند أحمد والبزار فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر إليه فجعل ينظر إليه ويصفه، قال الزهري وكان بعد المبعث بخمس سنين، ورجحه القاضي عياض كما في الفتح ورجحه القرطبي والنووي ثلاثتهم في شرح مسلم قال الزرقاني والذي في الفتح عن الزهري أنه قبل الهجرة بخمس سنين وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر قاله السدي، فعلى هذا كان بشوال نتهي المراد منهما. **(صلى عليه)** أي على النبي صلى الله عليه وسلم ربنا أي مالكنا جميع المخلوقات **(وسلما وآله وصحبه وكرما)** أي أعطاه كل ما يليق به.

(بيان هجرة النبي المختار والغزو والحج والإعتمار)

أي هذا بيان هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أي خروجه من مكة

داره ودار آبائه زادها الله تعالى تشريفا إلى المدينة المنورة، دار أخواله وأنصاره ومحل قبره الشريف، خير بلاد الله تعالى وبيان غزواته وحجه وعمرته صلى الله عليه وسلم.

ولنقدم أولا ذكر بيعة الأنصار له صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة لأنها توطئة للهجرة وذلك أن الله تعالى لما أراد إظهار دينه وإعزاز نبيه بإنجاز موعده له صلى الله عليه وسلم بذلك كما قال تعالى: {ليظهره على الدين كله} (الآية) وقوله: {ويأبى الله إلا أن يتم نوره} (الآية)، وقوله عليه السلام: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها. خرج رسول الله صلى الله عليه سلم في الموسم وكان في رجب كما في حديث أصحاب السنن فعرض نفسه على القبائل بأمر الله تعالى كما كان يصنع في كل موسم فلم يجد من ينصره فبينما هو عند العقبة الأولى أي عقبة الجمرة كما جزم به غير واحد لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال من أنتم؟ فقالوا نفر من الخزرج. قال أمن موالي يهود، يعني حلفاءهم؟ قالوا نعم، قال أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا بلي، فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وكان الأوس والخزرج أكثر منهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قال اليهود إن نبينا سيبعث الآن قد أظل زمانه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت الذى كانوا يسمعونه من اليهود فقال بعضهم لبعض بادروا باتباعه لا تسبقكم اليهود إليه فأجابوا إلى ما دعاهم إليه، فأسلم منهم ستة وكلهم من الخزرج وأتى بهذا مع قوله رهطا من الخزرج دفعا لما يتوهم مما جرت به عادتهم من تغليب الخزرج على الأوس والخزرج معا والستة المذكورون: أسعد بألف قبل السين بن زرارة بضم الزاي النجاري، شهد العقبات الثلاث وهو أول ميت صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم على قول الأنصار وقال المهاجرون أول ميت صلي عليه عثمان بن مظعون رواه الواقدي وعوف بن الحارث بن رفاعة بكسر الراء وبالفاء النجاري

استشهد ببدر وهو ابن عفراء بنت عبيد النجارية الصحابية وهي أم معاذ ومعوذ وإليها ينسبون ورافع بن العجلان اختلف فى شهوده بدرا، وهو زرقي وهو أول من قدم المدينة بسورة يوسف واستشهد بأحد، وقطبة بضم القاف وسكون المهملة ابن عامر ابن حديدة بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين السلمي حضر العقبات الثلاث وبدرا والمشاهد وعقبة بضم العين وسكون القاف ابن عامر بن نابي بنون فألف فموحدة منقوص كالقاضي قال ابن دريد من نبى ينبو إذا ارتفع، السلمي، شهد بدرا وسائر المشاهد واستشهد باليمامة وجابر بن عبد الله بن رياب بكسر الراء فتحتية خفيفة فألف فموحدة ضبطه ابن ماكولا وغيره ابن النعمان السلمي شهد بدرا وما بعدها ومن أهل العلم بالسير من يسقط ابن ارياب هذا ويعد فيهم عبادة بن الصامت البدري وحضر سائر المشاهد، وعن الزهري هم أسعد، ورافع، ومعاذ بن عفراء، ويزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة، فلما أسلم هؤلاء قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، أتمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى؟ فقالوا يا رسول الله إنما كانت بعاث عام أول، وهو يوم من أيامنا اقتتلنا فيه، فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعزّ منك وموعدك الموسم العام القابل. وبعاث بضم الموحدة وحكى القزاز فتحها وتخفيف المهملة فألف فمثلثة وذكر الأزهري ان الليث صحفه بالفاء عن الخليل بغين معجمة وهو مكان، ويقال حصن ويقال مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الأوس والخزرج ورئيس الأوس فيه حضير والد أسيد الصحابي ويقال له رئيس الكتائب ورئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وقتلا يومئذ وكان النصر فيها أولا للخزرج على الأوس فثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الأوس ذكره فى الفتح، وقتل فيها من أكابرهم من كان يأنف أن يدخل فى الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره

وإلى ذلك أشارت عائشة رضي الله عنها بقولها كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ وقد كان بقي من هذا النحو عبد الله بن أبي وكانت هذه الوقعة قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح فلما كان العام القابل لقيه إثنا عشر رجلا وفي الإكليل للحاكم أحد عشر وهي العقبة الثانية.

والاثنا عشر فيهم خمسة من الأولين وهم أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر ورافع بن مالك ولم يحضرها إبن رياب والسبعة الأخرون معاذ بن رفاعة وهو المشهور لأنه ابن عفراء أمه، ذكره في العيون وأقره البرهان وبه جزم في الإصابة وأبدل الشامي معاذا بأخيه معوذ وضبطه بصيغة إسم الفاعل وذكوان بفتح المعجمة وإسكان الكاف ابن عبد قيس البدري الزرقي بتقديم الزاي المضمومة على الراء، وكذا كل ما في نسب الانصار نسبة إلى جده زريق الخزرجي وقيل انه رحل إلى رسول الله عليه وسلم بمكة فسكنها معه فهو مهاجر أنصاري وبه جزم أبو عمر وتبعه الذهبي قتل يوم أحد قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، فشد عليّ رضي الله عنه على أبي الحكم فقتله، وعبادة بمهملة مضمومة ابن الصامت الخزرجي ويزيد بن ثعلبة بن حزمة بفتح المعجمتين ضبطه الدارقطني كالطبري وقال الكلبي بسكون الزاي ابن اصرم بن عمرو بن عمارة بفتح العين وشد الميم بن مالك بن فرام بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها بن فران بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها بن بلي فهو بلوي حليف للخزرج والعباس بن عبادة بن نضلة بنون مفتوحة الخزرجي وأقام العباس بمكة حتى هاجر معه صلى الله عليه وسلم فكان مهاجريا أنصاريا واستشهد بأحد فهؤلاء خمسة من الخزرج ورجلان من الأوس: ابو الهيثم مالك بن التيهان بفتح الفوقية فتحتية مخففة عند أهل الحجاز مشددة عند غيرهم وشهد بدرا والمشاهد كلها، وجده زعوراء وهو أخو عبد الأشهل وفي الاستيعاب حليف بني عبد الأشهل وعويم بضم المهملة وفتح الواو وسكون التحتتية فميم ليس بعده راء ابن ساعدة شهد العقبتين وبدرا وباقي

المشاهد فبايعه هؤلاء بيعة النساء التى أنزلت عند فتح مكة ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثالثة للعام المقبل فى ذى الحجة سبعون رجلا كما قطع به الحافظ وامرأتان وقال ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وهما نسيبة بفتح النون وكسر المهملة بنت كعب بن عمرو بن عوف النجاري وشهدها معها زوجها زيد بن عاصم وولداها حبيب وعبد الله والمرأة الثانية أسماء بنت عدي من بنى سلمة وكان أول من ضرب على يده عليه السلام فى البيعة البراء بفتح الباء والراء ممدودا مخففا ابن معرور بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء ثانية، قال السهيلي معناه مقصود وهو خزرجي ثم سلمى ابن عمة سعد بن معاذ كان سيد قومه ويقال إن أول من بايعه أسعد بن زرارة، هذا كله من المواهب وشرحها. ولما أرادوا البيعة جاء العباس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فكان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج، وكان العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا فهو فى عزّ من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة، قال كعب بن مالك فقلنا له قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعوا منه نساءكم فأخذ البراء بن معروف بيده ثم قال نعم، والذى بعثك بالحق لنمنعنك بما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب ورثناها كابرا عن كابر، ثم بايعه القوم، ولما كان البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو الهيثم يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال يعنى اليهود

كما فى الزرقاني حبالا وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم، وأنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم. اهـ. المراد من الإكتفاء.

ولما أتى أهل البيعة الثانية المدينة وأظهر الله الإسلام كتب الأوس والخزرج للنبي صلى الله عليه وسلم ابعث لنا من يقرئنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار وأسلم فى جماعتهم سعد بن معاذ بن النعمان بن أمرئ القيس بن عبد الأشهل الأوسي، سيدهم، وافق حكمه حكم الله واهتز لموته عرش الرحمن وأسلم معه أسيد بضم الهمزة وفتح المهملة ابن حضير مصغر ابن سماك ابن عتيك الأشهلي أيضا فى يوم واحد وأسيد هو الأول وأسلم بإسلامهما جميع بنى عبد الأشهل وذلك أن سعدا لما أسلم أقبل إلى نادى قومه ومعه أسيد فقال يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم فقالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم حرام عليّ حتى تؤمنوا بالله ورسوله فما أمسى فيهم امرأة ولا رجل إلا مسلما ومسلمة حاشى الأصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم يوم أحد واستشهد ولم يسجد لله سجدة، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم مخلصين رضي الله عنهم، ومن المواهب وشرحها وروي أن أهل مكة سمعوا هاتفا يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ وهو يقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمدا بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فقالت قريش لو علمنا من السعدان! قال عند ذلك:

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

ولما تمت بيعة العقبة الثالثة ليلة ثاني أيام التشريق وكانت سرا عن

كفار قريش وعن كفار الأنصار الذين قدموا حجاجا مع أهل البيعة هم خمسمائة كما قال الحاكم وطابت نفسه صلى الله عليه وسلم ان جعل الله له منعة أهل حرب ونجدة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة إلى المدينة بعد اشتداد الأذى عليهم من الكفار فشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وسلم فقال قد رأيت دار هجرتكم سبخة ثم مكث أياما ثم خرج مسرورا فقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد منكم أن يخرج فليخرج إليها فخرجوا أرسالا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج فكان أول من هاجر من أصحابه أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي البدري أخو المصطفى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته برة وقال فيه أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة رواه ابن ابى عاصم ثم عامر بن ربيعة المذحجي أو العنزي بسكون النون من عنز بن وائل أحد السابقين وهاجر إلى الحبشة بزوجته وشهد بدرا وما بعدها وهاجرت معه أيضا إلى المدينة وهي ليلى بنت حثمة بفتح المهملة وسكون المثلثة قال أبو عمر وهي أول ظعينة قدمت المدينة وقال موسى بن عقبة أولهن أم سلمة وجمع بأن ليلى أول ظعينة مع زوجها وأم سلمة وحدها لأن بنى مخزوم حبسوها عن زوجها ثم أذنوا لها في اللحاق به فهاجرت وحدها حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة العبدري وكان يومئذ مشركا فشيعها حتى إذا أوفى على قباء قال لها زوجك في هذه القرية ثم رجع ثم عبد الله بن جحش بأهله وأخيه أبى أحمد عبد بلا إضافة على الصحيح كما قال السهيلي تبعا لابن عبد البر وقيل اسمه ثمامة ولا يصح كان ضريرا يطوف أعلى مكة وأسفلها بلا قائد فصيحا شاعرا وعنده الفارعة بمهملة بنت أبى سفيان بن حرب قال أبو عمر وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم ثم المسلمون أرسالا ومنهم عمار بن ياسر وبلال وسعد بن أبى وقاص ففى الصحيح أنهم هاجروا قبل عمر ثم عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة المخزومي في عشرين راكبا منهم سعيد بن زيد وواقد بن عبد الله وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن

المعتمر العدوي وخنيس بن حذافة السهمي وبنو البكير الأربعة والزبير وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى واسم أبى خولى عمرو بن زهير وغيرهم ثم عثمان بن عفان وتتابع الناس بعده حتى لم يبق أحد إلا من حبس بمكة أو أفتتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عن جميعهم وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو، وعند البخاري فقال صلى الله عليه وسلم على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر انتهى. ولما رأت قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له أصحاب من غيرهم حذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة بفتح النون والواو مهملة ساكنة ثم هاء تانيث وهي دار قصي بن كلاب سميت بذلك لاجتماع الندي فيها يتشاورون والندي الجماعة ينتدون أي يتحدثون وهي أول دار بنيت بمكة كما قال ابن الكلبي وكانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها وكان اجتماعهم فيها يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة يتشاورون فيما يصنعون فى أمره صلى الله عليه وسلم وكانوا مائة كما فى المولد لابن دحية فأتاهم إبليس فوقف على باب الدار فى هيأة شيخ جليل عليه بت بفتح الموحدة وشد الفوقية كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من أهل نجد سمع بالذى أتعدتم له وحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري بفتح الموحدة وسكون المعجمة ابن هشام أحبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا برأي فانظروا

فى غيره، وقال ربيعة بن عمر والعامري قال فى النور ولا أعلم ماذا جرى له نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا فلا نبالى أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال لما ياتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك حتى يتابعوه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم فيه أرى أن تأخذ كل قبيلة شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي القول ما قال لا أرى غيره فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وإنما تمثل لهم فى صورة نجدي لأنهم قالوا لا يدخلن معكم أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم أمر عليا أن ينام مكانه وقال تسبح بردي هذا الأخضر فنم فيه فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم فكان علي أول من شرى نفسه فى الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول علي رضي الله عنه:

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا ... موقى وفى حفظ الإله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهموننى ... وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

ويتهموننى بضم التحتية وصوب الزمخرشي أنه لم يقل إلا بيتين لكن فى مسلم أنه قال مجيبا لمرحب اليهودي يوم خيبر:

أنا الذي سمتني أمي حيدره إلخ..

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى: يس إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يصبرون ثم أنصرف حيث أراد وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم. وروى أحمد بإسناد حسن أنه خرج حتى لحق بالغار أي غار ثور وفي رواية ابن هشام فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ثم خرج إليه هو وأبو بكر ثانيا وفي البيضاوي فبيت عليا على مضجعه وخرج مع أبي بكر إلى الغار انتهى. فأتاهم آت ممن لم يكن معه فقال ماذا تنتظرون ها هنا؟ قالوا محمدا. قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك فيكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب. وفي رواية ابن أبي حاكم عن ابن عباس فما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا وفي هذا نزل {وإذ يمكر بك الذين كفروا} (الآية)، ثم أذن الله تعالى لنبيه في الهجرة إلى المدينة، قال ابن عباس بقوله تعالى: {وقل رب ادخلني}. أي المدينة مدخل صدق أي ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره وأخرجني أي من مكة مخرج صدق أي إخراجا لا التفت إليها بقلبي واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أي قوة تنصرني بها على أعدائك، أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم انتهى من المواهب وشرحها، وبعضه من الكلاعي ثم بين الناظم رحمه الله تعالى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر فقال:

(وهاجر المختار لما أن وصل خمسين مع ثلاثة حتى نزل بطيبة الغراء حيث أمرا ...)

يعني أنه صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة زادهما الله تعالى تعظيما لما بلغ عمره المبارك ثلاثا وخمسين سنة فقوله حتى نزل غاية لهجرته عليه السلام، وطيبة من أسماء المدينة ووصفها بالغراء لإشراقها بنور المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد انتشر منها الدين

الحنيفي فى جميع البلاد.
وقوله حيث أمر متعلق بنزل أي نزل بالموضع الذى أمره الله تعالى أن ينزل فيه وكانت مدة إقامته بمكة من حين النبوءة ثلاث عشرة سنة كما رواه البخاري عن ابن عباس وروى مسلم عنه خمس عشرة. قال الحافظ والأول أصح اهـ، وهو قول الجمهور قاله الشيخ محمد بن عبد الباقى، وكان خروجه عليه السلام من مكة بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها ذكره الحاكم وجزم ابن اسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما لأن البيعة فى ذى الحجة ليلة ثانى أيام التشريق فالباقى من الشهر ثمانية عشر يوما إن كان تاما وإلا فسبعة عشر وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على الراجح وقيل لثمان خلت منه كما فى الاستيعاب وقال الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الإثنين ودخوله المدينة يوم الإثنين إلا أن محمدا ابن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج أثناء ليلة الإثنين وقول الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه يوم الإثنين مجاز أطلق اليوم على الليلة، وروي الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق قال الحاكم صحيح غريب، وأخبر عليا أنه يريد الخروج وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التى كانت عنده للناس وذلك أنه كما قال ابن إسحاق ليس فى مكة أحد يكون عنده شيء يخاف عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من أمانته. قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة أتانا فى الهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها.

فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا من حدث فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر أخرج من عندك، فقال لا عين عليك إنما هما ابنتاي بأبى أنت وأمي. فقال صلى الله عليه وسلم فإنه قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمي يا رسول الله. والصحبة بالنصب معمول لأريد محذوف أو مرفوع بتقدير مطلوبى، قال صلى الله عليه وسلم نعم. قالت عائشة رضي الله عنها: فرأيت أبا بكر بكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح؛ فقال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين؛ فقال صلى الله عليه وسلم إنى لا أركب بعيرا ليس لى فقال فهو لك قال لا ولكن الثمن الذى ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد أخذتها بذلك.

وأفاد الواقدي أن الثمن ثمان مائة درهم وأن التي أخذ النبي صلى الله عليه وسلم هي القصواء وكانت من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت فى خلافة أبي بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع وذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء وكانت من إبل بنى الحريش بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية وشين معجمة وفى سيرة عبد الغنى ان الثمن أربع مائة درهم وإنما لم يقبلها إلا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله أكثر من ذلك فقبله كما ذكر السهيلي انه إنما فعل ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة إلى الله تعالى وأن تكون على أتم الأحوال ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أجمع على الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته وهي بفتح المعجمتين بينهما واو ساكنة وهي الباب الصغير كما فى الزرقاني وغيره بعد دخوله عليه فى نحر الظهيرة وكان خروجهما ليلا فمضيا إلى غار ثور بمثلثة فمكثا فيه ثلاث ليال كما هو لفظ البخاري وثور جبل بمكة وفى الأنوار الغار ثقب فى أعلى ثور فى يمنى مكة على مسيرة ساعة وقيل على ثلاثة أميال

وقيل على ميلين منها والبحر يرى من أعلى هذا الجبل وفيه من كل نبات الحجاز وشجره وفيه شجر البان وفي القاموس ثور جبل بمكة فيه الغار المذكور في التنزيل ويقال له ثور أضحل واسم الجبل أضحل نزله ثور ابن عبد مناة فنسب له .

وروي أنهما لما خرجا لقيهما أبو جهل فأعماه الله عنهما وفي حديث أنه عليه السلام لما صعد ثبيرا ناداه اهبط عني فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب وإنما خاف ذلك لأنه لو لم يذكر ذلك مع علمه بأنه لا مكان فيه يستره كان غشا فناداه حراء إلي يا رسول الله وهو مقابل ثبير مما يلي شمال الشمس وبينهما الوادي وهما على يسار السالك الى منى ولم يذهب إليه لسبق تعبده فيه فخشي أن يطلبوه فيه وذهب إلى ثور دون غيره لحبه الفال الحسن فقد قيل الأرض مستقرة على قرن الثور فناسب استقراره فيه وروي أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن كان به شيء نزل بي قبلك فدخله فجعل يلتمسه بيده فكلما رأى حجرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فألقمه عقبه، وفي رواية فأدخل فيه رجله إلى فخذه فجعلت الحيات والأفاعي تلسعنه فجعلت دموعه تتحدر، وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر فنام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفي صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ فقال ما لك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أبي وأمي؛ فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ولأبي نعيم فلما أصبح قال لأبي بكر أين ثوبك فأخبره بالذي صنع فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فأوحى الله إليه قد استجبنا لك والظاهر أنه كان عليه غيره مما يستر جميع بدنه إذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان ياتيهما كابنه وابن فهيرة انتهى من الزرقاني فلما دخل صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر انبت

الله على بابه الراءة بالراء المهملة والمد والهمزة فحجبت أعين الكفار وهي أم عيلان ضرب من العضاه كما فى المصباح فأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فعششتا على بابه ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره والقافة جمع قائف وهو الذى يعرف الأثر فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره فلم يزل يتبعه حتى انقطع أثره لما انتهى إلى ثور ولما انتهى قريش إلى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار قال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد. وعند الطبراني وخرجت قريش حين فقدوهما وجعلوا فى النبي صلى الله عليه وسلم مائة ناقة وطافوا في جبال مكة حتى انتهوا إلى الجبل الذى فيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر إن هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال صلى الله عليه وسلم كلا إن ثلاثة من الملائكة يسترنا بأجنحتها فجلس ذلك الرجل يبول مواجهه فى الغار فقال صلى الله عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا، وروي أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت أنت هلكت الأمة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا، وفى رواية أن أبا بكر قال أما والله ما على نفسي أبكي ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال لا تحزن إن الله معنا بالمعونة والنصر ولما خرجا إلى الغار أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر فكان يفعل ذلك وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فكان عامر يرعى فى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما فاحتلبا وذبحا فإذا غدى عبد الله من عندهما تبع عامر أثره بالغنم حتى يعفي أثرهما وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام بما يصلحهما ولله درّ مجلي حلبة المديح النبوي حيث يقول ولقوله قبول:

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به ... كمثل قلبى معمور ومأهول

وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فيا حبذا نسج وتحليل
كأنما المصطفي فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواهما غيل
عناية ضل كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها حول

الغيل بالكسر الشجر الملتف وجلل غطى والعناية بكسر العين وفتحها والأضاليل جمع إضليلة وروي أن أبا بكر قال نظرت إلى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تفطرتا دما في الغار فاستبكيت وعلمت أنه لم يكن تعود الحفى والجفوة والسين والتاء للمبالغة لا للطلب والحفى المشي بلا خف ولا نعل وكان من قوله صلى الله عليه وسلم لما وقف على الحزورة بفتح المهملة فزاء ساكنة فواو فراء سوق كانت بمكة أدخلت في المسجد ونظر إلى البيت والله إنك لأحب أرض الله إلى وإنك لأحب أرض الله إلي الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت منك وأقام صلى الله عليه وسلم في الغار هو وأبو بكر ثلاث ليال وخرجا منه ليلة الإثنين كما مرّ ولما أرادا الخروج أتاهما صاحبهما الذى استأجرا ليدلهما على الطريق وكان استيجارهما له قبل خروجهما من مكة فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما حين هدأت الأصوت كما قال ابن شهاب وهو رجل من بني الديل بكسر الدال وسكون التحتية وقيل بضم أوله وكسر ثانيه مهموزا كما في الفتح واسمه عبد الله بن أريقط بالقاف والطاء مصغر وفي رواية الأموي أريقد بالدال بدل الطاء والأول أشهر. قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز أي أسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب. وفي البخاري سفرة في جراب قال الحافظ سفرة أي زادا في جراب لأن أصل السفرة الزاد الذى يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد ومثله المزادة للماء وكذا الرواية فاستعملت هنا على أصل اللغة وأفاد الواقدي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة انتهى. وأتتهما بالسفرة أسماء بنت أبي بكر ونسيت أن تجعل لهما عصاما فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح قاله النووي. وفي القاموس انه لا

يفتح أو لغية وهو المزود فسميت بذلك ذات النطاق وفى رواية الكشميهني بالتثنية والنطاق ما يشد به الوسط وفى البخاري أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر فمن ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالإفراد والتثنية لهذين الاعتبارين وعند ابن سعد شقت نطاقها نصفين فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي وسميت ذات النطاقين وقال الهروي سميت بذلك لأنها كانت تجعل نطاقا على نطاق انتهى من الزرقاني.

ولما تجهزا ركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة مولى أبا بكر يخدمهما يردفه أبو بكر ويعقبه وليس معهما غيره هو وابن الأريقط ولم يعرف له إسلام كما قال الحافظ عبد الغني وتبعه النووي وفى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبي وقال السهيلي ولم يكن إذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد، ولا يعترض بأن الواقدي ذكر أنه أسلم لأنه قيد بصحيح ومعلوم ضعف الواقدي خصوصا مع الإنفراد وكأنه سلف الذهبي قاله الشيخ محمد بن عبد الباقى. وعن أسماء قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقالوا أين أبوك يا ابنة أبى بكر؟ قلت لا أدرى والله. فرفع أبو جهل يده فكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا. وفى رواية خرج منها قرطى وهو بضم القاف ولما ساروا أخذ بهم الدليل طريق الساحل أسفل عسفان فمروا بقديد بضم القاف مصغر موضع معروف على أم معبد الخزاعية واسمها عاتكة بنت خالد بن خليد مصغر وآخره دال مهملة وقيل ابن خليف بفاء بدل الدال مصغر وقيل ابن منقذ بضم الميم وسكون النون وكسر القاف وذال معجمة وهي صحابية وكذا أخوها حبيش وكذا زوجها أبو معبد صحابي له رواية وكانت أم معبد برزة بفتح الموحدة وسكون المهملة فزاي معجمة أي عفيفة جليلة مسنة أو غيرها وقيل هي المسنة التي برزت فلم تتخدر لسنها وخرجت عن المحجوبات جلدة قوية تحتبي أي تجلس بفناء القبة والفناء سعة أمام البيت ثم تسقى وتطعم من يمر بها وكان القوم

مرملين مسنتين بكسر النون والفوقية أي أصابتهم السنة فطلبوا لبنا ولحما وعند أبي عمر فسألوها لحما وتمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها أي جانبها خلفها بشد اللام الجهد بفتح الجيم وضمها أي الهزال عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتاذنين لي أن أحلبها بضم اللام وكسرها قالت نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا بفتح اللام وسكونها أي لبنا في الضرع فأحلبها، فدعا بالشاة أي طلبها أن تاتي فالباء زائدة فيكون معجزة فاعتقلها أي وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وظهرها وسمى الله فتفاجت بشد الجيم أي فتحت ما بين رجليها ودرت فدعا بإناء يربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا من ربض بالمكان فحلب فيه ثجا بمثلثة وجيم أي حلبا قويا فسقى أم معبد حتى رويت ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شربا، ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل بفتح النون والهاء وتسكن ولام أي شربا ثانيا بعد الأول ثم حلب فيه آخر وغادره عندها فقال ارفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك. وفي رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال، وفي رواية حتى علاه البهاء، والثمال بضم المثلة واحده ثمالة وهي الرغوة بتثليث الراء، والبهاء لمعان رغوته ثم ركبوا وذهبوا وفي بعض الروايات أنها ذبحت لهم شاة وطبختها فأكل هو وأصحابه وملأت سفرتهم منها ما وسعت قالت وبقي عندنا لحمها أو أكثر وبقيت الشاة التي مسح ضرعها إلى زمن عمر فقل ما لبثت أم معبد حتى جاء زوجها أبو معبد، قال السهيلي لا يعرف اسمه وقال العسكري اسمه أكثم بفتح الهمزة والمثلثة ابن أبي الجون ويقال ابن الجون وهو خزاعي يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزلا بضم الهاء وسكون الزاء أي يتمايلن من الهزال فلما رأى اللبن أبو معبد عجب وقال ما هذا يا أم معبد، أنى لك هذا والشاء عازب أي بعيدة المرعى حيال ولا حلوب بالبيت؟ فقالت

لاوالله إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.. فقال صفيه يا أم معبد. فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة بفتح الواو أي الحسن مليح الوجه أي مشرقه حسن الخلق بضم الخاء واللام لم تصبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم فى عينه دعج وفى أشفاره وطف وفى صوته صحل، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، فى عنقه سطع وفى لحيته كثافة إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سماه وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظم طوال يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين، فهو انضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس ولا مفند. فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش، ولو رأيته لاتبعته، قوله ثجلة بفتح المثلثة على ما للقسطلاني وبضمها على ما فى النور والسبل عظم البطن ويروى بالنون والحاء أي نحول من نحل الجسم إذا قل لحمه والصعلة بفتح الصاد والعين المهملتين صغر الرأس وهي أيضا دقة البدن ونحو له، وفى رواية سقلة بالسين والقاف وفى أخرى صقلة بالصاد والقاف أي نحول من صقلت الناقة ضمرتها والوسيم الحسن وكذلك القسيم والدعج بالتحريك شدة سواد العين والوطف بالتحريك الطول وفى رواية غطف بغين معجمة ومعناهما واحد والصحل بفتح الصاد والحاء المهملتين هو كالبحة بضم الموحدة وأن لا يكون حادّ الصوت والحور بالتحريك أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها، وهو محمود محبوب ولذا كان أغزل ما قالت العرب قول جرير:

إن العيون التي فى طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

والكحل بفتحتين سواد فى أجفان العين خلقة والرجل أكحل وكحيل والمرأة كحلاء وكحيل والأزج بفتح الهمزة والزاي وشد الجيم الدقيق طرف الحاجبين وفى القاموس الزجج محركة دقة الحاجبين فى طول أي

امتداد إلى مؤخر العين والزجج خلقة والتزجيج ما كان يصنع قال:

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

أي وكحلن العيون، والأقرن المقرون الحاجبين، ومثله فى حديث علي وهو مخالف لما فى حديث أزج الحواجب، سوابغ من غير قرن قال ابن الأثير وهو الصحيح وقال غيره أنه المشهور وأجيب بأن بينهما شعرا خفيفا جدا يظهر إذا وقع عليه الغبار فى نحو سفر وفى عنقه سطع بفتحتين أي ارتفاع وطول وفى لحيته كثاثة بمثلثتين هي أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، وصمت بفتح الميم والوقار بفتح الواو الحلُم والرزانة وإذا تكلم سما أي ارتفع على جلسائه. وقوله وكأن منطقه خرزات نظم إلخ.. لعل وجه التشبيه التناسب بين كلماته وشدة اتصال بعضها ببعض فأشبهت الكلمات فى تناسقها وفى تواليها الخرزات إذا تتابعت وقوله حلو المنطق، الحلو فى المطعوم مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه، وفصل بفاء فصاد ساكنة أي فاصل بين الحق والباطل، أو ذو فصل بين أجزائه كقول عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا. والنزر بسكون المعجمة، القليل، والهذر الكثير، ضبطه القسطلاني بفتح الذال المعجمة، وفى بعض شراح الشفا ضبطه بسكونها ولا تشنؤه من طول وفى رواية ولا يشنا من طول أي لا يبغض لفرط طوله ولا تقتحمه عين من قصر أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقارا له وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته، قاله ابن الانباري، ومحفود مخدوم والحشود الذى عنده، حشد بفتح المهملة وسكون المعجمة وتفتح فدال مهملة وهم الجماعة وأجهر الناس أرفعهم صوتا وقوله وأحلاه وأحسنه بإفراد الضمير فيهما حملا على لفظ الناس وربعة بسكون الباء وتحرك، أي متوسط وقولها غصن أي كغصن بين غصنين تعنى الصديق ومولاه عامر بن فهيرة ويحفون بضم الحاء يطوفون والمفند الذى يكثر اللوم فهو إسم فاعل انتهى وما مرّ من تفسير الأزج للقسطلاني. وفى الشفا والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر، وقال ابن سلطان المقوس بفتح الواو المشبه بالقوس فى نوع من الإدارة

فلا ينافه قوله الطويل وأزج الحواجب أدقها مع غزارة شعرها وتقوس أصلها قال ابن سلطان فى الجمع بين حديث أم معبد فى وصفه بالقرن وحديث ابن هالة بنفيه ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الراء وبعده، وقال فى الشفاء والأدعج شديد سواد الحدقة وفى الحديث الآخر أشكل العين، وأسجر العين، وهو أنها فى بياضها حمرة، قال شارحها قوله الحديث الآخر أي الذى رواه مسلم أشكل العين وأسجر العين وهما بمعنى، وقوله حمرة أي يسيرة انتهى.

وقول الشارح فيما تقدم كقول عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا الحديث فى الترمذي فى الشمائل ولفظه ما كان رسول صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه. قال البيجوري فى شرحه يسرد بضم الراء ومعناه يأتي بالكلام على الولاء ويتابعه ويستعجل فيه وقولها كسردكم فى نسخة بدون كاف، وقوله هذا أي الذى تفعلونه فإنه يورث لبسا على السامعين، وقوله بين فصل أي ظاهر مفصول ممتاز بعضه من بعض بحيث يتبينه من يسمع ويمكنه عده وهذا أدعى لحفظه ورسوخه فى ذهن السامع مع كونه يوضح مراده ويبينه بيانا تاما بحيث لا تبقى فيه شبهة، وقوله من جلس إليه مراده من أصغى إليه وإن لم يجلس إليه انتهى.

وما مرّ من تفسير كثاثة اللحية بأن تكون غير دقيقة ولا طويلة هو للقسطلاني. وقال البيجوري فى تفسير قول الشمائل كث اللحية أي بفتح الكاف وفى رواية كثيف اللحية وفى أخرى عظيم اللحية وعلى كل فالمعنى أن لحيته صلى الله عليه وسلم كانت عظيمة واشتراط جمع من الشراح مع الغلظ القصر متوقف على نقل من كلام أهل اللسان. انتهى كلامه.

وقال ابن سلطان فى شرح الشفا: كث اللحية أي غزير شعرها وكثير أصلها، وفى رواية كثيف اللحية، وفى أخرى عظيم اللحية، كما فى شرح الشمائل لابن حجر المكي من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافي

الرواية والدراية لأن الطويل مسكوت عنه، مع أن عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا، فكما أن الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا، ثم هذا لا ينافي ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الأربعة، فإن الكثيف والخفيف من الأمور الإضافية فيحمل على الاعتدال الذى هو الكمال فى جميع الأحوال ولا يبعد أن يحمل الكثيف على أصله والخفيف على عدم طوله وعرضه وأما قول الفقهاء اللحية الخفيفة هي التي تظهر البشرة من تحتها ومبنى الأحاديث هذه على المعنى اللغوي تصحيحا واصطلاحا انتهى كلامه.

تنبيه:

في الترمذي عن شعبة عن سماك بن حرب من حديث جابر بن سمرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكل العين قال شعبة قلت لسماك ما أشكل العين؟ قال طويل شق العين انتهى.

قال البيجوري هذا التفسير خلت منه كتب اللغة المتداولة ومن ثم جعله القاضى عياض وهما من سماك والصواب ما اتفق عليه العلماء وجميع أصحاب الغريب من أن الشكلة حمرة فى بياض العين وأما الشهلة فهي حمرة فى سوادها والشكلة إحدى علامات النبوءة كما قال الحافظ العراقي والأشكل محمود محبوب قال الشاعر:

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عتاق الخيل شكل عيونها

انتهى كلامه.

قالت أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن من مؤمنيهم بعد ثلاث ليال ولا أعرف اسمه قاله فى النور وفى رواية أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغني بأبيات شعر غناء العرب وإن الناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

همـا نـزلا بالبـر ثم ترحـلا ... فـأفلح من أمسى رفيق محمد
فيـال قصي مـازوى الله عنكم ... به من فـعـال لا يجـارى وسـؤدد
ليـهنأ بنى كـعب مكان فـتـاتهم ... ومـقـعـدها للمـؤمنين بمرصـد
سلوا أختكم عن شـاتهـا وإنائهـا ... فـإنكم إن تسـألوا الشـاة تشـهـد
دعـاها بشـاة حـائل فـتـحلبت ... له بصـريح ضـرة الشـاة مـزبد
فـغـادرها رهنا لديهـا لحـالب ... يرددها فى مـصـدر ثم مـورد

قوله جزى الله إلخ.. فى رواية جزى الله خيرا، والجزاء بكفه ورفيقين مفعول جزى وحلا من الحلول وفى رواية قالا من القيلولة وخيمتي تثنية خيمة، بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر ومن قديد إلى المشال ثلاثة أميال بينهما خيمتا أم معبد، وقوله هما نزلا بالبر إلخ.. هو ضد الإثم، وقوله فأفلح الفلاح أجمع إسم لأنواع الخير وفى رواية هما رحلا بالحق وانتزلا به وفى أخرى هما نزلاها بالهدى فاهتدت به، فقد فاز وزوى قبض والفعال بفتح الفاء وخفة العين الكرم ويجوز أن يكون بكسر الفاء جمعا قاله البرهان وتبعه الشامي وقوله لا يجارى فى رواية يجازى بالزاي واليهنأ بفتح الياء وتثليث النون ليسر وكعب هو ابن عمرو أبو خزاعة، وقوله مكان فى رواية مقام بفتح الميم والمرصد بفتح الميم والصاد مقعدها بمكان ترصد أي ترقب فيه المؤمنين لتواسيهم، وقوله سلوا أختكم عن شاتها أي التي حلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فى وقت واحد مع أنها لم يطرقها فحل ولم تستطع الرعي من الهزال فإنها معجزة باهرة لا تنكر، والصريح بالصاد والحاء المهملتين اللبن الخالص وضرة الشاة بفتح الضاد المعجمة وشد الراء أصل ضرعها وهو فاعل تحلبت، ومزبد بصيغة اسم الفاعل علاه الزبد نعت الصريح وقوله فغادرها البيت، أي ترك الشاة عندها ذات لبن مستمر يردد الحالب الحلب عليها مرة بعد مرة لكثرة لبنها انتهى هذا التفسير من الزرقاني. قالت أسماء فلما سمعنا قوله أي الهاتف عرفنا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلاعي وغيره فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف وقال فى النور

والظاهر أنه إنما قاله بعد إسلامه:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عمى وهداة يهتدون بمهتدى
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وإن قال فى يوم مقالة غائب ... فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهنأ أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد

وفي المواهب وشرحها أخرج ابن سعد وأبو نعيم إن أم معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمن الرمادة، سنة ثمان أو سبع عشرة من الهجرة، زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وقيل لها ذلك لأن الريح كانت إذا هبت ألقت ترابا كالرماد، وأجدبت الأرض إلى الغاية حتى أوت الوحوش إلى الإنس والى عمر أن لا يذوق لحما ولا سمنا ولا لبنا حتى يحي الناس أي يأتيهم الحيا ويمتد المطر فاستسقى بالعباس، قالت أم معبد وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الأرض لبن قليل ولا كثير، قال هشام راويه وأنا رأيتها وأنها لتادم أم معبد، وجميع حرمها أي أهل ذلك الماء، وذكر الزمخشري عن هند بنت الجون قالت نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة خالتى أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومجّ فى عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحت كأعظم دوحة وجاءت بتمر كأعظم ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمئان إلا روي ولا سقيم إلا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها انتهى المراد منهما.

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب أن أباه عازبا سأل أبا بكر رضي الله عنهما: كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟ قال ارتحلنا من مكة فأحيينا

يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوى إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها، فنظرت بقية ظلها فسويته وفرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم ذهبت أنظر ما حوله هل أرى من الطلب أحدا فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذى أريد يعنى من الظل، فقلت لمن أنت قال لفلان رجل من قريش فعرفته فقلت هل فى غنمك من لبن؟ قال نعم. قلت هل حالب أنت لي؟ قال نعم. فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا فضرب إحدى كفيه على الأخرى فحلب لى كثبة من لبن وقد رويت ومعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدوات على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استيقظ فقلت يا رسول الله اشرب فشرب حتى رضيت وقلت قد آن الرحيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتحلنا انتهى المراد من الإكتفاء.

ثم لما رحلوا من عند أم معبد كما عند مغلطاي تعرض لهم يوم الثلاثاء كما عند ابن سعد سراقة بن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين المعجمة وحكي الجوهري فتحهما، المدلجي بضم الميم وكسر اللام من بنى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني والحجازي، أسلم على يده صلى الله عليه وسلم بالجعرانة مصرفه من حنين والطائف وروى عنه ابن عباس وجابر وابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم وابن المسيب وسبب تعرضه لهم ما فى البخاري عنه، قال جاءنا رسل من كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجالس قومى أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة قد رأيت آنفا إسودة بالسواحل أراها محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال سراقة فعرفت أنهم هم، فقلت له إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم أثبت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن

تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت الحديث وفيه أنه لما دنا منهم سقط عن فرسه واستقسم بالأزلام فخرج ما يكره لا يضرهم ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الإلتفات فساخت يدا فرسه في الأرض إلى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالأزلام فخرج الذي يكره فناداهم بالأمان، وفي رواية ابن عقبة: وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة ناقة، وفي رواية عن أبي بكر: تبعنا سراقة ونحن في جلد من الأرض، فقلت هذا الطلب قد لحقنا، فقال لا تحزن إن الله معنا، فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب لقد لحقنا وبكيت، قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك؟ فقلت أنا والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك.

وعند الإسماعيلي وغيره، فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت، وفي حديث أنس عند البخاري، اللهم أصرعه فصرعه فرسه، وللطبراني أن فرسه وقعت لمنخريها وللإسماعيلي فساخت في الأرض إلى بطنها فطلب الأمان، زاد ابن إسحاق فقال أنا سراقة أنظروني أكلمكم فوالله لا ياتيكم مني ما تكرهونه، وللإسماعيلي قد علمت يا محمد أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما، فدعا له صلى الله عليه وسلم، وللإسماعيلي وهذه كنانتي فخذ منها سهما، فإنك تمر على إبلي وغنمي بمكان كذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في إبلك ودعا لي، وذكر ابن سعد أنه لما رجع قال لقريش قد عرفت نظري بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا فرجعوا، وروي أن سراقة قال يخاطب أبا جهل بعد انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

أبا حكم والله لو كنت حاضرا ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإنني ... أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طرا يسالمه

وسراقة هذا أظهر الله فيه علما من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففى الحديث أنه عليه السلام قال له كيف بك إذا لبست سواري كسرى. وذكر ابن المنير أنه قال له ذلك لما لحقهما فى الهجرة فعجب من ذلك فلما أوتي بهما عمر وبتاجه ومنطقته دعا سراقة فألبسه السوارين وقال ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بنى مدلج ورفع عمر صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين. ومما وقع لهم فى الطريق ما أخرجه البيهقي عن ابن بريدة قال لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبي صلى الله عليه وسلم حملني الطمع فركبت فى سبعين من بني سهم فلقيته، فقال من أنت قلت بريدة، فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وقال برد أمرنا وصلح، فقال ممن أنت قلت من أسلم، قال سلمنا، ثم قال ممن قلت من بنى سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر، فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت؟ قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله، فقال بريدة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا. ولما بلغ المسمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة بفتح المهملة وشد الراء أرض ذات حجارة سود كانت بها وقعة يزيد المشهورة ينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوما بعدما طال انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم طلع رجل من اليهود على أطم بضم الهمزة والطاء من آطامهم والأطم الحصن فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم ثياب بيض يرفعهم السراب فصاح بأعلى صوته يا بنى قيلة بفتح القاف وسكون التحتية بنت كاهل بن عذرة والدة الأوس والخزرج هذا جدكم! بفتح الجيم وشد المهملة أي حظكم ومطلوبكم وصاحب دولتكم قد أقبل، فخرج إليه بنو قيلة سراعا بسلاحهم إظهارا للقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدومه عليهم ويظهر له صدقهم فى مبايعتهم إياه فنزل بقباء على بنى عمرو ابن عوف على فرسخ من المسجد النبوي وكان نزوله على كلثوم بن الهدم وقام أبو بكر للناس

يتلقاهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك ولا ينافى ما هنا من إصابة الشمس له صلى الله عليه وسلم ما مرّ من إظلال الغمامة له لأن ذلك قبل البعثة كما صرح به القسطلاني وغيره وأقام فى بنى عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة على ما فى الصحيحين عن أنس واثنين وعشرين ليلة على ما ذكره موسى بن عقبة من رواية محمد بن بريدة وحكاه الزبير بن بكار عن قوم من بنى عمرو بن عوف وقيل ثلاثا فقط، رواه ابن عائذ عن ابن عباس وأسس صلى الله عليه وسلم مسجد قباء وقيل أقام فيه أربعة ثم خرج عليه السلام من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة فى أرض بنى سالم بن عوف فصلاها بمسجدهم فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونون كعاشوراء واسم المسجد غبيب بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة بتصغير غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة فى فضائل طابة وهو المجد صاحب القاموس واسم الوادى ذو صلب ولذا سمي مسجد الجمعة وهي أول جمعة صلاها عليه السلام وأول خطبة خطبها فى الإسلام وقيل كان يصلي فى مسجد قباء مدة إقامته ثم بعد صلاة الجمعة ركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راحلته متوجها إلى المدينة وهو مردف أبا بكر خلفه إكراما له وإلا فقد كان له راحلة كما مرّ وأبو بكر شيخ كان قد أسرع إليه الشيب والنبي صلى الله عليه وسلم لا شيب فيه وأبو بكر يعرف لأنه كان يمر عليهم تاجرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف لعدم تردده إليهم فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الذى بين يديك؟ فيقول هذا الرجل يهدينى السبيل فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق الحسية وإنما يعنى سبيل الخيرات وكان صلى الله عليه وسلم كلما مرّ على دار من دور الأنصار اعترضه رجالهم يدعونه إلى المقام معهم ويقولون له يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة

بالتحريك مشترك بين العز والجماعة اللذين يحمونه وإن سكنت النون فبمعنى العز فقط، وسمي ممن قال له ذلك عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة من بنى سالم بن عوف وزياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وفى رجال من بنى ساعدة وسعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبى زهير وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرجي وأبو سليط وسليط بن القيس فى رجال من بنى عدي بن النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو منهم. ويقول عليه السلام لكل منهم خلوا سبيلها يعني ناقته فإنها مأمورة حتى أتت دار مالك بن النجار فبركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مربد بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء فدال مهملة الموضع الذى يجفف فيه التمر لسهل وسهيل بنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء كما عند ابن إسحاق وأبى عبيد ويقال إنهما فى حجر سعد بن زرارة أي بالألف أحد سباق الأنصار وفى رواية أبى ذر وحده سعد بلا ألف والأول هو الصواب قال الحافظ سعد تأخر إسلامه انتهى وذكره غير واحد فى الصحابة، قال عياض ولم يذكره كثيرون لأنه ذكر فى المنافقين وحكى الزبير أنهما كانا فى حجر أبى أيوب قال فى الفتح وأسعد أثبت، وقد يجمع باشتراكهم وبانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحدا بعد واحد انتهي من الزرقاني.

وقال الكلاعي فلما بركت ولم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم وثبت ومشت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جيرانها به، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى المراد منه.

وفي حاشيته منسوبا للسهيلي فسر ابن قتيبة تلحلح أي بتقديم اللام بأن معناه لزم مكانه وأنشد:

أنا من إذا قيل انفروا قد اتيتم   أقاموا على أثفالهم وتلحلحوا

وأما تقديم الحاء فمعناه زال عن موضعه وهذا الذى قاله قوي من جهة الإشتقاق ولكن الرواية فى سيرة ابن إسحاق بتقديم الحاء وهو خلاف المعنى. انتهى.

قال في المواهب وشرحها بعد أن ذكر بروكها أولا بالمربد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها ومشت حتى بركت على باب أبى أيوب خالد بن زيد بن كليب من أكابر الصحابة من بنى مالك بن النجار شهد بدرا والمشاهد ثم ثارت أي قامت وبركت فى مبركها الأول عند المسجد وألقت جيرانها بالأرض وهو بكسر الجيم باطن العنق أو مقدمه من المذبح وأرزمت بهمز فراء ساكنة فزاي مفتوحة أي صوتت من غير أن تفتح فاها، قاله أبو زيد وقال صاحب العين معناه رغت ورجعت فى رغائها ويقال منه أرزم الرعد وأرزمت الريح انتهى. وروي رزمت بلا ألف أي نامت من الإعياء والهزال ونزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل أبو أيوب رحله بإذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دور بنى النجار أفضل دور الأنصار والناقة المذكورة هي القصواء والجدعاء وهل هما إثنتان أو واحدة لها لقبان خلاف، وفى الألفية عضباء جدعاء هما القصواء، وقال السهيلي والصحيح أن العضباء غير القصواء قال أبو أيوب لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت فى العلو فلما خلوت على أم أيوب قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فبتنا تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب بحالة هنيئة بل بشر ليلة، فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب، قال لم يا أبا أيوب؟ قال قلت أنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي قال صلى الله عليه وسلم الأسفل أرفق بنا. فقلت لا والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا، فلم يزل أبو أيوب يتضرع إليه حتى تحول إلى العلو وأبو أيوب فى السفل وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد فضله علينا تيممت أنا وأم

أيوب موضع يده نبتغي بذلك البركة وقد ذكر أن هذا البيت الذى لأبى أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الأول ابن حسان الحميري وكان ممن تدين بالزبور وبين موته ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لما مر بالمدينة روي أبن عساكر أنه قدم مكة وكسى الكعبة وخرج إلى يثرب وكان فى مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها جمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى مقامهم فقالوا إن شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذى يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء أربعمائة دار لكل رجل دار واشترى لكل منهم جارية واعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالإقامة إلى وقت خروجه وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه إسلامه ومنه شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارئ النسم، فلو مد عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم، ودفع الكتاب إلى عالم عظيم وأمره أن يدفعه إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه وإلا فمن أدركه من ولد ولده أبدا إلى حين خروجه فتداول الدار التي بنى تبع للنبي صلى الله عليه وسلم لينزلها إذا قدم المدينة الأملاك إلى أن وصلت إلى أبى أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذى دفع إليه الكتاب ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليه كتاب تبع مع أبى ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى، ومعه كتاب تبع الأول، وقال وأهل المدينة الذين نصروه عليه السلام من ولد أولئك العلماء فعلى هذا فالمصطفى صلى الله عليه وسلم إنما نزل فى منزل نفسه لا فى منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقت المدينة بحلوله فيها وصعدت ذات الخدور على الأجاجير بجيمين جمع اجار وفى لغة الأناجير بالنون وهي السطوح عند قدومه عليه السلام يهنئنه ويقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

زاد رزين:

أيها المبعوث فينا　　جئت بالأمر المطاع

قال القسطلاني فى المواهب أنشئ هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقي وأبو بكر المقرى بضم الميم وسكون القاف كما فى الزرقاني عن ابن عائشة وذكره الطبري وقال خرجه الحلواني انتهى وسميت ثنية الوداع لأنه عليه السلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة فى بعض أسفاره يعنى غزوة تبوك كما فى الزرقاني وقيل لأنه عليه السلام شيع إليها بعض سراياه أي سرية مؤتة كما للزرقاني أيضا فودعه عندها وهذان يعطيان أن التسمية حادثة وقيل لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديما فدل على أنه اسم قديم وقال ابن بطال سميت بذلك لأنهم كانوا يشيعون الحاج إليها ويودعونه عندها وإليها يخرجون عند التلقى قال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي وهذا كله مردود ففى صحيح البخاري وسنن أبى داوود والترمذي عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس كلهم يتلقونه من ثنية الوداع وهذا صريح فى أنها من جهة الشام لا من جهة مكة قال ولهذا قال والدى عبد الرحيم فى شرح الترمذي كلام ابن بطال وهم وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة انتهى.

ونحوه فى الفتح كما للزرقاني قال القسطلاني وسبقه إلى ذلك ابن القيم أي فى كتابه زاد المعاد فى هدي خير العباد فقال هذا وهم لأن ثنية الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك لكن قال ابن العراقي ويحتمل أن تكون الثنية التى من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى قال الزرقاني قال الخميس يشبه إن هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات قال ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك فلا ينافى ما فى البخاري وغيره ولما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوار من بنى النجار　　يا حبذا محمد من جار

فقال محمد صلى الله عليه وسلم: أتحببنني أي بضم التاء من أحب وبفتحها وكسر الموحدة من حب؟ قلن نعم يا رسول الله، فقال عليه السلام الله يعلم أن قلبي محبكم بالميم يعني معشر الأنصار، وفي رواية فقال والله وأنا أحبكن فتفرق الناس في الطرق ينادون فرحا: جاء محمد، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبؤ أرض الله وعك بالبناء للمجهول أي حمّ أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله   والموت أدنى من شراك نعله

قوله مصبح أي مصاب بالموت صباحا وشراك النعل سيره الذي على ظهر القدم والمعنى أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك النعل إلى الرجل وذكر ابن شيبة أن هذا الرجز لحنظلة ابن سيارة قاله يوم ذي قار وتمثل به الصديق رضي الله عنه وكان عامر يقول:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه   كالثور يحمي أنفه بروقه

والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحريم ويذكر أن هذا الشعر لعمرو بن مامة وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى بالبناء للفاعل أو المفعول يرفع عقيرته أي صوته بالبكاء ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة   وهل تبدون لي شامة وطفيل

وقوله بواد يعني واد مكة والإذخر بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين حشيش مكة إلخ.. والرائحة الطيبة وجليل نبت ضعيف يحشى به البيوت وهو الثمام ومياه بالهاء ومجنة بفتح الميم والجيم والنون المشددة وتكسر الميم موضع على أميال من مكة كان به سوق في الجاهلية وشامة وطفيل بفتح المهملة وكسر الفاء عينان بقرب مكة كما ارتضاه الخطابي وقواه السهيلي وقيل جبلان وزعم في القاموس أن شامة بالميم تصحيف من المتقدمين وأن الصواب بالباء وأشار الحافظ لرده فقال زعم بعضهم أن الصواب بالموحدة بدل الميم والمعروف بالميم

انتهى. من الزرقاني.

تنبيه:

أصل العقيرة الساق المقطوعة وأصل هذا كما قال الأصمعي أن رجلا انعقرت رجله فرفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك وإن لم يرفع رجله قال ثعلب فهذا من الأسماء التى استعملت على غير أصلها وهذان البيتان ليسا لبلال بل تمثل بهما وإنهما لبكر بن غالب الجرهمي أنشدهما لما بعثهم خزاعة من مكة ولما أخبرت عائشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححهما لنا وانقل حماها الى الجحفة. قوله حبب إلينا المدينة إلخ.. **فاستجاب الله** دعاءه فكانت أحب إليهم من مكة كما جزم به السيوطي وقوله اللهم بارك لنا إلخ.. قد أجاب الله دعاءه فطيب الله هواها وترابها وساكنها والعيش بها. قال ابن بطال وغيره من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة، قال الشامي ويكفى المدّ منها ما لا يكفيه بغيرها، وهذا أمر محسوس لمن سكنها والجحفة بضم الجيم وسكون المهملة قرية جامعة نحو خمس مراحل من مكة وظهرت فيها معجزة عجيبة فهي من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها إلا حمّ ولا يمر بها طائر إلا حم وسقط وكانت يومئذ مسكن اليهود والذى نقل عن المدينة شدتها وسلطانها وكثرتها بحيث لا يعد الباقى بالنسبة إليها شيئا.

(ثم بها أقام) أي ثم بعد نزوله صلى الله عليه وسلم بالمدنية أقام بها أي لم يزل ساكنها **(حتى احتضرا)** أي توفي صلى الله عليه وسلم بها أي المدينة والفعل مبني للمفعول والمحتضر بفتح الضاد الذى حضره أجله أو حضرته الملائكة لنزع روحه قال الشادلي المحتضر بفتح الضاد وكسرها الميت لأن أجله حضره قال العدوي فى حاشيته هذه العلة تناسب الفتح، وفى زروق والمصباح بفتح الضاد ولم يذكروا الكسر أو لأن الملائكة تحضره لنزع روحه أو لحضور أجله غالبا، قال وهذه العلل كلها تناسب

الفتح اسم مفعول وإما بالكسر اسم فاعل فهو من قام به الإحتضار انتهى المراد منه.

وعلى هذا الأخير فيصح كون الفعل فى كلام الناظم مبنيا للفاعل والأول سالم من الاسناد فهو حسن فى ضبطه والله أعلم.

(بها فكانت أشرف البقاع) قوله فكانت إلخ.. مسبب عن قوله ثم بها أقام حتى أحتضرا بها واسم كان ضمير يعود على المدينة المنورة وأشرف بالنصب خبره والبقاع البلاد يعنى أن المدينة إنما كانت أفضل من جميع البلاد لسكنى النبي صلى الله عليه وسلم فيها حيا وميتا وإلى ما ذكر ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأكثر أهل المدينة ومالك وأصحابه سوى من يأتي ذكره واختاره بعض الشافعية وذهب الأكثر إلى تفضيل مكة وبه قال الشافعي وابن وهب ومطرف وابن حبيب واختاره ابن عبد البر وابن رشد وابن عرفة والأدلة كثيرة من الجانبين حتى قال الإمام ابن أبى جمرة بتساوى البلدين واختار السيوطي الوقف عن التفضيل لتعارض الأدلة فى الحجج المبينة وجزم فى خصائصه بأن المختار تفضيل المدينة قاله الشيخ محمد بن عبد الباقى فى شرح الموطإ.

ولما كانت التربة التى ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم خارجة عن هذا الخلاف بل هي أفضل من جميع بلاد الله تعالى حتى من الكعبة ومن السماء بل ومن العرش كما نقله السبكي أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى ذلك فقال: **(أما ضريحه)** صلى الله عليه وسلم أي قبره الشريف **(ف)** هو أفضل من جميع البقاع **(بالإجماع)** من جميع الأمة، قال الشيخ عبد الباقي عند قول الشيخ خليل والمدينة أفضل ثم مكة على قول مالك وهو قول أهل المدينة وعكس الشافعي وابن وهب وابن حبيب وأهل الكوفة ومحل الخلاف فى غير الموضع الذى ضم أعضاءه صلى الله عليه وسلم وهو مراد من عبر بغيره فإنه أفضل من جميع بقاع الأرض حتى الكعبة ومن السماوات والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت كما للسيد السمهودي ولعله أراد البيت المعمور فلا يتكرر مع الكعبة فإنها أفضل من بقية المدينة اتفاقا وأما المسجدان بقطع النظر عن الكعبة وعن القبر

الشريف فمسجد المدينة أفضل وما زيد من مسجده الشريف حكمه حكم مسجده عند الجمهور وهو مذهب الإئمة الثلاثة وصرح به الشافعية غير النووي وقيل رجع عن ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو زيد في هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي، وعن عمر رضي الله عنه قال لو مدّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى الحليفة لكان منه، والجمهور على تفضيل السماء على الأرض وقيل بتفضيل الأرض لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها والمراد بموضع قبره ما يمس أعضاءه كما مرّ لا أعم وإن كان لغير الماس حرمة أيضا كجلد المصحف وقال الدماميني والروضة تنضم أيضا لموضع القبر بالإجماع على تفضيله بالدليل الواضح إذ لم يثبت لبقعة أنها من الجنة بخصوصها إلا هي كما قال عبد الباقي ويلى مكة بيت المقدس فهو أفضل ولو من المساجد المنوسبة له صلى الله عليه وسلم كمسجد قباء انتهى المراد منه.

وقال الإمام الحطاب عند قوله والمدينة أفضل إلخ.. هذا هو المشهور وقيل مكة أفضل ثم المدينة بعد إجماع الكل على أن موضع قبره عليه السلام أفضل بقاع الأرض ونقل الحطاب عن العلماء أن الصلاة تضاعف فيما زيد في المسجد النبوي كما تضاعف في القديم منه وقال مالك لما سئل عن الصلاة فيما زيد منه قال ما أراه عليه السلام أشار بقوله صلاة في مسجدي هذا إلا لما سيكون بعده من مسجده لأن الله تعالى أطلعه على ذلك حتى أشار إليه انتهى.

وقال الشبراخيتي والمدينة عندنا وجميع السلف ومنهم عمر رضي الله عنه أفضل انتهى نقله الوالد حفظه الله تعالى في اللوامع. وفي شرح الزرقاني للمواهب عن البرماوي الحق أن مواضع أجساد الأنبياء وأرواحهم أشرف من كل ما سواها من الأرض والسماء ومحل الخلاف في أن السماء أفضل أو الأرض غير ذلك انتهى. يعني وأفضل تلك المواضع القبر الشريف بالإجماع، واستشكله العز بن عبد السلام بأن معنى التفضيل في الموضعين أن ثواب العمل في أحدهما أكثر من الآخر وكذا

التفضيل بين الأزمان وموضع القبر الشريف العمل فيه حرام فيه عقاب شديد ورد عليه تلميذه العلامة القرافي بأن التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود فلا يمسه محدث ولا يلابس بقذر لا لكثرة الثواب وإلا لزم أن لا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف نفسه أفضل من غيره وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة وأسباب التفضيل أعم من الثواب وقال السبكي قد يكون للتفضيل لكثرة الثواب وقد يكون لأمر آخر، وإن لم يكن عمل فإن القبر الشريف ينزل عليه من الملائكة والرحمة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عنه فكيف لا يكون أفضل الأمكنة . وقال السمهودي والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم وهو منبع الخيرات. وفي الشفاء ومن إعظامه عليه السلام إكرام مشاهده وأمكنته ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة ويقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وأفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية أن يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه وروي ان أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

ولما أشرف بعض المريدين على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
أقربتنا من خير من وطئ الثرا ... فلها علينا حرمة وذمام

قال القاضي وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، صلى

الله عليه وسلم وانتشر عنها من دين الله ما انتشر، إلى أن قال تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها، وجدرانها. وللمؤلف يعني نفسه:

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
وعليّ عهد إن ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والجدرات
أذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالأصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات مع نوامي التسليم والبركات

قوله درة بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير وقوله قدرا أي جاها وعظمة وقوله منشد الإنشاد قراءة شعر نفسه أو غيره والبيتان لأبى الطيب المتنبى والرسم أثر الدار والفؤاد القلب، واللب العقل، والأكوار جمع كور بالضم رحل الناقة بإكافه كالسرج بآلته للفرس وقوله بان أي ظهر رسمه والإلمام: النزول وكرامة نصب على العلة وركبا حال أي كرامة ان ننزل به راكبين كذا فى ابن سلطان وغيره قال مؤلفه سمح الله له ولم يتعرض لقوله عنه وعلى تفسير بان بظهر فعنه يبدل منه قوله ان نلم بدل اشتمال أي لأجل إكرامنا له عن أن نلم به راكبين ويحتمل عندى معنى أظهر من هذا وهو أن يكون بان بمعنى بعدُ وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم ويعنى ببينه عن الرسم انتقاله أي بالوفاة إلى دار كرامته صلى الله عليه وسلم أي نزلنا عن الرحال إكراما لمن ارتحل عن تلك الدار أن ننزل به راكبين هذا ما ظهر لى والله أعلم بالصواب.

وقوله لاح أي لمع وتقطع بصيغة المضارع مجهولا أو بحذف إحدى

التاءين أو بصيغة الماضى معلوما أي تضمحل لديه الأفهام بسطوع نوره والرحال بالمهملة جمع رحل البعير وفى نسخة بالجيم وذمام بكسر أوله أي عهد وأمان والأبيات لأبى نواس يمدح بها الأمين كذا بخط السخاوي. وجدير أي حقيق ولائق وعمرت بصغة المجهول مخففا ومشددا والروح أي أرواح الأنبياء المرسلين والروح الأمين وضجت صوتت والمغنى ارتفعت الأصوات فى عرصاتها جمع عرصة وهي كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء وأن تعظم بفتح الهمزة مبتدأ خبره جدير المقدم وتتنسم أي تستنشق وفى نسخة تشم بشد الميم وفى أخرى تشم نفحاتها أي روائحها الطيبة ولوعة أي شدة محبة والصبابة بالفتح رقة الشوق وعن النخعي كان يعجبهم أن يكون للغلام صبوة لأنه إذا تاب فربما كان ارعواؤه باعثا له عن شدة اجتهاده وكثرة نومه على ما فرط من عمله وأبعد له عن أن يعجب بحاله ولأن المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الإخلاص والعوادى جمع عادية وهي العوائق التي تصرف عن الشيء والأعادى جمع عدو والوجنة أعلى الخد وهي بفتح الواو وتكسر وتضم وسحبا من قولهم سحبته أي جررته وأهدى بضم الهمزة وحفيل تحيتى أي تحيتى الحافلة أي الكثيرة الكاملة والمفتق بفتح التاء المشددة أي المشقق ويقال فتق المسك إذا خلط به ما يزكى رائحته، قاله ابن سلطان فى شرح الشفاء وللشيخ الصالح أبى عمران:

دار الحبيب أحق أن تهواها	وتحن من طرب إلى لقياها
وعلى الجفون متى هممت بزورة	يابن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنت أنت إذا حللت بطيبة	وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغنى الجمال منى الخواطر والتى	سلبت عقول العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكي كتربها	هيهات أين المسك من رياها
طابت فإن تبغى التطيب يا فتى	فأدم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح مقرر	أن الإله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها	واختارها ودعى إلى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها	شرفا حلول محمد بفناها

خصت بهجرة خير من وطئ الثرى وأجلهم قـــدرا فكيف تراها
كل البلاد إذا ذكرن كأجرف في اسم المدينة لاحظت معناها
حاشى مسمى القدس فهي قريبة منها ومكة إنها إياها
لا فرق إلا أن ثم لطيبة مهما بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأواها
فلهذه ظهرت مزية طيبة وغدت وكل الفضل في مغناها

قال أبو العباس القلشاني ولقد أحسن فيها كل إحسان لاسيما قوله في آخرها:

كيف السبيل إلى تقضي مدح من قال الإله له وحسبك جاها
إن الذين يبايعونك إنما فيما يقول يبايعون الله

انتهى ما ذكر القلشاني منها.

ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر كما في المواهب تبعا لابن عبد البرّ وقيل بثمانية وقيل بتسعة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة والتوارث واستمر ذلك إلى أن نزل بعد وقعة بدر حين أعز الله الإسلام وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فانقطعت المؤاخاة في الميراث وبقيت في التوادد والمناصرة كما قال تعالى : {إنما المؤمنون إخوة}، قال العز بن عبد السلام هو خبر بمعنى الأمر أي لينصر بعضهم بعضا، وقوله صلى الله عليه وسلم: المؤمن أخو المؤمن خبر أيضا بمعنى الأمر.

تتمة:

قال الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح المواهب: روى أبو داوود عن جبير بن مطعم مرفوعا لا حلف في الإسلام وأي حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة وروى احمد والترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه أوفو بحلف الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة ولا تحدثوا حلفا في الإسلام قال في النهاية أصل الحلف المعاقدة

والمعاهدة على التعاضد والتساعد والإنفاق فما كان منه فى الجاهلية على القتال والغارات فذلك الذى نهى عنه بقوله لا حلف فى الإسلام وما كان منه على نصر المظلوم وصلة الأرحام فذلك الذى قال فيه وأي حلف فى الجاهلية إلخ.. يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق انتهى.

(ومـــدة اللبث بهـــا فى العـــده عـــشـــر سنين يا لهـــا من مـــده)

قوله ومدة مبتدأ خبره قوله عشر واللبث بفتح اللام ويضم ويحرك المكث لبث كسمع، قاله فى القاموس، وقوله يا لها تعجب أي يا قوم أعجبوا لتلك المدة من مدة يعنى أن المدة التى أقام صلى الله عليه وسلم بها أي بالمدينة المشرفة عشر سنين وهذا عليه اتفاق العلماء، وفى الشمائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه وبالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. قال البيجوري فى شرحه قوله مكث بفتح الكاف وضمها أي لبث بعد البعثة، وقوله ثلاث عشرة سنة يوحى إليه أي باعتبار مجموعها لأن مدة فترة الوحي ثلاث سنين من جملتها وهذا هو الأصح الموافق لما رواه أكثر الرواة وروي عشر سنين وهو محمول على ما عدى مدة فترة الوحي وروي أيضا خمس عشرة سنة فى سبعة منها يرى نورا ويسمع صوتا ولم ير ملكا وفى ثمانية منها يوحى إليه وهذه الرواية مخالفة للأولى من وجهين الأول فى مدة الإقامة بمكة بعد البعثة ويمكن الجمع بحمل هذه الرواية على حساب سنة البعثة وسنة الهجرة والثانى فى زمن الوحي ويمكن الجمع بأن المراد بالوحي إليه فى ثلاث عشرة أعم من كون الملك مرئيا أولا وفى الثمانية خصوص الوحي مع رؤيته فلا تدافع، وقوله وبالمدينة عشرا أي عشر سنين باتفاق فإنهم اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين كما اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة قبل البعثة أربعين وإنما اختلفوا فى قدر إقامته بمكة بعد البعثة والصحيح أنه ثلاث عشرة سنة فيكون عمره الشريف ثلاثا وستين انتهى.

وفى الشمائل أيضا عن معاوية رضي الله عنه قال مات رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر قال البيجوري قوله وأبو بكر وعمر مبتدأ خبره محذوف تقديره كذلك أما أبو بكر فمتفق عليه وأما عمر فقيل مات وهو ابن إحدى أو ست أو سبع أو ثمان وخمسين سنة، ولم يذكر عثمان رضي الله عنه وقد قتل وهو ابن اثنتين وثمانين وقيل ثمان وثمانين سنة ولم يذكر عليا كرم الله وجهه والأصح أنه قتل وهو ابن ثلاث وستين وقيل خمس وستين وقيل سبعين.

(لقد غزى عشرين بعد خمس * فيها) ضمير فيها للمدة التى أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومعنى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم غزا بنفسه الشريفة فى العشر سنين التى أقام بالمدينة خمسا وعشرين غزوة **(أولها)** غزوة ودّان بفتح الواو وشد المهملة فألف فنون قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع وقيل واد فى الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة، قاله الزرقاني وهي غزوة الأبواء قاله ابن أبى جمرة والقسطلاني والكلاعي وغيرهم خرج لها صلى الله عليه وسلم فى ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري وحمل اللواء وكان أبيض، حمزة بن عبد المطلب وكان خروجه فى صفر لاثنتي عشرة ليلة خلت منه على رأس اثنتي عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فخرج حتى بلغ ودان ففاته عير قريش ووادعه أي صالحه بنو ضمرة بفتح المعجمة وسكون الميم ابن بكر على أن لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وعقد معه ذلك سيدهم مخْشي بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمة مع ياء مشددة ابن عمرو الضمري وقيل عمارة بن مخْشي بن خويلد ومخْشي بن عمر وقال البرهان لا أعلم له إسلاما وقال الشامي لم أر من ذكر له إسلاما فرجع إلى المدينة بعد خمسة عشر يوما ولم يلق كيدا، والأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمد قرية من عمل الفرع والصحيح أنها سميت بذلك لتبوئ السيول لها وليس بين ما فى سيرة ابن إسحاق من أن أول غزواته ودان وبين ما نقله عنه البخاري أن أولها

الأبواء اختلاف لأنهما مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية ولهذا وقع في حديث الصعب بن جثامة وهو بالأبواء أو بودّان انتهى من المواهب وشرحها. وقوله لقد غزا يقال غزا غزوا ومغزا والمغازي جمع مغزا والواحدة غزوة وغزاة وأصل الغزو القصد ومغزى الكلام مقصده، والمراد بالمغازي هنا ما حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة، قال الزرقاني جرت عادة المحدثين وأهل السير غالبا بأن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو سرية وبعثا وما ذكره الناظم من عدد الغزوات خلاف ما اقتصر عليه القسطلاني فإنه قال في المواهب، وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين وقال الزرقاني عقبه كما قاله أئمة المغازي: موسى ابن عقبة وابن إسحاق وأبو معشر والواقدي وابن سعد وجزم به الجوزي والدمياطي والعراقي وغيرهم، وقال ابن إسحاق في رواية عنه: ستا وعشرين وقيل غزا خمسا وعشرين، وعن ابن المسيب أربعا وعشرين، وقال المحب الطبري جملة المشهور منها: اثنتان وعشرون ويمكن الجمع بأن من عددها دون سبع وعشرين نظرا إلى شدة قرب بعض الغزوات من غيره فجمع بين غزوتين فعدهما غزوة واحدة فضم للأبواء بواطا إذ الأبواء في صفر وبواط في ربيع الأول وضم حمراء الأسد لأحد لكونها صبيحتها وقريظة للخندق لأنها ناشئة عنها وتلتها ووادي القرى لخيبر لوقوعها في رجوعه من خيبر ، والطائف لحنين لانصرافه منها إليها، فبهذا تصير اثنتين وعشرين وإلى هذا أشار الحافظ، قاله العلامة الزرقاني، وقال ابن أبي جمرة إن عدة غزواته صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون على ما ذكره ابن إسحاق وابن عقبة وقال غيرهما خمس وعشرون وفي صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوة وفي الصحيحين عن زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وسلم غزي تسع عشرة غزوة انتهى المراد منه.

قال الزرقاني عن الحافظ من قال تسع عشرة فلعله أسقط الأبواء

وبواطا وكان خفي عليه ذلك لصغره انتهى. ثم بعد ودان وهي غزوة الأبواء غزوة بواط بفتح الموحدة عند الأصيلي والمستملى من روات البخاري والعذري من روايه مسلم وصدر فى الفتح فتبعه السيوطي والقسطلاني فى المواهب قائلين وقد تضم وهو صريح فى قلته مع أنه الأعرف كما فى المطالع واقتصر عليه فى المقدمة والقسطلاني فى الشرح وصاحب القاموس وواه مخففة فألف فطاء مهملة جبل من جبال جهينة قرب ينبع على أربعة برد من المدينة، غزاها صلى الله عليه وسلم فى مائتين من المهاجرين يتعرض عير قريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيهم أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مقدمه كما قاله ابن إسحاق، وقال أبو عمرو وتلميذه ابن حزم فى ربيع الآخر، حتى بلغ بواطا من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة مقصور جبل، قال فى السبل على أربعة برد من المدينة وبه يفسر قول المجد على أبراد فرجع ولم يلق كيدا، أي حربا، قاله الإمام الزرقاني وبعضه من المواهب.

فائدة:

ذكر الشامي وغيره أنه فى هذه الغزوة حمل لواءه سعد بن أبى وقاص، وفى العيون سعد بن معاذ وناقضه البرهان والأقرب أنه ابن أبي وقاص للتصريح بأن الذين خرجوا من المهاجرين، نعم، قيل انه استخلف على المدينة سعد بن معاذ قال الزرقاني قال شيخنا فلعله التباس فى الاستخلاف بالحمل وقيل استخلف عليها السائب بن عثمان بن مظعون انتهى.

ثم بعد بواط العشيرة بضم العين المهملة وإعجام الشين مصغرا وآخره هاء، قال فى المواهب لم يختلف أهل المغازى فى ذلك الضبط قال الزرقاني قال فى المشارق وهو المعروف قال الحافظ وهو الصواب انتهى.

ثم قال فى المواهب وفى البخاري العشير والعسيرة بالتصغير

والأولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء انتهى.

قال الزرقاني ولأبى ذر العسير بالمهملة أو العشير بالمعجمة، والتصغير فيهما وفى نسخة عن الأصيلي العشير بفتح العين وكسر الشين المعجمة بغير هاء، انتهى.

وخرج إليها صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة وقيل فى جمادى الأخيرة فى خمسين ومائة رجل وقيل فى مائتين حكاهما ابن سعد، وزاد من قريش من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحدا على الخروج ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللواء وكان أبيض حمزة أسد الله وأسد رسوله يطلب عير أبى سفيان فى خروجها إلى الشام أي العير التى كانت بسببها وقعة بدر ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير ولا يرد على هذا أن العير هي الإبل التي تحمل الميرة لقول المصباح أنها غلبت على كل قافلة فوجدوا العير قد مضت قبله بأيام. قال أبو عمر فأقام هناك جمادى الأولى وليال من جمادى الأخيرة ووادع أي صالح فى هذه السفرة بنى مدلج من كنانة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا والعشيرة موضع بناحية ينبع قاله فى القاموس وفى الكلاعي حتى نزل على العشيرة من بطن ينبع انتهى.

فائدة:

نسخة الموادعة بينه صلى الله عليه وسلم وبين بنى ضمرة الواقعة فى غزوة ودان: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم أن لا يحاربوا فى دين الله ما بل البحر صوفة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وعهد رسوله واستعمل فى خروجه ذلك على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه ثم بعد العشيرة غزوة بدر الأولى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر كما عند ابن إسحاق وقال ابن

حزم أنها بعد العشيرة بعشرة أيام فأغار كرز بضم الكاف وسكون الراء وبالزاء آخره ابن جابر الفهري وكان من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب واستشهد في غزوة الفتح على سرح المدينة وهو بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة كما في النور والسبل ولعل المراد بالمواشي المال السائم وإن كانت المواشي كما في القاموس الإبل والغنم وفي العيون السرح ما رعوا من نعمهم فخرج صلى الله عليه وسلم في أثره حتى بلغ سفوان وهو بفتح السين المهملة وفتح الفاء وبالنون بعد الألف موضع من ناحية بدر، هكذا في النهاية، وتبعه السمهودي فقال سفوان بفتحات واد من ناحية بدر، وقيل الفاء ساكنة وحمل اللواء وكان أبيض كما في الشامية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففاته كرز فرجع ولم يلق كيدا وكرز هذا هو الذي استنقذ لقاح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك من العرينيين وجيئ بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وهذه الغزوات الأربع التي ذكرت قبل ما سمى الناظم رحمه الله تعالى فلهذا ذكرناها هنا، ويليها غزوة بدر الكبرى والكبرى نعت لغزوة لا لبدر وتسمى العظمى والثانية، وبدر القتال وبدر الفرقان، قاله الزرقاني ولما كانت الغزوات التي غزاها صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة منها ما اتفق فيه قتال ومنها ما لم يتفق فيه قتال، أشار المؤلف إلى بيان ذلك فقال **(وفي سبع بغير لبس * قاتل)** المجرور السابق متعلق بقوله قاتل وفاعل قاتل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم واللبس الإختلاط يعني أنه صلى الله عليه وسلم قاتل في سبع من الغزوات التي غزاها بنفسه الشريفة وسيبينها الناظم قريبا والمراد بقتاله فيها عليه السلام قتال أصحابه للكفار فيها بحضرته وأما هو عليه السلام فلم يعلم أنه قاتل بنفسه إلا في أحد ولم يقتل أحدا إلا أبي بن خلف فقتله في أحد، قال في المواهب وقاتل في تسع منها بنفسه بدر وأحدا والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف، قال الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرحها قال ابن تيمية لا

يعلم أنه قاتل في غزاة إلا في أحد ولم يقتل أحدا إلا أبي بن خلف فيها، فلا يفهم من قولهم قاتل في كذا أنه بنفسه كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع له على أحواله عليه السلام انتهى. ثم قال الزرقاني ففي قوله يعني القسطلاني بنفسه شيء وأجيب بأن المراد قتال أصحابه بحضوره فنسب إليه لكونه سببا في قتالهم ولم يقع في باقي الغزوات قتال منهم ولا منه، قال في النور قد يرد على ابن تيمية حديث: «كنا إذا لقينا كتيبة أو جيشا أول من يضرب النبي صلى الله عليه وسلم» ويمكن تاويله، ثم قال القسطلاني وهذا يعني عده لغزوة الفتح على قول من قال فتحت مكة عنوة قال الزرقاني وهم الجمهور وأما على قول الأقل فتحت صلحا فيكون القتال في ثمان وقال الزرقاني أيضا قال ابن عقبة قاتل في ثمان وأهمل عدّ قريظة لأنه ضمها للخندق لكونها كانت إثرها وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين وأحدا لكونها كانت في أثرها هكذا في فتح الباري وإنما كان لا ينفي أنه قاتل في جميعها غايته أنه على عد الإثنتين واحدة بالاعتبار المذكور يكون قاتل في موضعين منها انتهى.

والحديث الذي ذكر أنه يرد على ابن تيمية ذكره في الشفا ونسبه ابن سلطان لأبي الشيخ وقال ابن سلطان إن النسفي قال في تفسيره لم يقتل رسول صلى الله عليه وسلم بيده غيره، يعني أبيا، انتهى كلامه.

ثم بين الناظم رحمه الله تعالي أسماء الغزوات التي قاتل فيها عليه السلام فقال: **(بدر أحد والخندق * بني قريظة بني المصطلقي * وغزوة الطائف مع حنين)** قوله بدر وما بعده بالجر بدل من قوله سبع المتقدم يعني أن هذه الغزوات السبع هي التي وقع فيها القتال من أصحابه بحضرته صلى الله عليه وسلم على ما قال الناظم وهي غزوة بدر وهي قرية مشهورة بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة قاله النووي نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحارث ابن كلدة حافر بئرها وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت البير بدرا لاستدارتها كبدر السماء أو لصفاء مائها ورؤية

البدر فيها وغزوة أحد وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة وغزوة بنى المصطلق وتسمى غزوة المريسيع وغزوة الطائف وغزوة حنين وها أنا أذكر إن شاء الله طرفا من جميعها على وجه الإختصار حذرا من التطويل الممل لأن الناظم لم يذكرها إلا بما مرّ فأقول ومن الله تعالى أسأل الإخلاص والقبول:

أما غزوة بدر فهي أعظم غزوات الإسلام وأفضلها قال ابن عبد البر وليس فى غزواته صلى الله عليه وسلم ما يصل إليهافي الفضل ويقرب منها غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان فيها نقله الزرقاني. وفى الحديث لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم. وفيه أن جبريل جاءه فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة هذا كله فى البخاري. وقد قال العلماء الترجي فى كلام الله ورسوله للوقوع على أن أحمد وأبا داوود وغيرهما رووه بلفظ إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وكان خروجه صلى الله عليه وسلم إليها يوم السبت كما جزم به مغلطاي. وعند ابن سعد يوم الإثنين وقالا معا لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان زاد مغلطاي على رأس تسعة عشر شهرا فقال ابن هشام لثمان خلون منه، واستخلف أبا لبابة الأوسي واليا على المدينة وذلك لما سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير عظيمة لقريش فندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فخف بعض الناس وثقل بعض إذ لم يظنوا أنه صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار حتى أصاب خبرا باستنفار رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولعيره فاستاجر ضمضما بفتح المعجمتين بعد كل ميم قاله الزرقاني بن عمرو الغفاري بكسر المعجمة وتخفيف الفاء والظاهر هلاكه على كفره قاله فى النور ليخبر قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم فخرج

ضمضم وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلاث رؤيا أفزعتها فقالت للعباس يا أخي لقد رأيت رؤيا تخوفت على قومك من أن يصيبهم منها شر فاكتم عني ما أحدثك، فقال لها ما رأيت؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أرسل صخرة فأخذها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل انقضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها فلقة منها فقال لها والله إن هذه لرؤيا حق وأنت فاكتميها، فذكرها العباس للوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقا له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه عتبة وفشى الحديث، قال العباس فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال قلت وما ذاك؟ قال الرؤيا التي رأت عاتكة، قد زعمت في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث: فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقا فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن نكتب عليكم كتابا انكم أكذب بيت في العرب. قال العباس فما كان مني إليه كبير فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني وقالت أأقررتم هذا الخبيث أن يقع في رجالكم؟ ثم تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غير لشيء مما سمعت. فقلت وأيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيكنه، قال فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى أنه قد فاتني أمر أحب أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود فأقع به إذ خرج يشتد وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدعه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث، قال فشغلني وشغله ما جاء من الأمر فتجهز الناس سراعا وقالوا يظن محمد وأصحابه أن تكون

كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث رجلا مكانه، واللطيمة العير تحمل المسك، ولما أجمعوا السير ذكروا حربا كانت بينهم وبين بكر بن كنانة وقالوا إنا نخشى أن ياتونا من خلفنا فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة المدلجي وقال إنى لكم جار من أن تاتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا وكان البدريون من الصحابة ثلاثة عشر وثلاث مائة على ما رواه أحمد والبزار والطبراني عن ابن عباس وهو المشهور عند ابن اسحاق وللبيهقي بسند حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص ثلاث مائة وخمسة عشر، وفى صحيح مسلم وسنن أبى داوود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهم ثلاث مائة وتسعة عشر بفوقية فسين مهملة فجمع الحافظ بينه وبين الأول كما فى الزرقاني بأنه ضم إليهم من استصغر ولم ياذن له فى القتال كابن عمر والبراء وأنس وجابر وحكى السهيلي أنه حضر مع المسلمين سبعون نفسا من الجن كانوا أسلموا قال الزرقاني معه بعض كلام المواهب وإذا تحرر هذا فليعلم أن الجميع لم يشهدوا القتال وإنما عدة من استمر معه حتى شهد القتال ثلاث مائة وخمسة رجال كما قاله ابن سعد، ولابن جرير عن ابن عباس وستة، قال الحافظ فكأن ابن سعد لم يعد النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قال ابن سعد المهاجرون منهم اربعة وستون وسائرهم من الأنصار وثمانية رجال منهم لم يحضروها حسا ولكنهم بدريون حكما لأنهم إنما تخلفوا للضرورات ولذا أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يخصهم من الغنيمة وأخبرهم أن لهم أجر من شهدها فكانوا كمن حضرها فعدوا فى أهلها، وهم عثمان تخلف على زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بإذنه فى مرض موتها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما فى البخاري إن لك لأجر رجل ممن شهدها وسهمه وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان عير قريش هؤلاء مهاجرون ومن الأنصار أبو لبابة استخلفه على المدينة وعاصم بن عدي على أهل العالية والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم والحارث بن الصمت

وقع للروحاء فكسر فرد هؤلاء من الروحاء وخوات بن جبير أصابه حجر في ساقه فرده من الصفراء، وذكر الواقدي فيهم سعد بن مالك الساعدي والد سهل بن سعد، قال تجهز ليخرج لبدر فمات فضرب له بسهمه وأجره، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ بير أبي عنبة كواحدة العنب الماكول وهي على ميل من المدينة عرض أصحابه فرد من استصغر وسار حتى بلغ الروحاء بفتح الراء وسكون الواو وحاء مهملة ممدودة قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة، وفي مسلم على ستة وثلاثين ميلا فنزل سجسجا بفتح السين المهملة وسكون الجيم بعدهما مثلهما وهي بئر الروحاء قال السهيلي سميت بذلك لأنها بين جبلين وكل شيء بين شيئين سجسج فلما سار من الروحاء وقرب من الصفراء أتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم من رسوليه اللذين أرسلهما يتجسسان خبر أبي سفيان وهما بسبس بموحدتين مفتوحتين ومهملتين أولاهما ساكنة ولجميع رواة مسلم بسيسة بضم الموحدة وفتح المهملة وسكون التحتية وفتح السين فتاء تأنيث والأول هو المعروف والأصح كما قاله الذهبي وكذا ذكره ابن إسحاق والدارقطني وابن عبد البر وابن ماكولا والسهيلي قال في الإصابة وهو الصواب وهو ابن عمرو الجهني حليف الخزرج وعدي بن ابي الزغباء الجهني أيضا حليف بني النجار فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء وأخذا يستسقيان فسمعا جاريتين تقول إحداهما لصاحبتها إن أتاني العير غدا أو بعد غد أعمل لهم ثم أقضيك الذي لك، فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وفي حرب النفير أي خيرهم بين طلب العير وحرب القوم النافرين لقتالهم وقال ان الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش وكانت العير أحب إليهم كما قال تعالى: {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} وذات الشوكة الطائفة التي فيها السلاح كذا في المواهب وشرحها ان الرسولين هما اللذان أتيا بخبر النفير قرب الصفراء وظاهر الكلاعي أن الخبر أتاه بعد ذلك فإنه

قال بعد فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ثم تقدم أبو سفيان العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدي هل أحسست أحدا؟ قال لا إلا أنى قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففتته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب فأسرع إلى أصحابه فضرب وجه عيره عن الطريق وترك بدرا بيساره ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى واديا يقال له ذفران فنزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فأخبر الناس واستشارهم فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن انتهى المراد منه.

وفى القاموس وذفران بكسر الفاء واد قرب واد الصفراء وتصحيف لدقران وقوله فأحسن أي جاء بكلام حسن، قال الزرقاني ولم أر من ذكره، ثم قام عمر فقال وأحسن وذكر ابن عقبة انه قال يا رسول الله إنها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته وعزها بالنصب أو بالرفع مبتدأ حذف خبره أي ثابت لم يتغير، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له عليه السلام خيرا ودعا له بخير ويعنى ببرك الغماد مدينة الحبشة، قاله القسطلاني وقال الزرقاني هو بفتح الموحدة عند الأكثر وهو المعروف فى الرواية، وفى رواية بكسرها والراء ساكنة وحكى عياض عن الأصيلي فتحها قال النووي وهو ضعيف والغماد بكسر المعجمة وتخفيف الميم قال الحازمي موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمين وقال البكري هي أقاصي هجر وحكى ابن فارس ضم الغين والفزاز فتحها وقال ابن دريد بقعة فى جهنم واعترضه بعضهم لأنه عليه السلام لا يدعوهم إلى جهنم، وخفي عليه أن ذلك بطريق المبالغة لا الحقيقة، والأولى تفسره بأنه

أقصى معمور الأرض كما هو أحد معانيه ثم قال صلى الله عليه وسلم أيها الناس أشيروا علي وإنما يريد الأنصار، لأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برؤاء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى أن عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة فقال له سعد بن معاذ الذى هو فى الأنصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين كما صرح به البرهان والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، فقال أجل، قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر أي طلبت أن نقطع عرضه فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق اللقاء ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله، فسر عليه السلام بقول سعد، ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا بأن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم، قال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا فما أخطأ أحدهم أي ما تنحى عن موضع يده عليه السلام ، قال ابن سيد الناس روينا من طريق مسلم أن الذى قال ذلك المذكور عن سعد معاذ سعد بن عبادة سيد الخزرج وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ قال الحافظ ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الأولى بالمدينة والثانية بعد أن خرج قال ابن سيد الناس واختلف فى شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحاق فى البدريين وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي فيهم اهـ وأشار فى الفتح إلى أنه ليس بخلاف حقيقى لأنه قال لم يشهد سعد بن عبادة بدرا وإن عد منهم لكونه ممن ضرب له بسهمه وأجره وفى العيون أيضا روينا عن ابن سعد أنه كان يتهيأ للخروج ويحض الأنصار علي الخروج فنهش فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها

فلقد كان عليها حريصا، قاله الزرقاني، ثم ارتحل عليه السلام من ذفران بفتح المعجمة وكسر الفاء ونزل قريبا من بدر، ونزل قريش بالعدوة القصوى من الوادى أي البعدى من المدينة وهي بضم العين وكسرها وبهما قرئ فى السبع وقرئ شاذا بفتحها جانبه وحافته ونزل المسلمون على كثيف أعفر وألقى الله الأمنة والنوم على المسملين وأصبح بعضهم جنبا وألقى الخوف على المشركين حتى ضربوا وجوه خيلهم إذا صهلت لشدة الخوف ونزل صلى الله عليه وسلم أدنى ماء من القوم ثم أمر بالقلب فغورت بالمعجمة وشد الواو أي دفنت وبالمهملة معناه عند ابن الأثير وقال أبو ذر معنى المهملة أفسدت وبنى حوضا على القليب الذى نزلوا عليه فملئ ماءا ثم قذفوا فيه الآنية وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش وهو شبه الخيمة يستظل به فكان فيه ولما عدل صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورءاها قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى، اللهم أحنهم الغداة، فخرج الأسود بن عبد الأسد فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فتبعه حمزة رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما أن تبر يمينه فقتله حمزة فى الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين ابنه الوليد وشيبة بن ربيعة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار وهم عوف بالفاء وسماه بعضهم عوذا بالذال والأول أصح ومعوذا ابنا الحارث النجاريان وأمهما عفراء الصحابية النجارية أيضا ولها خصوصية لا توجد لغيرها كما فى الإصابة لأنها لها سبعة أولاد شهدوا بدرا كلهم وهم بنو الحارث معاذ وأخواه السابقان وأبناء البكيري الليثي اياس وعاقل وخالد وعامر تزوجت أباهم بعد الحارث قاله الزرقاني وخرج مع ابني عفراء عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم؟ قالوا نحن رهط من الأنصار، فقالوا ما لنا بكم من حاجة. وفى رواية فقال عتبة أكفاء كرام إنما نريد قومنا، ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا فقال صلى الله عليه وسلم قم

يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فلما دنوا منهم قالوا من أنتم؟ لأنهم كانوا متلثمين فلا يرد أنهم كانوا يعرفونهم فتسموا لهم فقالوا نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وكان أسن الثلاثة وبارز حمزة شيبة وقيل ان شيبة هو الذى قام لعبيدة وعلي الوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة شيبة وعبيدة ومن بارزه، ضرب كل منهما صاحبه ضربة أثخنه بها فوقعت الضربة فى ركبة عبيدة فمات لما رجع بالصفراء فمال حمزة وعلي على من بارزه عبيدة فأعاناه على قتله فهو قاتله بإعانتهما، وفى رواية هما اللذان قتلاه أي عجلا قتله، وإلا فعبيدة كان أثخنه، قاله الزرقاني وحمل عبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل فقال أشهيد أنا يا رسول الله؟ قال نعم، قال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل، ثم أنشأ يقول:

فإن يقطعوا رجلى فإني مسلم أرجى بها عيشا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه لباسا من الإسلام غطى المساويا

رواه أبو داوود ولما قتل المبارزون تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش حتى أتوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه يومئذ رجل إلا قتل إلا حكيم بن حزام فأسلم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذا اكثبوكم فارموهم واستبقوا انبلكم والمعنى إذا قربوا منكم وأمكنوكم فارموهم واستبقوا نبلكم فى الحالة التى إذا رميتم لا تصيبوا غالبا، قاله ابن السكيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ومعه الصديق وليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ متوشحا سيفه فى نفر من الأنصار على باب العريش يحرسونه وهو عليه السلام يناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر، وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أخذته سنة فى العريش ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع بفتح النون وسكون القاف أي الغبار، وفى رواية هذا جبريل ءاخذ

برأس فرسه عليه أداة الحرب، ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر، وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا دخل العريش واستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف اللهم أنجزلى ما وعدتنى. وقوله ألف هذا أولى للصواب لصحته، وكونه عن عمر وافقه عليه ابن مسعود وهما بدريان وقال موسى بن عقبة تسعمائة وخمسون مقاتلا ويمكن الجمع بأن الخمسين باقى الألف غير مقاتلين، قاله الزرقاني وروي أن جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض وقد أرخوا أطرافها بين أكتافهم وقوله بيض أي من نور كما فى الرواية إذ لم يكن عليهم شيء من العمائم المعروفة، وعن علي كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض أي النور المرئي للناظر مثل الصوف الأبيض، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال البرهان لا أعرف اسمه وهو مذكور فى الصحابة قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة فننهب مع من ينهب، فبينما نحن فى الجبل إذ دنت سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم، فأما ابن عمى فانشق قناع قلبه فمات، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت والحمحمة صوت دون الصهيل وأقدم بقطع الهمزة من الإقدام كما رجحه ابن الأثير وصوبه الجوهري وصححه النووي أو بهمزة وصل مضمومة وضم الدال بمعنى التقدم وقدمه ابن قرقول أو بكسر الهمزة وفتح الدال واقتصر عليه البارع قال أبو ذر كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بحذف حرف النداء فيعول من الحزم وتطلق على الصدر قال الشامي فيجوز أنه سمي به لأنه صدر خيل الملائكة ومتقدم عليها والدبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة ويجوز فتحها وفى السبل بفتحتين وتسكن الهزيمة فى القتال وحيزوم اسم

فرس جبريل قال البرهان وله فرس أخرى ويحتمل أن أحدهما اسم والآخر لقب الحياة وهي التى قبض السامري من أثرها قاله الزرقاني وفى حاشية عليه انظر ما مرجع ضمير التثنية، وحاصل ما ذكره على ما يظهر أن البرهان يقول أن لجبريل فرسين أحدهما حيزوم والآخر الحياة ويحتمل أنه فرس واحد يسمى بحيزوم ويلقب بالحياة، وعن سهل بن حنيف بضم الحاء مصغر لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وما ذاك إلا من الملائكة قال السبكي والحكمة فى قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على أن يدفع الكفار بأجمعهم بريشة من جناحه كما روي أنه رفع مدائن قوم لوط وهي أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل من الأرض السفلى على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابها وأصوات بنيها وقلبها، أن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مددا لهم على عادة الجيوش ولما التقى الجمعان أخذ صلى الله عليه وسلم بأمر جبريل ملئ كف من الحصباء فرمى به فى وجوههم، وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر منهم من أسر فممن قتل عدو الله أبو جهل، فرعون هذه الأمة، أقبل يرتجز ويقول:

ما تنقم الحرب العوان مني ... بازل عامين حديث السن

لمثل هذا ولدتني أمي

وكان أول من ضربه فيما ذكر معاذ بن عمرو بن الجموح أحد بني سلمة قال سمعت القوم يقولون وأبو جهل فى مثل الحرجة، أبو الحكم لا يخلص إليه، فصمدت نحوه وضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها، قال محمد بن عبد الباقي فى رواية ابن وهب أنه جاء النبي صلى الله عليه وسلم يحملها فبصق عليها فلصقت

بكسر الصاد والحرجة بفتح الحاء المهملة وسكون الراء والجيم فهاء تأنيث شجر ملتف قاله في النهاية وفي حواشي أبي ذر الشجرة الكبيرة الأغصان، وأطنت قدمه أسرعت قطعها وقال بعد كلام في من قتله والحاصل أن معاذا ومعوذا ابني عفراء بلغا به بضربهما إياه منزلة المقتول حتى لم يبق به إلا مثل حركة المذبوح وفي تلك الحالة لقيه ابن مسعود فكالمه ثم ضرب عنقه بسيف نفسه لكن في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وأنه صلى الله عليه وسلم نظر في سيفيهما وقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو وقال ابن عبد البر وعياض أصح منه حديث الصحيحين عن أنس أي وعبد الرحمن أيضا أن قاتله ابنا عفراء وجمع الحافظ باحتمال أن معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو وضربه بعد ذلك معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم حز رأسه ابن مسعود. انتهى. وسبقه إليه النووي فقال اشترك الثلاثة في قتله لكن ابن الجموح اثخنه أولا فاستحق السلب، انتهى المراد منه.

وممن قتل أمية بن خلف أسره عبد الرحمن بن عوف وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فنظره بلال وكان أمية يعذبه بمكة فقال بلال يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجى، فشبروه بأسيافهم وقيل قتله بلال وهنأه الصديق بقوله:

هنيئا زادك الرحمن فضلا ... فقد أدركت ثأرك يا بلال

ومنهم أهل المبارزة المار ذكرهم، ومنهم العاصي بن هشام أخو أبي جهل ومنهم أبو قيس بن الوليد أخو خالد وقيس بن الفاكه بن المغيرة وحنظلة بن أبي سفيان والأسود بن عبد الأسد، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي والعاصي بن قيس بن عدي السهمي ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة وعمرو بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله بن عثمان وطعيمة بن عدي وثلاثة أولاد للأسود بن مطلب، زمعة وعقيل ابناه والحارث ابن زمعة وهو ابن ابنه وهو أي الأسود أحد المستهزئين كان دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالعمى وثكل الولد فسبق له

الغمي وقتل له من ذكر وكان يحب أن يبكي عليهم فسمع نائحة بالليل فقال لغلام له انظر هل حل النحب، هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي فإن جوفي قد احترق فرجع إليه وقال إنما هي امرأة تبكي على بعير قد أضلته فقال:

أتبكي أن يضل لهـا بعـيـر ... ويمنعـهـا من النوم السـهـود
فـلا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقـاصـرت الجدود

في أبيات ومنهم العاصي ولد أبو أحيحة سعيد بن العاصي بن أمية وغيرهم ولما أمر صلى الله عليه وسلم بعظماء القتلى أن يطرحوا في القليب، وفي الصحيح أنهم أربعة وعشرون فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وتبع أصحابه حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعدكم الله حقا فإني وجدت ما وعدني الله حقا، وفي رواية أنه قال: عليه السلام يا أهل القليب بيس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فجزاكم الله عني من عصابة شرا وممن أسر وأسلم بعد ذلك خالد بن هشام أخو أبي جهل وسهيل بن عمرو وأبو العاصي بن الربيع وغيرهم رضي الله عنهم، وممن أخذ أيضا العباس رضي الله عنه، ويروى أن هاتفا من الجن مرّ على مكة في اليوم الذي أوقع المسلمون بقريش وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصه:

أزار الحنيفيون بدرا وقيعة ... سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لأي وأبرزت ... خرائد يضربن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد ... فقد حاد عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم من الحنيفيون؟ فقالوا هو محمد وأصحابه. يزعمون أنهم على دين إبراهيم ثم لم يبلثوا أن جاءهم الخبر اليقين وكان أول من قدم مكة بمصابهم الحيسمان بن عبد الله الخزاعي قاله الكلاعي وروى

الطبراني أن أبا اليسر الأنصاري ثم السلمي بفتحتين أسر العباس رضي الله عنه وقيل له وكان جسيما جميلا كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك؟ فقال ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة وهي كما قال القسطلاني جبل من جبال مكة، وروى البخاري أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يتركوا للعباس فداءه فقال والله لا تذرون منه درهما وروى ابن إسحاق أنه عليه السلام قال يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عامر، قال إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني، قال الله تعالى أعلم بما تقول، إن يكن ما تقول حقا، فإن الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا وذكر ابن عقبة أن فداء كل واحد من الأسارى كان أربعين أوقية ذهبا وقال قتادة كان فداء كل أسير أربعة آلاف واستشهد يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين: عبيدة بن الحارث ومهجع بكسر الميم وفتح الجيم مولى عمر وهو أول من قتل من المسلمين وقال عليه السلام يومئذ مهجع سيد الشهداء، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد وعاقل بن البكيري الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي وستة من الخزرج: عوف بن عفراء وشقيقه معوذ بشد الواو وفتحها على الأشهر وجزم الوقشي بالكسر وحارثة بن سراقة وكان في النظارة فجاءه سهم غرب فوقع في نحره فقتله ويزيد بن الحارث ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وخفة الميم بن الجموح واثنان من الأوس: سعد بن خيثمة الشهيد بن الشهيد والصحابي بن الصحابي واستشهد أبوه يوم أحد ومبشر بن عبد المنذر وقتل من الكفار سبعون وأسر منهم سبعون كما في حديث البخاري ومسلم، قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له، سماهم نتنى لكفرهم، قال الحافظ أي بغير فداء، وقد مات المطعم قبل وقعة بدر وذكر الفاكهاني أن حسان بن ثابت رثاه فجازاه مجازاة له على ما صنع مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى،

ونقل ابن اسحاق رثاء حسان وهو:

عيني ألا ابكي سيد الناس واسجمي ... بدمع وإن أنزفته فاسكبي الدما
وبكي عظيم المعشرين كليهما ... على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا ... من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدك ما لبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها ... وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره ... وذمته يوما إذا ما تذمما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعز وأكرما
وأنأى إذا يابى وألين شيمة ... وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

قال الزرقاني ورثاء حسان رضي الله عنه له وهو كافر لأنه تعداد المحاسن بعد الموت، ولا ريب فى أن فعله مع المصطفى صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلا ضير فى ذكره به وبنحوه مما ذكره، وقد كفن المصطفى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي المنافق بثوبه، مجازاة له على الباس العباس قميصه يوم بدر لما كان فى الأسارى وممن أسلم من الأسارى أبو عزيز بفتح العين وكسر الزاي الأولى ابن عمير أخو مصعب واسمه زرارة وقول الزبير بن بكار أنه قتل بأحد كافرا رده ابن عبد البر وقال السهيلي غلط الزبير وقد أسلم يوم بدر والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر، وعدي بن الخيار والسائب بن أبي حبيش وأبو وداعة السهمي وسهيل بن عمرو أسلموا فى فتح مكة وأسلم منهم أيضا خالد بن هشام وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبي بن خلف، وعبد بن زمعة أخو سودة ووهيب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب المخزومي ونسطاس مولى أمية بن خلف والوليد بن الوليد نقله الشيخ محمد بن عبد الباقى وكان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس الزبير بن العوام وفرس مرثد بن أبى مرثد الغنوي وفرس المقداد بن عمرو البهراوي، قاله الكلاعي، وقال فى المواهب وكان معهم ثلاثة أفراس: بعزجة فرس المقداد، واليعسوب فرس الزبير، وفرس لمرثد الغنوي، لم يكن لهم يومئذ خيل غير هذه، وكان معهم سبعون بعيرا انتهى. وبعزجة بفتح الموحدة وإسكان المهملة فزاي فجيم فهاء

تانيث كما فى النور وحرف نساخ الشامية الزاي بالراء، قال السهيلي البعزجة شدة جري الفرس فى مغالبة، كأنه منحوت من أصلين من بعج إذا شق وعز أي غلب انتهى ويقال اسمها سبحة بفتح السين وإسكان الموحدة وبالحاء المهملتين وبه صدر الشامي واليعسوب بفتح التحتية فعين فسين مضمومة مهملتين وقيل اسمها السيل وبه صدر الشامي ومرثد بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثلثة فدال مهملة ابن أبى مرثد وكناز بن الحصين بدري بن بدري والغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة إلى غنى بن يعصر والمقداد بن عمرو وهو الشهير بابن الأسود، وقال ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم دفع اللواء وكان أبيض إلى مصعب بن عمير قال وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع علي والأخرى مع بعض الأنصار انتهى.

تنبيه:

قال الكلاعي قاتلت الملائكة يوم بدر، وقال ابن عباس ولم تقاتل فى يوم سواه، كانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا لا يضربون. انتهى.

وفي المواهب، قيل ولم تقاتل الملائكة غير يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا، وبه صرح ابن كثير وهذا يرده حديث مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص أنه رأى عن يمينه صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعنى جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يقاتلان كأشد القتال، قال النووي، هذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح فى الرد عليه انتهى.

وقوله عدد بضم العين جمع عدة كغرف وغرفة، وأجاب البيهقي عن حديث مسلم بما حاصله أن قتال الملائكة ببدر كان عاما عن جميع القوم، وأما فى أحد فإنهما ملكان وقتالهما عن النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، قاله الزرقاني ومما قيل يوم بدر من الشعر قول حسان:

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحي فى الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جون ... من الوسمي منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست ... يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم ... ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذى لا عيب فيه ... بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع الإله غداة بدر ... لنا فى المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم جراد ... بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع ... كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد آزروه ... على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات ... وكل مجرب خاظي الكعوب
بنو الأوس الغطارف آزرتها ... بنو النجار فى الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعا ... وعتبة قد تركنا فى الجبوب
وشيبة قد تركنا فى رجال ... ذوى حسب إذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان حقا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا ... صدقت وكنت ذا رأي مصيب

القشيب هنا الذى خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم، واللقح بالسكون والتحريك مصدر لقح كفرح، وخاظ الكعوب مكتنزها، قويها، والجبوب الأرض أو غليظها أو هو موضع ببدر قاله فى القاموس، وكباكب أي جماعات والكبكبة الجماعة قاله أيضا، وقال حمزة بن عبد المطلب ومنهم من ينكرها له:

ألم تر امرا كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوما أفادهم ... فخانوا تواص بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا يوم بدر بجمعهم ... فكانوا رهونا للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختل الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا ... وشيبة قتلاهم تجرجم فى الجفر

وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمر
جيوب نساء من لؤي بن غالب ... كرام تفرعن الذوائب من فهر

إلى أن قال:

وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مأزق فيه مناياهم تجري

أفادهم بالفاء المروسة أهلكهم وفاعله تواص وتجرجم بجيمين أي تلقى، قال فى القاموس تجرجم سقط وانحدر فى البير والحفر البئر لم تطو أو طوى بعضها والأثر ويكسر فرند السيف قاله فى القاموس، وقال الفرند بكسر الفاء والراء السيف وجوهره ووشيه انتهى. وقال كعب بن مالك السلمي:

عجبت لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر ان نلاقي معشرا ... بغوا وسبيل الغي فى الناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعب جميعا وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بنى النجار تحت لوائه ... يمشون فى الماذي والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد ... بأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها ... مقاييس يزهيها بعينك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعا لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عافر
وشيبة والتيمي غادرن فى الوغى ... وما منهما إلا بذى العرش كافر

قال فى القاموس الماذي كل سلاح من الحديد وبهاء الدرع اللينة أو البيضاء ولضرار بن الخطاب الفهري فى هذا الروي شعر وهو:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر ... عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار ان كان معشر ... أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنا رجالا بعدهم سنغادر

وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم بني الأوس حتى يشفي النفس ثائر
ووسط بني النجار سوف نكرها لها بالقنى والدارعين زوافر
فنترك قتلى تعصب الطير حولهم وليس لهم إلا الأماني ناصر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا بهن دمٌ ممن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما بأحمد أمسى جدكم وهو ظافر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه يحامون في اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت في بيوتها بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل في كل معرك غداة الهياج الأطيبون الأكابر

وقال علي رضي الله عن جميعهم ولم ير ابن هشام أحدا يعرفها:

ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل

إلى أن قال:

تبيت عيون النائحات عليهم تجود بأسبال الرشاش وبالوبل
نوائح تنعى عتبة الغي وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلبة حرا مبينة الثكل
ترى منهم في بئر بدر عصابة ذوي نجدات في الحروب وفي المحل

المسلبة التي لبست السلاب وهو خرقة سوداء تلبسها الثكلى، والثكل بالضم فقدان الحبيب، وحشدوا جمعوا، والمعقل المنعة، والمستبسل الذي يوطن نفسه على الموت والضرب، والعناجيج جياد الخيل انتهى.

ثم بعد بدر غزوة سليم وهي قرقرة الكدر، ثم غزوة بني قينقاع ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بحران، فهذه خمس قبل أحد وبعد بدر، ولم أتكلم عليها هنا لئلا يطول الفصل بينما ذكره الناظم، ويأتي الكلام عليها إن شاء الله بعدما ذكر الناظم وبعدها "**غزوة أحد**" بضم الهمزة والحاء، قال المصباح مذكر مصروف وقيل يجوز تأنيثه باعتبار البقعة فيمنع وليس بالقوي، وهو جبل معروف، بين أوله وبين باب المدينة المعروف بباب البقيع ميلين وأربعة

أسباع ميل تزيد يسيرا وسمي بذلك لانقاطعه عن جبال أخر هناك، وهو أحمر، ويقال له ذو عينين لمجاورته لجبل يسمى عينين، وفى القاموس وعينين بكسر العين وفتحها مثنى على كل منهما لا بفتح العين وسكون الياء وكسر النون الأولى كما قال المطرزي وعليه فليس بمثنى جبل بأحد وقف عليه إبليس فنادى إن محمدا قد قتل، وقال عليه السلام: أحد جبل يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة، أخرجه أحمد قيل وفيه قبر هارون عليه السلام وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق قاله فى المواهب وكان يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل فى نصفه بعد بدر بسنة وشهر، وسببها أن قريشا لما أصيبوا يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره قال عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن المغيرة وعكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية وأسلموا كلهم بعد ذلك، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا، فأجابوا لذلك وفيهم نزل: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها} (الآية). وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم أي بأن قريشا ومن أطاعها من أهل كنانة اجتمعوا لحربه وبعثه مع رجل من بنى غفار وشرط عليه أن يأتي المدينة فى ثلاثة أيام بلياليها فقدم عليه بقباء فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبيا وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا بعينين وكان رجال من المسلمين قد ندموا على ما فاتهم من مشهد بدر ورأى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيى فلما أصبح قال إنى والله رأيت خيرا، رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما، ورأيت أني أدخلت يدي فى درع حصينة، قالوا بما أولتها؟ قال فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون، وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل، وفى رواية أحمد وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا فإن دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا بالنبل من فوق البيوت، فقال القوم الذين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، يا رسول الله إنا كنا

نتمنى هذا اليوم اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا، فصلى عليه السلام الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والإجتهاد فى التأهب للقتال وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا بفتح المعجمة ومضارعه بكسرها أي اجتمعوا، وحضر أهل العوالى وهي القرى التى حول المدينة ثم دخل عليه السلام بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه وألبساه واصطف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام، فقال لهم سعد بن معاذ الذى هو أفضل الأنصار كما قاله البرهان وأسيد بن حضير، بصيغة التصغير فيهما، استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الأمر إليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمز وقد يترك تخفيفا، الدرع وقيل السلاح، وروى أبو يعلى أنه ظاهر بين درعين يوم أحد أي لبس درعا فوق درع، وتقلد سيفه أي جعل علاقته على كتفه الأيمن وهو تحت أبطه الأيسر فندموا على ما صنعوا، فقالوا ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، فقال ما ينبغى لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، وعقد عليه السلام ثلاثة ألوية لواء المهاجرين بيد علي وقيل بيد مصعب بن عمير، قال الزرقاني وليس بخلاف حقيقي فإنه كان بيد علي فقال عليه السلام من يحمل لواء المشركين؟ فقيل طلحة بن أبى طلحة فقال نحن أحق بالوفاء منهم، فأخذه من علي ودفعه إلى مصعب، أي لأنه من بنى عبد الدار بن قصي وكان بكر قصي فجعل إليه اللواء والحجابة والسقاية والرفادة، ولواء للأوس بيد أسيد بن حضير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة، وفى المسلمين مائة دارع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب على رواية والأخرى أنه خرج من منزل عائشة على رجليه إلى أحد وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بأهل المدينة وبات بالشيخين تثنية شيخ موضع بين المدينة وأحد سمي بشيخ وشيخة كانا هناك وجعل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة الأنصاري وأدلج عليه السلام فى السحر، فكان الخارجون معه ظاهرا

وحقيقة ألف رجل، فلما انخزل ابن أبي بالثلاث مائة صاروا سبع مائة وقيل أنهم كانوا تسع مائة وصاروا ستمائة، قال ابن عقبة وليس فى المسلمين إلا فرس واحد وقال الواقدي لم يكن معهم إلا فرسه عليه السلام، وفرس أبي بردة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل، وفيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة من أشرافهم التماسا للحفيظة وأن لا يفروا وهي بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء الغضب للحرم قاله السهيلي، منهن هند بنت عتبة وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، مع زوجها عكرمة بن أبى جهل وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحارث بن هشام وبرزة بنت مسعود الثقفية مع زوجها صفوان بن أمية وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاصى وسلافة بنت سعد الأنصارية مع زوجها طلحة الحجبي وأسلمن بعد ذلك كلهن وصحبن، وخرجت خناس بنت مالك مع ابنها أبى عزيز أخى مصعب وعميرة بنت علقمة وقد صرح فى النور بأنه لا يعلم لهما إسلاما ولم يسم ابن إسحاق من بقي ونقله عنه فى الفتح ولم يزد عليه، قاله العلامة الزرقاني قال مؤلفه سمح الله له قوله وخرجت مع ابنها أبى عزيز إلخ.. قد مرّ له رضي الله عنه ونفعنا ببركته أن أبا عزيز أسلم يوم بدر بعد أن أسر انظره والله أعلم.

ولما انخزل ابن أبي بمن معه من المنافقين سقط فى أيدى طائفتين من المسلمين وهمّا أن يقتتلا وهما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة بكسر اللام من الخزرج وفيهما نزلت: {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما} قال جابر نزلت فينا وما أحب أنها لم تنزل والله يقول {والله وليهما} ابن حجر أي لأن الآية وإن كان فى ظاهرها غض منهم لكن فى آخرها غاية الشرف لهم قال ابن إسحاق {والله وليهما} أي الدافع عنهما ما هموا به من القتل، ولما انخزل المنافقون تبعهم عبد الله بن حرام يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ما ترون، قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وأبوا إلا الإنصراف فقال أبعدكم الله فسيغني الله عنكم نبيه ومضى رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه فاستسل سيفا فقال صلى الله عليه وسلم يا صاحب السيف شم سيفك فإنى أرى السيوف ستسل اليوم، ثم قال صلى الله عليه وسلم من يخرج بنا على القوم من كثب أي من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة بعين مهملة ابن قيظي بفتح القاف وسكون التحتية وظاء معجمة وياء مشددة وكان منافقا ضريرا، فلما سمع حس المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يحثو التراب فى وجوههم وذكر أنه أخذ حفنة ثم قال والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر وقد بادر إليه سعد بن زيد الأشهلي قبل النهي فشجه فى رأسه ومضى صلى الله عليه وسلم حتي نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وروي أنه لما وصل إلى أحد صلى به الصبح صفوفا عليهم سلاحهم ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطف المشركون بالسبخة بفتح المهملة وفتح الموحدة وسكونها وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد سيف الله الذى سله على الكفار بعد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية وعلى الرماة عبد الله بن أبى ربيعة وأسلموا كلهم، وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة بالنبل وهم خمسون: عبد الله بن جبير الأوسي العقبي البدري وهو أخو خوات، وقال لهم إن رأيتمونا تخطفنا الطير بفتح الفوقية وسكون الخاء وفتح الطاء أو بفتح الخاء وشد الطاء وأصله بتاءين أي رأيتمونا قد زلنا عن مكاننا أو أكلتنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، ولابن إسحاق انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم بهمزة مفتوحة فواو ساكنة أي مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وفى حديث احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا

تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا بفتح التاء والراء أي لا تكونوا مشاركين لنا. زاد في رواية وارشقوهم بالنبل، فإن الخيل لا تقوم على النبل إنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم. وأول من أنشب الحرب أبو عامر الفاسق وهو عبد بن عمرو بن صيفي الأوسي وكان خرج إلى مكة مباعدا للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يعد قريشا أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس نادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق، وبذلك سماه صلى الله عليه وسلم، وكان يسمى فى الجاهلية الراهب، فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وجعل نساء المشركين يضربن الدفوف ويذكرنهم قتلى بدر، وكان أبو سفيان قد قال يا بني عبد الدار إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه، وقالوا ستعلم كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان فاقتتل الناس وحميت الحرب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى سيف عنده من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال سمي منهم عمر والزبير كما عند ابن عقبة وعلي كما فى الطبراني وأبو بكر كما فى الينابيع وكان مكتوبا فى إحدى صفحتيه:

في الجبن عار وفى الإقدام مكرمة   والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فأمسكه صلى الله عليه وسلم عنهم فقام إليه سماك بن خرشة أبو دجانة بضم الدال المهملة وبالجيم والنون الأنصاري البدري باتفاق، فقال وما حقه يا رسول الله؟ فقال أن تضرب به فى وجوه العدو حتى ينحني وروى الدولابي أن لا تقتل به مسلما، ولا تفر به من كافر، قال أنا آخذه بحقه يا رسول الله. أي بما يقابله من الثمن، وهو الصفة التى ذكرتها، وعند الطبراني قال لعلك إن أعطيتكه أن تقاتل به فى الكيول، قال لا فأعطاه إياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب، فلما رآه عليه السلام

يتبختر قال إنها لمشية يبغضها الله بضم الياء لا بفتحها وضم الغين لأنها لغة ردية إلا فى مثل هذا الموطن أي لدلالتها على احتقار العدو قال الزبير ووجدت أي حزنت أي على نفسى خوفا أن المنع لسبب منه يقتضيه، فقلت والله لأنظرن ما يصنع به أبو دجانة، فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا فى أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى الآخرى الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بالتخفيف وبالتشديد بها رأسه فقالت الأنصار أخرج عصابة الموت وهكذا كانت تقول إذا تعصب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليل ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر فى الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا من المشركين إلا قتله، وفى مسلم عن أنس ففلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين ولابن هشام عن ابن الزبير وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف عليه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل السيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، ولابن إسحاق قال أبو دجانة رأيت إنسانا يحمس الناس حمسا شديدا فصمدت إليه فلما حاملت السيف عليه ولول فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة، وفى رواية أنه لما حمل عليها السيف نادت يا لصخر فلم يجبها أحد وذفف بالذال المعجمة والمهملة وشد الفاء الأولى مفتوحات أسرع فى قتله ويحمس بحاء مهملة يروى بالسين من الحماسة وهي الشجاعة وبالشين المعجمة من أحمش النار أوقدها وصمد إليه: قصده، وولولت: قالت يا ويلها هذا قول أكثر اللغويين وقال ابن دريد الولولة رفع المرأة صوتها فى فرح أو حزن قاله أبو ذر. وقوله أنا الذي.. أنشده الجوهري بلفظ إنى امرؤ عاهدنى، والسفح جانب الجبل عند أصله والكيول بفتح الكاف وشد المثناة التحتية مضمومة فواو ساكنة فلام آخر الصفوف، قاله الجوهري وأبو عبيد وغيرهما وقال أبو

ذر فى حواشيه الكيول بالتشديد والتخفيف آخر الصفوف فى الحرب قاله العلامة الزرقاني وقاتل حمزة رضي الله عنه فأثخن خصوصا فى الرؤساء والتقى حنظلة الغسيل بن أبى عامر الفاسق وأبو سفيان بن حرب فعلاه حنظلة فضربه شداد بن أوس بن شعوب الليثي وقتله وأسلم شداد بعد ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم رأيت الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن فى صحاف الفضة بين السماء والأرض، فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبي المنافق وكانت عروسا وكان ابتنى بها تلك الليلة فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال عليه السلام لذلك غسلته الملائكة وفى الروض أنه ألتمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وبهذا الحديث تمسك الحنابلة فى غسل الشهيد الجنب، قال الزرقاني والجواب للجمهور أن تغسيل الملائكة إكرام له، وهو من أمور الآخرة لا يقاس عليه، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم أمر بتغسيل أحد ممن استشهد جنبا، ولما اشتد القتال أرسل عليه السلام إلى علي أن قدم الراية فتقدم وقال أنا أبو القصم بالقاف والفاء فناداه أبو سعد طلحة بن أبى طلحة أحد بنى عبد الدار وهو صاحب لواء المشركين وهو سيد الكتيبة أن هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ قال نعم. فخرج إليه فقتله وقيل قتله سعد بن أبى وقاص ثم حمل لواءهم عثمان بن أبى طلحة وهو يقول:

إن على أهل اللواء حقا ... أن يحسنوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة رضي الله فقطع يديه وكتفيه ثم مات والصعدة القناة المستوية تنبت كذلك قاله فى القاموس ثم حمله مسافع بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة فقتله عاصم أيضا ثم حمله كلاب ابن طلحة فقتله الزبير ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمله أرطاة بن شرحبيل بضم الشين بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقتله علي كما قال ابن سعد وغيره وصحح، وجزم ابن إسحاق بأن قاتله حمزة ثم حمله شريح بن فارط فلا يدرى قاتله ثم حمله صواب غلامهم فقيل قتله

علي وقيل سعد وقيل قزمان وهو أثبت الأقوال، انظر الزرقاني، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بفتح الحاء وضم السين مشددة المهملتين أي استأصلوهم قتلا بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساءهم يدعون بالويل، قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير وأصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منهم أحد وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم بجيم وضاد معجمة أي أزالوهم ونحوهم ووقعوا ينتهبون واشتغلوا عن الحرب، قال ابن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته إلى قريش فلاثوا به أي استداروا حوله ولما انهزم المشركون قال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرجالة: الغنيمة الغنيمة بالنصب على الاغراء، ظهر أصحابكم أي غلبوا فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير فى نفر يسير دون العشرة مكانه وقال لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لم يرد هذا قد انهزم المشركون، فانطلقوا ينتهبون وخلوا الخيل وقد كانت حملت على المسلمين قبل ذلك ثلاث مرات كل ذلك تنضحها الرمات بالنبل فترجع مفلولة قال الزبير ولما مالت الرمات وخلوا ظهورنا للخيل أوتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفا علينا القوم ويقال ان الصارخ هو الشيطان وفى البخاري عن عائشة لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح إبليس أي عباد الله يعني المسلمين أخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى من ورائه فرجعت أولاهم فاجتلدت أي اقتتلت مع أخراهم لظنهم أنهم من العدو فوقع القتل فى المسلمين بعضهم مع بعض وكان ممن قتل خطئا اليمان والد حذيفة فقال حذيفة غفر الله لكم وترك ديته لهم وقالت نسيبة بفتح النون وكسر السين أم عمار شهدت العقبة

وأحدا مع زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب بحاء مهملة وكسر الموحدة وعبد الله وشهدت بيعة الرضوان وجرحت في يوم اليمامة اثنتي عشرة جراحة وقول الشامي نسيبة بالتصغير على المشهور إنما هو في نسيبة أم عطية كما في الفتح وغيره بنت كعب المازنية لما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي، قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله عليه درعان وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه تقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمي سعد بن أبي وقاص دون النبي صلى الله عليه وسلم، قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول ارم فداك أبي وأمي ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت سيتها وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف فهشم وجرح عشرين جراحة أو أكثر وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما قاله الكلاعي وقال في المواهب وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل قتله ابن قمئة أي بفتح القاف وكسر الميم بعدها همزة واسمه عبد الله كما قاله ابن هشام قاله الزرقاني فصاح ابن قمأة لظنه الخائب ولله الحمد: إن محمدا قد قتل، لأنه كان إذا لبس لامته يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما قال بعضهم، وجزم ابن هشام بأن الصارخ بذلك هو ازب العقبة وفي حديث مرفوع أنه عليه السلام قال هذا ازب العقبة وجزم ابن سعد بأن الذى صرخ بذلك إبليس تصور في صورة جعال ويقال له جعيل بن سراقة الضمري والغفاري، قال في الاستيعاب وكان رجلا صالحا دميما أسلم

قديما وشهد معه عليه السلام أحدا انتهى. فصرخ ثلاثا إن محمدا قد قتل، ولم يشك فيه أنه حق، وكان جعال إلى جنب أبى بردة بن نيار وخوات بن جبير فقاتل أشد القتال، قال الزرقاني وهذا ليس بخلاف محقق فالثلاثة صاحوا ابن قمأة لظنه والأزب وإبليس لمحاولة ما لم يصلا إليه انتهى.

قوله أزب العقبة، قال السهيلي قيده هنا بكسر الهمزة وسكون الزاي وابن ماكولا قيده بفتح الهزمة انتهى.

وظاهر سكون الزاء وخفة الباء مع كسر الهمزة وفتحها ومقتضى القاموس ان مفتوحها بفتح الزاء وشد الموحدة وجعلهما بعض المتأخرين قولين انظر الزرقاني. والذى فى القاموس هو ما نصه: وأزب العقبة فى زبب ووهم من ذكره هنا يعنى فى أزب وقال فى زبب والأزب من أسماء الشياطين ومنه حديث ابن الزبير مختصرا أنه وجد رجلا طوله شبران فأخذ السوط فأتاه فقال من أنت؟ فقال أزب. قال وما أزب؟ قال رجل من الجن. فقلب السوط فوضعه فى رأس ازب حتى باص وفى حديث العقبة هو شيطان اسمه أزب العقبة انتهى.

وقوله باص أي استتر وهرب، كذا بالهامش المطبوع وهو بموحدة بعدها ألف فصاد مهملة انتهى. قال الحافظ بن حجر، والواقع أن المسلمين صاروا ثلاث فرق، فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل، وهم الذين نزل فيهم: {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان} وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل، فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه، أو يستمر فى القتال إلى أن يقتل وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئا فشيئا لما عرفوا أنه حي، ولما غاب صلى الله عليه وسلم عن أعينهم لشدة ما دهشهم وقال رجل منهم ان محمدا قد قتل ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى ليستأمن لنا من أبى سفيان قال رجال منهم قد تمكن الإيمان منهم إن كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء، منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك وفى الصحيح عن أنس قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إنى أعتذر لك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرؤ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد الجنة ورب النضر إنى أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال الحافظ وأو للتقسيم لا للشك انتهى.

وروى ابن اسحاق أن أنس بن النضر جاء إلى عمر وطلحة فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد القوا ما بأيديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل صلى الله عليه وسلم، قال فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل. وثبت النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع ولم تزل قدمه شبرا واحدا ومازال يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر وروى البيهقي عن المقداد فوالذى بعثه بالحق مازالت قدمه شبرا واحدا وإنه لفي وجه العدو، قال فى المواهب وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر وسبعة من الأنصار، وفى البخاري لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا إثني عشر رجلا انتهى.

وسمى ابن سعد مع أبي بكر عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعدا وطلحة والزبير وأبا عبيدة والأنصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمت وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وقيل سعد بن عبادة ومحمد مسلمة بدل الأخيرين، ذكره الواقدي وذكر غيره فى المهاجرين عليا وكأن من لم يذكره لأنه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج إلى أن يقال ثبت، وفى مسلم عن

أنس أفرد صلى الله عليه وسلم يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فقول طلحة وسعد أنه لم يبق معه غيرهما رواه البخاري أي من المهاجرين وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت فيحتمل أنه حضر بعد تلك الجولة وللنسائي والبيهقي بسند جيد عن جابر وبقي معه أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة وهو كحديث أنس إلا أنه زاد ثلاثة فلعلهم جاؤا بعد ويجمع بينه وبين حديث غير طلحة وسعد بأن سعدا جاءهم بعد ذلك وأن المذكورين من الأنصار استشهدوا كما فى مسلم عن أنس فقال صلى الله عليه وسلم من يردهم عنا فهو رفيقى فى الجنة؟ فقام رجال من الأنصار فاستشهدوا كلهم، فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء من جاء انتهى من الزرقاني..

قال الكلاعي واستشهد خمسة وستون رجلا أربعة من المهاجرين وسائرهم من الأنصار وقتل الله من المشركين إثنين وعشرين رجلا انتهى. وفى المواهب وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون ويقال اثنان وعشرون انتهى.

قال الزرقاني منهم حملة اللواء من بنى عبد الدار بن قصي وهم عشرة بغلامهم وفى الزرقاني روى سعيد بن منصور عن أبى الضحى قتل يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين: حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الأنصار وبهذا جزم ابن إسحاق وأخرج ابن حبان والحاكم عن أبي بن كعب قال أصيب يوم أحد أربعة وستون من المهاجرين ستة وكان الخامس سعدا مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو الأسلمي حليف بنى عبد شمس وذكر الطبري عن الشافعي أنهم اثنان وسبعون وعن مالك خمسة وسبعون من الأنصار خاصة أحد وسبعون وروى الترمذي والنسائي أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم خيرهم فى أسارى بدر القتل أو الفداء على أن يقتل منهم قابل مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا انتهى.

قوله قابل هكذا فى النسخ ولعله سقط من قلم الناسخ فى والأصل فى قابل كذا بهامش المطبوع ولما أراد أبو سفيان الانصراف إلى مكة قال

أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه، ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات قال لا تجيبوه ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات فلما لم يجبه أحد قال لأصحابه أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله، والله إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، وفي البخاري في المغازي أبقى الله عليك وفي لفظ لك ما يحزنك، بالتحتية المضمومة وسكون الحاء المهملة بعدها نون أو بالمعجمة وبعدها تحتية ساكنة، قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال، أي بكسر المهملة وتخفيف الجيم أي دول مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء، قال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، قال أبو سفيان إنكم لتزعمون ذلك لقد خبنا إذا وخسرنا، فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له هلم إلي يا عمر فقال صلى الله عليه وسلم لعمر ائته فانظر ما شأنه، فقال أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن. قال أنت عندي أصدق من أبي قمأة وأبرٌّ انتهى.

وإنما أجاب عمر أبا سفيان بعد نهيه عليه السلام حماية للظن بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قاله القسطلاني.

قال الزرقاني عقبه في فتح الباري عن ابن عباس عند أحمد والحاكم أن عمر قال يا رسول الله ألا أجيبه قال بلى. فكأنه نهى عن إجابته في الأولى وأذن فيها في الثالثة انتهى.

وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه الشريف فأدموه وكسروا رباعيته بفتح الراء وهي السن التي بين الثنية والناب والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها وهي اليمنى السفلى كما في سيرة ابن هشام ولما جرح صلى الله عليه وسلم أخذ شيئا فجعل ينشف دمه فيه ليمنعه من النزول على الأرض ويقول لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء وفي الينابع لو وقع منها يعني قطرات الدم شيء على الأرض لم ينبت عليها نبات ثم لم يكتف صلى الله عليه وسلم بإزالة ما ينزل

عليهم من العذاب حتى قال اللهم أغفر لقومى فإنهم لا يعلمون. قال فى الشفاء انظر ما فى هذا القول من غاية الصبر والحلم وقد أظهر فيه سبب الشفقة والرحمة بقوله عليه السلام: لقومي. ثم اعتذر عنه بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون.

والذى كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبى وقاص أخو سعد رماه بأربعة أحجار فكسر حجر منها رباعيته فقال سعد ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخي عتبة لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله، وروي عبد الرزاق أنه صلى الله عليه وسلم دعى عليه فقال اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا، فما حال عليه الحول حتى مات كافرا. وقال حسان فيه:

إذ الله جازى معشرا بفعالهم	ونصرهم الرحمن رب المشارق
فأخزاك ربى يا عتيب بن مالك	ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا	فأدميت فاه قطعت بالبوارق
فهل لا ذكرت الله والمنزل الذى	تصير إليه عند إحدى البوائق

وفي هذا أنه مات كافرا، وفى الإصابة فيمن ذكر فى الصحابة غلطا لم أر من ذكره فى الصحابة إلا ابن مندة بفتح الميم وسكون النون كما فى الزرقاني واستند لقول سعد فى ابن أمة زمعة عهد إلى عتبة أخي أنه ولده وليس فيه ما يدل على إسلامه وقد شدد أبو نعيم فى الإنكار على ابن مندة وبالجملة ليس فى شيء من الآثار ما يدل على إسلامه بل فيها ما يصرح بموته على الكفر فلا معنى لإيراده فى الصحابة انتهى نقله الزرقاني.

وفي المواهب ومن ثم لم يولد من نسله ولد يبلغ الحنث إلا وهو أبخر أي منتن الفم أو أهتم: أي مكسور الثنايا من أصلها، يعرف ذلك فى عقبه. وقال فى الخميس أبخر أي عطشان لا يروى، وروى ابن الجوزي والخطيب عن الحافظ الفريابي قال بلغني أن الذى كسر رباعيته صلى

الله عليه وسلم لم يولد له صبي فنبتت له رباعية وجرح عتبة أيضا شفته السفلى والذى شجه فى جبهته كما لابن هشام هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب جد الإمام الفقيه من قبل أبيه وأسلم بعد ذلك قاله أبو عمر تبعا للزبير بن بكار وذكر البلاذري أنه مات فى أيام عثمان وأما جده من قبل أمه وهو أخو هذا واسمه عبد الله أيضا فمن السابقين ذكره الزهري والزبير والطبري فيمن هاجر إلى الحبشة ومات بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، والذى جرحه فى وجنته الشريفة وهي بتثليث الواو والأشهر الفتح ما ارتفع من لحم الخد هو عبد الله بن قميئة كسفينة كما فى القاموس والصحاح وسماه بعضهم عمرا فقال خذها وأنا ابن قميئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله بفتح الهمزة فى أوله وفى آخره أخرى أي صغرك وذللك. فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة، وروى ابن عائذ أنه انصرف ذلك اليوم إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل فأخذ يعترضها ويشد عليه تيسها فنطحه نطحة رداه من شاهق الجبل فتقطع وهو منقطع ودخلت حلقتان فى وجنته حين جرحه من المغفر، تثنية حلقة بسكون اللام والمغفر بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس قاله القسطلاني فعض عليهما أبو عبيدة بن الجراح وانتزعهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة العض ومصّ مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال صلى الله عليه وسلم من مس دمي دمه لم تمسه النار، وروى عبد الرزاق عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين ضربة بالسيف ووقاه الله تعالى شرها، قال فى المواهب يحتمل أنه أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة فى الكثرة أي على عادة العرب فى ذلك ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق الأوسي يكيد بها المسلمين فأخذ علي بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وجرح طلحة يومئذ تسعا وثلاثين أو خمسا

وثلاثين وشلت يده وقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد يقول ذلك اليوم كله لطلحة، وروى النسائي والبيهقي بسند جيد عن جابر أدرك المشركون النبي صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معهما من الأنصار قال ثم قاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس، فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، حتى تلج بك فى جو السماء، ورمي يومئذ أبو رهم بضم الراء كما فى الزرقاني كلثوم بن الحصين الغفاري بسهم فوقع فى نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرئ وسمي المنحور وهي معجزة باهرة.

ولما انقطع سيف عبد الله بن جحش أعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد فى يده سيفا فقاتل به حتى قتل، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، ودفن هو وخاله حمزة فى قبر واحد وأمه أميمة بنت عبد المطلب واختلف فى إسلامها وقتله أي أبا الحكم علي بن أبى طالب وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع بمائتي دينار من بقا التركي أحد أمراء المعتصم ابراهيم بن هارون الرشيد وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته وقيل فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها فى موضعها، وقال اللهم اكسه جمالا، وفى رواية اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وروى الأصمعي أن رجلا من ولده قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال ممن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه	فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها	فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدى

فقال عمر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن	شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فقال عمر بمثل ذا فاليتوسل المتوسلون. ووصله وأحسن جائزته.

وقوله ويا حسن ما خد هكذا رواه الأصمعي وأنشده اليعمري ويا حسن ما رد، وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد التحدث بقتله كعب بن مالك الخزرجي ثم السلمي العقبي، قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر أي تضيئان ومن رواه تزران فمعناه تتوقدان وفي الصحاح زرت عينه تزر بالكسر زريرا وعيناه تزران إذا توقدتا، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار لي صلى الله عليه وسلم أن اصمت أي اسكت، فلما سمعوا ذلك وعرفوه نهضوا إليه ونهض معهم نحو الشعب، فلما أسند أي صعد، قاله في النور، رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وكأن معناه لما دخلوا به في الشعب صعدوا به في الصخرة فاستندوا إلى جانب من الجبل بدليل رواية ابن إسحاق نهض صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وكان قد بدن وظهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها قال الزبير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ أوجب طلحة قال البرهان بدن بفتح الدال المهملة أي أسن أو ثقل من السن وأوجب طلحة يعني أحدث شيئا يستوجب به الجنة، وجواب لما قوله أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجي، فاعترضه رجال من المؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه فلما دنا تناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء من ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله عليه السلام فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقه، وفي لفظ في ترقوته، وفي لفظ فخدشه في عنقه خدشا غير كبير وقع بها عن فرسه مرارا وجعل يخور كما يخور الثور ولم يخرج له دم، فكسر ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكن من أضلاعه فلما رجع إلى قريش قال قتلني والله محمد، فقالوا ليس عليك بأس ما أجزعك؟ فقال واللات لو كان هذا الذي بي بربيعة ومضر لماتوا أجمعين، وفي رواية بجميع الناس لقتلهم، أليس قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله

لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وبالفاء وهم قافلون إلى مكة، كذا رواه أبو نعيم والبيهقي.
وعن الواقدي أن ابن عمر كان يقول مات أبي ببطن رابغ فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوى أي بفتح الهاء وكسر الواو وشد التحتية، أي حين طويل، وقيل خاص بالليل، وعليه فقوله من الليل صفة لازمة إذا نار تأجج فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها بذال معجمة أي يسحبها يصيح العطش بالرفع والنصب وإذا رجل يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف انتهى.
والشعراء بشين معجمة مفتوحة فعين ساكنة فراء فألف تانيث ذباب أزرق أو أحمر له لذع وروي تطاير الشعراء أي بضم الشين وسكون العين جمع شعراء، ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه درقته من المهراس بكسر الميم وسكون الهاء وبالراء وسين مهملة آخره والمهراس صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء تجعل إلى جانب البئر ويصب فيها الماء لينتفع به الناس، وقيل هو اسم ماء بأحد، فجاء به إليه صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهذا وقع قبل انصراف الكفار، فلما انصرفوا كما في الطبراني أتت فاطمة في النسوة فجعلت تغسل وعلي يسكب وهو صلى الله عليه وسلم يقول: اشتد غضب الله على من دمى بفتح الميم المشددة وجه نبيه وصلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح وصلى المسلمون خلفه قعودا، وفي البخاري أنها لما غسلته ازداد الدم فأخذت قطعة من حصير فأحرقتها بالنار وللطبراني حتى صار رمادا وكمدته بشد الميم أي ألصقته به فاستمسك الدم ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال مثل به بفتح الميم والثاء المخففة يمثل بضم الثاء مثلا بفتح الميم وسكون الثاء أي نكل والاسم المثلة بالضم ومثل بالقتيل جدعه وكثير من الناس يشدد مثل وكأنه إذا أريد التكثير يجوز ذلك يجدعن بفتح الياء وإسكان

الجيم وخفة الدال وكأنه إذا أريد المبالغة يجوز التشديد أي يقطعن الآذان والأنف بفتح الهمزة الممدودة وضم النون وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت هند على صخرة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمه وبكر
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري ... حتى ترم أعظمي في قبر

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب أخت مسطح :

خزيت في بدر وبعد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري
إذ رام شيب وأبوك غدري ... فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال في الاكتفاء هذا قول هند والكفر يحنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم أن الله تعالى هداها للإسلام وعبادة الله تعالى وترك الأصنام وأخذ بحجزتها عن النار ودلها على دار الإسلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها. ولما انصرف أبو سفيان نادى إن موعدكم بدر العام القابل، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قل نعم هو بيننا وبينكم موعد، ثم بعث عليه السلام عليا أو سعد بن أبي وقاص ويحتمل أنه بعثهما معا وقال اخرج في آثار القوم فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم. قال علي أو سعد فخرجت في آثارهم فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة. قال تعالى: [سنلقي في قلوب الذين

كفروا الرعب} (الآية). قذف الله في قلوبهم الخوف فانهزموا إلى مكة من غير سبب، قاله الكشاف انتهى المراد من خبر غزوة أحد وتليها غزوة حمراء الأسد قال أبو عبيد وهي تانيث أحمر مضاف إلى أسد وهي اسم مكان على ثمانية أميال وقيل عشرة على يسار الذاهب من المدينة إلى ذي الحليفة، قال في المواهب وكانت صبيحة يوم أحد، قال الزرقاني وهو يوم السبت فهذه الغزوة يوم الأحد لست عشرة ليلة أو لثمان خلون من شوال على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة والخلاف عندهم كما سبق في أحد ذكر الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم باتت وجوه الأنصار على بابه خوفا من كرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال للصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبره صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل من أهله حتى إذا كان بملل كجبل بميم ولامين موضع قرب المدينة إذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيئا أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي، وصفوان بن أمية يقول لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا بمهملة وموحدة أي غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم، فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد، والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب ودعا صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر فذكر لهما ما أخبر به المزني فقالا يا رسول الله اطلب العدو لا يقحمون على الذرية أي يدخلون فلما انصرف من صلاة الصبح أمر بلالا أن ينادي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم وأن لا يخرج معنا أحد إلا من خرج معنا أمس أي من شهد أحدا ولعل حكمة ذلك أنه أراد إظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة والرسوخ في الإيمان وحب الرسول، وقال الحافظ بن كثير والمشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون. قال الشامي والظاهر

أنه لا تخالف بين قول عائشة الذى فى البخاري ومسلم، لما انصرف المسلمون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب فى أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد الطبراني عن ابن عباس وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود وبين قول أهل المغازى لأن معنى قولها فانتدب منهم سبعون أنهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون انتهى.

ودعا صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه إلى علي ويقال إلى أبى بكر واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق منهم اثنان بالقوم فى حمراء الأسد فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضوا ومضى صلى الله عليه وسلم ودليله ثابت بن الضحاك حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما بقبر واحد وأقام عليه السلام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد فكبت الله بذلك عدوهم. قال فى الاكتفاء وتكلم جابر بن عبد الله بن حرام لما أذن مؤذنه لطلب العدو وأن لا يخرج معنا إلا أحد حضر يومنا بالأمس فقال يا رسول الله كان أبى خلفنى على أخوات لى سبع، وقال يا بني لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل لهن ولست الذى أثيرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه، وإنما خرج مرهبا انتهى.

وقوله سبع وفى رواية تسع بمثناة فوقية أوله وهو الصحيح قاله الزرقاني وشهد معه صلى الله عليه وسلم يومئذ أخوان من بني عبد الأشهل فرجعا جريحين قال أحدهما فلما أذن مؤذنه صلى الله عليه وسلم بالخروج قلت لأخى أو قال لى أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل! فخرجنا وكنت أيسر جرحا وكان إذا عقب حملته عقبة ومشى عقبة حتى

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون انتهى.

ومرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد معبد بن أبى معبد الخزاعي فعزاه بمصاب أصحابه وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد، كما جزم به ابن عبد البر وابن الجوزي كما فى الزرقاني. وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بالروحاء وقد أجمع الرجعة هو وأصحابه وقالوا أصبنا فى أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبد قال ما وراءك؟ قال محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيئا لم أر مثله قط، قال ويلك ما تقول؟ قال ما أرى أن نرتحل حتى ترى نواصى الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال فإني أنهاك عن ذلك! والله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا، قال وما قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى	إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأسد كرام لا تنابلة	عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت أعدو أظن الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم	إذا تغطمطت البطحاء بالخيل

إلى آخرها...

فثنى ذلك المشركين فرجعوا إلى مكة انتهى.

والتنابلة القصار، وتغطمطت لفظ مستعار من الغطمطة وهي غليان القدر، ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصاب قبل وصوله إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة وكان لجأ إلى عثمان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاثة أيام قتل فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعث صلى الله عليه وسلم زيدا بن حارثة

وعمار بن ياسر فقال لهما إنكما ستجدانه بموضع كذا فوجداه ووثقاه وقتلاه صبرا بأمر من رسول الله وأصاب أبا عزة بعين مهملة مفتوحة فزاي مشددة فهاء تأنيث عمرو بن عبد الله الجمحي وكان أسره ببدر ثم منّ عليه، فقال يا رسول الله أقلني، فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه، وعن سعيد بن المسيب أنه قال قال صلى الله عليه وسلم إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه ثم بعد حمراء الأسد غزوة بنى النضير ويأتى الكلام عليها إن شاء الله عند ذكر الناظم لها، ثم بعد ذكر غزوة بني النضير غزوة ذات الرقاع كما لابن إسحاق وغيره، وفى الإكتفاء أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزى نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان وهي غزوة ذات الرقاع انتهى المراد منه.

والرقاع بكسر الراء بعدها قاف فألف فعين مهملة جمع رقعة بالضم كبرمة وبرام وهي غزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة، فقول البخاري وهي غزوة محارب بن خصفة من بنى ثعلبة بن غطفان وهم، لاقتضائه أن ثعلبة جد لمحارب وليس كذلك، فصوابه كما عند ابن إسحاق وغيره وبنى ثعلبة بواو العطف فإن غطفان بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة هو ابن سعد بن قيس عيلان ومحارب بضم الميم هو ابن خصفة بفتح المعجمة والصاد المهملة والفاء ابن قيس عيلان، فمحارب وغطفان ابنا عم وبنو ثعلبة بمثلثة وعين مهملة من غطفان لأن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية فضاد معجمة ابن ريث بفتح الراء وسكون التحتية فمثلثة ابن غطفان قاله العلامة الزرقاني. وقال فى الفتح والذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة قال الزرقاني كما صنع البخاري وبه جزم أبو معشر، قال مغلطاي وهو من المعتمدين فى السير انتهى.

وفي المواهب سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام. وقيل شجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع، قال شارحه قيل لأن هذه الشجرة كانت العرب تعبدها وكل من كان منهم له حاجة يربط بها خرقة وقيل الأرض التى نزلوها فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت بذلك وقال الواقدي لجبل هناك فيه بقع وقال الداودي سميت بذلك لوقوع صلاة الخوف فيها لترقيع الصلاة فيها. وأصح من هذه الأقوال أنها سميت بذلك للفهم الخرق فيها على أرجلهم لما نقبت بفتح النون وكسر القاف أقدامهم، أي رقت وقرحت من الحفاء كما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه، وكان من خبر هذه الغزوة أنه عليه السلام غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة وبنى أنمار لما بلغه أنهم جمعوا الجموع إليهم فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على قول ابن سعد وابن حبان أو فى جمادى على ما تقدم وهو لابن إسحاق فى أربعمائة من أصحابه، وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وسار حتى وصل واد الشقرة بضم الشين المعجمة وسكون القاف فأقام يوما وبث سراياه فرجعوا من الليل ولم يروا أحدا فسار حتى نزل نخلا بالخاء المعجمة، موضع من أراضي غطفان وهو من المدينة على يومين وهو بواد يقال له شدخ بشين معجمة بعدها مهملة ساكنة فخاء معجمة فلم يجد فى مجالسهم إلا نسوة فأخذهن وهربوا فى رؤوس الجبال كذا قال ابن سعد وقال ابن إسحاق لقي جمعا منهم ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس حتى صلى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت غيبته عليه السلام فى هذه الغزوة عن المدينة خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين. وعن جابر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها له صلى الله عليه وسلم فنمنا نومة فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة وهو نائم فاخترطه يعنى سله من غمده فقال له تخافنى؟ قال لا! قال فمن يمنعك منى؟ قال الله يمنعنى منك، فسقط

السيف من يده. فأخذه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك منى؟ فقال كن خير آخذ. قال تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله؟! قال الأعرابي أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس، وذكر الواقدي فى نحو هذه القصة أن هذا الإعرابي دعثور بضم الدال المهملة وسكون العين المهملة وضم المثلثة وسكون الواو وراء مهملة وأنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير. وفى رواية ابن إسحاق أنه اسلم بعد وأنه رمي بالزلخة بضم الزاء وشدّ اللام بعدها خاء معجمة فهاء تانيث وهي وجع الصلب حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم فندر، بنون ودال وراء مهملتين، السيف أي سقط من يده وسقط هو إلى الأرض فلم يستطع القيام وقال البخاري عن مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر اسم الرجل غورث بن الحارث بفتح الغين المعجمة وسكون الواو وفتح الراء فمثلثة وقيل بضم أوله، وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير ووقع عند الخطيب بالكاف بدل الثاء وقال فى المواهب وتقدم فى غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وأنه قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني اليوم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الله! فدفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده، وأنه أسلم. قال فى عيون الأثر والظاهر أن الخبرين واحد اختلف الرواة فى اسمه فبعضهم سماه دعثورا وبعضهم سماه غورث وقال غيره من المحققين الصواب أنهما قصتان فى غزوتين قصة لرجل اسمه دعثور بغزوة ذى امر وفيه التصريح بأنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير وقصة بذات الرقاع لرجل اسمه غورث وليس فى قصته تصريح بإسلامه انتهى.

وفي انصرافه عليه السلام من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله فلا يكاد يسير فنخسه النبي صلى الله عليه وسلم بعصى نخسات ولمسلم وأحمد فضربه برجله ودعا له فانطلق متقدما بين يدي الركاب ولأبى نعيم أنه نفث فى ماء ثم مج من الماء فى نحره ثم ضربه بالعصى

فوثب فقال اركب! قلت إني أرضى أن يساق معنا، قال اركب فركبت فوالذي نفسي بيده لقد رأيتني وأنا أكفه عنه صلى الله عليه وسلم إرادة أن لا يسبقه ثم قال أتبيعنيه فابتاعه بأوقية وقال لك ظهره إلى المدينة، فلما وصلها أعطى الثمن وأرجح ووهب له الجمل، ثم بعد ذات الرقاع غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع حرب فيها فهي صغرى بالنسبة لبدر الكبرى وتسمى بدر الموعد للمواعدة مع أبي سفيان عليها يوم أحد وهي الثالثة، فقد مرّ أن أبا سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادي الأولى وجمادى الأخيرة ورجبا ثم خرج في شعبان سنة أربع إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله ومعه كما رواه الحاكم ألف من أصحابه وخمسمائة ومعهم عشرة أفراس فرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفرس لأبي بكر وفرس لعمر وفرس للزبير وفرس لسعيد بن زيد وفرس للمقداد وفرس لأبي قتادة وفرس للحباب وفرس لعباد بن بشر فهذه تسعة ولم يسم العاشر واستخلف ابن رواحة على المدينة وحمل اللواء علي بن أبي طالب فأقاموا ثماني ليال على بدر ينتظرون أبا سفيان وخرج أبو سفيان في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا كذا عند الواقدي حتى نزلوا مجنة بميم فجيم فنون مشددة مفتوحات ويجوز كسر الميم سوق بقرب مكة من ناحية مرّ الظهران بفتح الميم وشد الراء وفتح الظاء المشالة وإسكان الهاء واد بين مكة وعسفان، ويقال حتى نزل عسفان ثم رجع فقال يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون إنما خرجتم تشربون السويق، وهو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ويتزود به ملتوتا بماء أو عسل أو سمن وأتى مخشي بن عمر الضمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة

ودّان فقال يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ فقال نعم يا أخا بني ضمرة وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك. قال لا والله ما لى بذلك منك من حاجة. ومرّ به صلى الله عليه وسلم وهو هناك معبد الخزاعي فقال وناقته تهوي وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد نفرت من رفقتي محمد ... وعجوة من يثرب كالعسجد
تهوى على دين أبيها الأتلد ... قد جعلت ماء قديد موعد
وماء ضجنان لها ضحى الغد

قوله كالعسجد فى هامش منسوب للسهيلي أنه حب الزبيب وقديد كزبير موضع وضجنان كسكران جبل قرب مكة وقال ابن رواحة فى ذلك ويقال انها لكعب بن مالك.

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد ... لميعاده صدقا وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذميما وافتقدت المواليا
تركنا بها أوصال عتبة وابنه ... وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم ... وأمركم الشيء الذى كان غاويا
فإنى وإن عنفتمونى لقائل ... فدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهابا لنا فى ظلمة الليل باديا

وقال حسان بن ثابت:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقا وأيدى الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنا لك
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا ... بأرعن جرار عظيم المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه ... وقب طوال مشرفات الحوالك
ترى العرفج العادي تدمى أصوله ... مناسم أخفاف المطي الرواتك
فإن نلق فى تطوافنا والتماسنا ... فراة ابن حيان يكن رهن هالك

في القاموس الفلج محركة النهر الصغير، انتهى.

وفي هامش منسوب للسهيلي أن أبا حنيفة رواه بالحاء، وقال الفلحة

المزرعة والأوارك التى اشتكت من أكل الأراك والبئر النزوع القريبة القعر وجيش أرعن كثير له فضول والجرار الثقيل السيل لكثرته والكميت الذى أصاب حمرته قنوء والجوز الوسط والقب الضوامر والحارك أعلى الكاهل والمشرف المرتفع والعرفج شجر والعادى القديم، والرواتك المتقاربة الخطو انظر القاموس.

ثم بعد غزوة ذات الرقاع غزوة دومة الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة سميت بدومي بن اسماعيل كان نزلها قاله القسطلاني فى المواهب. قوله بضم الدال قال الزرقاني فى شرحه عند أهل اللغة وأصحاب الحديث يفتحونها كذا فى الصحاح. وقال اليعمري بضم الدال وفتحها، وقال ابن القيم بضم الدال وأما بفتحها فمكان آخر، وقال بعضهم دومة الجندل بالضم والفتح، وأما المكان الآخر الذى باليمن فبالفتح فقط، قيل كان منزل أكيدر أولا دومة الحيرة وكان يزور أخواله من كلب، فخرج معهم للصيد فرفعت له مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا الزيتون وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة وكان أكيدر يتردد بينهما انتهى.

وكانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة فتكون سنة خمس قاله فى المواهب. وسببها أنه عليه السلام بلغه أن بها جمعا يظلمون من مرّ بهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة وهي طرق من أفواه الشام وقيل له عليه السلام لو دنوت إليها لكان ذلك مما يفزع قيصر وكان بها سوق عظيم وتجار فخرج صلى الله عليه وسلم لخمس ليال بقين من ربيع الأول فى ألف من أصحابه فكان يكمن النهار ويسير الليل بضم الميم وفتحها واستخلف على المدينة سباع بكسر السين المهملة فموحدة فألف فعين مهملة ابن عرفطة بضم العين والفاء الغفاري ويقال له الكناني وكان دليله مذكور العذري ونكب عن طريقهم وقال له لما دنا من دومة يا رسول الله إن سوائمهم ترعى عندكم فأقم حتى أطلع لك. قال نعم.

فخرج العذري طليعة وحده ووجد آثار النعم والشاء فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا فرقا للرعب منه صلى الله عليه وسلم ونزل عليه السلام بساحتهم فأقام بها وبث السرايا وفرقها ولم يصب منهم أحدا ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر فتكون غيبته عن المدينة خمسا وعشرين ليلة ولعله جد في السير لما مرّ أن بعد دومة من المدينة خمسة عشر انتهى من المواهب وشرحها.

وفي الاكتفاء بعد أبيات حسان ما نصه: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وهي سنة أربع من مقدمه المدينة ثم غزا دومة الجندل ثم رجع قبل أن يصلها ولم يلق كيدا صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى بحروفه.

تنبيه:

ذكر الكلاعي غزوة الخندق عقب غزوة دومة والذى في المواهب ذكر غزوة المريسيع قبل الخندق تبعا لابن سعد وقال انها كانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس. قال الزرقاني ورواه البيهقي عن قتادة وعروة وغيرهما ولذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق ورجحه الحاكم وهو الذى في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق ورجحه ابن حجر، وقال أي ابن حجر بعد كلام، فظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان قبل الخندق لأنها كانت في شوال سنة خمس أيضا انتهى المراد من كلام الزرقاني.

وسأتكلم عليها إن شاء الله عند قول الناظم الآتى بنى المصطلق لأنها هي المريسيع غزوة الخندق وتسمى الأحزاب، أما تسميتها بالخندق فلأجل الخندق أي الحفر الذى حفر حول المدينة في شاميها من طرق الحرة الشرقية إلى طرق الحرة الغربية وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من الكفار عليها وهم قريش وغطفان وسليم واليهود

حتى بلغوا عشرة آلاف وأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ... إلى قوله: قويا عزيزا}. وكان من سببها أنه صلى الله عليه وسلم لما أجلى بني النضير خرج نفر من اليهود منهم سلاّم بالتشديد عند ابن الصلاح وغيره ورجح الحافظ التخفيف مستندا لوقوعه في أشعار العرب، كقول أبي سفيان:

سقاني فرواني كميتا مدامة على ظمئ مني سلام ابن مشكم

ابن مشكم بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف وسلام بن أبي الحقيق بحاء مضمومة فقاف مفتوحة فتحتية ساكنة ثم قاف أخرى وحيي بضم الحاء مصغرا بن أخطب بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة كما في الزرقاني وكنانة بن الربيع النضيريون وهوذة بفتح الهاء وسكون الواو فذال معجمة فهاء تانيث ابن قيس وأبو عمار الوائليان فقدموا على قريش ودعوهم إلى حربه عليه السلام، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش إنكم أهل الكتاب الأول والعلم فما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه. وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت إلى قوله وكفى بجهنم سعيرا} فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان ودعوهم إلى حربه عليه السلام وأخبروهم أنهم سيكونون معهم وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك وجعل اليهود لغطفان نصف تمر خيبر كل عام تحريضا لهم على الخروج، فخرجت قريش في أربعة آلاف وحملوا اللواء على عثمان بن أبي طلحة وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن بدر الفزاري في فزارة كسحابة قبيلة وكانوا ألفا وكتبوا إلى حلفائهم من أسد فخرج طليحة الأسدي فيمن تبعه من أسد والحارث المري بضم الميم وشد الراء في قومه وكانوا أربعمائة وهو أحد الفرسان المشهورين وأسلم بعد تبوك في وفد قومه وخرجت أشجع

يقودهم مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة فى أربعمائة وأسلم مسعود بعد، وكانت عدتهم عشرة آلاف وكان عناج الأمر إلى أبى سفيان، انتهى من المواهب وشرحها.

وعناج الأمر ككتاب ملاكه وكان المسلمون ثلاثة آلاف وهذا هو الصحيح المشهور وقيل فى عدد الجميع غير ذلك. قال الزرقاني كان لقريش ألفا بعير وخمسمائة بعير ويقودون ثلاثمائة فرس ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران يقودهم سفيان بن عبد شمس فى سبعمائة وكان حليفا لحرب بن أمية وخرج غير ذلك وذكر ابن سعد أن المسلمين كان معهم ستة وثلاثون فرسا وأن قريشا لما تهيأت للخروج أتى ركب خزاعة النبي صلى الله عليه وسلم فى أربع ليال حتى أخبروه فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم أيبرز من المدينة أم يكون فيها ويحاربهم عليها؟ فأشار سلمان بالخندق فأعجبهم ولم يكن الخندق من شأن العرب ولكن من مكائد الفرس أي حيلهم التى يتوصلون بها إلى مرادهم ولذا أشار به سلمان، فقال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب الخندق على المسلمين أي جعل على كل عشرة أربعين ذراعا، روى الطبراني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خط الخندق من أحمر الشيخين تثنية شيخ ضد شاب وهما أطمان تثنية أطم بضمتين طرق بنى حارثة حتي بلغ المواحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا، قال شيخنا لعلها حاصلة من ضرب قدر من الطول فى العرض والحاصل من ذلك فى العمق وليس المراد أن لكل عشرة أربعين طولا لزيادة ذلك على مسافة عرض المدينة بكثير لكثرة الصحابة الحافرين. قلت وفى رواية خط صلى الله تعالى عليه وسلم الخندق لكل عشرة أناس عشرة أذرع انتهى.

وعمل عليه السلام فيه بنفسه وعمل فيه المسلمون فدأب ودأبوا أي جدوا وتعبوا حتى كان سلمان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه قيس بن صعصعة أي أصابه بالعين فلبط بضم اللام وكسر الموحدة وبطاء مهملة أي صرع فجأة فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ

وليغتسل به سلمان وليكفى الإناء خلفه ففعل فكأنما حل من عقال وتنافس المهاجرون والأنصار فى سلمان وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا. فقال صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت. وفى البخاري عن أنس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون بكسر الفاء فى غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجره بكسر الجيم وسكون الهاء، فقالوا أي الطائفتان مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وقوله اللهم إلخ.. هو من قول ابن رواحة فتمثل به عليه السلام، فقال الداوودي إنما قال ابن رواحة لاهم بلا ألف ولا لام فأورده بعض الرواة على المعنى، قال الحافظ وحمله على ذلك ظنه أنه يصير غير موزون وليس كذلك بل يكون دخله الخزم وقوله فاغفر إلخ.. غير موزون ولعله عليه السلام تعمد ذلك ولعل أصله فاغفر للأنصار وللمهاجره باللام فى المهاجره، وعن طاووس زيادة فى آخر هذا الرجز، والعن عضلا والقارة هم كلفونا ننقل الحجاره، قال الحافظ وأوله غير موزون أيضا ولعله والعن إلهي عضلا والغاره انتهى.

وعضلا بالتحريك ابن الهون بن خزيمة كما فى القاموس، وفى البخاري عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الأحزاب وخندق صلى الله تعالى عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد رغبوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويمد بها صوته أي بقوله أبينا. وقوله قد رغبوا أي رغبوا العدو على قتالنا، وفى رواية بالعين المهملة أي رعبوا المسلمين بتحزبهم علينا،

وقوله أبينا أي أبينا الفرار فهو بالموحدة كما رجحه عياض وبالفوقية أي أتينا وأقدمنا على العدو، وروى البيهقي عن سلمان أنه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال باسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا فحبذا ربا وحب دينا.

قال فى النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال أي بدأت به، ووقع فى الخندق أمور من أعلام نبوءته صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما فى الصحاح عن جابر قال إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر من الجوع ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا بفتح الذال المعجمة أي شيئا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول بكسر الميم وسكون العين وفتح الواو أي المسحاة فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فالشك من الراوى والمعنى أنه صار رملا يسيل ولا يتماسك وأهيم بمعنى أهيل وعند أحمد والنسائي عن البراء بن عازب لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول جمع معول وهو الفاس العظيمة التي ينقر بها قوى الصخر كما فى الجوهري فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من يد سلمان فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها بشين معجمة أي قطع فخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاء ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، وفى رواية والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكانى هذا، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كان مصباحا فى جوف ليل مظلم، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إنى لأبصر

أبواب صنعاء من مكاني الساعة. قال ابن إسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار افتحوا ما بدى لكم، والذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك. ومن أعلام نبوءته صلى الله تعالى عليه وسلم ما فى الصحيح من تكثير الطعام القليل فيه وهو صاع من شعير وعنز صغير فدعي بالقوم وهم ألف فبصق فى العجين والبرمة قال جابر أقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وإن برمتنا كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو ومنها حفنة التمر التى جاءت بها ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير لأبيها وخالها ابن رواحة ليتغذيا به، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لإنسان أصرخ فى أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء فاجتمعوا عليه فجعلوا ياكلون وجعل يزيد حتى صدروا عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب. وقوله هم ألف قال الشامي أراد به الآكلين فقط لا عدة من حضر الخندق كما فى الزرقاني. قال فى المواهب وقد وقع عند ابن عقبة أنهم أقاموا فى عمل الخندق أي مدة حفره قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدي أربعا وعشرين وعند ابن سعد ستة أيام، قال السمهودي وما لابن سعد هو المعروف، قال والذى لابن عقبة والروضة والنووي إنما هو فى مدة الحصار لا فى عمل الخندق وفى الروضة للنووي خمسة عشر يوما ولما فرغ صلى الله تعالى عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة، قال السهيلي بزاء مفتوحة وغين منقوطة وقيل بضم الراء وعين مهملة اسم موضع فى عشرة آلاف منهم ومن أحابيشهم أي حلفائهم من التحبيش وهو التجميع لتجمعهم على أنهم يد واحدة أو لتحالفهم بذنبة حبشي جبل بأسفل مكة ونزلت غطفان ومن تبعهم بذنبة نقمى إلى جانب أحد وهو بفتح النون والقاف وفتح الميم مقصور، قال الصاغاني موضع من أعراض المدينة انتهي.

فائدة:

قال في القاموس وزغابة بالضم موضع قرب المدينة لكن في هامش المطبوع أنه فيه نظر انتهى.

فالصحيح ما للسهيلي وحبشي بالضم كما في القاموس، قال ومنهم أحابيش قريش لأنهم تحالفوا إلخ.. وخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع بفتح السين المهملة وسكون اللام وبالعين المهملة جبل بالمدينة وكانوا ثلاثة آلاف فضرب عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان يبعث الحرس إلى المدينة، قال ابن سعد فكان يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاثمائة يحرسون المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة، وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عهد بني قريظة وكان صالح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على قومه فأغلق كعب بابه دون حيي وأبى أن يفتح له وقال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤم إني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقا، فقال ويحك افتح لي أكلمك، فقال ما أنا بفاعل، فقال والله إن أغلقت دوني إلا تخوفا على جشيشتك أن آكل معك منها، ففتح له فقال ويلك يا كعب جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه، فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ولم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مثل أصله البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغاربه فيجد لذة فيأنس عند ذلك فضرب مثلا في المراوضة والمخاتلة، قال الحطيئة:

لعمرك ما قراد بني بغيض إذا نزع القراد بمستطاع

قوله جشيشتك: قال في القاموس جشه كسره، ثم قال والجشيشة ما جش من بر ونحوه والمجشة الرحى والجشيشة حنطة تطحن جليلا فتجعل في قدر ويقلى فيه لحم أو تمر فيطبخ اهـ

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال كنت يوم الأحزاب أنا وعمر بضم العين ابن أبي سلمة مع النساء في أطم حسان وهو بضمتين حصن مبني بحجارة فنظرت فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت إلى منزلنا قلت يا أبت رأيتك تختلف إلى بني قريظة قال أرأيتني يا بني؟ قلت نعم. قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يات بني قريظة فياتني بخبرهم؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لي صلى الله تعالى عليه وسلم بين أبويه في الفداء فقال فداك أبي وأمي أخرجه الشيخان. وعند أصحاب المغازي فلما انتهى الخبر أي خبر نقض قريظة للعهد إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبّادة ومعهما ابن رواحة وخوات بفتح الخاء المعجمة وشد الواو فألف ففوقية ابن جبير الأوسي البدري، زاد الواقدي وأسيد بن حضير، فقال انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقا فلحنوا إلى لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس، فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم، قالوا من رسول الله فتكلموا فيه بما لا يليق وتبرؤا من عهده فشاتمهم سعد بن معاذ فنهاه سعد بن عبادة وقال ما بيننا أربى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما فلحنوا له كما أمرهم، فقالوا عضل والقارة، قال السهيلي اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف، وتفتوا بضم الفاء وشد الفوقية أي لا تكسروا من قوتهم وتوهنوهم وضرب العضد مثلا لأنه كناية عن الرعب الداخل في القلب ولم يرد كسرا حقيقيا ولا العضد الذي هو العضو وإنما هو عبارة عما يدخل من

الوهن في القلب وهو من أفصح الكلام، وقوله عضل والقارة أي غدروك كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم من أعلى الوادي من قبل المشرق غطفان ومن أسفل منهم من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم بالنون والجيم أي ظهر النفاق من بعض المنافقين فأراد صلى الله عليه وسلم أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فقال السعدان يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به؟ أم شيئا تصنعه لنا؟ قال بل شيء نصنعه لكم. والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم. فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن ياكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة. والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك.

قال ابن عائذ وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم كما عند أبي نعيم على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فاندقت عنقه فمات، فكبر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه، وعن الزهري أنهم أعطوهم في ذلك عشرة آلاف درهم، فرد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم إنه خبيث خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا في ديته.

وقال ابن إسحاق وأقام عليه الصلاة والسلام وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ودّ العامري

اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى كانوا بالسبخة فبارزه علي فقتله، وبارز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة انتهى من المواهب.

قال الزرقاني عن ابن سعد وعمرو بن عبد ودّ له يومئذ تسعون سنة والنفر الذين معه هم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب كما في إبن اسحاق وقوله خيولهم بالرفع بدل من الفاعل وقوله قتله الزبير: ضربه بالسيف حتى شقه اثنتين وقطع سرجه حتى خلص إلى كاهل الفرس فقيل ما رأينا مثل سيفك، فقال ما هو السيف ولكنها الساعد. وما ذكره عزاه في الفتح لابن اسحاق فتبعه المصنف ولم يذكر ذلك إبن هشام في روايته عن البكائي عنه فلعله في رواية غيره ثم هو معارض لما قدمه عن ابن عائذ وهو الذي ذكره ابن هشام عن زياد عن ابن إسحاق ومثله في رواية أبي نعيم وعليه اقتصر اليعمري، وذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتله انتهى كلامه.

وفي الاكتفاء أن الفوارس المذكورين خرج إليهم علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثخنته الجراح فلم يشهد أحدا، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال من يبارز؟ فبارز علي بن أبي طالب، فقال يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، فقال أجل. فقال له علي فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، قال لا حاجة لي بذلك، قال فإني أدعوك إلى النزال، قال له ولم يابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك. قال علي لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. قال وذكر ابن إسحاق فى غير رواية البكائي أن عمروا لما نادى من يبارز؟ قام علي وهو مقنع فى الحديد، فقال أنا له يا نبى الله. فقال له اجلس إنه عمرو، ثم كرر عمرو النداء وجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون لى رجلا؟ فقام علي فقال أنا يا رسول الله، قال اجلس إنه عمرو ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد لححت من النداء	لجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع	وقفة الرجل المناجز
وكذاك إنى لم أزل	متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى	والجود من خير الغرائز

فقام علي رضي الله فقال أنا له يا رسول الله، فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمرو؟ فأذن له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فمشى إليه علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك	مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيم	عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء	يبقى ذكرها عند العجائز

فقال له عمرو من أنت؟ قال علي. فقال غيرك يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فإنى أكره ان أهريق دمك، فقال علي لكنى والله ما أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا ويقال انه كان على فرسه فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا قد قتله، وكانت صفية بنت عبد المطلب فى أطم حسان بن ثابت قالت وحسان معنا فيه

مع النساء والصبيان، قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا إن أتانا آت، قالت قلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود فانزل إليه فاقتله، قال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا، فلما قال لي ذلك احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت للحصن فقلت لحسان انزل فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا انه رجل، فقال ما لي بسلبه من حاجة انتهى المراد من الإكتفاء.

وفي الزرقاني أن عليا لما خرج إلى عمرو أعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه وقال اللهم أعنه عليه وأنه لما قتله قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه؟ فإنه ليس في العرب درع خير منها؟ فقال إنه حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت. وفيه عن السهيلي بعد ذكر ما مرّ عن صفية في شأن حسان فحمل هذا على أن حسان كان جبانا وأنكره بعض العلماء منهم ابن عبد البر لأنه حديث منقطع الإسناد ولو صح لهجي به حسان فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرا وكانوا يناقضونه ويردون عليه، فما عيره أحد منهم بجبن ولا وسمه به فدل ذلك على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فلولا أنه كان معتلا ذلك اليوم بعلة تمنعه من شهود القتال انتهى انتهى.

وكانت عائشة رضي الله عنها يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت معها أم سعد بن معاذ وكان ذلك قبل أن يضرب الحجاب قالت عائشة فمر سعد وعليه درع مقلصة وقد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرقل بها أي يسرع في نشاط وهو يقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل

لا باس بالموت إذا حان الآجل

وقالت له أمه الحق يا بني فقد والله أخرت. قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه، قالت وخفت عليه أين أصاب السهم فرمى سعد بسهم قطع منه الأكحل رماه حبان بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة، قال سعد عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن اكنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتني حتى تقر عينى من بنى قريظة وقد أجاب الله دعاءه فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم فى بنى قريظة.

وعن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعدا إلا أبو أسامة الجشمي حليف بنى مخزوم والأكحل بفتح الهمزة والحاء المهملة بينهما كاف ساكنة عرق فى وسط الذراع، قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان فى كل عضو منه شعبة فهو فى اليد الأكحل وفى الظهر الأبهر بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة ساكنة وفى الفخذ النسا بفتح النون مقصورا إذا قطع لم يرقا الدم قال الأصمعي والنسا عرق من الورك إلى الكعب وابن العرقة هو حبان بن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن هصيص وابن عامر بن لؤي والعرقة أمه كذا قال السهيلي وقال ابن الكلبي هي أم عبد مناف جد أبيه وهو عنده حبان بن أبى قيس بن علقمة بن عبد مناف وحبان بكسر المهملة وشد الموحدة والعرقة بفتح العين المهملة وكسر الراء واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة ولقبت بذلك لطيب ريحها. انتهى ملخصا من الكلاعي والمواهب وشرحها.

وفي القاموس ولبن عرق ككتف فسد طعمه عن عرق البعير المحمل عليه وحبان بن العرقة وقد تفتح الراء وهي أمه قلابة لقبت به لطيب ريحها، وهو الذى رمى سعد بن معاذ رضي الله عنه. انتهى.

وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الشدة والخوف لتظاهر عدوهم عليهم بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر على ما في العيون وشهرا على ما في الهدى وعشرين يوما على ما لابن عقبة ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف، بنون وفاء مصغر، الأشجعي، أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت. فقال إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم! قالوا صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدروا أن تحولوا منه إلي غيره وإنهم جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم ونساؤهم بغيره فإن رأوا غرة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبينه ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم على أن تقاتلوا معهم محمدا. فقالوا لقد أشرت بالرأي.

ثم أتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا وإنه قد بلغني أمر رأيت حقا علي أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه عني، قالوا نفعل، قال إن يهود ندموا على ما صنعوا وأرسلوا إلى محمد إنا قد ندمنا على ما فعلنا، أيرضيك أن ناخذ من أشراف قريش وغطفان رجالا تضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستاصلهم؟ فأرسل إليهم نعيم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا، ثم أتى غطفان وقال إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني، قالوا صدقت، قال فاكتموا عني، قالوا نفعل، فقال لهم مثل ما قال لقريش وكان من صنع الله لرسوله أن أبا سفيان ورؤس غطفان أرسلوا إلى بني قريظة عكرمة في نفر من القبيلتين فقالوا إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا

للقتال حتى نناجز محمدا أونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئا وكان قد أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بمقاتلين حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا، ولا طاقة لنا به، فقالت قريش وغطفان والله إن الذى حدثكم به نعيم لحق، فأرسلوا إليهم أنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. وقالت قريظة ان الذى ذكر لكم نعيم لحق فأرسلوا إليهم إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح فى ليال شديدة البرد فكفأت قدورهم وطرحت أبنيتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه لينظر ما فعل القوم ، وحدث حذيفة وقد قال له رجل من أهل الكوفة أرأيتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبتموه؟ قال نعم. قال فكيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجهد، قال والله لو أدركناه ما تركناه يمشى علي وجه الأرض ولحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة والله لقد رأيتنى بالخندق في ليلة باردة مطيرة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا، فقال من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعانى فلم يكن ليي بد من القيام، فقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم وانظر ماذا يفعلون؟ ولا تحدثن بعدنا شيئا حتى تأتينا. فذهبت فدخلت فيهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقال أبو سفيان لينظر كل أمرئ من جلسيه فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت من أنت؟ قال فلان بن فلان؛ ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش

إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام هلك الخف والكراع بضم الكاف اسم لجمع الخيل واختلفنا وبنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون لا يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارحلوا فإني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقد يده إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلي أن لا تحدث شيئا حتى تاتيني، ثم شئت لقتلته بسهمي، فرجعت إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر. وفي رواية عنه أنه قال لما بعثه: حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا. قال فأذهب الله عزّ وجلّ عني القر بضم القاف أي البرد والفزع فإذا الريح لا تجاوز عسكرهم شبرا، فلما رجعت رأيت فوارس نحو عشرين في طريقي معتمين، فقالوا له أخبر صاحبك أن الله قد كفاه القوم بالريح والجنود. وعند أبي نعيم فوالله ما خلق الله قرا ولا فزعا في جوفي إلا خرج فما وجدت منه شيئا فمضيت كأنما أمشي في حمام. وفي رواية البيهقي عن حذيفة لما دخلت نظرت في ضوء نار توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبة قد تفرق عنه الأحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل، ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش لأضعه في كبد القوس لأرميه في ضوء النار فذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمسكت ورددت سهمي، فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم من غيرهم، فقال لياخذ كل رجل منكم يد جليسه فضربت بيدي على يد الذي عن يميني، فقلت من أنت؟ قال معاوية بن أبي سفيان. ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت من أنت قال عمرو بن العاصي فعلت ذلك خشية ان يفطن بي فبدرتهم بالمسألة. وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم

الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم. وروى أحمد عن أبى سعيد الخدري قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله وقد بلغت القلوب الحناجر؟ فقال نعم. قولوا اللهم استر عوراتنا أي عيوبنا وتقصيرنا، وآمن، بمدّ الهمزة وكسر الميم مخففة ويجوز القصر والتثقيل، روعاتنا، أي خوفنا وفزعنا.

وفي البخاري أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم الخندق، ملأ الله بيوتهم، أي الكفار، أي أحياء وقبورهم أي أمواتا نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس. زاد مسلم صليناها بين المغرب والعشاء، وزاد مسلم أيضا بعد قوله الوسطى صلاة العصر، قال النووي أما تأخيره عليه السلام العصر حتى غابت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف، وأما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو بل تصلى بحسب الحال.

ولما أجلى الله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الأحزاب قال عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا. وفي رواية أنه قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا يغزونكم بعدها أبدا ولكن أنتم تغزونهم.

قال الزرقاني وذكر الواقدي أنه عليه السلام قال ذلك بعد أن انصرفوا. وذكر ابن إسحاق والواقدي أنه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير وكلهم من الأنصار: سعد بن معاذ جرح فيه ومات من جرحه بعد حكمه فى بني قريظة، وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل الأوسيون والطفيل بن النعمان وثعلبة بن عنمة بمهملة ونون مفتوحتين وكعب بن زيد الخزرجيون رضي الله عن جميعهم.

وزاد الدمياطي: قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبى خالد وذكر الحافظ منه: أبا سنان بن صيفي بن صخر وقتل من المشركين ثلاثة: منبه بن عبيد، قال ابن هشام هو عثمان بن أمية بن منبه العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي

وعمرو بن عبد ود العامري، قاله العلامة محمد بن عبد الباقى وقال حسان يوم الخندق يجيب عبد الله بن الزبعرى شاعر قريش:

هل رسم دارسة المقام يباب ... متكلم لمحاور بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه ... وهبوب كل مظلة مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم ... بيض الوجوه ثواقب الأحساب
ودع الديار وذكر كل خريدة ... بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الهموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بجمعهم إليه وألبوا ... أهل القرى وبوادي الأعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم ... متخمطين بحلبة الأحزاب
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا ... قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم ... ردوا بغيظهم على الأعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم ... وجنود ربك سيد الأرباب
وكفى الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم فى الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم ... تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب

أرض يباب كسحاب خراب، والمحاورة المراجعة فى الكلام، والرهم كعنب جمع رهمة بالكسر وهي المطر الضعيف الدائم والمعصفة الريح الشديدة عصفت الريح كضرب اشتدت، وعصفت فهي معصف ومعصفة والمرباب الدائمة من أرب بالمكان أقام به، والحلول النازلون: جمع حال، والخريدة: الحيية المتسترة، والكعاب كسحاب ناهدة الثديين، وألبوا: جمعوا، والمتخمط: المتكبر والشديد الغضب، والأيدي: القوة.

وقال كعب بن مالك يجيب ابن الزبعرى أيضا:

أبقى لنا حدث الحروب بقية ... من خيل نحلة ربنا الوهاب
بيضا مشرفة الذرى ومعاطنا ... حم الجذوع غزيرة الأحلاب
كاللوب يبذل جمها وحفيلها ... للجار وابن العم والمنتاب
وترائعا مثل السراج نمى بها ... علف الشعير وجزة المقضاب
عري الشوى منها وأردف نحضها ... جرد المتون وسار فى الآراب
قودا تراح إلى الصياح إذا غدت ... فعل الضراء تراح للكلاب

وتروح سالبة الضمار وتارة ... ترد العدا وتؤب بالأسلاب
يغدون بالزغف المضاعف شكه ... وبمترصات في الثقاف صياب
وصوارم ترع الصياقل علبها ... وبكل أروع ماجد الأنساب

إلى أن قال:

جاءت سخينة كي تغالب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

قوله مشرفة الذرى: أراد بها الأطام وهي الحصون، وأراد بالمعاطن منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل، ووصف النخل بأنها حم لأنها تضرب إلى السواد من شدة الخضرة والأحلاب جمع حلب بالتحريك وأصله اللبن المحلوب شبه به ما يجتنى من النخل واللوب جمع لوبة بالضم وهي الحرة، وهي الأرض التي لبستها حجارة سود، وجمها وحفيلها أي الكثير منها، والمنتاب الزائر، والنزائع يعنى بها الخيل التى نزعت من العدو، وقوله مثل السراج بالجيم أي كل واحد منها كالسراج، وبالحاء جمع سرحان وهو الذئب جمعه على تقدير الألف والنون ولو جمعه علي لفظه لقال سراحين، والمقضاب مزرعة القضب، وجزتها ما يجز منها للخيل، والقود جمع قوداء وهي طويلة العنق والضراء الكلاب الضارية والكلاب جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذى يصيد بها والمترصات المحكمات يعنى الرماح المثقفة، والعلب الجساوة والخشونة، يقال علب النبات أي جسا وغلظ وسخينة مما سميت به قريش قديما انتهى. معزوا للسهيلي.

وقوله تراح إلى الصياح بفتح المثناة أي تفرح وتخف، وفي القاموس راح للأمر يراح رواحا وروحا وراحا فرح انتهى. والصياقل جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلاؤها والثقاف ككتاب ما تسوى به الرماح والأروع من يعجبك بحسنه أو بشجاعته انتهى من القاموس.

وفيه وسخينة كسفينة طعام رقيق يتخذ من دقيق ولقب لقريش لاتخاذها إياه وكانت تعير به انتهى.

«**غزوة بني قريظة**». ولما دخل صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة يوم الأربعاء الذى انصرف فيه من الخندق لسبع بقين من ذى القعدة كما لابن سعد هو وأصحابه ووضعوا السلاح، جاء جبريل عليه السلام وقت الظهر معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج والاعتجار أن يلفها على رأسه يرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه كما فى النهاية وتبعه الشامي ونحوه فى القاموس والاستبرق ضرب من الديباج غليظ، قال ابن سعد وكانت سوداء وأرخى منها بين كتفيه، والرحالة بكسر الراء وخفة الحاء المهملين سرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد والجمع رحائل والقطيفة كساء له خمل والديباج بكسر الدال وقد تفتح وفي رواية للبخاري لما رجع ووضع السلاح واغتسل أي للتنظيف من آثار السفر آتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح بحذف الاستفهام، والله ما وضعناه أخرج إليهم وأشار إلى بنى قريظة بضم القاف وفتح الراء وسكون التحتية وبالظاء المعجمة فتاء تانيث، قال السمعاني اسم رجل نزل أولاده قلعة حصينة قرب المدينة فنسبت إليهم وقريظة والنضير أخوان من أولاد هارون ولابن اسحاق أن الله يامرك يا محمد بالسير إلى بنى قريظة فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم أي مزلزل حصونهم فالمفعول محذوف. ولابن سعد فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع أي ارتفع الغبار فى زقاق كغراب أي سكة بنى غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون بطن من الخزرج. وفي البخاري عن أنس لكأنى أنظر إلى الغبار فى زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار إلى بنى قريظة، روي بنصب موكب بتقدير انظر وبالجر بدل من الغبار والرفع خبر مبتدإ محذوف أي هذا وهو نوع من السير أو جماعة الفرسان أو جماعة يسيرون برفق، فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادى، قال البرهان لا أعرفه، وقال الشامي هو بلال فأذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بني قريظة وعند

ابن عائذ أن جبريل عليه السلام قال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادي يا خيل الله اركبي وعند ابن سعد ثم سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف معهم ستة وثلاثون فرسا واستعمل ابن أم مكتوم على المدينة ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قتادة بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بفتح اللام وضمها وحاء مهملة كأمير وزبير ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة والمعروف بالحاء المهملة قاله ابن الأثير. وللطبراني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتى بني قريظة ركب على حمار له يقال له يعفور، فإن صحا فيمكن أنه ركب الفرس بعض الطريق والحمار بعضها وقدم عليا برايته فسار حتى دنا من الحصون فسمع مقالة قبيحة له عليه السلام فرجع حتى لقيه فقال لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابيث، قال لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟! قال نعم. قال لو رأوني لم يقولوا شيئا. فلما دنا من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا. ومرّ بنفر من أصحابه قبل أن يصل إليهم فقال هل مرّ بكم أحد؟ قالوا مرّ بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء. فقال ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم. ونزل عليه السلام بئرا من آبارهم يقال لها بئر أنا في الشامية بالضم وتخفيف النون وقيل بالفتح والتشديد، وقيل بموحدة بدل النون وقيل غير ذلك، قاله الزرقاني. وفي القاموس في مادة أني الشيء ما نصبه وأنا كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة بئر بالمدينة لبني قريظة انتهى. فالإضافة بيانية والله أعلم.

ولما سار الناس وحانت العصر وهم في الطريق قال بعضهم لا نصلي إلا في بني قريظة، ولم ياتوا إلا بعد صلاة العشاء ولم يبالوا بخروج الوقت حملا للنهي على حقيقته. وقال بعضهم لم يرد منا إلا الإسراع إلى قريظة

وصلوا فذكر ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يعنف أي لم يلم واحدا منهم لا التاركين ولا الفاعلين. قال ابن إسحاق وحاصرهم عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار أي بلغ بهم غاية المشقة وأجهدهم بالألف وبلاه بمعنى ورويا هنا ولابن مسعود حاصرهم خمس عشرة ليلة وألقى الله فى قلوبهم الرعب، فقال لهم رئيسهم كعب بن أسد، يا معشر يهود قد نزل بكم ما ترون وإني أعرض عليكم خلالا ثلاثا أي خصالا بكسر الخاء المعجمة جمع خلة بفتح المعجمة وشد اللام، قاله الشامي، قالوا وما هي؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه فى كتابكم فتامنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا. فقال فإذا أبيتم هذه فهلم فنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رجالا مصلتين بكسر اللام أي مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلا بفتحتين ونقاتل حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك فلن نترك وراءنا ما نخشى عليه. فقالوا أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة بكسر المعجمة وشد الراء أي غفلة. قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قردة وخنازير.

قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه فى ليلة حازما وارسلوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة أحد النقباء واسمه رفاعة، وقيل مبشر بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره فى أمرنا فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش بفتح الجيم والهاء وكسرهما فشين معجمة أى فزع وأسرع إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد وذلك أنهم لما أيقنوا بالهلكة

أنزلوا شمأس بن قيس فكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينزلوا إلا حكمه وعاد إليهم شماس بذلك، فقال أبو لبابة نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله، فندمت واسترجعت فنزلت وأن لحيتي لمبتلة من الدموع والناس ينظرون رجوعى إليهم، ثم انطلق أبو لبابة فلم يات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد وقال فى رواية وكان ارتباطى إلى الاسطوانة المخلقة أي التى طليت بالخلوق بوزن رسول وهو ما يخلق به من الطيب، وقال لا أبرح من مكانى هذا حتى أموت أو يتوب الله علي. وعاهدت الله أن لا أطأ بنى قريظة ولا أرى فى بلدة خنت الله ورسوله فيها.

فلما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه، قال أما لو جاءنى لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. قال فكنت فى أمر عظيم فى حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن شيئا ولا أشرب. قال ابن هشام أقام مرتبطا ست ليال تأتيه امرأته فتحله فى وقت كل صلاة فتربطه. ولابن عبد البر أنه ارتبط بسلسلة ربوض بفتح الراء المهملة وضم الموحدة فواو فضاد معجمة أي عظيمة غليظة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره فكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة أو أراد أن يذهب لحاجة فإذا فرغ أعادته. والظاهر أن امرأته تقيدت به فى ست وبنته فى باقي البضع فلا تنافي بين الروايتين كما فى الزرقاني، ونزلت توبته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة استاذنته عليه السلام أن تبشره فأذن لها فبشرته وذلك قبل ضرب الحجاب، فثار إليه

الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده، فلما مرّ عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه كذا فى المواهب وغيرها. والآية التى نزلت فى توبته: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم} إلى {رحيم}، قال كاتبه سمح الله له وقد مرّ فى الكلام على التفضيل بين فاطمة وأمها رضي الله عنهما أن فاطمة هي التى حلته وأنه لما أرادت أن تحله امتنع من أجل يمينه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، فاطمة بضعة منى، فحلته، فإن صح هذا فيكون معنى قوله أطلقه أي أمرها هي بإطلاقه والله تعالى أعلم.

ثم إن ثعلبة بن السعية وأسيد بن السعية وأسد بن عبيد وهم ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم، أسلموا الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكمه صلى الله تعالى عليه وسلم فأحرزوا دماءهم وأموالهم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي القروي فمر بحرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فلما رآه قال من هذا؟ قال أنا عمرو بن سعد، وكان قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمنا عثرات الكرام، فخلى سبيله فخرج حتى بات فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة ثم ذهب فلم يدر أين توجه، فذكر شأنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه انتهى من الإكتفاء.

ولما اشتد الحصار ببنى قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكمه صلي الله تعالى عليه وسلم فقالت الأوس، قد فعلت فى موالى الخزرج أي بنى قينقاع ما علمت، أي حين سأله إياهم ابن أبى ووهبهم له، فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. قال فذلك إلى سعد بن معاذ، فقال ابن هشام وحدثنى من أثق به أن عليا صاح وهم محاصرون: يا كتيبة الإيمان. وتقدم هو والزبير وقال والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم، فقالوا ننزل على حكم سعد وكان عليه السلام قد جعله

في خيمة امرأة من اسلم في المسجد النبوي يقال لها رفيدة بضم الراء وفتح الفاء وسكون التحتية فدال مهملة فهاء تأنيث وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على من به ضيعة من المسلمين. وعن الواقدي أن اسمها كعيبة بالكاف أوله وبالتصغير وهما امرأتان اختلف فيمن تنسب الخيمة إليه منهما وليس أحدهما إسما والآخر لقبا قاله الزرقاني.

ولما حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سعدا أتاه قومه فحملوه على حمار لاعرابي عليه قطيفة وقد وطئوا له بوسادة من أدم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنما ولاك لتحسن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال لقد ءان لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فلما انتهى سعد إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام قوموا إلي سيدكم فانزلوه، قال رجل من بني عبد الأشهل قمنا له على أرجلنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد الأنصار وأما الأنصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمين، فقاموا إليه فقالوا إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فأحسن فيهم واذكر بلاءهم عندك أي مناصرتهم ومعاونتهم لك قبل اليوم فجلس إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إن هؤلاء قد نزلوا علي حكمك؛ فقال سعد فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء؛ فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة بالقاف جمع رقيع بتذكير العدد على معنى السقف إذ السماء مؤنثة وقياسه سبع، وأراد أن الحكم ينزل من فوق، ومثله قول زينب زوجني الله من نبيه من فوق سبع سماوات أي نزل تزويجها من فوق. قال في المواهب والرقيع السماء سميت بذلك

لأنها رقعت بالنجوم. قال الزرقاني وظاهره أن كل سماء مرقوعة بالنجوم وهو أحد قولين والآخران الكواكب كلها فى السماء الدنيا حكاهما ابن كثير. وفي رواية للبخاري عن أبي سعيد لقد حكمت فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك أي بكسر اللام كما رجحه الحافظ وهما بمعنى. وعند الكرماني بفتح اللام أي جبريل لأنه ينزل بالأحكام، وعند ابن عائذ من حديث جابر فقال أحكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم، قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم وأمر عليه السلام ببني قريظة بعد نزولهم من الحصن فكتفوا وجعلوا ناحية والنساء والذرية ناحية أدخلوا المدينة وحبسوا فى دار رملة بنت الحارث بن ثعلبة النجارية والواقدي يقول رملة بنت الحدث بفتح الدال المهملة بغير ألف قبلها قال السهيلي والصحيح الأول، وعن عروة أنهم حبسوا فى دار أسامة بن زيد قال فى الفتح ويجمع بأنهم جعلوا فى بيتين كما صرح به فى حديث جابر عند ابن عائذ انتهى.

وفي السبل سيق الرجال إلي دار أسامة والنساء والذرية إلي دار رملة فأمر لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأحمال تمر فنشرت لهم فباتوا يأكلون منها وحفر لهم أخدودا بضم الهمزة أي شق مستطيل فى السوق وأخرجوا إليه أرسالا فضربت أعناقهم أي ضربها علي والزبير وأسلم الأنصاري كما فى الطبراني وكانوا ستمائة أو سبعمائة، قال السهيلي والمكثر يقول ما بين الثمانمائة إلى تسعمائة وبقي عليه السلام عند الأخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب واصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة بنت شمعون بن زيد إحدى بني عمرو بن قريظة عند الأكثر وقيل كانت من بني النضير متزوجة فى قريظة رجل اسمه الحكم، وتزوجها عليه السلام بعد أن أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصف أوقية، وأعرس بها فى المحرم سنة ست فى بيت سلمى بنت قيس النجارية وضرب عليها الحجاب وغارت عليه غيرة

شديدة وطلقها تطليقة فشق عليها فأكثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت راجعة من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، ذكره الواقدي وابن سعد وغيرهما، وقيل كان يطؤها بملك اليمين والأول أثبت عند أهل العلم، كما قاله الواقدي، واقتصر عليه ابن الأثير انتهى من المواهب وشرحها.

وفي المواهب وشرحها وفي الكلاعي أنهم قالوا لكعب بن أسد سيدهم وهو يذهب بهم ارسالا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون أن الداعي لا ينزع؟ وأن من ذهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل. وأوتي بعدو الله حيي بن أخطب وعليه حلة فقاحية قد شقها من كل ناحية قدر أنملة ليلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال أيها الناس لا بأس بأمر الله كتاب وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وقتل من نسائهم امرأة واحدة لم يقتل من نسائهم غيرها.

قالت عائشة رضي الله عنها والله إنها لعندي تحدث تضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل رجالها إذا هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا قلت لها ويلك ما لك؟ قالت أقتل. قلت ولم؟ قالت لحدث أحدثته. فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها مع علمها أنها تقتل. قال ابن هشام هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، وقوله فقاحية نسبة إلى الفقاح كرمان وهي الزهور إذ انفتحت أكمامه وعلى فلان حلة فقاحية وهي على لون الورد حين هم ان ينفتح وكان الزبير كامير بن باطيا القرظي قد من على ثابت بن قيس بن شماس يوم بعاث أخذه وخلى سبيله فجاءه ثابت يوم قتل قريظة وهو أي الزبير شيخ كبير فقال إني أردت أن أجزيك بيدك عندي فاستوهبت رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم دمه فقال له عليه السلام هو لك فأتاه فأخبره فقال له الزبير شيخ كبير لا أهل له ولا مال فما يصنع بالحياة فاستوهب ثابت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرأته وولده فقال هم لك، فأخبره فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فسأل ثابت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماله فقال هو لك، فأتاه فأخبره، فقال يا ثابت ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية تترأى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال قتل. قال فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموال؟ قال قتل. قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب ابن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال قتلوا. قال فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء خير. وقدمه ثابت فضرب عنقه انتهى وبعضه باختصار.

وأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنائم فجمعت؛ قال الزرقاني وهي ألف وخمسمائة سيف وثلاث مائة درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وحجفة وخمر وجرار سكر بفتحتين أي نبيذ تمر فاهرق ذلك كله ولم يخمس وجمال نواضح وماشية كثيرة قاله ابن سعد وحجفة بحاء مهملة فجيم ترس صغير وأخرج الخمس من المتاع والسبي وصار الخمس إلى محمية بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية فتحتية مخففة مفتوحة بن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي فهمزة الزبيدي بضم الزاي وفتح الموحدة حليف بني سهم كان قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة وكان عامل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الأخماس وذكر الكلبي أنه شهد بدرا، ولما انقضى أمر بني قريظة انفجر جرح بضم الجيم سعد بن معاذ الذي أصابه في الخندق بعد أن أشرف على البرء فمات شهيدا، قال الزرقاني لعل مراده شهيد الآخرة، فقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غسله وصلى عليه ولو كان شهيد المعترك لم يفعل به ذلك، وفي البخاري أنه دعى زاد مسلم

وتحجر جرحه للبرء أي تيبس أي دعى بذلك لما كاد جرحه يبرأ، فقال كما فى البخاري اللهم انك تعلم آنه ليس أحد فى قوم أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شيئ فابقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعتها فافجرها بضم الجيم أي الجراحة واجعل موتي فيها. قال الحافظ فيه جواز تمنى الشهادة وهو مخصوص من عموم النهي عن تمنى الموت وفيه صبر سعد فانفجرت من لبته بفتح اللام والموحدة المشددة موضع القلادة من صدره، هذه رواية مسلم. وقال ابن خزيمة فإذا لبته قد انفجرت من كلمه وكان الجرح ورم حتى وصل إلى صدره فانفجر من ثم. قاله الحافظ فلم يرعهم بفتح أوله وضم ثانيه وسكون العين المهملة، أي لم يفزع أهل المسجد، وفي المسجد خيمة لرجل من بني غفار بكسر المعجمة وخفة الفاء إلا الدم يسيل إليهم وذكر ابن اسحاق ان الخيمة لرفيدة الأسلمية قال الحافظ فيحتمل أن يكون لها زوج من بني غفار فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم؟ أي من جهتكم؟ فإذا سعد يغذوا بغين فذال معجمتين أي يسيل جرحه دما فمات منها.

ولأحمد عن عائشة فانفجر كلمه وقد كان برئ إلا مثل الخرص بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة من حلي الأذن انتهى.

وسبب انفجار جرحه أنه مرت به عنز وهو مضجع فأصاب ظلفها موضع النحر فانفجر الدم حتي مات، وحضر جنازته رضي الله عنه سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن، رواه الشيخان من حديث جابر، وثبت عن عشرة من الصحابة أو أكثر قال ابن عبد البر هو ثابت اللفظ من طرق متواترة وقول البراء اهتز سريره لم يلتفت إليه العلماء انتهى.

وفي العتبية أن مالكا سئل عنه فقال أنهاك أن تقوله، وما يدري المرء أن يتكلم بهذا. قال ابن رشد إنما نهى مالك لئلا يسبق إلى وهم الجاهل

أن العرش إذا تحرك يتحرك الله لتحركه كالجالس منا على كرسيه، وليس العرش موضع استقرار الله تعالى، وتنزه عن مشابهة خلقه، انتهى. واختلف في تأويله فقالت طائفة على ظاهره واهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد، لأن العرش جسم مخلوق، قابل للحركة والسكون، وجعل الله تعالى فيه تمييزا حصل به هذا التحرك، ولا مانع منه، كما قال تعالى: {وإن منها لما يهبط من خشية الله} أي ينزل من علو إلى سفل، وهذا القول هو المختار عند القسطلاني ورجحه السهيلي وقال آخرون المراد باهتزازه استبشاره وقبوله بأن أودع فيه إدراكا علم بموته ففرح به وبهذا صدر الفتح ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون حركة جسمه، بل انه يرتاح إليها، وقال الحربي هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فيقول أظلمت الأرض لموت فلان، ولم تظلم، وقامت له القيامة ولم تقم، وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة، قال في المواهب وهو باطل ويرده صريح الروايات اهتز لموته عرش الرحمن فإن إضافته إليه تأبى السرير ومن قال هذا لم تبلغه هذه الروايات، وقيل المراد اهتزاز حملة العرش فرحا بقدومه. وروى الترمذي وصححه أن جنازته لما حملت قال المنافقون ما أخف جنازته. وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله وكأن المنافقين قالوا ذلك بزعمهم الفاسد أن خفته لخفة ميزانه، فرد عليهم عليه السلام، وكان سعد رجلا بادنا ولما حمل بكت أمه وقالت ويل أم سعد، سعدا، صرامة وحدا، وسؤددا ومجدا وفارسا معدا سد به مسدا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ. وقال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فإن ابنك يضحك الله عز وجل له واسم أمه كبشة بنت رافع بن عبيد الأنصارية الصحابية ثم الخزرجية ذكر ابن سعد أنها أول من بايع من النساء وأهديت له عليه السلام حلة حرير فجعل أصحابه يعجبون من لينها، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة

خير منها وألين. والمناديل جمع منديل بكسر الميم وفتحها وهو أدنى الثياب لأنه معد للوسخ والامتهان وتمسح به الأيدي وينفض به الغبار ويلف فيه الثياب وفي هذا إشارة إلى عظم منزلة سعد فى الجنة، إذ كان أدني ثيابه أفضل من حلة الملوك فما ظنك بأعلاها.

وروي أن إنسانا قبض من تراب قبره قبضة، ثم نظر إليها فإذا هي مسك، وعن أبي سعيد الخدري سعد بن مالك الصحابي بن الصحابي قال: كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا.

وفي الحديث لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجى منها سعد، ضم ضمة ثم فرج الله عنه، وقوله لو كان أحد، أي من أمم إلا الأنبياء لأنهم أي الأنبياء لا يضغطون ولا ترد فاطمة بنت أسد بأن نجاتها بسبب اضجاعه عليه السلام فى قبرها، ولا قارئ الإخلاص فى مرض موته لأن نجاته بسبب هذه القراءة، والمنفي نجاة أحد منها بلا سبب، وروى ابن الأعرابي والبيهقي وابن مندة أنه عليه السلام قال ان ضغطة القبر، أو قال ضمة القبر على المؤمن كضم الأم الشفيقة يديها على رأس ابنه يشكو إليها الصداع فتغمز رأسه غمزا رفيقا، انتهى من المواهب وشرحها.

تتمة:

أسهم صلى الله تعالى عليه وسلم يوم قريظة جماعة أسهم للفارس سهم له وسهمان لفرسه وأخرج الخمس من الغنيمة ومضت تلك السنة فى المغازي وقال مغلطاي فى هذه السنة وهي سنة خمس فرض الحج وقيل سنة ست هي التي فرض فيها وصححه غير واحد وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه ثلاثة من العلماء وقال حسان يذكر بني قريظة:

تفاقد معشرا نصروا قريشا	وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه	وهم عمي عن التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أوتيتم	بتصديق الذي قال النذير

وهان علي سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير
ولما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال أدام الله ذلك من صنيع. وحرق في طوائفها السعير في أبيات لم يأل فيها ان صدق حسان ثم تلي غزوة قريظة من غزواته عليه السلام، غزوة بني لحيان بكسر اللام وفتحها كما في الزرقاني وغيره، ولحيان بن هذيل بن مدركة، قال الحافظ وزعم الهمداني النسابة ان لحيان من بقايا جرهم دخلوا في هذيل فنسبوا إليهم، قال ابن سعد كانت في غرة ربيع الأول سنة ست من الهجرة، وقال ابن اسحاق في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة أي في السنة الخامسة، وصححه ابن حزم، وقيل كانت في رجب وقيل في شعبان وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج إلى بني لحيان يطلبهم ببعث الرجيع خبيب وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة بكسر الغين المعجمة وشد الراء أي غفلة في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فسلك على غراب أي بلفظ الطائر جبل بناحية المدينة ثم على طريقه إلى الشام ثم على محيص بفتح الميم وكسر الحاء فصاد مهملتين ثم على البتراء تأنيث أبتر، ثم صفق بشد الفاء أي عدل ذات اليسار فخرج على يين بفتح التحتية الأولى وسكون الثانية ونون وضبطه الصغاني بفتحهما واد بالمدينة على صخرات الثمام ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى إلى منازلهم بغران بضم الغين وخفة الراء ونون واد بين أمج بفتحتين فجيم وعسفان بضم العين فسمعوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية وخرج حتى نزل عسفان.

قال في المواهب فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم بفتح التحتية والعين أي يفزعهم فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا كيدا والغميم بفتح المعجمة وكسر الميم فتحتية ساكنة فميم، واد أمام

عسفان بثمانية أميال والكراع بضم الكاف وخفة الراء وعين مهملة جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه، والكراع ما سال من أنف الجبل وطرف كل شيء، قاله في النور انتهى.

وفي الكلاعي أنه لما نزل عسفان بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا وراح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قافلا وهو يقول حين وجد راجعا آئبون تائبون عابدون بربنا حامدون وأعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال انتهى.

وقوله بعث فارسين يمكن الجمع بينه وبين ما تقدم كما في الزرقاني بأنه بعثهما ثم بعث أبا بكر في العشرة أو عكسه وقوله آئبون بمد الهمزة أي نحن راجعون إلى الله وقوله لربنا متعلق بالصفات الثلاث قبله على طريق التنازع وكذا يتعلق بما بعده ووعثاء بمثلة أي مشقة والكآبة: الحزن، وغاب صلى الله تعالى عليه وسلم عن المدينة أربع عشرة ليلة ثم بعد غزوة بني لحيان غزوة ذي قرد بفتح القاف والراء قاله في المواهب زاد الحافظ وحكى الضم فيهما وحكى ضم أوله وفتح ثانيه قاله الزرقاني وآخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان قاله السهيلي، والقرد لغة الصوف وتسمى أيضا غزوة الغابة بغين معجمة فألف فموحدة وهو شجر لاحتطاب الناس ومنافعهم على بريد من المدينة وهو بعد مجتمع الأسيال وأضيفت الغزوة إليها لكون اللقاح التي أغار عليها عيينة بن حصن فيها فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم في أثره كانت عند الغابة ويأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى مع ذكر الغارة التي هي سببها عند ذكر الناظم لها.

وقوله بني المصطلق مراده به أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل في غزوة بني المصطلق أي وقع فيها قتال من أصحابه وهو معهم وتسمى غزوة بني المصطلق بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام فقاف لقب بذلك لحسن صوته وارتفاعه من الصلق وهو رفع

الصوت وهو أول من غنى من خزاعة واسمه جذيمة بجيم مضمومة فذال معجمة مفتوحة فتحتية ساكنة ابن سعد بن عمرو بفتح العين بن ربيعة بن حارثة بطن من خزاعة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاء المخففة، قال في القاموس حي من الأسد سموا بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم أي تخلفوا وأقاموا بمكة انتهى. وتسمى أيضا غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة مكسورة آخره عين مهملة وكانت كما قال ابن سعد يوم الاثنين في ليلتين خلتا من شعبان سنة خمس ورواه البيهقي عن قتادة وعروة وغيرهما ولذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق ورجحه الحاكم، وفي البخاري عن ابن اسحاق في شعبان سنة ست وبه جزم خليفة والطبري والذي لابن عقبة سنة خمس قال الحاكم وكونها سنة خمس أشبه من قول ابن اسحاق، قال الحافظ في الفتح ويؤيده ما في حديث الافك ان سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الافك فلو كانت المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الافك كان فيها لكان ما وقع في الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا لأنه مات أيام قريظة وكانت في سنة خمس على الصحيح، ثم قال فظهر ان المريسيع كانت سنة خمس في شعبان قبل الخندق لأنها في شوال سنة خمس أيضا فيكون سعد موجودا في المريسيع. ورمي بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جرحه في قريظة انتهى من المواهب وشرحها.

وقد مرّ بعض هذا وعلي ما لابن اسحاق اقتصر الكلاعي وسببها انه عليه السلام بلغه أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين وأسلم لما جاء في فدائها دعى قومه ومن قدر عليه من العرب إلى حرب رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم فأجابوه وتهيؤوا للمسير معه وكانوا ينزلون بناحية الفرع بضم الفاء والراء كما نقل السهيلي وجرى عليه في المشارق وعن الأحول اسكان الراء ولم يذكره غيره كما في التنبيهات لكن قال مغلطاي أن الحازمي وافقه وتبعهما

ابن الأثير والصغاني وغيرهما وهو موضع من ناحية المدينة بينه وبين المريسيع مسيرة يوم، وفي سيرة مغلطاي يومين، فقال وبين المدينة والفرع ثمانية برد انتهى.
وأما الفرع بفتحتين فموضع بين الكوفة والبصرة (أنظر الزرقاني) فلما بلغه ذلك بعث إليهم بريدة بضم الموحدة وفتح الراء المهملة مصغرا ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين الاسلمي ليعلم حالهم فاستاذنه أن يقول فأذن له فأتاهم فوجدهم قد جمعوا الجموع فكلم الحارث وقالوا له من الرجل؟ قال: منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني حتى نستأصله، قال الحارث ونحن علي ذلك فعجل علينا، فقال بريدة اركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي، فسروا بذلك ورجع إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب صلى الله تعالى عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة مثلها ليس لهم رغبة في الجهاد إلا أن يصيبوا عرض الدنيا واستخلف على المدينة زيد ابن حارثة وقيل أبا ذر وقيل نميلة الليثي تصغير نميلة وقادوا ثلاثين فرسا للمهاجرين منها عشرة ومعه صلى الله تعالى عليه وسلم لزاز بكسر اللام وزاي مكررة مخففة بينهما ألف من لاززته أي الصقته كأنه لصق بالمطلوب لسرعته وقيل لاجتماع خلقه ومعه الظرب بفتح الظاء المعجمة كما في القاموس والسبل والنور وتكسر على ما في بعض نسخ النور وصدر به الشامي فراء مكسورة فموحدة واحد الظراب وهي أي الروابي الصغار سمي بذلك لكبره وسمنه وقيل لقوته وصلابته وذكر الشامي أنهما من جملة عشرة المهاجرين، قاله الزرقاني وخرجت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب عليه السلام جاسوسا لهم فسألوه عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئا فعرض عليه الإسلام فأبى فأمر عمر بن الخطاب بضرب عنقه وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام وأنه قتل جاسوسه فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا، وتفرق

عنهم من كان معهم من العرب ولقيهم عليه السلام على المريسيع فضرب عليه قبة وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر وقيل إلى عمار بن يسار وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر عليه السلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما انفلت منه إنسان فقتلوا عشرة وأسروا سائرهم أي باقيهم، قال البرهان قال بعض شيوخي كانت الأسرى أكثر من سبعمائة فطلبتهم منهم جويرية ليلة دخوله بها فوهبهم لها انتهى.

ولا يشكل بما رواه ابن إسحاق أنه لما خرج الخبر إلى الناس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج بجويرية قال الناس أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم قالت عائشة فلقد عتق بتزويجها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها لأن طلبها إياهم لا يمنع كون المسلمين لما سمعوا أنه تزوجها أطلقوا الأسرى، قاله الزرقاني، وقال ابن سعد كانت إبلهم ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة، وكان المسبي مائتي بيت، قال القسطلاني ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد، كذا ذكره ابن إسحاق انتهى.

قال محمد بن عبد الباقي هوأي الرجل المقتول هشام بن صبابة بمهملة مضمومة فموحدة مخففة فألف فموحدة أخرى أصابه أنصاري يقال له أوس من رهط عبادة بن الصامت يرى أنه من المشركين فقتله خطئا وقدم اخوه مقيس بن صبابة من مكة مسلما فى الظاهر فقال يا رسول الله جئتك مسلما وأطلب دية أخي قتل خطئا فأمر له بدية أخيه فأقام غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا فأهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمه فقتل يوم الفتح انتهى.

ومقيس كمنبر بتحتية بعد القاف وهو وأخوه من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث ثم قال فى المواهب والذي فى البخاري عن ابن عمر يدل على انه أغار عليهم على غفلة منهم فأوقع بهم ولفظه ان النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون بغين معجمة فألف فراء مشددة أي غافلون وانعامهم تستقي على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان يكونوا لما دهمهم المسلمون وهم على الماء تصافوا ووقع القتال بين الطائفتين وثبتوا قليلا ثم وقعت الغلبة عليهم للمسلمين بحملهم حملة رجل واحد انتهى باختصار قليل. وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة للناس ومع عمر أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بفتح الجيم وسكون الهاء ابن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبرة الجهني حليف بني عمرو بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب ابن أبي فقال أقد فعلوها قد نافرونا فى بلادنا والله ما أعدنا وهؤلاء إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضره من قومه وفيهم زيد بن أرقم ذو الأذن الواعية أي الضابطة لما سمعته وهو غلام حدث فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى دار غيركم فمشى زيد بن أرقم إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره الخبر وذلك عند فراغه من عدوه وعنده عمرو بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: فكيف يا عمرو إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟! لا . ولكن أذن بالرحيل. وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس ومشى ابن أبي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بلغه ما سمعه منه فحلف بالله ما قلت ما قال، وكان شريفا عظيما فى قومه، فقال من حضر من الأنصار يا رسول الله عليك السلام، عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه حدبا على ابن أبي فلما استقل صلى الله تعالى عليه وسلم لقي أسيد بن حضير فحياه تحية النبوؤة ثم قال يا رسول الله رحلت فى ساعة منكرة ما كنت

ترحل في مثلها؟! فقال له رسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال وأي صاحب يا رسول الله؟ قال عبد الله بن أبي. قال وما قال؟ قال زعم أنه إن رجع الى المدينة أخرج الأعز منها الأذل. قال فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال يا رسول الله عليك السلام أرفق به فوالله لقد جاء بك الله وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أن قد استلبته ملكا ثم متن بفتح الميم والمثناة الفوقية وبالنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالناس أي سار بهم يومهم ذلك حتى أمسا وليلتهم حتى أصبح وساروا يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نواما وإنما فعل ذلك ليغشل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ثم راح بالناس فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم وتخوفوها فقال صلي الله عليه وسلم لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بالتابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود وكهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي ومن معه فأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بأذن زيد بن الأرقم فقال هذا الذي أوفى الله باذنه، وفي رواية إن الله صدقك يا زيد. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فقال يا رسول الله عليك السلام إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فإن كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك رأسه إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فأقتله مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بل ترفق به، وتحسن صحبته ما بقي معنا، وكان بعد ذلك إذا حدث الحدث عاتبه قومه وعنفوه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم بركة من أمري. وفي الإكتفاء أن مقيسا لما رجع الى مكة قال في قتل قاتل أخيه والعياذ

بالله تعالى:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندا ... تضرج ثوبيه دماء الأخادع

وكانت هموم النفس من أجل قتله ... تلم فتحسيني وطاء المضاجع

حللت به وتري وأدركت ثأرتي ... وكنت إلى الأوثان أول راجع

ثأرت به جهرا وحملت عقله ... سرات بني النجار أرباب فارع

وقال أيضا:

جللته ضربة باتت لها وشل ... من ناقع الجوف يعلوه وينصرم

فقلت والموت تغشاه أسرته ... لا تامنن بني بكر إذا ظلموا

وتضرج تلطخ والأخادع عروق القفا ووطاء أي لين، وفارع اسم حصن لهم وجللته علوته ووشل أي متحلب وناقع الجوف دمه. وأصاب عليه السلام من بني المصطلق سبيا كثيرا فقسمه فى أصحابه وكان فيمن أصيب يومئذ أمنا جويرية ووقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له فكاتبته على نفسها. قالت عائشة وكانت تعني جويرية امرأة حلوة لها ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تستعينه فى كتابتها فوالله ما هو إلا ان رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، فوقعت فى سهم ثابت بن قيس أو ابن عم له فكاتبته فجئت أستعينك على كتابتي. قال فهل لك فى خير من ذلك؟ قالت وما هو يا رسول الله؟ قال اقضي عنك كتابتك وأتزوجك؟ قالت نعم يا رسول الله، قال قد فعلت. وخرج الخبر إلى الناس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد تزوج جويرية فقال الناس هؤلاء أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم انتهى. وروى الواقدي أنها قالت رأيت قبل قدوم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بثلاث كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجري فكرهت أن أخبرها أحدا من الناس حتى قدم رسول الله صلي الله تعالي

عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا اهـ ثم بعث صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بني المصطلق الوليد بن عقبة مصدقا فلما سمعوا به ركبوا إليه فهابهم وأتى رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم فأخبره أنهم هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى هم صلي الله تعالي عليه وسلم بغزوهم فقدم وفدهم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونودي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم أنا خرجنا لنقتله والله ما جئنا لذلك. فأنزل الله فيه وفيهم {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا} - الآية، ولم يسلم الوليد إلا فى الفتح سنة ثمان. وكونها نزلت فى أمر الوليد قال ابن عبد البر لا أعلم فيه خلافا بين أهل العلم بتاويل القرآن. وفي رجوعه عليه السلام من هذه الغزوة قال أهل الافك فى الصديقية الطاهرة ابنة الصديق ما انزل الله كتابه ببراءتها رضي الله تعالى عنها منه، ففي الصحيحين عنها: خرجت مع رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل فى هودجي وأنزل فيه حتى إذا فرغ صلي الله تعالي عليه وسلم من غزوته تلك ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلي رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملو هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركبه عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا، فلم يغشهن اللحم إنما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة فى منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء

الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت لاسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها وركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي بن سلول - الحديث - والجزع بالفتح ويكسر الخرز اليمني وظفار كقطام مدينة باليمن وقيل جبل سميت به المدينة وهي فى أقصى اليمن إلي جهة الهند فقال ابن عبد البر انكر قوم أن يكون حسان خاض فى الافك، فقال يمدح عائشة رضي الله تعالى عنها ويعتذر:

حصان رزان ما تـــزن بـــريـبـة	وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لـــؤي بن غالـــب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيـــب الله خـــيمــها	وطهـــرها من كـــل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم	فلا رفعت ســـوطي إلي أناملي
فكيف وودي ما حييت ونصرتي	بآل رســـــول الله زين المحافل
له رتبة عال على الـــــناس كلهم	تقاصر عنها رتـــبـــة المتـطاول
فإن الذي قد قيـــل لـيـــس بلائق	ولكنه قول امـــــرئ بي ناحـــل

وحصان كسحاب عفيفة ورزان كسحاب أيضا صاحبة وقار وعقل ثابت وما تزن أي ما تتهم وغرثى أي جائعة لا تغتاب أحدا وقوله عقيلة حي قال فى القاموس العقيلة كسفينة الكريمة المخدرة، ومن القوم سيدهم، والخيم بكسر الخاء المعجمة الطبيعة والنصرة بالضم حسن المعونة واللائق اللاصق والماحل النمام وقيل إن آية التيمم نزلت فى هذه الغزوة وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى إذا كنا فى البيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء

وليس معهم ماء فأتى الناس إلي أبي بكر فقالوا له ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال قد حبست رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم والناس وليسوا معهم ماء، فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر فقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده فى خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم حتى أصبح علي غير ماء فأنزل الله تعالى آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركاتكم علينا يا آل أبي بكر، قالت فبعثنا البعير فأصبنا العقد تحته، قال فى الفتح قولها فى بعض أسفاره قال ابن عبد البر فى التمهيد يقال كان ذلك فى غزوة بني المصطلق جزم بذلك فى الاستذكار وسبقه إلى ذلك الجزم بن حبان وابن سعد فإن كان ما جزموا به ثابتا حمل على أنه سقط منها فى هذه السفرة مرتين، وقيل ان قولها فى بعض أسفاره هو غزوة ذات الرقاع، وقيل غزوة الفتح، قال الزرقاني وحاصله يعني كلام الفتح، هل السفر المبهم فى قول عائشة فى بعض أسفاره المريسيع أم ذات الرقاع أو الفتح أقوال وهل سقط العقد مرتين فى غزوة واحدة وهي المريسيع أو مرتين فى غزوتين، وقولها بالبيداء الخ.. الشك من عائشة، قاله القسطلاني، والبيداء بفتح الموحدة وبالمد قال ابن التين هو ذو الحليفة وذات الجيش بفتح الجيم وسكون التحتية وشين معجمة وهي وراء ذي الحليفة انتهى.

وفي القاموس البيداء أرض ملساء بين الحرمين وفيه، وذات الجيش واد قرب المدينة وفيه انقطع عقد عائشة رضي الله عنها ثم بعد المريسيع على ما ذهب إليه ابن إسحاق غزوة الحديبية وترجم لها البخاري غزوة الحديبية، ولأبي ذرّ عن الكشميهيني عمرة الحديبية فترجم فى المواهب أمر الحديبية، قال الزرقاني فى شرحه ولم يقل غزوة أو عمرة لتكون

الترجمة محتملة، والحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان بها، وقيل شجرة، وقال الطبري قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم وباقيها فى الحل وهي على تسعة أميال من مكة، وقال الواقدي من المسجد، قاله فى المواهب. وسببها أنه عليه السلام رأى فى منامه أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، كما ذكره الواقدي، وأما ما رواه البيهقي أنه عليه السلام رأى وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين. فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزل: {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق} (الآية)، فهي رؤيا رآها بالحديبية تبشيرا من الله ثانيا ولا يصلح جعلها سببا فى خروجه من المدينة خرج عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة لا يريد قتالا واستنفر العرب ومن حوله من البوادي ليخرجوا معه لئلا يتعرض له قريش بحرب، وساق الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس وأخرج معه أم سلمة رضي الله عنها فى ألف وأربع مائة، كما فى الصحيحين عن البراء، ويقال ألف وخمسمائة كما فيهما أيضا عن جابر ويجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال أربعمائة ألغى الكسر ومن قال خمسمائة اعتبره، ويؤيد هذا ما فى البخاري عن البراء أيضا أنهم كانوا ألفا وأربعمائة أو أكثر وأما ما فى الصحيحين عن ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ناس والزيادة من الثقة مقبولة وأما قول ابن اسحاق انهم سبعمائة فلم يوافقه أحد عليه وجزم ابن عقبة بأنهم ألف وستمائة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، قاله فى المواهب ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف فى القرب، بضمتين جمع قراب، ومعهم مائتا فرس وبعث عليه السلام عينا له من خزاعة يقال له بسر بضم الموحدة وسكون المهملة بن سفيان وقيل بكسر الموحدة وإعجام الشين. وسار صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان بغدير

الأشطاط قريبا من عسفان والاشطاط بشين معجمة وطاءين مهملتين بينهما ألف جمع شط وهو جانب الوادي، أتاه عينه فقال إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والأحابيش بحاء مهملة وموحدة آخره معجمة جمع أحبوش بضم الهمزة والباء وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش على يد قصي بن كلاب، قيل عند الحبشي جبل بأسفل مكة، وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم نقله الزرقاني. وفي رواية أن بسرا قال له هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا، والعوذ بضم العين المهملة وسكون الواو فذال معجمة جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن، المطافيل بتفح الميم والطاء المهملة فألف ففاء مكسورة فتحتية ساكنة فلام التي معها أطفالها يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل، ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، أي أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ليكون ذلك أدعى لعدم الفرار. قال السهيلي سميت عوذا وإن كان الولد هو الذي يعوذ بها لأنها تعطف عليه بالشفقة والحنو قاله في المواهب وشرحها. وروى الخرائطي أن بسرا بن سفيان قدم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية فقال يا بسر هل عندك علم ان أهل مكة علموا بمسيري؟ فقال إني لأطوف بالبيت في ليلة كذا وقريش في أنديتها إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس بصوت أسمع أهل مكة:

هيوا لصاحبكم مثلي صحابته ... سيروا إليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعي في مهل ... وإن يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر ثكل ... لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة وتعاقدوا أن لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله

إن شاء الله. فبينما هم كذلك سمعوا من أعلى الجبل صوتا:

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما وخاب سعيهم ما أقصر الهمما
إني قتلت عدو الله سلفعة شيطان أوثانكم سحقا لمن ظلما
وقد أتاكم رسول الله في نفر وكلهم محرم لا يسفكون دما

قال الزرقاني فإن ثبت هذا فكأنه أخبره، فبعثه عينا هل اجتمعوا فذهب وعاد مخبرا له باجتماعهم اهـ. ولما أتاه عليه السلام خبرهم استشار أصحابه فقال أبو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، وقال امضوا على اسم الله. وفي البخاري حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان خالدا بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش وهي بفتحتين غبار الجيش الأسود كذا قيد به الحافظ والمؤلف يعني القسطلاني قاله الزرقاني، فانطلق خالد يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى إذا كان بثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء وهي الطريق التي تشرف على الحديبية وهي التي يهبط منها على قريش بركت به عليه السلام ناقته القصواء بفتح القاف وسكون المهملة وفتح الواو ممدود مهموز وقال الناس حلْ، حلْ، بفتح الحاء وسكون اللام فيهما وقال الخطابي إن قلت واحدة فبالسكون، وإن عددتها نونت الأولى وسكنت الثانية، وحكى غيره السكون فيهما، والتنوين كنظيره في بَخٍ بَخٍ، وهي كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. يقال حللت فلانا إذا أزعجته عن موضعه لكن الرواية بالسكون قاله القسطلاني فألحت بفتح الهمزة واللام وشد الحاء المهملة أي تمادت على عدم القيام فلم تبرح عن مكانها، فقالوا خلأت بخاء معجمة ولام وهمزة مفتوحات أي حرنت وبركت من غير علة، القصواء مرتين، قيل كان طرف أذنها مقطوعا والقصو قطع طرف الأذن، وقيل لأنها لا تسبق، فقيل لها ذلك لأنها بلغت أقصى السير فقال النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق أي بعادة ابن قتيبة، والخلاء لا يكون إلا للنوق ابن فارس لا يقال للجمل خلأ ولكن ألح ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة بضم المعجمة وشد الطاء أي خصلة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت وولى راجعا حتى نزل بأقصى الحديبية. وفي رواية ابن إسحاق: ثم قال للناس أنزلوا. قالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه انتهى.

فنزل على ثمد قليل الماء بفتح المثلثة والميم فيتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله مازال يجيش بالري حتى صدروا عنه. فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم مضمومة يعني استراحوا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أي صفحة العنق كنى بذلك عن القتل، ولينفذن الله أمره. فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا وقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فإن شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا؟ فقال سفهاءهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول. قال سمعته يقول: كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقام عروة بن

مسعود بن معتب بضم الميم وفتح المهملة وشد الفوقية المكسورة الثقفي فقال أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا بلى! قال أو لست بالولد؟ قالوا بلي! قال ابن اسحاق وذلك لأن أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف قال فهل تتهموني؟ قالوا لا! قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ بضم المهملة وخفة الكاف أي دعوتهم إلي نصركم؟ فلما بلحوا علي بموحدة وشد لام مفتوحتين فمهملة مضمومة أي امتنعوا من الإجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا بلي! قال فإن هذا يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد عرض عليكم خطة ودعوني ءاتيه، قالوا آئته، فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت أن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وان تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها اشوابا يعني أخلاطا من الناس خليقا ان يفروا عنك ويدعوك. فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه، زاد ابن اسحاق وابو بكر قاعد خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه وهذا مبالغة من أبي بكر فى سب عروة فأقام معبود عروة وهو صنمه مقام أمه، وعادة العرب الشتم بذلك بلفظ الأم، فأبدله الصديق باللات والبظر بفتح الموحدة وظاء معجمة ساكنة فراء قطعة تبقى فى الفرج بعد ختان المرأة وقيل هو فرج المرأة، وفي المصباح البظر لحمة بين شفري المرأة، واللات صنم كانت ثقيف وقريش يعبدونه وفيه النطق بمستبشع الألفاظ زجرا لمن بدى منه ما يستحق به ذلك فقال عروة من هذا؟ قالوا أبوبكر. فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وذلك انه تحمل بدية فأعانه أبو بكر فيها بعشر قلائص وغيره يعينه باثنتين وثلاث قاله الواقدي، وجعل عروة يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته الشريفة، والمغيرة بن شعبة بن مسعود قائم على رأس النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة أي أومأ بيده إلى لحيته صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. زاد عروة بن الزبير فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه، وكانت عادة العرب كما في الفتح وغيره أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة، يريدون التواصل، فقال عروة من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة؛ قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك، بفتح الغين المعجمة أي جنايتك، ولابن اسحاق: وهل غسلت سوأتك إلا بالامس؟ يريد أن المغيرة كان صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك لما خرجوا للمقوقس بهدايا فأعطاهم وقصر بالمغيرة لأنه ليس من بني مالك بل من الأحلاف فغار منهم ولم يواسوه فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر فناموا فقتلهم المغيرة وأخذ أموالهم ثم جاء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم فقال عليه السلام أما الإسلام بالنصب على المفعولية فأقبل وأما المال فلست منه في شيء أي لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لأنه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الأمن لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة، قاله الزرقاني؛ فبلغ ذلك ثقيفا فتهايج الحيان للقتال بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين وأصلح ذلك، فقام عروة وقد رأى ما يصنع به عليه السلام أصحابه لا يتنخم نخامة بضم النون إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه بفتح الواو أي ما يجتمع من القطرات وما يسيل من الماء الذي باشر أعضاءه الشريفة، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم وما يحدون بضم التحتية وكسر المهملة أي يديمون النظر إليه تعظيما له ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال يا معشر قريش إني قد جئت كسرى بكسر الكاف وفتحها في ملكه، لقب لكل من ملك الفرس، وقيصر في ملكه، لقب لكل من ملك الروم، والنجاشي بفتح النون وتكسر وخفة الجيم فألف فشين

معجمة فتحتية مشددة أو مخففة، لقب لمن ملك الحبشة، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد وأصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فرووا رأيكم. وفي البخاري وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة هو الحليس مصغر ابن علقمة وكان سيد الأحابيش يومئذ قال البرهان الظاهر، هلاكه على كفره، دعوني آتيه، فقالوا إئته، فلما أشرف على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه، قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له أي أثيروها له، أي دفعة، فبعثوها له، فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. وروى الحاكم أن الحليس لما رأى البدن صاح وقال هلكت قريش ورب الكعبة إن القوم إنما أتوا عمارا. ولابن إسحاق أن الحليس لما قال لهم ذلك، قالوا إنما أنت اعرابي لا علم لك. فغضب الحليس وقال والله ما على هذا حالفناكم أيصد عن البيت من جاء معظما له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين من جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له اكفف يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، فقام مكرز بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي ابن حفص ابن الأخيف بمعجمة فتحتية ففاء من بني عامر بن لؤي، قال في الإصابة لم أر من ذكره في الصحابة إلا ابن حبان بلفظ يقال له صحبة، فقال دعوني آتيه؛ فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر بالفاء والجيم، ولابن اسحاق غادر وذكر الواقدي أن حفص بن الأخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر ابن كنانة بدم لهم كان في قريش، فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا فعدى مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بنو بكر فقتله غرة فكأنه عليه السلام أشار إلي ذلك فجعل مكرز يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له صلى الله تعالى عليه

وسلم، نحوا مما قال لبديل وأصحابه اهـ ولنذكر شيئا من شرح هذا الحديث قوله ثمد يعني حفرة فيها ماء قليل قاله القسطلاني وغيره، ويتبرضه بتحتية ففوقية فموحدة فراء مشددة فضاد معجمة أي يأخذونه قليلا قليلا. وقال صاحب العين هو جمع الماء بكفين، وقوله فلم يلبثه الناس بضم أوله وسكون اللام من الألباث أو بضم أوله وكسر الموحدة المثقلة أي لم يتركوه يلبث أي يقيم والأعداد بفتح الهمزة جمع عد بالكسر والتشديد وهو الماء الذي لا انقطاع له والعوذ المطافيل مر تفسيره ونهكتهم بفتح النون والهاء وكسرها أي بلغت فيهم حتى أضعفت قوتهم، وأضعفت أموالهم، وقوله فإن شاؤوا ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة أترك الحرب فيها، والكنانة بكسر الكاف الجعبة التي فيها النبل ويجيش بفتح أوله وكسر الجيم آخره معجمة أي يفور والري قال الحافظ الراء ويجوز فتحها وقوله صدروا عنه أي رجعوا بعد ورودهم، زاد ابن سعد حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر. وفي البخاري عن البراء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة، فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا ويمكن الجمع بأن الأمرين وقعا معا. وبديل بالموحدة مصغر وورقاء بفتح الواو وسكون الراء، وكان بديل سيد قومه، وأسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك، وقيل أسلم قبل الفتح، والعيبة بفتح المهملة وسكون التحتية فموحدة ما يوضع فيه الثياب لحفظها أي أنهم موضع نصح بضم النون وحكي فتحها له صلى الله تعالى عليه وسلم وأشوابا بتقديم المعجمة على الواو للأكثر، ولأبي ذر عن الكشميهني أو شابا بتقديم الواو على المعجمة ويروى أو باشا بتقديم الواو على الموحدة، وخليقا بالخاء المعجمة وبالقاف أي حقيقا وزنا ومعنى، قاله الزرقاني. وفي الاكتفاء ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم خراشا بن أمية الخزاعي فحمله على بعير له وبعثه إلى قريش ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به الجمل، وأرادوا قتله، فمنعته

الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وبعثت قريش أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا فأخذوا أخذا وأوتي بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخلى سبيلهم، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال يا رسول الله أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحدا يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته، فخرج عثمان فلقيه أبان بن سعيد، بن العاصي فحمله بين يديه ثم أجاره انتهى.

وفي الزرقاني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إلى قريش كتابا مع خراش بن أمية على جمله عليه السلام فعقره عكرمة بن أبي جهل، قال وليس المراد به كتاب الصلح كما يوهمه سياق المواهب بل كتاب أرسله لأشراف قريش كما أخرجه البيهقي والحاكم يعلمهم أنه انما قدم معتمرا، قال الزرقاني بعد كلام وكتب كتابا بعثه مع عثمان بن عفان وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا، وأن الله سيظهر دينه فتوجه عثمان فوجد قريشا ببلدح بفتح الموحدة والدال المهملة بينهما لام ساكنة ثم حاء مهملة موضع خارج مكة قد اتفقوا على منعهم من مكة، فأجاره ابان بن سعيد وحمله على فرسه وركب هو وراءه، وقال له اقبل وادبر ولا تخف أحدا، بنو سعيد أعزة الحرم، فانطلق حتى أتي أبا سفيان وعظماء قريش وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا، فما أجابوا، فصمموا أنه لا يدخلها هذا العام، فقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف فطف، فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد قال المسلمون هنيئا لعثمان، خلص إلى البيت فطاف به

دوننا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن ظني به أن لا يطوف حتى نطوف معا، فبشر عثمان المستضعفين انتهى المراد منه.
وفي المواهب عن البخاري انه عليه السلام بينما هو يكلم مكرز بن حفص إذ جاء سهيل بن عمرو وإنه لما جاء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد سهل لكم بفتح السين وضم الهاء كما اقتصر عليه القسطلاني، زاد الدماميني وبضم السين وكسر الهاء مشددة من أمركم ومن زائدة أو تبعيضية، وهذا من التفاؤل وكان يعجبه الفال الحسن، ولما رأى صلى الله تعالى عليه وسلم سهيلا مقبلا قال عليه السلام قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا. فلما انتهى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم برك على ركبتيه وتربع المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين في الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى القول بينهما وأطال سهيل الكلام، وكان خطيب قريش، فقال له عباد أخفض صوتك عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع الصلح بينهما على وضع الحرب بينهم عشر سنين، هذا هو المعتمد. ولابن عقبة أنه سنتان، وجمع بينهما الحافظ بأن العشر هي المدة التي وقع الصلح عليها والسنتين هي التي انتهى أمر الصلح فيهما حين نقضته قريش، فقال سهيل هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الكاتب، وهو علي بن أبي طالب، وفي رواية أنه محمد بن مسلمة وجمع بينهما بأن أصل عقد الصلح بخط علي كما في البخاري ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب باسمك اللهم، فكتب ثم قال اكتب هذا ما قاضى وفي رواية ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما

صددناك عن البيت وما قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله، ووقع الصلح على أن من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه إليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة أي صدورا منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة وإنه لا إسلال بكسر الهمزة وهو السرقة والخلسة ولا إغلال أي لا خيانة مصدر أغل أي خان، أما ما في الغنية فغل بغير ألف وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش دخل فيه، فقالت خزاعة نحن في عقد محمد، وقالت بنو بكر نحن في عقد قريش وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فتدخلها بأصحابك، فأقمت فيها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها.
والحكمة في موافقته عليه السلام لسهيل على أن من أتي من قريش يرد إليهم وإن كان مسلما كما قال العلماء هي ما ظهر فيه من المصلحة الباهرة والفوائد المتكاثرة التي علمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخفيت على غيره التي كان عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس في دين الله أفواجا وذلك انه قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا يخلون بمن يعلمهم بأموره عليه السلام مفصلة، فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاء وهم بالمدينة وذهب المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم من الكفار وسمعوا منهم معجزاته عليه السلام الباهرة وأعلام نبوئته المتظاهرة فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى أسلم منهم خلق فيما بين الصلح والفتح، منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنهما وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام فأسلموا كلهم يوم الفتح وغير قريش من العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلم قريش أسلم العرب ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما كان فتح أعظم من صلح الحديبية لكن

قصر رأيهم عن ما كان بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ربه، والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد، قال الزهري فقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل من كان دخل فيه قبل ذلك أو أكثر نقله الزرقاني، قال ابن إسحاق فإن الصحيفة لتكتب إذ دخل أبو جندل وزن جعفر بن سهيل بن عمرو وكان اسمه العاصي فتركه لما أسلم وكان منع الهجرة وعذب بسبب الإسلام وأخوه عبد الله بن سهيل حضر بدرا مع المشركين ففر منهم إلى المسلمين ثم كان مع المسلمين في الحديبية وكان أبو جندل أوثقه سهيل فخرج وتنكب الطريق وركب الجبال يرسف بكسر السين ويقال بكسرها كما في المقدمة في قيوده والرواية بالضم حتى رمى بنفسه بين المسلمين ففرحوا به فقام سهيل إلى أبي جندل فضرب وجهه وجعل يتلببه أي يجمع عليه ثوبه الذي هو لابسه ويقبض عليه نحره ثم قال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال صدقت، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنوني عن ديني فزاد الناس ذلك إلى ما بها، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يا أبا جندل أصبر واحتسب فإنا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي، وتلطفت بأبيك فأبى، وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فوثب عمر يمشي إلى جنبه فيقول اصبر فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم كدم الكلب ويدني قائم السيف منه، يقول عمرو رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية ولما تم كتاب الصلح وهم ينتظرون امضاءه رمي رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر فكانت معاركة بالنبل والحجارة، فارتهن كل فريق من عندهم، وأمسك عليه السلام سهيل بن عمرو كما في مغازي أبي الأسود وابن عائذ وابن عقبة وامسك المشركون عثمان فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن عثمان قد قتل وقال لا نبرح حتى نناهز القوم، فدعا الناس إلى بيعة الرضوان

تحت الشجرة وهي سمرة أو أم غيلان، كان عليه السلام نازلا تحتها يستظل بها، فبايعوه على الموت كما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع وهو أول من بايع على ما في صحيح مسلم. وروى مسلم عن معقل بن يسار أنهم بايعوه على ان لا يفروا وجمع الترمذي بأن بعضا بايع على الموت، وبعضا على أن لا يفر. وقال الحافظ لا منافاة فالمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا. وروى الطبراني أن أول من بايع أبو سنان الأسدي واسمه وهب أو عامر أو عبد الله بن محصن أخو عكاشة وكذا رواه ابن مندة والبيهقي وصحح أبو عمر قائلا انه الأكثر والأشهر وقيل ابنه سنان ابن أبي سنان ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه أي شماله عن عثمان وهذا قد يشعر بأنه لم يقتل فيكون معجزة ويؤيده ما جاء أنه لما بايع الناس قال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خير من أيديهم لأنفسهم، قاله الزرقاني. ولما سمع المشركون بهذه البيعة ألقى الله في قلوبهم الرعب فأذعنوا إلى الصلح ولما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره بالحديبية أي نحر أكثره بها، فلا ينافي ما رواه ابن سعد أنه بعث عشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وكانت البدن سبعين وفيها جمل لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ به المشركين وكان غنمه يوم بدر ثم حلق وروي أن الذي حلقه يومئذ خراش بمعجمتين بن أمية الخزاعي فلما رآه الناس تواثبوا ينحرون ويحلقون وفيهم من قصر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يرحم الله المحلقين، قالوا يا رسول الله والمقصرين؟ قال يرحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال يرحم الله المحلقين. قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال والمقصرين. قالوا يا رسول الله لما ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال لم يشكوا. ولما حلق هو وأصحابه بالحديبية بعث الله ريحا عاصفة فحملت شعورهم فألقتها إلى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم، وفي مسلم عن جابر مرفوعا لا يدخل

النار من شهد بدرا والحديبية. وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما، وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوسهم بعض شيئ من عدم الفتح، الذي كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بضجنان كما عند ابن سعد يسليهم بها، وهو بفتح الضاد المعجمة، وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل علي بريد من مكة ولما قدم عليه السلام المدينة، أتاه أبو بصير بفتح الموحدة وكسر الصاد المهملة عتبة بضم العين وسكون الفوقية وقيل عبيد بموحدة مصغرا بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة بن جارية بجيم وتحتية ابن عبد الله الثقفي حليف لبني زهرة؛ فقوله في الصحيح رجل من قريش أي بالحلف وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريف إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعثا به مع مولى لهما ورجل من بني عامر بن لؤي سماه ابن سعد خنيس بضم الخاء المعجمة مصغر آخره مهملة ابن جابر والمولى يقال له كوثر، فقدما بعد أبي بصير بثلاثة أيام بالكتاب، قال عليه السلام يا أبا بصير إنا أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وأن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما إلى قومك، فقال أتردوني إلى المشركين يفتنوني عن ديني ويعذبونني، قال يا أبا بصير انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، وفي رواية فقال له عمر أنت رجل وهو رجل ومعك السيف اهـ.

فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين ولابن سعد لخنيس بن جابر انتهى والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد، وفي رواية لأضربن به في الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به أبو بصير حتى برد وفر الآخر حتى دخل المدينة فدخل المسجد يعدو فقال صلى الله تعالى عليه وسلم

لقد رأي هذا ذعرا، فلما انتهى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول أي إن لم ترده عني. ولابن عائذ وتبعه أبو بصير حتى دفع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عاض على أسفل ثوبه وقد بدا طرف ذكره والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير يتبعه فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد ينصره، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، ولابن عقبة وجاء أبو بصير بسلبه فقال خمسه يا رسول الله قال إني إذا خمسته لم أوف بالعهد الذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت. فخرج معه خمسة قدموا معه من مكة مسلمين فخرج حتى أتى سيف البحر بكسر المهملة أي ساحله فنزل العيص بكسر المهملة وسكون التحتية فصاد مهملة وكانت طريق مكة إذا قصدوا الشام وتفلت منهم أبو جندل في سبعين راكبا مسلمين فلحقوا بأبي بصير قريبا من ذي المروة على طريق قريش فقطعوا مادتهم من طريق الشام وأبو بصير يصلي بأصحابه فلما قدم أبو جندل كان يؤمهم أي لأنه من قريش، ولابن عقبة واجتمع لأبي جندل ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاث مائة مقاتل وهم مسلمون اهـ. فلا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي جندل ومن معه قالوا ومن خرج منا إليك فهو لك حلال، قال فأرسل إليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ولابن عقبة فكتب صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في يده يقرؤه كما في الكلاعي فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل ومن معه المدينة فلم يزل بها حتى

خرج إلى الشام مجاهدا فاستشهد في خلافة عمر.
وقال أبو جندل فيما صنع في قريش:

ابلغ قــــريشــــا عن أبي جندل	أنا بذي المروة بالســـاحـــــل
في مـــعـــشــر تـخـفق أيمانهـم	بالبـيض فـيـهـا والقنا الذابل
يأبون أن تبـــقى لهم رفـــقـــة	من بعـد اسـلامـهم الـــواصل
ويجـعل الله لهم مـــخـــرجـــا	والحــق لا يغلـب بالبــاطــل
فـــيـــسلم المـــرء بإســـلامـــه	أو يقـــتـــــــل المرء ولم يأتل

قوله مسعر حرب كمنبر هو موقد نار الحرب، وفي رواية محش حرب، وفي القاموس وهومحش حرب بالكسر موقد لها.

فائدة:

اختلف العلماء هل يجوز الصلح مع الكفار على أن يرد إليهم من جاء مسلما من عندهم؟ فقيل نعم على ما دلت عليه قصة أبي جندل وأبي بصير وقيل لا وإن ما وقع في القصة منسوخ بحديث أبي داود والترمذي مرفوعا أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تتراءى ناراهما. انتهى من المواهب وشرحها.
وفي هذه السنة سنة ست كسفت الشمس بالحديبية وظاهر في تلك السنة أوس بن الصامت الخزرجي البدري أخو عبادة من زوجته خولة ويقال لها خويلة بالتصغير بنت ثعلبة بن أصرم الخزرجية أيضا وفيها أيضا استسقى في رمضان قبل الحديبية فمطر الناس وجزم مغلطاي أن تحريم الخمر كان في تلك السنة والذي لابن إسحاق أنها حرمت في وقعة بني النضير سنة أربع، والله أعلم. ثم بعد الحديبية غزوة خيبر سميت باسم رجل من العماليق نزلها وهو خيبر أخو يثرب ابنا قانية ابن مهلاليل ذكره البكري واقتصر عليه الروض والفتح وغيرهما وقيل الخيبر بلسان اليهود الحصن ولذا سميت خيابر أيضا ذكره الحازمي قاله العلامة الزرقاني وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام. قال ابن إسحاق أقام رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر وقيل كانت فى آخر سنة ست وروي عن مالك وبه جزم إبن حزم والراجح ما لابن إسحاق ويمكن الجمع بأن من قال سنة ست أراد ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول قاله فى المواهب وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية: بقوله تعالى: {وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم} فالمعجل صلح الحديبية والمغانم فتح خيبر، فخرج إليها صلي الله تعالى عليه وسلم مستنجزا ميعاد ربه ومعه ألف وأربعمائة رجل ومائتا فرس ومعه أمنا أم سلمة التي كانت معه فى الحديبية.

وفي البخاري عن سلمة وهو ابن عمرو بفتح العين وسكون الميمم بن الأكوع الأسلمي أبو مسلم وأبو إياس واسمه سنان ونسب لجده لشهرته أول من بايع تحت الشجرة على ما فى مسلم ومات سنة أربع وسبعين وكان مقداما فى الحرب وكان يقاتل قتال الفارس والراجل، قال خرجنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع عم سلمة ألا تسمعنا من هنيهاتك بهاءين أولاهما مضمومة فنون مفتوحة فتحتية ساكنة وللكشميهني هنياتك بحذف الهاء الثانية وشد التحتية وكان عامر شاعرا؛ وللكشميهني حداء فنزل يحدو ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ماتقينا	وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا	إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا	ونحن عن فضلك ما استغنينا

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا السائق؟ فقالوا عامر بن الأكوع، قال يرحمه الله. ولأحمد غفر لك ربك. قال وما استغفر صلى الله

تعالى عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد، قال رجل من القوم وهو عمر كما في مسلم وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا بعامر، الحديث، ويأتي فيه أنه بارز مرحبا فرجع ذباب سيفه على ركبته فمات منه. قال بعض الصحابة إن عامرا أحبط عمله فأخبر سلمة بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كذب من قاله وإن له لأجرين وقوله اللهم فيه الخزم كما تقدم، وقوله فداء لك قال المازري هذه اللفظة مشكلة فإنه لا يقال للبارئ سبحانه فديتك لأن ذلك إنما يقال في مكروه يتوقع حلوله بالمفدى فيختار شخص أن يحل ذلك به ويفديه ولا يتصور ذلك إلا في حق من يجوز عليه حلول المكروه، ولعل هذا وقع من غير قصد إلى حقيقة معناه، بل المراد المحبة والتعظيم فخاطب بها من لا يجوز في حقه الفداء إظهارا للمحبة والتعظيم كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك الدعاء عليه بل التعجب، وكقوله عليه السلام تربت يمينك؛ يخاطب عائشة فلم يقصد أصل معناها الذي هو افتقرت حتى لصقت يدك بالتراب بل الانكار والزجر، وقوله ماتقينا بشد الفوقية بعدها قاف للأكثر أي ما تركنا من الأوامر. وللأصيلي والنسفي ما أبقينا بهمزة قطع فموحدة ساكنة أي ما خلفنا من الذنوب، وللقابسي ما لقينا باللام وكسر القاف أي من المناهي، وفي رواية للشيخين ماقتفينا أي اتبعنا من الخطايا وقوله عولوا علينا أي اقصدونا بالدعاء العالي أو اعتمدوا وقوله فجعل عامر يحدو وهذه عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير ومر أن الرجز لابن رواحة فيحتمل أنه هو وعامر تواردا عليه وقوله وجبت أي الشهادة اهـ من المواهب وشرحها.

وعن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى خيبر ليلا أي قرب منها فناموا دونها ثم ركبوا إليها فصبحوها كما في طريق أخرى عن أنس صبحنا خيبر فلا تنافي بينهما ونزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان ليلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم فذكر أن غطفان خرجوا وقصدوا خيبر ليعينوهم فسمعوا خلفهم حسا في أموالهم وأهليهم فظنوا أن

المسلمين خلفوهم في ذراريهم فرجعوا وخذلوا أهل خيبر. وفي البخاري في الأذان وكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا غزى قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذانا كف عنه وإلا أغار، وروى ابن اسحاق انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الأراضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شر أهلها وشر ما فيها أقدموا باسم الله، وكان يقولها لكل قرية دخلها. وحكى الواقدي أن أهل خيبر لما سمعوا بقصده عليه السلام لهم كانوا يخرجون في كل يوم عشرة آلاف مقاتل مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات فلا يرون أحدا حتى إذا كان الليلة التي قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحي، وفي رواية أحمد إلى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم والمساحي بمهملتين جمع مسحاة من آلة الحرث وهو من السحو بمعنى الكشف والإزالة، والمكاتل جمع مكتل بكسر الميم وفتح الفوقية وهي القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره. ولما رأت اليهود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا محمد والله محمد، والخميس ومحمد، خبر هذا محذوفا، أي وفاعل جاء مقدرا والخميس ضبطه عياض بالرفع عطف وبالنصب مفعول معه وأدبروا هرابا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وخربت بكسر الراء صارت خرابا والمساحة الفناء وأصلها الفضاء بين المنازل والخميس الجيش سمي به لأنه خمسة أقسام المقدمة والساقة وهي مؤخره والقلب والميمنة والميسرة ويقال لهما الجناحان وقوله خربت خيبر إلخ.. يحتمل أنه قال ذلك بطريق الوحي، ويحتمل أنه تفاؤل أنها ستخرب لما رأى المساحي لأنها من السحو أي الإزالة، ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وإن وقعت

فى وقت آخر كما فى البيضاوي والصباح مستعار من صباح الجيش المثبت لوقت نزول العذاب، وفي رواية للبخاري أنه قال ذلك ثلاثا وفيه استحباب التكبير عند الحرب وتثليثه قال الزرقاني فى شرح المواهب وهذا الحديث أصل فى جواز التمثيل والاستشهاد بالقرآن والاقتباس نص عليه بن عبد البر وابن رشيق كلاهما فى شرح الموطأ وهما مالكيان والنووي فى شرح مسلم كلهم فى شرح هذا الحديث، وكذا صرح بجوازه القاضي عياض والباقلاني من المالكية وحكى الشيخ داود اتفاق المالكية والشافعية على جوازه غير أنهم كرهوه فى الشعر خاصة، وروى الخطيب البغدادي وغيره بالاسناد عن مالك أنه كان يستعمله، قال السيوطي هذه أكبر حجة على من زعم أن مذهب مالك تحريمه وأما مذهبنا فأجمع أيمته على جوازه والأحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد لهم فمن نسب إلى مذهبنا تحريمه فقد أفشى وأبان أنه أجهل الجاهلين انتهى. وهذا منه قاض بغلطه فيما أورده فى عقود الجمان انتهى كلام الزرقاني بلفظه.

قال مغلطاي وغيره وفرق صلى الله تعالى عليه وسلم الرايات فدفع رايته العقاب إلى الحباب بن المنذر وراية لسعد بن عبادة ولواؤه وهو أبيض إلى علي وقد صرح جماعة من اللغويين بترادف الراية واللواء وهو العلم الذي يحمل فى الحرب لكن روى أحمد عن ابن عباس والطبراني عن ابي هريرة قالوا كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض وهو ظاهر فى التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية، قال الحافظ وفي المصباح ولواء الجيش علمه وهو دون الراية وكانت رايته عليه السلام العقاب من برد لعائشة وهي سوداء، وفي البخاري كان عليا رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى خيبر وكان رمدا بكسر الميم وللطبراني أرمد شديد الرمد فقال أنا أتخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت فى صبيحتها قال لأعطين الراية غدا أو ليأخذن

الراية غدا رجل يحب الله ورسوله زاد ابن إسحق ليس يقرأ وفي حديث بريدة لا يرجع حتى يفتح الله له وفي رواية سهل بن سعد لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله تعالى علي يده بغير شك. قال سهل فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ويدوكون بضم الدال المهملة أي باتوا فى اختلاط واختلاف والدوكة بالكاف الإختلاط، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وفي مسلم أن عمر قال ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال أين علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه، قال فأرسلوا إليه فأتوا به، ولمسلم عن سلمة فأرسلني إلى علي فجئت به أقوده فبصق صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ بوزن ضرب ويجوز كسر الراء حتى كأن لم يكن به وجع، زاد بريدة فما وجعهما حتى مضى لسبيله أي مات. وروى الطبراني انه قال اللهم اذهب عنه الحر والقر أي البرد، قال علي فما اشتكيتهما حتى يومي هذا قال علي يا رسول أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال انفذ على رسلك حتى ننزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم، وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد أن يكون لك فتتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها وكانت مما يتفاخر العرب بها.

قال الحافظ وقع فى رواية البخاري اختصار وهو عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم عن بريدة قال لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له فلما كان من الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لأدفعن اللواء غدا (الحديث). وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاك السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهبوا

قال وبرز له عامر بن الأكوع، فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاك السلاح بطل مغامر
قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه إلى آخر ما مر فبرز له علي رضي الله عنه، فقال:
أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابة كريه المنظره
أكيلكم بالسيف كيل السندره
وفي رواية:
أوفيكم بالصاع كيل السندره
فضرب رأس مرحب فقتله. قال الإمام بن أبي جمرة وشاكي السلاح هو الذي ظهرت حدته وشوكته والمغامر بالغين المعجمة هو المباطش يقال غامره إذا باطشه وقاتله، ولم يبالي بالموت، قال النووي قوله مغامرا أي يركب غمرات الموت وشدائده ويلقي نفسه فيها ويخطر بسيفه، هو بكسر الطاء أي يرفعه مرة ويضعه أخرى، وقوله يسفل له بكسر الفاء من التسفيل وهو التصويب، وقال النووي بضم الفاء أي يضربه من أسفله وحيدرة اسم الاسد، وكانت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها سمته أسدا باسم أبيها، فلما قدم أبو طالب سماه عليا، والسندرة مكيال ضخم اهـ كلام ابن أبي جمرة وهو الذي ذكر الروايتين المتقدمتين في البيت والسندرة بفتح السين، قال ابن أبي جمرة وروى البيهقي أن مرحبا خرج وعليه مغفر يماني وحجر مثل البيضة على رأسه، قال فاختلفا ضربتين فبادره علي بضربة نفذ الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الأضراس، وما في هذا الحديث من أن عليا هو الذي قتل مرحبا هو الصحيح عند ابن عبد البر وكذا قال ابن الأثير أنه الصحيح، الذي عليه أكثر أهل الحديث وأهل السير، وروى موسى بن عقبة وابن إسحاق أن الذي قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة الأنصاري وأنه لما خرج يرتجز أجابه كعب بن مالك:
قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغم جريء صلب

حـــيـث تـشب الحـــرب ثـم الحـــرب		مــعي حـسـام كــالـعــقــيق عـضب
نـطـؤكـم حـــــتـى يـذل الـصـــــعب		نـعطـي الجــــزا ويبــــاهـى الـنهـب
بكـف مـــاض لـيس فــيـــه عــــتـب

فقال صلي الله تعالى عليه وسلم من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله أنا والله الموتور الثائر قتل أخي بالأمس، قال فقم إليه، اللهم أعنه عليه. فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة العشر فجعل كل واحد منهما يلوذ بها وكلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما دونه حتى برز كل منهما وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالمدرقة فوقع سيفه بها فعضت به فأمسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله وذكر ابن إسحاق ان ياسر أخا مرحب خرج بعده يقول هل من مبارز فخرج إليه الزبير فقتله فكان الزبير يقول إذا قيل له والله ما كان سيفك صارما يومئذ يقول والله ما كان بصارم ولكن أكرهته، وقيل ان ابن مسلمة لما بارز مرحبا قطع رجليه، قال له مرحب اجهز علي، فقال لا، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة، فأجهز عليه علي والأول هو الصحيح وكان سيف مرحب مكتوب عليه هذا سيف مرحب من يذقه يعطب، وقوله قتل أخي بالأمس قيل ان مرحبا هو الذي قتل محمود بن مسلمة ألقى عليه رحا من فوق حصن ناعم.
وفي حديث أبي رافع زوج سلمى قابلة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقابلة بني فاطمة كلهم، قال ضرب يهودي عليا فطرح ترسه من يديه فتناول باب حصن وترس به فلما فتح الحصن وفرغ من القتال ألقاه، قال ابو رافع فقام إليه سبعة أنا ثامنهم فجهدنا أن نقلبه فما قلبناه. وصدر القسطلاني في المواهب بأنه لم تحركه سبعون رجلا إلا بعد جهد، وروى البخاري عن أبي هريرة قال شهدنا خيبر، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي

الإسلام هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت فيه الجراح فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين فقال يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدق حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

قوله شهدنا خيبر مجاز عن جنسه من المسلمين فالثابت أنه إنما جاء بعد فتحها وشهد قسم غنائمها بها اتفاقا والرجل المذكور قال الحافظ وقع لجماعة ممن تكلم على البخاري أنه قزمان بضم القاف وسكون الزاي المعجمة الظفري بفتح المعجمة والفاء نسبة إلي بني ظفر بطن من الأنصار المكنى أبى الغيداق بمعجمة مفتوحة فتحتية ساكنة آخره قاف ويعكر عليه ما جزم به ابن الجوزي تبعا للواقدي أن قزمان قتل بأحد وكان تخلف عن المسلمين فعيره النساء فخرج حتى صار فى الصف الأول ثم فعل العجائب فلما انكسر المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول الموت أحسن من الفرار فمر به قتادة بن النعمان فقال هنيئا لك الشهادة فقال والله إني ما قاتلت على دين وإنما قاتلت على حسب قومي ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه. لكن الواقدي لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف، وعن سلمة بن الأكوع ان عليا لما أخذ الراية خرج يهرول هرولة قال وأنا نتبع أثره حتى ركز رأيته فى رضم من حجارة تحت الحصن فأطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت؟ قال أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي علوتم وما أنزل الله على موسى أو كما قال، فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وقاتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وعدهم الشامي أربعا وثلاثين فالله أعلم.

وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون بفوقية قبل السين وفتحها على حصنا

حصنا وهي النطاة بنون فطاء مهملة بوزن حصاة وحصن الصعب بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين وبالموحدة ابن معاذ، وعن معتب بشد الفوقية المكسورة الأسلمي أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم نجد عنده شيئا فقال اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها غنا وأكثرها طعاما وودكا ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه اهـ.

ومنها حصن ناعم بنون فألف فمهملة فميم وهو أول حصونها افتتح وعنده قتل محمود بن مسلمة ثم بعد ذلك بقليل دفع عليه السلام كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق قاتل محمود إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه وقيل ان مرحبا هو الذي قتل محمود بن مسلمة كما مرّ ومنها حصن قلعة الزبير بن العوام لكونه صار في سهمه، وكان اسمه حصن فنة لكونه على رأس جبل ومنها الشق بفتح المعجمة وكسرها والفتح أعرف وبالقاف المشددة ويشتمل على حصون منها حصن أبي وهو أول ما بدئ به من حصون الشق فتقاتلوا قتالا شديدا ثم تحامل المسلمون فدخلوه يقدمهم أبو دجانة وهرب من فيه من المقاتلة إلى حصن النزار بالشق فغلقوه وامتنعوا به أشد الامتناع وزحف صلى الله تعالى عليه وسلم في أصحابه إليهم فقاتلهم فكانوا أشد أهل الشق رميا بالنبل والحجارة، فأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصا فحصب به حصنهم فزحف بهم ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون فأخذوا أهله باليد، ومنها حصن البراء بفتح الموحدة وكسر الراء المخففة وبالمد ومنها القموص بفتح القاف وضم الميم وسكون الواو فصاد مهملة وقيل بغين فضاد معجمتين هو الذي فتحه علي وهو أعظم حصون الكتيبة بكاف مفتوحة ففوقية وقيل مثلثة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة ويقال بضم الكاف ومنه سبيت صفية، ومنها الوطيح بفتح الواو وكسر

الطاء فتحتية ساكنة فمهملة كما ضبطه ابن الأثير وغيره. قال البكري سمي بالوطيح ابن مازن رجل من ثمود ومنها السلالم بضم السين المهملة وقيل بفتحها وكسر اللام قبل الميم ويقال لها السلاليم على ما مرّ من ضم السين وفتحها وهو حصن بني أبي الحقيق وكان آخر حصونها افتتاحا وأخذ كنز آل أبي الحقيق بالتصغير وكان أولا فى مسك حمار بفتح الميم وسكون السين أي جلده فلما كثر جعلوه فى مسك ثور ثم فى مسك جمل قيل وخص جلد الحمار لأن الأرض لا تأكله، وكانوا قد غيبوه فى خريبة فدل الله رسوله عليه فأخبره بموضعه كما عند البيهقي عن عروة وله عن ابن عمر أن أهل خيبر شرطوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يكتموه شيئا فإن فعلوا فلا ذمة لهم، فأتى بكنانة والربيع ابني أبي الحقيق فقال ما فعل مسك حيي الذي جاء به من بني النضير؟ قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك. وروي أنهما لما كتماه دعى رجلا من الأنصار فأخبره بموضعه وقال إئتيني به، فأتاه به فضرب عنقهما وسبا أهليهما بالنكث الذي نكثاه، ولما قتل كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق زوج صفية بنت حيي تزوجها عليه السلام بعد أن استبرأها وجعل عتقها مهرها وقد كانت صارت لدحية الكلبي لما جاءه فقال اعطني يا رسول الله جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية. فجاء رجل فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك؟ قال ادعوه فجاء بها فلما نظر إليها صلى الله تعالى عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها كذا فى رواية البخاري.

وفي رواية لمسلم أن صفية وقعت فى سهم دحية وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها من دحية بسبعة أرؤس والأولى فى طريق الجمع ان المراد بسهمه نصيبه الذي اختاره لنفسه لما أذن له فى أخذ جارية. واطلاق الشراء على ذلك مجاز لأنه لم يملكها إذ اذنه فى أخذ مطلق جارية لم يرد به مثل هذه، وليس فى قوله سبعة أرؤس ما ينافي رواية

البخاري: خذ جارية من السبي غيرها، إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة.
وذكر الشافعي انه اعطاه أخت زوجها، وإنما أخذها صلى الله تعالى عليه وسلم لأنها بنت ملكهم، وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان فى الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان فى السبي مثل صفية فى نفاستها نسبا وجمالا، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة اختصاصه عليه السلام بها فإن فى ذلك رضا الجميع وهي بنت حيي بن اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين فتحتية ابن عامر بن عبد بن كعب بن سبطلاوي بن يعقوب ثم من ذرية هارون أخي موسى عليهما السلام، وأمها ضرة بفتح الضاد المعجمة بنت سموال من بني قريظة، وكانت تحت سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة النضيري وقتل عنها يوم خيبر وكانت عروسا، والعروس وصف يستوي فيه الذكر والأنثى ما داما فى تعريسهما أياما، فاصطفاها عليه السلام لنفسه، فخرج حتى بلغ سد الصهباء بفتح السين المهملة وضمها موضع على بريد من خيبر فحلت له أي طهرت من الحيض فبنى بها عليه الصلاة والسلام فصنع حيسا بحاء مهملة مفتوحة فتحتية ساكنة فسين مهملة أي تمرا مخلوطا بسمن وأقط قال الشاعر:

السمن والتمر جميعا والأقط   الحيس إلا أنه لم يختلط

فجعل فى نطع وكان وليمة. والنطع بكسر النون وفتح الطاء المهملة وعليها اقتصر ثعلب وكذا فى الفرع، ويجوز فتح النون وسكون الطاء وفتحهما وكسر النون وسكون الطاء انتهى من المواهب وشرحها.
وفي القاموس الحيس الخلط، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه وربما جعل فيه سويق انتهى.
وفيه النطع بالفتح والكسر وبالتحريك وكعنب بساط من الأديم ولما بنى بها قال المسلمون هل هي إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، فلما حجبها علموا أنها من

أمهات المؤمنين. قال الحافظ ولد صفية مائة نبي ومائة ملك، ثم صيرها الله لنبيه.
قال الزرقاني يعني أن في أصولها ذلك. والظاهر أنه من جهة الآباء والأمهات كما قيل في قول ابن الكلبي: كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا.

فائدة:
كانت صفية من الصفي بفتح المهملة وكسر الفاء وشد الياء وهو سهم يختاره عليه السلام من الخمس، وقيل كان اسمها قبل السبي زينب، فلما صارت من الصفي سميت صفية. وفي هذه الغزوة حرم لحوم الحمر الأهلية، وقال كعب بن مالك يوم خيبر:

ونحن وردنا خيبرا وفروضه	بكل فتى عاري الأشاجع مزودي
جواد لدى الغيات لا واهن القوى	جريئ على الأعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة	ضروب بنصل المشرفي المهند
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة	من الله يرجوها وفوزا لأحمد
يذود ويحمي عن ذمار محمد	ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره في كل امر يريبه	يجود بنفس دون نفس محمد

والفروض ثلم في النهر يستقى منها والله أعلم. والمذود كمنبر الحامي للحقيقة. وفي هذه الغزوة سمت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم الشاة وأهدتها له صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي أبي داود أنها أخت مرحب وبه جزم السهيلي وللبيهقي أنها بنت أخي مرحب ، وروي أنها جعلت تسأل أي الشاة أحب إليه عليه السلام فيقولون أحبها الذراع، فعمدت إلي عنز لها فذبحتها وصلتها أي شوتها، ثم عمدت إلى سم بتثليث السين لا يطنئ بضم التحتية وسكون الطاء المهملة ونون بعدها همزة أي لا يلبث أن يقتل من ساعته وهو المعروف بسم ساعة، وقد شاورت يهود في اختيار سم من جملة سموم عينتها بأن سألت أيها أسرع قتلا، فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة وأكثرت

في الذراعين والكتف، فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء بن معرور بمهملات الخزرجي الصحابي بن الصحابي، شهد بدرا وما بعدها حتى مات وتناول صلى الله تعالى عليه وسلم الذراع فانتهس بسين مهملة أي أخذ بمقدم أسنانه منها وتناول بشر عظما آخر، فلما ازدرد صلى الله تعالى عليه وسلم لقمته أي ابتلع ما انفصل بريقه منها فلا ينافي رواية ابن إسحاق أنه لم يسغها فلفظها، ازدرد بشر بن البراء ما في فيه وأكل القوم في الامتاع أنهم ثلاثة وضعوا أيديهم في الطعام ولم يصيبوا منه شيئا، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم بالحجامة وكأن معناه إن صح أنهم لم يبتلعوا لكنهم وضعوه في أفواههم، فأثر قليلا فأمرهم بالحجامة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة.

وفيه ان بشر بن البراء مات من أكلته، قيل من ساعته وقيل بعد حول وبه جزم السهيلي. وروى الدمياطي أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها ورواه ابن سعد عن الواقدي بأسانيد متعددة، قال الواقدي وهو أثبت، وقال الزهري أسلمت فتركها.

وروى سليمان بن طرخان في مغازيه انها قالت لما قال لها ما حملك على ذلك؟ قالت: إن كنت نبيا لم يضرك وإن كنت كاذبا أرحت الناس منك وقد استبان لي الآن أنك صادق، وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. قال فانصرف عنها حين أسلمت. وجزم في الإصابة بأنها صحابية والله تعالى أعلم. انتهى من المواهب وشرحها.

ولما فتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمي فقال يا رسول الله إن لي مالا بمكة عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة ومالا متفرقا في تجار مكة فأذن لي، فأذن له. قال إنه لابد لي أن أقول؛ قال قل؛ قال الحجاج فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا يستمعون الأخبار فلما رأوني ولم يكونوا

علموا بإسلامي قالوا الحجاج بن علاط عنده والله خبر أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع صار إلى خيبر وهي ريف الحجاز، قلت عندي ما يسركم من الخبر هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم، فصاحوا بمكة فقالوا هذا محمد إن ما تنتظرون به أن يقدم عليكم فيقتل بين أظهركم، قال قلت أعينوني على جمع مالي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك فجمعوا لي مالي كأحب جمع فلما سمع العباس الخبر أقبل حتى وقف إلى جنبي فقال يا حجاج ما هذا الذي جئت به؟ قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال نعم؛ قلت فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء، حتى إذا فرغت وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ علي حديثي، فإني أخشى الطلب ثلاثا، ثم قل ما شئت فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على ابنة ملكهم ولقد افتتح خيبر وصارت له ولأصحابه، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي.قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وأخذ عصاه حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا هذا والله التجلد لحر المصيبة، قال كلا والله لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرزوا أموالهم. قالوا من جاءك بهذا الخبر؟ قال الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما. قال انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر انتهى المراد من غزوة خيبر.

ثم يلي خيبر فتح واد القرى بضم القاف وفتح الراء مقصور وهو موضع بقرب المدينة. قال الزرقاني غاية ما يفيده كلام الجماعة المعتضد بحديث أبي هريرة أنها أي غزوة واد القرى كانت في آخر صفر أو أول ربيع الأول لأن خيبر كانت في المحرم سنة سبع أو في آخر سنة ست ومدة حصارها بضع عشرة ليلة فلما فتحها خرج إلى الصهباء وأقام بها

حين بنى بصفية ثلاثة أيام بلياليهن ومدة الذهاب والإياب ثمانية أيام فغاية المدة نحو شهر فلا يكون واد القرى فى جمادى يعني بهذا رد ما فى المواهب والله أعلم. وروى مالك ومن طريقه البخاري ومسلم عن أبي هريرة افتتحنا خيبر ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى واد القرى انتهى.

وفي الكلاعي ولما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خيبر انصرف إلى واد القرى فحاصر أهله ليال ثم انصرف راجعا إلى المدينة. قال أبو هريرة لما انصرفنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خيبر إلى واد القرى نزلناها أصلا مع مغرب الشمس ومع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلام أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فوالله انه ليضع رحل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أتاه سهم غرب فقتله فقلنا هنيئا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتحرق عليه فى النار كان غلها من فيئ المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاه فقال يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي، فقال يوقد لك مثلهما من النار. انتهى.

قوله سهم غرب قال فى القاموس وأصابه سهم غرب ويحرك وسهم غرب نعتا أي لا يدرى راميه. وفي المواهب أنه عليه السلام أقام بواد القرى أربعة أيام يحاصرهم، وفي الزرقاني قال الواقدي عبأ صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلي سعد بن عبادة وراية إلي الحباب بن المنذر وراية إلي سهل بن حنيف وراية إلي عباد بن بشر ثم دعاهم إلي الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحصنوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم فقتله الزبير ثم آخر فقتله الزبير ثم آخر فقتله علي، ثم آخر فقتله أبو دجانة، ثم آخر فقتله أبو دجانة حتى قتل منهم أحد عشر، كلما قتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام. ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي بأصحابه، ثم يعود

فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها صلى الله تعالى عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصاب على أصحابه بواد القرى وترك الأرض والنخيل بأيدي يهود وعاملهم عليها، وأقطع جمرة بالجيم ابن هوذة بفتح الهاء والمعجمة العذري رمية سوط من واد القرى وأصاب مدعما سهم غرب ومدعم بكسر الميم وسكون الدال وفتح العين المهملتين آخره ميم عبد أسود هداه له رفاعة بن زيد أحد بني الضبيب كما في مسلم، وهو بضم المعجمة بصيغة التصغير ولابن اسحاق الجذامي ثم الضبني بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها نون وقيل بفتح المعجمة وكسر الموحدة. وفي رواية للصحيحين فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن الشملة التي غلها من خيبر تشتعل عليه نارا، والشملة كساء يلتف فيه. وقيل إنما تسمى شملة إذا كان لها هدب وتقييد بعض بالغلط إن ثبت أنه الواقع هنا وإلا فاللغة الإطلاق وقوله سهم عائر بالعين المهملة أي لا يدرى راميه فهو بمعنى سهم غرب كما في الرواية الأولى.

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر وقال كان على ثقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل يقال له كركرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو في النار في عباءة غلها. وكلام عياض يشعر باتحاد قصته مع قصة مدعم، وقصة مدعم كانت بواد القرى ومات بسهم وغل شملة والذي أهداه له صلى الله تعالى عليه وسلم رفاعة بخلاف كركرة فأهداه هوذة بن علي وغل عباءة ولم يمت بسهم فافترقا.

نعم في مسلم عن عمر، لما كان يوم خيبر قالوا فلان شهيد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا إني رأيته في النار في بردة غلها، أو عباءة فهذا يمكن تفسيره بكركرة، قاله الزرقاني.

ولما بلغ فتح واد القرى أهل تيماء صالحوه صلى الله تعالى عليه وسلم

على الجزية وصالحه أهل فدك وخيبر على أن لهم نصفها وله عليه السلام نصفها. وتيماء بفتح الفوقية وإسكان التحتية، والمد بلدة بين الشام والمدينة على نحو سبع مراحل من المدينة، ثم أجلاهم عمرو رضي الله تعالى عنه لما أتاه الثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان.

ثم بعد فتح واد القرى غزوة القضاء، كذا ترجم الكلاعي وترجم فى المواهب بعمرة القضاء. قال الزرقاني كذا ترجم البخاري عند الأكثر وللمستملي وحده غزوة القضاء. انتهى.

وترجم ابن أبي جمرة بعمرة القضاء. قال وبعضهم لم يذكرها فى غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، انتهى. ووجهوا كونها غزوة بأن موسي بن عقبة ذكر فى المغازي أنه عليه السلام خرج مستعدا بالسلاح والمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر، فبلغهم ذلك ففزعوا.

وقال ابن الأثير أدخل البخاري عمرة القضاء فى المغازي لكونها مسببة عن غزوة الحديبية، قيل سميت بذلك لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها فى الحديبية واعترض بأن عمرة الحديبية لم تفسد حتى يجب قضاؤها، بل كانت عمرة تامة حكما لثبوت الأجر فيها، ولذا عد الصحابة عمره عليه السلام أربعا، عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة من الجعرانة وكلهن فى ذي القعدة وعمرة مع حجته ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وقيل لأنه عليه السلام قاضى فى شأنها قريشا أي عاهدهم وصالحهم عليها عام الحديبية ولذا يقال لها عمرة القضية. وهذا هو الظاهر، قال أهل اللغة يقال قاضى فلانا عاهده وتسمى أيضا عمرة القصاص لأنهم صدوه عليه السلام عن العمرة فى ذي القعدة سنة ست فاقتص عليه السلام منهم ودخل مكة فى الشهر الذي صدوه فيه سنة سبع، قاله ابن هشام، ورجحه السهيلي لنزول هذه الآية فيها وهي: {الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص} قال ابن اسحاق لما رجع صلى الله

تعالى عليه وسلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهري ربيع وما بعده إلي شوال يبعث سراياه فيما بين ذلك ثم خرج فى ذي القعدة مؤتمرا مكان عمرته التي صد عنها. وفي المواهب وشرحها تواترت الأخبار انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أهل ذو القعدة سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معه صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين ألفان سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم بضم الراء وسكون الهاء كلثوم بن الحصين الغفاري وقال ابن هشام عويف بالفاء مصغرا بن الأضبط بضاد معجمة وطاء مهملة الديلمي ويقال بمثلثة بدل الفاء وقال البلاذري أبا ذر، وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما بلغ ذو الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشيرا كأمير ابن سعد والد النعمان فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا تدخلها إلا بسلاح المسافر السيوف فى القرب. فقال عليه السلام أنا لا ندخله عليهم الحرم، ولكن يكون قريبا منا، فإن هاجنا من القوم هيج كان السلاح قريبا منا. وأحرم صلى الله تعالى عليه وسلم من باب المسجد ولبى والمسلمون يلبون معه ومضى ابن مسلمة فى الخيل إلى مر الظهران فوجد نفرا من قريش وسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصبح بفتح الصاد وشد الموحدة أي يأتي هذا المنزل غدا إن شاء الله فأتوا قريشا فاخبروهم، ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد؟ وبعثوا مكرزا فى نفر حتى لقوه ببطن ياجج بتثليث الجيم فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر وقد شرطت أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر، فقال إني لا أدخل عليهم بسلاح، فقال هو الذي تعرف به البر والوفاء، ثم رجع إلى مكة فقال إن محمدا على الشرط الذي شرط لكم ونزل عليه السلام بمر الظهران وقدم السلاح إلي بطن ياجج موضع قال ابن الأثير على ثمانية

أميال من مكة ينظر من به إلى أنصاب الحرم أي أعلام حدوده وخلف عليه السلام أوس بن خولى بفتح المعجمة وفتح الواو ضبطه العسكري واقتصر عليه فى التبصير الخزرجي البدري فى مائتي رجل وخرجت أشراف قريش إلى رؤوس الجبال عداوة لله ولرسوله، ولم يقدروا على الصبر على رؤيته عليه السلام يطوف بالبيت. وفي رواية خرجوا غيظا وحنقا بفتح المهملة والنون وقاف وهو عطف تفسير ونفاسة أي حسدا يقال نفس بالشيء بالكسر حسده عليه. وخرج صلى الله تعالى عليه وسلم راكبا على ناقته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف محيطون به مخافة أن يوذيه غلمان المشركين، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمن بقيله إني رأيت الحق فى قبوله

قوله خلوا أي تنحوا، وسبيله طريقه، وقوله نضربكم بسكون الباء للتخفيف كقراءة أبي عمر {إن الله يامركم} وقوله:

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

وقوله علي تنزيله أي النبي مكة:

إن عارضتم ولا نرجع كما رجعنا يوم الحديبية أو على تنزيل القرآن، وإن لم يتقدم له ذكره نحو {حتى توارت بالحجاب}. والهام جمع هامة وهي الرأس ومقيله محل نومه نصف النهار كناية عن محل الراحة أي يزيل الرأس عن العنق، قوله ويذهل الخليل إلخ.. أي لكونه يهلك أحدهما فيذهل الهالك عن الحي والحي عن الهالك، والقيل المقول.

فلما أنشده ابن رواحة قال عمر: يابن رواحة أبين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا؟ فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي فيهم أسرع من نطح النبل أي فلهي أبلغ فى نكايتهم وإيذائهم وقهرهم من رمي السهام. وفي رواية:

خلوا بني الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله بأن خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تنزيله كما قتلناكم على تأويله

قوله تنزيله أي القرآن، وقوله بأن الباء زائدة، وسبيله الثاني جهاد أعدائه، وفي السابق الطريق المحسوس فلا إيطاء، وقوله على تأويله أي على انكاركم ما أول به كما فهمنا منه، والمعنى نحن نقاتلكم على انكار تأويله كما قتلناكم على انكار تنزيله، مصدر بمعنى اسم المفعول، أي ما نزل عليه، الدال على رسالته وصدقه في كل ما جاء به. وقال ابن هشام ان قوله نحن ضربناكم على تأويله إلخ.. من قول عمار بن ياسر يوم صفين والدليل على ذلك ان المشركين لم يقروا بالتنزيل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل، قال ابن كثير وفيه نظر فقد تابع ابن إسحاق عليه موسى بن عقبة وغيره وجاء من غير وجه عن عبد الرزاق قال في الفتح إذا ثبتت الرواية فلا مانع من اطلاق ذلك والتقدير على رأي ابن هشام نحن ضربناكم على تأويله أي حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل انتهى المراد من الزرقاني.

قال ابن سعد وغيره ولم يزل رسول صلى الله تعالى عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن أي الحجر الأسود بمحجنه بكسر الميم وفتح الجيم عصا معوجة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه مشاة.

وفي الصحيحين أن المشركين قالوا إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم بتخفيف الهاء وشدها أي أضعفتهم حمى يثرب. فأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم أن يرملوا بضم الميم أي يسرعوا الأشواط الثلاثة جمع شوط بفتح الشين وهو الجري إلى الغاية والمراد هنا الطواف حول الكعبة، وفي جواز تسمية الطوفة شوطا. وعن الشافعي كراهته، وإنما أمرهم بذلك ليري قريشا قوتهم وأمرهم أن يمشوا بين الركنين اليمانيين حيث لا تراهم قريش إذ كانوا من قبل قعيقعان، فلما رملوا قال المشركون ما

وهنتهم، وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم مائتين من أصحابه حين طافوا وسعوا أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يأجج فيقيمون على السلاح ويأتي الآخرون يقضوا نسكهم، ففعلوا وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ثلاثا كما اشترطه مع قريش في الهدنة وتزوج عليه السلام في سفره هذا ميمونة بنت الحارث زوجها له العباس وأصدقها عنه العباس أربعمائة درهم، وكانت جعلت أمرها إلى العباس. وكانت أختها أم الفضل تحته، قال ابن عباس تزوجها وهو محرم، قال في المواهب وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه، قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وإن كانت خالته ما تزوجها إلا بعدما حل ووهل بكسر الهاء أي غلط لمخالفته للمروي عنها نفسها وعن أبي رافع وكان الرسول بينهما وعن سليمان بن يسار وكان مولاها فقد اتفقوا كلهم على انه كان حلالا وقال يزيد بن الأصم عن خالته ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن حلالان بسرف ورواه مسلم وهو بفتح السين وكسر الراء وبالفاء ما بين التنعيم وبطن مرو وهو إلى التنعيم أقرب وتوفيت بعد ذلك به. ويزيد هذا يقال ان له رؤية ولم تثبت وهو ابن أخت ميمونة.

غزوة مؤتة كذا ترجمها البخاري وابن إسحاق في طائفة. وفي بعض الروايات تسميتها غزوة جيش الأمراء ووجه تسميتها غزوة كثرة جيش المسلمين فيها وشدة ما لاقوا فيها من الحرب مع الكفار وسماها القسطلاني وابن أبي جمرة وغيرهما سرية لأنها طائفة من جيشه صلى الله تعالى عليه وسلم بعثها ولم يخرج معها أنظر الزرقاني وفي المواهب وهي بضم الميم وسكون الواو وبغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز، وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق وكانت في جماد الأولى سنة ثمان انتهى.

وفي الروض مؤتة مهموزة الواو قرية من أرض البلقاء بالشام وأما

الموتة بلا همز فضرب من الجنون. وفي الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول في صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، وفسره الراوي فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة انتهى، انتهى من الزرقاني.
وسببها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل الحارث بن عمير الازدي ثم اللهبي بكسر اللام وسكون الهاء بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبي شمر الغساني فمنعه شرحبيل بضم الشين وفتح الراء وسكون الحاء بن عمرو الغساني كافر معروف من أمراء قيصر وأوثقه فضرب عنقه قال في المواهب ولم يقتل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسول غيره. فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ألاف وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال ان قتل فجعفر بن أبي طالب أميرهم، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتضي المسلمون لرجل من بينهم يجعلونه عليهم، وروي انه كان ثم يهودي فقال يا أبا القاسم إن كنت نبيا فسميت من سميت قليلا أو كثيرا أصيبوا جميعا لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان فلو سمى مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد أعهد فإنك لا ترجع إلى محمد إن كان نبيا، قال زيد فأشهد انه رسول صادق بار، قالوا وعقد لهم عليه السلام لواء أبيض ودفعه إلي زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا فأقول لكم استعينوا بالله وقاتلوهم.
وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فودعهم ولما ودع ابن رواحة بكى فقالوا ما يبكيك؟ فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ آية {وإن منكم إلا واردها} فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود. فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
وطعنة بيدي حران مجهزة	بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدث	أرشده الله من غاز وقد رشدا

وذات فرع بكسر الفاء وسكون الراء وغين معجمة أي واسعة يسيل دمها، والزبد محركة رغوة الدم، قاله الزرقاني. وقوله تنفذ الأحشاء يقال نفذه كنصره خرقه كأنفذه ورشد كفرح ونصر. ولما ودع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن رواحة قال:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله	والوجه منه فقد أرزى به القدر
فثبت الله ما أتاك من حسن	في المرسلين ونصرا كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة	فراسة خالفت فيك الذي نظروا

وقوله نظروا يعني المشركين، قاله الكلاعي، وفي الزرقاني انه حين اهـ إلى قوله فثبت الله قال له صلى الله تعالى عليه وسلم وأنت فثبتك الله يابن رواحة. وحدث زيد بن أرقم قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياته هذه:

إذا أديتني وحملت رحلي	مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي فخلاك ذم	ولا أرجع إلى أهلي وراء
وجاء المسلمون وغادروني	لأرض الشام مشتهي الثواء
هنالك لا أبالي طلع بعل	ولا نخل أسافلها رواء

قوله خلاك ذم أي فارقك الذم، فلست بأهل له ومشتهي الثواء أي الاقامة، أي لا أريد رجوعا والبعل الذي يشرب بعروقه من رطوبة الأرض؛ قال فلما سمعتهن بكيت فخفقني بالدرة وقال ما عليك يا لكع ان يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل، قوله فخفقني أي ضربني، والدرة بالكسر التي يضرب بها، ثم مضى القوم حتى نزلوا معان بضم الميم على ما صوبه الوقشي وغيره. ونقل مغلطاي فتحها عن البكري ونقل عنه الروض ضمها بعين مهملة فألف فنون وهو جبل بالشام، وبلغ المسلمين أن هرقل نزل مئاب بفتح الميم من أرض البلقاء

فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام وبهراء وبلي مائة ألف منهم عليهم رجل من بلي يقال له مالك بن رافلة فأقام المسلمون ليلتين على معان لينظروا فى أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونخبره الخبر فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له، فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله ان التي تكرهون لا التي خرجتم إياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقالتهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة. وقال ابن رواحة فى محبسهم ذلك:

جلبنا الخيل من أجإ وفرع	تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا	أزل كأن صفحته أديم
فقامت ليلتين على معان	فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات	تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأبي مئاب لنأتينها	وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت	عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأن البيض فيه	إذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها	أسنتها فتنكح أو تئيم

وفرع بالضم موضع من أضخم أعراض المدينة، وقوله تغر السهيلي تغر بالراء أي يجمع بعضها إلى بعض والصوان فعال من الصون لأنه يصون حوافرها أي اتخذنا لها نعالا من حديد وجعلها سبتا لها مجازا وأظهر من هذا ان يكون أراد بالصوان يبيس الأرض أي لا سبت لها إلا ذلك ووزنه فعلان من قولهم نخلة صاوية أي يابسة والجموح الراحة والبريم خيط تحتزم به المرأة وقوله فراضية المعيشة أي المعيشة المرضية لأن أهلها راضون كذا رأيته معزوا للسهيلي، وقوله مسومات أي مضمرات حسان أو معلمة فى وجوهها شية من السمت وهي العلامة وعليه فقيل العلامة هي الغرة والتحجيل وقيل الكي والله أعلم.

وفسرت في الآية بهذين وغيرهما كما في الريان للوالد رضي الله تعالى عنه والقوانس جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد وعبأنا هيأنا والسموم الريح الحارة واللجب الصوت والسبت بالكسر جلود البقر أو كل جلد مدبوغ أو بالقرظ انتهى من القاموس.

ثم مضى المسلمون إلى مؤتة فجاءهم من جموع العرب والروم ما لا طاقة لهم به من العدد الزائد على مائتي ألف والعدد بضم العين من السلاح والكراع بضم الكاف وهو جماعة الخيل خاصة والحرير والذهب إظهارا للشدة والقوة، بكثرة الأموال وآلات الحرب وفي هذا فرط شجاعة الصحابة وعدم مبالاتهم بأنفسهم لأنهم باعواها لله إذ أقدام ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب إنما هو لما وقر في قلوبهم: {إنا لننصر رسلنا} (الآية) {وإن جندنا لهم الغالبون}، فتعبأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري وعلى الميسرة عناية بن مالك الأنصاري قال في المواهب فقاتل الأمراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم، قال الزرقاني قد يشعر تخصيصهم أن من عداهم قاتلوا على حالهم التي كانوا عليها من مشي أو ركوب فحمل اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه حتى قتل طعنا بالرماح، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فقاتل على فرسه حتى ألحمه القتال، فنزل عن فرس له شقراء فقاتل حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما لابن هشام قال اليعمري أو أربع وثلاثين ولابن عبد البر أن سنه إحدى وأربعون ضربه رجل من الروم ضربة فقطه نصفين. وفي رواية للبخاري أيضا عن ابن عمر ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية.

وللبخاري أيضا عن ابن عمر فعددت به خمسين بين ضربة بالسيف وطعنة برمح ليس منها شيء في دبره يعني ظهره وجمع بينهما بأن الزيادة باعتبار ما فيه من رمي السهام فإن ذلك لم يذكر في رواية أخرى.

والخمسون ليس منها شيء في دبره أي ظهره والباقي قد يكون في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولاهم دبره وإنما هو محمول على ان الرمي جاء من جهة قفاه أو جانبه.

وفي رواية لأبي داوود وغيره أن جعفرا عقر فرسه وعقر بفتح العين

المهملة والقاف وبالراء أي ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف وفي رواية فعرقبها، قال ابن اسحاق فكان جعفر أول مسلم عقر في الإسلام قال في الروض ولم يعب ذلك عليه أحد فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين فلم يدخل هذا في النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا وهذا حديث حسن وفي بقيته انه قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنى عذابها كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

وقطعت يده في تلك الوقعة وذلك انه أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه ثم قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء أخرجه ابن عبد البر.

قال محمد بن عبد الباقي والمقصود ان الله أكرمه بذلك في مقابلة قطعهما فلا يستلزم عدم رد يديه بل بعد ردهما أعطاه الجناحين وأخرج الطبراني عن عبد الله بن جعفر الشبيه خلقا وخلقا كأبيه قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء. وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مر بي جعفر الليلة في ملإ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم واختلف في أن الجناحين حقيقيان وهو المختار وروي عن البخاري أنه قال يقال لكل ذي ناحيتين جناحان، قال الحافظ لعله أراد بهذا حمل الجناح على المعنوي دون الحسي وجرى عليه السهيلي فقال ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحي الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر، وقد عبر القرآن عن العضض بالجناح توسعا في قوله: {واضمم يدك إلى جناحك} وقد قال العلماء في أجنحة الملائكة أنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة. فقد ثبت أن لجبريل عليه السلام ست مائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك. قال فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها ولا ورد ببيانها خبر فنؤمن بها من غير بحث عن

حقيقتها انتهى.
قال الحافظ في الفتح ولا مانع من الحمل على الظاهر، وكون الصورة البشرية أشرف من الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لأن الصورة باقية كما هي وإعطاء الجناحين مضموما إلى عود يديه يصيره في المنظر أتم من حال بقية نوع الإنسان فالأجنحة له كالزينة والحلي لمن تحلى وتزين وروى البيهقي مرسلا أن جناحي جعفر من ياقوت فهو صريح في ثبوتهما له حقيقة وأنه ليس من جنس أجنحة الطير التي هي من ريش فهذا يرد قوله أنها صفة ملكية وجاء في جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ أخرجه ابن مندة بفتح الميم وقد قال بعض العلماء أن هذا التأويل لا يليق مثله بالإمام السهيلي بل هو أشبه بكلام الحشوية ولا ينكر الحقيقة إلا من ينكر وجود الملائكة وقال تعالى {أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع} انتهى من الزرقاني.
ولما قتل جعفر أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ثم تقدم وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه ... ما لي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه ... هل انت إلا نطفة في شنه

وقال أيضا:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

يعني صاحبيه زيدا وجعفرا.
ثم نزل فأتاه ابن عم له يعرف بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم ألقاه من يده فأخذ سيفه فقاتل حتى قتل.
وذكر ابن أبي جمرة أنه قال أي نفس إلى أي شيء تتوقين إلى فلانة فهي طالق وفلان وفلان غلمان له فهم أحرار وإلى معجب حائط له فهو لله ورسوله ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنهم أجمعين انتهى.

قال سعيد بن أبي هلال بلغني أنهم دفنوا زيدا وجعفرا وابن رواحة في حفرة واحدة وفي الصحيح وما يسرهم أنهم عندنا أي لما رأووا من فضل الشهادة ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم بفتح الهمزة وسكون القاف وبالراء والميم البلوي البدري حليف بني العجلان بطن من الأنصار فقال يا معشر المسلمين أصطلحوا علي رجل منكم قالوا أنت لها، قال ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس. وفي الصحيح أخذ الراية سيف من سيوف الله تعالى حتى فتح الله علي يديه، وفي رواية ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه سيف من سيوفك فأنت تنصره، فمن يومئذ يسمى سيف الله.

وفي المواهب وشرحها وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين وعدد من قتل منهم اثنا عشر رجلا الأمراء الثلاثة ومسعود بن الأسود وهو من بني عدي بن كعب ووهب بن سعد بن أبي سرح وهو من بني مالك بن حسل وعباد بن قيس الخزرجي والحارث بن النعمان وسراقة بن عمرو النجاريان وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث وزاد ابن الكلبي والبلاذري هويجه الضبي وهو بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الموحدة فجيم فهاء تأنيث وروي أنه لما قتل فقد جسده وفي هذا من مزيد عناية الله تعالى بالمسلمين ما لا يخفى إذ عدتهم ثلاثة آلاف وقاتلوا أكثر من مائتي ألف سبعة أيام، ولم يقتل منهم إلا ثلاثة عشر كذا ذكر ابن سعد وغيره أن الهزيمة كانت على المسلمين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وكانت الهزيمة على المشركين وهذا ظاهر حديث الصحيح كما مر قريبا، وفيه أيضا عن خالد لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية بتخفيف الياء وحكي شدها. وقال ابن اسحاق انحازت كل طائفة عن الأخرى من غير هزيمة، قال اليعمري وهو المختار لكن قال الشامي وافق ابن اسحاق شرذمة لكنه خلاف ظاهر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ففتح على يديه والأكثرون على أن خالد والمسلمين

قاتلوا المشركين حتى هزموهم، وفي حديث ابي عامر ان خالدا لما حمل اللواء حمل على القوم فهزمهم أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا ونحوه عن الزهري وابن عقبة وابن عائذ وعروة وغيرهم، وقال في الفتح اختلف أهل النقل في المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى فتح الله عليهم هل كان هناك هزيمة للمشركين أو المراد بالفتح انحياز المسلمين حتى رجعوا سالمين انتهى المراد منهما. وقال الامام ابن ابي جمرة اختلف العلماء في عسكر المسلمين هل كانت الهزيمة عليهم أو على المشركين فحكى ابن سعد أنها كانت على المسلمين إلى أن قال وذهب جماعة ان الهزيمة كانت على المشركين وهو الأقرب ورجحه البيهقي.

وعن العطاف بن خالد لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد فلما أصبح جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته وميسرته ميمنته فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم وقالوا قد جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين فقتل منهم مقتلة لم يقتلها قوم، وكذا ذكر موسى بن عقبة. وذكر ابن اسحاق ان قطبة بن قتادة العذري وكان رأس ميمنة المسلمين قتل مالك بن رافلة ويقال رافلة البلوي وهو أمير عرب النصارى فقال يفتخر:

طعنت ابن رافلة بن الأرش برمح مضي فيه ثم انحطم

ثم قال:

وسقنا نساء بني عمه غداة رقوقين سوق الغنم

وفيه التصريح بأنهم سبوا نساءهم وبعد البيت الأول:

ضربت على صيره جيده

فمال كما مال غصن السلم

والصير جانب الشيء وطرفه وضميره للجيد والله أعلم. أي ضربت جيده على جانبه. ولما أصيب القوم قال صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم صمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم أخذها عبد الله بن

رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا؟ فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى وذكر ابن عقبة ان يعلى ابن أمية الحنظلي حليف قريش وأمه منية بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية الخفيفة وبها اشتهر وبأبيه معا وقيل هي أم أبيه وهي أم العوام والد الزبير قاله الزرقاني وهو الذي قدم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك. قال أخبرني فأخبره خبرهم كله فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا فلم تذكره. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم.

وللطبراني عن ابي اليسر بفتح التحتية والمهملة كعب بن عمر السلمي بفتحتين البدري ان أبا عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمصابهم. وقال حسان يبكيهم:

تأوبني ليل بيثرب أعسر ... وهم إذا ما نوم الناس مسهر

لذكرى حبيب هجيت لي لوعة ... سفوحا وأسباب البكاء التذكر

بلي ان فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

رأيت خيار المسلمين تواردوا ... شعوب وخلفا بعدهم يتأخر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسباب المنية تخطر

غداة مضوا بالمومنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة ازهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتى مال غير موسد ... بمعترك فيه قنى متكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر

وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاء وأمرا حازما حين يأمر

وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللواء في كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذو الكتاب المطهر

وشعوب بفتح المعجمة المنية، والمظلمة بكسر اللام وكثمامة ما تظلمه الرجل قاله في القاموس، والبهاليل جمع بهلول بالضم وهو الوضيئ الوجه مع طول، والمأزق المضيق من مضايق الحرب والعماس كسحاب المظلم.

وقال كعب بن مالك:

نام العيون ودمع عينيك يهمل سحا كما وكف الطباب المخضل
في ليلة وردت علي همومها طورا أحن وتارة أتململ
واعتادني حزن فبت كأنني ببنات نعش والسماك موكل
وكأن ما بين الجوانح والحشا مما تأوبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا يوما بمؤتة اسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم حذر الردى ومخافة أن ينكل
فمضوا أمام المسلمين كأنهم فنق عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف المجدل
فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم فرعا أشم وسؤدد ما ينقل
قوم بهم عصم الإله عباده وعليهم نزل الكتاب المنزل

إلى أن قال:

بيض الوجوه ترى بطون اكفهم تندى إذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رضي الإله لخلقه وبجدهم نصر النبي المرسل

وهمل دمعه كضرب، ونصر فاض، والطباب بكسر الطاء المهملة جمع طبابة وهي سير بين خرزتين في المزادة فإذا كان غير محكم وكف منه الماء والخنين بالمعجمة حنين ببكاء فإذا كان بالمهملة فليس معه بكاء (أنظر الروض) وأسندوا بالنون وروي بهمزة بعد السين من الإسناد وهو الاسراع في السير وصبروا حبسوا والفنق جمع فنيق وهو الفحل والمرفل السابغ الضافي وقوله فتيغر القمر قال السهيلي قوله حق لأنه إن كان عن رسول الله الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعله قمرا فقد

كان تغير بالحزن لفقد جعفر وان أراد القمر نفسه فإنه حق أيضا لأن المفهوم منه تعظيم المصاب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه أراد شدة تأديب الأهل وتأفل بتثليث الفاء أي تغيب ماضيه كضرب ونصر وعلم وقوله وبجدهم روي بالحاء المهملة أيضا أي شجاعتهم وإقدامهم.

ثم بعد مؤتة غزوة فتح مكة زادها الله تعالى تشريفا وتعظيما. قال ابن أبي جمرة وكانت في رمضان سنة ثمان، وكان المسلمون عشرة آلاف وقال الزهري وعروة اثنى عشر ألفا انتهى المراد منه.

وقال في الإكتفاء غزوة الفتح. وأقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جماد الأخيرة ورجب ثم عدت بنو بكر بن عبد منات بن كنانة على خزاعة انتهى المراد منه.

وقال في المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني ثم فتح مكة زادها الله تعالى شرفا وهو كما قال العلامة بن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيد الكفار والمشركين والإضافة للتشريف وقوله جعله هدى للعالمين أي هاديا لهم لأنه قبلتهم ومتعبدهم وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دينه أفواجا أي جماعات وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا أي سرورا، والاطناب جمع طنب بضمتين وهو حبل الخباء شبه العز بالخباء المتين وأثبت له الأطناب تخييلا والجوزاء يقال انها تعرض في جوز السماء أي وسطها خرج إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للتين خلتا من رمضان كما رواه أحمد بسند صحيح وهو أصح مما قال الواقدي انه خرج لعشر ليال خلون منه وليس بقوي وروى البيهقي عن الزهري انه صبح مكة لثلاث عشرة ليلة خلت منه وروي عن الزهري أيضا أنه قال لا أدري أخرج في شعبان فاستقبل رمضان أو خرج في رمضان بعدما دخل وعند مسلم أنه دخل مكة لست عشرة ولأحمد لثمان عشرة وجمع بينهما بحمل إحداهما على ما مضى والأخرى على ما بقي. وسبب خروجه نقض العهد الذي وقع في الحديبية وذلك ان الصلح وقع على ان من أحب ان

يدخل في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقده صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب وكان عليه السلام عارفا بذلك وجاءته خزاعة يومئذ بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هشام لخزاعة إذا قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده وما لا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرف ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجددا أبد الدهر سرمدا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الاسلام إلا شدة ولا حلف في الإسلام انتهى.

والحلف المنهي عنه ما كان على الفتن والقتال والغارات والذي قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الأرحام ونصرة الحق وكان بين بني بكر وخزاعة حروب في الجاهلية وذلك أن مالك بن عباد من بن الحضرمي خرج تاجرا فعدا عليه خزاعة فقتلوه وأخذوا ماله وكان حليف للأسود بن رزن بفتح الراء وكسرها فزاي ساكنة وتفتح فنون فعدت بنو بكر على خزاعي فقتلوه حمية للأسود فعدت خزاعة على بني الأسود وهم ذؤيب وسلمى بفتح السين وكلثوم فقتلوهم بعرفة عند انصاب الحرم فبينما هم كذلك بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشاغلوا عن ذلك فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية وهو يومئذ قائد بني الديل من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة على ماء عندهم بأسفل مكة يقال له الوتير بفتح الواو وكسر الفوقية وسكون التحتية آخره راء قال السهيلي وهو في كلام العرب الورد الأبيض سمي به الماء فأصاب منهم رجلا يقال له منبه وكان ضعيف الفؤاد وكان معه رجل يقال له تميم فقال له منبه يا تميم أنج بنفسك فوالله إني لميت قتلوني أو تركوني لقد انبت فؤادي فأفلت تميم وأدركوا منبها فقتلوه واستيقظت خزاعة فاقتتلوا فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة لا إله له يا بني

بكر، أصيبوا ثأركم وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية منهم صفوان بن أمية وعثمان بن شيبة وسهيل بن عمر وحويط بن عبد العزاى ومكرز بن حفص، فلما دخلوا مكة لجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأن هذا لا يبلغه عليه الصلاة والسلام وأصبحت خزاعة مقتولين علي باب بديل فقال سهيل لنوفل قد رأيت الذي صنعنا بك وبمن قتلت من القوم وقد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم، فتركهم، وندمت قريش على ما صنعوا وعرفوا أنه نقض للعهد.

فائدة:

الديل بكسر الدال المهملة وسكون الياء كما قاله الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما وقال الأصمعي وسيبويه وأبو حاتم وغيرهم هو بضم الدال وكسر الهمزة وإنما فتحت في النسب كما فتحت ميم النمر في النمري ولام سلمة في السلمي فراراً من توال الكسرات وكان عيسى بن عمر ويونس وغيرهما يكسرونها في النسب. قال الأصمعي وهو شاذ وهو الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وقول الشامي بكسر الدال وسكون الهمزة وتسهيل فيه نظر لأن الذين قالوا بكسر الدال إنما قالوا بعدها تحتية لا همزة والذين قالوا همزة إنما قالوا بكسرها والدال مضمومة نقلها العلامة الزرقاني.

ولما انقضى القتال خرج عمرو بفتح العين وقيل بضمها بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة فقدموا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبرونه بما أصابهم ويستنصرونه فقام صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي. وفي المعجم الكبير عن ميمونة قالت بات عندي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فسمعته يقول في متوضئه لبيك لبيك لبيك، ثلاثا، نصرت نصرت ثلاثا، فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك لبيك ثلاثا، نصرت نصرت نصرت ثلاثا، كأنك تكلم إنسانا؟! فقال هذا راجز بني كعب يستصرخني

ويزعم ان قريشا أعانت عليهم بني بكر ففي أخباره به قبل قدومه علم من اعلام النبوءة وفي آخر الحديث فأقمنا ثلاثا ثم صلى عليه السلام بالناس صبح اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده:

يا رب إني إلخ.. والرجز المذكور هو قوله:

يا رب إني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الأتلدا	قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا	فانصر هداك الله نصرا أيدا
وادع عباد الله ياتو مددا	فيهم رسول الله قد تجردا
أبيض مثل البدر يسمو صعدا	إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي فيك داء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

يقول قتلونا وقد أسلمنا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت. ثم عرض عنان من السماء، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب. قاله الكلاعي والعنان بفتح المهملة ونونين بينهما ألف السحاب، قوله ناشد أي طالب ومذكر، وحلف بكسر المهملة وسكون اللام مناصرة، والأتلد أي الأقوم مما بيننا وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الشامي أي القديم لا يناسب أفعل التفضيل وولد بضم الواو وسكون اللام لغة في ولد وذلك ان ولد بني عبد مناف أمهم من خزاعة وكذلك أم قصي وثمت حرف عطف أدخل عليها تاء التأنيث ونصرا أيدا قويا مستمرا. وروي نصر اعتدا بفتح المهملة وكسر الفوقية أي حاضرا مهيئا ومددا بفتحتين جيوشا ينصروننا وقوله فيهم رسول الله أتى به لدفع توهم أنه يبعث سرية وتجرد روي بمهملة أي غضب وبجيم أي شمر وتهيأ لحربهم وسيم مبني للمفعول وخسفا بفتح المعجمة وضمها أي أولى ذلا وتربد تغير وصعدا بضمتين والفيلق كصيقل الجيش وميثاقك: عهدك، والموكدا أي بالكتب والاشهاد ولست بضم التاء وروي بفتح التاء مع التاء في تدعوا وبيتونا أي قصدونا ليلا من غير علم، وهجدا نوما، جمع هاجد. قال السهيلي

وأسلمنا من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد انتهى.
وتأوله بعضهم بأنهم حلفاء الذين يركعون ويسجدون ولا يخفى بعده.
وفي رواية غير زياد هم قتلونا بصعيد هجدا. نتلوا القرآن ركعا وسجدا. وهذا يبطل التأويل انتهى من الزرقاني.
وقوله ان اعتدا بكسر التاء هو بالتحريك أيضا كما في القاموس وكداء كسماء جبل بأعلى مكة وهو الذي دخل منه صلى الله تعالى عليه وسلم مكة يوم الفتح وأما بالضم والقصر فهو جبل بأسفلها وهو الذي دخل منه خالد ومن معه ومده البوصيري ضرورة في قوله وأكدى عند اعطائه القليل كداء، قاله شراحه، ورصده رقبه، والرصد محركة الراصدون، وروى الواقدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزدني في المدة وهو راجع بسخطه ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان فقالا لئن لن يصلح هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد في أصحابه فقال أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها، قالوا وما هي؟ قال رأت دما أقبل من الحجون يسير حتى وقف بالخندمية مريا ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا فقال أبو سفيان هذا أمر لم نشهده ولم أغب عنه لا يحمل إلا علي والله ما شورت فيه ولا هويته حين بلغني ليغزوننا محمد إن صدقني ظني وهو صادقي وما بد في أن آتي محمدا فأكلمه. فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل على بنته أم حبيبة فذهب ليجلس على فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم فطوته عنه وقالت انت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال والله يا بنية لقد أصابك بعدي شر ثم أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا، فذهب إلي أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ما أنا بفاعل. فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد إلا الذر لجالدتكم به ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله ثم أتى عليا وعنده فاطمة وعندها حسن غلام يدب بين

يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وإن قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي فقال علي ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم صلى الله تعالى عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلي فاطمة فقال يا بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هل لك ان تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر. قالت والله ما بلغ بني ان يجير بين الناس وما كان يجير أحد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال لعلي يا أبا حسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني. قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم إلحق بأرضك. فقال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فلما قدم علي قريش قالوا وما وراءك؟ قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو، وفي لفظ أعدى العدو، ثم أتيت عليا فقال أنت سيد بني كنانة فأجر بين الناس، فناديت بالجوار، قالوا هل أجاز ذلك محمد، قال لا. قالوا رضيت بغير رضا وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيئا، والله ما زاد علي على أن لعب بك. فقال والله ما وجدت غير ذلك.

قال في المواهب فتجهز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير إعلام أحد بذلك، قال الزرقاني أي أولا فلا ينافي ما عند ابن إسحاق وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أعلم الناس أنه سائر إلي مكة وأمرهم بالجد والتهيأ وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس وبغته كمنع فاجأه، وقال حسان يحرضهم ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة	رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم تسل سيوفهم	وقتلى كثير لم تجس ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي	سهيل بن عمر وحرها وعقابها
فلا تأمننا يا ابن أم مجالد	اذا احتلبت صرفا واعضل نابها
فلا تجزعوا منها فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قوله عناني: عناه الأمر يعنيه ويعنوه أهمه وقوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن ام مجالد عكرمة بن أبي جهل، فكتب حاطب بن أبي بلتعة بموحدة مفتوحة ولام ساكنة ففوقية فعين مهملة مفتوحتين عمر بن عمير اللخمي حليف بني أسد اتفقوا على شهوده بدرا كتابا وأرسله إلي مكة يخبر بذلك مع امرأة استأجرها سماها ابن اسحاق سارة والواقدي كنود قيل كانت مولاة للعباس وقيل مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال عليه السلام لعلي والزبير والمقداد كما أخرجه الشيخان عن علي وللبخاري عن علي أيضا بعثني وأبا مرثد الغنوي والزبير وكلنا فارس قال الحافظ يحتمل ان الثلاثة كانوا معه فذكر أحد الراويين عنه ما لم يذكره الآخر ولم يذكر ابن اسحاق مع علي والزبير أحدا فالذي يظهر أنه كان مع كل منهما آخر تبعا له، فقال عليه السلام انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ بخاءين معجمتين بينهما ألف على بريد من المدينة فإن بها ظعينة أي امرأة في هودج معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها. قال علي فانطلقنا تعادي بنا خيلنا بحذف إحدى التاءين أي تجري حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، ولابن اسحاق من مرسل عروة فأدركاها بالخليقة خليقة بني أحمد بقاف وخاء معجمة كسفينة منزل على اثنين وعشرين ميلا من المدينة ولابن عقبة أدركاها ببطن ريم بكسر الراء وسكون التحتية وبالهمز وبالميم واد بالمدينة فيحتمل أن الروضة اسم لمكان يشتمل عليهما وإلا فما في الصحيح أصح. قاله العلامة الزرقاني. قال فقلنا أخرجي بهمزة قطع الكتاب. قالت ما معي كتاب. فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين؛ وللأصيلي بضم الكاف وكسر المعجمة مخففة، قلنا لتخرجن الكتاب بضم الفوقية وكسر الراء والجيم أو لنلقين الثياب بضم النون وكسر القاف، وللأصيلي بضم الفوقية وحذف التحتية فأخرجته، من عقاصها بكسر المهملة الخيط الذي تعتقص به أطراف الذوائب. وقال المنذري هو لي الشعر بعضه على بعض على الرأس وتدخل أطرافه في أصوله وقيل هو السير الذي تجمع به شعرها على رأسها، فأتينا به أي بالكتاب، رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم، فإذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال يا حاطب ما هذا؟ قال يا رسول الله لا تعجل علي. ولابن اسحاق أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت إني كنت امرءا ملصقا بضم الميم وفتح الصاد في قريش أي مضافا لهم أي كنت حليفا وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما إنه قد صدقكم. زاد البخاري في بدر لا تقولوا له إلا خيرا فقال عمر يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم.

قوله لعل الله ورسوله إلخ قال النووي هذا الترجي راجع إلي عمر لأن وقوع هذا الأمر محقق عند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى.

وفي الفتح هي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم وقد قال العلماء الترجي في كلام الله وكلام الرسول للوقوع وعند أحمد وأبي داوود بالجزم بلفظ ان الله اطلع على أهل بدر واتفقوا ان هذه البشارة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها فأنزل الله تعالى في حاطب {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة} إلى قوله: {قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} قال في الفتح وإنما قال عمر دعني يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به ونهيه أن يقال له إلا خيرا فيما كان عند عمر من الشدة في الدين وبغض المنافقين فظن أن من خالف ما أمر به عليه السلام من اخفاء مسيره عن قريش يستحق القتل لكنه لم يجزم به فلذلك استأذن في قتله ولو جزم به لما استأذن وأطلق عليه منافقا لإظهاره خلاف ما أبطن فلم يرد عمر انه أظهر الإسلام وأخفى الكفر وعذر حاطب ما ذكره من خوفه على أهله وماله فإنه فعل ذلك متأولا أن

لا ضرر فيه كما صرح به في قوله كتبت كتابا لا يضر الله ورسوله واستشكل قوله اعملوا ما شئتم فإن ظاهره الإباحة وهو خلاف عقد الشرع. وأجيب بأن هذا خطاب تشريف وإكرام تضمن أنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وصاروا بها أهلا لأن يغفر لهم ما يلحقهم من الذنوب بعد هذه الوقعة ان وقع وليس المراد أنهم أنجزت لهم مغفرة الذنوب اللاحقة بل لهم صلاحية أن يغفر لهم ما سيقع. فقد أظهر الله تعالى صدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلى يقطع بذلك من أحوالهم من اطلع على سيرهم ولذا لما شرب قدامة بن مظعون من أهلها أيام عمر وحدّه رأى عمر في المنام من يأمره بمصالحة قدامة. وقيل في الجواب ان ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة وما أحسن قوله:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

نقله الزرقاني عن ابن حجر والقسطلاني. ثم مضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف أو اثني عشر ألفا كما مر فسبعت سليم وقيل ألفت وألفت مزينة وفي كل القبائل عددا وأوعب المهاجرون والأنصار ولم يتخلف منهم أحد قاله الكلاعي وكان العباس أسلم قديما فخرج بأهله وعياله مهاجرا ولقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة وسار معه إلى الفتح وبعث ثقله إلى المدينة، قال البلاذري وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوءتي آخر نبوءة. وكان ممن لقيه بالطريق ابن عمه وأخوه من الرضاعة ارضعتهما حليمة: أبو سفيان بن الحارث ومعه ولده جعفر وكان غلاما مدركا وشهد هو وأبوه حنينا وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة ولا يفارقه فلما بعث عاداه وهجاه وأجابه حسان عنه كثيرا، قال القسطلاني وكان لقاءهما له عليه السلام بالأبواء وأسلما قبل دخوله مكة وقيل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا بضم السين وسكون القاف قرية جامعة والعرج بفتح فسكون قرية جامعة على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة وبهذا

القول جزم ابن إسحاق وعين المحل فقال لقياه بنقب العقاب فأعرض صلى الله تعالى عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. يعني قوله والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه، وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله تعالى أرسلك، فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وهذا نهي لهما في الظاهر وهو في الحقيقة سؤال له عليه السلام أن يقبل عليهما وتلطفت في العبارة أدبا أن تخاطبه بصورة نهي، فلما خرج إليهما الخبر بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن أو لأخرجن بابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا. فلما بلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رق لهما ثم إذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشد أبو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل رايتي ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين اهدي واهتدي

(الأبيات).

وقال علي لأبي سفيان إيت رسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف، {تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين}، فإنه لا يرضى ان يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تثريب أي لا عتب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين.

ويقال أن أبا سفيان ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حياء منه منذ أسلم. وقال عند موته لا تبكن علي فإني لم انطق بخطيئة منذ أسلمت. ولما نزل عليه السلام بمر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش فترعب من كثرتها قال الزرقاني ولم يأمر باقي من معه وهم ألفان بالإيقاد تخفيفا ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون خائفون من غزوه إياهم فبعثوا أبا سفيان وقالوا خذ لنا أمانا من محمد فخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل مصغر بن ورقاء الخزاعي وأسلموا كلهم يوم الفتح حتى أتوا مر الظهران فلما

رأوا العسكر أفزعهم ولابن أبي شيبة فإذا النيران قد أخذت الوادي كله، وفي البخاري فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه النيران والله لكأنها نيران عرفة فقال له بديل بن ورقاء هذه نيران بني عمرو بفتح العين وفي رواية نيران بني كعب يعني بهما خزاعة، وعمر هو ابن لحي كما في الفتح وغيره فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك أي من أن تكون هذه نيرانها يعني خزاعة فرأوهم ناس من حرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذوهم فقالوا من أنتم؟ فقالوا هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه. فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزل على أكباد قوم لم يعلموا بهم. وعند ابن اسحاق ان العباس خرج ليلا على بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم قال فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا ولا عسكرا. فقال بديل هذه خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها. قال فعرفت صوته، فقلت أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال أبا الفضل، قلت نعم. قال ما لك فداك أبي وأمي، قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الناس واصباح قريش والله، قال فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك، فركب خلفي فسرت به كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا؟ فإذا رأوا بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته حتى مر بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان قال أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد وركضت البغلة فسبقته واقتحمت عن البغلة فدخلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد، فدعني فأضرب عنقه، قلت يا رسول الله إني قد أجرته، فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله لئن كان من رجال بني عدي بن كعب لما قلت هذا ولكنك قد علمت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال

مـهلا يا عـبـاس فـوالله لإسـلامك يوم أسلمت كـان أحب إلي مـن إسـلام الخطاب لـو أسلم ومـا بي إلا أني قـد عـرفت أن إسـلامك كـان أحب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من إسلام الخطاب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به، فذهبت به فلما أصبحت غدوت به إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وما أكرمك وما أوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغني شيئا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما والله هذه فإن في نفسي منها شيء حتى الآن. فقال له العباس ويحك أسلم قبل ان تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق وأسلم. قال العباس قلت يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما سار قال صلى الله تعالى عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة أي أنفه، وفي رواية حطم بفتح الحاء المهملة الخيل بفتح المعجمة وسكون التحتية، أي ازدحامها، وحبسه العباس هناك ليرى الجميع فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة، على أبي سفيان والكتيبة بوزن عظيمة قطعة من الجيش من الكتب بفتح فسكون وهو الجمع قال الواقدي وأول من قدم عليه السلام خالد بن الوليد في سليم وهم ألف أو تسعمائة معهم لواءان يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بضم المعجمة بن ندبة بضم النون وراية مع الحجاج بن علاط فقال من هؤلاء؟ فقال خالد بن الوليد، قال الغلام؟ قال نعم. قال ومن معه قال بنو سليم، قال مالي وبني سليم؟ ثم مر على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب فقال من هؤلاء؟ قال الزبير بن العوام، قال ابن أختك؟ قال نعم. فمرت بعدهما كتيبة في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر فقال من هذه؟ قال غفار بكسر الغين المعجمة، قال مالي ولغفار؟ أي ما كانت بيني وبينهم حرب، ثم مرت أسلم بفتح اللام كما في القسطلاني في المناقب في

أربعمائة فقال من هؤلاء؟ قال أسلم، قال ما لي ولأسلم؟ ثم مرت بنو كعب بن عمرو اخوة أسلم في خمسمائة فقال من هؤلاء؟ قال بنو كعب بن عمرو، قال هؤلاء حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم، ثم مرت مزينة فيها مائتا فرس، قال من هؤلاء؟ قال مزينة، قال مالي وما لمزينة قد جاءتني تتقعقع من شواهقها، ثم مرت جهينة في ثمانمائة، قال من هؤلاء؟ قال جهينة، قال ما لي ولجهينة، والله ما كان بيني وبينهم حرب قط، وفي رواية زيادة أشجع وتميم وفزارة وفي البخاري زيادة سعد بن هذيم وهو سعد بن زيد بن ليث بن سود بضم المهملة بن أسلم بضم اللام كما في ابن حجر والزرقاني والقسطلاني بن الحاف بمهملة وفاء ابن قضاعة حتى مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتيبة الخضراء التي لم ير مثلها معه المهاجرون والأنصار مع كل بطن من الأنصار لواء وراية وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ولعمر فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم، وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد فيها. قال ابن هشام والعرب تكني بالخضرة عن السواد وبه عنها ولعله إيثار للون المحبوب لنفرة النفوس من السواد، وفي البخاري يقال فيها ألفا دارع أي بالتثنية وكان على الأنصار سعد بن عبادة معه الراية فقال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي يوم حرب لا مخلص منه أو يوم قتل يقال لحم فلان إذا قتله اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستارها وقتال من عارض من أهل مكة وبإزالة ما يزعمون أنه تعظيم لها من أصنام وصور وقد وقع جميع ذلك فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة وخفة الميم أي الهلاك تمنى أن تكون له قوة فيحمي قومه قاله عجزاء، وقيل معناه هذا يوم الغضب للحرم إن قدر عليه وقيل معناه هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي بقربك للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمع مقالة سعد رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد في قريش صولة وللواقدي ان عثمان وعبد الرحمن قالا ذلك جميعا، فقال لعلي الحقه وخذ الراية منه وكن أنت تدخل بها وروى الأموي أن أبا سفيان قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لما حاذاه أمرت بحذف الاستفهام بقتل قومك؟ قال لا وذكر له ما قال سعد ثم ناشده الله

تعالى والرحم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة أي الرأفة اليوم يعز الله تعالى قريشا أي بالاسلام وانقاذهم من الضلال وحجزهم عن الوقوع في المهالك.

وأرسل عليه السلام إلى سعد فأخذ الراية منه ودفعها لابنه قيس ورأى عليه السلام ان اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه. ولابن عساكر ان سعدا لما قال ذلك عارضت امرأة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا نبي الهدى إليك لجا إلخ...

فلما سمع الشعر دخلته رأفة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه. وللواقدي أنه أبى أن يسلمها إلا بإمارة منه عليه السلام فأرسل إليه بعمامته. وعند أبي يعلي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دفع الراية إلي الزبير فكان معه لواء المهاجرين ولواء الأنصار والظاهر في الجمع بين هذه الثلاثة كما للحافظ أن عليا أرسل لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغيير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه فخشي سعد أن يقع من ابنه شيء يكرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله أن يأخذها منه، فأخذها الزبير وعند الواقدي والأموي أن الشعر لضرار بن الخطاب الفهري قال أبو الربيع وهو من أجود شعره قال الحافظ وكان ضرارا أرسل به المرأة ليكون ذلك أبلغ في انعطافه عليه السلام على قريش والشعر المذكور هو:

يا نبي الهدى إليك لجا	حي قريش ولات حين لجائي
حين ضاقت عليهم سعة الأر	ض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقة البطان على القو	م ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعدا يريد قاصمة الظهـ	ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـ	ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغير الصدر لا يهم بشيء	غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت	عنه هند بالسوءة السوءائي
إذ ينادي بذل حي قريش	وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادا	يا حماة الأدبار أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز	رج والأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في أكف الإماء
فانهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتا كالحية الصماء

ولجا بالألف للضرورة وهو بالهمز من باب نفع وتعب كما في المصباح وروي آخره وأنت خير لجاء، وسعة بفتح السين وهو كناية عن شدة كربهم حتى كأن الأرض لم تسعهم، وقوله وعاداهم إلخ.. أي فعل لهم فعل المعادي فسلط عليهم ما لا طاقة لهم به وحلقتا البطان تثنية حلقة والبطان بكسر الموحدة حزام يجعل تحت بطن البعير، كناية عن شدة الأمر، والصيلم بفتح المهملة وسكون التحتية وفتح اللام وميم الداهية وكذا الصلعاء بفتح المهملة وسكون اللام وكأنه بحذف حرف العطف وقاصمة الظهر كاسرته يعني الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كسرت ظهورهم فصاروا لا حراك لهم والنسر بفتح النون نجم والعواء بفتح المهملة وشد الواو والوغر بفتح الواو وكسر المعجمة وبالراء من الوغرة وهو شدة توقد الحر، ويهم بفتح فضم وتلظى تلهب وهند هي بنت عتبة والسوءة السوءاءالخلة القبيحة وأقحم اللواء أرسله في عجلة والأدبار جمع دبر وهو الظهر وثابت بمثلثة فألف فموحدة رجعت وبهم بضم ففتح جمع بهمة للفارس الذي لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه والهيجاء الحرب والفقعة بكسر الفاء فقاف فعين جمع فقاع بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف ضرب من الكمأة أبيض رخو يشبه به الرجل الذليل والقاع المكان المستوي والأسد بضم فسكون والغاب أجم الأسد والغ بالمعجمة أنظر الزرقاني.

وفي القاموس ان الفقع بالفتح ويكسر وجمعه كعنبة وفي الجوهري ان المفتوح جمع فقعه كجبأ وجبأة جمع الفقع بالكسر فقعة كقرد وقردة ويشبه به الرجل الذليل لأن الدواب تنجله بأرجلها انتهى.

وروي أن أبا سفيان لما مر به المسلمون قال يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما، فقال إنها النبوءة، فلما جاء قومه صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت شاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم والحميت بفتح المهملة

وكسر الميم وسكون التحتية ففوقية الزق، نسبته إلى السمن والدسم بدال فسين مكسورة، الكثير الودك، والأحمس بحاء وسين مهملتين الذي لا خير عنده؛ من قولهم عام أحمس أي لا مطر فيه (أنظر الزرقاني) فقال ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا قاتله الله، فما تغني دارك عنا. قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس في دورهم وإلي المسجد.

ولما انتهى عليه السلام إلى ذى طوى وقف على راحلته ووضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه بضم المهملة والنون بينهما مثلثة ساكنة أي لحيته ليكاد يمس رحله، ولما وقف هناك قال أبو قحافة لابنة له وقد كف بصره أظهريني على أبي قبيس فأشرفت به عليه فقال ما ذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا، قال تلك الخيل. قالت وأرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال ذلك الوزاع يعني الذي يأمر الخيل، ثم قالت والله انتشر السواد، فقال قد والله أذن، دفعت الخيل فاسرعي إلى بيتي فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته. ولما دخل عليه السلام المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه. قال أبو بكر هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه، فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال أسلم، فأسلم. ورآه صلى الله تعالى عليه وسلم وكأن رأسه ثغامة فقال غيروا من شعره ودخل يومئذ خالد بن الوليد من أسفل مكة من كدى بالضم والقصر وكان على المجنبة اليمنى وهو بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون المشددة كما في الزرقاني وكان أبو عبيدة على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد السين المهملة فراء وهم الذين لا دروع لهم وكون أبي عبيدة على الحسر رواه أحمد والنسائي وروى مسلم أن أبا عبيدة كان على البياذقة بفتح الموحدة وخفة التحتية فألف فذال معجمة فقاف فتاء تأنيث أي الرجالة، فارسية معربة، فلما دخل خالد من كدى وجد بها جموعا من بني بكر وناسا من هذيل ومن الأحابيش فقاتلوا خالدا ورموه بالنبل فقاتلهم فانهزموا، أقبح الإنهزام وقتل من بني بكر نحوا من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة

وعند ابن سعد والواقدي وقتل أربعة وعشرون رجلا من قريش ويحتمل الجمع بأنه من مجاز الحذف أي من حزب قريش حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة بفتح المهملة والواو وبينهما زاي ساكنة ثم راء فهاء تأنيث كانت سوقا بمكة ثم أدخلت في المسجد وهربوا حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال، ونظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى البارقة فقال ما هذه البارقةوقد نهيت عن القتال؟ فقالوا نظن أن خالدا قوتل وبدء بالقتال. قال ابن عقبة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد، لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال؟ فقال هم بدؤونا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت. فقال عليه السلام قضاء الله خير وقتل يومئذ من خيل خالد رجلان شذا عنه سلكا طريقا غير طريقه وهما حبيش بمهملة ثم موحدة ثم تحتية ثم معجمة كما رواه الأكثر وروي انه بمعجمة فنون فتحتية فمهملة والصواب الأول كما في الإصابة وهو مصغر على كلا الضبطين ابن الأشعري بشين معجمة وعين مهملة وهو لقب واسمه خالد بن سعد الخزاعي أخو أم معبد صاحبة قصة الهجرة وثانيهما كرز بضم الكاف وسكون الراء ابن جابر بن حسل بمهملتين بكسر فسكون ابن الأحب بمهملة مفتوحة فموحدة مشددة الفهري وكان من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرحه عليه السلام في بدر الأولى وأسلم قديما وبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم في أثر الرعبينيين وأصيب من خيل خالد أيضا سلمة بن الميلاء الجهني، ولما دخل عليه السلام مكة عهد إلي أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات ابن الحارث القرشي العامري وكان قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد وفر يوم الفتح إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له فزعموا أنه عليه السلام صمت طويلا ثم قال نعم. فلما انصرف عثمان قال لمن حوله لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل هلا أومأت إلي، فقال إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين. وأفاد سبط بن الجوزي أن

الرجل عباد بن بشر وقيل عمرو حسن إسلامه وكانت له ولله الحمد المواقف المحمودة في الفتوح، وهو الذي افتتح إفريقة ومنهم ابن خطل بفتح المعجمة وفتح الطاء المهملة قيل اسمه عبد الله وقيل هلال ورده القسطلاني واسم خطل عبد مناف من بني تميم ابن فهر، ذكر الواقدي ان ابن خطل خرج إلى الخندمة ليقاتل على فرس وبيده قناة فلما رءا خيل الله دخله الرعب حتى ما يستمسك من الرعدة فرجع حتى أتى الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه ودخل تحت استار البيت. فأمر عليه السلام بقتله فقتل وفي المواهب أن أصح ما ورد في تعيين قاتله انه أبو برزة بفتح الموحدة والزاي بينهما راء ساكنة نضلة بنون مفتوحة ومعجمة ساكنة ابن عبيد الأسلمي وقيل قتله الزبير وقيل اشترك فيه أبو برزة وسعيد بن حريث المخزومي وقيل استبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق إليه سعيد فقتله وإنما أمر عليه السلام بقتله لأنه كان مسلما فبعثه عليه السلام مصدقا وبعث معه رجلا من الأنصار وكان الأنصاري يخدمه فنزل منزلا فأمره أن يصنع له طعاما ونام فاستيغظ ولم يصنع شيئا فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا. ولأنه كان له أمتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وممن أمر بقتله أيضا قينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجوه عليه السلام والقينة الأمة غنت أم لا وكثيرا ما يطلق على المغنية، وهما فرتنا بفاء مفتوحة وراء ساكنة فمثناة فوقية فنون فألف وقريبة بالقاف والراء والموحدة مصغرا وضبطه الصغاني بفتح القاف وكسر الراء اسلمت إحداهما وقتلت الأخرى. ولغير ابن اسحاق أن فرتنا هي التي أسلمت ومنهم سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وهي التي وجد معها كتاب حاطب بن بلتعة وقيل كانت مولاة للعباس وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تغني به، ومنهم أرنب ذكر الحاكم أنها كانت مولاة لابن خطل فقتلت، ومنهم عكرمة ابن أبي جهل أسلم وحسن إسلامه روي انه هرب ليلقي نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته ام حكيم بنت عمه الحارث أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وروي أنه لما رجع معها جعل يطلب جماعها فتابى وتقول

أنت كافر وأنا مسلمة فقال ان أمرا منعك مني لا أمر كبير. فلما وافى مكة قال عليه السلام لأصحابه يأتيكم عكرمة مؤمنا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي، ومنهم الحويرث بالتصغير بن نقيد بنون وقاف مصغرا بن وهب بن عبد بن قصي كان يعظم القول في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وينشد هجاءه ولما حمل العباس فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نخس الحويرث الجمل بهما فرمى بهما الأرض وشارك هبارا في نخس جمل زينب لما هاجرت وقتله علي ومنهم مقيس بميم فقاف ثم سين مهملة ابن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة الليثي وكان أخوه هشام بن صبابة قد قتله رجل من الأنصار خطأ في غزوة ذي قرد يظنه من العدو فجاء مقيس المدينة مظهرا للإسلام فأخذ الدية فلما وجد غرة من قاتل أخيه عدا عليه فقتله ثم لحق بقريش مشركا فأهدر دمه وقتله نميلة تصغير نملة ابن عبد الله الليثي رجل من قومه فقالت اخت مقيس في ذلك:

لعمري لقد أخزى نميلة رهطه وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عينا من رأى مثل مقيس اذا النفساء أصبحت لم تخرس

ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح التحتية وآخره سين مهملة وخرس المرأة صنع لها الخرسة بالضم وهي طعام النفساء، ومنهم هبار بفتح الهاء وتشديد الموحدة بن الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ناخس جمل زينب وكان شديد الأذى للمسلمين، أسلم رضي الله تعالى عنه بالجعرانة ومنهم كعب بن زهير وأسلم بعد ذلك ومدح، ومنهم هند بنت عتبة ذكرها الحاكم فيمن أهدر دمه أسلمت فأتته عليه السلام بالأبطح وقالت الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم كشفت نقابها فقالت أنا هند بنت عتبة. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بك. ومنهم وحشي بن حرب أسلم وأتاه عليه السلام، قال فلما رآني، قال وحشي!؟ قلت نعم يا رسول الله! قال أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما أفرغت قال ويحك غيب وجهك عني، فكنت

أتنكب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله؛ ومنهم الحارث بن طلاطل الخزاعي قتله علي ذكره أبو معشر كذا في المواهب وشرحها وذكر غير واحد أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو جمعوا أناسا بالخندمة بالخاء المعجمة ونون جبل في أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئا من القتال فقتل ابن الميلاء من خيل خالد وقتل من المشركين اثنى عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا، وفي ذلك يقول جماش بن قيس بجيم مكسورة وميم مخففة وشين معجمة يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان يصلح سلاحه ويعدها أن يخدمها بعض المسلمين ويقول:

إن تقبلوا اليوم فما لي عله ... هذا سلاح كامل وأله
وذو غرارين سريع السله

ولما فر ولامته قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة ... إذ فر صفوان وفر عكرمه
أبو يزيد قائم كالمؤتمه ... واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ... ضربا فلا تسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه ... لم تنطقي باللوم أدنى كلمه

والآلة بفتح الهمزة الحربة العريضة النصل والسلاح وجميع أداة الحرب، وذو غرارين تثنية غرار بالكسر وهو حد السيف، والغمغمة أصوات الأبطال عند القتال، والنهيت الزئير والهمهمة تردد الزئير في الصدر، قاله في القاموس وقوله وأبو بقلب الهمزة وأبو يزيد سهيل بن عمرو والمؤتمة كمطفل امرأة لها أيتام وجمعها مئاتم والمؤتمة الأسطوانة قاله في الحلة السيرا ويروى هذا الشعر أي الأخير للمرعاش الهذلي.

وفي البخاري وغيره أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء زود بنسج من الدروع على قدر الرأس وفي مسلم أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء وكانت الخطبة عند باب الكعبة وجمع بينهما باحتمال أنه أول دخوله على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة، وان العمامة ملفوفة فوق المغفر إشارة للسؤدد أو كانت تحت المغفر، وقاية لرأسه الشريف

من صدا الحديد وفي البخاري عن أسامة انه قال قبل ان يدخل مكة بيوم يا رسول الله أين تنزل غدا في دارك بمكة؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل؟ وكان عقيل وارث أبا طالب هو وطالب ولم يرثه علي ولا جعفر، لأنهما كانا مسلمين وأخرجه الفاكهاني وقال في آخره ويقال ان الدار التي أشار إليها كانت دار هاشم ثم صارت لعبد المطلب فقسمها بين ولده ثم صار له صلى الله تعالى عليه وسلم نصيب إبيه اهـ

وقوله في دارك بحذف الاستفهام؟ وفي البخاري قال عليه الصلاة والسلام منزلنا إن شاء الله تعالى إذا فتح الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر أي في حال كفرهم أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم وحصروهم في الشعب يعني بالخيف المحصب، قال الحافظ والخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

وفي البخاري عن أم هانئ بنت أبي طالب انه عليه السلام يوم فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى الضحى ثمان ركعات ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته وأجارت ام هانئ حموين لها أي رجلين من أقارب زوجها وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي أي ابن أبي طالب فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا وأهلا بأم هانئ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ فالرجلان المذكوران الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية وقيل ثانيهما عبد الله بن أبي ربيعة، وأما ما روي من أنهما الحارث وهبيرة زوجها فليس بشيء لأن هبيرة هرب عند الفتح إلى نجران ومات بها مشركا، قاله الحافظ؛ ولما كان الغد من يوم الفتح في عشرين من رمضان قام عليه السلام خطيبا على باب البيت بعدما خرج منه بحمد الله ثم قال أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا إن الله تعالى قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما حلت لي

ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالأمس فاليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. قال اذهبوا فأنتم الطلقاء بضم الطاء وفتح اللام وقاف أي الذين أطلقوا فلم يفترقوا ولم يسترقوا والطليق الأسير إذا أطلق والمراد بالساعة التي أحلت له عليه السلام من طلوع الشمس إلى العصر قوله إن الله حرم مكة أي أظهر تحريمها للملائكة وإن لم توجد يومئذ لكن أرضها موجودة اذ هي أول ما وجد من الأرض فتحريمها أمر قديم وشريعة سالفة ولا ينافيه ما في مسلم ان ابراهيم حرم مكة فإن اسناد التحريم إليه من حيث انه بلغه ويسفك بكسر الفاء وقد تضم وهما لغتان والسفك صب الدم ويعضد بفتح التحتية وكسر المعجمة أي يقطع بالمعضد وهو آلة كالفاس قال الحافظ والمأذون له فيه القتال لا قطع الشجر وذكر الواقدي انه قبض مفتاح السقاية من العباس ومفتاح البيت من عثمان، وروى ابن أبي شيبة انه أتى بدلو من زمزم فغسل منها وجهه ما تقع منه قطرة إلا في يد إنسان إن كانت قدر ما يحسوها حساها وإلا مسح جلده والمشركون ينظرون، فقالوا ما رأينا ملكا قط أعظم من اليوم. قال في المواهب وقد أجاد العلامة الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة:

ويوم مكة إذ أشرفت في أمم ... تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها ... في قاتم من عجاج الخيل والإبل
وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب ... عرمرم كجناح الليل منسجل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم ... في بهو إشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب ... متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا ... ثوب الوقار لأمر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت ... بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما ... ملكت إذ نلت منه غاية الأمل
والأرض ترجف من زهو ومن فرق ... والجو يزهر إشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في أعنتها ... والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل
لولا الذي خطت الأقلام من قدر ... وسائق من قضاء غير ذي حول

أهل ثهلان بالتهليل من طرب وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت له النبوءة فوق العرش في الأزل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه كالأسد تزئر في أنيابها العصل
فويل مكة من اثار وطأته وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم طولا أطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقارمنه في خفر أرق من خفر العذراء في كلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به من كان عنه قبيل الفتح في شغل
وحل أمن ويمن منك في يمن لما أجابت الى الإيمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه بعزة النصر واستولى على الملل

قوله أشرفت أي علوت عليها وظهرت على أخذها، وتضيق بالتاء والياء، والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين والوعث بفتح الواو وسكون المهملة ومثلثة المكان الواسع الدهس بمهملة فهاء مفتوحتين فمهملة تغيب فيه الأقدام ويشق المشي فيه، والسهل بسكون الهاء وفتحها ضرورة ونسخة بضمتين جمع سهل ما لان من الأرض ولم يبلغ أن يكون وعثا، والإضافة بيانية؛ وخوافق بالجر بدل من أمم بتقدير الضمير أي منها والمراد راياتها من خفقت الراية تخفق بكسر الفاء وضمها أوْ صفة لأمم من خفق الأرض بنعله وخفق في البلاد ذهب، والبرق لمع والطائر طار فوصفها بسرعة السير ولمعان الحديد وصوت وقع الحوافر وبالرفع مبتدأ أي لها خوافق أي رايات أو خبر أي هي يعني الأمم، والذرع الواسع والخافقان المشرق والمغرب؛ وقاتم مغبر وعجاج بفتح المهملة أي غبار؛ والجحفل الجيش الزائد على أربعة آلاف. قال في المحكم إن كان فيه خيل وقذف الأرجاء بفتح القاف والذال المعجمة وبضمها أي متباعد النواحي واللجب بالتحريك كثرة الأصوات وعرمرم بفتح أوله وثانيه أي كثير العدد وشبهه بالليل في سده الأنف واسوداده

لكثرة السلاح، وفي نسخة كزهاء السيل بضم الزاي أي قدره ومنسحل بسين وحاء مهملتين اسم فاعل أي مسرع في سيره وتقدمهم بضم الدال أي تتقدم عليهم أي التقدم المعنوي لأنك الآمر المطاع لا الحسي لأنه قدم الكتائب أمامه؛ والبهو البناء العالي ومكتمل أي تام شبه جسده الشريف بالبناء المرتفع واستعار له اسمه وأضافه الى إشراق النور المحيط به أو استعار البهو للجيش وأراد بالنور ما علاه من البهاء والمعنى وأنت تقدمهم في جيش عظيم كالبناء المرتفع في عدم الوصول إليه وذلك البناء ذو نور مشرق وقوله عقدت بالبناء للمفعول أي أظهرت والأزل بالتحريك القدم والمجرور متعلق بعقدت وفوق العرش حال منه والمراد به مجرد التعظيم لأن النبوءة موجودة حقيقة في الأزل قبل وجود الأشياء فلا عرش وشعبت بفتح المعجمة والمهملة، أصلحت، والصدع الشق وشعوب بفتح المعجمة وضم المهملة علم للمنية لا ينصرف من شعب اذا فرق لأنها تفرق الجماعات فشعب من الأضداد وشعاب بالنصب جمع شعب بالكسر فيهما وقذفت أي رمت والقلل جمع قلة وهي هنا رأس الجبل وقالوا أي أهل مكة وزادت كثرت وتزأر تصوت والعصل بضمتين جمع أعصل وهو الناب الشديد المعوج وويل كلمة يعبر بها عن المكروه والجوى الحزن والهبل الثكل وقوله فجدت عفوا إلخ.. أي سهلا من غير كد في السؤال وقوله بفضل العفو أي ترك العقوبة مع القدرة عليها فمعنى العفو مختلف وتلمم من ألم بالشيء إذا دنا منه أو نال منه يسيرا يعني أنه عليه السلام لم يقابل أهل مكة باللوم فضلا عما فوقه بل صفح عنهم أي ترك عقابهم مع القدرة عليهم فهو بمعنى العفو وطوائلهم جمع طائلة أي عداوة وطولا بالفتح أي تفضلا ومنا وواشج بمعجمة وجيم أي مختلط وإضافته لأرحام من إضافة الصفة للموصوف أي أرحاما مختلطة وأتيح بالبناء للمجهول قدر ونائبه نشيج بفتح النون وكسر المعجمة وبالجيم وهو بكاء يخالطه شهيق والوشج بفتح الواو وكسر المعجمة وبالجيم ما نبت من القنا ملتفا وقيل عامة الرماح والمعنى ان الذين رحمتهم قرابتهم شديدة الاتصال بك فأزلت عنهم البكاء لما اشتد روعهم ووجلهم من سطوة جيشك والروع والوجل مترادفان واللطف بالتحريك وزان من الزينة وفاعله وقار

والخفر محركة شدة الحياء والكلل بكسر الكاف جمع كلة بكسرها أيضا وهو ستر رقيق ومحبورا منعما والمنتجب المتخير من أصل نجيب أي كريم والمقتبل المستقبل الخير على كسر الياء وبفتحها المقابل بالخير من قولهم رجل مقتبل الشباب أي لم ير فيه أثر كبر. وقوله ينير بضم التحتية أي يضيء النور المذكور فوق أغر الوجه أي أبيضه ومتوج لابس للتاج الذي تلبسه الملوك وهو شبه عصابة تزين بالجوهر ويسمو يعلو ومرتديا حال والوقار العظمة والسكينة وترجف بضم الجيم تهتز أي كادت تهتز، قال تعالى: {وبلغت القلوب الحناجر} أي كادت تبلغها إذ لو بلغتها لماتوا والزهو السرور والفرق الفزع فهي تهتز من أجل السرور بهذا الجيش لإزالته ما كان بها من الفساد ومن الفزع من صولته والجو ما تحت السماء ويزهر بفتح الهاء يضيء والجذل الفرح وتختال زهوا أي تتبختر في مشيتها كبرا وعجبا فتغاير معنى الزهو هنا مع ما سبق والأعنة جمع عنان بالكسر وهو سير اللجام والعيس الإبل البيض يخالط بياضها شقرة وتنثال بفتح الفوقية وسكون النون فمثلثة فلام تنصب من كل جهة ورهوا بالراء أي ذات رهو وهو السير السهل وقال الطرابلسي أي ساكنة أو متتابعة انتهى.

وكأن المراد بسكونها أنها انتصبت مطمئنة بلا فزع وثنى بكسر المثلثة وفتح النون والجدل بضمتين جمع جديل وهو الزمام المجدول أي المضفور وثني الجدل ما انثنى منها أي التوى على أعناق الإبل والزمام ما كان في الأفق وحولُ بكسر ففتح أي تغير وأهل بفتحات واللام ثقيلة أي رفع صوته وثهلان بمثلثة مفتوحة جبل معروف والتهليل قول لا إله إلا الله ويذبل كينصر اسم جبل والذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أي جفت وإذا قطعت كذلك كانت أجود وأصلب وتهليلا صياحا من أجل الفزع انتهى. وغالب التفسير للزرقاني وبعضه للقسطلاني.

ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الأنصار بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إليه فلما قضى الوحي قال يا معشر الأنصار، قالوا

لبيك يا رسول الله قال قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يا رسول الله قال فما اسمي إذاً؟ كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم المحيا محياكم والممات مماتكم، فأقبلوا إليه يبكون يقولون والله يا رسول الله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فإن الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم . الضن بكسر الضاد المعجمة وشد النون أي البخل والشح به، أي ان يشركنا فيه أحد غيرنا كما ضبطه الشامي ولعله الرواية وإلا ففتحها لغة أيضا ويعذرانكم بكسر الذال يقبلان عذركم وهم فضالة بفتح الفاء ابن عمير بن الملوح بضم الميم وفتح اللام والواو المشددة الليثي أن يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنى منه قال له عليه السلام أفضالة؟ قال نعم يا رسول الله. قال ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال لا شيء كنت أذكر الله. وضحك عليه السلام ثم قال استغفر الله ثم وضع يده المباركة على صدره، فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه، قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم إلى الحديث، فقلت لا. وانبعث يقول:

قالت هلم إلي الحديث فقلت لا	يابا على الله والإسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله	بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى واضحا	والشرك يغشى وجهه الإظلام

وطاف عليه السلام بالبيت سبعا على القصواء والمسلمون معه ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. وقيل يوم الاثنين. قال الزرقاني ولا عاضد له وكان حول البيت ثلاث مائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار إليه بقضيبه، وفي مسلم بسية القوس وهي بكسر المهملة وتخفيف التحتية ما عطف من طرفه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فيقع الصنم لوجهه وللطبراني فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة في الأرض قد شد لهم ابليس أقدامها بالرصاص فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته ولابن أبي شيبة عن عمر فما وجدنا مناخا في المسجد حتى أنزل على أيدي الرجال وصح عن ابن عمر قال أقبل

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء وهو يقرأ سورة الفتح يرجع صوته بالقراءة وهو مردف أسامة ومعه بلال وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم دعى عثمان بن طلحة فقال إئتني بالمفتاح فذهب إلى أمه سلافة بضم السين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء بنت سعيد الأنصارية وأسلمت بعد فأبت أن تعطيه المفتاح وعن الواقدي أنها قالت له واللات والعزى لا أدفعه إليك، فقال لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي، فأعطته إياه فجاء به إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ففتح الباب، وعثمان.هذا له صحبة وهجرة ولا ولد له وأبوه طلحة قتل بأحد كافرا ثم دفع المفتاح إلى عثمان وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. وقال القسطلاني ويقال له أي لعثمان الحجبي بفتح الحاء المهملة والجيم زاد في الفتح ولآل بيته بحجبهم الكعبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وشيبة هذا من مسلمة الفتح وهو ابن عم عثمان بن طلحة المتقدم وعثمان لا ولد له كما مرّ.

خاتمة:

قال أكثر العلماء ان مكة فتحت عنوة واحتجوا بما وقع التصريح به في الأحاديث الصحيحة من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وتصريحه عليه السلام بأنها أحلت له ساعة من نهار ونهيه عن التأسي به في ذلك. وعن الشافعي أنها وقعت صلحا بما وقع من التأمين ولإضافة الدور إلى أهلها ولأنها لم تقسم وأجيب بأن التأمين إنما يكون صلحا إذ كف المؤمن عن القتال وقريش لم تلتزم ذلك بل استعدوا للحرب وقاتلوا فقاتلهم الصحابة حتى هزموهم ودخلوها عنوة وأجيب عن الثاني بأن ترك القسمة لا يستلزم عدم العنوة وقد تفتح البلدة عنوة ويترك لهم دورهم وغنائمهم وقد فتح أكثر البلاد عنوة فلم تقسم وذلك في زمن عمر وعثمان وقد زادت مكة بأمر يمكن أن يدعى اختصاصها به دون بقية

البلاد وهي دار النسك ومتعبد الخلق وقد جعلها الله تعالى حرما سواء العاكف فيه والبادي أنظر فتح الباري والمواهب وشرحها، وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسع عشرة وروي خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة لأنه لم ينو إقامة، قال الكلاعي ومما قيل من الشعر في فتح مكة قول حسان، وذكر ابن هشام أنه قالها قبله:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر ... تعفتها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف ... يؤرقني إذا ذهب العشاء
بشعثاء التي قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيئة من بيت راس ... يكون مزاجها عسل وماء
إذا ما الاشربات ذكرن يوما ... فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسدا ما ينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات ... على اكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق ان نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد يسرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد ... سباء أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
ألا ابلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء
وكذلك ذكر موسى بن عقبة أن حسان قال هذا في مخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلي الفتح وأنه لما دخل مكة نظر إلى النساء يلطمن الخيل بالخمر فالتفت إلى أبي بكر رضي تعالى عنه فتبسم لقول حسان يلطمهن بالخمر النساء، السبيئة ككريمة الخمر وبيت رأس موضع بالشام تنسب إليه الخمر والمغث الخصام وكداء بالفتح والمد من أعلى مكة وهو الذي دخل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكدى بالضم والقصر من أسفلها وهو الذي دخل منه خالد ومن معه، وأما ما في مرسل عروة ان خالدا دخل من كداء بالفتح والمد من أعلاها وأنه عليه السلام دخل من أسفلها من كدى فهو مخالف للأحاديث الصحيحة المسندة في البخاري كما قاله الحافظ وغيره. وقوله الأسل أي الرماح وفي نسخة الأسد جمع أسد وتمطرت الخيل جاءت بعضها يسبق بعضا وأنكر الخليل غير يطلمهن بتقديم الطاء على اللام أي ينفضن بخمرهن ما عليهن من غبار ونحوه وفي القاموس، التطليم ضربك الخبزة بيدك ومنه قول حسان رضي الله تعالى عنه يطلمهن بخمر النساء ورواية يلطمهن أي بتقديم اللام ضعيفة أو مردودة أي تمسح النساء العرق عنهن بالخمر انتهى منه.
ومصغيات أي مميلات رؤوسهن كالمستمع، وعرضتها بالضم أي همتها، ونحكم بضم الكاف نرد ونمنع من حكمت الدابة بالتحريك وهي ما أحاط بحنكي الفرس من اللجام. وقال الشاعر:
أبني حنيفة احكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا
والمعنى انا نفحمهم فتكون قوافينا لهم كالحكمة للدابة، وقوله مغلغلة قال في القاموس ورسالة مغلغلة محمولة من بلد إلى بلد انتهى.
وبرح الخفاء ظهر أو ذهب فسر بهما وقوله ويمدحه أي ومن يمدحه. ومن شعر الفتح قول ابن الزبعرى رضي الله تعالى عنه:
منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني فيه فبت كأنني محموم

يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي اسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني أمر الغوات وأمرها مشؤوم
فاليوم آمن بالنبي محمد قلبي ومخطء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدي كلاهما زللي فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
الله يعلم ان أحمد مرسل مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن في الذرى وأروم

البلابل: الأحزان وكذا الهموم، والرواق ككتاب وغراب قال في القاموس هو من الليل مقدمه وجانبه انتهى.

ومعناه والله تعالى أعلم مكتنز الظلمة والبهيم الأسود والخطة بالضم شبه القصة والأمر والأواصر الأرحام والقرابات والأروم ويضم الأصل ثم بعد الفتح «**غزوة حنين**» بالتصغير كما في التنزيل وهو واد قرب ذي المجاز وهو سوق للعرب على فرسخ من عرفة بناحية كبكب كجعفر جبل وراء الخطيب إذا وقف وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف سمي باسم حنين بن قاين بن مهاليل وتسمى غزوة هوازن قبيلة كبيرة فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بمعجمة فمهملة مفتوحتين بن قيس عيلان، وسببها أنه عليه السلام لما فرغ من الفتح تمالأت هوازن وثقيف على حرب المسلمين وأشفقوا أن يغزوهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم وروى الواقدي أن هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب فأجمعت هوازن أمرها وكان رئيسهم مالك بن عوف وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة وأسلم بعد غزوة الطائف وصحب فخرج إليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اثنى عشر ألفا من المسلمين عشرة آلاف خرج بهم من المدينة وألفين ممن أسلم من أهل مكة قاله في المواهب والآلاف العشرة أربعة آلاف من الأنصار وألف من جهينة وألف من

مزينة إلى آخرها رواه أبو الشيخ قاله الزرقاني، قال الشامي وعلى قول عروة والزهري وابن عقبة يكون جميع من سار بهم أربعة عشر ألفا لأنهم قالوا أنه قدم مكة بإثنى عشر ألفا وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء قال شيخنا ولا يتعين بل يجوز أن الألفين الذين لحقوا به بعد خروجه من المدينة رجعوا بعد الفتح وبقي من خرج معه من المدينة وانضم إليهم ألفان من الطلقاء قاله الزرقاني.

ولما خرج استعمل عتاب بفتح المهملة والفوقية المشددة وبالموحدة ابن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون التحتية ابن أبي العيص بكسر المهملة ابن أمية الأموي بن عبد شمس. وخرج معه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وكان عليه السلام استعار منه مائة درع واستعار من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح ولما أرسل إلى صفوان يستعيره قال أغصبا يا محمد فقال بل عارية مضمونة حتى نردها إليك واختلفوا في قوله عارية مضمونة هل هو صفة موضحة أو مقيدة فمن قال بالأول قال تضمن إذا تلفت ومن قال مقيدة قال لا إلا بالشرط نقله الزرقاني. وروى الترمذي وغيره عن الحارث بن مالك خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بجاهلية وكانت لكفار قريش ومن سواهم شجرة عظيمة يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها فرأينا ونحن نسير سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر ثلاثا، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم، قال في المواهب فوصل صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمرهم أن يتفرقوا في العسكر فرجعوا إليهم وقد تفرقت أوصالهم أي مفاصلهم من الرعب، قال الزرقاني فقال ويلكم ما شأنكم؟ قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان أصابنا ما ترى والله ما نقاتل أهل الأرض ان نقاتل إلا أهل السماء، فإن

أطعتنا رجعت بقومك. فقال أف لكم بل أنتم أجبن أهل العسكر فحبسهم عنده وقال دلوني على رجل شجاع فأجمعوا له على رجل فخرج ثم رجع إليه قد أصابه كنحو ما أصاب من قبله قال ما رأيت؟ قال رأيت رجالا بيضا على خيل بلق ما يطاق النظر إليهم فوالله ما تماسكت أن أصابني ما ترى فلم يثن ذلك مالكا عن وجهه، وروى ابن اسحاق ان هوازن سألت دريد بن الصمة الرياسة عليها فقال وما ذاك وقد عمي بصري وما استمسك على ظهر الفرس ولكن أحضر معكم لأشير عليكم بشرط أن لا أخالف فقالوا لا نخالفك فجاء مالك بن عوف وكان جماع أمرهم إليه فقال لا نخالفك فقال دريد إنك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود ويومك هذا الذي تلقى فيه محمدا ما بعده يوم قال مالك إني لأطمع أن ترى ما يسرك فخرج مالك بالظعن والأموال وأقبل دريد فقال لمالك مالي أسمع بكاء الصغير ونهاق الحمير وخوار البقر قال أردت أن أجعل خلف كل انسان أهله وماله يقاتل عنهم فقال دريد راعي ضأن والله ما له وللحرب؟ وقال وهل يرد المنهزم شيئ انها ان كانت لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فارفع الأموال والنساء والذراري إلى ممتنع بلادهم ثم ألق القوم على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك أحرزت أهلك ومالك، فقال مالك والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك، فغضب دريد وقال يا معشر هوازن ما هذا برأيي ان هذا فاضحكم وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه. فسل مالك سيفه وقال إن لم تطيعوني لأقتلن نفسي، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر فقال بعضهم لبعض لئن عصيناه ليقتلن نفسه وهو شاب ونبقى مع دريد وهو شيخ كبير لا قتال معه فاجمعوا رأيكم مع مالك فلما رأى دريد أنهم خالفوه قال:

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاة صدع

وطفاء بفتح الواو وسكون المهملة وبالفاء والمد والزمع بفتح الزاي والميم صفة محمودة في الخيل انتهى كلام الزرقاني.

والصدع محركة من الأوعال والظباء الفتي الشاب القوي قاله في

القاموس ومعنى ليتني فيها جذع أي شاب وأضع أسرع كأوضع ثم إنه عليه السلام وجه عبد الله بن أبي حدرد بمهملات كجعفر الصحابي ابن الصحابي الأسلمي إلى هوازن فأقام فيهم يوما أو يومين وللواقدي أنه أي ابن حدرد سمع مالكا يقول لأصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قبل هذه المرة وإنما كان يلقى قوما لا علم لهم بالحرب فإذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا. قال محمد بن عبد الباقي قوله بعشرين ألف سيف صواب ويأتي تحقيقه اهـ.

وعند ابن أبي داود عن سهل بن الحنظلية الأنصاري الأوسي ممن بايع تحت الشجرة أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فأطنبوا السير أي بالغوا فيه حتى كان عشيته فجاء رجل فارس قال الحافظ هو ابن أبي حدرد فقال اني انطلقت من بين أيديكم حتى بلغت جبل كذا وكذا وإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله، قوله عن بكرة أبيهم بفتح الموحدة وسكون الكاف قاله ابن الأثير وغيره فهو الرواية هنا وفتح الكاف لغة وهي كلمة يراد بها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة حقيقة وهي التي يستقى عليها فاستعيرت هنا وكان المراد اجتماع بني أب على بكرة أبيهم التي يستقي عليها وظعنهم بضمتين أي نساءهم وأصل الظعينة الراحلة يظعن عليها أي يسار وسميت المرأة بذلك لأنها تظعن مع زوجها حيث ما ظعن ولأنها تحمل على الراحلة فهي من تسمية المحمول باسم الحامل وقيل الظعينة المرأة التي في الهودج ثم قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة ظعينة قاله القسطلاني والزرقاني وروى الحاكم وصححه عن أنس لما اجتمع الناس يوم حنين اعجبتهم كثرتهم فقال القوم اليوم والله نقاتل حين اجتمعنا فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قالوا وروي عن ابن اسحاق قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم لأن ظاهره الافتخار وعند ابن اسحاق أيضا انه عليه السلام قال لن نغلب اليوم من قلة قال الشامي والصحيح ان قائل ذلك غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم بغلته البيضاء وعند ابن سعد وغيره انها دلدل وفيه نظر لأن دلدل أهداها له المقوقس وفي مسلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة بضم النون وخفة الفاء ومثلثة الجذامي ولبس درعين والمغفر واستقبل الصفوف وبشرهم بالفتح ان صبروا ولما كان ثلث الليل الأخير عبأ مالك بن عوف أصحابه في واد حنين وهو واد أجوف ذو شعاب ومضايق وفرق الناس فيها وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحدة وعبأ صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ووضع الألوية والرايات في أهلها فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من الكثرة لأنهم أكثر من عشرين ألفا وذلك في غبش الصبح بالتحريك أي بقية ظلمته ولابن اسحاق في عماية الصبح بفتح المهملة وخفة الميم أي بقية ظلمته ولا ينافي هذا ما عند أبي داود عن أبي عبد الرحمن بن يزيد انه عليه السلام أتاه حين زالت الشمس قال ثم سرنا يومنا فلقينا العدو لأنه يجمع بينهما بأنهم ساروا بقية اليوم ونزلوا حنينا ليلا والتقوا بغبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وكانوا كامنين فيه فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة لحدوث عهدهم بالاسلام فقالوا أخذلوه وانهزم الناس قال الحافظ والعذر لمن انهزم من غير المؤلفة ان العدو أكثر من ضعفهم انتهى.

بل في النور أنهم كانوا أضعاف المسلمين وما في البيضاوي والبغوي من أن ثقيفا وهوازن كانوا أربعة آلاف لا ينافيه بأنهم انضم إليهم من العرب ما بلغوا به ذلك. قاله الزرقاني. واقتصر الثعالبي في تفسيره على أن جموع العدو بلغت ثلاثين ألفا نقله الوالد حفظه الله في الريان ولما رأى من معه من المؤلفة ما وقع تكلم رجال بما في قلوبهم فقال أبو سفيان بن حرب وكان إسلامه مدخولا لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وصرخ جبلة بن الحنبل وقيل كلدة بن الحنبل وأسلم بعد ألا بطل السحر

اليوم. فقال له أخوه لأمه صفوان بن أمية وهو حينئذ مشرك أسكت فض الله فاك لئن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن وقال شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة لما رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين ذكرت أبي وعمي قتلهما حمزة أي بأحد فقلت اليوم أدرك ثأري في محمد فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعباس قائما عليه درع بيضاء قلت عمه لن يخذله فجئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث فقلت ابن عمه لن يخذله فجئته من خلفه فدنوت منه فرفع إلي شواظ من نار فنكصت على عقبي فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا شيبة ادنه، فدنوت فوضع يده في صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصري فلهو أحب إلي من سمعي وبصري فقال لي يا شيبة قاتل الكفار، فقاتلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما انهزم المسلمون ثبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطفق يركض بغلته قبل العدو وثبت معه عمه العباس وابنه الفضل وعلي بن أبي طالب وابنا عمه أبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة وابن أبي سفيان واسمه جعفر وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد وأيمن بن أيمن وقتل يومئذ وأبوه عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال الخزرجي كذا نسبه سعد وابن منده وذلك أن أم أيمن بركة الحبشية تزوجت في الجاهلية عبيدا بمكة ثم نقلها الي المدينة وولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت الي مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذري وغيره، نقله الزرقاني وصرح البخاري في ذكر أسامة بن زيد بن حارثة ان أيمن هذا رجل من الأنصار قال في الفتح وأبوه هو عبيد بن عمرو بن بلال من بني الحبلى من الخزرج ويقال انه كان حبشيا من موالي الخزرج تزوج أم أيمن قبل زيد بن حارثة فولدت له أيمن واستشهد يوم حنين أيمن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نسب إلى امه لشرفها على أبيه، وشهرتها عند أهل البيت النبوي وتزوج زيد ابن حارثة ام أيمن فولدت له أسامة انتهى منه بلفظه.

وعلى أنه خزرجي اختصر القسطلاني في شرح البخاري ولفظه ونسب إلي أمه لأنها كانت أشهر من أبيه عبيد بضم العين ابن عمرو بفتحها ابن هلال الخزرجي الأنصاري ولشرفها بحضانته صلى الله تعالى عليه

وسلم انتهى.

وقوله لابن حجر ويقال انه حبشي هو قول ابن عبد البر والصواب الأول كما في الإصابة نقله الزرقاني. ففي اقتصار اليدالي على أنه حبشي مخالفة لمن رأيت وهو تابع للقسطلاني في المواهب والله تعالى أعلم.
وروى مسلم عن العباس شهدت يوم حنين فلزمته صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وأبو سفيان بن الحارث وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو وأبو سفيان آخذ بركابه وفي البخاري عن البراء بن عازب وسأله رجل أفررتم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فقال لا لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول:

أنا النبي لا كذب ... أنا بن عبد المطلب

وللبخاري في الجهاد فنزل أي عن البغلة فاستنصر وفي مسلم فقال اللهم أنزل نصرك وجمع بينما هنا وبين ما مر عن مسلم أن أبا سفيان كان آخذا بزمامها أولا فلما ركضها عليه السلام في نحر العدو خشي العباس فأخذ بلجامها يكفها وأخذ أبو سفيان بالركاب وترك اللجام للعباس إجلالا له لأنه عمه وفي مسلم عن البراء كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذيه يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المواهب قوله لا كذب فيه إشارة الي أن صفة النبوءة يستحيل معها الكذب وكأنه قال ولست بكاذب فيما أقول حتى انهزم بل أنا متيقن أن ما وعدني به الله تعالى من النصر حق لا يجوز علي الفرار وفي ركوبه عليه السلام للبغلة في موطن الحرب والطعن والضرب مع انها لا تصلح للكر ولا للفر وإنما هي من مراكب الطمأنينة دلالة على نهايته في الشجاعة وثبات القلب والتوكل على الله تعالى

وأن الحرب عنده كالسلم وقوله أنا ابن عبد المطلب إنما انتسب لجده لأن شهرته بجده كانت أكثر من شهرته لأبيه، لأن أباه توفي شابا في حياة عبد المطلب وشهرة جده ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وليس هذا بشعر وإن كان متزنا إذ لم يقصد عليه السلام وزنه، وعند ابن أبي شيبة لم يبق معه عليه السلام إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل أي بقتل الملائكة على المتبادر.

وفي الترمذي عن ابن عمر لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولون وما مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مائة رجل وقال الحافظ هذا أكثر ما وقفت عليه في عدد من ثبت. وروى أحمد والحاكم أنه ثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار وللنووي أنه ثبت معه إثنى عشر وممن ذكر الزبير بن بكار أنه ثبت معه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وشيبة بن عثمان الحجبي وعند الواقدي وغيره أبا دجانة وأبا طلحة وحارثة بن النعمان وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير وأبا بشر المازني وأم سليم وغير ذلك.

قال في المواهب وقع في شعر عباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط لقوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

وأقشعوا أي انكشفوا، مطاوع قشع متعديا، وعاشرنا أيمن بن عبيد كما في الاستيعاب قاله الزرقاني، وحصل فيمن ثبت خمسة أقوال أربعة دون مائة إثنى عشر ثمانون مائة رواه البيهقي. وفي الزرقاني عن الحافظ أنه قال لعل هذا يعني العشرة التي ذكر العباس هو المثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل الرجوع فعد فيمن لم ينهزم، انتهى.

وقبل البيتين المتقدمين:

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي بواد حنين والأسنة تشرع

ولما انكشف المسلمون أمر عليه الصلاة والسلام العباس وكان صيتًا قيل كان يسمع صوته من ثمانية أميال فقال يا عباس نادي يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي بايعوه تحتها بيعة الرضوان يا أصحاب سورة البقرة وخصت بالذكر حين الفرار لتضمنها كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة أو لتضمنها أوفوا بعهدي أوفي بعهدكم، أو ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، قاله الزرقاني. فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها حتى نزل صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه في حرجة بفتح المهملة والراء وبالجيم شجر ملتف. قال العباس فلرماح الأنصار كانت أخوف عندي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من رماح الكفار أخرجه البيهقي أي خاف أن يصيبه منها شيء بغير قصد لشدة عطفهم عليه. وفي رواية فأجابوا لبيك لبيك، فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار وعند ابن إسحاق حتى إذا اجتمع عليه مائة منهم استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوى للانصار ثم خلصت أخيرا للخزرج وكانوا صبرا عند الحرب فأشرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس، والوطيس التنور يخبز فيه يضرب مثلا بعد نطقه به عليه السلام إذ هو أول من نطق به كما صرح به غير واحد من شدة الحرب التي يشبه حرها حره وتناول عليه السلام حصيات من الأرض ثم قال شاهت الوجوه أي قبحت خبر بمعنى الدعاء ورمى بها في وجوه المشركين، زاد مسلم ثم قال انهزموا ورب محمد. فما خلق اللهم منهم إنسانا إلا ملأ عينيه من تلك القبضة بضم القاف الشيء المقبوض وهو المناسب هنا. قال البرهان ويجوز فتحها فما رجع الناس إلا والأسرى عنده صلى الله تعالى عليه وسلم مكتفون وروى البيهقي والطبري وغيرهما عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا اكتافنا. وفي رواية وكانت إياها أي الهزيمة، وفي سيرة الدمياطي كان سيمى الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين اكتافهم وفي رواية عمائم خضر فيحتمل ان بعضها حمر وبعضها خضر، وعن جبير بن مطعم رأيت قبل هزيمة القوم أي المشركين والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ولم يكن إلا هزيمة القوم والبجاد بكسر الموحدة والجيم الخفيفة آخره دال مهملة الكساء، وجمعه بجد أراد أن الملائكة لكثرتهم واختلاط بعضهم ببعض صاروا كالبجاد المتصل أجزاؤه بنسجه. وعن شيوخ من الأنصار رأينا يومئذ كالبجد السود هوت من السماء ركاما فإذا نمل مبثوث فإن كنا ننفضه عن ثيابنا فكان نصر الله أيدنا به، ولعل نزولهم في صورة النمل ليظهروا للمسلمين فسألوا عنهم ويتوصلوا بذلك للعلم لأن ذلك من معجزاته عليه السلام، نقله الزرقاني.
وروى أحمد والحاكم والبيهقي برجال ثقاة عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله تعالى عليهم السكينة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما فجادت به صلى الله تعالى عليه وسلم بغلته فمال السرج، فقلت ارتفع رفعك الله، فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب فولى المشركون الأدبار والسكينة الطمأنينة وجادت بغلته لعل معناه خرجت عن الاستقامة قاله الزرقاني.

وروى البخاري في التاريخ عن عمرو بن سفيان قال قبض صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين قبضة من الحصي فرمى بها وجوهنا فما

خيل لنا إلا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا انتهى.
ولما ثبت معه صلى الله تعالى عليه وسلم من ثبت، كان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح أمام هوازن إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فبينما هو كذلك إذ أهوى إليه علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار فأتى علي من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه وضرب الأنصاري الرجل ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، وحدث أنس أن أبا طلحة يوم حنين استلب عشرين رجلا ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم ذو الخمار ولما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة فقاتل بها حتى قتل فقال عليه السلام أبعده الله فإنه كان يبغض قريشا وكانت راية الأحلاف مع قارب ابن الأسود، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يقتل غير رجلين يقال لأحدهما وهب، وللآخر الجلاح، فلما قتل الجلاح قال عليه السلام قتل اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من أمر هنيدة يعني الحارث بن أوس، ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وتبعت خيله صلى الله تعالى عليه وسلم من سلك في نخلة فأدرك ربيعة بن رفيع بالفاء مصغرا دريد بن الصمت فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، فإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ما تريد؟ قال أقتلك. قال ومن أنت؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال بئس ما سلحتك أمك. خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أضرب ثم إذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمت، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك، ولما ضربه تكشف فإذا بطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل اعراء فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها، فقالت أما والله لقد اعتق أمهات لك ثلاثا، وقالت عمرة بنت دريد ترثي أباها:

قالوا قتلنا دريدا، قلت قد صدقوا — فظل دمعي على السربال ينحدر
لولا الذي قهر الأقوام كلهم — رأت سليم وكعب كيف يأتمروا

اهـ من الاكتفاء. وفي الزرقاني أن ربيعة أدرك دريدا في ست مائة

نفس فقتله فيما جزم به ابن إسحاق. قال وروى البزار بإسناد حسن عن أنس لما انهزم المشركون انحاز دريد في ستمائة نفس على أكمة فرأوا كتيبة فقال حلوهم لي أي صفوهم، فحلوهم، فقال هذه قضاعة ولا بأس عليكم منها.

ثم رأوا كتيبة مثل ذلك، فقال هذه سليم، ثم رأوا فارسا وحده فقال حلوه لي، فقالوا معتجر بعمامة سوداء، فقال هذا الزبير بن العوام وهو قاتلكم ومخرجكم عن مكانكم، فالتفت الزبير فرآهم فمضى إليهم وتبعه جماعة فقتلوا ثلاثمائة وحز رأس دريد بن الصمت فجفلوا بين يديه فيحتمل أن ربيعة كان في جماعة الزبير، فباشر قتله فنسب إلى الزبير مجازا نقله الزرقاني عن الحافظ، قال في المواهب: واستشهد من المسلمين أربعة منهم أيمن ابن أم أيمن وقتل من المشركين أكثر من سبعين، قال الزرقاني أي وقت الحرب فلا ينافي حديث البزار السابق، انتهى.

وبقيتهم يزيد بن زمعة بن الأسود بن مطلب بن أسد، جمح به فرسه، الجناح بلفظ جناح الطائر فقتل وسراقة بن الحارث الأنصاري وأبو عامر الأشعري كما عند ابن إسحاق وعند ابن سعد بدل يزيد بن زمعة، رقيم بضم الراء وفتح القاف ابن ثعلبة بن زيد بن لوذان بضم اللام وسكون الواو وذال معجمة لكن ابن اسحاق ذكره فيمن استشهد بالطائف، انتهى.

وذكر ابن إسحاق أن مالك بن عوف النصري بالصاد المهملة نسبة الى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو رئيسهم لما وصل إلى ثقيف منهزما وجاءه عليه السلام وفد هوازن فسألهم عنه، فقالوا هو مع ثقيف فقال أخبروه انه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فأوتي مالك بذلك فركب مستخفيا فأتاه فرد عليه أهله وماله وأعطاه المائة وأسلم وحسن إسلامه، وقال:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي	ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عودت أنيابها	بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد

فاستعمله عليه السلام على من أسلم من قومه وتلك القبائل فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه. انتهى المراد من كلامه.

وبعث عليه السلام عبيد بن سليم بالتصغير فيهما ابن حضار بفتح المهملة وشد المعجمة فألف فراء أبا عامر الأشعري وهو عم أبي موسى عبد الله بن قيس حين فرغ من حنين، في طلب من فرّ من هوازن إلى أوطاس بفتح الهمزة وسكون الواو وطاء وسين مهملتين وهو واد في ديار هوازن وهناك عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين، قال الحافظ والراجح ان وادي أوطاس غير واد حنين ويوضحه أن ابن إسحاق ذكر أن هوازن لما انهزموا صارت فرقة إلي الطائف وطائفة إلى نخلة وطائفة إلى أوطاس، وكان مع أبي عامر سلمة بن الأكوع الفارس المشهور، فانتهى إليهم أبو عامر فإذا هم مجتمعون، فقاتلوه فقتل منهم أبو عامر نفسه تسعة أخوة مبارزة، بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام، ويقول اللهم اشهد عليه، ثم برز له العاشر معلما بعمامة صفراء فدعاه إلى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه، فقال اللهم لا تشهد علي. فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه.

وكان عليه السلام إذا رآه يقول هذا شريد أبي عامر بالراء، كذا ذكر ابن هشام عن من يثق به وجزم الواقدي بأن العاشر لم يسلم، وأنه الذي قتل أبا عامر وعلى الأول فاختلف فيمن قتل أبا عامر رضي الله عنه.

فقيل رماه ابنا جشم بن معاوية وهما العلاء بفتح المهملة وأوفى فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه فقتلهما أبو موسى الأشعري، وقيل أن أبا عامر قتله سلمة بن دريد بن الصمت فقتله أبو موسى وخلف أبا عامر أبو موسى في استخلافه، فقاتلهم حتى فتح الله عليه وظفر المسلمون بالسبايا والغنائم وكان في السبي الشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية ويقال فيها الشماء بلا ياء بنت الحارث بن عبد العزى واسمه جدامة بضم الجيم ودال مهملة وميم أو خذافة بضم الحاء المهملة وذال معجمة فألف ففاء أو خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة أخته عليه السلام من الرضاعة، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان

قدرتم على بجاد رجل من بني سعد فلا يفلتنكم، وكان أتاه مسلم فقتله وقطعه عضوا عضوا، ثم أحرقه بالنار فظفروا به فساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء وأتعبوها بالسير، فقالت تعلمون والله أني أخت صاحبكم فلم يصدقوها فلما انتهوا بها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت يا رسول الله إني أختك، قال وما علامة ذلك؟ قالت عضة عضضتنيها وأنا متوركتك، فعرف العلامة فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه ورحب بها ودمعت عيناه، وقال لها إن أحببت فعندي محببة مكرمة وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت، فقالت بل تمتعني وتردني الي قومي فأسلمت ومتعها عليه السلام وردها إلى قومها وأنزل الله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم إلى قوله وذلك جزاء الكافرين، ثم جمعت له صلى الله تعالى عليه وسلم سبايا أهل حنين وأموالهم فأمر بها الى الجعرانة فحبست بها حتى أدركها منصرفه من الطائف ويأتي ذكرها إن شاء الله، وقال العباس بن مرداس السلمي في يوم حنين:

عفى مجدل من أهله فمتالع ... فمطلى أريك قد خلى فالمصانع
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا ... رخي وصرف الدهر للحي جامع
حبيبية ألوت بها غربةالنوى ... لبين فهل ماض من العيش راجع
فإن تتبعي الكفار غير ملومة ... فإني وزير للنبي وتابع
دعانا إليهم خير وفد علمتهم ... خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم ... لبوس لهم من نسج داوود رائع
يبايعه بالأخشبين وإنما ... يد الله بين الأخشبين نبايع
فجسنا مع المهدي مكة عنوة ... بأسيافنا والنقع كابن وساطع
علانية والخيل يغشى متونها ... حميم وآن من دم الجوف ناقع
ويوم حنين حين سارت هوازن ... إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادي منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا ... لواء كخذروف السحابة لامع
عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيف رسول الله والموت كانع
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ... مصالا لكنا الأقربين نتابع

ولكن دين الله دين محمد رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا وليس لأمر حمه الله دافع

مجدل كمنبر موضع ومتالع بالضم جبل والمطلى بكسر الميم ويمد المسيل الضيق أو الأرض السهلة وأريك كأمير واد، وغربة بفتح المعجمة وسكون الراء فموحدة فتاء تأنيث البعد، قاله البناني. وجسنا ترددنا خلال دورها، وخذروف السحاب كعصفور البرق اللامع؛ واعتص بالسيف ضرب به ضرب العصى؛ وقوله نذود أخانا إلخ.. يريد ان سليم من قيس كما أن هوازن من قيس أي نقاتل أخواننا من هوازن عن اخواننا من سليم ولو نرى في الدين مصالا مفعلا من الصولة لكنا مع الأقربين يعني هوازن.

وفي البخاري عن أبي موسى الأشعري بعثني يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته قال أبو موسى فقلت له يا عم من رماك فأشار إلي فقال ذلك قاتلي الذي رماني.

فلحقته فلما رآني ولى فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي، ألا تثبت، فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته فقلت لأبي عامر قتل الله قاتلك، قال فأنزع السهم مني فنزعته منه فنزى منه الماء قال يابن أخي اقرئ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مني السلام وقل له يستغفر لي ثم مات فرجعت فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر ودعى بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال اللهم أغفر لعبيد أبي عامر، ورأيت بياض أبطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيامة في الجنة فوق كثير من خلقك. فقلت ولي فأستغفر، قال اللهم أغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما.

ثم بعد حنين «**غزوة الطائف**» وقدمها الناظم في البيت السابق لأنه لم يقصد ترتيب الغزوات وهو بلد كبير على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق، كثير الأعناب والفواكه، قاله في المواهب.
قال الزرقاني ولك الجمع بأن الثلاث من عمران مكة والاثنتين من آخر ما ينتهي إليها من توابعها المنسوبة إليها انتهى.
سمي بذلك لأنه طاف على الماء في الطوفان ولأن جبريل طاف بها على البيت، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله إلى الحجاز بدعوة إبراهيم، أو لأن رجلا من الصدف أصاب دما بحضرموت ففر إلى وج وحالف مسعود بن معتب وكان له مال عظيم فقال هل لك ان نبني طوفا عليكم يكون لكم ردء من العرب؟ فقالوا نعم. فبناه وهو الحائط المطيف به. قاله في القاموس.
وقال في المواهب وقيل إن أصلها أي سبب تسميتها بذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع جنة أصحاب الصريم فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف، وكانت أولا بنوا حي صنعاء، قال الزرقاني وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى بزمن يسير ذكر هذا النقاش وغيره. وفي الروض قيل وج هو الطائف، وقيل اسم واد بها ويشهد له قول الشاعر:
أتهدي لي الوعيد ببطن وج كأني لا أراك ولا تراني
ويقال بتخفيف الجيم والصواب تشديدها، ويقال وج وأج بالهمز بدل الواو، قاله يعقوب. انتهى.
وعلى التشديد اقتصر القسطلاني وواوه مفتوحة سميت برجل من العمالقة وهو أول من نزلها، قاله في الفتح، قال الكلاعي ولما قدم فلّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم وصنعوا الصنائع للقتال، ولم يشهد حنينا ولا الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن مسلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق؛ ثم سار صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين اهـ المراد منه.

والدبابة مشددة آلة للحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون فيها إلى الحصون فينقبونها. وسار عليه السلام إليها فى شوال سنة ثمان، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته فى ألف من أصحابه، قال فى المواهب وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف، ورموه بالتشديد أي أصلحوه، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤوا للقتال؛ انتهى.

فدنى خالد من الحصن فدار به ثم نادى بأعلى صوته ينزل إلى أحدكم أكلمه وهو آمن، أو اجعلوا لي مثل ذلك وأدخل عليكم، فقالوا لا ينزل إليك رجل منا ولا تصل إلينا، إن صاحبكم لم يلق قوما يحسنون قتاله غيرنا.

قال خالد فاسمعوا من قولي، نزل صلى الله تعالى عليه وسلم بأهل الحصون يشرب وخيبر وأنا أحذركم مثل يوم قريظة حصرهم أياما ثم نزلوا على حكمه، فقتل مقاتلهم فى صعيد واحد وسبى الذرية ثم فتح مكة وأوطأ هوازن فى جموعها. قالوا لا نفارق ديننا. وكانت ثقيف أدخلت معها عقيلا وغيرهم من العرب، قال فى المواهب ومرّ صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريقه بقبر أبي رغلان وهو أبو ثقيف فاستخرج منه غصنا من ذهب اهـ وكان يتوكأ عليه كما فى الزرقاني.

وروي ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عمر أنه عليه السلام قال هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف وكان من ثمود بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه اهـ وليس أبو رغال هذا هو دليل ابرهة لما مرّ بالطائف فإن بين مولده عليه السلام وهلاك ثمود ألوفا، وسار عليه السلام حتى نزل قريبا من حصنهم ولا مثل له فى حصون العرب، فرمت ثقيف المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد بكسر الراء وسكون الجيم وهو الجماعة الكثيرة، فأصيب قوم من المسلمين بجراحة، واستشهد منهم اثنى عشر رجلا، منهم عبد الله بن أبي أمية أخو أم سلمة لأبيها، وسعيد بن سعيد

بن العاصي الأموي، وعرفطة بضم المهملة وسكون الراء وضم الفاء وطاء مهملة بن حباب بضم المهملة وخفة الموحدة عند ابن عقبة وابن هشام. ولابن اسحاق انه ابن جناب بجيم ونون الأزدي ومنهم عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بني مخزوم والسائب وعبد الله ابنا الحارث بن قيس السهمي، وجليحة بضم الجيم وفتح اللام وسكون التحتية وحاء مهملة بن عبد الله ومن الأنصار ثابت بن الجزع بفتح الجيم والمعجمة ومهملة السلمي والحارث بن سهل والمنذر بن عبد الله ورقيم بن ثابت ذكره هنا ابن إسحاق وذكره ابن سعد فى شهداء حنين ويزيد بن زمعة بن الأسود الأسدي ذكره ابن سعد هنا، وأما ابن اسحاق فعده فى شهداء حنين وهو الذى تقدم. ورمى عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بسهم فاندمل جرحه ثم نقض بعد ذلك فمات فى خلافة أبيه رضي الله عنهم أجمعين، وعده ابن اسحاق وأتباعه فى الاثنى عشر وأسقط منهم يزيد بن زمعة، كما مر، لكن عبد الله ليس بشهيد لبقائه بعد الحرب مدة طويلة كما قاله المالكية، والشافعية، وارتفع عليه السلام بعد قتل هؤلاءإلى موضع مسجد الطائف اليوم الذى بناه عمرو بن أمية بن وهب بن معتب لما أسلمت ثقيف، وكانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع عليها الشمس يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض أكثر من عشر مرات بنون وقاف وتحتية ومعجمة أي صوت، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب وضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين فى مدة حصارهم كلها، وهي ثمانية عشر أو خمسة عشر يوما؛ وروي بضعا وعشرين. وروى مسلم عن أنس أنهم حاصروهم أربعين ليلة اهـ.

ونصب عليهم المنجنيق بفتح الميم وتكسر وميمه أصلية والنون زائدة ولذا حذفت فى الجمع وهو معرب وهو أول منجنيق رمي به فى الإسلام، وكان قدم به الطفيل الدوسي لما رجع من سرية ذي الكفين. وذكر ابن إسحاق ان المسلمين دخلوا فى دبابة وهي من جلود البقر يوم الشدخة فيما شدخ فيه من الناس ثم زحفوا بها إلى جدار الحصن ليحفروه،

فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة بالنار فأحرقت الدبابة، فخرج المسلمون من تحتها وقد أصيب منهم من أصيب؛ فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بقطع أعنابهم، ونخيلهم وتحريقها فقطعها المسلمون قطعا ذريعا ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إني أدعها لله وللرحم، أي لأن أمه آمنة أمها برة بنت عبد العزى بن قصي، وأم برة هذه أم حبيب بنت أسعد وأمها برة بنت عوف وأمها قلابة بنت الحارث وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف، قاله ابن قتيبة، قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي، ثم نادى مناديه عليه السلام أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، قال الدمياطي فخرج منهم بضعة عشر رجلا، المنبعث وكان اسمه المضجع، فسماه عليه السلام المنبعث عبد عثمان بن عامر والأزرق عبد كلدة بفتح فسكون ويحنس بضم التحتية وفتح المهملة، والنون المشددة والسين المهملة، النبال عبد يسار بن مالك وأسلم بعد، فرد إليه ولاءه، وابراهيم بن جابر عبد خرشة بفتح المعجمتين والراء بينهما ويسار عبد عثمان بن عبد الله، ونافع عبد غيلان بن سلمة فلما أسلم غيلان رد عليه الصلاة والسلام إليه ولاءه، ونافع بن مسروح ومرزوق غلام لعثمان بن عبد الله، والأزرق أبو عتبة وأبو بكرة، عبد الحارث بن كلدة بفتحتين قاله الزرقاني.

ولما أسلمت ثقيف تكلمت أشرافهم منهم الحارث بن كلدة في أولئك العبيد ليردوهم إلى الرق فقال عليه السلام أولئك عتقاء الله لا سبيل إليهم، لكنه رد ولاء بعضهم إلى ساداتهم، ثم ان خولة بنت حكيم السلمية زوجة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله اعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان، أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف. وأمر عمر بن الخطاب أن يؤذن بالرحيل، فأذن بالرحيل، فضج الناس من ذلك فقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف، فقال عليه السلام فاغدوا على القتال، فغدوا فأصاب المسلمين جراحات ولم يفتح

لهم فقالوا يا رسول الله احرقتنا نبال ثقيف فادعو الله عليهم فقال اللهم اهد ثقيفا وإئت بهم وفي رواية زيادة مسلمين قال صلى الله تعالى عليه وسلم إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك، وفقئت يومئذ عين أبي سفيان بن حرب، وذكر ابن سعد أنه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له وهي في يده هذه عيني أصيبت في سبيل الله، فقال إيهما أحب إليك عين في الجنة أي عين ماء لا الباصرة أو أدعو الله أن يردها عليك. قال بل عين في الجنة ورمى بها.

وروى القزويني أن أبا جهل لطم فاطمة فشكت إلى أبيها صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها ايت أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل، فقال الطميه كما لطمك، ففعلت، فجاءت إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لأبي سفيان.

قال ابن عباس ما شككت أن إسلامه إلا لدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره السيوطي وشهد أبو سفيان اليرموك، تحت راية ابنه يزيد فقاتل وفقئت عينه الأخرى، رضي الله تعالى عنه. وقد أجاب الله تعالى دعاءه لثقيف، فجاؤوا مسلمين سنة تسع، ولما انصرف عليه السلام من الطائف، نزل بالجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وقد تكسر وتشدد الراء وكان حين خرج من حنين قد أمر بجمع الغنائم إليها وحبسها بها حتى قدم فقسم الغنائم بها، بعد ان استأنى بقسمها بضع عشرة ليلة كما في الصحيح، ينتظر قدوم هوازن مسلمين، وقدم عليه هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان معي من ترون، وقد استأنينا بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسمت السبي فاختارو إما السبي وإما المال، فاختاروا السبي وكلم عليه السلام الناس في رد سبيهم عليهم فردوهم كلهم إلا عيينة بن حصن فأبى أن يرد عجوزا عنده قال هذه أم الحي لعلهم أن

يغلوا فداءها؛ ثم ردها بست قلائص على ما لابن إسحاق. وروي البيهقي عن الامام الشافعي انه ردها بلا شيء. وذكر بن سعد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كسى كل واحد من السبي قبطية؛ وقال ابن عقبة كساهم ثياب المعقد بضم الميم وفتح العين وشد القاف، ضرب من برود هجر، وفى الاكتفاء أن عيينة لما امتنع من رد العجوز قال زهير بن صرد والله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد أي ولا لبنها بعزيز فردها بست فرائض حين قال له ذلك.

وأعطى صلى الله تعالى عليه وسلم المؤلفةقلوبهم وكانوا أشرافا يتألفهم ويتألف قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية وكل هؤلاء من أشراف قريش والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف النصري أعطى كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم، مائة بعير وأعطي دون المائة رجالا من قريش منهم مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب وأعطي سعيد بن يربوع المخزومي وعدي بن قيس السهمي خمسين خمسين، وأعطى عباس بن مرداس أباعير فسخطها وقال يخاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

وكانت نهابا تلافيتها	بكرى على المهر فى الأجرع
وإيقاظي القوم ان يرقدوا	إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقرع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرء	فلم يعط شيئا ولم أمنع
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرء منهما	ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اقطعوا عني لسانه. فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه. انتهى من الاكتفاء.

وزاد الزرقاني ممن أعطاه مائة أسيد بفتح فكسر بن جارية بجيم

وتحتية الثقفي، وفيه أنه أعطي العباس بن مرداس دون مائة فلما قال الأبيات أتم المائة له، وعزاه لمسلم وغيره وزاد الزقاني أيضا ممن أعطاه مائة يزيد بن أبي سفيان، وقال إنه أعطاه معها أربعين أوقية، وكذا أخوه معاوية وكذا أبوهما، وأعطى النضير بمعجمة مصغرا ابن الحارث مائة بعير أيضا.
وفي مسلم أنه أعطى لصفوان مائة من النعم، ثم مائة ثم مائة، وقال الواقدي يقال ان صفوان طاف معه صلى الله تعالى عليه وسلم يتصفح الغنائم إذ مرّ بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر إليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟ قال نعم. قال هو لك بما فيه. فقال صفوان أشهد أنك رسول الله، ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي انتهى المراد منه.
ولما أعطى هذه العطايا قال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم وحدث بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم بفتح الهزمة والدال جلد مدبوغ ولم يدع معهم غيرهم ثم قال لهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى رحالكم؟ بالمهملة أي بيوتكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. ثم قالوا يا رسول الله قد رضينا.
وروي أنهم بكوا حتى أخضلوا لحاهم. وفي البخاري عن جبير بن مطعم بينما أنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه الناس مقفله بفتح الميم وسكون القاف وفتح الفاء أي زمن رجوعه من حنين علقت بفتح العين وكسر اللام الخفيفة فقاف، برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي لزمته الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فقال الحافظ شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب، ويقال هي شجرة الطلح، فخطفت رداءه فوقف عليه السلام وقال

اعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا، وفى المواهب أن السبي ستة آلاف رأس من النساء والأطفال والإبل أربعة وعشرون ألف بعير وان الغنم أكثر من أربعين ألفا، والفضة أربعة آلاف أوقية قال الزرقاني ولم يذكر عدد البقر، والحمير مع أنهما كانا معهم أيضا.

ولنذكر قصة قدوم هوازن عليه، عليه الصلاة والسلام

وكان وفد هوازن أول الوفود والوفد الجماعة المختارة للقدوم فى لقاء العظماء قاله النووي وأقره في المواهب، قال الزرقاني وكأنه استعمال عرفي وإلا ففى اللغة القادم مطلقا، ذكر ابن عقبة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما انصرف من الطائف ووصل إلى الجعرانة فى الليلة الخامسة من ذي القعدة وفيها سبي هوازن قدم عليه وفد هوازن مسلمين وفيه تسعة من أشرافهم فبايعوا، ثم قالوا يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات لك فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فأي الأمرين أحب إليكم؟ السبي أم المال؟ قالوا أخيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا. ولا نتكلم فى شاة ولا بعير. فقال أما الذى لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم وأظهروا إسلامكم. وفى رواية غيره وقالوا إنا إخوانكم فى الدين، وإنا نستشفع برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المسلمين فتكلم خطباءهم فأبلغوا فيه ورغبوا المسلمين فى رد سبيهم ثم قام صلى الله تعالى عليه وسلم حين فرغ وشفع لهم وحض المسلمين وفى رواية أنهم قالوا له إنا أهل وعشيرة فقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك.

وقام خطيبهم وهو زهير بالتصغير بن صرد السعدي الجشمي أبو جرول ويقال أبو صرد فقال يا رسول الله إن اللواتي فى الحظائر جمع حظيرة

وهي السرب الذى يصنع للإبل والغنم يكفها، وكان السبي فى حظائر مثلها، خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وأنت خير مكفول، ولو أنا ملحنا أي أرضعنا والملح الرضاع للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذى نزلت رجونا عطفه، وأنت خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

أمنن علينا رسول الله فى كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر
أمنن علي ببيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها فى دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرحم الناس حلما حين تختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك يملاؤه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفوا منك نلبسه ... هاد البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفى الله عن ما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال: فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الشعر، قال: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا؛ وقال عيينة أما أنا وبنو فزارة فلا. قال العباس بن مرداس وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم بلي؛ ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال لهم عباس وهنتموني، فقال عليه السلام أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا إليهم أبناءهم ونساءهم، وقوله رسول الله منادي وفى سببية وقوله فإنك المرء ال لاستغراق أفراد الجنس أي المرء الجامع للصفات المحمودة المتفرقة فى

الرجال وندخر أي لما يعرض لنا من الأهوال وقوله بيضة أي أهل وعشيرة وغير بكسر المعجمة وفتح التحتية أي تغير وانتقال من صلاح لفساد، والغماء الحزن والغمر بفتح المعجمة وفتح الميم الحقد وهتافا إلخ أي صوتا مشتملا على حزن وإن لم تداركه جوابه محذوف أي هلكوا أو هو شرط فى ابقيت، فلا حذف ومحضها بفتح الميم أي لبنها الخالص والدرر بكسر المهملة وفتح الراء الدرر، والدرر بكسر الراء كثرة اللبن وسيلانه جمع درة، ويزينك بفتح الياء وشالت نعامته ارتفعت والنعامة باطن القدم أي هلك، واستبق مفعوله محذوف أي ثناءا يدوم وزهر بضمتين وكفرت بالبناء للمفعول، وقوله مشتهر أي مشتهر حسنه بين الناس، ومرحت كفرح نشطت، وكمت بضم الكاف وسكون الميم جمع كميت، والهياج القتال واستوقد بالبناء للمفعول، وتلبسه بضم الفوقية وكسر الموحدة وهادي منادي، أي هادي البرية، وفى نسخة هذي إشارة للنسوة وقوله فاعفوا بالإشباع والظفر: الفوز. قاله الزرقاني.

وها أنا أذكر ما وعدت بذكره إن شاء الله تعالى: وهي غزوة سليم ثم غزوة بنى قينقاع، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة بحران؛ وهذه الخمس بعد بدر وقبل أحد.

أما «**غزوة بنى سليم**» فهي أولها، وجزم ابن إسحاق بأنها بعد بدر، بسبعة أيام وتعرف بغزوة قرقرة الكدر ويقال قرارة الكدر ويقال قراقر وقرقرة بفتح القافين وحكى البكري ضمهما والمعروف فتحهما وبعد كل قاف راء، أولاهما ساكنة ثم هاء تأنيث. وفى الصحاح قراقر على فعالل بضم القاف اسم ماء ومنه غزوة قراقر، قاله محمد بن عبد الباقي.

وفي المواهب وفى أول شوال وقيل فى نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه الصلاة والسلام فى مائتي رجل يريد بنى سليم فبلغ ماء يقال له الكدر، وتعرف بغزوة ذي قرقرة، وهي أرض ملساء والكدر طير فى ألوانها كدرة، عرف بها ذلك الموضع، فأقام بها عليه السلام ثلاثا، وقيل

عشرا، فلم يلق أحدا. قال الزرقاني والكدر بضم الكاف وسكون الدال وسببها أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن بهذا الموضع جمعا من بني سليم بضم السين وفتح اللام وغطفان وذكر ابن إسحاق والجماعة أنه أرسل نفرا من أصحابه في أعلى الوادي واستقبلهم صلى الله تعالى عليه وسلم في بطن الوادي فوجد رعاء بالكسر جمع راع فيهم غلام يقال له يسار بتحتية ومهملة فسأله عن الناس فقال لا علم لي بهم إنما أورد الخمس وهذا يوم ربعي والناس قد ارتفعوا في المياه ونحن عزاب في النعم.

وانصرف صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ظفر بالنعم فانحدر بها إلى المدينة واقتسموا غنائمهم وكانت خمسمائة بعير بصرار وهو بكسر الصاد المهملة فراء مهملة مخففة فألف فراء ثانية موضع قريب من المدينة وقيل بئر قديمة على ثلاثة أميال منها من طريق العراق، فأخرج خمسه وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بكران، وصار يسار في سهمه صلى الله تعالى عليه وسلم فأعتقه وخمس بكسر المعجمة من إظماء الإبل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع وأخمس الرجل وردت إبله انتهى.

وكانت غيبته عليه السلام عن المدينة خمسة عشر ليلة واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل بن أم مكتوم وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق وسباء بكسر السين المهملة فموحدة فألف فمهملة، وعرفطة بمهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة فطاء مهملة غفاري، ويقال كناني وصحابي شهير، واستعمله عليه السلام عليها أيضا عام خيبر، وابن أم مكتوم اسمه عمرو عند الأكثر وقيل عبد الله وهو ابن قيس بن زائدة القرشي العامري وأمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية؛ قال الزرقاني ولم تسلم. وجمع بين القولين بأنه استخلف سباعا للحكم وابن أم مكتوم للصلاة على عادته انتهى.

ثم بعد غزوة بني سليم على ما في المواهب، **«غزوة بني قينقاع»** بتثليث النون والضم أشهر كما قاله القسطلاني وهم بطن من اليهود، رهط عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، قيل كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا وأشدهم بغيا، وكانت طوائف اليهود الثلاثة قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع صالحهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يحاربوه وأن لا يألبوا عليه وقيل أن لا ينصروه ممن دهمهم من عدوه فنقض الثلاثة العهد، فأمكن الله منهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتل قريظة وأجلى الآخرين. وأول من نقض منهم بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة، ولما أصاب المسلمون قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يهود في سوق بني قينقاع، فقال يا معشر يهود احذروا من الله تعالى مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتبكم، وعهد الله إليكم، فقالوا يا محمد إنك ترى أنا مثل قومك لا يغرك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. قال ابن عباس ما أنزل هؤلاء الآية إلا فيهم {قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم} إلى قوله تعالي: {إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار}.

وكان من أمر قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع فجلست الى صائغ يهودي، قال البرهان والظاهر أنه من قينقاع، فراودها عن كشف قناعها، فأبت فعمد الصائغ بفتح الميم وتكسر إلى طرف ثوبها من ورائها فعقده إلى ورائها وخله بشوكة فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون ووقع الشر بين المسلمين وبني قينقاع، فسار إليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في نصف شوال بعد أن استخلف على المدينة أبا لبابة بشير بفتح الموحدة أو

رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي فتحصنوا فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة بفتح القاف وكسرها وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان له أموالهم وأن لهم النساء والذرية، فأمر عليه السلام المنذر بن قدامة الأوسي البدري بتكتيفهم أي بشد أيديهم خلف أكتافهم، فكتفوا فمر بهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فأراد أن يطلقهم فقال له المنذر أتطلق قوما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بربطهم؟ والله لا يفعله أحد إلا ضربت عنقه.

وكلم ابن أبي فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألح عليه فقال يا محمد أحسن فى موالي، فأعرض عنه فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خلفه وكان يقال لها ذات الفضول، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك أرسلني، وغضب عليه السلام حتى رأوا لوجهه ظللا، جمع ظلة وهي السحابة كناية عن تغير وجهه، ثم قال ويحك أرسلني، قال والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالي أربعمائة حاسر بمهملتين أي لا درع معه وثلاث مائة دارع وقد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم فى غداة واحدة إني والله امرء أخشى الدوائر. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هم لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم حلوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

وتركهم من القتل وأمر أن يجلوا من المدينة فيلحقوا بأذرعات، قال ابن سعد وولي إخراجهم عبادة بن الصامت وقيل محمد بن مسلمة، فما كان أقل بقاءهم فيها قيل، لم يدر عليهم الحول وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة، وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي، فتبرء عبادة من حلفهم وفيه وفى ابن أبي أنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء} (إلى قوله) {فإن حزب الله هم الغالبون} انظر الزرقاني.

«ثم غزوة السويق» فالسويق قمح أو شعير يغلى ثم يطحن، فيتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل، أو وحده بالسين، قال ابن دريد وبنو العنبر يقولونه بالصاد، وكانت في ذي الحجة، بفتح الحاء وكسرها لخمس خلون على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة، كما لابن سعد، وقال ابن اسحاق في صفر، وعن ابن اسحاق أيضا إنما كان خروجه في ذي الحجة، وذكر بعضهم أنها في سنة ثلاث وعليه فيصح كونها في صفر وسميت بذلك لأنه كان أكثر زاد المشركين، فكانوا يلقونه للتخفيف، وغنمه المسلمون واستخلف أبا لبابة على المدينة وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما رجع بالعير من بدر إلى قريش ورجع فل قريش بفتح الفاء وشد اللام أي منهزموهم نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أي لا يمس النساء وأن لا يمس الطيب حتى يغزو محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليأخذ ثأر المشركين الذين قتلوا ببدر، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى أتي العريض بضم المهملة وفتح الراء وسكون الياء التحتية وفي النور أنه واد بالمدينة وفي الكلاعي فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة على بريد أو نحوه من المدينة، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه وانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه وصاحب كنزهم فاستأذنه فآذن له، فقراه وسقاه، وفطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا منهم فأتوا ناحية العريض فحرقوا أصوار نخل وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفا له ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وطرحوا من أزوادهم يتخففون منها للنجاء وكان أكثر ما طرحوه السويق. فقال المسلمون حين رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال نعم.

وفي المواهب خرج عليه الصلاة والسلام فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جروب السويق وهي عامة أزوادهم يتخففون للهرب ويأخذها المسلمون ولذا سميت غزوة السويق، ولم يلحقه عليه الصلاة والسلام.

وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام أي بيومي الدخول والخروج كما فى الزرقاني.

وأورد ابن هشام وأبو الربيع هذه الغزوة قبل قينقاع وعند بعض أهل السير أنها فى سنة ثلاث كما مر، وقناة بفتح القاف وخفة النون واد بالمدينة وسلام بتشديد اللام وتخفيفه ومشكم كمنبر وقراه أضاف، وسقاه أي الخمر، كما قال أبو سفيان.

سقاني فرواني كميتا مدامة على ظمإ مني سلام ابن مشكم

والجرب جمع جراب ككتاب، وإلى هذه الغزوة أشار الشيخ البدوي بقوله:

وغزوة السويق فى اثر أبي سفيان إذ حرق نخل يثرب
وغال نفسين وكان آلى لا يقرب النساء أو ينالا
وكان يلقي جرب السويق مخافة اللحوق فى الطريق
فسميت بذاك ثم بعدها قرقرة الكدر لقوم عندها

وقوله يثرب قال الخازن فى قوله تعالى حكاية عن المنافقين: {يا أهل يثرب} يعنى يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الأرض، ومدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناحية منها سميت باسم رجل من العماليق كان قد نزلها، وفى بعض الأخبار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب، فقال هي طابة، كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ اهـ وفى الذهب الإبريز عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قال للمدينة يثرب فاليستغفر الله إنها طابة ثلاث مرات، نقله فى الريان.

فائدة:

ذكر القسطلاني فى شرح البخاري ان للمدينة ثمانية وعشرين إسما وانها إن علقت على المحموم شفي بإذن الله تعالى. وقد كنت نظمتها قبل فأوردت نظمها هنا للتبرك وهو:

مدينة طيبة وطيبة	وطائب وحرم وطابة
محفوظة مرزوقة ومؤمنه	حبيبة مدخل صدق حسنه
دار السلامة ودار السنه	مختارة جعلتهن جنه
بدار الأبرار وبالشافية	ودار الأخيار وبالمسكينة
بيت الرسول حرم الرسول	رب أنلني قاصي المأمول
ودار الإيمان ودار الهجرة	أكالة القرى بها اقبل توبتي
بدار فتح قبة الإسلام	وبالمباركة هب مرام
وبالمقدسة فامحق العدا	فهذه أسماء دار أحمد
صلى عليه فالق الإصباح	ما حسر الليل عن الصباح
إن علقت قالوا على المحمومي	شفي بإذن الملك القيوم

وذكر غيره من أسمائها المحبة، والمحبوبة، والمرحومة، والجابرة، والمجبورة، والقاصمة، والعذراء وغير ذلك.

وقد ذكر القاضي فى المشارق بمكة ستة عشر إسما وقد كنت نظمتها وذكرتها هنا تتميما للفائدة وهي:

أسماء خير الأرض بعد الحسنه	مثوى إمام الرسل خذها حسنه
عمن سواه فى العلوم فاقا	وأشرق الغرب به إشراقا
حين بدت مشارق الأنوار	به فحاز أحسن الفخار
سيدنا القاضي أبو الفضل العلم	عياض ذو التبريز فى العلم الأعم
أم القرى والعرش والبساسه	والرأس والقادس والنساسه
كوثى المقدسة ثم مكة	حاطمة ثم صلاح بكه
وأم رجم معها البيت العتيق	فاعلة من بس أو نس تليق
بها توسلنا الى الرحمن	في نيل ما نبغي من الأماني

وفي القاموس النس : السوق واليبس، ثم قال والناسة والنساسة: مكة، سميت بذلك لقلة الملك بها إذ ذاك، أو لأن من بغى فيها ساقته أي أخرج

منها.
ثم يلي ذلك على ما فى المواهب «**غزوة غطفان**»، قبيلة من مضر وعطفان بن سعد بن قيس عيلان وتسمى أيضا غزوة ذي أمر، قال القسطلاني فى المواهب بفتح الهمزة والميم، زاد شارحه وشد الراء موضع من ديار غطفان، قاله ابن الأثير وغيره.
وأفاد قول البكري فى معجمه أفعل من المرارة أنه ممنوع الصرف انتهى.
وفي نظم البدوي المجلسي وبعدها ذو إمّر وغطفان كلاهما تدعا به وتستبان ولم يتعرض شارحه لضبطه ولم يذكر فى القاموس هذا الموضع، وإنما فيه إمرة كامعة بلد وجبل اهـ.
ولعل البيت فذو أمر بعدها وغطفان وتسمى أيضا غزوة أنمار فلها ثلاثة أسماء وهي بناحية نجد وكانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهر من الهجرة، وسببها أن جمعا من بنى ثعلبة بن سعد بن قيس بن ذبيان بن بغيض بفتح الموحدة وكسر المعجمة وإسكان التحتية وضاد معجمة ابن ريث براء مفتوحة وتحتية ساكنة ومثلثة ابن غطفان، قاله الزرقاني وجمعا من بنى محارب بن خصفة بفتح الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة ابن قيس عيلان وغطفان ومحارب أبنا عم تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، جمعهم دعثور بضم الدال المهملة وضم المثلثة ابن الحارث المحاربي وسماه الخطيب غورث بفتح الغين المعجمة وحكي اهمالها وبعضهم ضم أوله وواوه ساكنة وراؤه مفتوحة وآخره مثلثة ويقال غويرث بالتصغير، بمعجمة أو مهملة، وسماه غيره غورك، بكاف بدل المثلثة مع اعجام أوله واهماله، وظاهر كلام ابن بشكوال ان دعثورا غير غورث، وفى الإصابة قصة دعثور تشبه قصة غورث المخرجة فى الصحيح فيحتمل التعدد، أو أحدهما إسم والآخر لقب.
وكان غورث شجاعا فدعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المسلمين للخروج وخرج فى أربعمائة وخمسين فارسا أي شجاعا أو تناوبوا ما معهم من الأفراس، فلا ينافي قول ابن سعد ومعهم أفراس، قال البرهان ولا أعلم عدتها فلما سمع المشركون بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بلادهم هربوا فى رؤوس الجبال، فلما كان المسلمون بذي القصة وهو بفتح القاف والصاد المهملة الثقيلة موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة أصابوا رجلا من بنى ثعلبة يقال له حبان بكسر الحاء، قال البرهان ولا أعلم له ترجمة فى الصحاب اهـ.

والصواب ما فى الشامية أنه جبار بالجيم وشد الموحدة، وبعد الألف زاء، فقد ذكره ابن فتحون وصاحب الإصابة فى حرف الجيم، فقالا جبار الثعلبي، أسره الصحابة فى غزوة ذي أمر، فأدخلوه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره من خبرهم، وقال لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا فى رؤوس الجبال، وأنا سائر معك فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال ليعلمه الشرائع وأصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجففهما واضجع تحتها والمشركون ينظرون إليه، وقد اشتغل المسلمون فى شؤونهم فقالوا لدعثور لشجاعته قد انفرد محمد فعليك به؛ ولما رآه قال قتلني الله إن لم أقتل محمدا. فأقبل ومعه سيف حتى أقام على رأسه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني الآن؟ فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الله. فدفع جبريل فى صدره فوقع على ظهره، فوقع السيف من يده فأخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يمنعك مني؟ قال لا أحد يمنعني منك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وأعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه، فقال أما والله لأنت خير مني، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أحق بذلك منك.

ثم أتى قومه فقالوا ما لك ويلك؟ فقال نظرت إلى رجل طويل أبيض قد دفع فى صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك وشهدت بأن محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. لا أكثر عليه جمعا.

فدعاهم إلى الإسلام فاهتدى به خلق كثير وأنزل تعالى على ما ذكره الواقدي وابن سعد وغيرهما: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم} (الآية)، ثم رجع صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيدا وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة، وقيل خمس عشرة وقال قتادة ومجاهد وغيرهما نزلت في بني النضير لما ذهب إليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهموا أن يطرحوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل فقام من ذلك المكان ورجع إلى المدينة.

وقيل قصة السيف، ونزول الآية كانا في غزوة ذات الرقاع وقال بعضهم الصواب أنهما قصتان في غزوتين، وقد مرّ الخلاف في اسم الرجل هل دعثور أو غورث أو هما اثنان والله تعالى أعلم.

ثم بعد ما مرّ «**غزوة بحران**» بضم الموحدة وفتحها وسكون المهملة، فراء فألف فنون، موضع من ناحية الفرع بفتحتين كما قيده السهيلي وتسمي غزوة بني سليم قاله في المواهب، وقال الزرقاني عن البرهان الذي في الروض أنه بضمتين من ناحية المدينة، ويقال هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه أن جمعا من سليم ببحران وخرج لست خلون من جمادى الأولى في ثلاث مائة رجل واستعمل عبد الله بن أم مكتوم على المدينة حتى إذا كان دون بحران بليلة، لقي رجلا من بني سليم فأخبره أن القوم افترقوا فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا فرجع ولم يجد أحدا، ولم يلق كيدا، وكانت غيبته عشر ليال، ولابن اسحاق ان خروجه صلي الله عليه وسلم في هذه الغزوة كان إلى قريش، فسار حتى بلغ بحران، معدنا بالحجاز، من ناحية الفرع، فأقام به شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا، وللشيخ البدوي:

وبعدها غزوة بحران إلي ام القرى أو لسليم الجهلا

«غزوة تبوك» وهي آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي قبل حجة الوداع بلا خلاف، وكانت فى رجب سنة تسع، قال ابن عائذ وكانت بعد الطائف بستة أشهر ولا يخالف هذا كونها فى رجب إذا حذفنا الكسور لأنه عليه الصلاة والسلام دخل المدينة فى ذي الحجة رجوعه من الطائف قاله الزرقاني. وفى المواهب وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطأ من النساخ اهـ.

وتبوك بفتح الفوقية وضم الموحدة مخففة بغير صرف للأكثر وتصرف على إرادة الموضع، مكان بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة، وبينه وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة. وقول المواهب وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق مراده على التقريب بدليل ما مرّ من كلام الفتح. ووقعت تسميتها بذلك فى الأحاديث الصحيحة ففى مسلم والموطإ عن معاذ أنهم خرجوا معه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك، فمن جاء فلا يمس من مائها شيئا (الحديث)، وهذا يدل على قدم تسمية المكان بذلك. وقيل سميت بذلك لقوله عليه الصلاة والسلام للرجلين اللذين سبقاه إلى العين ما زلتما تبوكانها منذ اليوم. قال ابن قتيبة فبذلك سميت العين تبوك. والبوك كالنقش والحفر وهي غزوة العسرة أي الشدة أي لأن الخروج إليها كان فى حرّ شديد، ليالي الخريف وجدب كثير مع قلة الظهر والنفقة، ولذا لم يور صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كعادته فى غيرها من الغزوات. فلم يغز غزوة إلا ورى بغيرها إلا فى هذه فجلى للمسلمين أمرهم فيها ليتأهبوا أهبة السفر البعيد فى الحر الشديد والقحط، وتسمى بالفاضحة، لافتضاح المنافقين فيها لما نزل فيهم نحو {وقالوا لا تنفروا فى الحرّ}، {ومنهم من يقول إئذن لي}، {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب}، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} إلى غير ذلك.

وكان خروجه إليها صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخميس؛ وفى

البخاري قلما كان إذا خرج لسفر إلا يوم الخميس، زاد النسائي جهادا وغيره، في أزيد من ثلاثين ألفا. وعند ابن أبي زرعة سبعين ألفا، وجمع الشامي بينهما بأن من قال ثلاثين لم يعد التابع، ومن قال سبعين عد التابع والمتبوع.

وأقل ما قيل فيه إنه ثلاثون ألفا، قاله الزرقاني. وقال ابن الخازن ذكر بعض العلماء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سار إلى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وماش، قال الحسن العشرة منهم يخرجون على بعير واحد، يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون وما معهم إلا التمرات اليسيرة بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء حتى تاتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة. نقله الشيخ الوالد حفظه الله تعالى في الريان.

وفي المواهب وكانت الخيل عشرة آلاف، قاله الزرقاني، عقبه رواه الواقدي، وقيل بزيادة ألفين وعليه حمل في الفتح ما في بعض طرق مسلم، والمسلمون يزيدون علي عشرة آلاف، قال تحمل على إرادة الفرسان انتهى.

وسببها أنه بلغه أن الروم تجمعت مع هرقل بالشام وأجلبت معهم لخم وجذام وغسان وعامرة وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء ولم يكن لذلك حقيقة فأمر أصحابه بالتأهب وقال وهو في جهازه للجد ابن قيس هل لك في جلاد بني الأصفر؟ قال أو لا تأذن لي ولا تفتني، فلقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر. فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه، وقال أذنت لك فنزل فيه {ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني} أي إن كان يخاف الفتنة وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ثم خرج عليه السلام قال المناوي فعسكر بثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين

ألفا، إلى أن قال وجمع بأن الثلاثين هم المتبوعون والأربعين هم الأتباع فالجملة سبعون ألفا، ومعه عشرة آلاف فرس، وضرب ابن أبي علي حدة العسكر أسفل منه وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار المصطفى تخلف ابن أبي فيمن تخلف من أهل الريب وقالوا يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، ثم سار ودفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر ورايته العظمى إلى الزبير وخلف عليا على أهله، فقال المنافقون ما خلفه إلا استثقالا، فأتاه وأخبره، فقال كذبوا، لكن خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني فى أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

ولما مر عليه السلام بالحجر سجى ثوبه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا من أن يصيبكم ما أصابهم وقال لا تشربوا من ماء بئر ولا يتوضأ منه، وما من عجين عجنتموه فأطعموه الناضح، ولا تأكلوا منه، فأصبح الناس لا ماء معهم، فعطشوا فجعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها، فقال أبو بكر قد عودك الله فى الدعاء فادعو؛ فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتووا وحملوا. فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق، ترى ما دعى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمطرنا، فقال إنما مطرنا بنوء كذا، فأنزل الله: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} ثم ضلت القصواء وخرج الصحابة فى طلبها، فقال بعض المنافقين أليس يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فأطلعه الله تعالى عليها، فقال عليه السلام إن رجلا قال كذا وكذا.. وإني لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي فى الوادي فى شعب كذا حبستها شجرة بزمامها فوجدوها كذلك.

ولما انتهى إلى تبوك أتاه صاحب إيلة وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوها وكتب لهم كتابا بالأمان، وبعث خالد بن الوليد إلى

أكيدر دومة فوجده يصيد البقر ليلا، هو وأخوه حسان فى نفر من قومه فأخذه خالد وأتى به البي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن قتل أخاه حسان فصالح أكيدر وأعطى الجزية اهـ المراد من كلام المناوي.

وقد مرّ بعث خالد هذا فى البعوث، وفى المواهب ولما مرّ صلى الله تعالى عليه وسلم بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا من مائها شيئا ولا يخرجن أحدكم منكم إلا ومعه صاحبه، ففعل الناس إلا رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجة والآخر فى طلب بعيره، فأما الذى خرج لحاجته فخنق على مذهبه، وأما الذى خرج فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طي فأخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ألم أنهكم ثم دعى للذي خنق على مذهبه فشفي وأما الآخر فأهدته طيء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة.

قوله: ولا يخرجن أحد منكم أي الليلة كما عند ابن اسحاق وذلك لحكمة علمها ولعلها ان الجن لا تقدم علي اثنين، وقد روى الإمام فى الموطإ مرفوعا: إن الشيطان يهم بالواحد الباجي أي باغتياله، ويحتمل أنه يهم بصرفه عن الحق، وقوله لحاجة أي لتغوط، وخنق بمعجة مبني للمفعول أي صرع ومذهبه بفتح الميم والهاء بينهما معجمة ساكنة هو الموضع الذى يتغوط فيه، وقوله دعا للذي بلام الجر وفى نسخة دعا الذى أي طلبه فحضر والأولى أظهر. قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي.

وفي مسلم والموطإ عن معاذ أنهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء وأنهم غرفوا منها قليلا قليلا، حتى اجتمع فى شن، ثم غسل صلى الله تعالى عليه وسلم به وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فتفجرت بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال يا معاذ يوشك أن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا ملئى جنانا وتبض بفتح الفوقية وكسر الموحدة وضاد معجمة أي تقطر وتسيل هكذا، رواه ابن مسلمة وابن القاسم ورواه يحيى وطائفة بالمهملة أي تبرق قاله الباجي، قاله الزرقاني؛ ولما انتهى

عليه السلام إلى تبوك أتاه صاحب أيلة بفتح الهمزة وهو يُحنة بضم التحتية وفتح المهملة والنون المشددة فتاء تأنيث ابن رؤبة النصراني فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جربى بجيم مفتوحة فراي ساكنة فموحدة تقصر وتمد وأهل أذرح بهمزة مفتوحة وذال معجمة ساكنة وراء مهملة مضمومة وحاء مهملة قيل هي فلسطين، وهما بلدان بالشام بينهما ثلاثة أميال، قال في القاموس وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وإنما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني، وهي ما بين ناحيتي حوضى كما بين المدينة وجربى وإذرح قاله محمد بن عبد الباقي. ولما أتوه أعطوه الجزية أي التزموها كما فعل يحنة، ووجد عليه السلام هرقل بحمص دار ملكه لم يتحرك ووجد ما أخبر به من تعبئته لأصحابه ودنوه من الشام باطلا، ولم يهم بذلك فكتب له كتابا يدعوه إلى الإسلام فقارب الإجابة ولم يجب ثم انصرف عليه السلام بعد أن قام بتبوك بضع عشرة ليلة وقال الدمياطي عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيدا، أي حربا. وذكر الواقدي أنه شاور أصحابه في التقدم، فقال عمر ان كنت أمرت بالمسير فسر، فقال لو أمرت بالمسير لم استشركم فيه، فقال يا رسول الله إن للروم جموعا كثيرة وليس بها مسلم، وقد دنونا وأفزعهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمرا انتهى.

ولما أراد عليه السلام الخروج إلى تبوك أرسل إلى أهل مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم فجاء البكاؤون يستحملونه أي يطلبون منه ما يركبون وكلهم معسر لا يحب التخلف عن الغزو معه، فقال لا أجد ما أحملكم عليه. ومنهم سالم بن عمير الأوسي وعلبة بن زيد الأنصاري من بني عمر وابن عوف وعبد الرحمن بن كعب المازري من بني مازر بن النجار وحرمي بن عمر من بني مازن أيضا ومنهم هرم بن عبد الله بن رفاعة الأنصاري والعرباض ابن سارية السلمي وعبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار المزنيان، وبنو مقرن المزني وهم النعمان وسويد

ومعقل وعقيل وعبد الرحمن وسنان وهند، كما في المواهب ومقرن، بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء الثقيلة، قال الواقدي وابن نمير بنوه سبعة كلهم صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ابو عمر ليس ذلك لأحد من العرب غيرهم، قال الحافظ وقد ذكر هو في ترجمة هند بن حارثة الأسلمي ما ينقض ذلك، فأخرج الطبراني أن ولد مقرن كانوا عشرة نزل فيهم {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر}، قاله الزرقاني؛ وروي أن عثمان بن عفان حمل في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا فقال ابن هشام حدثني من أثق به أن عثمان أنفق ألف دينار غير الإبل والزاد، وما يتعلق بذلك، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض. وذكر بعضهم أن عثمان جهز ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة. قال الزرقاني وأقل ما قيل إنهم ثلاثون ألفا فيكون جهز عشرة آلاف. وروي أنه عليه السلام قال لا يضر عثمان ما فعل بعدها. وروي أنه قال له غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها.

ولما خرج عليه الصلاة والسلام تخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، منهم كعب بن مالك الأنصاري ثم السلمي بفتحتين، قال في حديث تخلفه تجهز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم اقض شيئا، فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، وأصبح صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض شيئا، فقلت أتجهز بعده بيوم أو بيومين ثم ألحقهم ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا. فلم يزل بي حتى أسرعوا وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك.

ومنهم مرارة بضم الميم وراءين الأولى خفيفة بن الربيع الأوسي ثم العمري بفتح العين وسكون الميم نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن

مالك الأوسي وهلال بن أمية الأوسي ثم الواقفي بقاف ثم فاء نسبة إلى بني واقف بن أمرإ القيس بن مالك بن الأوس وسبب تخلف مرارة أنه كان له حائط حين زهاء فقال في نفسه قد غزوت قبله فلو أقمت عامي هذا، فلما تذكر ذنبه قال اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك، وسبب تخلف هلال أنه كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال لو أقمت هذا العام عندهم، فلما تذكر قال اللهم لك علي أن لا أرجع إلى أهل ولا مال. وفي هؤلاء الثلاثة نزل {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، وتخلف أبو ذر لأن بعيره كان أعجف، فقال أعلفه أياما ثم ألحق به عليه السلام، فعلفه أياما ثم خرج فلم ير به حركة فحمل متاعه على ظهره وسار، قال أبو ذر فطلعت عليه نصف النهار وقد أخذ مني العطش، أي وكان عليه الصلاة والسلام نزل في بعض الطريق، وعند بن اسحاق فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا لرجل يمشي على الطريق وحده، فقال عليه السلام: كن أبا ذر، فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر. فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده، فكان كذلك، فمات بالربذة ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أن أغسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولا هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا به ذلك.

وأقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق، وقد كادت الإبل تطؤها فقال لهم الغلام هذا أبو ذر فأعينونا على دفنه، فاستهل ابن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم حدثهم ابن مسعود بالحديث. وتخلف أبو خيثمة سعد بن خيثمة فقال تخلفت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلت حائطا فرأيت عريشا قد رش بالماء ورأيت زوجتي فقلت ما هذا بانصاف، رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في السموم والحر وأنا في الظل والنعيم، فقمت إلى ناضح لي وتمرات

وخرجت فلما طلعت على العسكر فرآني الناس قال صلى الله تعالى عليه وسلم كن أبا خيثمة، فجئت فدعى لي.

وقوله كن أبا خيثمة وكن أبا ذر معناه الدعاء، كما تقول أسلم، أي سلمك الله، أي اللهم اجعله أبا ذر، وقيل معناه أنت أبو ذر، أنت أبو خيثمة أنظر الزرقاني. قال في المواهب لما دنى صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه فخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما داعا لله داع

قال الزرقاني وبعدهما:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وقال القسطلاني وقد وهم بعض الرواة وقال: إنما كان هذا الشعر عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام كما قدمت ذلك انتهى.

وقوله بعض الرواة هو عبد الله بن محمد المعروف بابن عائشة، وقوله كما قدمت ذلك أي في الهجرة قاله الزرقاني، وفي البخاري لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك فدنى من المدينة قال إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر وهذا يؤيد معنى ما روي: نية المؤمن خير من عمله، فإن نية هؤلاء خير من أعمالهم، فإنها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم، والمسابقة إلى الدرجات العلا بالنيات والهمم لا بمجرد الأعمال، قاله في المواهب وقوله واديا قال البيضاوي هو كل منفرج ينفرج فيه السيل اسم فاعل من ودى إذا سال وشاع بمعنى الأرض، وقوله معكم أي بالنيات، ولأحمد وأبي داود لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم من سير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، ولابن حبان وأبي عوانة الا اشركوكم في الأجر

والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض، قال المهلب يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: {لا يستوي القاعدون} (الآية) فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولى الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين وقوله نية المؤمن إلخ.. رواه الطبراني والديلمي مرفوعا بهذا اللفظ ورواه البيهقي وغيره بلفظ أبلغ وكلها ضعيفة لكن بمجموعها يتقوى كما أفاده السخاوي. وقوله فإن نية هؤلاء خير إلخ. أي فشاركوهم في الثواب، وزادوا راحة الأبدان، وقصد المصنف بهذا ما عساه يقال غاية ما أفاده الحديث المشاركة أما الزيادة المستفادة من أفعل التفضيل فلا ثم لضعفه جعله مؤيدا بحديث الصحيح انتهى.

ومن الزرقاني ولما رجع عليه السلام من تبوك نزل بذي أوان بفتح الهمزة وكسرها لغة بلفظ الأوان أي الحين، بلد بينها وبين المدينة ساعة من نهار فجاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك ابن الدخشم بضم الدال المهملة والشين المعجمة بينهما خاء معجمة ساكنة ويقال الدخيشم بالتصغير ويقال بنون بدل الميم مكبرا ومصغرا الأوسي البدري، ومعن ابن عدي العجلاني البلوي حليف الأنصار شهد أحدا، فقال عليه الصلاة والسلام انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرقاه، فانطلقا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وذلك بعدما أنزل فيه: {الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا} (الآية).

قال عامة أهل التفسير الذين اتخذوه كانوا اثنى عشر منهم خذام بخاء مكسورة وذال معجمتين بن خالد وثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير وعباد بن حنيف وبحزج بموحدة مفتوحة فمهملة ساكنة فزاي مفتوحة فجيم، بنوه يضارون به بني عمرو بن عوف أهل مسجد قباء الذى أسسه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة وصلى فيه ورأى ذلك ناس من بني غنم بفتح المعجمة وسكون النون ابن عوف فقالوا في طائفة من المنافقين نبني نحن أيضا مسجدا كما بنوا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد، فقال لهم أبو عامر الفاسق قبل خروجه الي الشام

ابنوا مسجدكم واستمدوا فيه بما استطعتم من سلاح وقوة فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه، فكانوا يرصدون قدومه وقد خرج محاربا لله ورسوله ولما بنوه لأغراضهم الفاسدة المضارة والكفر والإرصاد أرادوا أن يصلي فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر أتاه جماعة منهم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة للمرضى والحاجة والليلة الممطرة، ونحن نحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة كما قال تعالى: {وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى} أي هذه الأمور التى أظهروها والله يشهد انهم لكاذبون.

وروي انه عليه السلام قال لبحزج ويلك ما أردت فقال والله ما أردت إلا الحسنى فنزلت الآية، ولما أتوه وهو يتجهز فقالوا له ذلك، قال عليه السلام إني على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله تعالى صلينا فيه فنزلت هذه الآية. وفى حديث عند البيهقي فأنزل الله تعالى: {لا تقم فيه أبدا} إلى قوله: {والله لا يهدي القوم الظالمين}. وقد قدمنا فى الهجرة الخلاف فى المراد بالمسجد الذى أسس على التقوى وأن الصحيح أنه مسجد قباء وفى صحيح مسلم أنه المسجد النبوي ولا منافاة فكل منهما أسس على التقوى (أنظر المواهب وشرحها). ولما أشرف صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة، فلما رأى أحدا قال هذا جبل يحبنا ونحبه.

فائدة:

قال فى النشر: قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عامر: الذين اتخذوا بغير واو قبل الذين، وقرأ الباقون بالواو انتهى.

وقال الثعالبي على أن قوله وآخرون مرجون لأمر الله فى المنافقين يكون الذين اتخذوا باسقاط واو العطف بدلا من آخرون أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هم الذين اهـ

وقال ابن جزي قرأ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون، أو على تقديرهم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجين هم أهل مسجد الضرار، وقرئ بالواو عطفا على آخرون وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجين انهم الثلاثة الذين خلفوا نقله الشيخ الوالد حفظه الله تعالى فى الريان وقال الزرقاني ومعتب بن قشير بقاف ومعجمة مصغر ترجم له فى القسم الأول من الإصابة، ثم قال وقيل كان منافقا وقيل انه تاب وذكره ابن اسحاق فيمن شهد بدرا انتهي.

وفي الزرقاني قبل هذا أنه عليه السلام لما قدم المدينة وهدم مسجد الضرار عرضه على عاصم بن عدي ليتخذه دارا، فقال ما كنت أتخذه وقد أنزل الله فيه ما أنزل، ولكن اعطه ثابت بن أقرن، فإنه لا منزل له فأعطاه، فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط ولا حمام ولا دجاج، وروى ابن المنذر عن ابن جبير وابن جريج وقتادة قالوا ذكر لنا أنه حفر فى موضعه بقعة فأبصروا الدخان يخرج منها اهـ

وقال الناظم :

(وضعفها البعوث دون مين)

يعني ان البعوث التى أرسلها عليه الصلاة والسلام إلى جهاد الكفار ولم يخرج فيها بنفسه الشريفة ضعف الغزوات التى خرج فيها عليه السلام أي قدرها مرتين فهي خمسون لأن الغزوات قد مر له أنها خمس وعشرون، وقوله ضعفها بكسر الضاد المعجمة والضمير المضاف إليه للغزوات، والمين: الكذب، والبعوث: جمع بعث، وهو فى الاصطلاح من أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتال العدو ولم يحضر معه بنفسه ويسمى أيضا عندهم سرية كما فى المواهب وشرحها وسيرة العراقي وشرحها والغزوات جمع غزوة والمغازي جمع مغزى وأصل الغزو القصد، ومغزى الكلام مقصده، والغالب اطلاق الغزوة علي كل عسكر حضره صلى الله تعالي عليه وسلم بنفسه الكريمة وقد تطلق علي ما هو أعم من ذلك، فقد تطلق علي ما وقع من قصده عليه السلام للكفار بنفسه أو

بجيش يرسله إليهم فيشمل البعوث ولذا ترجم كثير منهم بكتاب المغازي ثم يذكر مع الغزوات البعوث أنظر الزرقاني وغيره.
وحكمة قعوده صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعوثه الرفق بالمسلمين كما أفاد ذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام والذى نفسي بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق أن يقعدوا بعدي. والذى نفسي بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثم أحيى ثم أقتل، ثم أحيى ثم أقتل، ثم أحيى ثم أقتل، رواه مالك والشيخان عن أحمد عن أبي هريرة بتكرير ثم ست مرات. والسرية بوزن عطية والسارية أيضا، سموا بذلك لأنهم يكونوا خلاصة العسكر وخيارهم كما فى النهاية. قال فى الفتح وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه وهي من مائة إلى خمس مائة فإن زاد فمنسر بالنون فمهملة، فإن زاد على ثمانمائة سمي جيشا فإن زاد على أربعة آلاف سمي جحفلا، انتهى.
وظاهره أن ما دون المائة لا يسمى سرية وهو مخالف لقوله نفسه فى المقدمة، قال ابن السكيت السرية ما بين الخمسة إلى الثلاث مائة وقوله منسر بوزن مجلس ومنبر قاله الزرقاني، وفى المواهب أن سراياه سبع وأربعون، قال الزرقاني كما رواه ابن سعد وبه جزم أول الاستيعاب فيما قاله الشامي، والذى فى النور عن ابن عبد البر أنها خمس وثلاثون وقال ابن اسحاق فى رواية البكائي انها ثمان وثلاثون وفى الفتح عن ابن اسحاق ست وثلاثون والواقدي ثمان وأربعون وابن الجوزي ست وخمسون، انتهى المراد منه.
وقال المناوي فى شرحه للعراقي البعوث جمع بعث، وهو كما فى المصباح وغيره الجيش تسمية بالمصدر والسرية بفتح المهملة وكسر الراء وشد التحتية القطعة من الجيش، سموا به لأنهم خلاصة العسكر؛ والسري الشيء النفيس. وفى فتح الباري السرية التى تخرج فى الليل والسارية بالنهار، سميت سرية لأنها تخفي ذهابها وهي قطعة من

الجيش تخرج منه وتعود إليه اهـ المراد منه.

قال العراقي:

عـــدتهـــا من بعث أو ســـرية	ســـتـــون فـــالأول بعث حـــمـــزة
لنحـو سـيـف البـحـر من ناحـيـة	العـــيص لم يقـــتـــتلوا بالجـــملة

يعني أن أول بعوثه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر بكسر المهملة أي ساحله من ناحية العيص بكسر العين المهملة وسكون التحتية وصاد مهملة موضع ببلاد بنى سليم وقيل بأرض جهينة والتقوا واصطفوا للقتال فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مسالما للفريقين فانصرفوا ولم يقتتلوا بعثه فى ثلاثين من المهاجرين يتعرض عيرا لقريش وعقد له لواء أبيض وحمله أبو مرثد فكان أول من غزى فى سبيل الله وأول من عقدت له راية فى الإسلام وذلك فى رمضان على رأس سبعة أشهر وقيل فى ربيع الأول وقيل فى جمادى ولم يعرف لمجدي إسلام قاله المناوي . وقوله فحجز بفتح الحاء والجيم وبالزاي أي فصل، ومجدي بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الدال آخره ياء مشددة واسم أبي مرثد كناز بفتح الكاف وشد النون فألف فزاي ابن الحصين بمهملتين مصغرا الغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة إلى غني ابن يعصر حليف حمزة واللواء هو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وفى الفتح اللواء الراية وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه.وقال ابن العربي اللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد فى طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح، وقيل اللواء علامة لمحل الأمير والراية يتولاها صاحب الحرب، والعير المذكورة ثلاثمائة راكب فيها أبو جهل اللعين، وقوله على رأس سبعة أشهر أي تقريبا فلا ينافي أن قدومه عليه السلام لاثنتي عشرة ليلة خلت من

ربيع وقوله وقيل فى ربيع أي سنة اثنتين أنظر الزرقاني. ثم بعد بعث حمزة سرية عبيدة المطلبي وصدر فى الإكتفاء بأنها قبل سرية حمزة ثم سرية سعد بن أبي وقاص ثم سرية عبد الله بن جحش ثم بعث عمير الخطمي لقتل عصماء بنت مروان ثم بعث سالم بن عمير الأنصاري إلى قتل أبي عفك اليهودي، ثم بعث محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف، ثم بعث زيد بن حارثة إلى القردة، ثم بعث أبي سلمة بن عبد الأسد لطلب طليحة بن خويلد وأخيه الأسديين، وأسلم طليحة بعد ثم بعث عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري لقتل سفيان بن خالد الهذلي، ثم بعث عاصم بن ثابت إلى الرجيع، ثم بعث المنذر بن عمرو ومعه القراء إلى بئر معونة، وقدمه عبد الرحيم العراقي على بعث الرجيع ثم بعث محمد بن مسلمة للقرطاء ثم بعث عكاشة إلى غمر مرزوق ماء لبني أسد، ثم بعث محمد بن مسلمة إلى ذي القصة موضع يريد بنى ثعلبة، فبعث أبي عبيدة بن الجراح إليهم، فبعث زيد بن حارثة إلى الجموم، ثم بعث زيد أيضا إلى العيص ثم بعثة رابعة إلى الطرق، فبعثه خامسة إلى حسمى، فبعثه سادسة إلى واد القرى ثم بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل ثم بعث علي بن أبي طالب إلى فدك يريد بنى سعد بن بكر، ثم سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة، ثم سرية عبد الله بن عتيك الى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق ثم سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام، ثم بعث كرز بن جابر إلى العرينيين، ثم بعث عمرو بن أمية إلى قتل أبي سفيان بن حرب، ثم بعث ابان بن سعيد الأموي إلى نجد على ما ذكر العراقي، وقال انه بعد فتح خيبر، لكن قال المناوي فى شرحه قال الحافظ بن حجر ولا أعرف هذه السرية انتهى ولم يذكره فى المواهب.

ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الي تربة، ثم سرية أبي بكر رضي الله تعالى عنه الي بنى كلاب، فبعث بشير بن سعد الأنصراي لفدك، فبعث غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة فبعث

بشير بن سعد إلى يمن وجبار فسرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي الي بني سليم فسرية غالب بن عبد الله إلى بني الملوح، فبعث غالب ثالثة إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك فسرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر فبعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات إطلاح ثم سرية عمرو بن العاصي إلى ذات السلاسل فبعث أبي عبيدة إلى سيف البحر، وتعرف بسرية الخبط، فسرية أبي قتادة إلى نجد فسريته أيضا إلى اضم، فبعث خالد لهدم العزى فسرية عمرو بن العاصي لهدم سواع فبعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة فبعث خالد إلى بني جذيمة قبيلة من بني عبد القيس، فبعث طفيل الدويسي إلى هدم ذي الكفين صنم فسرية قيس بن سعد بن عبادة إلى صداء فبعث الضحاك بن سفيان الكلابي إلى قومه فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم ثم بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ثم سرية عبد الله بن عوسجدة إلى بني عمرو بن حارثة بن عمرو ثم بعث قطبة بن عامر الخزرجي إلى خثعم فبعث علقمة بن مجزز بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الأولى مكسورة ثقيلة وحكي فتحها والأولى أصوب المدلجي الي طائفة من الحبشة ثم سرية علي إلى هدم صنم طيء واسمه الفلس بضم الفاء وسكون اللام آخره سين مهملة كذا في المواهب وضبطه بعضهم بالفتح وسكون اللام ثم بعث عكاشة إلى الجباب بكسر الجيم فسرية خالد إلى أكيدر دومة الجندل فبعث خالد أيضا إلى بني عبد المدان فبعث علي إلى اليمن ثم بعث بني عبس لما وفدوا عليه عليه السلام وهم تسعة نفر فبعثهم سرية إلى عير لقريش وآخر من بعثه عليه السلام أسامة بن زيد بعثه إلى أبني بهمزة فموحدة فنون فألف مقصورة بوزن حبلى بناحية البلقاء من الشام.

ولنذكر كلاما مختصرا في البعوث إن شاء الله تعالي.

أما بعث حمزة فقد مرّ، وأما سرية عبيدة ففي المواهب التصدير بأنها بعد بعث حمزة وكانت إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية

أشهر من الهجرة فى ستين راكبا أو ثمانين من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد وعقد له لواء أبيض حمله مصطح كمنبر بن أثاثة بضم الهمزة وتفتح كما فى القاموس وخفة المثلثتين ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف واسم مصطح عوف، ولقبه مصطح، فخرج عبيدة بمن معه حتى لقي جمعا عظيما من المشركين عليهم أبو سفيان كما قال الواقدي أنه الثبت، أو عكرمة بن أبي جهل أو مكرز بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء فزاي ووجد بخط ابن عبدة أنه بفتح الميم وقال ابن خليل بضم الميم وكسر الراء، والمعتمد الأول، وهو ابن حفص بن الأخيف العامري ولم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمي يومئذ بسهم فكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله أي جنسه فلا ينافي قول الواقدي أنه نثر كنانته فتقدم أصحابه وقد تترسوا عنه، فرمى بما فى كنانته وهو عشرون سهما ما منها سهم إلا جرح إنسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم وفرّ الي المسلمين من المشركين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار قاله الزرقاني، وللعراقي بعد ذكره لبعث حمزة

فبعثه عبيدة بن الحارث	لرابع أو قبل ذا أو ثالث
بأنه شيع كلا منهما	معا لذاك أشكل ذا وأبهما
وكان رمي بينهم لم يعدو	أول من رمى بسهم سعد

قال المناوي عقب قوله أو ثالث، أي وقيل قول ثالث بأنه أي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم شيع كلا منهما، ولارسالهما معا أشكل ذا على بعض الناس وأبهم بضم الهمزة، قال القسطلاني هذا مشكل بقولهم أن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر لكن يحتمل أن يكون المصطفى عليه السلام عقد رايتهما معا ثم تأخر خروج عبيدة لرأس الثمانية لأمر اقتضاه اهـ

قال فى الاكتفاء ويقال إن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال فى غزوة عبيدة هذه:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرقت وأمر فى العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصدها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا عليه وقالوا لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا وهروا هرير المجحرات اللواهث
فإن يرجعوا عن غيهم وضلالهم فما طيبات الحل مثل الخبائث
وإن يركبوا طغيانهم وعقوقهم فليس عذاب الله عنهم بلابث

إلى أن قال:

ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها فى الفروع الأثائث
فأولي برب الراقصات عشية حراجيج تخدي فى السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف يردن حياض البير ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم ولست إذا ءاليت يوما بحانث
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث

المجحرات الداخلات فى الجحر بالضم يعنى هر واهرير الكلاب الداخلة فى الجحر تلهث عطشا أو تعبا وأولي أحلف والحراجيج الطوال وتخدي تسرع والسريح شبه النعل تلبسه أخفاف الإبل، والرثائث البوالي، والنبائث جمع نبيثة وهي تراب البئر، والطوامث الحيض.

تنبيه:

ذكر غير واحد أن الراجح أن هاتين السريتين قبل ودان ولذا اقتصر عليه فى المواهب وأوردهما فى الاكتفاء بعد غزوة الأبواء أنظر الزرقاني.

ثم سرية سعد بن مالك الزهري آخر العشرة موتا، بعثه عليه السلام الى الخرار بخاء معجمة مفتوحة وراءين مهملتين الأولى ثقيلة كما فى الصغاني والمجد، والنور والمناوي، فما فى نسخة محرفة من الشامي من

أنه بتشديد الزاي الأولى لا يلتفت إليه وهو ماء لبني زهير أو واد بالحجاز يصب على الجحفة وذلك فى ذي القعدة بكسر القاف وفتحها على رأس تسعة أشهر وجعلها ابن عبد البر بعد بدر فى السنة الثانية وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي البدري المعروف بابن الأسود لأنه تبناه فى عشرين من الهاجرين يعترضون عيرا لقريش، فخرجوا علي أقدامهم يكمنون بالنهار ويمشون بالليل فصبحوا الخرار صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالأمس فرجعوا ولم يلقوا كيدا أنظر المناوي، ومحمد بن عبد الباقي، وللعراقي بعد ما تقدم، فبعثه سعد إلى الخرار للعير فأتت رجعوا للدار يعنى المدينة ثم بعد بدر الأولى سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش، ابن رياب براء مكسورة فتحتية آخره موحدة الأسدي البدري المستشهد فى أحد وذلك في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وهم ثمانية أو اثنى عشر من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد، روى البغوي عن سعد بن أبي وقاص بعثنا صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية وقال لأبعثن عليكم رجلا أصبركم علي الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش فكان أول أمير فى الإسلام وقال اليعمري سمي فى هذه السرية أمير المؤمنين وقال غيره سماه صلى الله تعالى عليه وسلم أمير المؤمنين، بعثهم إلى نخلة على ليلة من مكة والطائف وهي على لفظ واحدة، النخل، وهي موضع وهو الذى ينسب إليه بطن نخلة وهي التى اجتمع الجن بها وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما سارهما فتح الكتاب فإذا فيه: فإذا نظرت فى كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم ولا تستكره أحدا على الخروج معك، فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه أنه نهاه أن يستكره أحدا منهم فلم يتخلف أحد منهم يعتقب كل اثنين منهم على بعير وسلك على الحجاز حتى إذا كان ببحران بفتح الموحدة وضمها أضل سعد بن مالك وعتبة بن غزوان جملهما الذى كانا يعتقبان عليه فتخلفا

فى طلبه ومضى عبد الله فى أصحابه حتى نزل بنخلة يرصد قريشا فمرت عير لهم تحمل زبيبا وأدما بفتح الهمزة والدال أي جلودا فيها عمرو بن الحضرمي واسمه عبد الله بن عباد أو ابن عمار وعم هذا وعامر والعلاء وأختهم الصعبة أسلمت هي والعلاء والصعبة هي أم طلحة بن عبيد الله وفى العير أيضا عثمان بن نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قربهم فهابوهم فحلق عكاشة رأسه وقيل واقد وأشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار بضم العين وشد الميم أي معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب، إن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وإن تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة، فأجمعوا على قتلهم، فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فقتله وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان وأسلم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستاقوا العير فكانت أول غنيمة فى الإسلام، فقسمها ابن جحش وعزل الخمس قبل أن يفرض فقدموا المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام، فأخر الأسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش أن محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام فأنزل الله تعالى {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه} (الآية)، ففرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش:

تعدون قتلى فى الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشدا
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من الحقد عاند

قوله وأعظم منه أي وأشد منه، أي من القتل الواقع منا فيه، مبتدأ وخبره صدودكم، والجملة بينهما اعتراضية وجواب لو محذوف أي لعلم ان فعلكم أعظم وسقينا خبران ومفعوله الثاني قوله دما وغل بالضم طوق من حديد يجعل في العنق وأما بكسرها فالحقد كما في المصباح أنظر الزرقاني.

وبعثت قريش إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في فداء الأسيرين عثمان والحكم بن كيسان مولى أبي جهل فقال عليه الصلاة والسلام لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعدا وعتبة إنا نخشاكم عليهما فإن قتلتموهما قتلنا صاحبيكم، فقدم سعد وعتبة بعدهم بأيام ففداهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم واستشهد ببئر معونة ذكره ابن اسحاق وابن عقبة، وروى الهيثم أنه تزوج آمنة بنت عفان أخت عثمان، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ومات بها كافرا.

وللعراقي بعدما قدمته عنه:

بعث ابن جحش بعده أو أول	بنخلة فغنموا وقتلوا
في سلخ شهر رجب إنسانا	وأنزل الله به قرآنا
أي يسألونك أزالت كربا	وبأمير المؤمنين لقبا

وقوله أو أول أي وقيل أن بعث ابن جحش هو أول البعوث، قوله في سلخ شهر رجب أي آخره، وقوله به أي فيه، ثم بعد بعث بن جحش بعثه عليه السلام عمير بن عدي الأوسي ثم الخطمي بفتح المعجمة وسكون المهملة نسبة إلى جده خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس، قيل إنه أول من أسلم من بني خطمة وكان أعمى بعثه إلى عصماء بفتح العين وسكون الصاد المهملتين والد بنت مروان اليهودية زوجة يزيد بن زيد الخطمي الصحابي وكانت توذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليها ليلا وحولها نفر من ولدها نيام وهو أعمى كما مرّ فجسها بيده ونحى عنها ولدا لها كانت ترضعه فوضع سيفه على صدرها حتى

أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وأخبره بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان، فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت منه صلى الله تعالى عليه وسلم، فهي من كلامه الوجيز البليغ الذى لم يسبق إليه عليه الصلاة والسلام أي لا يعارض فيها معارض ولا يطلب بديتها.

ولابن اسحاق انه لما رجع إلى قومه وجد بنيها وهم خمسة رجال فى جماعة يدفنونها فقال أنا قتلتها فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فأهدرها صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينتطح فيها عنزان وسماه البصير لكمال إيمانه وقوة قلبه، وقال من أحب أن ينظر إلى رجل كان فى نصرة الله ورسوله فلنيظر إلى عمير بن عدي، فقال عمر أنظروا إلى هذا الأعمى الذى يرى وسمي ابن دريد بن عدي هذا غشميرا بمعجمتين قبل الميم، وقال فعليل من الغشمرة وهي أخذ الشيء بالغلبة، قال فى الإصابة صحفه ابن دريد وإنما هو عمير لا شك فيه، ولا ريب أنظر الزرقاني وللعراقي:

فبعثه عميرا الخطميا لقتل عصما هجت النبيا

قال المناوي فى شرحه وكان لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة أشهر من الهجرة، ثم بعده بعث سالم بن عمير بن ثابت الأوسي العقبي البدري أحد بنى عمرو بن عوف وكان من البكائين بعثه عليه الصلاة والسلام إلى قتل أبي عفك بفتح المهملة والفاء الخفيفة فكان يقال رجل أعفك أي أحمق وهو يهودي كان فى بنى عامرو بن عوف وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يحرض علي النبي صلى الله عليه وسلم ويهجوه، فقال عليه السلام من لي بهذا الخبيث فقال سالم علي نذر إن لم أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فأمهل يطلب له غرة بكسر المعجمة وشد الراء المهملة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة أي حارة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم سالم به فأقبل إليه ووضع سيفه علي كبده ثم اعتمد عليه

حتى خش، أي دخل فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار إليه أي اجتمع إليه ناس ممن هم علي قوله وأدخلوه منزله وقبروه وكان ذلك فى رأس شوال رأس عشرين شهرا من الهجرة. وقالت أمامة بضم الهمزة المريدية بضم الميم وكسر الراء وقيل بفتحها نسبة إلى مريد بطن من بلي الصحابية فى ذلك:

تكذب دين الله والمرأ أحـــمـــدا لعمري الذى أمناك ان بيس ما يمني
حـبـــاك حنيف آخـــر الليل طعنة أبا عــفك خــذها على كـبـــر السن

ولعمري الذى أمناك أي وحياتي الذى أنشأك وحباك بموحدة أعطاك، وحنيف مسلم، قاله الزرقاني وللعراقي:

فـــبـــعـث ســـالـم إلى أبي عـــفك قـــــــتـــلـه آذى الـنـبـي وأفـك

بفتح الهمزة والفاء أي كذب على المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قال. ثم بعد ذلك سرية محمد بن مسلمة بفتح الميم الأوسي، ثم الأشهلي شهد بدرا والمشاهد كلها، بعثه عليه الصلاة والسلام ومعه أربعة من الأوس أبو نائلة بنون وبعد الألف تحتية كما فى الفتح وللقسطلاني وبعد الألف همزة سلكان بكسر السين المهملة وسكون اللام ابن سلامة بن وقش بسكون القاف وفتحها الأوسي ثم الأشهلي أيضا شهد أحدا وغيرها وعباد بفتح المهملة وشد الموحدة ابن بشر بكسر الموحدة وسكون المعجمة الأشهلي أيضا البدري والحارث بن أوس ابن معاذ ابن أخي سعد بن معاذ وأبو عبس بمهملتين بينهما موحدة ابن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة الأوسي الحارثي البدري وسبب بعثتهم أنه عليه السلام لما بعث زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة إلى من بالمدينة بخبر بدر بشيرين قال كعب بن الأشرف وكان من طيء ثم من بنى نبهان أمه من بنى النضير أترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير لي من ظهرها، فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة فجعل يحرض علي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكي أصحاب القليب ويهجو رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم فيهجوه هو حسان، ثم رجع إلى المدينة فشبب أي تغزل بنساء المسلمين وآذاهم فقال عليه الصلاة والسلام من لنا بابن الأشرف وفى رواية من لكعب بن الأشرف أي من ينتدب لقتله فقد استعلن لعداوتنا وهجائنا، فقد خرج إلى المشركين فجمعهم لقتالنا وقد أخبرني الله بذلك، فقال محمد بن مسلمة أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله قال فافعل إن قدرت علي ذلك. وفى رواية أنه عليه السلام أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه ففعل. وفى رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال له إن كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ، فشاوره فقال له توجه إليه واشكوا الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما.

ولابن إسحاق أنه مكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب؟ قال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا. قال إنما عليك الجهد.

ولما اجتمع القوم المذكورون علي قتله أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لابد لنا أن نقول قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به للتمكن من قتله، قال قولوا ما بدى لكم فأنتم فى حل من ذلك. ومشى معهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بقيع الغرقد وقال انطلقوا علي اسم الله، اللهم أعنهم.

ثم رجع عليه السلام إلى بيته وأقبلوا حتى انتهوا الي حصنه وكان حديث عهد بعرس فهتف به أبو نائلة وكان أخاه من الرضاعة فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها فقالت إنك امرء تحارب وإن أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة. قال انه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني، فقالت والله إني لأعرف فى صوته الشر.

وفي البخاري أسمع صوته كأنه يقطر منه الدم، قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم إذا دعي إلى طعنة لأجاب اهـ. فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه وقالوا هل لك يابن الأشرف أن

تمشي إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا فقال إن شئتم فخرجوا يتماشون ثم إن أبا نائلة شام يده بمعجمة وميم مخففة أدخلها في فود رأسه ثم شم يده، فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم عاد بمثلها فأخذ بفود رأسه فقال أضربوا عدو الله.

وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لأصحابه إذا ما جاء كعب فإني نائل بشعره أي آخذ به فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه، فنزل إليهم ينفح منه ريح الطيب، فقال ما رأيت كاليوم ريحا، فقال عندي أعطر نساء العرب، فقال ابن مسلمة أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال نعم. فشمه ثم أشم أصحابه، وفي رواية فقال ابن مسلمة إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما ناكل وإني قد أتيتك أستسلفك، قال كعب وأيضا والله لتملنه، وفي رواية وأحب أن تسلفنا طعاما، قال وأين طعامكم؟ قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه. قال ألم يان لكم أن تعرفوا أنما أنتم عليه من الباطل اهـ؟ قال نعم، ارهنوني، قالوا أي شيء تريد ؟ قال ارهنوني نساءكم؛ قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك؟ فقال فارهنوني ابناءكم. قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللامة، يعني السلاح، وإنما قالوا له ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم بالسلاح.

وفي روية ان أبا نائلة جاءه فقال له ويحك يابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني. قال افعل. قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال، فقال كعب: أما والله لقد كنت أخبرك أن الأمر سيصير إلى ما أقول. فقال إني أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك، وإن معي أصحابي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال إن في الحلقة لوفاء، وأومأ الدمياطي إلى ترجيحه. قال الحافظ ويحتمل أن كلا منهما كلمه في ذلك لأن أبا نائلة

أخوه من الرضاعة وابن مسلمة ابن أخيه. وفي رواية الواقدي وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه اهـ. فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا. قال ابن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدو الله والمغول بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الواو شبه سيف قصير تغطيه الثياب أو حديدة دقيقة لها حد ماض وثنته بضم المثلثة وشد النون المفتوحة سرته. وإنما قتلوه على هذا الوجه لأنه نقض عهده صلى الله عليه وسلم وهجاه، وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه، قاله المازري. قال عياض وقيل لأن محمد بن مسلمة لن يصرح له بالأمان وإنما كلمه في أمر البيع واشتكى إليه ولا يحل لأحد أن يقول أن قتله كان غدرا، وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي كرم الله وجهه فأمر به فضربت عنقه، وروي أنهم لما قتلوه حملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة وأصاب الحارث بن أوس ذباب سيف من أسياف الصحابة فجرح في رأسه أو رجله ونزفه الدم فاحتملوه إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فتفل عليه السلام على جرحه فلم يوذه، فقال عباد بن بشر في ذلك شعرا:

صرخت به فلم يعرض لصوتي ... وأوفى طالعا من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادي ... فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهنا فخذها ... لشهر إن وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا ... وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوي سريعا ... وقال لنا لقد جئتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد ... مجربة بها الكفار نفر
فعانقه ابن مسلمة المردى ... به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه ... فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فأبنا ... بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام ... هم ناهيك من صدق وبر

قوله فقطره بالقاف أي صرعه صرعة شديدة، ولما انتهوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبروه بقتله قال لهم أفلحت الوجوه. فقالوا وجهك يا رسول الله. وروي ووجهك بواوين وحذفها أمس بالأدب، لأنها تثبت فلاح وجهه مع وجوههم. ورموا برأسه بين يديه فحمد الله تعالى على قتله، فأصبحت اليهود مذعورين ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا.

وللعراقي:

فمبعثه محمد بن مسلمه في فرقة لقتل كعب الملامه
جاؤا برأسه فأذرموه قال لهم أفلحت الوجوه

ثم سرية زيد بن حارثة الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء وقيل بالفاء أي المفتوحة وكسر الراء اسم ماء من مياه نجد قاله في المواهب، وسببها أن قريشا لما كان من وقعة بدر ما كان خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار بكسر التاء وتخفيف الجيم وبضم الفوقية وشد الجيم، فيهم أبو سفيان واستأجروا فرات بضم الفاء بن حيان بفتح المهملة وشد التحتية الرفعي البكري حليف بني سهم دليلا لهم، ومعهم فضة كثيرة قال ابن اسحاق هي عظم تجارتهم قال الزرقاني بضم فسكون أي أكثر فبعث إليهم عليه الصلاة السلام زيدا في مائة راكب فلقيهم بالقردة فأصاب العير فأتى بها وأعجزه الرجال فخمسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغت قيمة الخمس عشرين ألف درهم. وعند مغلطاي خمسة وعشرين ألف درهم وقدموا بالدليل فرات بن حيان أسيرا فأسلم وأرسله عليه السلام بعد ذلك إلى ثمامة بن أثال في شأن مسيلمة ومر عليه السلام به وهو مع أبي هريرة والرحال بن عفوة فقال ضرس أحدكم في النار مثل أحد فمازال فرات وأبو هريرة خائفين حتى بلغهما ردة رحال وإيمانه بمسيلمة فخرا ساجدين، وهذه السرية، قال ابن سعد هي أول سرية خرج فيها زيد أميرا، قال وكان بعثه لهلال جمادى الآخرة على رأس

ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة يعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن أمية الجمحي وحويطب بن عبد العزى القرشي العامري وعبد الله بن أبي ربيعة انتهى. وأسلموا بعد كلهم.
وفي المناوي ومعهم مال كثير منه فضة نحو ثلاثين ألف درهم وثلاثمائة مثقال ذهبا، وذكر ابن إسحاق هذه السرية قبل قتل ابن الأشرف وكان قتله بأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة. وللعراقي بعدما تقدم:

فبعثه زيدا إلى القردة ... ماء بنجد بقريب غمزة
فحصلوا مائة ألف مغنما ... وأسروا فرات ثم أسلما

قال المناوي في شرحه بعد قوله القردة بفتح الراء والقاف على الأشهر وضبطه الدمياطي بفاء مفتوحة وراء ساكنة وغمزة قال بفتح الغين المعجمة وميم ساكنة موضع بين نجد وتهامة من طريق الكوفة. وقال حسان بن ثابت في غزوة بدر الأخيرة يؤنب قريشا في أخذهم تلك الطريق:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمن على الرس النزوع ثمانيا ... بأرعن جرار عظيم المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه ... وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامي تذرى أصوله ... مناسم أخفاف المطي الرواتك
فإن تلف في تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيان يكن رهن هالك
وإن تلف قيس بن امرئ القيس بعده ... نزد في سواد لونه لون حالك

ومنها كما في فتح الودود:

وأبلغ أبا سفيان عني رسالة ... فإنك من غر الرجال الصعالك

الفلجات بالجيم جمع فلج وهو الماء يجري ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال الفلجة المزرعة والمخاض واحدتها خلفة من غير لفظها وقد قيل في

الواحدة ماخض وعندى ان المخاض فى الحقيقة ليس بجمع وإنما هو مصدر ولذلك وصف به الجمع، وفى التنزيل فأجاءها المخاض كذا رأيته معزوا للسهيلي. والأوارك الأكلة للأراك فتفتح أفواهها لذلك والرس البئر المطوية بالحجارة والنزوع كصبور القريبة القعر وجيش أرعن عظيم له فضول والكميت الأحمر، والقب الضوامر والحارك أعلى الكاهل، والعامي الذى مر عليه عام، والرواتك المسرعات، والرتك سير النعام، وفرات مر قريبا ضبطه ونسبه.

ثم سرية أبى سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة إلى قطن بفتح القاف والطاء المهملة وبالنون جبل بناحية فيذ بفتح الفاء وسكون التيحتية وبالدال المهملة ماء لبنى أسد بن خزيمة ومعه مائة وخمسون من المهاجرين والأنصار وسببها أن الوليد بن زبير الطائي أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم أنه مرّ بطليحة وسلمة ابني خويلد الأسدي وهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه عليه السلام فنهاهم قيس بن الحارث فلم ينتهوا، فبعث إليهم أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل بأرض بنى أسد، فأغر عليهم. فأسرع أبو سلمة السير حتى انتهي إلى أدنا قطن فأغار علي سرح لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت سائرهم فجاؤهم وأخبروهم الخبر فتفرقوا فى كل وجه وهرب طليحة وأخوه ولم يدركهما أبو سلمة فرجع ولم يلق حربا، وللعراقي رحمه الله تعالى:

فبعده بعث ابن عبد الأسد ... بقطن لولدي خويلد
طليحة مع أخيه سلمه ... قد جمعا حرب نبي المرحمه
فلم يصل حتى تفرق الملا ... وغنموا شاء لهم وإبلا

وطليحة أسلم بعد ذلك وارتد بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى النبوءة ثم اسلم إسلاما صحيحا ولم يغمض عليه فى إسلامه بعد ذلك. وجزم الشامي بأن أخاه سلمة لم يسلم، وقال ابن عبد البر أن

مـسـعـود بـن عـروة قـتـل فـى هـذه الـسـريـة. وقـولـه حـرب مـنـصـوب بـنـزع الخافـض أي جمع الناس إلى حرب، وقوله إبلا أي كثيرة كما فى المناوي.
ومدة غيبة تلك السرية عشرة أيام والله تعالى أعلم قاله الزرقاني.
ثم يلي ما مر بعث عبد الله بن أنيس بضم أوله وفتح النون وسكون التحتية ابن أسعد الجهني الأنصاري، قاله الزرقاني. بعثه وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة إلى قتل سفيان بن خالد بن نبيح بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية وحاء مهملة الهذلي ثم اللحياني قاله ابن سعد وتبعه اليعمري والعراقي وقال ابن اسحاق خالد بن سفيان بن نبيح لأنه بلغه عليه السلام أنه يجمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله، فقال صفه لي حتى أعرفه، قال إذا رأيته هبته وفرقت ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال، فقلت يا رسول الله ما فرقت من شيء قط قال آية ما بينك وبينه ذلك، واستأذنته أن أقول، فقال قل ما بدا لك فقال انتسب لخزاعة قال فأخذت سيفي ولم أزده عليه وخرجت اعتزى إلى خزاعة فلما وصل إليه بعرنة بضم العين المهملة وفتح الراء والنون فتاء تأنيث موضع بقرب عرفة موقف الحاج لقيه يمشي وراءه الأحابيش قال فهبته وعرفته بنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد دخل وقت العصر فصليت وأنا أمشي أومئ برأسي إيماء فلما دنوت منه، قال فمن الرجل؟ قلت من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد وجئت لأن أكون معك، قال أجل إني لفي الجمع فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي وقلت عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين، فارق الاباء وسفه أحلامهم، قال انه لم يلق أحدا يشبهني وهو يتوكأ على عصى تهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به، فقال هلم يا أخا خزاعة، فجلست معه حتى إذا نام الناس اغتررته واحتز عبد الله رأسه ثم دخل غارا في الجبل وضرب العنكبوت عليه، فجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فخرج

يسير الليل ويكمن النهار حتى أتى المدينة فرمى برأسه بين يدي المصطفي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال أفلح الوجه، أي فاز، فقال أفلح وجهك يا رسول الله. فدفع إليه عصى، فقال تخصر بها فى الجنة، فإن المتخصرين فى الجنة قليل فكانت عنده فلما حضرته الوفاة وصى بأن تدرج فى كفنه فجعلواها بين جلده وكفنه وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة.

وللحافظ العراقي:

يليه بعث ابن أنيس العامد	لقتل سفيان هو ابن خالد
ابن نبيح كان صوب عرنه	يجمع للنبي فلما أمكنه

أي فلما هدأ الناس وناموا قاله المناوي.

احتز رأسه فلما احضره	دعا له وخصه بمخصره

وهي بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة فصاد مهملة ما يمسكه الإنسان من نحو عصى قاله المناوي وفى الزرقاي التخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وقال عبد الله في ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله	نوائح تفرى كل جيب مقدد
تناولته والظعن خلفى وخلفه	بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم أمام الدارعين كأنه	شهاب غضى من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه	أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد
فقلت له خذها بضربة ماجد	حنيف على دين النبي محمد
وكنت إذا هم النبي بكافر	سبقت إليه باللسان وباليد

والظعن جمع ظعينة وقد مر أنها تقال للمرأة وإن لم تكن راكبة وهذا التفسير هو الذى يلائم ما مر عن الزرقاني، والمناوي وفى الكلاعي انه وجده فى ظعن يرتاد لهن منزلا وانه قال وتركت ظعائنه منكبات وتفرى تشق والمقدد المقطع والقعدد الجبان وعجمه كنصره: عضه، أولاكه وحنيف مسلم.

ثم بعد بعث عبد الله بن أنيس على ما للقسطلاني فى المواهب بعث الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم وهو اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان

كانت الوقعة قريبا منه فسميت به وهو سرية عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بالقاف واللام، قيس بن عصمة بن النعمان الأوسي من السابقين، روى الحسن بن سفيان انه لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون؟ فقام عاصم بن ثابت وقال إذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة حتى تقصف فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم، وشهد عاصم العقبة وبدرا وأحدا واستشهد بعد أحد فى هذه السرية كما يأتى وكانت فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة، فهي فى السنة الرابعة كما قاله ابن سعد، ولابن اسحاق أنها فى أواخر سنة ثلاث انظر الزرقاني، والمداعبة هنا المدافعة بالرماح وتقصف تكسر وسماها بعضهم سرية مرثد بن أبى مرثد الغنوي وبه صدر الحافظ العراقي وفى هذه السرية وقعت قصة عضل والقارة وعضل بفتح العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها لام هو ابن الديش بفتح الدال المهملة وكسرها ثم تحتية ساكنة ثم شين معجمة كما قاله البرهان وشيخه المجد فى القاموس وفى السبل بسين مهملة ابن محكم بطن من بنى الهون بضم الهاء وسكون الواو ابن خزيمة بن مدركة القارة بفتح القاف وتخفيف الراء فتاء تانيث بطن من الهون أيضا ينسبون إلى الديش المذكور، والقارة أكمة سوداء فيها حجارة كانوا نزلوها فسموا بها ويضرب بهم المثل فى إصابة الرمي قال الشاعر:

قد انصف القارة من راماها، انظر المواهب وشرحها.

وسبب قصة أصحاب الرجيع أنه لما قتل ابن نبيح الهذلي ثم اللحياني مشت بنو لحيان من هذيل إلى عضل والقارة فجعلوا لهم إبلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يخرج إليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر منهم مقرين بالإسلام فقالوا يا رسول الله إن

فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا، فبعث معهم ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبى مرثد وأمره عليهم، وخالد بن البكرى وعاصم بن ثابت وخبيب بضم الخاء المعجمة بن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة والمثلثة وشد النون فتاء تأنيث الأنصاري البياضي وعبد الله بن طارق البلوي وكلهم بدريون وكون الأمير عليهم مرثدا قاله ابن اسحاق وفى الصحيح وأمر عليهم عاصما وهو الصحيح كما قاله السهيلي وغيره فخرجوا معهم حتى أتوا الرجيع غدروا بهم فاستغاثوا عليهم هذيلا فلم يرعهم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم إنا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب معكم من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد الغنوي حليف حمزة وخالد بن البكير بضم الموحدة وفتح الكاف البلوي حليف بنى عدي وعاصم بن ثابت الأوسي فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهداً وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم.

وقال عاصم قبل قتله:

مـــــا علتى وأنا جلد بازل	والقــوس فــيــهــا وتر عنابل
نزل عن صــفــحــتــهــا المعــابل	الموت حق والحــيـــاة باطل
وكل مـــــا حم الإله نازل	بالمرء والمرء إليــــه ءائل
إن لم أقــاتلكم فــإنى جــاهل	

العنابل كعلابط الغليظ والمعابل بالموحدة بعد الألف جمع معبلة كمكنسة انتهى وهي نصب نصل السهم العريض الطويل وحم قدر، وأما زيد وخبيب الأوسي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا فلما استمكنوا منهم اطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال عبد الله بن طارق هذا أول الغدر والله لا أصحبكم ان لى بهؤلاء أسوة يريد القتلى فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون التحتية فراء مهملة ابن اهاب ككتاب

فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا، فبعث معهم ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبى مرثد وأمره عليهم، وخالد بن البكرى وعاصم بن ثابت وخبيب بضم الخاء المعجمة بن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة والمثلثة وشد النون فتاء تأنيث الأنصاري البياضي وعبد الله بن طارق البلوي وكلهم بدريون وكون الأمير عليهم مرثدا قاله ابن اسحاق وفى الصحيح وأمر عليهم عاصما وهو الصحيح كما قاله السهيلي وغيره فخرجوا معهم حتى أتوا الرجيع غدروا بهم فاستغاثوا عليهم هذيلا فلم يرعهم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم إنا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب معكم من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد الغنوي حليف حمزة وخالد بن البكير بضم الموحدة وفتح الكاف البلوي حليف بنى عدي وعاصم بن ثابت الأوسي فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم.

وقال عاصم قبل قتله:

ما علتى وأنا جلد بازل	والقوس فيها وتر عنابل
نزل عن صفحتها المعابل	الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل	بالمرء والمرء إليه ءائل
إن لم أقاتلكم فإنى جاهل	

العنابل كعلابط الغليظ والمعابل بالموحدة بعد الألف جمع معبلة كمكنسة انتهى وهي نصب نصل السهم العريض الطويل وحم قدر، وأما زيد وخبيب الأوسي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا فلما استمكنوا منهم اطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال عبد الله بن طارق هذا أول الغدر والله لا أصحبكم ان لى بهؤلاء أسوة يريد القتلى فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون التحتية فراء مهملة ابن اهاب ككتاب

كانت الوقعة قريبا منه فسميت به وهو سرية عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بالقاف واللام، قيس بن عصمة بن النعمان الأوسي من السابقين، روى الحسن بن سفيان انه لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون؟ فقام عاصم بن ثابت وقال إذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة حتى تقصف فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم، وشهد عاصم العقبة وبدرا وأحدا واستشهد بعد أحد في هذه السرية كما يأتي وكانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة، فهي في السنة الرابعة كما قاله ابن سعد، ولابن اسحاق أنها في أواخر سنة ثلاث انظر الزرقاني، والمداعبة هنا المدافعة بالرماح وتقصف تكسر وسماها بعضهم سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي وبه صدر الحافظ العراقي وفي هذه السرية وقعت قصة عضل والقارة وعضل بفتح العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها لام هو ابن الديش بفتح الدال المهملة وكسرها ثم تحتية ساكنة ثم شين معجمة كما قاله البرهان وشيخه المجد في القاموس وفي السبل بسين مهملة ابن محكم بطن من بني الهون بضم الهاء وسكون الواو ابن خزيمة بن مدركة القارة بفتح القاف وتخفيف الراء فتاء تانيث بطن من الهون أيضا ينسبون إلى الديش المذكور، والقارة أكمة سوداء فيها حجارة كانوا نزلوها فسموا بها ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي قال الشاعر:

قد انصف القارة من راماها، انظر المواهب وشرحها.

وسبب قصة أصحاب الرجيع أنه لما قتل ابن نبيح الهذلي ثم اللحياني مشت بنو لحيان من هذيل إلى عضل والقارة فجعلوا لهم إبلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يخرج إليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر منهم مقرين بالإسلام فقالوا يا رسول الله إن

التميمي حليف بني نوفل وقد اسلم الثلاثة بعد وصحبوا ولله الحمد، وفي البخاري ان خبيبا هو الذي قتل الحارث أباهم يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى عزموا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستنجد بها فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل إليه الصبي فأجلسه عنده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال ما كنت لأغدر، قالت والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب كان يتهجد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين والله لقد وجدته ياكل قطفا بكسر القاف أي عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان ذلك إلا رزقا رزقه الله تعالى خبيبا.

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال اتركوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال اللهم احصهم عددا بقطع الهمزة أي استأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا بفتح الموحدة والدال المهملة مصدر بمعنى التبدد يعني متفرقين، ومن رواه بكسر الموحدة فهو جمع بدة وهي القطعة من الشيء، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي كما في مرسل بريدة، قال السهيلي أصابت دعوته من سبق في علم الله أن يموت كافرا ومن أسلم منهم، فلم يعنه خبيبب وحاشاه أن يكره إيمانهم ومن قتل منهم بعد الدعوة فإنما قتلوا بها بددا غير مجتمعين كاجتماعهم في أحد فنفذت الدعوة على صورتها فيمن أراد خبيبا انتهى.

وعن معاوية بن أبي سفيان قال كنت مع أبي فجعل يلقيني إلى الأرض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل إذا دعي عليه واضطجع زلت عنه الدعوة، وروي ان خبيبا قال اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه، فجاء جبريل فأخبره الخبر فزعموا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وعليك السلام.

وفي الصحيح ان الذي قتل خبيبا أبو سروعة عقبة بن الحارث وهو بكسر السين وفتحها والراء ساكنة وقال جماعة من أهل السير والنسب

أبو سروعة أخو عقبة وهو الذى تقدم، وقال العسكري من زعم أنهما واحد فقد وهم وفى الإصابة أبو سروعة هو عقبة عند الأكثر وقيل أخوه وأسلم يوم الفتح ولابن اسحاق بإسناد صحيح عن عقبة بن الحارث ما أنا قتلت خبيبا أنا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله، ولما أرادوا قتله أنشأ يقول:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد ... علي لأنى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى ... وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى ... فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمع
ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان فى الله مضجع
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع
فقد خيرونى الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بى حذار الموت إنى لميت ... ولكن حذارى حجم نار ملفع
فلست بمبد للعدو تخشعا ... ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى

وألبوا بشد اللام حضوا ولا يفسر بجمعوا كما فى النور ليغاير ما قبله وما بعده، والمصرع المطرح على الأرض، وذات الإله وجه الله وابتغاء رضاه وثوابه والأوصال الأعضاء جمع وصل، والشلو بكسر الشين المعجمة وسكون اللام الجسد والممزع المقطع المفرق والجحم بفتح الجيم الاضطرام والتلفع التلهب وروي انهم لما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب ناشدوه أتحب أن محمدا مكانك؟ قال لا والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه.

وأما زيد بن الدثنة فاتبعه صفوان بن أمية فبعث به مولى له اسمه نسطاس بكسر النون إلى التنعيم ليقتله فقتله وروى ابن اسحاق ان أبا سفيان بن حرب قال لزيد لما قدم ليتقل أنشدك بفتح الهمزة وضم الشين أي أسألك بالله أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه

وأنك فى أهلك فقال والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى.
فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. وأسلم نسطاس بعد وحسن إسلامه. وقال حسان يبكى خبيبا:

يا عين جودي بدمع منك منسكب — وابكي خبيبا مع الفتيان لم يؤب
صقرا توسط فى الأنصار منصبه — سمح السجية محضا غير مؤتشب
قد هاج عيني على علاة عبرتها — إذ قيل نص على جذع من الخشب
يا أيها الراكب الغادى لطيته — ابلغ إليك وعيدا ليس بالكذب
بني جهينة أن الحرب قد لقحت — محلوبها الصاب إذ يهدى لمحتلب
فيها أسود بنى النجار تقدمهم — شهب الأسنة فى معصوصب لجب

ونص بالبناء للفعول رفع والطية كالنية زنة ومعنى والصاب شجر مر، والمعصوصب المجتمع الشديد وجيش لجب بكسر الجيم له لجبة وصياح ومؤتشب بالفتح غير صريح فى نسبه، انظر القاموس.
وبعثت قريش عاصم بن ثابت من ياتيهم بشيء منه لأنه كان قتل عقبة بن معيط بعد انصرافهم من بدر بمحل يقال له عرق الظبية قتله صبرا بأمر من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن اسحاق انه لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بضم السين وخفة اللام وبالفاء وصحفها ابن الأثير فأبدلها ميما بنت سعد بن شهيد بضم المعجمة وفتح الهاء الأنصارية الأوسية أسلمت فى الفتح وهي أم مسافع بضم الميم وكسر الفاء وجلاس بضم الجيم وخفة اللام وسين مهملة ابنا طلحة العبدري وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين قتل عاصم ابنها يوم أحد لأن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر فى قحفه وهو بكسر القاف وسكون الحاء المهملة وبالفاء ما انفلق من الجمجمة وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر وهو بفتح الدال وتكسر وسكون الباء جماعة النحل. وللبخاري فبعث الله عليهم مثل

الظلة من الدبر فحمسته من رسلهم فلم يقدروا منه علي شيء. ولابن اسحاق وكان قد اعطى الله عهدا ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك أي بمصافحة ونحوها مما يشعر بالميل إليهم فلا ينافى انه يقتلهم بسيف أو رمح.

ثم بعد بعث الرجيع على ما فى المواهب والاكتفاء سرية المنذر بن عمرو بفتح العين حبيش بن حارثة بن لوذان الخزرجي العقبي البدري إلى بئر معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وهي بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين منها قريب وهي إلى حرة بنى سليم أقرب كما فى الكلاعي وكانت فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وقدمها الحافظ العراقي على بعث الرجيع وسببها أنه قدم أبو براء بفتح الموحدة وبالراء والمد ، ملاعب الأسنة واسمه عامر بن مالك بن جعفر العامري الكلابي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، بل قال يا محمد أنا أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومى خلفى فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد لرجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام إنى أخشى أهل نجد عليهم، قال أنا جار لهم فابعثهم. فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر بن عمرو وبعث معه القراء وهم سبعون كما فى البخاري ومسلم من طرق واقتصر عليه العراقي وقال السهيلي هو الصحيح وقيل أربعون ويمكن الجمع بأن الأربعين كانوا رؤساء والثلاثون تبع وكانوا يجمعون الحطب بالنهار ويصلون بالليل ويشترون بالحطب الطعام لأهل الصفة وكانوا من الأنصار وفى رواية أنه أي أبا براء أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال عليه الصلاة والسلام لا أقبل هدية مشرك، وفى رواية إنى نهيت عن زبد المشركين بفتح الزاي المعجمة وسكون الموحدة وبالدال المهملة الرفد والعطاء قال السهيلي ولم يقل عن هديتهم لأنه إنما كره ملاينتهم أو مداهنتهم إذا كانوا حربا له لأن الزبد مشتق من الزبد

كما أن المداهنة مشتقة من الدهن، فعاد المعنى إلى معنى اللين، نقله العلامة الزرقاني.
ولما وصل المنذر ومن معه من معونة بعثوا حرام بن ملحان بكسر الميم أشهر من فتحها أخو أم سليم بكتابه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي وهو ابن أخ براء ومات كافرا بإجماع أهل النقل.
وأما قول المستغفري أنه صحابي فغلط كما قاله البرهان، وقال الحافظ هو خطأ صريح وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي.
فلما أوتى عدو الله بكتاب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينظر فى كتابه وعدا على حرام فقتله وفى الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح قال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عليهم بنى عامر قومه فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر بضم أوله أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية بضم العين المهملة وفتح الصاد المهملة وشد التحتية وتاء تأنيث ورعلا بكسر فسكون ابن عوف بالفاء بن مالك بن امرئ القيس بن نهية بن سليم وذكوان، وهذه الثلاثة بدل من قوله قبائل وذكوان بفتح المعجمة وسكون الكاف بطن ينسبون لذكوان بن ثعلبة بن سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم رضي الله تعالى عنهم.
الأكعب بن زيد الأنصاري البخاري البدري فإنهم تركوه وبه رمق لظنهم موته فارتث من بين القتلا فعاش حتى استشهد فى الخندق قتله ضرار بن الخطاب أو قتله سهم غرب لا يدرى راميه وعمرو بن أمية الضمري بفتح فسكون كان فى سرح القوم هو ورجل من الأنصار قيل اسمه المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا والله إن لهذا الطير لشأنا، فأقبلا لينظرا فإذا القوم

فى دمائهم والخيل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو ما ترى؟ قال نرى أن نلحق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونخبره الخبر، قال الأنصاري لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ثم قاتل القوم حتى قتل وأسروا عمرو بن أمية فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فلما بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل؛ قال الزرقاني اختلف فى اسلام ابى براء وذكره جماعة من الصحابة فى الصحيح وقال الذهبي الصحيح انه لم يسلم، وقال فى الإصابة ليس فى شيء من الأخبار ما يدل على إسلامه ولقب ملاعب الأسنة جمع سنان وهو نصل الرمح يوم سوبان وهو يوم كان بين قيس وتميم وجبلة اسم لهضبة عالية لأن أخاه طفيلا الذى يقال له فارس قرزل اسلمه ذلك اليوم وفر، فقال الشاعر:

فررت وأسلمت ابن امك عامرا ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمي ملاعب الرماح وملاعب الأسنة وهو عم لبيد بن ربيعة بن مالك انتهى من السهيلي انظر الزرقاني.

قوله ارتث أي حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق، قاله فى القاموس، وقتل يومئذ عامر بن فهيرة فلم يوجد جسده رضي الله عنه ودفنته الملائكة قاله فى المواهب. قال الزرقاني عقبه كما رواه ابن المبارك عن عروة وفى الصحيح عنه لما أسر عمر وقال له عامر بن الطفيل من هذا؟ فقال هذا عامر بن فهيرة، فقال لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع، قال البيهقي يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك. وفى رواية ابن المبارك وكان الذى قتله رجل من بنى كلاب جبار بن سلمان ذكر أنه لما طعنه قال فزت والله فقلت فى نفسي ما قوله فزت. فأتيت الضحاك بن

سفيان فسألته فقال بالجنة فأسلمت انتهى.
وجبار بالجيم والموحدة مثقل، وسلمى بضم المهملة وقيل بفتحها وسكون اللام والقصر. وعن أنس ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجد أي حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة انتهى.
ولعل حكمته أنه لم يرسلهم لقتال إنما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بأن الرسل لا تقتل.
وفي الصحيحين عن أنس دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، ثلاثين صباحا. وفي البخاري فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم شهرا في صلاة الغداة بعد القراءة وذلك بدء القنوت. وفي مسلم دعا رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل ولحيان أي بكسر اللام وفتحها ابن هذيل ابن مدركة وزعم الهمداني أنهم من بقايا جرهم دخلوا في هذيل فنسبوا إليهم وعصية عصت الله ورسوله كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك وإنما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية، ومن صحبهم من سليم، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع وإنما أتى الخبر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاء واحدا والله أعلم، قاله في المواهب وذكر صاحب شرف المصطفى أنه لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمي إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها اذهبي إلى رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة، نقله الزرقاني وقال القسطلاني سياق ترجمة البخاري أي بقوله باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاص بن ثابت وخبيب وأصحابه يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لأن بعث الرجيع كانت سرية عاصم وخبيب وأصحابهما وهي مع

عضل والقارة وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان. انتهى المراد منه.

وروى البخاري أنه قتل من الأنصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون في قتال مسيلمة، قاله الزرقاني؛ وللحافظ العراقي بعد ذكره لبعث عبد الله بن أنيس:

فبعثه المنذر والقرا إلى	بير معونة فطابوا نزلا
فاستشهدت سبعون الأكعبا	هو بن زيد كان رتئا صعبا
ووجد النبي حزنا حتى	قنت شهرا في صلاة بحتا
يدعو على القاتل حتى أنزلا	ليس لك (الآية) ربنا علا

قوله المنذر هو ابن عمرو لانه أمير السرية ونزلا بضم النون والزاي تمييز محول عن الفاعل أي طاب نزلهم وهو ما يقدم للضيف عند نزوله، ورتئا بضم الراء وسكون المثناة، فوق، ثم همزة أي شديد القوة، والصعب الشجاع الباسل، وقوله وجد أي حزن، وبحتا بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة ثم مثناة فوقية أي خالصا، وربنا فاعل أنزل ولم يستثن عمرو بن أمية مع أنه لم يقتل وإنما أسر ثم أطلق كما مرّ وأنزل قرآن فيمن قتل ببير معونة ثم رفع.

بلغوا عنا قومنا	أنا لقينا ربنا
فرضي عنا	ورضينا عنه

وللعراقي بعدما مرّ:

فبعثه إلى الرجيع مرثدا	أو عاصم بن ثابت وأسندا
هذا البخاري وفيه خانا	بسبعة منهم بنو لحيانا
وأسروا زيدا خبيبا بيعا	وقتلوا ابن طارق صريعا
ثم الذى ابتاع خبيبا قتله	كذا بزيد مشتريه فعله
وقصدت هذيل رأس عاصم	حمته دبر ثم سيل عاصم

وقوله خان أي غدر وقوله بسبعة كذا في رواية وفي أخرى ستة وقوله ثم سيل عاصم أي مانع له من الأخذ وذلك أنهم قالوا الدبر يذهب ليلا

فناخذه فأرسل الله سيلا فاحتمله فلم يقعوا منه على خبر وكان نذر أن لا يمس مشركا فأبر الله قسمه قاله المناوي. وقوله خبيبا بحذف حرف العطف وكذا قوله بيعا يقدر له واو وقوله صريعا أي وتركوه صريعا في مر الظهران وقبره بها قاله المناوي أيضا، ثم بعد ما مرّ بعث محمد بن مسلمة للقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم بطون من بني بكر بن كلاب من قيس عيلان وهم قرط بضم فسكون وقريط بفتح الراء كزبير وقريط بكسرها كأمير بنو عبد بغير إضافة كما ضبطه البرهان وتبعه الشامي فمن قال بفتح القاف كأنه اشتبه عليه أو سبقه القلم، وكذا من ضبطه بضم القاف وفتح الراء، وفي القاموس القروط بالضم بطون بني كلاب وهم اخوة قرط كقفل وقريط كزبير وقريط كأمير انتهى من العلامة الزرقاني.

وفي شرح المناوي للعراقي انه بضم القاف وفتح الراء وإعجام الظاء قال جامعه والأول هو الصواب ولم يذكره في القاموس إلا في باب الطاء المهملة والله تعالى أعلم. فبعثه عليه السلام في ثلاثين راكبا خيلا وإبلا لعشر خلون من المحرم سنة ست على رأس أي أول تسعة وخمسين شهرا من الهجرة الي القرطاء وهم ينزلون بناحية ضرية بفتح المعجمة وكسر الراء المهملة وشد التحتية فتاء تأنيث بالبكرات بفتح الموحدة وهي جبال شمخ وضرية قرية بينها وبين المدينة سبع ليال، وممن بعث معه عباد بن بشر وسلامة بن وقش والحارث بن خزمة بفتح المعجمة وسكون الزاي وقيل بفتحها وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم بفتح التحتية وضم المعجمة وبضم التحتية وكسر الشين ونون أي يفرق الخيل المغيرة، قاله الزرقاي، فقتل منهم عشرة وهرب سائرهم فاستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم قاله ابن سعد، وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بضم المثلثة ابن أثال بضم الهمزة وخفة المثلثة فألف فلام، مصروف بن النعمان الحنفي أسيرا فربطوه بأمره عليه الصلاة والسلام

بسارية من سوار المسجد. وفي الصحيحين عن أبي هريرة بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوار المسجد فخرج إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما ذا عندك يا ثمامة، قال عندي خير يا محمد؛ ان تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر فإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فترك حتى كان الغدو قال ما عندك يا ثمامة؟ قال ما قلت لك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال ما عندك يا ثمامة؟ قال عندي ما قلت لك.

قال أطلقوا ثمامة، فانطلق الي نجل بنون فجيم ساكنة فلام أي ماء سائل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فأسلم، وقال يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال الحافظ أي بخير الدنيا والآخرة؟ أو بالجنة؟ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت؟ قال لا. ولكن أسلمت ووالله لا تاتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال رجل من بني حنيفة في شأن عمرته هذه:

ومنا الذي لبى بمكة معلنا برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم

ثم خرج ثمامة رضي الله تعالى عنه الي اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا فكتب إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل. وفي رواية النسائي والحاكم عن ابن عباس فجاء أبو سفيان إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز والدم والعلهز بكسر العين المهملة والهاء بينهما لام ساكنة وبزاء آخره الوبر وكأنهم كتبوا له أولا ثم لم يكتفوا بالكتابة لشدة ما هم فيه من القحط، فخرج أبو سفيان

فانظر إلى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة قوله لا والله قال الحافظ فيه حذف أي لا أرجع إلى دينكم ولا أرفق بكم فاترك الميرة تأتيكم، وفي بعض نسخ المواهب المصحفة لا تأتيكم ولا وجود لها في الصحيحين انظر الزرقاني.

فائدة:

كان ثمامة من فضلاء الصحابة ونفع الله به الإسلام كثيرا وقام بعد وفاة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما حميدا حين ارتدت أهل اليمامة مع مسيلمة فقال {بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول}، أين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه منهم ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين. وللعراقي:

فبعثه محمد بن مسلمه للفرطا أصاب منهم مغنمه
شاء لهم ونعما أصابوا بعضهم وبعضهم هراب
لم يعرضوا للظعن أمر رامه أميرهم وأسروا ثمامه

قوله ونعما أي إبلا، قال المناوي وبقرا، والغنم ثلاثة آلاف والنعم مائة وخمسون، والظعن النساء جمع ظعينة سميت به لأنها تظعن مع زوجها حيث ظعن، انتهى كلامه، ويعرضوا بفتح التحتية وكسر الراء كما في الدماميني.

ثم يلي ما مرّ سرية الغمر بالغين المعجمة المفتوحة قاله في المواهب. قال الزرقاني وهو الصواب المذكور في العيون وغيرها وفي نسخة مكسورة، انتهى كلامه. وقال المناوي بغين معجمة مكسورة وقيل مفتوحة انتهى. وميمه ساكنة ويقال له غمر مرزوق بصيغة اسم المفعول وزيادة ابن قبل مرزوق وهم وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون التحتية فدال مهملة ويقال لها سرية عكاشة بضم المهملة وشد الكاف وتخفف ابن محصن كمنبر الأسدي لأنه أميرها

عند ابن سعد، وقال ابن عائذ أميرها ثابت بن أقرم ومعه عكاشة فيمكن أنهما اشتركا بعثه في أربعين رجلا فخرج يغذ بضم التحتية وكسر المعجمة وبالذال المعجمة أي يسرع السير فنذر به القوم بفتح النون وكسر الذال كفرح أي علموا فهربوا فنزلوا على بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفا بضم الخاء المعجمة واللام وتقدير مضاف أي أصحاب ديارهم، غيبا فبعث شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر النعم قريبا فتحملوا فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم علي نعم لبني عم له فأغاروا على مائتي بعير فأرسلوا الرجل وقدموا بالإبل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يلقوا كيدا أي حربا. وللحافظ العراقي فبعثه عكاشة بن محصن:

لغمر مرزوق مويه لبني أسد علي يومين أي من فيد
فهربوا وما لقوا من كيد

وكانت هذه السرية في ربيع الأول سنة ست من الهجرة بعد غزوة الغابة وقيل في أول ربيع الآخر ثم بعد هذه السرية بعث محمد بن مسلمة الأوسي الأشهلي إلى ذى القصة بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحين موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا قاله في المواهب، قال المناوي سمي بذلك لقصة في أرضه أي جص، وقيل على بريد من المدينة وقيل على خمسة أميال بعثه عليه الصلاة والسلام ومعه عشرة منهم أبو نائلة والحارث ابن أوس إلى بني ثعلبة بطن من ريث بفتح الراء وسكون التحتية ابن غطفان وبني عوال قاله ابن سعد وعوال بعين مهملة مضمومة فواو مخففة حي من بني عبد الله بن غطفان؛ وفي الشامية إلى بني معوية بفتح الميم والعين المهملة وكسر الواو وسكون التحتية وتاء تانيث، وقوله العين أي وبالعين، وليس مراده أنها مفتوحة، ففي القاموس معوية بفتح فسكون ابن امرئ القيس بن ثعلبة قاله الزرقاني، فوردوا على القوم ليلا فأحدق بهم القوم وهم مائة فما شعر المسلمون إلا بالنبل خالطهم فوثب محمد بن

مسلمة فصاح في أصحاب: السلاح. فوثبوا فترامـوا بالنبل ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وقتل من القوم رجل، وجردوهم من ثيابهم فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله إلى المدينة جريحا وللعراقي:

فبعثه أيضا الى ذي القصة محمدا إلى بني ثعلبة
في عشرة فأحدق الأعراب بهم وكانوا مائة أصابوا
كلهم قتلى سوى ابن مسلمه جرح جرحا سالما ما أسلمه

قوله وكانوا مائة يعني بني ثعلبة، وقوله سالما حال، قال المناوي وقوله ما أسلمه حشو كمل به الوزن انتهى.

ويليه بعث أبي عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا لليلتين بقيتا من ربيع الآخر إلى بني ثعلبة أيضا حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم فأصابوا رجلا واحدا منهم فأسلم وتركوه واستاقوا نعما لهم وشاء وهرب القوم في الجبال وكانت غيبة هذه السرية ليلتين. وللعراقي:

فبعثه لهم أبا عبيده لم يجد القوم وحادوا حيده
لكن أصابوا رجلا فأسلما وغنموا شاء لهم ونعما

وقوله لهم أي لبني ثعلبة المذكورين في البيت قبله.

ثم سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بضم المهملة وفتح اللام بالجموح بفتح الجيم وضم الميم مخففة ويقال له الجموح بحاء مهملة بدل الميم الأخيرة بلد بأرض بني سليم على أربعة برد من المدينة عن يسار بطن نخل في آخر يوم من ربيع الآخر فأصابوا امرأة من مزينة يقال لها حليمة فأسروها فدلتهم على محلة بفتح الميم والمهملة وشد اللام أي منزل من منازل بني سليم فأصابوا نعما وشاء وأسروا جماعة فيهم زوج حليمة المزنية، فوهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها، قاله في المواهب وقال الزرقاني قال البرهان لا أعلم لها إسلاما ولا صحبة وليس في الصحابيات حليمة إلا المرضعة على

الخلاف فى إسلامها، وذكر ابن الجوزي المرضعة وحليمة بنت عروة بن مسعود وذكر بنت مسعود أيضا الذهبي وسلمه فى الإصابة انتهى.

وللعراقي:

فبعث زيد لبني سليم وهم ببطن نخل بالجموم
وقد أصابوا نعما وشاءا وأسروا ما الله منهم شاء

قوله ببطن نخل عن يسار بطن نخل كما قال شارحه، وغيره قال الزرقاني ولم يبين المصنف يعنى القسطلاني كغيره عدة الإبل والغنم والأسرى.

ثم سرية زيد أيضا المتلو اسمه فى مساجد المسلمين إلى العيص بكسر المهملة وإسكان التحتية فصاد مهملة موضع قرب البحر قاله ابن الأثير، قال فى المواهب على أربع ليال من المدينة قال الزرقاني وقد ينافيه قول الصغاني تبعا لابن سعد عرض من أعراض المدينة وهو بكسر العين وإسكان الراء المهملتين وضاد معجمة كل واد فيه شجر كذا فى النور بأن ما فى هذه المسافة أي التى هي أربع ليال لا ينسب لها بعثه عليه الصلاة والسلام فى جمادى الأولى سنة ست ومعه سبعون ومائة راكب، هذا هو الصواب كما قال ابن سعد وشيخه وسلمه اليعمري والبرهان والشامي لا ما فى المواهب من أنهم سبعون انظر الزرقاني. وعلى الأول اقتصر المناوي يتعرض عيرا لقريش أقبلت من الشام فأخذها وأخذ ما فيها وأخذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسر منهم ناسا فيهم أبو العاصي واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم بكسر فسكون ففتح أو بضم ففتح فتثقيل أو ياسر بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وأمه هالة أخت خديجة وقدم بهم المدينة فاستجار أبو العاصي بزينب زوجته بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأجارته ونادت فى الناس بأعلى صوتها لما كبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى صلاة الصبح أيها الناس إني قد أجرت أبا العاصي فلما صلى المصطفى عليه الصلاة والسلام من الصلاة أقبل على الناس فقال

أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم؛ قال والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيء وقد أجرت من أجرت، ثم دخل صلى الله تعالى عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه، فقبل وقال لها أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له.
وروى البيهقي أن زينب قالت له عليه السلام إن أبا العاصي إن قرب فابن عم وإن بعد فأبو ولد وإني قد أجرته. قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاصي فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذى أفاء عليكم الله فأنتم أحق به، فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى إن الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالأداوة حتي ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم ذهب إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله ثم قال هل بقي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا لا. قال هل أوفيت ذمتي؟ قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما. قال فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم فلما ردها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج وقدم المدينة. وأخرج الحاكم بسند صحيح أن زينب هاجرت وأبو العاصي على دينه فخرج إلى الشام فى تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج إليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه، فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا؟ قال نعم. قالت فاشهد أنى قد أجرت أبا العاصي. فلما رأى ذلك الصحابة خرجوا إليه بغير سلاح فقالوا له إنك فى شرف قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بيس ما أمرتموني به؛ ان افتتح ديني بغدر، فمضى إلى مكة وأسلم عندهم ثم هاجر. وذكر ابن عقبة ان الذى أخذ هذه العير أبو

جندل وأبو بصير بفتح الموحدة وأن أسره كان على يد أبى بصير بعد الحديبية واستظهره البرهان وصوبه ابن القيم، قال الشامي ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخلص إليك أي لا يطأك، فإنك لا تحلين له لأن تحريم المومنات على المشركين إنما نزل بعد الحديبية انتهى.
وعلى هذا القول فالأخذ للعير ليس من السرايا، انظر الزرقاني.
وقال فى المواهب وردها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالنكاح الأول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل بعد انقضاء العدة وفى حديث عمرو بن شعيب ردها بنكاح جديد سنة سبع انتهى. وقال السهيلي هذا الحديث يعنى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده هو الذى عليه العمل وإن كان حديث ابن العباس أصح اسنادا يعنى الأول لكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام فرق بينهما انتهى. وقد قال الترمذي سمعت عبد بن حميد يقول حديث ابن عباس أجود اسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب قال السهيلي ومن جمع بين الحديثين قال معنى حديث ابن عباس ردها على مثل النكاح الأول فى الصداق والحباء فلم تحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره نقله الزرقاني. وللعراقي:

فبعثه للعيص حتى أخذوا عير قريش كلها ونفذوا
وفضة كثيرة وأسرا ممن مع العير أتوا والصهرا
صهر النبي زوج زنيب استجار بها أجارته وأهل أن يجار

ومعنى نفذوا أي أتوا بها الى المدينة، وقوله فضة عطف على قوله عيرا.
ثم سرية زيد رابعة إلى الطرف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ففاء.
قال فى القاموس ككتف عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة وهو قريب من مراض بميم فراء مهملة آخره ضاد معجمة، كسحاب، وهو موضع أو واد كما فى القاموس، بعثه عليه السلام فى جمادى الأخيرة سنة ست فى خمسة عشر رجلا إلى بنى ثعلبة فأصاب نعما وشاء وهربت الأعراب لأنهم خافوا أن يكون عليه الصلاة والسلام سار إليهم

وهذه مقدمته وأصبح زيد بالنعم في المدينة وهو عشرون بعيرا ولم يلق كيدا قاله في المواهب وشرحها وكانت غيبته أربع ليال وكان شعار المسلمين أمت أمت أمر بالإمامة تفاؤل مع حصول الغرض من الشعار جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها في ظلمة الليل. وللعراقي:

فبعثه رابعة إلى الطرف ماء قريب من مراض فانصرف
إلى بني ثعلبة أصابوا نعمهم وهرب الاعراب

والضمير في بعثه لزيد ثم سرية زيد خامسة إلي حسمى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين مقصور موضع وراء واد القرى بضم القاف وفتح الراء الجوهري اسم أرض بالبادية غليظة لا خير فيها، ينزلها جذام ويقال آخر ما نضب من ماء الطوفان حسمي فبقيت منه بقية الى اليوم انتهى.

وذكر أن الماء في الطوفان أقام به بعد نضوبه ثمانين سنة وسببها أنه لما أقبل دحية بفتح الدال وكسرها ابن خليفة الكلبي من عند هرقل لما أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم إليه يدعوه إلى الإسلام وقد أجاره، وكساه ومعه تجارة له فلقيه الهنيد بضم الهاء وفتح النون وسكون التحتية ابن عارض وابنه عارض بن الهنيد في ناس من جذام بجيم مضمومة فذال معجمة قبيلة من معد أو اليمن بجبال حسمى قاله الزرقاني؛ وفي القاموس وجذام، كغراب، قبيلة بجبال حسمى من معد انتهى؛ فقطع الهنيد ومن معه الطريق على دحية فأصابوا كل شيء كان معه ولم يتركوا له إلا سمل ثوب وهو بفتح المهملة والميم الثوب الخلق فسمع بذلك نفر من بني الضبيب بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة وسكون التحتية رهط رفاعة بن زيد الجذامي ممن كان أسلم فاستنفذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه دحية فكانوا يسرون بالليل ويكمنون بالنهار بضم الميم وفتحها فهجموا مع الصبح على القوم فأكثروا فيهم القتل كما في الزرقاني وقتلوا الهنيد

وابنه وأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة كما قاله ابن سعد واليعمري وغيرهما، فما في المواهب فيه سقط بلا شك، قاله الزرقاني. وأخذوا مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة بن زيد في نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان وفد عليه في هدنة الحديبية فأسلم وأهدى له مدعما وكتب له المصطفى كتابا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعة بن زيد، بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين.

فلما قدم على قومه أسلموافلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر فلما قدم رفاعة دفع الكتاب إليه عليه السلام وبعث صلى الله تعالى عليه وسلم عليا إلى زيد بأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهي الأهل، وأموالهم، فقال علي ان زيدا لن يطيعني. قال فخذ سيفي هذا فلما أتى علي زيدا فأخبره بذلك قال زيد علامة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي أطلب علامة، فقال علي هذا سيفه، فعرفه زيد فرده علهيم. وفي رواية وكانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل. انتهى.

والظاهر أنهم كانوا يطؤون الجواري بلا استبراء لأن وجوبه إنما كان في سبي هوازن والله تعالى أعلم، قاله محمد بن عبد الباقي.

وللعراقي:

فبعثه خامسة لحسمى	إلى جذام فأتاهم هجما
صبحا على القوم أصابوا العارضا	وأبه هنيدا المعارضا
في قومه لدحية الكلبي	فقطعوا طريقه بالقي
وكان زيد معه خمسمائه	فأخذوا الأنعام والسبي فئه
مائة النساء والصبيانا	فجاء زيد من جذام كانا
معه كتاب المصطفى إذ اسلما	له وللقوم فسأل المغنما
أموالهم مع حريمهم فرد	كلا إليهم وافيا بما عهد

قوله العارض بمهملة فضاد معجمة وقوله وأبه على لغة النقص كقوله بأبه اقتدى عدى فى الكرم إلخ.. والقي بكسر القاف وشد التحتية الأرض الخالية وقوله والسبي عطف على الأنعام، وقوله فسأل أي سأل رفاعة المصطفى أن يرد إليهم المغنم، وقوله زيد الصحيح أنه رفاعة بن زيد كما قال اليعمري والبرهان وغيرهما وذكرهما ابن عبد البر والذهبي وغيرهما.

ثم سرية زيد سادسة إلى واد القرى وهو موضع قريب من المدينة به قرى كثيرة فى رجب سنة ست لقي به بنى فزارة فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد أي حمل من المعركة رثيثا أي جريحا، وبه رمق وللعراقي:

فبعثه أيضا له مؤمرا سادسة لوجهة واد القرى
به أصيب المسلمون قتلى وارتث زيد من خليط القتلى

قوله لوجهة بكسر الواو منونا أي لجهة وفسرها بقوله واد القرى بضم القاف. وفى حديث كعب بن مالك انه ارتث أيضا يوم أحد والرث والرثيث الثوب الخلق الذى فيه بقية، وقوله خليط القتلا أي القتلا المختلطين فلما قدم زيد أقسم أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فى جيش بواد القرى وسيجئ ذلك بعد سريتين قاله المناوي.

ثم بعث عبد الرحمن فى سبعمائة فى شعبان سنة ست إلى كلب بدومة بضم الدال المهملة وفتحها وأنكر ابن دريد الفتح فواو ساكنة ويقال دوماء بالمد الجندل بفتح الجيم والدال وهي من بلاد الشام بينها وبين دمشق خمس ليال دعاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأقعده بين يديه وعممه بيده الكريمة فأرسلها من خلفه قدر شبر كما فى المناوي وكانت سوداء ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه ثم قال خذه يابن عوف اغزوا جميعا فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسرية نبيه، وقال فإن استجابوا

لك فتزوج ابنة ملكهم.
فسار حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم أن لا يعطوا إلا السيف فأسلم في اليوم الثالث رئيسهم الأصبغ بفتح الهمزة وسكون المهملة وفتح الموحدة فغين معجمة ابن عمرو بن ثعلبة وكان نصرانيا وأسلم معه كثير من قومه وأقام من أقام على إعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الأسبغي قال الواقدي وهي أول كلبية نكحها قرشي، فقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة، وولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الرحمن قال الواقدي ولم تلد له غيره انظر الزرقاني.
وللحافظ العراقي نفعنا الله به:

بعث ابن عوف بعده لكلب	بدومة الجندل فاز الكلبي
أميرهم أصبغ بالاسلام	ومعه ناس من الأقوام
وأمر النبي أن يصاهرا	نكح ذاك بنت ذا تماضرا

قوله نكح ذاك أي عبد الرحمن بنت ذا أي الأصبغ، قال الزرقاني وذكره في الشبل.
عقب هذه السرية سرية زيد إلى مدين ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب وأخ له فأصاب سبيا من أهل منيا وهي السواحل وفيها جمّاع من الناس فبيعوا ففرق بينهم، فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم؟ فقيل فرق بينهم. فقال لا تبيعوهم إلا جميعا. قال ابن هشام أراد الأمهات والأولاد انتهى. ولم يذكر هذه السرية في المواهب وكذا العراقي لم يذكرها هنا، بل ذكرها بعد سرية ابن عوف، سرية علي بن أبي طالب في مائة رجل في شعبان سنة ست إلى بني سعد بن بكر بن عوف لما بلغه أنهم ساعون في أن يمدوا يهود خيبر فسار علي الليل وكمن النهار حتى مشى إلى الغميم بغين معجمة فميم مكسورة فميم فميم ماء بين فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا من أنت؟ قال باغ، أي طالب لشيء ضل عني، فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع

بني سعد؟ قال لا علم لي به. فشددوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فدلهم عليهم فأغاروا عليهم، وأخذوا خمسمائة بعير وألف شاة وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بفتح الواو وسكون الموحدة فراء، ابن عليم بضم العين المهملة وقدموا المدينة ولم يلقوا كيدا، وعزل علي صفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوحا تدعى الحفيدة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء فدال مهملة فتاء تأنيث وهي السريعة السير قاله الزرقاني. وللعراقي بعد ذكره لبعث ابن عوف:

فبعثه لفدك عليا إلى بني سعد بن بكر أحيا
الليل سيرا وكمن نهارا حتى أتاهم غفلة أغارا
فهربوا إذ جاءهم بالظعن واستاق أنعامهم وونى

قوله كمن بسكون النون للوزن والظعن بضم الظاء النساء وونى بفتح الواو وكسر النون اسم فاعل من الونى وهو الضعف قاله المناوي.

ثم سرية زيد في رمضان سنة ست إلى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء تأنيث بنت ربيعة ابن بدر الفزارية وكانت ملكة رئيسة وهي زوجة مالك بن حذيفة بن بدر وفيها جرى المثل أمنع من أم قرفة، لأنها كانت يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجل كلها لها محرم. كنيت بابنها قرفة وقتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ذكر الواقدي وذكر أن سائر بنيها وهم تسعة قتلوا مع طليحة يوم بزاخة في الردة، وسبب هذه السرية كما مر عن ابن اسحاق أن زيدا لما لقي بني فزارة في سريته المتقدمة التي أصيب فيها أصحابه وارتث زيد من بين القتلى حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة.

وذكر ابن سعد أن سببها أن زيدا خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلقيه ناس من فزارة

من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما معهم وجمع بينهما بتعدد السبب بأن يكون زيد كما صح ذهب للتجارة فنهبوه فرجع فأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فبعثه إليهم في جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحاب النهار والفعل كنصر وسمع وساروا الليل وعلم بهم بنو فزارة وجعلوا ناظورا ينظر قدر مسافة يوم حين يصبحون على جبل مشرف وجه الطريق الذي يرون أنهم ياتون منه فيقول لا بأس عليكم فإذا كان الليل أشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا لا باس عليكم، فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق وهو من بني فزارة فسار في أخرى حتى أحسوا فعاينوا الحاضر من بني فزارة فحمد وأخطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وأحاطوا بالحاضر أي بمن حضر من فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة وعمد قيس بن المحسر قال اليعمري بفتح السين المهملة وقد تكسر وقيل بتقديم السين على الحاء زاد في الإصابة وقيل ابن مسحل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين فلام وهو صحابي كناني ليثي إلى أم قرفة وهي عجوز كبيرة وكانت تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وربط رجليها بحبلين ثم ربطا إلى بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد فقرع باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام إليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله تعالى به هكذا ذكر هذه السرية ابن اسحاق وابن سعد والواقدي وابن عائذ وغيرهم وإن أميرها زيد بن الحارثة وفي صحيح مسلم وأبي داوود عن سلمة بن الأكوع بعث صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر إلى بني فزارة وخرجت معه حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أي جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهي أم قرفة عليها قشع من

أدم معها ابنتها من أحسن العرب، فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر فنحلنى أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك، فقلت هي لك يا رسول الله فبعث بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى مكة ففدى بها أسارى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين قال السهلي وهذه الرواية أحسن وأصح من رواية ابن اسحاق كونه وهبها لخاله حزن بمكة.

ويقال مثله فى كون أميرها الصديق قال الشامي ويحتمل أنهما سريتين انتهى المراد من كلام محمد بن عبد الباقي.

وللعراقي:

فبعثه زيدا لأم قرفه سابعةوقوله بعسفه

وصح فى مسلم الطريق بأنها أميرها الصديق

قوله سابعة أي غزوة سابعة وقوله بعسفة أي بعنف وشدة، واسم أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد وهذا بناء أن زيدا كان أمير السرية وسياتى فى رواية مسلم أن أميرها الصديق فقوله صح أي ولكن صح فى مسلم الطريق عن أنس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه بأن أميرها أي هذه السرية أبو بكر الصديق، انظر المناوي.

انتهى والحمد لله الجزء الأول من كتاب

« نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار »

وآخره سيرة زيد لأم قرفة ويليه الجزء الثاني ،

وأوله سيرة عبد الله بن عتيك ليقتل أبا رافع اليهودي سلام بن أبي الحقيق

فهرست الجزء الأول من شرح الإمام الجليل المجدد
عبد القادر بن محمد بن محمد سالم على نظم الشيخ عبد العزيز اللمطي
«قرة الأبصار في سيرة النبي المختار»

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار

تأليف

الشيخ الإمام المجدد عبد القادر بن محمد بن محمد سالم
المجلسي الشنقيطي المالكي الأشعري
المتوفى ١٣٣٧ هـ

شرح به النظم المسمى قرة الأبصار في سيرة النبي المختار
للشيخ عبد العزيز اللمطي المالكي الأشعري

حققه وصححه جماعة من ذوي المؤلف

الجزء الثاني

قام بنشره وطباعته على نفقته السيد الفاضل الشريف
اعزيزي بن المامي السباعي

ثم سرية عبد الله بن عتيك بفتح المهملة وكسر الفوقية وسكون التحتية وبالكاف ابن قيس الخزرجي ثم السلمي إلى قتل أبى رافع اليهودي وهو عبد الله ويقال له سلام، كما جزم به فى الفتح ابن أبى الحقيق بالتصغير وهو الذى حزب الأحزاب يوم الخندق هو وحيي وكنانة وهودة وأبو عمار كما تقدم ولكن أبو رافع أعان المشركين بالمال الكثير وذلك أنه كان مما صنع الله تعالى لرسوله أن الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تصاول الفحلين فلا يصنع الأوس شيئا فيه غناء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا، ولا تفعل الخزرج شيئا إلا قالت، لأوس مثل ذلك، ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف تذاكرت الخزرج من رجل مثل كعب بن الأشرف فى العداوة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكروا سلام بن أبى الحقيق فاستاذنوه فى قتله فأذن عليه الصلاة والسلام لهم فخرج إليه خمسة منهم فى رمضان سنة ست كما ذكر ابن سعد وقيل فى جمادى الأخيرة سنة ثلاث وقيل فى رجب سنة ثلاث، عبد الله بن عتيك وأمره عليهم ومعه عبد الله بن أنيس الجهني حليف الخزرج والأسود بن خزاعي بلفظ النسب الأسلمي حليفهم أيضا ومسعود بن سنان بكسر السين الأسلمي أيضا حليف بنى سلمة وأبو قتادة الحارث أو النعمان وعمرو بن ربعي بكسر المهملة وسكون الموحدة السلمي وأمرهم عليهم السلام بقتله، فذهبوا إلى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل أي سكنت عن الحركة، وفى البخاري وهدأت الأصوات، قال السفاقسي هدت بغير همز ولا ألف ووجهه الدماميني بأنه خفف الهمزة لابدالها ألفا فالتقت هي والتاء الساكنة فحذفت الألف لإلتقاء الساكنين فجاؤا إلى منزله وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن بضم الطاء أي يتكلم باليهودية فاستفتح وقال جئنا أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار إليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه

فعلوه بأسيافهم، ولابن إسحاق والله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة وهي بضم القاف وسكون الموحدة ثوب من كتان رقيق يعمل بمصر وفي رواية البخاري وكان في حصن له فلما دونوا منه وغربت الشمس قال عبد الله لأصحابه اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل فأقبل حتى دخل من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم غلق الأغاليق بالغين المعجمة وفي رواية بالمهملة وهو المفتاح بلا أسنان، قال فقمت إلى الأقاليد بالقاف أي المفاتيح فأخذتها ففتحت باب الحصن وكان أبو رافع يسهر مبني للمفعول عنده ليلا وكان في علالي له بفتح المهملة وخفة اللام آخره تحتية مشددة جمع علية بالضم وكسر اللام مشددة وهي الغرفة. ولابن اسحاق وكان في علية له إليها عجلة وهي بفتح المهملة والجيم السلم من الخشب فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت فقلت أبا رافع، فقال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئا أي فلم أقتله فصاح أبو رافع فأمكث غير بعيد ثم دخلت عليه كأني أغيثه وغيرت صوتي فقلت أبا رافع ما هذا الصوت؟ قال لأمك الويل ان رجلا في البيت ضربني، قال فضربته ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قد قتله فجعلت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت رجلي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعي على السور فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاة، لقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فحدثته بما وقع فقال أبسط رجلك، فمسحها فكأني لم

اشتكها قط. وفي رواية فلما كان وجه الصبح صعد الناعية فقال انعى أبا رافع، فقمت أمشى ما بى قلبة بفتح القاف واللام والموحدة أي علة أنقلب بها وظاهره التعارض مع ما مرّ، قال فيحمل على أنه لما سقط وقع له ما تقدم لكنه من شدة الاهتمام بما كان فيه ما أحس بالألم وأعين على المشي أولا ثم لما تمادى به المشي أحس بالألم فحمله أصحابه كما فى رواية ابن اسحاق ثم لما مسحه عليه السلام زال عنه جميع الألم ببركته، وضبيب السيف بضاد معجمة وموحدتين وزن رغيف حده.

وللعراقي:

فبعثه لابن عتيك معه قوم من الخزرج كي تمنعه
بخيبر لابن أبى الحقيق لقتله أعين بالتوفيق

قوله من الخزرج وكلهم من بنى سلمة، وقوله كي تمنعه أي تمنع هذه الأربعة ابن عتيك أن يصل إليه أحد، قاله المناوي وقال انهم حملوه لما انكسرت ساقه وكمنوا به يومين وخرج ثلاثة آلاف فى طلبهم فلم يروهم فرجعوا، وقوله أعين بالتوفيق أي أعان الله قاتله على قتله بتوفيقه لذلك وهو حشو كمل به الوزن انتهى.

وفي رواية ابن سعد ان الذى قتله عبد الله بن أنيس، وفى رواية أنهم اختلفوا فى قاتله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هاتوا اسيافكم، فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله وأرى فيه أثر الطعام وهو مرسل ولايعادل الصحيح المسند، قال فى المواهب ولذا كان الصواب ان الذى دخل عليه وقتله وحده عبد الله بن عتيك كما فى البخاري ثم سرية عبد الله بن رواحة الخزرجي فى شوال سنة ست إلى أسير بضم الهمزة وفتح السين المهملة وسكون التحتية فراء وقال ابن اسحاق يسير بضم التحتية وفتح السين وهو ابن رزام براء مكسورة فزاي مخففة فألف فميم اليهودي بخيبر وسببها أنه لما قتل أبو رافع أمرت بشد الميم اليهود عليها أسيرا فسار فى غطفان وغيرهم لحربه عليه السلام فوجه أي رسول الله عليه السلام عبد الله بن رواحة فى ثلاثة نفر سرا

ليستكشف له الخبر فسأل عن غرته بكسر المعجمة وشد المهملة وهي الغفلة فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لليال بقين من رمضان فأخبره فندب عليه الصلاة والسلام له الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له، فقال نعم، ولى منكم مثل ذلك، فقالوا نعم، فقالوا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه يستعملك على خيبر؛ وخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى إذا كانوا بقرقرة بفتح القافين قرقرة علي ستة أميال من خيبر ندم أسير ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد السيف وكان رديفه فاقتحم ثم ضرب أسيرا فقطع رجله فسقط عن البعير وكان رديفا، لابن أنيس وضربه أسير بمخرش من شوحط فأمه والمخرش بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء محجن أو خشبة والشوحط كجوهر شجر تتخذ منه القسي، ومال كل واحد من أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى صاحبه من يهود فقتله غير رجل واحد أعجزهم شدا ولم يصب أحد من المسلمين ولله الحمد.

ثم قدموا عليه عليه السلام، فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله تعالى عليه وسلم على شجة ابن أنيس فلم تقح ولم تؤذه.

ثم قصة عكل وعرينة وعكل بضم المهملة وسكون الكاف فلام قبيلة من تميم الرباب، وعرينة بضم المهملة وفتح الراء حي من قضاعة وحي من يجيله والمراد هنا الثاني كما قاله ابن عقبة، رواه الطبراني قاله فى المواهب وشرحها، وفى البخاري عن أنس أن ناسا من عكل وعرينة، وفى رواية له من عكل فقط، وفى أخرى من عرينة أو عكل بالشك، قال الحافظ والصواب بالواو العاطفة، ويؤيده ما رواه أبو عوانة عن أنس كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل ولا يخالفه ما للبخاري أن ناسا من عكل ثمانية لاحتمال ان الثامن من غير القبيلتين فلم ينسب انتهى.

ويحتمل أنه اكتفى بذكر إحدى القبيلتين عن الأخرى فى هذه الرواية

انتهى.
قدموا علي رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة أي كرهوا الإقامة ولم يوافقهم طعامها وفى رواية فاجتووا بجيم وواوين وهو بمعنى استوخموا فأمرهم بذود وراع أي أمرهم ان يلحقوا بهما فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتي إذا كانوا ناحية الحرة وهي بفتح الحاء وشد الراء المهملتين أرض ذات حجارة سود بظاهر المدينة كانت لها الوقعة أيام يزيد كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واستاقوا الذود فبعث عليه السلام الطلب فى آثارهم فأمر بهم، فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا ناحية الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا.
قال أنس فلقد رأيت الرجل منهم يكدم بكسر الدال وضمها، أي يعض الأرض بفيه حتى مات.
وللدمياطي وابن سعد أنها كانت خمس عشرة لقحة له صلى الله تعالى عليه وسلم، واللقحة بكسر اللام وسكون القاف جمعها لقاح بالكسر ويقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر ثم هي لبون وفى صحيح مسلم ان السرية التى بعث فى طلبهم كانت قريبا من عشرين فارسا من شباب الأنصار انتهى. وقوله ريف هو بكسر الراء أرض ذات زروع، وفى رواية للبخاري فأمرهم أن ياتوا ابل الصدقة وجمع بينهما بأن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة وصادف بعثه عليه السلام بلقاحه إلى المرعى طلب هؤلاء للخروج، وقوله وقتلوا راعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعند ابن حبان ثم مالوا على الرعاء فقتلوهم فيحتمل أن لإبل الصدقة رعاة فقتل بعضهم مع راع اللقاح، ويحتمل أن بعض الرواة تجوز فى الإتيان بالجمع وهذا أرجح لأن أصحاب المغازي لم يذكر أحد منهم أنهم قتلوا غير يسار بتحتية فمهملة خفيفة راع اللقاح.
وفي صحيح أبى عوانة فقتلوا أحد الراعيين وجاء الآخر قد جزع فقال قد

قتلوا صاحبي وذهبوا بالإبل وقوله سمروا بخفة الميم ولأبى ذر بشدها ولم تختلف رواة البخاري فى أنه بالراء ووقع لمسلم وسهل والسهل ففاء العين بأي شيء. قال أبو ذؤيب:

والعين بعدهم كان حداقها سمرت بشوك فهي عور تدمع

قال الخطابي والسمر لغة فى السمر وقد يكون من المسامرة انتهى.

وفي البخاري ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وقوله فقطعوا بالتخفيف إنما تركوا ناحية الحرة لكونها قرب المكان الذى فعلوا فيه ما فعلوا. وفى صحيح مسلم عن أنس إنما سمل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة فكان ما فعل بهم قصاصا لا مثلة، فالمثلة ما كان ابتداء بغير جزاء والله تعالى أعلم.

وفي رواية ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع الأسلمي المهاجر فبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى آثارهم خيلا من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري وجابر هو ابن حسل بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ولام ابن الأحب بفتح المهملة وبموحدة ابن حبيب بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر ولابن عقبة أن أميرها سعيد بن زيد أحد العشرة، ولغيره أنه سعد بسكون العين ابن زيد الأشهلي البدري فيحتمل أنه رأس الأنصار وكان كرز أمير الجماعة انتهي. ملخصا من المواهب وشرحها.

وفي الاكتفاء بعث كرز بن جابر وذلك أن نفرا من قيس كبة من بجيلة قدموا إلى أن قال فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آثارهم كرزا انتهى المراد منه.

وفي القاموس وقيس كُبة بالضم قبيلة من بجيلة انتهى. وللعراقي:

فبعثه كرز بن جابر إلي العرنيين الذين مثلا

بهم رسول الله بالقتل كما قد فعلوا هم فى الرعاة مثل ما

وما رواه ابن جرير كونا جرير المرسل فارددد وهنا

وقوله العرنيين أي لأن اكثرهم من عرينة بطن من بجيلة وقوله مثلما

أي مثلما فعله النبي بهم صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر الدمياطي كابن سعد أن اللقاح كانت خمس عشرة وأنها لقاح المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي رواية أنها إبل الصدقة، قال المنذري والروايتان صحيحتان ووجه الجمع ان المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كان له إبل من نصيبه من المغنم يشرب لبنها وكانت ترعى مع إبل الصدقة فأخبر عن إبله، ومرة عن إبل الصدقة، وقوله وما رواه ابن جرير إلخ. هو بفتح الجيم والطبري أي من كون المرسل في أثر اللقاح جرير بن عبد الله البجلي، فارده من أجل وهنه أي ضعفه بأن اسلام جرير كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين انتهى. المراد من المناوي ثم بعث عمرو بن أمية الضمري بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم ليقتل أبا سفيان أي يقتله غفلة وسببها أن أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا أحدا يغتر محمدا؟ أي يقتله خفية فإنه يمشي في الأسواق. فأتاه اعرابي فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر، قال انت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة فقال اطو أمرك فخرج ليلا وصبح الحرة صبح سادسة فعقل راحلته ثم اقبل إلى رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم ومعه خنجر بفتح المعجمة وكسرها فنون فجيم مفتوحة وخافية النسر ريشة صغيرة فلما رءاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن هذا ليريد غدرى، فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر فسقط في يديه بضم السين أي ندم، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أصدقني بهمزة وصل وضم الدال. قال وأنا آمن؟ قال نعم. فأخبره بخبره وقال يا محمد والله ما كنت أفرق الرجال بفتح الراء أي أخافهم فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي ثم اطلعت على ما هممت به ولم يعلمه أحد، فخلى سبيله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج ولم يسمع له بذكر؛ قال البرهان ولا أعرف اسمه.

وبعث عليه السلام عمر بن أمية ومعه جبار بفتح الجيم وشد الموحدة ابن

صخر الأنصاري السلمي العقبي ويقال سلمة بن أسلم بن حريس بحاء مهملة فراء مكسورة فتحتية ساكنة فسين مهملة الأنصاري البدري الى ابي سفيان وقال إن أصبتما منه غرة بكسر المعجمة أي غفلة فاقتلاه ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لو أنا طفنا بالبيت فقال عمرو ان القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وإنهم إن رأونى عرفونى وإنى أعرف بمكة من الفرس الأبلق فقال كلا قال عمرو فأبى أن يطيعنى فخرجنا فطفنا فقال رجل من أهل مكة عمرو بن أمية فوالله إن قدمها إلا لشر، وفى رواية أن الرجل الذى عرفه معاوية بن سفيان، فأخبر قريشا بمكانه فخافوه وكان فاتكا فى الجاهلية فتجمعوا له فهرب عمرو وسلمة وجبار فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله القرشي التيمي فقتله وقتل رجلا من بنى الديل سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا ... ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما عينا إلى المدينة فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخبره وهو يضحك ثم دعا له بخير وللعراقي:

فبعث عمرو بن أمية إلي ... قتل أبي سفيان فيما فعلا
من كونه جهز أعرابيا ... بخنجر ليقتل النبيا
فلم يطق فأسلم الاعرابي ... فراح عمرو معه صحابى
جبار أو سلمة بن اسلما ... وقدر الله له أن يسلما
فلم يطيقا قتله وقتلا ... عمرو ثلاثة وءاسر رجلا

قوله فيما فعل أي بسبب ما فعل، وقوله فأسلم الأعرابي يعنى الذى جاء لغدره، عليه السلام، وقوله فراح عمرو أي لقتل أبى سفيان ، وجبار بدلا من قوله صحابي، وقوله أو سلمة أو لتنويع الخلاف أي وقيل هو سلمة، وقوله وقدر الله له أي لأبى سفيان أن يسلم بفتح أوله وثالثه أي من القتل أو بضم أوله وكسر ثالثه وقوله وقتل عمرو أي ورفيقه فى طريقه انظر المناوي.

ثم بعث إبان بن سعيد بن العاصي الأموي إلى نجد فى جمادى الأخيرة

سنة سبع. وللعراقي:

بعث ابان بن سعيد نجدا من بعد فتح خيبر قد عدا

قال الحافظ ولا أعرف هذه السرية وإبان هذا هو الذى أملى مصحف عثمان على زيد بن ثابت بأمر عثمان، قاله المناوي.

ثم سرية عمر الفاروق فى شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا إلى تربة بضم الفوقية وفتح الراء وبالموحدة وتاء تانيث واد قرب مكة يريد طائفة من هوازن كانوا بتربة فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتاهم الخبر فهربوا فجاء عمر إلى محالهم فلم يلق منهم أحدا فرجع إلى المدينة. وللعراقي:

ثم إلى تربة بعث عمر نحو هوازن أتاهم الخبر

فهربوا لم يلق منهم أحدا وعاد راجعا لنحو أحمدا

ثم سرية أبى بكر الصديق إلى بنى كلاب بنجد، بناحية ضرية بفتح المعجمة وكسر الراء وشد التحتية ويقال ان ضرية أسم امرأة بنت ربيعة بنت نزار سمي بها الموضع وكانت فى شعبان سنة سبع ويقال إلى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم أنه بعث صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة وهو الصحيح والصواب قاله فى المواهب وقد مرّ هذا فى سرية أم قرفة وللعراقي فى كتابه المسمى بـ: «الدرة السنية فى سيرة خير البرية»:

بعث أبى بكر إلى كلاب يعقبه ومر فى كتاب

بأن بعثه إلى فزارة في مسلم وصح مع زيادة

قوله يعقبه بفتح التحتية أوله أي يعقب بعث عمر فقتل ناسا من المشركين وسبى ناسا وقوله مر فى كتاب يعنى بعث أم قرفة حيث قال:

وصح فى مسلم الطريق بأنما أميرها الصديق

وفزارة بفتح الفاء، انظر المناوي، ثم سرية بشير بفتح الموحدة بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي البدري والد النعمان فى شعبان سنة سبع إلى بنى مرة بضم الميم وشد الراء بفدك ومعه ثلاثون رجلا فساق النعم

فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه منهم عدد كبير فوقع القتل في الصحابة وارتث بشير وقدم علبة بضم العين المهملة وسكون اللام فموحدة بن زيد الأوسي بخبرهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد بعد أن أقام أياما عند يهود حتى ارتفع من الجراح وفي «الدرة السنية»:

فبعثه بشيرا الأنصاري لفدك فساق في انحدار
شاء لهم ونعما وأدركوا أصحابه فقتلوا وسفكوا
وأخذوا أموالهم وسلما من بعدما ارتث بشير قدما

وبشير هو بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بضم الجيم مخففا، وقوله ونعما أي إبلا وبقرا وانحدر بهم نحو المدينة وقوله فقتلوا أي أصحاب بشير وسلم بشير من بعد ما جرح جراحا كثيرة وظنوا أنه قد مات فتركوه فتحامل حتى انتهى إلى فدك فقام عند يهود أياما فلما أشتأ أي دخل عليه الشتاء قدم المدينة جريحا انتهى من المناوي.

قال الزرقاني بعد كلام فعلم من هذا أن بني مرة لم يكونوا بفدك فتسامحوا في قولهم بفدك لمجاورتها وكونها من أعمالها ثم سرية غالب عبد الله الليثي الكناني في رمضان سنة سبع إلى أهل الميفعة بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الفاء فعين مهملة بناحية نجد وأهلها هم بنو عوال بضم المهملة ابن عبد بن ثعلبة وسببها أنه عليه السلام قال له مولاه يسار الحبشي وليس هو يسار الذي قتله العرينيون قبل هذه السرية فإن ذلك نوبي وهذا حبشي كما في الزرقاني، يا نبي الله إني قد علمت غرة من بني عبد بن ثعلبة فارسل معي إليهم فأرسل إليهم غالبا في مائة وثلاثين راجلا وكان يسار دليلهم فهجموا عليهم وسط محالهم جمع محلة بفتح الحاء وهي المكان ينزله القوم فقتلوا من أشرق لهم واستاقوا نعما وشاء إلى المدينة وفي هذه السرية قال ابن اسحاق وابن سعد وغيرهما قتل أسامة بن زيد مرداس، ابن نهيك بفتح النون وكسر الهاء وسكون التحتية وبالكاف الضمري على الأرجح وقيل انه

أسلمي وقيل غطفاني وأما من قال انه نهيك بن مرداس فهو مقلوب كما في الإصابة بعد أن قال لا إله الله محمد رسول الله، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا أسامة من لك بلا إله إلا الله فقال يا رسول الله إنما قالها تعوذا من القتل، قال ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله إلا الله وللحاكم أن أسامة فعل ذلك في سرية كان هو أميرها سنة ثمان. وفي البخاري ما يوافقه فإنه قال باب بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات ثم روى عن أبي ظبيان بفتح الظاء المعجمة وكسرها وسكون الموحدة فتحتية فألف فنون حصين مصغر ابن جندب قال سمعت أسامة يقول بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الحرقة بضم الحاء وفتح الراء المهملتين وبالقاف وتاء تانيث من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناهم بكسر الشين المعجمة قال لا إله إلا الله فكف الأنصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتله فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله قلت كان متعوذا فمازال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وروى ابن حاتم أنه عليه السلام أمر لأهل مرداس بدية، ورد ماله إليهم، قيل وقال له اعتق رقبة انتهى.

ملخصا من المواهب وشرحها.

وللعراقي:

فبعثه الليثي غالبا إلي	ميفعة من أرض نجد قتلا
قوما وساق نعما وشاء	لهم ولم يستأسرن من جاء
قيل بها أسامة بن زيد	قتل من نطق بالتوحيد
قال له النبي هلا قلبه	شققت عنه هل تحس كذبه
وفي البخاري بعثه أسامه	للحرقات ساق ذا تمامه

وضبط المناوي ميفعة بفتح الميم وهو مخالف لما مر عن الزرقاني

وتحس بضم الفوقية ويستاسرن بنون التوكيد الخفيفة وتمامه منصوب بنزع الخافض أي بتمامه.

ثم سرية بشير بن سعد الخزرجي ثانية في شوال سنة سبع ومعه ثلاثمائة رجل إلى يمن بفتح وقيل بضمها ساكنة الميم أي مع فتح أوله أو ضمه وقيل أوله همزة مفتوحة وجبار بفتح الجيم وخفة الموحدة بعدها ألف فراء وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة وعذرة بعثه لجمع من غطفان تجمعوا بالجناب بكسر الجيم من أرض غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن للاغارة على المدينة فسار بشير بمن معه الليل وكمن النهار فلما بلغهم مسير بشير إليهم هربوا وجاء الصحابة محالهم فلم يجدوا فيها أحدا وغنموا نعما لهم كثيرة ولقوا عينا لعيينة فقتلوه ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم وانكشف جمع عيينة وأسروا منهم رجلين فقدموا بهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلما فأرسلهما.

وللعراقي:

فبعثه بشيرا الأنصاري	ثانية ليمن الجبار
لغطفان هربوا وقد هجم	أرضهم فلم يجد إلا النعم
فساقها ورجلين أسرا	فأسلما وأرسلا إذ أحضرا

وجبار تقدم ضبطه. وفي المناوي عن البكري أنه بضم أوله وذكر بعضهم أنه رآه بخط الحافظ العراقي بحاء مهملة، وقوله لغطفان أو لفزارة وعذرة أو بين فزارة وكلب، وقوله أحضرا بالبناء للمفعول أي أحضرهما بشير المدينة انتهى من المناوي. والجبار بحذف العاطف.

ثم سرية الأخرم بخاء معجمة فراء مفتوحة فميم ابن أبي العوجاء السلمي بضم السين في ذي الحجة سنة سبع ومعه خمسون رجلا إلى بني سليم بضم السين، وتقدمه عين لهم، فجمعوا له جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فأحاط بهم الكفار من كل ناحية فقاتلوهم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحا مع القتلى وظنوا أنه قتل فتركوه ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أول يوم من صفر.

وللعراقي:

يليه بعث ابن أبي العوجاء	هو يعيد عمرة القضاة
إلى سليم جاءهم عين لهم	فجاءهم فقد أعدوا نبلهم
ثم ترامـوا ساعة فقتلا	أصحابه وهو قد تحاملا
من بعد جرحه إلى أن قدما	على النبي سالما مسلما

قوله عين أي طليعة كان معه فسبقه وحذرهم وتحامل: تكلف المشي على جهد ومشقة، وجرحه بفتح الجيم قاله المناوي.

ثم بعث غالب بن عبد الله الليثي ليث كلب بن عوف الكناني في صفر سنة ثمان إلى بني الملوح بضم الميم وفتح اللام وكسر الواو المشددة كما في الزرقاني وفي المناوي آخره حاء بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال وسكون التحتية فدال مهملة موضع بين الحرمين لكنه أقرب إلى مكة باثنين وأربعين ميلا منها. وفي الصحيح هو ماء بين عسفان وقديد. قال المناوي وكان معه، مات مقاتلا، انتهى.

وعن الواقدي انهم كانوا بضعة عشر رجلا فلما كان بقديد لقي الحارث بن مالك الليثي فأخذه فقال إنما جئت أريد الإسلام فقال له إن كنت مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة وإن كان غير ذلك كنا قد استوثقنا منك.

فأوثقوه ثم خلفوا عليه رجلا منهم فأتوا الكديد عند الغروب فبعثوا جندب بن مكيث الجهني ربيئة لهم، فأتى تلا مشرفا عليهم قال جندب فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته إني لأرى على التل سوادا ما رأيته في أول يومي، فانظرى إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت بعضها، فقالت لا أفقد شيئا، قال فناولتني قوسي وسهمين فناولته فأرسل سهما فما أخطأ بين عيني فأنزعه، وثبت مكاني فأرسل الآخر فوضعه في منكبي فأنزعه وثبت مكاني فقال لو كان ربيئة لقوم لقد تحرك لقد خالطه سهماي لا أبالك إذا أصبحت فابتغيهما لا تمضغهما الكلاب، ثم دخل وأمهلناه حتى إذا ناموا وكان في وجه السحر شننا عليهم الغارة وقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج

صريخ القوم فجاء ما لا قبل لنا به ومضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر أحد أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا وأنا نسوق نعمهم ما يستطيع رجل منهم أن يجيز إلينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم وابن البرصاء هو الحارث بن ملك وهي أمه صحابي له حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح يقول لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة، قال ابن إسحاق وقال راجز من المسلمين يحدوها:

أبى أبو القاسم أن تعرب في خضل بناته مغلولب
صفر أعاليه كلون الذهب

انتهى من الزرقاني.

يقال تعرب إذا سكن البادية، واغلولب النبت بالغين المعجمة إذا تكاثف، وصفر أعاليه أي نوره أصفر والله أعلم.

وفي هذا الشهر وهو صفر سنة ثمان قدم خالد بن الوليد سيف الله الذى سله على الكفار وعثمان الحجبي بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وعمرو بن العاصى بن وائل بن هاشم بن سعيد مصغرا بن سهم المدينة فأسلموا وذكر ابن اسحاق أن عمرو بن العاصى أسلم على يد النجاشي. قال الزرقاني وفيه إسلام صحابي على يد تابعي ولا يعرف مثله والله تعالى أعلم.

وللعراقي فى «الدرة السنية»:

فبعث غالب إلى الكديد إلى بنى الملوح الرقود
شن عليهم غارة فاستاقا نعمهم وأدركوا لحاقا
به فجاء الله بالسيل فما قدرهم أن يستردوا النعما

والرقود النيام فى بيوتهم، حشو كمل به الوزن، وشن فرق، والغارة

سرعة الجري، ولحاق بفتح اللام قاله المناوي.

ثم سرية غالب ثالثة في صفر سنة ثمان لما قدم مؤيدا منصورا إلى بني مرة ومعه مائتا رجل بفدك موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد فقال له المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم سر حتى تنتهي إليهم فإن ظفرك الله بهم فلا تبق فيهم، فلما دنا منهم بعث الطلائع، ومنهم علبة بضم المهملة وسكون اللام، وممن بعث مع غالب أسامة بن زيد وابن مسعود وكعب بن عجرة بضم المهملة وحويصة وأبو سعيد الخدري فأتى علبة فأخبره الخبر، فأغار عليهم مع الصبح فقتلوا منهم قتلا وساقوا نعما وشاء وذرية، وكانت سهامهم لكل رجل عشرة أبعرة، وعدله من الغنم عشر شياه لكل بعير.

وللعراقي:

فبعثه ثالثة إلى فدك	أجل مصاب من بها قبل هلك
مع بشير فأصابوا النعما	وقتلوا في الله قتلى لؤما

قوله فبعثه أي غالب بن عبد الله، وفدك بفتحتين ومصاب بضم الميم، وقوله أجل أي لأجل مصاب من أصيب بها مع بشير بن سعد وقوله فأصابوا النعم أي الكثيرة والشاء الكثيرة وأخذوا النساء والصبيان وقوله في الله أي لأجل إعلاء كلمة الله وكان لكل رجل عشرة أبعرة أو عدلها من الغنم. قاله المناوي والعبارة الأولى للزرقاني. والله تعالى أعلم.

ثم بعث شجاع بضم الشين ابن وهب الأسدي البدري في ربيع الأول سنة ثمان، ومعه أربعة وعشرون رجلا، إلى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسيىء بكسر السين المهملة فياء ساكنة فهمز كذا ضبطه البرهان والشامي، وفي الصحاح والقاموس والمراصد أنه بالكسر وشد الياء وكذا ضبطه أبو عبيد البكري قاله العلامة الزرقاني وبالضبط الأول ضبطه المناوي وهو ماء من ذات عرق إلى وجرة على ثلاثة مراحل من مكة إلى البصرة وخمس من المدينة، قاله في المواهب. ووجرة بفتح الواو وسكون الجيم كما في الزرقاني موضع بين مكة والبصرة أربعون

ميلا فيها مرتع للوحش قاله في القاموس. وأمره المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يغير عليهم فكان يسير بالليل ويكمن بضم الميم وفتحها بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون، ونهى أصحابه أن يمعنوا في الطلب بضم التحتية وكسر العين المهملة أي يبعدوا فأصابوا نعما وشاء وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وغابوا خمسة عشر ليلة.

وللعراقي:

بعث شجاع بعده إلى بني عامر بالسيئ إلى هوازن
يسير ليلا يكمن النهارا فسار حتى صبح الديارا
أصاب منهم نعما وشاء وخمسوا فقسموا ما جاء

ثم بعث كعب بن عمير بضم العين المهملة الغفاري بكسر المعجمة وخفة الفاء من أكابر الصحابة ومعه خمسة عشر رجلا في ربيع الأول سنة ثمان إلى ذات أطلاح بفتح الهمزة وسكون الطاء وبالحاء المهملتين وهي وراء وادي ذي القرى، وقيل هي من أرض الشام. قاله المناوي فوجدوا بها جمعا كثيرا جدا فرآهم عين لهم فأخبرهم بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل وروي أنهم دعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا إلا أميرهم كعب بن عمير فنجى جريحا فتحامل حتى أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي المواهب وأفلت منهم رجل جريح في القتلى قال مغلطاي قيل هو الأمير فلما برد بفتح الراء وضمها عليه الليل تحامل حتى أتى النبي صلى الله عليه الليل فأخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم انتهى. وذكر بعضهم أن كعب بن عمير قتل مع أصحابه.

وللعراقي:

فبعث كعب بن عمير من غفار لذات اطلاح فحلوا بالديار
فوجدوا جمعا كثيرا قاتلوا من أعظم القتال حتى قتلوا
إلا الأمير بن عمير كعبا نجى جريحا كان رزءا صعبا

أي كان ذلك رزءا بضم الراء صعبا، أي شديدا على المسلمين، شق على

المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، والرزء المصيبة.

ثم يليه بعث مؤتة فقد تقدم الكلام عليه في الغزوات.

ثم سرية عمرو بن العاصي بالياء على ما عليه الجمهور قاله الزرقاني فقد مر ذلك أول الكتاب إلى ذات السلاسل بمهملتين الأولى مفتوحة على المشهور وقيل سمي المكان بذلك لأنه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة وضبطه لابن الأثير بالضم وقال ابن القيم بضم السين وفتحهما لغتان فصرح البرهان بأن غير واحد ذكر اللغتين وما مر عن الفتح صريح في قدم التسمية قبل السرية انتهى من الزرقاني.

وفي المواهب سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل من المدينة على عشرة أيام وكانت في جمادى الأخيرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة إلا ابن إسحاق فقال قبلها، انتهى.

وقوله ارتبط بعضهم إلخ.. لعل المراد انضموا وتجمعوا لا أنهم ارتبطوا لأنه يكون سببا للظفر بهم ولمنافاته لما في القصة من أنه أتاهم على غفلة وهربوا وتفرقوا، انظر الزرقاني، وسببها أنه بلغه عليه السلام أن جمعا من قضاعة وهم بلي بفتح الموحدة وكسر اللام وعذرة بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة وبنوا القين بفتح القاف وسكون التحتية قد تجمعوا للاغارة فعقد لعمرو لواء أبيض وبعثه في ثلاثمائة من سرات المهاجرين والأنصار بفتح السين المهملة وقد تضم أي خيارهم ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما وصل إلى الماء المسمى بالسلاسل بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث أبا رافع بن مكيث بفتح الميم وكسر الكاف وسكون التحتية فمثلثة الجهني إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستمده فبعث له أبا عبيدة أمين الأمة وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سرات المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو إنما قدمت علي مددا وأنا الأمير وكان أبو عبيدة لينا

سهلا فأطاع لعمرو فكان عمرو يصلي بالناس فسار حتى وصل إلى العدو فحمل عليهم المسلمون حملة رجل واحد وهم غافلون فانهزموا وتفرقوا في البلاد، قال البلاذري وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وقال بعضهم لم تكن هناك غنائم تقسم، وروي أن عمرا أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا وأنكر ذلك عمر فقال له أبو بكر دعه فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب فسكت ولما انهزموا أراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو فلما قدموا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره قال عمرو فحدثت نفسي انه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر إلا لمنزلتي عنده فقلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ فقال عائشة؛ فقلت إني لست أعني النساء، إني أعني الرجال، فقال أبوها، فقلت ثم من؟ قال ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم. وفي الحديث جواز تامير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية، انظر الزرقاني.

فائدة:

بلي هو أبو قبيلة كبيرة وهو ابن عمرو بن الحارث بن قضاعة، وعذرة أبو قبيلة كبيرة أيضا وهو ابن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بضم اللام بن الحارث بن قضاعة وبنو القين ويقال لهم بلقين مثل بلحارث قبيلة من قضاعة أيضا.

وللعراقي:

فبعث عمرو وهو ابن العاصي	إلي قضاعة بمرمى قاصي
ذات السلاسل وكان من معه	عد ثلاثمائة مجتمعه
فبلغ ابن العاصي كثر الجمع	أرسل يستمد قدر الوسع
أرسل له أبا عبيدة ورد	في مائتين منهما شيخا الرشد
العمران يلحقان عمرا	فلحقوه ثم ساروا طرا
حتى لقوا جمعا من الكفار	فهرب الكفار للأدبار

قوله بمرمى قاصى أي محل بعيد وخص عمرا بالارسال لأن له فيهم رحما لأن أم أبيه من بلى ولعلمه بالحرب، والكثر بالضم نقيض القلة والعمران بدل من قوله شيخا الرشد واللام فى قوله بالأدبار بمعنى على أي انهزموا.

ثم سرية الخبط بفتح المعجمة والموحدة وهو ما يسقط من الشجر إذا ضرب بنحو عصى سميت بذلك لأنهم أكلوا فيها الخبط، وتسمى سرية أبى عبيدة لأنه أميرها، وسماها البخاري غزوة سيف البحر والسيف بكسر المهملة فتحتية ساكنة ففاء ساحل البحر وفى تسميته لها غزوة جرى على غير اصطلاح أهل السير إذ لم يحضرها المصطفى صلى الله عليه وسلم لكن الأقدمين لا يراعون ذلك غالبا انتهى.

بعثه عليه الصلاة والسلام فى ثلاثمائة يعترض عيرا لقريش كما فى الصحيحين وفى مسلم أيضا عن جابر إلى أرض جهينة ولا منافاة بينهما فالجهة أرض جهينة والقصد تلقى عير قريش وهي الإبل المحملة طعاما وغيره لكن فى كتب السير أن البعث لحي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال ولعل البعث للمقصدين رصد عير قريش ومحاربة حي من جهينة قال ابن سعد وكانت فى رجب سنة ثمان وفيه نظر فإن تلقى عير قريش ما يتصور أن يكون فى هذه المدة لأنهم كانوا حينئذ فى الهدنة والصحيح أن تكون هذه السرية سنة ست أو قبله قبل هدنة الحديبية نعم، يحتمل أن تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة والله أعلم.

قال الحافظ بن حجر لكن قال شيخ الإسلام ابن العراقي فى شرح «التقريب» قالوا وكانت هذه السرية فى رجب سنة ثمان وذلك بعد نكث قريش للعهد وقبل الفتح فإنه أي الفتح كان فى رمضان من السنة المذكورة انتهى، قاله فى المواهب.

قال الزرقاني وبه يسقط النظر. وقال فى قوله المحملة طعاما وغيره هذا بحسب الاستعمال المشتهر فلا ينافى انها فى الأصل التى تحمل

الميرة بالكسر أي الطعام ولما بعثهم عليه السلام زودهم جرابا من التمر وهو بكسر الجيم وقد يفتح، المزود. فلما فني بكسر النون أكلوا الخبط وهو ورق السلم كما في الفتح والمواهب والسلم بفتحتين شجر عظيم له شوك كالعوسج والطلح وهذا بيان للشجر الذى أخذوا ورقه وإلا فالخبط لغة ما سقط من ورق الشجر إذا خبط بالعصي نقله الزرقاني. وفى مسلم عن جابر وكنا نضرب الخبط ونبله بضم الموحدة أي نندیه بالماء وهذا يدل على أنه كان يابسا خلافا لمن زعم أنه كان أخضر، فقد كان معه تمر غير الجراب النبوي.

وفي البخاري عن جابر خرجنا ونحن ثلاثمائة زادنا على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا ياكل فى كل يوم تمرة تمرة، قال رجل أين كانت التمرة تقع من الرجل؟ قال لقد وجدنا فقدها حين فقدناها.

وفي رواية مسلم كيف كنتم تصنعون؟ قال نمصها كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها من الماء فيكفينا يومنا إلى الليل.

وابتاع قيس بن سعد الجواد بن الجواد جزرا نحرها والجزر جمع جزور يقع على البعير ذكرا أو أنثى.

وروي أنه أصابهم جوع شديد وقال قيس من يشتري مني تمرا بالمدينة بجزر هنا؟ فقال رجل من جهينة من أنت؟ فانتسب. فقال عرفت نسبك. فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق، وكان عمر بن الخطاب فى السرية فامتنع عمر لكون قيس لا مال له فقال الإعرابي ما كان سعد ليخنى بابنه فى أوسق تمر بفتح التحتية وسكون الخاء وبالنون يقصر، قال وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟ قال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة لا يقضى عنى تمرا لقوم مجاهدين، فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة يتعاقبون عليهما وبلغ سعدا مجاعة القوم فقال إن يك قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت؟ قال نحرت. قال أصبت. ثم ماذا؟ قال

نحرت. قال أصبت. ثم ما ذا؟ قال نحرت. قال أصبت، ثم ماذا؟ قال نهيت. قال ومن نهاك؟ قال أبو عبيدة. قال ولم؟ قال زعم أنه لا مال لي. فقال أربع حوائط أدناها تجذ منه خمسين وسقا. وقدم الاعرابي مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعل قيس فقال إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت.

وفي البخاري هنا عن جابر قال كان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر بالتكرار ثلاث مرات، قال العلامة محمد بن عبد الباقى ولم يتكلم الفتح ولا المصنف هنا، يعنى القسطلاني على الجمع بينه وبين رواية أنه اشترى خمسا نحر منها ثلاثا ثم منع مع ذكرهما له فى شرح هذا الحديث ويمكن الجمع بأنه نحر أولا ستا مما معه من الظهر ثم اشترى خمسا نحر منها ثلاثا ثم نهي فاقتصر من قال ثلاثا على ما نحره مما اشتراه ومن قال تسعا ذكر جملة ما نحره فإن ساغ هذا وإلا فما فى الصحيح أصح والله أعلم . انتهى كلامه.

وأخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا. وفى رواية عن جابر فأكلنا منها نصف شهر حتى صحت أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام من أضلاعه فنصبه ونظر إلي أطول بعير فجاز تحته براكبه، ولابن اسحاق ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فخرج من تحتها وما مست رأسه. وجزم الحافظ فى المقدمة أن الرجل قيس بن سعد بن عبادة، وقال فى الفتح أظنه قيسا فإنه كان مشهورا بالطول وقصته مع معاوية معروفة، لما أرسل إليه ملك الروم أطول رجل منهم ونزع له قيس سراويله فكان طول قامة الرومي بحيث كان طرفها على أنفه وطرفها بالأرض وعوتب قيس فى نزع سراويله فأنشد:

أردت لكي ما يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه ... سراويل عادي نمته ثمود

وفي مسلم عن جابر فأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى

وقب عينه بفتح الواو وسكون القاف فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا؟ قال فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأكل منه.

وقوله فيما مر العنبر، قال أهل اللغة العنبر سمكة كبيرة ويقال ان العنبر المشموم رجيعها وقال ابن سيناء بل المشموم يخرج من أصل العنبر وإنما يوجد فى أجواف السمك الذى يبتلعه، وقال الشافعي سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا فى البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفى البحر دابة تاكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من بطنها. انتهى ملخصا من الزرقاني والمواهب.

وللعراقي:

فبعثه أيضا أبا عبيدة	فى عدة وهم ثلاثمائة
وهو الذى نعرفه جيش الخبط	يلقون عيرا لقريش ففرط
وكان زادهم جراب التمر	فأكلوا الخبط فقد التمر
وفيه ألقى البحر حوتا ميتا	يدعونه العنبر حتى ثبتا
شهرا عليه الجيش حتى سمنوا	من أكله وحملوا وادهنوا
وفيه قيس بن سعد نحرا	جزائرا للجيش حتى أتمرا
عمر مع أميرهم فمنعا	وجاء سعد شاكيا من منعا

قوله فرط أي فاتهم، قوله فأكلوا الخبط قال المناوي حتى تقرحت أشداقهم ومكثوا على ذلك ثلاثة أشهر، وقوله حتي ائتمرا أي تشاور عمر وأبو عبيدة أمير الجيش فى اليوم الرابع فمنع قيسا من النحر، وقوله وجاء سعد إلخ، أي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يعذرنى من ابن الخطاب يبخل ابنى علي، انتهى.

ثم سرية أبى قتادة الخزرجي السلمي فى شعبان سنة ثمان ومعه خمسة عشر رجلا إلى غطفان ليغير على أهل خضرة بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين كما فى المناوي وفى الزرقاني أن البرهان ضبطها بذلك وأن الشامي قال بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وهم بنو

محارب فأمره أن يشن الغارة عليهم فسار الليل وكمن النهار فهجم على حاضر منهم عظيم وقتل من أشرق منهم أي ظهر، وسبى سبيا كثيرا واستاق النعم وكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وغاب خمس عشرة ليلة وكانت فى السبي جارية وضيئة كأنها ظبي ووقعت فى سهم أبي قتادة فجاء محمية بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الميم الثانية وتخفيف التحتية ابن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي فهمزة الزبيدي فقال يا رسول الله إن أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتنى جارية فأرسل عليه الصلاة والسلام إلى أبى قتادة فقال هب لى الجارية فوهبها له فدفعها إلى محمية.

وللعراقي:

بعث أبى قتادة الأنصارى	بعد إلى خضرة للمغار
على محارب بنجد سارا	ليلا بهم وكمن النهارا
فقتلوا من جاء واستاقوا النعم	وأخرج الخمس الأمير وقسم

وقوله بعد بالضم أي بعد البعث المتقدم، وقوله بنجد لأن خضرة من نجد بعثه إلى غطفان انظر المناوي.

ثم بعث أبى قتادة أيضا فى ثمانية رجال فى رمضان سنة ثمان إلى بطن إضم بكسر الهمزة وفتح المعجمة فميم على ثلاثة برد من المدينة فيما بين ذى خشب بضم المعجمتين وذى المروة كذا فى المواهب وتعبيره ببطن ظاهر فى أنه واد لأنهم يضيفون بطن إلى الوادي دون الجبل، وفى السيل ان إضما واد أو جبل لكن فى القاموس إضم كعنب وجبل الوادى الذى به المدينة انتهى قاله الزرقاني.

والذي رأيته فى القاموس إضم كعنب جبل، والوادي الذى فيه المدينة النبوية صلى الله تعالى على ساكنها، عند المدينة يسمى القناة ومن أعلى منها عند الشد الشظاة ثم ما كان أسفل ذلك يسمى إضما، انتهى بحروفه فلعل ما للزرقاني سبق قلم من طابعه.

وفي المناوي أنه واد بينه وبين المدينة ثلاثة برد، وقيل جبل لأشجع وجهينة وسببه أنه عليه السلام لما هم أن يغزو مكة بعث أبا قتادة ليظن

أنه عليه الصلاة والسلام توجه إلى تلك الناحية فلا تستعد قريش لحربه ويدخل مكة على حين غفلة، فلقي أبو قتادة وقومه عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله محلم بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة ثم ميم ابن جثامة بفتح الجيم وشد المثلثة فألف فميم فتاء تانيث وهو أخو الصعب بن جثامة فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليستغفر له، فقال عليه السلام لا غفر الله لك. فقام وهو يتلقى دمعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الأرض ثم عادوا به فلفظته الأرض، ثم عادوا به فلفظته الأرض، فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين بضم الصاد وفتحها ودال مهملتين تثنية صد أي جبلين فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه بالحجارة حتى واروه.

وروى ابن اسحاق وغيره عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال بعثنا صلى الله تعالى عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه انتهى المراد منه.

وروى ابن جرير أنهم لما ذكروا له عليه السلام أن الأرض لفظته، قال ان الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله يريد أن يعظكم.

وللعراقي:

فبعثه أيضا إلى بطن إضم حين أراد غزو مكة وهم
وكان في البعث محلم قتل عامر أشجع وبيس ما فعل
حياهم تحية الإسلام قتله وباء بالأثام
فنزلت ولا تقولوا (الآيه)
ثم لقوا النبي عند السقيا
ولابن اسحاق بأن القصة لابن أبي حدرد وهو عروة
بعثه مع رجلين نحوا رفاعة جاء يريد غزوا

للمسلمين مع بطن من جشم قتله عروة واستاق النعم

وضبط محلم المار، ذكره الزرقاي والمناوي وهو ليثي وعامر مضاف إلى أشجع فى البيت وباء بالآثام أي رجع بالإثم العظيم والآية بتمامها هي {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مومنا}. وقوله ولابن إسحاق إلخ أي وهذه الغزوة نسبها ابن اسحاق لابن أبي حدرد بمهملات كجعفر وهو عروة الأسلمي فإنه نكح ابنة سراقة بن حارثة النجاري وكان قتل ببدر فوقعت منه موقعا عظيما فجاء إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم يستعينه على نكاحها فقال يا رسول الله لم أصب فى الدنيا ما هو أحب إلى من نكاحها وأصدقتها مائتي درهم فلم أجد شيئا أسوقه إليها؛ فقال ما عندي ما أعينك به، فمكث أياما، فأقبل رجل من بنى جشم يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة، فى جيش عظيم من جشم حتى نزل بالغابة يريد أن يجمع قيسا علي حربه عليه الصلاة والسلام فبعثه عليه السلام مع رجلين فقالوا أخرجوا حتى تاتوا بخبر هذا الرجل وجيشه فخرجوا حتى كانوا قريبا منهم مع غروب الشمس فكمن عروة فى ناحية وكمن صاحباه فى ناحية وقال لهما إذا سمعتمانى كبرت وشددت على العسكر فكبرا وشدا معى، فأبطأ عليهم راع لهم فقال رفاعة لأتبعن أثره ولقد أصابه شر، فقال له نفر نحن نكفيك قال والله لا يذهب إلا أنا فخرجت حتى يمر بى فرميته بسهمى فوضعته فى فؤاده فوالله ما تكلم، فاجتززت رأسه وشددت فى ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فوالله ما كان إلا النجاء بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجئت برأسه أحمله فأعانني صلى الله تعالى عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا.

ثم بعث خالد سيف الله عقب فتح مكة بخمس ليال ومعه ثلاثون فارسا لهدم العزى وهي صنم لقريش وجميع بنى كنانة وكانت أعظم أصنامهم فى زعمهم وذلك لأن عمرو بن لحي أخبرهم إن الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى فبنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون

للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويعرفون فضل الكعبة عليها لأنها بيت إبراهيم وابرهم بفتح الهاء بلا ألف وفيه ابراهيم وابراهام وابراهوم وابراهم مثلثة الهاء.

قال مجاهد هي شجرة وقال الضحاك صنم وضعه سعد بن ظالم الغطفاني بنخلة على ليلة من مكة فأخذ حجرا من الصفى وحجرا من المروة ونقلهما الي نخلة ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة وقال هذا ربكم، وكان سدنتها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاش وخرج إليها خالد لخمس بقين من رمضان سنة ثمان فلما سمع سادنها بسير خالد إليها قال:

أيا عــزُّ شــدى شــدة لا ســوى لهــا ... على خــالد ألقى القناع وشــمــرى
أيا عـــزُّ إن لم تقــتلى المرء خــالدا ... فــبــوئي بإثم عــاجل أو تنصــر

فهدمها خالد أي هدم البيت الذى هي فيه وكان على ثلاث سمرات فقطعها وهدم البيت وكسر الصنم ثم رجع إلى النبي عليه السلام فقال فهل رأيت شيئا قال لا. قال فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها فرجع وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على وجهها فجعل السادن يصيح وهو يقول يا عزى خبليه، يا عزى عوريه، ولا تموتي برغم، فضربها خالد وهو يقول:

يا عـــز كــفــرانك لا ســبــحــانك ... إنــى رأيــت الـلـه قــــــد أهــانــك

فجزلها بفتح الجيم وشد الزاء قطعها اثنتين أي قطعتين ورجع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخبره فقال نعم، تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا.

وللعراقي:

فــبــعث خــالد لهــدم العــزى ... فــجــزها باثنين جــزا جــزا

وجزا جزا توكيد كمل به الوزن.

ثم بعث عمرو بن العاص فى رمضان سنة ثمان، قال الزرقاني لم نر

خصوص يوم خروجه إلى هدم سواع وسواع اسم ابن شئث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت بموضعه من الدين ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة ويغوث ويعوق ونسرا أولاده فلما ماتوا صوروهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة وسواع صنم هذيل على ثلاثة أميال من مكة قال عمرو فانتهيت إليه وعنده السادن فقال ماذا تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أهدمه، قال لا تقدر على ذلك فقلت لم؟ قال تمنع؛ فقلت حتى الآن أنت على الباطل، ويحك هل يسمع أو يبصر؟ قال فكسرته ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال أسلمت لله.

وللعراقي:

فبعث عمرو ثانيا فهدما ... سواع والسادن عاد مسلما

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي فى رمضان سنة ثمان فى عشرين فأرسل إلى هدم مناة، قرأها ابن كثير بالمد والهمزة والعامة بالقصر غير مهموز ومناة صنم الأنصار قبل الهجرة، زاد ابن سعد غسان، قالت عائشة كان الأنصار يهلون لمناة وقال قتادة صنم لخزاعة وكان بالمشلل بضم الميم وفتح المعجمة واللام الأولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه إلى قديد فلما انتهى إليها سعد قال السادن ماذا تريد؟ قال هدم مناة؛ قال أنت وذاك تهكما لظنه أنه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشي إليها فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها وقال السادن مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد فقتلها وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه وفى المواهب إن ذلك لست بقين من رمضان، قال الزرقاني فكان اللائق تقديمه علي هدم العزى لكنه تبع العيون وغيرها لتقديمها فى الذكر العزيز والاهتمام بشأن هدمها لأنها من أصنام قريش ولذا قال أبو سفيان ليلة أسلم كيف أصنع بالعزى؟ فقال له عمر تخرع عليها.

وللعراقي:

فبعث سعد وهو ابن زيد ... هدم مناتهم على قديد

وهدم منصوب بنزع الخافض أي لهدم، وقوله علي قديد، أي وكان بيته مشرفا علي قديد، وسمي الصنم بمناة لأن دماء النسك كانت تمنى به، أي تراق، انظر المناوي.

ثم سرية خالد إلى بنى جذيمة بفتح الجيم وكسر الذال وهو ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة.

وقول الكرماني من بنى عبد القيس وهم، وتبعه فى المواهب، قال الزرقاني والعجب من المصنف يعنى القسطلاني كيف جزم بما حكم الشيخ الحافظ أنه وهم، وكذا قال إمام المغازي ابن اسحاق جذيمة من كنانة وتبعه اليعمري وغيره، انتهى. وكانوا أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم، بعثه عليه السلام وهو مقيم بمكة قبل خروجه إلى الطائف باتفاق أهل المغازي فى شوال سنة ثمان لما رجع من هدم العزى فى ثلاث مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وسليم بن منصور ومدلج بن مرة وبعثه عليه السلام داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا، فوطؤا بنى جذيمة وتعرف بغزوة الغميصاء بضم الغين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وهو ماء لبنى جذيمة أوقع فيه خالد بهم، ولما انتهى إليهم قال ما أنتم، يسأل عن صفتهم قالوا نحن مسلمين بالياء ابن سعد أي نحن من قوم مسلمين أو نصب بتقدير فعل قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد وأذنا فيها، قال فما بال السلاح عليكم؟ قالوا بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم، قال فضعوا السلاح فوضعوه. قال البخاري فدعاهم الي الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا ذلك فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا وفى رواية ابن سعد فقال استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بفتح التاء مخففا بعضا وفرقهم فى أصحابه ولما كان السحر نادى خالد من كان معه أسير فليقتله، فقتل بنو سليم أسراهم وأطلق المهاجرون والأنصار أسراهم فانفلت رجل من القوم فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال اللهم إنى أبرؤ إليك من فعل خالد. وبعث عليا فودى لهم دماءهم وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدى لهم مليلغة الكلب. قال الخطابي يحتمل أن خالدا نقم عليهم العدول

عن لفظ الإسلام لأنه فهم أن مرادهم خرجنا إلى الدين الباطل مع أن مرادهم من دين إلى دين. انتهى.

قال الحافظ قول ابن عمر راوي الحديث فلم يحسنوا إلخ. يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة ولم يكتف بذلك حتى يصرحوا بالاسلام وهذا على رواية الصحيح؛ وأما على ما في ابن سعد فلعله تأول أن هذا القول منهم تقية كما تأول أسامة في السرية المتقدمة.

لطيفة وعبرة:

روي أن رجلا من بني جذيمة قد جمعت يداه إلى عنق برمة فقال لابن أبي حدرد يا فتى هل أنت آخذ بهذه الرمة، فقائدني إلى هذه النسوة حتي أقضي إليهن حاجة فتصنع بي ما بدى لكم؟ فقدمه حتى وقف عليهن فقال:

أسلمي حبيش قبل نفاد العيش
أريتك ان طالبتكم فوجدتكم بحلية أو أدركتكم بالخوانق
ألم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت إذ أنا ها هنا أثيبي بود قبل إحدى الصفائق
أثيبي بود قبل أن يشحط النوى وينأى الأمير بالحبيب المفارق

فقالت امرأة منهن:

وأنت فحييت عشرا وتسعا وترا وثمانية تترى

فقامت إليه امرأة حين ضرب عنقه فأكبت فمازالت تقبله حتى ماتت عنده.

وحبيش ترخيم حبيشة حلية بفتح الحاء المهملة وسكون اللام فتحتية والخوانق بفتح المعجمة ونون وقاف موضعان والودائق جمع وديقة وهي شدة الحر في الظهيرة، قال السهيلي نقله الزرقاني والصفائق بصاد مهملة ففاء فألف الحوادث كما في القاموس، وللعراقي:

فبعث خالد إلى جذيمه ثانية يدعو لخير مله

ليس مـقـاتـلا وكـانـوا أسـلـم	قـالـوا صـبـأنـا وهـو لـفـظ يـفـهـم
أمـرهـم خـالـد أن يـقـتـلا	كل أسـيـره فـبـعـض قـتـلا
وبـعـضـهـم أمـسـك كـابـن عـمـرا	وصـحـبـه لـم يـقـتـلـوا مـن أسـرا
قـال الـنـبـي إذ أتـاه الـوارد	أبـرأ ممـا قـد أتـاه خـالـد
ودى لـهـم قـتـلاهـم الـنـبـي	ذهـب بـهـا إلـيـهـم عـلـي

قوله ثانية أي مرة ثانية بعد بعثه لهدم العزى، وقوله وكانوا أسلموا أي قبل ذلك، وقوله وهو لفظ يفهم أي يفهم منه الاسلام عندهم، ثم صرحوا به فقالوا نحن مسلمين، وقوله أن يقتلا كل أسيره أي وقالوا هؤلاء مسلمون قاله المناوي.

ثم بعث طفيل بضم المهملة وفتح الفاء ابن عمر ابن طريق وقيل عمرو هو بن عبد الله بن ملك، وقيل عمرو بن حممة لقبه ذو النور وهو دوسي بفتح الدال المهملة وسكون الواو، وفد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا لقومه فقال له الطفيل ابعثنى إليهم واجل لى آية فسطع نور بين عينه، فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء له فى الليلة المظلمة، بعثه عليه السلام فى شوال حين أراد السير إلى الطائف إلى ذي الكفين بلفظ تثنية كف صنم من خشب كان لعمرو بن حممة بضم الحاء المهملة وفتح الميمين وذكر ابن الكلبي أن عمرا هذا كان حاكما علي دوس ثلاثمائة سنة فهدمه الطفيل وجعل يشج النار فى وجهه بفتح الياء المهملة وشد الشين المعجمة أي يلقي النار عليه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عـبـادكـنـا	مـيـلادنا أقـدم مـن مـيـلادكـا
إنـي حـشـوت الـنـار فـى فـؤادكـا	

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا وكان الطفيل شريفا مطاعا فى قومه فوافوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مقدمه الطائف بأربعة أيام هكذا ذكره ابن سعد وعند مغلطاي وقدم معه أربعة مسلمون وهذا تباين إلا أن يقال إن الباقين أسلموا بعد القدوم وذكر أنه قدم بدبابة ومنجنيق والدبابة بمهملة مفتوحة فموحدة مشددة فألف

فموحدة فتاء تانيث آلة يدخل فيها الرجال فيدبون فيها لنقب الأسوار، فقوله يا ذا الكفين قال السهيلي بالتشديد وخفف للضرورة نقله الزرقاني.

وللعراقي:

فبعثه طفيلا الدوسيا لذي الكفين صنما فهيا
نارا له ومنشدا في ذلكا يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا إني حشوت النار في فؤادكا

قوله لذي الكفين أي إلى هدمه وأمره أن يستمد بقومه ويوافيه بالطائف، انتهى من المناوي.

ثم بعث قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة فارس إلى اليمن وأمره أن يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال المهملتين والمدحي من اليمن فقدم زياد بن الحارث ويقال حارثة والأول أصح كما قال البخاري فسأل عن ذلك البعث فأخبر فقال يا رسول الله أنا وافدهم فاردد الجيش. أنا أتكفل بقومي، وفي رواية وأنا أتكفل بإسلام قومي وطاعتهم فردهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قناة وهو واد بالمدينة ورجع الصدائي إلى قومه وقدم وفد الصدائيين بعد خمسة عشر يوما فأسلموا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إنك مطاع في قومك يا أخا صداء، فقال بل الله هداهم. ورجعوا إلى قومهم ففشى فيهم الإسلام.

وللعراقي:

فبعث قيس وهو ابن سعد إلي صداء أمروا بالرد
لما أتى أخو صداء التزما بقومه أتى بجمع أسلما

قوله أمروا بالرد أي أمرهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرجوع. وهذا الرجل هو الذى أمره المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤذن ثم جاء بلال ليقيم فقال ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم انتهى من المناوي.

ثم بعث الضحاك بن سفيان الكلابي وكان يعد بمائة فارس في ربيع الأول سنة تسع إلى قومه بني كلاب فلقوه بالزج بضم الزاء المعجمة

وشد الجيم كما فى المناوي موضع بنجد فدعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم.

وللعراقي:

فبعثه ضحاكا الكلابى لقومه وهم بنو كلاب

ثم بعث عيينة بن حصن الفزاري بفتح الفاء إلى بنى تميم بالسقيا بضم السين المهملة وسكون القاف فتحتية مقصور قرية جامعة من عمل الفرع والسقيا أرض بنى تميم وسببه أنه عليه السلام بعث بشر بن أبي سفيان الكلبي إلى ناس من خزاعة يأخذ منهم الصدقات فجمعوا له ما طلبه فاستكثره بنو تميم وقالوا ما لهذا ياخذ أموالكم منكم بالباطل، وقال الخزاعيون نحن مسلمون وهذا أمر ديننا، فقال التميميون لا يصل إلى بعير منها أبدا، فهرب الرسول ورجع. فأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فوثب خزاعة إلى التميميين فأخرجوهم فقال عليه السلام من لهؤلاء القوم؟ فانتدب أول الناس عيينة بن حصن فبعثه فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم فى صحراء قد سرحوا مواشيهم فلما رأوا الجميع ولوا فأخذ عيينة بن حصن منهم أحد عشر رجلا ووجدوا فى محلتهم بفتح الميم والحاء واللام المشددة أي مكان نزولهم إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فجلبهم إلى المدينة فحبسوا فى دار رملة فقدم عشرة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب بن زرارة قال فى الإصابة وارتد عطارد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم مع من ارتد من تميم ومع سجاح ثم أسلم وقال فيها:

أضحت نبيتنا أنثى نطوف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالكفر أغوانا

ومنهم الزبرقان بكسر الزاء وسكون الموحدة فراء مكسورة ابن بدر لقب بذلك لحسن وجهه واسمه الحصين والزبرقان من أسماء القمر قال:

تضيء بها المنابر حين يرقى عليها مثل ضوء الزبرقان

وكان يرفع له بيت ويضمخ بالزعفران والطيب تحفه بنو تميم قال:

وأشـهـد من عـوف حلولا كـثـيـرة يحـجـون بيت الزبرقـان المزعـفـرا

ومنهم قيس ابن عاصم المنقري بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف فراء مهملة كان قيس ممن حرم الخمر في الجاهلية وكان عاقلا حليما وكان له ثلاثة وثلاثون ولدا، وقال فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا سيد أهل الوبر، وقال عمر للأحنف ممن تعلمت الحلم، قال من قيس بن عاصم ومنهم الأقرع بن حابس وكان شريفا في الجاهلية، والإسلام، ولما رآهم نساؤهم وصبيانهم بكوا فعجلوا وجاؤوا إلى باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه يا محمد أخرج إلينا تفاخرنا ونفاخرك وتشاعرنا ونشاعرك فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فلم يزد صلى الله تعالى عليه وسلم على أن قال ذلك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان، وإني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا، فقدموا عطارد فخطب فأجابه قيس بن ثابت بن شماس وقام الزبرقان فقال قصيدة فبعث إلى حسان وكان غائبا فقال قم فأجب الرجل فقام فأجابه فقال الأقرع وأبي ان هذا الرجل لموتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا فأسلموا وجوزهم بأحسن جوائزهم ونزل فيهم: {إن الذين ينادونك من وراء الحجارت أكثرهم لا يعقلون}. ورد عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم الأسرى والسبي بفداء النصف والمن على النصف انتهى ملخصا من المواهب وشرحها.

قوله منقر بفتح القاف في القاموس منقر كمنبر أبو قبيلة من تميم.

وللعراقي:

فبعثه عيينه الفزاري

ثم بعث الوليد ابن عقبة بن معيط، واسمه ابان بن ذكوان بن أمية وهو أخو عثمان من أمه كان من رجال قريش أسلم في الفتح ولما مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد مع علي ولا غيره وأقام بالرقة إلى أن مات في خلافة معاوية، قاله الزرقاني بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم الى بني المصطلق بطن من خزاعة حي من الأزد يأخذ صدقاتهم وكان

بينه وبينهم عداوة وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بقرب الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالجزر والغنم فرحا به لكونه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم السلاح تجملا على عادة العساكر فخاف لرؤية السلاح فرجع قبل أن يصلوا إليه وأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة، فهم صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبعث إليهم من يغزوهم وبلغهم ذلك فأقبل الحارث بن ضرار فلما دخل على المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قال له منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال لا والذى بعثك بالحق فنزلت فى الوليد: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ} (الآية) قال ابن عبد البر لا خلاف بين أهل التأويل أنها نزلت فى الوليد. وبعث عباد بن بشر ياخذ صدقاتهم ويعلمهم شرائع الإسلام بعد أن بعث خالد بن الوليد خفية فى عسكر الإستكشاف الخبر وأمره أن يخفي عنهم قدومه، فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فإذا هم ينادون بالصلاة ويصلون، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة فرجع فأخبره عليه الصلاة والسلام، فنزلت الآية، وبعث إليهم عباد بن بشر.

ثم سرية عبد الله بن عوسجة بفتح العين والسين المهملتين بينهما واو ساكنة وبالجيم إلى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو والأول أصح يدعوهم إلى الإسلام فأبوا واستخفوا بالصحيفة فقال عليه السلام ما لهم أذهب الله عقولهم فهم إلى اليوم أهل رعدة أي اضطراب فى أجسادهم وعجلة فى كلامهم وكلام مختلط، وأهل سفه كذا فى المواهب وشرحها ثم سرية قطبة بضم القاف وسكون المهملة فموحدة ابن عامر الخزرجي العقبي حامل راية بنى سلمة يوم الفتح إلى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء فموحدة من أعمال مكة وأمره أن يشن الغارة عليهم ومعه عشرون رجلا يعتقبون علي عشرة ابعرة فأخذوا رجلا فاستعجم عليهم وجعل يصيح بالحي ويحذرهم فضربوا عنقه فلما ناموا شنوا الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى فى الفريقين وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء فجاء سيل وحال

بينهم وبينه وكانت سهامهم أربعة أبعرة وذكر العراقي هذه السرية بعد بعث عيينة لكن شارحه بعث الوليد بينهما وكذا القسطلاني وللعراقي:

فبعث قطبة هو ابن عامر لخثعم ببيشة في صفر
سنة تسع أن يشنوا الغاره ففعلوا وواقعوهم غره
فكثر القتلى وساقوا النعما مع نسائهم فكانوا مغنما

وبيشة بكسر الموحدة وسكون التحتية فشين معجمة واد من أودية تهامة، حذف الأحوص في شعره الهاء، وغرة بكسر المعجمة أي على غفلة - انظر المناوي.

وذكر في المواهب بعد هذه السرية سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى قومه وقدمتها تبعا للعراقي قال الحاكم وكانت إلى القرطاء بضم القاف وفتح الراء والطاء المهملتين والمد وهم بطن من بني بكر واسمه عبيد بن كلاب وهم إخوة فرط كقفل وقريط كزبير وقريط كأمير كما تقدم.

وفي هذه السرية لحق الأصيد بن سلمة بن قرط أباه سلمة على فرس له فدعاه إلى الإسلام فأبى وسبه وسب دينه، فضرب عرقوبي فرسه فوقع فارتكز سلمة على رمحه فقتله أحد الصحابة ولم يقتله ابنه، ثم سرية علقمة بن مجزز بضم الميم وفتح الجيم فمعجمتين أولاهما مكسورة مشددة لقب بذلك لجزه نواصي أسارى من العرب ولذا صوب جمع من الحفاظ كونه بمعجمتين ووقع في رواية أبي ذر في الصحيح أنه بسكون الحاء وكسر الراء المهملتين المدلجي الصحابي ابن الصحابي وهو القائد في حديث أسامة بعثه عليه السلام في ثلاثمائة الي طائفة من الحبشة في جزيرة بناحية جدة بضم الجيم وشد المهملة فلما خاض البحر أي مشى فيه ليصل إليهم هربوا فرجع ولم يلق كيدا، تعجل بعض القوم إلى أهله فأمر على من تعجل عبد الله بن حذافة، بضم الحاء المهملة فذال معجمة فألف ففاء ابن قيس بن عدي بن سعيد بالتصغير بن سهم وكانت فيه دعابة بضم الدال ما يستملح من المزاح كما في المصباح

فنزلوا وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار، فلما همّ بعضهم بذلك قال أحبسوا أنفسكم فإنما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه، وفى رواية وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النار وفى رواية أنه عليه السلام قال لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة.

وللعراقي:

فابن مجزز والاسم علقمه	وابن حذافة لبعث يممه
للجيش فى جزيرة فى البحر	فهربوا وفيه بدأ أمر
ابن حذافة لمن كان معه	أن يقعدوا فى النار ثم منعه
وقال كنت مازحا فأخبرا	بذلك النبي قال منكرا
لا تسمعوا ولا تطيعهم في	معصية بل ذاك فى المعروف

قوله ولا تطيعوهم بالاختلاس قال المناوي وبوب البخاري باب سرية عبد الله بن حذافة وعلقمة بن مجزز المدلجي ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال أليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمركم أن تطيعوني، قالوا بلي، قال فاجمعوا حطبا وأوقدوا فيه نارا وأوقدوها فقال ادخلوا فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا فمازالوا كذلك حتى خمدت وسكن غضبه فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها قال ابن حجر والظاهر ان القصة متعددة انتهى.

ثم سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس، صنم طيء ليهدمه وهو بضم الفاء وسكون اللام آخره سين مهملة وقيل بضمها وقيل بالفتح وسكون اللام آخره سين، بعثه عليه السلام فى ربيع الآخر سنة تسع فى مائة وخمسين رجلا من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا عند الواقدي، ولابن سعد مائتين من الأنصار ومعه راية سوداء فغاروا علي أحياء من العرب وغاروا على محلة آل حاتم وهدموا الصنم وحرقوه ووجدوا فى

خزانته ثلاثة أسياف، الرسوب بفتح الراء وضم السين المهملتين وسكون الواو سمي بذلك كما فى المناوي لأنه يغيب فى المضروب من رسب إذا ذهب إلى أسفل، والمخذم بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الذال وهو السيف القاطع وسيف يقال له اليماني ووجدوا فيها ثلاثة أدراع وغنموا سبيا ونعما وشاء وفضة فلما كان بركك بفتح الراء والكاف والأولي موضع ببلاد طيء لا يعرف عزل له عليه السلام صفيا الرسوب والمخذم ثم صار له السيف الآخر وعزل الخمس وآل حاتم فلم يقسمهم وذكر بعضهم انه وهب الرسوب والمخذم لعلي وكان فى السبي سفانة بفتح السين المهملة وشد الفاء فألف فنون فتاء تأنيث بنت حاتم الطيء وهي فى الأصل الدرة فأسلمت ومن عليها أي أطلقها عليه السلام فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى، وملكتك يد اسغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سببا لردها عليه وكان اطلاقها سبب إسلام أخيها عدي إذ خرجت حتى قدمت عليه بالشام فقال لها ما ترين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يك نبيا فللسابق إليه فضيلة وإن يك ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت، فقال والله إن هذا هو الرأي فقدم وأسلم وكان كريما فروى أحمد ان رجلا سأله مائة درهم فقال تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك. وروي عنه انه قال ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها - انظر الزرقاني.

وللعراقي:

بعث علي بعده ليهدما	الفلس بالفاء وكان صنما
لطيء فشن غارة على	حلة آل حاتم حتى ملا
أيديهم سبيا وشاء ونعم	وخرب الفلس جميعا وغنم
أدراعا أي ثلاثة ومخذما	مع اليماني ورسوب مغنما
فقسم السبي وآل حاتم	عزلهم لصاحب المراحم
قامت له سفانة فاستامنت	محمدا فحين من أسلمت
خرجت الشام إلى عدي	بشورها جاء إلى النبي

وذكـــر ابـن ســـعـــد ان المرســـلا فـى الـبـعث خـالد كـمـا قـد نـقـلا

قـولـه شن غـارة أي فـرق الجـيـش مـن كل وجـه ووقـف علـى نـعم بـلـغـة ربيـعة، وقـولـه ومـخـذمـا التـى كانـوا يسمـونـها بذلك، وآل بالرفـع مبـتـدأ خبـره عـزلهم، والشـام مـنصـوب بنزع الخـافض، وقـولـه بشـورها أي بإشارتها عليه، وقوله وذكر إلخ.. يعنى أن ابن سعد ذكر ان الذى أرسله المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى البـعث المذكور هو خالد بن الوليد – انظر المناوي، ولا يمكن الجمع بينهما فإن خالدا كان فى جيش علي لأن جيش علي كان كله من الأنصار، والله أعلم، قاله الزرقاني.

ثم سرية عكاشة بضم العين وشد الكاف وتخفيفها وشين معجمة قاله الزرقاني وغيره وقال المناوي بفتح أوله مع التشديد وبضمها مع التخفيف ابن محصن كمنبر الأسدي البدري وممن يدخل الجنة بغير حساب كما فى الصحيحين بعثه عليه السلام الي الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم المهملة وسكون الذال وبلى، بفتح الموحدة وكسر اللام قبيلتان كلاهما من قضاعة بضم القاف وقيل أرض فزارة بفتح الفاء وكلب ولعذرة فيها شركة، ولم يبينوا عدة من ذهب فيها ولا سببها – انظر المواهب وشرحها.

وللعراقي:

فـبـعـثـه عكاشـة بن مـحـصـن ثـانيـة الـي الجـبـاب مـوطـن

لـغـطـفـان أو بـلـى وعـذرة وبـين كـلـب وبـنـى فـزارة

وقوله ثانية أي مرة ثانية، وبلى إشارة للخلاف أي وقيل بلي، وقوله أو بين كلب إلخ، أي قيل بين ديار بنى كلب وديار بنى فزارة بفتح الفاء والزاء ولعذرة فيها شركة، قاله المناوي.

ثم بعث خالد بن الوليد فى رجب سنة تسع عند رجوعه من تبوك فى أربعمائة وعشرين فارسا إلى أكيدر بضم الهمزة وفتح الكاف وسكون التحتية وفتح المهملة ابن عبد الملك النصراني المختلف فى إسلامه الأكثر على أنه قتل كافرا قاله الزرقاني وهو مخالف لما فى القاموس انه كأجير وكان ملكا عظيما لهرقل بدومة الجندل ودومة بفتح الدال

وضمها حصن وقرى من طرق الشام عرفت بدومة بن اسماعيل وقال له خالد كيف لي به وهو وسط بلاد كلب وإنما أنا في أناس يسيرين فقال عليه السلام إنك ستجده ليلا يصيد البقر فتأخذه فيفتح الله لك دومة فإن ظفرت به فلا تقتله وات به إلي فإن أبى فاقتله، فخرج خالدا حتى كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته الرباب بكسر الراء وموحدتين وقينة تغنيه وقد شرب فبانت البقر تحك بقرونها باب الحصن، فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط، قال لا والله، قالت فمن يترك هذه، قال لا أحد.

وفي رواية ولقد كنت أضمر لها الخيل اليومين والثلاثة وفي لفظ شهرا، ولكن قدر الله ونزل فأسرج فرسه وخرج هو وأخوه حسان في نفر فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر فقتل أخاه حسان وهرب من كان معهما، فدخل الحصن فأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى ياتي به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن يفتح له دومة، فانطلق به خالد حتى أدناه من الحصن فنادى أكيدر أهله، ان افتحوا باب الحصن فأبى مضاد أخو أكيدر، فقال أكيدر لخالد إنهم لا يفتحون ما رأوني في وثاقك فحل عني فلك الله والأمانة أن أفتحه لك إن أنت صالحتني على أهلي فصالحه على ألفي بعير وثمان مائة فرس، وأربع مائة درع وأربع مائة رمح على أن ينطلق به وبأخيه إلى رسول الله عليه السلام فيحكم فيهما حكمه فلما قاضاه علي ذلك خلى سبيله ففتح الحصن فدخله خالد وأوثق مضادا وأخذ ما صالح عليه ثم قدم خالد بأكيدر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية فرجع إلى قريته.

وللعراقي:

فبعثه إلى أكيدر دومة	ابن الوليد خالدا في فئة
وقال يا خالد سوف تجده	وهو يريد بقرا يصيده
فأرسلت بقر وحش حكت	قرونها حائطه في ليلة
نشطه ذاك يصيد البقرا	شدت عليه خيله فاستأسرا

أجــاره خــالد ثم صــالحــه   على رقــيق ودروع صــالحــه
مع رمــاح وجــمــال ورحل   مــعــه الي النبي بعــدمــا فــصل

وسكن أكيدر للضرورة وبفتح الدال ضبطه المناوي وقال انه رجل من كندة وكان نصرانيا،ويصيده بفتح التحتية وصاد مهملة ومثناة مشددتين وأرسلت مبني للمجهول أي أرسلها الله، وقرونها فاعل حكت، ونشطه بفتح النون والشين المعجمة، وقوله ذاك أي في ذاك كونه يصيد، واستاصر أسلم نفسه أسيرا، وقوله وفصل بفتح الفاء والصاد المهملة أي بعد انفصال أمر الصلح انتهى من المناوي.

ثم بعث إلى اليمن أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، كل منهما على مخلاف، قالوا واليمن مخلافان، وكان هذا البعث في ربيع الآخر سنة تسع عند أهل المغازي وقال البخاري سنة عشرة قبل حجة الوداع والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة آخره فاء الناحية، ويطلق علي المدينة وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن وجهة أبي موسى السفلى، وقال لهما يسرا من اليسر أي سهلا ولا تعسرا، أي لا تشددا، أي عاملا بالرفق في الأمورفأقيما الأحكام مطابقة للأمر لكن برفق وبشرا ولا تنفرا.

وفي البخاري قال لمعاذ انك ستاتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعوهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوك فاخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة توخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، أي صارف يصرفها.

ثم بعث خالد بن الوليد قبل حجة الوداع في ربيع الأول سنة تسع وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادي الأولى الي بني عبد المدان، بوزن سحاب اسم صنم قبيلة يقال لها بنو الحارث بنجران بفتح النون وسكون الجيم مدينة بالحجاز من شق اليمن سميت بنجران بن زيد لأنه

أول من نزلها قاله المناوي، وقال الزرقاني موضع باليمن سمي بنجران بن زيد بن سبيء وأمر عليه السلام خالدا أن يدعوهم الى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فدعاهم الي الإسلام فأسلموا، وأقام خالد يعلمهم الإسلام والكتاب والسنة وبذلك كان أمره أنهم ان أسلموا ولم يقاتلوا. ثم كتب إليه عليه السلام بذلك فكتب إليه أن يقدم ومعه وفدهم، فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الي قومهم.

وللعراقي:

فبعثه أيضا الى عبد المدان أو لبني الحارث نحو نجران
أتاهم فأسلموا فأقبلوا معه إلى النبي حتى وصلوا

الضمير في بعثه لخالد وقوله أيضا، أي بعد بعثه لأكيدر. ولم يذكر العراقي بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن وقوله أو لبني الحارث أي وقيل إلى بني الحارث بن كعب، قاله المناوي ومقتضى صيغ المواهب وشرحها أنه ليس بخلاف وعليه فأو لتنويع الاسم والله تعالى أعلم.

ولفظ المواهب إلى بني عبد المدان قال الزرقاني قال في الروض واسم عبد المدان عمرو بن الديان واسم الديان يزيد بن القطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب - انتهى المراد والله أعلم.

ثم بعث علي بن أبي طالب، قيل مرتين إحداهما الي همدان فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، ولما بعثه الى اليمن عقد له لواء، قال الواقدي أخذ عمامته فلفها مثنية مربعة فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه وعممه بيده ثلاثة أكوار فجعل له ذراعا بين يديه وشبرا من ورائه وقال أمض ولا تلتفت، وقال علي يا رسول الله ما أصنع؟ فقال إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم إلى قول لا إله إلا الله فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة فإن أجابوا فلا تبغي منهم غير ذلك، والله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت ولما بعثه قال يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، قال علي فوضع يده في صدري وقال اللهم ثبت لسانه أي

اجعله دائما على النطق بالحق واهد قلبه. وقال يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء. قال علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين، فخرج في ثلاث مائة فارس، وكانت أول خيل دخلت تلك البلاد وهي بلاد مذحج فلما انتهي إلى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج رجل من مذحج يدعو إلى البراز فبرز إليه الأسود بن خزاعي فقتله الأسود وأخذ سلبه ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم لحقهم فدعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا نحن على من ورائنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

وللعراقي:

بعث علي بعده إلى اليمن	وهي بلاد مذحج ففرقن
أصحابه جاؤه بالنساء	وولدهم ونعم وشاء
ثم دعاهم لم يجيبوا فقتل	منهم رجالا نحو عشرين رجل
فانهزموا فكف ثم إذ دعى	ثانية أجاب بعض مسرعا
فأسلموا وجمعوا الغنائما	خمسها لله ثم قسما

قوله مذحج هو بضم الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وقيل بفتحها مع فتح الميم، وفرقن بنون التوكيد الخفيفة، واحتفر بئرا باليمن فأصبحوا وقد سقط فيها أسد ونظروا إليه فسقط إنسان بالبئر فتعلق بآخر، فتعلق الآخر بآخر حتى كانوا في البئر أربعة فقتلهم الأسد فأهوى إليه رجل برمح فقتله فتحاكموا إلى علي فقال للأسفل ربع دية لأنه هلك فوقه ثلاثة وللثاني ثلث دية لأنه هلك فوقه اثنان وللثالث نصف دية لأنه هلك فوقه واحد وللأعلى دية كاملة، فلما أتوه عليه السلام أخبره فقال هو كما قضى، قاله المناوي؛ وقوله مذحج بضم الميم إلخ، قال في القاموس ومذحج كمجلس أكمة، ولدت مالكا

وطيئا أمهما عندها فسموا مذحجا - انتهى.

ولما قفل علي من اليمن وافى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر آخر البعوث النبوية.

سرية ابن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه وعن أبيه وجده إلى أهل أبنا بضم الهمزة وسكون الموحدة فنون فألف مقصورة ويقال بميم بدل الموحدة بالشراة بفتح المعجمة والراء جبل بالبلقاء وكانت ليوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة دعاه عليه السلام فقال له سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحا على أهل أبنا، وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن ظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع وهو أول جيش جهزه أبو بكر أي أنفذ تجهيزه لما بويع بعد وفاته عليه الصلاة والسلام لأنه كلم فيه فلم يقبل إلا انفاذه لغزو الروم مكان مقتل أبيه المقتول بمؤتة بضم الميم وبالهمز وتركه وهي من عمل البلقاء فلا تخالف ولما كان يوم الأربعاء وقيل الاثنين وقيل السبت بدأ بالبناء للمفعول برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه فحم وصدع بضم الصاد وكسر الدال المشددة أي حصل له صداع أي وجع في رأسه ولما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءه بيده الشريفة وخرج أسامة بلوائه فدفعه إلى بريدة بن الحصيب بمهملتين مصغرا الأسلمي وعسكر بالجرف بضمتين وبضم فسكون فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وتكلم قوم فقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين وسمع عمر بعض ذلك فرده على من تكلم وجاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره به فغضب غضبا شديدا فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم وقد عصب رأسه وعليه قطيفة فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وأيم الله ان كان زيد للإمارة لخليقا أي أهلا وإن ابنه من

بعده لخليق للإمارة فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم، ثم نزل عن المنبر فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو ثلاثة آلاف: سبع مائة من قريش، فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه فجعل يقول انفذوا بعث أسامة فدخل أسامة من عسكره والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذى لدوه فيه فلما أفاق قال والله لا يبقى أحد فى البيت إلا لدّ فما بقي أحد إلا لدّ حتى ميمونة وهي صائمة فطأطأ أسامة فقبله والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة، قال أسامة فعرفت أنه يدعو لى ورجع أسامة الى معسكره ثم دخل أسامة يوم الأثنين وأصبح مقيما فقال لأسامة اغد على بركة الله تعالى فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاء يقول إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يموت، فأقبل هو وعمر وأبو عبيدة فتوفى عليه الصلاة والسلام حين زاغت الشمس أي مالت وذلك عند الزوال لإثني عشر ليلة خلت من ربيع الأول ودفن ليلة الأربعاء ولما توفي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا فغرزه عند باب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بويع أبو بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضى لوجهه فخرج إلى معسكره الأول وأمر أبو بكر مناديا أن لا يتخلف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يتخلف عنه أحد وكلم أبو بكر أسامة أن يأذن لعمر فى التخلف ففعل وخرج أسامة هلال ربيع الآخر فى ثلاثة آلاف وفيهم ألف فارس وخرج أبو بكر يشيعه فركب أسامة من الجرف وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة وقال استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوصيك فأنفذ

لأمره. فأسرع إلى ابنا فقدم عينا له فأخبره أنهم غارون ولا جموع لهم فسار إليهم فشن عليهم الغارة فقتل من أشرق له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وحرثهم وأجال الخيل فى عرصاتهم وكان أسامة على فرس أبيه سبحة بفتح المهملة وسكون الموحدة وقتل قاتل أبيه ثم أسرع السير فورد وادي القرى فى تسع ليال ثم قصد فى السير حتى أتى المدينة ولم يصب أحد من الصحابة وخرج أبو بكر وأهل المدينة يتلقونه سرورا بسلامتهم. وللحافظ العراقي:

آخر من بعثه أسامه	لأهل أبنى لم يرم مقامه
حتى قضى النبي قبل سفره	ردّ أسامة بجمع عسكره
بعثه الصديق حتى أزهقا	قاتل أبيه وسبى وحرقا
واختلفوا فى عدها فالأكثر	عن قدر ما عددت منها قصر
ولابن نضر عالم جليل	بل فوق سبعين وفى الإكليل
أن البعوث عدها فوق المائه	ولم أجد ذا لسواه ابتدأه

ولم يرم بكسر الراء أي لم يبرح من مقامه بالجرف، وأزهق بالزاء قتل، وقصروا بشد الصاد لم يزيدوا بل نقصوا؛ فقد حكى النووي الاتفاق على أن السرايا ست وخمسون والإكليل للحاكم، وقوله ابتدأه أي بل ابتدأه بالهمز قبل الهاء، وحمله بعضهم على أنه أراد بضم المغازي إليها وعليه فلا غرابة ولا استبعاد - انظر المناوي.

وفي المواهب فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون، وفى الفتح أن السرايا تقرب من سبعين، انتهى والله أعلم.

وهنا انتهى الكلام على ما شاء الله أن أتكلم عليه من بعوثه علي الصلاة والسلام وذكرته فى شرح قول الناظم:

وضعفها البعوث دون مين

وها أنا أشرع إن شاء الله تعالى فى شرح ما بعده وهو قوله:

(وقيل فى النضير مع واد القرى ‏ ‏ ‏ ‏ قاتل والغابة أيضا ذكرا)

المجرور متعلق بقوله بعده قاتل ومع بسكون العين وهو قليل والغابة

مرفوع على الابتداء على حذف مضاف أي وقتال الغابة ذكر أيضا كما ذكر القتال فيما مر يعني أن بعض أهل السير ذكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل فى هذه الغزوات الثلاث: غزوة النضير وغزوة وادي القرى وغزوة الغابة أي قاتل أصحابه الذين هو معهم لا أنه باشر بنفسه الكريمة القتال فيها كما مرّ، ومرّ أنه لم يباشر قتل أحد بيده إلا أبي بن خلف، لعنه الله، أما غزوة واد القرى فقد مر الكلام عليها فى محلها وهي بعد غزوة خيبر ومر فيها عن الواقدي أنه بارز من يهود فيها رجلا فقتله الزبير ثم آخر فقتله الزبير أيضا، ثم آخر فقتله علي، ثم آخر فقتله أبو دجانة حتى قتل منهم أحد عشر مبارزة وأصيب فيها مدعم صاحب الشملة، أما غزوة بنى النضير وهم قبيلة كبيرة من اليهود ينتسبون إلى هارون عليه السلام فذكرها ابن اسحاق بعد أحد وبير معونة وعليه فهي فى ربيع الأول سنة أربع، وعن عروة أنها كانت على رأس ستة أشهر من بدر قبل وقعة أحد ومال إليه السهيلي وسببها كما قال ابن إسحاق عن عامر بن الطفيل لما قتل أهل بير معونة اعتق عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه رقبة كانت على أمه فرجع عمرو إلى المدينة فقتل فى رجوعه رجلين من بنى عامر كان لهما عهد من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشعر به، وظن أنه ظفر بثأر بعض أصحابه فأخبره عليه السلام بذلك فقال لأدينهما أي لأعطين ديتهما لما بيننا وبينهما من العهد، وكان بين بنى النضير وبنى عامر حلف وعهد فخرج عليه السلام إلى بنى النضير يستعينهم فى دية العامريين فقالوا له نعم يا أبا القاسم اجلس نعينك حتى تطعم وترجع بحاجتك، فجلس عليه السلام إلى ظل جدار من جدرهم فخلى بعضهم ببعض والشيطان لا يفارقهم فأئتمروا بقتله وقالوا إنكم لم تجدوه على مثل هذه الحالة وكان معه نحو العشرة من أصحابه أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وطلحة وابن عوف والزبير وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة، وقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه، فقال عمرو ابن جحاش بفتح الجيم وشد

الحاء المهملة آخره شين معجمة أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة، فقال سلاّم بالتشديد عند ابن الصلاح وغيره ورجح الحافظ التخفيف ابن مشكم كمنبر لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه، فجاءه عليه السلام جبريل فأخبره بما أرادوا فقام صلى الله تعالى عليه وسلم مظهرا أنه يقضي حاجته وترك أصحابه ورجع إلى المدينة واستبطاه أصحابه فقاموا في طلبه حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به. قال غير واحد ونزل فيهم: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم} فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بالتهيء لحربهم والسير إليهم واستعمل ابن أم مكتوم إماما بالصلاة بأهل المدينة ولم يستعمل على أمرها أحدا لقربها فإن بينهما ميلين كما قال الزرقاني فحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وجمع بينهما بأن حصار الستة كان وهم مصرون على الحرب وما زاد أخذوا فيه في أسباب الخروج، ولما تمنعوا في الحصار في حصونهم قطع النخل وحرقها فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فوقع في نفوس المسلمين شيء من هذا الكلام حتى نزل: {ما قطعتم من لينة} إلى قوله {وليخزي الفاسقين}، واللينة أنواع التمر كلها ما عدى العجوة والبرني وقيل النخل اللينة كرام النخل، وقيل أرداه وقيل النخلة لا ثمر لها قيل وجملة ما قطع وحرق ست نخلات وبعث رأس المنافقين عبد الله بن أبي وهو من عوف من الخزرج إلى بني النضير حين هموا بالخروج أن أثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فقتل سيدهم كعب بن الأشرف، فلم ينصروهم، وفيهم نزل: {ألم تر إلى الذين نافقوا} إلى قوله {كمثل الذين من قبلهم}، فسألوه عليه السلام أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم ولابن سعد أنهم لما هموا بغدره بعث إليهم محمد بن مسلمة أن أخرجوا من بلدي فلا تساكنوني فيها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رأى منكم بعد ذلك ضربت بالبناء

المفعول عنقه، فمكثوا أياما يتجهزون فأرسل إليهم ابن أبي أن أقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حيي فأرسل مع أخيه جدي بضم الجيم وفتح الدال وشد التحتية إنا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فسار عليه الصلاة والسلام في أصحابه إليهم وركب على حمار وعلي يحمل رايته فلما رأوهم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة ولم تعنهم قريظة ولا ابن أبي ولا غطفان وقال ابن مشكم وكنانة لحيي أين الذي زعمت؟ قال ما أصنع هي ملحمة كتبت علينا فحاصرهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهم أخرجوا منها ولكم دماؤكم، وما حملت الإبل إلا الحلقة بإسكان اللام أي الدرع ، وقيل السلاح كله، فكانوا يخربون بيوتهم لينقذوا ما استحسنوا منها ثم أجلاهم وحملوا النساء والصبيان واحتملوا امتعتهم على ستمائة بعير فلحق أكثرهم بخيبر وذهب بعضهم إلى الشام وحزن عليهم المنافقون حزنا شديدا وقبض عليه السلام الأموال فوجد من السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفا، قال السهيلي ولم يختلفوا أن أموالهم كانت خاصة به عليه الصلاة والسلام وأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وأنه لم يقع قتال، وفي المواهب أنها كانت حبسا أي وقفا لنوائبه عليه السلام، ولم يسهم منها لأحد، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وإنما قذف في قلوبهم الرعب وأجلوا عن منازلهم ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها عليه السلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قد قاسموهم في الأموال والديار غير أنه أعطي أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وأعطى سعد بن معاذ سيف سلام بن أبي الحقيقي بالتصغير وكان سيفا له ذكر عندهم - انتهى.

وقوله لنوائبه جمع نائبة فكان ينفق منها على أهله ويزرع تحت النخل ويدخر قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب وما فضل جعله في السلاح، والكراع بضم الكاف وخفة الراء

جماعة الخيل، وقوله لم يوجفوا أي لم يتحركوا ويتعبوا، قال:

مذاويد بالبيض الحديث صقالها عن الركب أحيانا إذا القوم أوجفوا

وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال للأنصار ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينهم جميعا، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة، فقالوا بل أقسم هذه فيهم، وأقسم لهم من أموالنا ما شئت؛ فنزلت {ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}، قال أبو بكر الصديق جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي وهو بالمعجمة والنون:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت

انتهى من الزرقاني.

وما ذكره الناظم من حصول القتال في هذه الغزوة أشار به والله أعلم إلى ما نقله العلامة الزرقاني عن السبل من أنه عليه السلام لما سار إليهم حمل قبة من خشب عليها مسوح وأمر بلالا فضربها في موضع المسجد الصغير الذي بفناء بني خطمة ودخلها صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عزوك اليهودي أعسر راميا فيرمي فيبلغ القبة فحولت إلى مسجد الفضيخ بفاء مفتوحة فضاد فخاء معجمتين بينهما تحتية ساكنة فتباعدت من النبل ففقد علي في ليلة قرب العشاء فقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا، فقال دعوه فإنه في بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس عزوك، فقد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعا راميا فشد عليه فقتله وفر من كان معه، وبعث عليه السلام خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من علي فقتلوهم وطرحوا رؤسهم في بعض الآبار - انتهى وفي المناوي بعضه . وقد مر عن السهيلي ما يفيد الاتفاق على أنه لم يقع فيها قتال، وروى عبد بن حميد أن هذه الغزوة كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف وروى ابن اسحاق ان بني النضير خرجوا ومعهم الدفوف والمزامير

والقيناة يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله وعلى نسائهم الديباج والحرير والخز الأخضر والأحمر وحلي الذهب والفضة والمعصفر وأظهروا تجلدا عظيما، قال ولم يسلم منهم إلا يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما - انتهى.

وأما غزوة الغابة وهي غزوة ذى قرد فكانت عند سعد والواقدي فى ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وخيبر كانت بعد الحديبية بنحو عشرين يوما، والغابة شجر لاحتطاب الناس ومنافعهم على بريد من المدينة وأضيفت إليه الغزوة لأن اللقاح التى أغير عليها كانت ترعى بها والغارة عليها هي سبب هذه الغزوة، وذو قرد بفتح القاف والراء وحكي الضم فيهما وحكي ضم أوله وفتح ثانيه آخره دال مهملة وهو ماء على بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان وقيل على مسافة يوم والقرد فى اللغة الصوف وأضيفت إليه الغزوة لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم وصل إليه وصلى به، وسببها أنه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرون لقحة ترعى بالغابة، وهي بكسر اللام وقد تفتح ذات اللبن القريبة العهد بالولادة بشهر واثنين وثلاثة وهو اسم لا صفة فيقال هذه لقحة، لا ناقة لقحة، فإن أريد الوصف فناقة لقوح أو لاقح، وقد يقال لها ذلك قبل الوضع، قاله الزرقاني، وكان فى اللقاح أبو ذر الغفاري وابنه وامرأته واسمها ليلى، وكان أبو ذر استأذنه عليه السلام فى ذلك، فقال إني أخاف عليك ولا تأمن عيينة فألح عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت توكئ على عصاك، قال أبو ذر عجبا لى يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكأنه والله ما قال، فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرق لهم ابني فقتلوه وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فنجوا ونجت امرأة ابنه الذى قتل وأسرت امرأته هو والعلم عند الله. وروى الطبراني وغيره عن سلمة أن الذى غار عليها عيينة بن حصن وروي عنه أحمد ومسلم ان الذى أغار عبد الرحمن ابن عيينة ولا منافاة فكل من عيينة وابنه كان فى القوم، وكان أول من نذر بهم بفتح

النون وكسر الذال المعجمة أي علم، سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي المهاجري وكان شجاعا يسبق الفرس وكان يريد الغابة ولما علم بهم صرخ وا صباحاه، ثم خرج يشتد بآثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم وهو على رجليه وكان عيينة فى أربعين فارسا فجعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى:

خـــــذها وأنا ابن الأكـــــوع   اليـــــــــوم يوم الرضع

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال:

خـــــذها وأنا ابن الأكـــــوع   اليـــــــــوم يوم الرضع

فيقولون أكيوعنا أول النهار، وبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة الفزع الفزع، وترامت الخيل إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان أول من انتهي إليه من الفرسان المقداد بن عمرو ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد الأشهلان فعقد لواء للمقداد وقال له امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك وركب صلى الله تعالى عليه وسلم فى خمسمائة وقيل سبعمائة فأدرك المقداد ومن معه أخريات العدو وقتل أبو قتادة مسعدة بن حكمة بفتحتين الفزاري رئيس المشركين وسجاه ببرده فاسترجع المسلمون لما رأوه، وقالوا قتل أبو قتادة فقال عليه السلام ليس بأبي قتادة ولكنه قتيله، وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه، كذا لابن عقبة ولابن اسحاق أن قتيل أبي قتادة حبيب بن عيينة وكذا فى حديث مسلم ولكن سماه عبد الرحمن قال الحافظ ويحتمل أن له اسمين، وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرا وهما على بعير فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنفذ بعض اللقاح وأوبار بفتح الهمزة وسكون الواو ثم موحدة فألف فراء كذا ضبطه البرهان ولابن سعد أنه أثار بضم الهمزة فمثلثة آخره راء وقتل من المسلمين محرز بن نضلة الأسدي من بنى أسد بن خزيمة وفى البخاري عن سلمة أنه، أي سلمة، استنقذ اللقاح كلها واستلب ثلاثين بردة وفى مسلم ما زلت أرميهم بالنبل وأرتجز فألحق

رجلا منهم فأمكنه سهما في رجله وخلص السهم إلى كعبه فمازلت أرميهم وأعقرهم فإذا رجع إلي فارس منهم أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به، فإذا تضايق الجبل ودخلوا في مضايقه علوت الجبل فرميته بالحجارة فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بعير إلا اخلفته وراء ظهري ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها - انتهى المراد منه.

وفي المواهب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لحق عشاء فقال سلمة، فقلت يا رسول الله إن القوم عطاش فلو بعثتني في مائة لاستنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يابن الأكوع ملكت أي قدرت عليهم فأسجح بهمزة قطع فسين مهملة ساكنة فجيم مكسورة فحاء مهملة أي أرفق واحسن، والسجاحة بكسر السين السهولة أي لا تاخذ بالشدة فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد. ثم قال إنهم الآن ليقرون في غطفان بضم التحتية وسكون القاف وفتح الراء وضمها وسكون الواو من القرى وهو الضيافة وقيل معنى ضم الراء أنهم يجمعون الماء واللبن ولابن اسحاق انهم الآن ليغبقون في غطفان من الغبوق وهو بالغين المعجمة شرب أول الليل - انتهى.

وقد تقدم في رواية مسلم والبخاري عن سلمة انه استنقذ جميع اللقاح ولابن سعد وابن اسحاق والواقدي فلم تزل الخيل تاتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهو عشر، وأقام به يوما وليلة ورجع وقد غاب خمس ليال قال الشامي وما في الصحيحين هو المعتمد لصحة سنده انتهى.

ولا يرد على كون اللقاح عشرين بمجردها أن معها زيادة عليها الجمل الذي كان لأبي جهل ولا ناقته عليه الصلاة والسلام التي رجعت عليها امرأة أبي ذر، لأنها إنما عادت عليها بعد عوده عليه السلام إلى المدينة -

انظر الزرقاني.

وقصة المرأة انهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل فإذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت إلى العضباء فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم جزرتها فانطلقت وعلموا بها وطلبوها فأعجزتهم، ونذرت بفتح النون والمعجمة لئن نجت لتنحرنها، فلما قدمت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرته بذلك فقال إنه لا نذر فى معصية ولا لأحد فيما لا يملك، وفى رواية أنه قال بئس ما جازيتها.

فائدة:

قول سلمة اليوم يوم الرضع أي يوم هلاك اللئام الذين رضعوا اللؤم من أمهاتهم، وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره وقيل معناه اليوم يعرف من ارتضع كريمة فأنجبته أو لئيمة فهجنته، وفى المواهب يعني يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع. قال الزرقاني والأصل فيه أن شخصا كان شديد البخل فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها ليلا يحلبها فيسمع جيرانه ومن يمر به صوت الحلب، فيطلبون منه اللبن، وقيل بل صنع ذلك ليلا يتبدد من اللبن شيء إذا حلب فى الإناء أو بقي فى الإناء شيء إذا شربه، فقالوا فى المثل الئم من راضع وقيل المراد من يمص طرف الخلال إذا خلل أسنانه وهو دال على شدة الحرص.

وذكروا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرّ فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له بيسان فغير اسمه وقال بل اسمه نعمان وهو طيب فغير عليه السلام الإسم وغير الله تعالى صفته. ومما قيل من الشعر فى يوم ذي قرد قول كعب بن مالك:

أتحلى الضب أولاد اللقيطة أفنلـ ثالهم فى الفوارس

وإنا أناس لا نرى القتل سبة ... ولا ننثني عند الرماح نداعس

وإنا لنقري الضيف من قمع الذرى ... ونضرب رأس الأبلخ المتشاوس

نرد كماة المعلمين إذا انتخوا بضرب يسلي نخوة المتقاعس
بكل فتى حامي الحقيقة ماجد كريم كسرحان الغضاة مخالس
يذودون عن أحسابهم وبلادهم ببيض تقد الهام تحت القوانس
فسل ببني بدر إذا ما لقيتهم بما فعل الإخوان يوم التمارس
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم ولا تكتموا أخباركم فى المجالس
وقولوا زللنا عن مخالب خادر به وحر فى الصدر ما لم يمارس

اللقيطة أم حصن ابن حذيفة جدة عيينة لأن حذيفة ابن بدر التقطها فى جوار أضرت بهن السنة فأعجبته فخطبها إلى أبيها وتزوجها وهي بنت عاصم بن مروان وأول أبيات الحماسة محرف، والرواية بنو الشقيقة وهي بنت عباد بن زيد قاله فى القاموس، والسبة بالضم العار، والمداعس المطاعن، والقمع محركة رأس السنام والأبلخ بالخاء المعجمة المتكبر، والمتشاوس الذى ينظر بمؤخر عينيه نظرة المتكبر، والمعلم بضم الميم وكسر اللام الذى علم نفسه بسيما الحرب، وانتخوا بالخاء المعجمة تكبروا والمخالس الذى يخطف الشيء على سرعة وغفلة، والمتقاعس الذى لا يلين ولا ينقاد، والقوانس جمع قونس وهي البيضة والتمارس المضاربة فى الحرب، والخادر الأسد فى خدره أي أجمته، والوحر الحقد.

قوله **(وحج حجتين ثم الفرضى)** معناه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حج حجتين بمكة قبل أن يهاجر ثم حج بعد ذلك حجة الفرض سنة عشر وهي حجة الوداع، واختلف فى سنة فرض الحج فالجمهور على أنه فرض سنة ست من الهجرة وقالت طائفة بل تأخر فرضه إلى سنة تسع وقال آخرون بل سنة عشر وفى الترمذي من حديث جابر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جاء علي من اليمن ببقيتها وعن ابن عباس حج صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يهاجر ثلاث حجج، وقال ابن الأثير كان عليه السلام يحج كل سنة قبل أن يهاجر.

وقال جابر كما فى رواية مسلم مكث صلى الله تعالى عليه وسلم أي

بالمدينة تسع سنين لم يحج، ثم أذن في العاشرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعمل مثل عمله قاله في المواهب وقال الحافظ الذي لا ارتياب فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يترك الحج وهو بمكة قط لأن قريشا في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج، وإذا كانوا وهم على غير دين يحرصون علي إقامة الحج فكيف يظن أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يتركها انتهى نقله الزرقاني. فانظر لم اقتصر الناظم على أنه حج حجتين قبل الهجرة.

قوله: **(واعتمر الأربع قالوا أيضا)** معناه أنه عليه السلام اعتمر أربع مرات، عمرة مع حجته وعمرة الحديبية التي صده المشركون عنها وعمرة في العام القابل وتسمى عمرة القضاء لأنها قضاء عن عمرة الحديبية التي صده المشركون عنها كما قاله الحنفية أو لأنه عليه السلام عام الحديبية قاضاهم عليها في العام القابل أي عاهدهم وصالحهم ولذا تسمى عمرة القضية، وعمرة الصلح. والحديبية كدويهية وقد تشدد بير أو قرية على سبعة أميال من مكة والرابعة عمرته من الجعرانة بكسر الجيم وسكون المهملة وخفة الراء وبكسر العين وشد الراء حين قسم غنائم حنين فخرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فأتم عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح في الجعرانة.

وفي المواهب ممزوجا بما يحتاج إليه من كلام الزرقاني ما نصه: وفي عدهم أي الصحابة عمرة الحديبية التي صد عنها صلى الله تعالى عليه وسلم، ما يدل على انها عمرة تامة، لعل المراد من حيث الثواب لأنه لم يأت من أعمالها بشيء سوى الإحرام، وفيه إشارة إلى حجة الجمهور أنه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية زاعمين ان عمرة القضاء إنما سميت بذلك لكونها قضاء عن التي صد عنها، فلو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة، والصحابة والفقهاء عدوهما اثنتين، قوله:

(وقال مالك ثلاثا اعتمر وحج مفردا ..)

بصيغة اسم الفاعل حال من فاعل حج يعني أن إمامنا مالكا بن أنس رضي الله تعالى عنه وكذا الشافعي فكل منهما قال إنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتمر ثلاث عمر فقط، لأنه نفى العمرة التى قال غيره انها وقعت مع حجته وقال مالك إنما حج عليه الصلاة والسلام حال كونه مفردا للحج عن العمرة فلم يحرم قارنا ولا متمتعا.

ففي الصحيحين والسنن من طريق الموطإ ان عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بالحج وحده وأهل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج. وفى رواية لمسلم عنها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أهل بالحج وحده. وفى البخاري عن ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفرد بالحج. ولابن ماجه عن جابر انه عليه السلام أفرد بالحج، وفى الصحيحين عن عمر ان ابن حصين انه كان قارنا وفيهما عن عائشة وابن عباس أنه كان متمتعا وجمع الإمام الشافعي ومن وافقه بأن إضافة القران والتمتع إليه اتساعا لكونه عليه الصلاة والسلام أمر بهما وان الراجح انه كان مفردا أو يجوز فى لغة العرب إضافة الفعل إلى الأمر به كما تجوز إضافته الي الفاعل له. يقال بنا فلان دارا أي أمر ببنائها وضرب الأمير فلانا إذا أمر بضربه، وكما روي أنه عليه السلام رجم ماعزا وإنما أمر برجمه انتهى.

والإفراد هو الإهلال بالحج وحده والتمتع هو الاعتمار فى أشهر الحج، ثم التحلل من تلك العمرة والإهلال بالحج وقد يطلق التمتع على القران وهو الإهلال بالحج والعمرة معا، ولا خلاف فى جوازه أو الإهلال بالعمرة ثم يدخل عليها الحج أو عكسه وهذا مختلف فيه انتهى ملخصا من المواهب وشرحها.

قوله: **(... فحقق الخبر)** أي حقق الأحاديث فى كونه عليه السلام حج مفردا أو قارنا أو متمتعا وقد رأيت ما قال العلماء فيها وما جمعوا به بين الروايات والله تعالى أعلم.

(وكلهن كن فى ذى القـــعــده على الذى حــقــقــه من عــده)
يعني أن عمره عليه السلام غير التى قرنها بحجته على القول بها كان جميعها فى ذى القعدة على القول الذى حققه من عد كلهن أي تعرض لعدده، فالناظم رحمه الله تعالى تفنن فى العبارة فأنث الضمير أولا وجمعه باعتبار المعنى وأفرده ثانيا وذكره مراعاة للفظ كل، لأنها مضافة لمعرفة قال الشيخ المختار ابن بون.

وان تضف كل إلى معــرف فبينما الوجهين تخيير قفي

والوجهان اعتبار اللفظ واعتبار المعنى فراعى المعنى فى قوله كن واللفظ فى قوله عده لكن فى التنبيه عن المرادي ان ذلك انما هو فى المضافة معنى إلى معرفة فمثال اعتبار المعنى فيها وكل أتوه داخرين ومثال اعتبار اللفظ فكلا أخذنا بذنبه. قال والمسموع فى المضاف إلى معرفة لفظا مراعاة اللفظ فقط نحو {وكلهم ءاتيه يوم القيامة إن كل من فى السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبدا} قال والضمير فى احصاهم راجع لمن لا لكل، ولا يكاد يوجد فى لسان العرب كلهم يقومون وكلهن قائمات، وان كان موجودا فى تمثيل كثير من النحاة انتهى والله تعالى أعلم.

وقوله ذى القعدة بفتح القاف ويكسر سمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار قاله فى القاموس، وأشار بقوله حققه إلخ.. إلى أن التحقيق انه عليه السلام لم يعتمر إلا فى ذى القعدة كما قال أنس وعائشة. وأما ما فى البخاري عن ابن عمر أنه عليه السلام اعتمر فى رجب وان عروة بن الزبير قال لعائشة رضي الله تعالى عنها بحضرة ابن عمر يا أماه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت وما يقول؟ قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فى رجب، فقالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري ما اعتمر فى رجب وما اعتمر من عمرة إلا وانه أي ابن عمر لمعه وابن عمر يسمع كلامها فما قال لا ولا نعم بل سكت فقال العلماء إنها قالت ذلك مبالغة فى نسبته إلى النسيان حيث قال ان أحداهن فى رجب، قالوا وسكوته يدل على انه اشتبه عليه أو

نسي أو شك. وبهذا أجيب عما استشكل من تقديمهم لقول عائشة النافي على قول ابن عمر المثبت وهو خلاف القاعدة - انظر المواهب وشرحها.

قوله:

(بيـــان أزواج النبي المصطفى صلى عليـــه ربنا وشـــرفـــا)

فالبيان اسم مصدر بينه إذا أظهره وقوله بيان خبر مبتدأ محذوف والمصطفى المخلص من الكدر أي هذا بيان عدد أزواجه عليه الصلاة والسلام، وبعض ما يتعلق بهن من ترتيب تزويجهن وذكر قدر مهورنهن واسنان بعضهن وغير ذلك وصلى عليه أعطاه صلاة أي رحمة، يقارنها تعظيم كما فى اللوامع عن الحطاب وشرفه أعلى مرتبه وهذا الدعاء إنما يعود نفعه علينا لا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن مأمورون به تعظيما له عليه السلام لا لينتفع هو به.

(وعـــــدة الأزواج باتفـــــاق أي أتى....)

عدة بالكسر: العدد، قال تعالى: {فعدة من أيام أخر}؛ يعنى أن عدد أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم المتفق عليه أي اللاتي دخل بهن إحدى عشرة وإليها أشار بأي فالألف واحدة والياء عشر، وياتى ذكرهن إن شاء الله تعالى. اثنتان منهن توفيتا فى حياته: خديجة وزينب بنت خزيمة، والبواقى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم عنهن ونظمها أبو الفضل العقباني كما فى التاودى على اللامية بقوله:

توفي رســول الله عن تسع نســوة ... إليــهن تعــزى المكرمــات وتنسب

فــعــائشــة مــيــمــونة وصــفــيــة ... وحــفــصــة تتلوهن هند وزينب

جـــويرية مع رملة ثم ســـودة ... ثلاث وست نظمـــهن مـــهـــذب

قال كاتبه سمح الله تعالى له الظاهر أن قوله أتى خبر عدة وحذف التاء منه، أما باعتبار أن العدة معناه العدد وهو مذكر وأما لأنه مجازي التأنيث: ومع، ضمير ذي المجاز فى شعر وقع

وعلى هذا فقوله أي حال فأما أن تكتب بالألف أو تكون محكية اللفظ

وأما كونها خبرا عن عدة فتبقى على تقديره أتى لا فائدة فيها والله أعلم.

(وجاء في البواقي خلف تركنا ذكره)

يعني ان مازاد على إحدى عشرة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء فيه عن العلماء خلف بالضم أي اختلاف وترك الناظم ذكره فلم يتعرض له وها أنا أذكر ما شاء الله أن أذكره من ذلك فأقول قال الحافظ العراقي أزواجه اللاتى بهن قد دخل ثنتا أو إحدى عشرة خلف نقل

وقوله أو احدى عشرة أي وقيل إحدى عشرة ست قرشيات وأربع عربيات، وإسرائيلية فمن قال هن اثنتا عشرة أدخل فيهن ريحانة ومن قال إحدى عشرة أخرجها واختلف في عدتهن وترتيبهن ومن مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه، قاله المناوي وفي المواهب وقد ذكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج غير من ذكر وجملتهن اثنتا عشر امرأة، الأولى الواهبة نفسها أي التى اشتهرت بذلك واختلف من هي فقيل أم شريك العامرية واسمها غزية، بضم الغين المعجمة وفتح الزاء وشد التحتية بنت جابر بن عوف من بنى عامر بن لؤي وقيل غزية بنت دودان بن عوف وطلقها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في دخوله بها وقيل الواهبة هي أم شريك غزية الأنصارية من بنى النجار، وفى الصفوة هي أم شريك عزية بنت جابر الدوسية وقيل خولة بنت حكيم السلمى أي بضم السين، الثانية خولة بنت الهذيل تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم فماتت قبل أن تصل إليه والثالثة عمرة الكلابية تزوجها فتعوذت منه حين أدخلت عليه فقال لقد عذت بمعاذ، فطلقها، وأمر أسامة فمتعها بثلاثة أثواب وقال قتادة كان ذلك من امرأة من سليم. وقال في عمرة هذه ان أباها وصفها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال وأزيدك إنها لم تمرض قط، قال عليه الصلاة والسلام ما لهذه عند الله من خير، فطلقها، الرابعة أسماء بنت النعمان

بن الجون بفتح الجيم ابن الحارث الكندية وكندة بكسر الكاف قبيلة من اليمن، قال ابو عمر أجمعوا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجها واختلفوا فى سبب فراقها فقال قتادة وأبو عبيدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعاها قالت تعال أنت، وأبت أن تجيء، وقال بعضهم قالت أعوذ بالله منك، قال عذت بمعاذ فقد أعاذك الله مني.

وقيل ان نساءه صلى الله تعالى عليه وسلم علمنها ذلك فإنها كانت من أجمل النساء يخفن أن تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب إذا دنا منك ان تقولى أعوذ بالله منك، وكانت تسمي نفسها الشقية وقيل المتعوذة غيرها، وقال أبو عبيدة يجوز أن تكونا تعوذتا، الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هي التى استعاذت منه وقيل دخل بها أي وطأها وماتت عنده، والأول أصح. السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية تزوجها بعد وفاة بنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير واختارت الدنيا وفارقها، فكانت بعد ذلك تلقُط بضم القاف البعر، وتقول هي الشقية. السابعة عالية بنت ظبيان الكلابية تزوجها عليه السلام وكانت عنده ما شاء الله تعالى ثم طلقها وقال أبو سعد طلقها حين أدخلت عليه. الثامنة قتيلة بنت قيس أخت الأشعث زوجه إياها أخوها فى سنة عشر ثم انصرف فحملها فقُبض صلى الله تعالى عليه وسلم قبل قدومها. التاسعة سنا أي بفتح السين وخفة النون بنت أسماء بن الصلت السلمية بضم السين تزوجها وماتت قبل أن يدخل بها وقيل طلقها قبل أن يدخل بها. العاشرة شراف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء بنت خليفة أخت دحية تزوجها فماتت قبل دخوله بها. الحادية عشر ليلى بنت الخطيم اخت قيس تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب، الثانية عشر امرأة من بنى غفار تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم فرأى بكشحها بياضا فقال الحقي بأهلك ولم يأخذ مما أتاها شيئا انتهي المراد منه.

وقوله بمعاذ هو بفتح الميم وقوله وقيل المتعوذة غيرها أي غير أسماء

وقيل عمرة كما سبق وقيل أميمة أو مليكة أو سنى أو فاطمة بنت الضحاك أو العالية فهي سبعة أقوال وليلى بنت الخطيم قال ابن سعد هي أول من بايع من نساء الأنصار وقوله عالية بنت ظبيان بكسر الظاء ويقال بفتحها، وروى يعقوب بن سفيان عن الزهري أنه بنى بها انتهى من الزرقاني.

وذكر نساء أخر قد تزوجهن عليه السلام منهن سلما بنت نجدة بنون وجيم الليثية نكحها فتوفي عنها وأبت أن تتزوج بعده ذكره أبو سعيد ومغلطاي وغيرهما والشنباء بفتح المعجمة فنون ساكنة فموحدة فألف تانيث بنت عمرو الغفارية أو الكنانية دخل بها ومات ابنه ابراهيم فقالت لو كان نبيا ما مات أحب الناس إليه فطلقها، ذكره جرير وابن عساكر وابن رشد، في آخر المقدمات وعمرة بنت معاوية الكندية ذكرها أبو نعيم ومليكة بنت داوود ذكرها ابن حبيب وأمية بنت النعمان ابن شراحيل ذكرها البخاري بناء على أنها غير أسماء المتقدمة وذكر غير ذلك وقد خطب عليه السلام نساء ولم يتزوجهن، منهن ضباعة بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامرو ابن قرط بضم القاف وسكون الراء فطاء مهملتين من بني عامر بن صعصعة أسلمت قديما بمكة وهاجرت وكانت من أجمل نساء العرب وأعظمها خلقا وإذا جلست أخذت كثيرا من الأرض وتغطي جسدها مع عظمها بشعرها كانت تحت هوذة بن علي الحنفي فمات عنها فتزوجها عبد الله بن جدعان فلم يلق بخاطرها فسألته طلاقها ففعل بعد أن حلفها أنها ان تزوجت هشام بن المغيرة المخزومي تنحر مائة ناقة سود الحدق وتغزل خيطا يمد بين أخشبي مكة وتطوف عريانة فتزوجها هشام ونحر عنها المائة ناقة وأمر نساء بني المغيرة بغزل خيط ومده بين الأخشبين وأمر قريشا فأخلوا لها البيت.

قال المطلب بن وداعة وكان لدة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرجت أنا ومحمد ونحن غلامان واستصغرونا فلم نمنع فنظرنا إليها فخلعت ثوبا ثوبا وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدى منه فلا أحله

حتى نزعت ثيابها فنشرت شعرها على ظهرها وبطنها فما ظهر من جسدها شيء فطافت وولدت له سلمة وكان من خيار المسلمين وخطبها صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ابنها سلمة ابن هشام فقال حتى استامرها، فاستامرها، فقالت أفي رسول الله عليه السلام تستامرني؟! إني ابتغي أن أحشر مع أزواجه، فقل له نعم قبل أن يبدو له، فقيل له عليه السلام انها قد كبرت، فلما عاد ابنها وقد أذنت سكت عنها عليه السلام فلم يتزوجها - انتهى من المواهب وشرحها.

(...) فالمتفق ... عليه أولاهن ذكرها سبق)

قوله فالمتفق عليه بصيغة اسم المفعول مبتدأ ونائبه المجرور وأولاهن مبتدأ وذكرها مبتدأ وخبره قوله سبق والجملة الأخيرة خبر المبتدأ قبله وهو وخبره خبر للمبتدأ الأول يعنى أن أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم المجمع عليهن وعلى دخوله بهن أولاها فى التزويج أي التى هي أول من تزوج المصطفى قد تقدم للناظم ذكرها فى صدر الكتاب وال موصولة أي اللاتى اتفق عليهن منهن أي على تزويجه عليه السلام بهن ودخوله بهن، الأولى منهن فى التزويج تقدم ذكرها فى قوله:

وإذ إلى مكة عاد وافتتح ... ستا وعشرين من العمر نكح
خديجة من بعد اربعينا ... مضت لها من عمرها سنينا
خير نساء الناس أجمعينا ... وقد أقامت معه عشرينا
وأربعا ورزق البنينا ... منها سوى أحدهم يقينا

وتقدم الكلام على هذه الأبيات مستوفى، قال فى المواهب ولا خلاف فى أن أول امرأة تزوج بها منهن خديجة **(بنت خويلد)** بدل من أولاهن أو خبر مبتدأ محذوف أي وهي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي ويصح أنه منصوب بفعل محذوف تقديره أعنى ووصفها بقوله **(التى قد صدقت * قبل النساء بالنبي فارتقت)**، يعنى أن أمنا خديجة رضي الله تعالى عنها صدقت أي آمنت بالنبي صلى الله تعالى عليه

وسلم قبل جميع نسائه بل وقبل كل أحد من الرجال والنساء فارتقت بسبب ذلك إلى أعلى مقام أي علت إليه، قال العلامة الزرقاني فى شرح المواهب: انها أول خلق الله تعالى أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة، قاله الحافظ أبو الحسن عز الدين بن الأثير، وأقره الإمام الذهبي وسبقهما لحكاية الإجماع الثعالبي وابن عبد البر فسنت أحسن السنن ولها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة - انتهى كلامه.

(وما تزوج عليها أحدا حياتها من النساء أبدا)

هذا من مناقبها التى اختصت بها يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتزوج علي خديجة رضي الله تعالى عنها فى مدة حياتها بل توفيت فى مكة وما فى عصمته عليه السلام سواها. وهذا مما لا خلاف فيه.

فائدتان:

الأولى : أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر النساء. قال تعالى: {يا نساء النبيء لستن كأحد من النساء ان اتقيتن} وعبارة القاضي حسين نساؤه أفضل من نساء العالمين وعبارة المتولى خير نساء هذه الأمة ويلزم من كونها خير نساء هذه الأمة أنهن خير نساء الأمم، لأنها أفضل الأمم إلا أنه لا يلزم من تفضيل الجملة على الجملة بتفضيل كل فرد على كل فرد فقد قيل بنبوءة مريم وآسية وأم موسى فإن ثبت خصت من العموم، ذكره السبكي زاد غيره وحواء وسارة وهاجر نقله الزرقاني.

الثانية معنى كون أزواجه عليه السلام أمهات المؤمنين أي فى تحريم نكاحهن على التابيد ووجوب احترامهن، لا فى نظر وخلوة بهن فحرام كالأجانب قال تعالى: {وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب} أي ستر، قال عياض فلا يجوز إظهار شخوصهن وإن كن متسترات إلا

من ضرورة من براز ورده الحافظ بأنهن كن بعده عليه السلام يحتجبن ويطفن وسمع الصحابة ومن بعدهم الحديث منهن وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص قال الزرقاني ويمكن ان ذلك من جملة الضرورة وأن قوله من براز أي مثلا فلا يرد عليه ذلك - انتهى. وقوله براز هو قضاء الحاجة قاله مؤلفه. وللعراقي:

أزواجه كلا محرمات	هن لذي الإيمان أمهات
نكاحهن مع عقوقهنه	مع الوجوب لاحترامهنه
لا نظر وخلوة بهنه	ولا بتحريم بناتهنه

قال المناوي صرح عياض بحرمة كشف وجوههن وأكفهن بشهادة أو غيرها، **(ثم)** بعد موت خديجة رضي الله تعالى عنها **(تزوج)** صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة الصديقة **(ابنت الصديق)** سيدنا أبى بكر رضي الله تعالى عنها ابن أبى قحافة واسمه عبد الرحمن ابن عثمان ابن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، جده عليه السلام وأمها أم رومان بضم الراء وفتحها واسمها زينب وقيل دعد بنت عامر بن عويمر بالتصغير بن عبد شمس من بنى غنم بن مالك بن كنانة وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها قد خطبها المطعم بن عدي لابنه جبير بن مطعم فخطبها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجها اما لأنه لم يعلم بالخطبة أو كان ذلك قبل النهي وروى أحمد بن عاصم والطبراني وغيرهما عن عائشة لما ماتت خدية جاءت خولة بنت حكيم وقالت يا رسول الله ألا تتزوج؟ قال من؟ قالت إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا، فأما البكر فابنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر وأما الثيب فسودة بنت زمعة لقد آمنت بك، قال فاذكريهما علي، فأتيت أم رومان فقلت ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت وما ذلك؟ قلت رسول الله عليه السلام، يذكر عائشة، قالت وددت أن تنظرى أبا بكر فجاء فذكرت ذلك له، فقال أو تصلح له وهي ابنة اخيه ورجعت وذكرت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال قولى له أنت أخى وأنا أخوك فى الإسلام وابنتك تصلح لى فرجعت وأخبرته بذلك، فقال أبو

بكر لأم رومان ان المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه والله ما أخلف أبو بكر وعدا قط فأتى المطعم وعنده امرأته فقال ما تقول فى أمر هذه الجارية فأقبل على امرأته فقال ما تقولين؟ فأقبلت على أبى بكر فقالت لعلنا ان نكحنا هذا الصبي إليك تصبئه وتدخله فى دينك فقال أبو بكر ما تقول أنت؟ فقال انها تقول ما تسمع فقام أبو بكر ليس فى نفسه شيء من الموعد فقال لخولة قولي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليات فدعته فملكها أي تزوجها.

(وعمرها ست على التحقيق)

يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج عائشة أي عقد عليها وهي بنت ست سنين، أخرج الشيخان عن عائشة قالت تزوجنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا ابنت ست سنين وفى رواية لمسلم والنسائي عنها وأنا ابنت سبع سنين وجمع فى الإصابة بينهما بأنها أكملت السادسة ودخلت فى السابعة - انظر المواهب وشرحها.

(بالبلد الحرام قبل الهجرة بسنتين عند أهل الخبرة)

يعني أنه عليه السلام تزوجها بالبلد الحرام أي بمكة قبل الهجرة إلى المدينة بسنتين عند أهل الخبرة بهذا الفن أي العلم به، وقوله بسنتين إلخ. الذى فى المواهب هو ما نصه وتزوجها بمكة فى شوال سنة عشر من النبوءة قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين، وقوله قبل الهجرة بثلاث سنين زيادة إيضاح لما قبله، وقوله ولها ست سنين أي لأنها ولدت فى الإسلام سنة أربع من النبوءة كما فى العيون والإصابة قاله الزرقاني. وفى المواهب أيضا وماتت خديجة رضي الله تعالى عنها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، قال الزرقاني عقبه ما نصه على الصحيح كما فى الفتح والإصابة وزاد عن الواقدي لعشر خلون من رمضان انتهى.

وفي المواهب بعد هذا وقيل قبلها يعنى الهجرة بأربع وقيل خمس ودفنت بالحجون - انتهى. فانظر هذا الذى اقتصر عليه الناظم من أنه

تزوجها قبل الهجرة بسنتين والله تعالى أعلم.

(ثم بنى بها بعيدما ارتحل لطيبة وعمرها تسعا وصل)

قوله بعيد تصغير بعد وهو الذى يدل على قرب الزمن، وما مصدرية، وتسعا منصوب بوصل، وعمرها مبتدأ ووصل خبره، والجملة حالية، يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بنى بعائشة رضي الله تعالى عنها أي دخل بها بعد ارتحاله بها إلى طيبة وهي المدينة المنورة على ساكنيها أفضل الصلاة والسلام، وكان بناؤه بها فى شوال فى السنة الأولى بعد مقدمه المدينة بتسعة أشهر على الصحيح، والحال أن عمرها بلغ إذ ذاك تسع سنين، وقيل بنى بها فى شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهرا، وعليه فتكون لها عشر سنين ونصف سنة وكونه عليه السلام بنى بها ولها تسع سنين ثبت عنها فى الصحيحين وغيرهما وهو الذى ياتى عليه أنه بنى بها فى السنة الأولى، وروى ابن سعد وغيره عنها قالت أعرس بي على رأس ثمانية أشهر، وبهذا صدر فى الإصابة والعيون وفى مسلم عنها تزوجنى صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بي فى شوال، قال فى الفتح وإذا ثبت أنه بنى بها فى شوال من السنة الأولى قوي قول من قال دخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وقد وهاه النووي وليس بواه، إذا عددنا من ربيع وجزمه بأن دخوله بها كان فى الثانية يخالف ما ثبت أنه دخل بها بعد خديجة بثلاث سنين، وقال الدمياطي ماتت خديجة وعقد على سودة فى شوال ثم على عائشة ودخل بسودة قبل عائشة انتهى. ملخصا من الزرقاني وما صدر به فى المواهب من أنه بنى بها فى شوال سنة اثنتين ضعفه الزرقاني، وقال انه لا ياتى على قول المواهب انه بنى بها ولها تسع سنين كما ثبت فى الصحيحين - انتهى.

وهذا ظاهر لأنها إذا كانت فى شوال قبل الهجرة بثلاث سنين قد مضى لها ست سنين وبنى بها فى شوال سنة اثنتين على رأس ثمانية عشر شهرا فقد كانت حين الهجرة لها تسع سنين لأنه عليه السلام عقد عليها ولها ست سنين وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على ما

اقتصر عليه في المواهب قاله كاتبه والله تعالى أعلم.

وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوكعت بضم الواو والتاء أي حممت فتمزق شعري بزاي مشددة أي تقطع. وفي رواية فتمرق بالمهملة أي تنتف فوفي جميمه ووفى بتخفيف الفاء أي كثر وفيه حذف تقديره ثم نصلت من الوعك فتربى شعري فكثر جميمه بالجيم مصغرا، مصغر جمة يجمع شعر الناصية فأتتني أم رومان وإني لفي أرجوحة مع صواحب لي والأرجوحة بضم الهمزة وسكون الراء وضم الجيم فواو فمهملة حبل يشد في كل من طرفيه خشبة فيجلس واحد علي طرف وآخر على طرف ويحركان فيميل أحدهما بالآخر نوع من اللعب، فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني فأخذت بيدي فأوقفتني على باب الدار وأنا أنهج بنون وجيم مع فتح الهمزة والهاء وضم الهمزة وكسر الهاء أي أتنفس تنفسا عاليا من الاعياء حتى سكن بعض نفسي بفتح الفاء ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نساء من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير صائر أي على خير حظ ونصيب، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني بضم الراء أي لم يفزعني إلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضحى وكنت بذلك من المفاجأة على غير علم فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين، وفي رواية لمسلم ولعبتها معها.

(ومات عنها وهي بنت حي صلى عليه رب كل شي)

يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت مدة مقامه مع عائشة تسع سنين ومات عنها عليه السلام ولها ثمان عشرة سنة كما في مسلم وغيره عنها وإلى هذا أشار الناظم بالحاء والياء فالحاء ثمان، والياء عشر.

وقوله شي بشد الياء لغة فى شيء أي صلى عليه مالك كل شيء دعاء بلفظ الخبر. قال الزرقاني وروي أنها مدحت النبي صلي الله عليه وسلم بقولها:

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
لواحي زليخا لو رأين جبينه لئاثرن بالقطع القلوب على الأيدى

ولواحي جمع لاحية يعنى النسوة اللاتي لمنها فى شأن يوسف؛ وفى الصحيحين من حديثها أنه عليه السلام قال لها: رأيتك وفى رواية أريتك بضم الهمزة فى المنام، ثلاث ليال جاءني بك أي بصورتك الملك، أي جبريل فى سرقة حرير يقول هذه امرأتك، فاكشف عن وجهك، فإذا هي أنت فأقول إن يكن من عند الله يمضه، والسرقة بفتح السين والراء المهملتين فقاف القطعة، ويمضه بضم أوله، قال الطبي هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الشيء المدلى بصحة تحقق وقوع الجزاء ونحوه. قول السلطان لمن يحب قهره، ان كنت أميرا انتقمت منك وقال عياض يحتمل أنه قال ذلك قبل البعثة فلا إشكال، وإن كان بعدها فيحتمل التردد، هل هي زوجته فى الدنيا والآخرة؟ أو الآخرة فقط، أو أنه لفظ شك لا يراد به ظاهره وهو نوع من البديع يسمى تجاهل العارف، قال الحافظ والأخير هو المعتمد، ولابن حبان هي زوجتك فى الدنيا والآخرة. وأصل السرقة بفتحات شقة الحرير البيضاء وقيل الحرير عامة، وجمعه سرق بالتحريك والمراد هنا المعنى الثاني، بدليل أنها خضراء، لما رواه الترمذي وحسنه ان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بصورتها فى خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة.

وفي رواية عنده قال أتاني جبريل فقال ان الله تعالى قد زوجك بابنت أبى بكر، ومعه صورتها. وروى الطبراني برجال الصحيح أنها قالت أعطيت تسع خلال ما أعطيتها امرأة؛ والله ما أقول هذا فخرا، نزل الملك بصورتى وتزوجنى لسبع وأهديت إليه لتسع وتزوجنى بكرا، وكان الوحي يأتيه وأنا وهو فى لحاف واحد. وكنت أحب الناس إليه وابنت أحب الناس إليه، ولقد نزلت في آيات من القرآن، وقد كادت

الأمة تهلك فـي ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري وقبض فى بيتى ولم يله أحد غيرى وغير الملك.
وروى أبو الحسن الخلعي عنها: رفعته يا عائشة، انه ليهون علي الموت؛ إنى قد رأيتك زوجتى فى الجنة. رواه ابن عساكر بلفظ ما أبالى بالموت، قد علمت أنك زوجتى فى الجنة.

(ولم يكن تزوج المختار بكرا سواها فلها الفخار)

قوله المختار اسم يكن، وتوسط الخبر وهو تزوج بينه وبين الفعل وفاعل تزوج ضمير الاسم وبكرا مفعول تزوج والفخار بالفتح التمام بالخصال، قاله فى القاموس يعنى أنه صلي الله عليه وسلم لم يتزوج قط بكرا غيرها فبسبب ذلك ثبت لها الفخار أي المدح بتلك الخصلة على سائر نسائه. وهذا متفق عليه عند أهل النقل وهو فى الصحيح.
وفي الحديث فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. وفيه يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام. فقالت عليه السلام ورحمة الله وبركاته.
وقال عليه السلام يا أم سلمة، لا توذينى فى عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها، وكلها فى الصحيح. قال فى الفتح مما يسأل عنه وجه اختصاصها بذلك فقيل لمكان أبيها فسرى ذلك لابنته مع ما كان لها من مزيد حبه صلي الله عليه وسلم، وقيل كانت تبالغ فى تنظيف ثيابها التى تنام فيها معه صلي الله عليه وسلم، وروى الطبراني والبزار برجال ثقات عنها: رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم طيب النفس، فقلت يا رسول الله ادع لي. فقال اللهم أغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسرت وما أعلنت. فضحكت عائشة حتى سقط رأسها فى حجرها من الضحك، فقال صلي الله تعالى عليه وسلم: أسرك دعائى؟فقالت مالي لا يسرنى دعاؤك. قال فوالله إنها لدعوتى لأمتى فى كل صلاة. - انظر الزرقاني.
وفي المواهب وكانت عائشة تكنى أم عبد الله مروي أنها أسقطت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سقطا ولم يثبت، والصحيح أنها

كانت تكنى بعبد الله بن الزبير بن أختها، فإنه عليه الصلاة والسلام تفل في فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله، قالت فمازلت أكنى بها وما ولد قط. خرجه أبو حاتم انتهى.

قال الزرقاني وفي الروض بعد تضعيف حديث السقط وأصح منه حديث أبي داوود أنه صلي الله تعالى عليه وسلم قال لها تكني بابن أختك عبد الله بن الزبير ويروى بابنك عبد الله، لأنها كانت قد استوهبته من أبويه فكان في حجرها يدعوها أما - انتهى.

(وكم حوت في مدة يسيره   من العلوم الجمة الغزيره)

كم تكثيرية وهي مفعول حوت، والمدة القطعة من الزمن ويعني بها مدة إقامتها معه صلي الله تعالى عليه وسلم وهي تسع سنين ولذا وصفها باليسارة أي القلة، والجمة بالفتح الكثرة، والغزيرة بفتح العين المعجمة مرادف له، وحوت معناه جمعت يعنى أنها رضي الله تعالى عنها قد جمعت في هذه السنين التسع من العلوم بجميع أنواعها ما لا يتعلمه غيرها في الأزمان المتطاولة، فكانت فقيهة جدا، حتى قيل ان ربع الأحكام الشرعية منقول عنها، عالمة بكل العلوم. قال أبو موسى الأشعري ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما. رواه الترمذي وصححه.

وقال عروة ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة رواه الحاكم وغيره بسند حسن. وقال عطاء كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا - انتهي.

وكانت فصيحة. قال معاوية ما رأيت خطيبا قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة رواه الطبراني. وكانت كثيرة الحديث، روي لها عن رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم ألفان بالتثنية ومائتا حديث وعشرة، وكانت عارفة بأيام العرب وأشعارها، فما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا، وكانت زاهدة كثيرة الكرم والصدقة.

وعن أم درة قالت أتيت عائشة بمائة ألف، ففرقتها وهي يومئذ صائمة، وقلت لها أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ فقالت لو أدركتيني لفعلت. وكانت رضي الله عنها بيضاء وزاعم أنها سوداء كذبه ابن معين وغيره. ويقال لها عيشة في لغة فصيحة وعائشة أفصح. وهي بالهمز وعوام المحدثين يبدلونها ياء. وكان عليه السلام يقسم لها ليلتين، ليلتها وليلة سودة ولا يقسم لسودة لأنها وهبت ليلتها لما كبرت لعائشة.

وما في مسلم عن ابن جريج ان التى كان لا يقسم لها صفية وهم، كما قاله عياض والطحاوي وغيرهما - انظر الزرقاني.

تنبيه:

مشى الناظم رحمه الله تعالى على ان عائشة هي التى تلي خديجة فى التزويج بها وهو قول محمد بن عقيل، والذى صدر به في المواهب ان سودة هي التى تلي خديجة وانه تزوج سودة قبل أن يعقد على عائشة، وقال هذا قول ابن أبى عبيدة وقتادة ولم يذكر ابن قتيبة غيره - انتهى.

قال الزرقاني وبه جزم الجمهور، قال فى الإصابة ورواه ابن إسحاق، فقال كانت سودة أول امرأة تزوجها بعد خديجة، قال اليعمري وهو الصحيح ويجمع بين القولين بأنه صلي الله تعالى عليه وسلم عقد على عائشة قبل الدخول بسودة، ودخل بسودة بمكة قبل الدخول بعائشة - انتهى.

وقال العراقي:

خديجة الأولى تليها سودة ثم تلى عائشة الصديقة
وقيل قبل سودة فحفصة

انتهى المراد منه.

وقال الزرقاني جرى المصنف فى ترتيبهن على ما رواه يونس عن الزهري أنه صلي الله تعالى عليه وسلم تزوج بعد خديجة سودة ثم عائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أم حبيبة.

وفي رواية عقيل عنه خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم أم حبيبة ثم أم حفصة، ثم أم سلمة. وروى عبد الملك النيسابوري عن أبي سعيد يرفعه: ما تزوجت شيئا من نسائي ولا زوجت شيئا من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عن ربي عز وجل - انتهى.

(وبالبقيع دفنت فى حن ليـــــــلا...)

مراده أن عائشة دفنت ليلا بالبقيع بوصيتها لابن اختها عروة فقالت إذا أنا مت فادفني مع صواحبي بالبقيع. فدفنت به ليلا، ونزل فى قبرها القاسم بن محمد ابن عمة عبد الله بن عبد الرحمن وعروة وعبد الله أبناء الزبير وحضر جنازتها أكثر أهل المدينة، وصلى عليها أبو هريرة وكانت يومئذ خليفة لمروان بن الحكم على المدينة. ومروان أمير المدينة من جهة معاوية فحج واستخلف أبا هريرة وتوفيت على ما قال الناظم عام ثمان وخمسين كما أشار له بقوله:

في حن. فالحاء ثمان والنون خمسون وعزاه ابن حجر للأكثرين وصححه الشامي وذلك كما قال الواقدي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان. والذى ذكر علي بن المديني عن سفيان عن هشام بن عروة وصححه فى التقريب أنها ماتت عام سبعة وخمسين وقيل ماتت سنة ست وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين، بتقديم المثناة. فعلى قول ابن المديني عاشت ستا وستين سنة، وعلى ما عزاه الحافظ للأكثر ألغي عام الولادة أو الموت.

(وســــــودة ســـــمت فى السن فـــوهبت ليلتـــهـــا لهـــا لكي تحـــشـــر فى أزواجــــه بنت لؤي)

يعني أن أمنا سودة رضي الله تعالى عنها سمت أي علت وكبرت فى

السن فأراد صلي الله تعالى عليه وسلم أن يطلقها، فقالت لا تطلقنى وأنت فى حل منى، فأنا أريد أن أحشر فى أزواجك وإنى قد وهبت يومي لعائشة، وإنى لا أريد ما تريد النساء فأمسكها حتى توفي.

وأخرج الترمذي بسند حسن عن ابن عباس وأبو داوود عن عائشة أن سودة خشيت أن يطلقها صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت لا تطلقني وأمسكني وأجعل يومي لعائشة ففعل، ففعلت. فأنزل الله: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا} (الآية).

وفي مرسل رواه ابن سعد انه بعث إليها بطلاقها فناشدته أن يراجعها، وجعلت يومها وليلتها لعائشة، ففعل. لكن صحح الدمياطي وتلميذه اليعمري أنه لم يطلقها. وكانت رضي الله تعالى عنها شديدة الاتباع لأمره صلي الله تعالى عليه وسلم. وصح عن عائشة أنها قالت: ما من الناس أحد أحب إلي أن أكون فى مسلاخه من سودة، ان بها إلا حدة فيها، كانت تسرع منها الفيئة. ومسلاخها بكسر الميم وسكون المهملة وخفة اللام وخاء معجمة هديها وطريقتها.

وروي ان عمر بعث إليها غرارة من الدراهم، فقالت ما هذه؟ قالوا دراهم. قالت فى غرارة مثل التمر؟! ففرقتها. وكانت تضحكه صلي الله تعالى عليه وسلم بالشيء أحيانا.

فائدة:

يقال كبر بالكسر إذا أسن، يكبر بالفتح، وكبر بالضم إذا عظم فى الأجسام والمعاني، يكبر بالضم فيهما.

قال الدنوشري:

كبرت بكسر الباء فى السن وارد ... مضارعه بالفتح لا غير يا صاح

وفي الجسم والمعنى كبرت بضمها ... مضارعها بالضم جاء بإيضاح

نقله الزرقاني. وقول الناظم فوهبت فاعله ضمير يعود على سودة كالمجرور بالإضافة وأما المجرور باللام فهو لعائشة، وبنت نائب فاعل

تحشر وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر، وأتى به الناظم ليبين النسب الذي يجمعها مع المصطفى عليه السلام وهو جدهما لؤي. وسودة بفتح السين هي بنت زمعة بفتح الزاي وسكون الميم وتفتح على ما في القاموس،، وبه يرد قول المصباح لم أظفر بسكونها، ابن عبد شمس، ابن عبد ود، بفتح الواو وشد الدال، وتضم الواو،ابن نضر بن مالك، بن حسل بكسر الحاء وسكون السين المهملتين فلام ابن عامر بن لؤي وأمها الشموس بشين معجمة فميم فواو فمهملة بنت قيس بن عمرو أخي سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، أم عبد المطلب.

(وبعد موت زوجها السكران تزوجت خير بني عدنان
صلى عليه ربنا وسلما وآله وصحبه وكرما)

قوله بعد متعلق بتزوجت والضمير المضاف إليه زوج لسودة يعني أنها رضي الله عنها كانت قبل النبي صلي الله تعالى عليه وسلم تحت ابن عمها السكران عمرو بن عبد شمس جدها هي المتقدم نسبه، فالسكران ابن عم أبيها، وهو أخو سهيل بالتصغير، وسهل بالتكبير وسليط بفتح المهملة وكسر اللام وحاطب بنو عمرو كلهم صحابة، رضي الله تعالى عنهم، والسكران أسلم قديما وهاجر معها الهجرة الثانية إلى الحبشة، كما ياتى، وهاجر سليط الهجرة الأولى إلى الحبشة على ما في العيون كما في الزرقاني، وكذا أخوه حاطب كما في العراقي. وفي المواهب وكانت تحت ابن عم يقال له السكران ابن عمرو أخو سهيل بن عمرو وأسلم معها قديما وهاجرا جميعا إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها وقيل أنه مات بالحبشة، وتزوجها صلي الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل أن يعقد على عائشة انتهى المراد منه.

وفي الزرقاني انها ولدت للسكران ابنا يسمى عبد الرحمن، قتل بحلولاء في قتال فارس وفيه انها رأت في المنام كأن النبي صلي الله تعالى عليه وسلم أقبل يمشي حتى وطئ عنقها فأخبرت زوجها بذلك، فقال إن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك، ثم رأت في المنام ليلة

أخرى أن قمرا انقض عليها وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيرا حتى أموت وتتزوجين من بعدي فاشتكى السكران من يومه ذلك، فلم يلبث إلا يسيرا انتهى.

وقولها وتزوجها أي عقد ودخل عليها قاله الزرقاني، ثم قال فى المواهب ويقال تزوجها بعد عائشة ويجمع بين القولين بأنه صلي الله تعالى عليه وسلم عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة، والتزويج يطلق على كل منهما وإن كان المتبادر للفهم العقد دون الدخول - انتهى كلامها.

وقوله فى وجه الجمع عقد على عائشة قبل سودة أي قبل الدخول بسودة، لا قبل العقد عليها بدليل بقية كلامه، ودخل بسودة قبل عائشة يعنى وبعد عقده على عائشة. وقوله كل منهما أي من العقد والدخول فيحمل الأول على العقد والثانى على الدخول فيتفق القولان، قاله الزرقاني.

وقوله فيحمل الأول على العقد يعنى القول الأول فى كلامه وهو أنه تزوج سودة قبل عائشة فيكون المراد بتزوجه بها قبل عائشة أنه عقد عليها قبل عائشة، وقوله والثاني على الدخول يعنى بالثاني قوله ويقال تزوجها بعد عائشة فيكون معناه دخل بها أي بسودة بعد عائشة أي بعد عقده عليه السلام على عائشة فهذا وجه التوفيق بين القولين والله تعالى أعلم. قاله كاتبه عفا الله عنه.

وقوله صلى عليه أي أعطاه صلاة، أي رحمة، وسلم أي أعطاه سلاما، أي أمانا، وكرمه عظمه ونزهه.

(وهاجرا فى الدين هجرتين   جزاهما الرحمن جنتين)

ضمير التثنية راجع لسودة وزوجها السكران بن عمرو، أخبر رضي الله تعالى عنه أن سودة وزوجها السكران هاجرا فى الدين هجرتين، أي تركا وطنهما بسببه، ودعا لهما بلفظ الخبر بأن يجزيهما الله تعالى على هجرتيهما بجنتين ولكن كون السكران رضي الله عنه هاجر هجرتين

غير صحيح والله تعالى أعلم؛ لأن الهجرة إلى المدينة مات قبلها . ولم يتزوج المصطفى عليه السلام سودة إلا بعد موت السكران وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وأما الهجرة الأولى إلى الحبشة فلم يكن من أهلها والله تعالى أعلم، وأما الثانية من هجرتي الحبشة فقد هاجرها هو وسودة رضي الله تعالى عنهما.

وقد تعرض لعد أهل الهجرة الأولى غير واحد، ولم يذكروا السكران فيها فيما رأينا، وللعراقي:

لما فشى الإسلام واشتد على	من أسلم البلاء هاجروا إلي
أصحمة في رجب من سنة	خمس مضت لهم من النبوءة
خمس من النساء واثنا عشرا	من الرجال كلهم قد هاجرا
عثمان مع زوجته رقيه	أسبقهم للهجرة المرضية
مصعب والزبير وابن عوف	وحاطب فأمنوا من خوف
كذا ابن مظعون ابن مسعود أبو	سلمة وزوجه تصاحبوا
أبو حذيفة أبوه عتبه	زوجته بنت سهيل سهله
وابن عمير هاشم وعامر	ابن ربيعة الحليف الناصر
وزوجه ليلى أبو سبرة مع	زوجته أي أم مكتوم جمع
وخرجت قريش في الآثار	لم يصلوا منهم لأخذ الثار
فجاوروه في أتم حال	ثم أتوا مكة في شوال
من عامهم إذ قيل أهل مكة	قد أسلموا ولم يكن بالمثبت
فاستقبلوهم بالأذى والشدة	فرجعوا للهجرة الثانية
في مائة عد الرجال منهم	اثنان من بعد ثمانين هم
فنزلوا عند النجاشي على	أتم حال وتغيظ الملا
على النبي وعلى أصحابه	وكتب البغيض في كتابه
على بني هاشم الصحيفه	وعلقت بالكعبة الشريفه
أن لا تناكحوهم ولا ولا	وحصروا في الشعب حين أقبلا
أول عام سبعة للبعث	قاسوا به جهدا بشر مكث
وسمعت أصوات صبيانهم	فساء ذاك بعض أقوامهم

انتهى المراد منه.

وأصحمة بفتح الهمزة وسكون المهملة الأولى وكسر الثانية من الصحمة وهو سواد إلى صفرة أو غيره، أي سواد قليل، ومصعب هو ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف، بن عبد الدار بن قصي، وابن مظعون هو عثمان وهو أول صحابي مات بالمدينة، وأبو سلمة هو عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمرو، بن مخزوم وزوجه أمنا أم سلمة وهاجرا معا الهجرتين، وأبو حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة كما قال الناظم، أبوه عتبة وهاشم بن عمير أخو مصعب وقوله الحليف أي حليف الخطاب بن نفيل وأبو سبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة ابن أبى رهم بضم الراء من بنى عامر ابن لؤي. وقوله من عامهم أي الذى هاجروا فيه لما أخبرهم ركب من بنى كنانة أن قريشا قد أسلموا، وبغيض هو ابن عامر بن عبد مناف بن عبد الدار، وهو بغيض كاسمه وشلت يده، وقوله ولا ولا، أي ولا تعاملوهم ولا تخالطوهم، والجهد بفتح الجيم المشقة، وقوله بشر مكث أي من ضيق العيش والأذى، وقوله أصوات صبيانهم أي من وراء الشعب يتضاغون من شدة الجوع والكرب، قاله المناوي.

(وعام ند فى خلافة عمر توفيت فى طيبة فاقف الأثر)

أخبر أن أمنا سودة رضي الله عنها توفيت بالمدينة عام ند، وهي أربع وخمسون فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولا يخفى ما فى كلامه من التناقض، لأن عمر رضي الله تعالى عنه توفي فى آخر ذى الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وقد اختلف فى موت سودة، هل كان فى آخر خلافة عمر وهو الذى رواه البخاري فى تاريخه وجزم به الذهبي، وقال ابن سيد الناس انه المشهور، وتبعه الشامي. والذى صدر به فى المواهب أنها توفيت فى شوال سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية وهو الذى رجحه الواقدي، وقال الحافظ سنة خمس وخمسين على الصحيح - انظر المواهب وشرحها.

وفي المناوي وماتت فى شوال سنة أربع وخمسين وقال اليعمري

والذهبي ماتت فى آخر خلافة عمر - انتهى. ولم يعين هو ولا القسطلاني ولا الزرقاني وقت موتها، على أنها ماتت فى آخر خلافة عمر.

وقول الناظم فاقف الأثر معناه اتبع الأثر المروي فى تعيين وقت وفاتها والله تعالى أعلم.

وصواب الناظم إن كان ماشيا على أنها فى خلافة عمر، أن يقول:

وفى أواخر خلافة عمر ماتت بطيبة فحقق الأثر

قاله كاتبه سمح الله له.

(وحفصة تزوجت خير البشر بعد خنيس ...)

يعني أن أمنا حفصة رضي الله تعالى عنها تزوجها رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم سنة ثلاث من الهجرة كما فى المواهب وجزم ابن عبد البر بأنه تزوجها سنة اثنتين ورجح كل من القولين، وكانت قبل ذلك تحت الصحابي الجليل خنيس، بضم المعجمة وفتح النون وسكون الياء فسين مهملة ابن حذافة بضم المهملة فذال معجمة السهمي، هاجرت معه ومات عنها من جراحات أصابته ببدر، وقيل قتل بأحد ورجح كلا منهما مرجحون وهي بنت عمر رضي الله عنهما ابن الخطاب بن نفيل بضم النون ابن عبد العزى بن رياح، بكسر الراء وفتح التحتية، فألف فحاء مهملة، ولا يعرف فى العرب فى الجاهلية رباح بالموحدة ابن عبد الله بن قرط بضم القاف وفتح الراء وبالطاء المهملتين كما فى الجامع وغيره، ابن رزاح بفتح الراء والزاء، فألف فمهملة ابن عدي بن كعب، فبينها وبين كعب بن لؤي تسعة آباء، وأمها هي وأخوها عبد الله بن عمر زينب بنت مظعون الجمحية. من المهاجرات. وولدت حفصة قبل البعثة بخمس سنين وقريش تبني الكعبة، وكانت صوامة قوامة، وروي لها عنه صلي الله تعالى عليه وسلم ستون حديثا واستغرب الإمام السبكي الكبير أنها تلي عائشة فى الفضل. قالت عائشة فى حقها: وكانت بنت أبيها. تنبيها منها على فضلها.

ولما تأيمت من خنيس عرضها عمر على عثمان، فلم يجبه إلى زواجها،

ثم عـرضـهـا عـلى أبي بكر فـلم يرجع إليـه شـيـئـا، وصـمـت فـلبث لـيـالى فـخطبـهـا المصطفى صلى الله عليـه وسلم، فـأنكحـه عـمـر إياها. فـقـال أبـو بكر لـعـمـر لعلك وجـدت علي حين عـرضت علي حـفـصـة فلم أرجع إليك شيئا. فـقال لـه نـعم. فقال انـه لـم يمنعنى أن أرجع إليك فـيما عرضت علي إلا أني قد علمت أن رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفـشى سره، ولـو تـركها لقبلتها. ولأبى يعلى أن عمر قال يا رسول الله ألا تعجب من عثمان عرضت عليه حفصة فأعرض عنى؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: قد زوج الله تعالي عثمان خيرا من حفصة وزوج حفصة خيرا من عثمان.

ومن مناقبها أنه شهد بدرا سبعة من أهلها: أبوها وعمها زيد وزوجها خنيس، وأخـوالهـا: عـثـمـان وعـبـد الله وقـدامـة وابـن خالـهـا السـائب بن عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عن جميعهم، واسترضاها صلى الله تعالى عليه وسلم، لما عتبت عليه بوطإ مارية فى بيتها فحرمها.

(... ثم لما أن صدر طلاقها منه بردها أمر)

أن زائدة نحو ولما أن جاء البشير. وللشيخ الجكني:

وبعـد لمـا ويميـن قـبـل لو وكـاف جـر زائدا أن قـد رووا

وطلاقـهـا فـاعل صدر أي وقـع، والضـمـيـر فـيـه لحـفـصـة، والمجـرور بمن لرسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم، وهو متعلق بصدر وأمر بالبناء للمفعول، ونائبـه لـه صلي الله تعالى عليـه وسلم، يتعلق بالمجرور قبله، ومراده أن النبي صلي الله تعالى عليـه وسلم لما وقع منـه طلاق حفصة رضي الله تعالى عنها أمر بردها لعصمته أي أمره الله تعالى على لسان جبريل. فقال راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك فى الجنة. وروي أن عمر لما بلغه طلاقها حثا التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بعـمـر وابنتـه بعدها. فنزل جبـريل من الغد وقال إن الله يأمـرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر – انتهى.

وفي هذه الأحاديث تنبيـه من الله على فضلها والثناء عليها بكثرة

الصيام والقيام والاخبار بأنها زوجة فى الجنة للمختار - انظر الزرقاني.

(وموتها عام الجماعة ذكر)

موتها مبتدأ وخبره قوله ذكر، والجماعة الظاهر أنه أراد به المعنى المصدري وهو الاجتماع ويعنى اجتماع الناس على بيعة معاوية حين بايعه الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم، يعنى أن حفصة رضي الله تعالى عنها توفيت عام اجتماع الناس على بيعة معاوية، وذلك عام إحدى وأربعين من الهجرة، وكان ذلك العام يسمى عام الجماعة كما قاله الزرقاني فى شرح المواهب فى كتابه عليه السلام عند ذكر معاوية.

وفي المواهب وشرحها وماتت فى شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة فى خلافة معاوية وصلى عليها مروان بن الحكم ونزل فى قبرها أخوها عبد الله وعاصم وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر، وقيل ماتت فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين حين بايع الحسن معاوية وهي ابنة ستين سنة على القول الثانى، وأما على الأول فتكون قد بلغت ثلاثا وستين. وقيل ماتت فى خلافة عثمان سنة سبع وعشرين انتهى.

وقوله هي ابنة ستين على القول الثاني لا يخفى أن مجموع ما ذكر تسع وخمسون لا ستون لأنها ولدت قبل النبوءة بخمس سنين تضم إلى ثلاث عشرة قبل الهجرة ثم إلى إحدى وأربعين بعدها كذا بهامش المطبوع وهو ظاهر. والله تعالى أعلم.

فقول الناظم رحمه الله تعالى وموتها عام الجماعة، جرى فيه على القول الثاني فى كلام المواهب.

(وزينب أم المساكين قتل   بأحد عنها ابن جحش فقبل)

ظاهره انه عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد حفصة لذكره إياها بعدها. والذى فى المواهب أن حفصة تليها أم سلمة، ثم أم حبيبة ثم زينب بنت جحش، ثم زينب أم المساكين. وما للناظم نحوه للعراقي

والله تعالى أعلم.

وقوله زنيب مبتدأ وأم المساكن بدل منه أو بيان، وهو علم لها. قال في المواهب وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم – انتهى. وخبر المبتدإ الجملة بعده، والضمير المجرور بعن هو رابط المبتدأ، وقوله فقبل بالبناء للمفعول أي قبله الله تعالى، لأنه من شهداء أحد. وقد قال عليه السلام انه شهيد عليهم. وقال تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا} (إلخ..). يعني أن زينب التي تدعى أي تسمى أم المساكين كانت تحت الصحابي الجليل عبد الله بالتكبير بن جحش، المجدع في الله تعالى وكان تمنى ذلك فأعطيه وهو من بني أسد من بني خزيمة بن مدركة وياتي نسبه إن شاء الله تعالى عند ذكر أخته زينب رضي الله تعالى عنهما. واستشهد بأحد وتزوجها المصطفى صلي الله تعالى عليه وسلم بعده، كما أشار إليه بقوله:

(... تزوجت خير نبي ..)

قوله تزوجت الظاهر انه معطوف بحرف محذوف، أي وبعد ابن جحش تزوجت خير نبي، وهي بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بفتح المعجمة والمهملة وبالفاء ابن قيس عيلان بن مضر، وكان تزوجه صلى الله تعالي عليه وسلم بها سنة ثلاث قاله في المواهب، قال الزرقاني كذا حكاه أبو عمر عن الزهري ورواه عنه ابن أبي خيثمة ولعلها كانت حاملا منه فأسقطت بعد موته فانقضت عدتها في تلك السنة وهذا متعين وإن لم يذكروه إذ وقعة أحد كانت في شوال سنة ثلاث باتفاق فلا يمكن انقضاء عدة الأشهر في السنة المذكورة انتهى. وقال قتادة كانت قبله عليه السلام تحت الطفيل بن الحارث بن المطلب وبهذا جزم ابن الكلبي وزاد فطلقها ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث فمات شهيدا في المبارزة فخلف عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في رمضان سنة ثلاث، قال القسطلاني والأول أصح يعني كونها كانت تحت عبد الله بن جحش.

(وثوت* شهرين أو ثلاثة ثم توت)

قوله ثوت بمثلثة أوله أي أقامت وتوت بالمثناة الفوقية أي هلكت ومراده أنها أقامت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شهرين أو ثلاثة أشهر ثم توفيت رضي الله تعالى عنها، فأو لتنويع الخلاف. وفي الشامية مكثت عنده ثمانية أشهر وقيل شهرين وقيل ثلاثة، والصحيح أنها ماتت في ربيع الأول وقيل الآخر سنة أربع، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها، انتهى. وفي العيون وصلى عليها صلى الله تعالى عليه وسلم ودفنها بالبقيع على الطريق انتهى. وكون وفاتها في ربيع الآخر سنة أربع لا يصح إلا على قول ابن الكلبي أنه تزوجها في رمضان سنة ثلاث وأقامت عنده ثمانية أشهر وأما على ما حكاه ابن عبد البر من أن العقد عليها سنة ثلاث بعد شوال ومدتها عنده شهران أو ثلاثة فلا يصح ذلك، انظر المواهب وشرحها.

واقتصر المناوي على أنها أقامت عنده عليه الصلاة والسلام ثلاثة أشهر.

(ولم يمت حياته من النسا إلا خديجة وذي فاقتبسا)

يعني أنه لم يمت في حياة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم من نسائه إلا خديجة فقد تقدم أنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون وإلا زينب بنت خزيمة وإليها أشار بقوله ذي بناء على أن ريحانة سرية لا زوجة، وهو الصحيح. وأما على أنها زوجة فهي ممن مات في حياته عليه السلام. وقوله فاقتبسا ألفه بدل من نون التوكيد الخفية وفي الألفية:

وأبدلنها بعد فتح ألفا وقفا كما تقول في قفن قفا

وهو تتميم ومعناه خذ العلوم من الكتب ، وأصل الاقتباس أخذ القبس من النار وهو الشعلة في رأس فتيلة أو عود.

(وبنت جحش بنت عمة الرسول زوجها الرحمن بارئ العقول
خير نبي إذ قضى منها الوطر زيد (...)

قوله بنت جحش مبتدأ ومضاف إليه ما قبله وبنت الثانية نعت

للمبتدإ ويعني بعمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أميمة بالتصغير بنت عبد المطلب واختلف في إسلامها وأثبته ابن سعد، وقال أطعمها صلى الله تعالي عليه وسلم أربعين وسقا من خيبر فعليه كانت موجودة لما تزوج بنتها، قاله الزرقاني، وخبر المبتدأ قوله: زوجها إلخ... والرحمن فاعل زوج، ومعناه المنعم بجلائل النعم أو ذو الرحمة العامة في الدنيا على جميع الخلق أو المنعم بالنعم التي لا تدخل تحت كسب العباد كبعث الرسل، وبارئ نعت له، أي خالق، والعقول جمع عقل وهو نور تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية وإذ ظرف زمان والعامل فيه زوج وخير بالنصب مفعول زوج والوطر الحاجة والأرب، وزيد فاعل قضى وهو زيد بن حارثة حبه عليه السلام ومولاه ومعنى كلامه أن أمنا زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها زوجها الله خير أنبيائه صلى الله تعالى عليه وسلم.

أي تولى عقدها له بعد أن قضى زيد بن حارثة منها وطره وطلقها بعد أن مكثت عنده مدة وألقى الله كراهتها فى قلبه لتعاظمها عليه بشرفها فجاء يشكوها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله. ثم طلقها لكراهته لها، لا لرغبة المصطفى صلي الله تعالى عليه وسلم فى نكاحها كما زعمه من وهم وأخطأ، فأنزل الله تعالى: {وإذ تقول للذى أنعم الله عليه} أي بالإيمان وأنعمت عليه أي بالعتق وهو زيد كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه: أمسك عليك زوجك واتق الله فى أمر طلاقها، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه، أي مظهره وهو علمك بالوحي بأنه سيطلقها وأنك تتزوجها، كما قاله علي بن الحسين والزهري وغيرهما. وعليه أهل التحقيق. قاله المحقق محمد بن عبد الباقي.

قال جامعه عفا الله تعالى عنه: وهذا هو الذى يليق بمنصب النبوءة والله تعالي أعلم.

فلما انقضت عدتها من زيد قال له رسول الله صلي الله تعالى عليه

وسلم اذهب فاذكرني لها. ويروى أنه قال له: ما أجد في نفسي أوثق منك، فاخطب زينب علي. قال زيد فذهبت إليها فجعلت ظهرى من وراء الباب وذلك من مزيد ورعه، حتى لا يراها وإلا فهذا كان قبل نزول الحجاب، قال زيد فقلت يا زينب بعث رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم يذكرك، أي يخطبك، فقالت ما كنت لأحدث شيئا حتى أوامر ربي عز وجل أي أستخبره، فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله تعالى: {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها} أي جعلناها لك زوجة بلا واسطة عقد على الصواب، الذى لا يجوز غيره، فإنها كانت تفخر بأن الله تعالى هو الذى زوجها. فجاء رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه بغير إذن. أخرجه مسلم وأحمد والنسائي من حديث أنس. وعند ابن سعد بسند مرسل: بينا رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم يتحدث عند عائشة إذ أخذته غشية فسرى عنه وهو يبتسم ويقول من يذهب إلى زينب فيبشرها. وتلا: {وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك وتقي الله} (الآية)، قالت عائشة فأخذنى ما قرب وما بعد، لما يبلغنا من جمالها وأخرى هي أعظم وأشرف ما صنع لها زوجها الله تعالى من السماء، وعنده بسند ضعيف عن ابن عباس لما أخبرت زينب بتزويج رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم لها سجدت انتهى.

وعن الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم إنى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدى وجدك واحد، وإن الله أنكحك إياي من السماء، وأن الساعي في ذلك جبريل، تريد عبد المطلب لأنه أبو أمها.

وروي أنها كانت تقول: يا رسول الله ما أنا كأحد من نسائك، ليست كل امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها غيرى، زوجنيك الله من السماء.

ولما تزوجها عليه السلام قال المنافقون: حرم محمد نساء الولد، وتزوج امرأة ابنه.

فأنزل الله تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم} فأذهب الله بهذه

الآية ما وقع فى نفوس المنافقين وغيرهم، وكان اسمها برة بفتح الموحدة والراء المشددة فسماها النبي صلي الله تعالى عليه وسلم زينب، كراهة أن يقال خرج من عدة برة. أو ما هنا برة مثلا لحبه الفال الحسن، وأما أبوها فكان اسمه برة بضم الموحدة وشد الراء، فقالت زينب يا رسول الله لو غيرت اسم أبي فإن البرة صغيرة فقال لو كان أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكني قد سميته جحشا والجحش أكبر من البرة. رواه الدارقطني وهي بنت جحش بن رياب بكسر الراء وخفة التحتية وتبدل همزة فألف فموحدة ابن يعمر بفتح التحتية وسكون العين المهملة وضم الميم ابن صبرة بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة ابن مرة ابن كبير ضد صغير، ابن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون، ابن دودان بضم الدال المهملة وسكون الواو فدال أخرى فألف فنون، ابن أسد بن خزيمة بن مدركة. انتهى من الزرقاني.

ولما تزوجها صلي الله تعالى عليه وسلم أولم عليها فأشبع المسلمين خبزا ولحما، ثم جلسوا يتحدثون فأطالوا الجلوس فإذا هو صلي الله تعالى عليه وسلم كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، وكان يستحي أن يقول لهم قوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة، فجاء عليه السلام ليدخل على زينب فإذا القوم جلوس فى بيتها فرجع ثم انهم قاموا، قال أنس فأخبرت النبي صلي الله تعالى عليه وسلم انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبئ...إلى قوله عظيما}. وفى البخاري عن أنس قال عمر قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فأنزل الله تعالى آية الحجاب.

وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة: كنت آكل مع النبي صلي الله تعالى عليه وسلم فى قعب فمر عمر فدعاه فأكل، فأصاب أصبعه أصبعي فقال أوه، لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزلت آية الحجاب.

ويمكن الجمع بأن هذا وقع قبل قصة زينب ولقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب، ولا مانع من تعدد السبب. وكان تزويجها له

عليه السلام سنة خمس وقيل أربع وقيل ثلاث.

(ومـــاتت فـى خـــلافـــة عـــمـــر إذ فتحت مصر...)

يعني أن أمنا زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ماتت بالمدينة فى خلافة عمر سنة عشرين عام فتحت مصر وقيل توفيت سنة إحدى وعشرين عام فتح الاسكندرية وصلى عليها عمر بن الخطاب، ولها ثلاث وخمسون سنة، وقيل تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم وهي بنت خمس وثلاثين سنة وماتت سنة عشرين وهي بنت خمسين وبعث إليها عمر بخمسة أثواب فكفنت فيها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذى كانت هي أعدته. فقالت فيها عائشة لقد ذهبت حميدة سعيدة مفزع اليتامي والأرامل.

(... وكانت أطولا نســائه يدا كــمـــا قـــد نقـــلا)

اسم كان ضمير يعود على زينب بنت جحش، وأطول خبرها ويدا تمييز وطول اليد كناية عن كثرة الصدقة ومراده الإخبار عنها بأنها كانت أكثر زوجاته صلي الله تعالى عليه وسلم صدقة.

وأشار بقوله كما قد نقلا إلى ما فى الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلي الله تعالى عليه وسلم قال: أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا، فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا، قالت وكانت زينب أطول يدا لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق، وفى رواية قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاته صلي الله تعالى عليه وسلم نمد أيدينا فى الجدار ونتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أنه صلي الله تعالى عليه وسلم انما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرج وتتصدق به فى سبيل الله. وصناع اليدين بفتح الصاد المهملة أي لها صنعة تعملها بيديها. وقالت عائشة أيضا كانت زينب هي التى تساميني من أزواج النبي صلي الله تعالى عليه

وسلم في المنزلة عنده، وما رأيت امرأة قط خيرا منها في الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل، الذي تتصدق به، ويقرب إلى الله تعالى؛ رواه مسلم.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب: كان عطاء زينب إثني عشر ألفا لم تأخذه إلا عاما واحدا فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال قابل فإنه فتنة. ثم قسمته في أهل رحمها من أهل الحاجة فبلغ عمر فقال هذه امرأة يراد بها خير، فوقف عليها وأرسل بالسلام. وقال بلغني ما فرقت فأرسل بألف درهم تستبقيها فسلكت بها ذلك المسلك.

وفي رواية أنها رفعت يديها إلى السماء فقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فماتت. انظر المواهب وشرحها. وهي أول من غطى نعشها أي من الأزواج، فإن فاطمة أول من غطى نعشها، كما نص عليه ابن عبد البر. وقد ماتت قبل زينب رضي الله تعالى عنهما.

(وهند هي كم لها من فضل تزوجت من بعد موت البعل خير الورى...)

الظاهر أن قوله هند مبتدأ وهي توكيد له بمراده وكم تكثيرية وهي مبتدأ وخبرها قوله لها: ومن فضل مميزكم ودخول من على مميزها كثير نحو: وكم من قرية، والجملة من كم وخبرها معترضة بين المبتدأ وهو هند وخبره وهو تزوجت، وفيها تقوية لما تضمنته الجملة من الاسناد لأن تزوجها للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لا فضل مثله ومعنى كلامه أن أم المؤمنين أم سلمة واسمها هند على الأصح وقيل رملة، تزوجت خير الورى أي العباد بعد موت زوجها وهو ابن عمها أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد فولدت له زينب وولدت له بعدها سلمة وعمر بضم العين الصحابيين ودرة. وهذا الترتيب في المواهب وضعفه الزرقاني وقال ان الحافظ جزم في الاصابة بأنها ولدت سلمة بالحبشة ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر وزينب ودرة وهي هند بنت أبي أمية واسمه سهيل وقيل هشام وقيل حذافة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بالتحريك بن مرة بن كعب وكان

أبو أمية من أجواد العرب ويعرف بزاد الركب لأنه كان إذا سافر لم يحمل أحد من رفقته زادا بل يكفيهم هو. وأمها كما فى أس الإسلام عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك وزوجها أبو سلمة هو ابن عبد الأسد كما مر ابن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب ويكفي في وفور عقلها إشارتها له عليه السلام يوم الحديبية حتى قال إمام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة. وقالت عائشة لما تزوجها تعنى أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكر النساء من جمالها فذكرت ذلك لحفصة فقالت ما هي كما يقال فتلطفت حتى أن رأيتها فرأيت والله أضعاف ما وصفت فذكرت لحفصة فقالت نعم ولكنى كنت غيرا وكان تزوجه عليه الصلاة والسلام بها فى ليال بقين من شوال من السنة التى مات فيها أبو سلمة وهي السنة الرابعة على الصحيح وقيل الثالثة وكانت أم سلمة قد سمعته عليه السلام يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها. وفى رواية لا تصيب أحدا مصيبة فيسترجع عند ذلك ثم يقول: اللهم عندك احتسبت مصيبتى هذه، اللهم أخلفنى بخير منها إلخ.

قالت فلما مات أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم عندك احتسبت مصيبتى هذه ولم تطب نفسى ان أقول اللهم أخلفني خيرا منها، فقلت أي المسلمين خير من أبى سلمة. ثم إني قلتها، فأخلف الله لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فأرسل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة يخطبنى له بضم الطاء، وفى رواية فخطبها أبو بكر فأبت وخطبها عمر فأبت ثم أرسل إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالت مرحبا برسول الله إن فى خلالا ثلاثا: أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مصبية بضم الميم وسكون المهملة وخفة التحتية أي ذات صبية، وأنا امرأة ليس لى هنا أحد من أوليائى فيزوجنى.

فقال أما ما ذكرت من غيرتك فإني أرجو الله أن يذهبها عنك. فكانت لا تجد من الغيرة شيئا. وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم، وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني.

فقالت لابنها عمر كما في رواية أحمد والنسائي ولابن اسحاق أنه سلمة أخوه وعليه الأكثر زوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمك، فزوجه إياها.

واستشكل كل من الروايتين بصغر سن ابنيها إذ لم يبلغ واحد منهما والحق انه عليه السلام زوجها من نفسه بلا ولى كما هو من خصوصياته. وقبله من ابنها صورة تطييبا لخاطرها وبذلك جزم السيوطي.

وقوله فى الحديث المار: اللهم أجرني. قال السيوطي بهمزة قطع ممدودة وكسر الجيم بوزن أكرمني، وبضم الجيم بهمزة وصل بوزن أنصرني أي أثبتني، وقوله أخلفني بضم اللام، وروى ابن سعد عنها قالت: قلت لابي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهما من أهل الجنة، ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله له بينهما فى الجنة . وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل فتعال أعاهدك أن لا تتزوج بعدى وأن لا أتزوج بعدك. قال فإذا أنا مت فتزوجي ثم قال اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا خيرا مني لا يحزنها ولا يوذيها. فلما مات قلت: ما هذا الذى هو خير لى من أبي سلمة؟ فلبثت ما لبثت فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقف بالباب فذكر نحو ما سبق. انظر الزرقاني.

(... وفى خلافة يزيد في عام ستين قضت بلا مزيد)

المجرور الأول متعلق بقوله قضت يعني أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قد قضت أي ماتت عام ستين من الهجرة بلا زيد على الستين فى خلافة يزيد بن معاوية، وما ذكره الناظم هو الذى صححه اليعمري.

وقال البخاري فى التاريخ الكبير ماتت سنة ثمان وخمسين وصحح فى المواهب أنها ماتت سنة تسع وخمسين.

وقال فى الإصابة وهي آخر أمهات المؤمنين موتا، فقد ثبت فى مسلم أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عبد الله بن صفوان دخل على

أم سلمة فى خلافة يزيد بن معاوية فسألها عن الجيش وكان ذلك حين جهز يزيد مسلم بن عقبة بعسكر الشام إلى المدينة فكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين انتهى.

وصحح حرب أنها ماتت سنة اثنتين وستين وقيل ماتت سنة إحدى وستين وصلى عليها أبو هريرة.

أما ما حكاه ابن الأثير من أنها صلى عليها سعيد بن زيد فمدفوع لأنه مات قبلها، لأنه مات سنة خمس أو إحدى أو اثنتين وخمسين. وفى الزرقاني أنه مات قبلها باتفاق. قال فى المواهب وكان عمرها أربعا وثمانين سنة.

(وبالبقيع دفنت)

يعنى أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها دفنت بالبقيع وهو مدفن المدينة.

(.... وهاجرا ثنتين فى أول من قد هاجرا)

الألف فى هاجرا، الأول ضمير تثنية يعود على أم سلمة وزوجها أبى سلمة رضي الله عنهما والألف في هاجر الثاني ألف الإطلاق، يعنى أن أم سلمة وزوجها هاجرا هجرتين فى أول من هاجر من المسلمين ويعنى بالهجرتين الهجرة الأولى إلى الحبشة فقد تقدم عدها فى أهلها، والهجرة إلى المدينة المنورة.

وفي المواهب أن أبا سلمة هو أول من هاجر إلى المدينة. وكان أخاه عليه السلام من الرضاع وابن عمته برة، فقال فيه إنه أول من يعطى كتابه بيمنيه كما أن أول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد.

وفي النور حاصل الأحاديث فى أول من هاجر هل هو مصعب وبعده ابن أم مكتوم أو أبو سلمة أو عبد الله بن جحش، وحاصلها فى النسوة أم سلمة أو ليلى بنت أبي حثمة أو أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط والفارعة بنت أبي سفيان انظر الزرقاني.

وفي المواهب قيل ان أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل

غيرها وجمع بعضهم بين كون أولهن ليلى وبين كونها أم سلمة، لأن ليلى بنت أبى خثمة أول ظعينة مع زوجها، وأم سلمة وحدها. فقد حبسها بنو المغيرة عن زوجها ثم أذنوا لها فى اللحاق به فهاجرت وحدها حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة العبدري وكان يومئذ مشركا فشيعها حتى إذا أوفى على قباء قال لها زوجك فى هذه القرية، ثم رجع إلى مكة فكانت تقول ما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استاخر عني حتى إذا نزلت استاخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده ثم يضطجع تحت شجرة فإذا دنى الرواح قام إلى البعير فرحله ثم استاخر عني وقال اركبي فإذا استويت عليه أخذ بخطامه فقادني.

تنبيه:

قال ابن عبد البر انه عليه السلام تزوج أم سلمة بعد وقعة بدر سنة اثنتين. قال اليعمري وليس بشيء لأن أبا عمر قال فى وفاة أبى سلمة أنها فى جمادى الأخيرة سنة ثلاث وهو عليه السلام لم يتزوجها إلا بعد انقضاء عدتها من وفاته. انتهى. نقله الزرقاني.

(ومن نساء المصطفى جويريه)

جويرية بضم الجيم مصغر مبتدأ وخبره المجرور المتقدم يعنى أنه من أمهات المؤمنين جويرية رضي الله تعالى عنها، وقصد بهذا الرد على من قال كان يطؤها بملك اليمين.

وروى الطبراني برجال الصحيح عن مجاهد قال: قالت جويرية يا رسول الله إن أزواجك يفخرن علي ويقلن لم يتزوجك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. قال أو لم أعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين من قومك؟

وفي المواهب وكان اسمها برة، فحولها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسماها جويرية فقد تقدم مثل ذلك فى زينب بنت جحش انتهى. فعلم أنه غير اسمهما معا، انظر الزرقاني. وهي بنت الحارث بن أبى

ضرار بكسر المعجمة وتخفيف الراء ابن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة بجيم ومعجمة مصغر وهو المصطلق بطن من خزاعة، قاله الزرقاني.

وخزاعة اختلف في نسبهم مع الاتفاق على انهم من ولد عمرو بن لحي بضم اللام مصغر وهو ابن حارثة بن عمرو بن ماء السماء. وعمرو بن لحي هو ابن أخي أسلم وكنيته عمرو أبو ثمامة ويقال لخزاعة بنو كعب، نسبة إلى جدهم كعب بن عمرو بن لحي.

قال ابن الكلبي لما تفرق سبأ بسبب سيل العرم نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان فمن أقام به منهم فهو غساني وانخزعت منهم بنو عمرو بن لحي عن قومهم إلى مكة وتفرق سائر الأزد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

ولما نزلنا بطن مرا تخزعت   خزاعة منا في جموع كراكر

وفي حديث الباب أنه عمرو بن لحي بن قمعة، ابن خندف وهذا يؤيد قول من يقول أن خزاعة من مضر وذلك أن خندف بكسر المعجمة وسكون النون وفتح الدال بعدها فاء اسم امرأة إلياس بن مضر واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة لقبت خندف لمشيتها والخندفة الهرولة واشتهر بنوها بالنسبة إليها دون أبيهم لأن إلياس لما مات حزنت عليه حزنا شديدا بحيث هجرت أهلها ودارها وساحت في الأرض حتى ماتت فكان من رأى أولادها الصغار، يقول من هؤلاء؟ فيقال بنو خندف، وقمعة بفتح أوله وثانيه ويقال بكسر القاف وشد الميم وجمع بين القولين أعني نسبة خزاعة إلى اليمن وإلى مضر بأن حارثة بن عمرو لما مات قمعة بن خندف كانت امرأته حاملا بلحي فولدته وهي عند حارثة فتبناه فنسب إليه فعلى هذا فهو من مضر بالولادة ومن اليمن بالتبني. وكان سبب قيام عمرو بن لحي بأمر الكعبة ومكة ان أمه فهيرة بنت عمرو بن الحارث بن مضاد الجرهمي وكان أبوها أحد من ولي أمر مكة من جرهم فقام بأمر البيت سبطه عمرو بن لحي فصار ذلك في خزاعة بعد جرهم ووقعت بينهم حروب في

ذلك إلى أن انجلت جرهم ثم تولت خزاعة أمر البيت ثلاث مائة سنة إلى أن كان آخرهم ويدعى أبا غبشان بضم المعجمة وسكون الموحدة بعدها معجمة أيضا واسمه المحيرش بمهملة ثم معجمة ابن حليل بمهملة ولامين مصغرا ابن حبشية بفتح المهملة وسكون الموحدة فمعجمة ثم ياء نسب ابن سلول بفتح المهملة ولامين الأولى مضمومة ابن عمرو بن لحي وأبو غبشان خال قصي بن كلاب وكان فى عقله شيء فخدعه قصي فاشترى منه أمر البيت بأذواد من الإبل ويقال بزق خمر فغلب قصي حينئذ على أمر البيت وجمع بطون فهر وحارب خزاعة حتى أخرجهم من مكة.

وروي أنه عليه السلام قال رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه فى النار لأنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي انتهى من فتح الباري. وفى القاموس وأبو غبشان ويضم انتهى.

وقوله خندف بفتح الدال وفى القاموس انها كزبرج وان إلياس ولد عمرو أو هو مدركة وعامر أو هو طابخة وعمير أو هو قمعة وأمهم خندف، قال وكان إلياس خرج فى نجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير بالخباء فخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس أين تخندفين؟ فقالت ما زلت أخندف فى أثركم. فلقبوا مدركة وقمعة وطابخة وخندف انتهى كلامه، وفيه ان قمعة بالتحريك والوصيلة الناقة التى وصلت بين عشرة أبطن وهي من الشاء التى وصلت سبعة أبطن عناقين عناقين، فإن ولدت فى السابعة عناقا وجديا قيل وصلت أخاها، فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال وتجرى مجرى السائبة وقيل غير ذلك.

والحامي الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود أو عشرة ابطن ثم حام حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى والسائبة النائبة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت، وقيل غير ذلك.

(توفــيت فى عـــام تــو لتـــدريه)

قوله توفيت نائبه ضمير جويريه، يعنى أنها توفيت عام ست وخمسين من الهجرة وقد بلغت سبعين سنة ووفاتها في ربيع وهذا القول حكاه في المواهب بصيغة التمريض. والذى اقتصر عليه المناوي وصدر به أنها توفيت في ربيع الأول سنة خمسين من الهجرة وعمرها خمس وستون. وقال الزرقاني أنه الصحيح كما في التقريب، وتبعه في السبل انتهى.

وقوله لتدريه أي لتعرف هذا فهو تتميم وكلام المواهب وشرحها والمناوي يفيدان ما مشى عليه الناظم خلاف المعتمد والله تعالى أعلم.

(وقد سباها في غزاة المصطلق   من بعلها مسافع بالمندلق)

فاعل سبى ضمير المصطفى عليه السلام والبعل الزوج والمندلق بالدال المهملة السيف والمجرورات الثلاث متعلقة بسبا ومراده انه صلى الله تعالى عليه وسلم سبا جويرية بالسيف أي سباها سبيا ناشئا عن القتال به في غزوة بنى المصطلق وهي غزوة المريسيع بضم الميم وفتح المهملة وكانت تحت ابن عمها مسافع بضم الميم وبالسين المهملة والفاء المكسور بن صفوان المصطلقي المقتول كافرا يوم المريسيع كما جزم به ابن أبي خيثمة والواقدي فقصر البرهان في قوله: الظاهر هلاكه على كفره. قاله الزرقاني.

(ودفع النجوم لابن قيس   عنها....)

ضمير دفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والمجرور بعن لأ منا جويرة رضي الله تعالى عنها. يعنى أنها لما سبيت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس بفتح المعجمة وشد الميم الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار بشره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة واستشهد باليمامة ولما وقعت في سهمه كاتبها بتسع أواق ذهبا فدفع عليه السلام عنها نجوم الكتابة فاعتقها وتزوجها وسميت الكتابة نجوما لأنها تنجم أي تؤجل شيئا فشيئا وذلك أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تستعينه في كتابتها قالت عائشة فوالله ما هو إلا رأيتها واقفة على باب حجرتي وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، قالت عائشة

وكانت حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فدخلت عليه، عليه السلام، فقالت يا رسول الله إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك ووقعت في سهم ثابت بن قيس وإني كاتبت نفسي وجئتك أسألك في كتابتي. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، فهل لك إلى ما هو خير؟ فقالت وما هو يا رسول الله؟ قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت قد فعلت. فأرسل إلى ثابت فطلبها منه. فقال ثابت هي لك يا رسول الله بأبي وأمي فأدى عليه السلام ما كان من كتابتها واعتقها وتزوجها.

فتسامع الناس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي وقالوا أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وروي أنها طلبتهم منه ليلة دخوله بها فوهبهم لها.

قال ابن شهاب سبى صلى الله تعالى عليه وسلم جويرية يوم المريسع وهو ماء لبني خزاعة فحجبها وقسم لها. قال الزرقاني مراد ابن شهاب رد القول بأنه كان يطؤها بملك اليمين وكانت حين تزوجها بنت عشرين سنة.

قوله وكانت حلوة ملاحة، قال في القاموس الملاحة الحسن، ملح ككرم فهو مليح وملاح وملاّح.

تنبيه:

قال الشامي نظره عليه السلام إليها حتى عرف حسنها لأنها كانت أمة، ولو كانت حرة ما ملأ عينيه منها أو لأن مراده نكاحها. نقله الزرقاني.

(فما أبركها من عرس)

ما تعجبية والبركة الخير الكثير والعرس بالكسر امرأة الرجل والمجرور تمييز ومعنى كلامه أن هذه المرأة التي هي أمنا جويرية رضي

الله تعالى عنها ذات خير كثير على أهلها فتعجب الناظم من عظم بركتها على أهلها حين أعتقوا بسبب تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بها، فكان كل بني المصطلق صهرا له عليه السلام كما أشار له بقوله:

(إذ) تعليلية أي حين **(أرسل الناس)** أي الصحابة رضوان الله عليهم **(السبايا)** أي ما بأيديهم من بني المصطلق ببركة جويرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. **(طرا)** أي جميعا، حال من قوله السبايا **(لما)** هي هنا بمعنى حين والعامل فيها قوله أرسل فهو كقوله:

فجلتـهـا لنا لبابة لما أوقذ النوم سائر الحراس

وهو مضاف لقوله **(غدى)** أي صار واسمه قوله **(المصطلقي)** أي الفريق المصطلقي وخبره قوله **(صهرا)** أي أصهارا للمصطفى متعلق بما قبله أو يتنازع فيه معه أرسل.

وقد مرّ ان الصحابة قالوا: أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(عليه من رب الأنام)**، الأنام كصحاب وساباط وأمير: الخلق **(وآله)** أقاربه وأتباعه كلهم، **(أزكى)** أي أكثر وأبرك **(الصلاة)** هي الرحمة المقرونة بالتعظيم كما في الخطاب **(والسلام)** أي الأمان. وقوله فما أبركها إلخ.. مقتبس من قول عائشة رضي الله عنها فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها. اعتق بسببها مائة أهل بيت أي مائة طائفة كل واحدة منهن أهل بيت من بني المصطلق وقد روي أنهم كانوا أكثر من سبعمائة خرجه أبو داوود وأحمد ويقال أنه عليه السلام اشتراها من ثابت بن قيس وأعتقها وأصدقها أربعمائة درهم وجزم الشعبي بأنه عليه السلام جعل عتقها صداقها.

وروى ابن سعد بأن أباها جاءه عليه السلام فقال ان ابنتي لا يسبى مثلها، فخل سبيلها، فقال أرأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت؟ قال بلى فأتاها أبوها فقال ان هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا، فقالت فإني أختار الله ورسوله انتهى من المواهب وشرحها.

(ورملة) بفتح الراء مبتدأ ونعته بقوله **(بنت أبي سفيانا)** بتثليث السين بن حرب بن أمية وأمها صفية بنت أبي العاصي بن أمية عمة

عثمان بن عفان وخبر المبتدأ قوله **(تزوجت خير الورى)** أي العباد وكنيتها أم حبيبة كنيت ببنتها حبيبة بفتح الحاء المهملة بنت عبيد الله بالتصغير بن جحش ولدت بمكة وهاجرت إلى الحبشة الهجرة الثانية مع أبويها فتنصر عبيد الله ومات بالحبشة نصرانيا، وثبتت أم حبيبة وبنتها على الاسلام ورجعت معها الي المدينة واسم أم حبيبة على الأصح رملة كما قال الناظم وبه جزم ابن اسحاق وخلف وقيل اسمها هند وقيل ان حبيبة ولدت فى الحبشة، وروي أن أم حبيبة قالت رأيت فى المنام كان زوجي عبيد الله بأسوء صورة ففزعت فأصبحت فإذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام، فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات فأتاني آت فى نومى فقال يا أم المؤمنين ففزعت، فما هو إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشي يستاذن فإذا هي جارية يقال لها ابرهة، فقالت إن الملك يقول لك وكلى من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية من السابقين كان رابعا أو خامسا فوكلته وأعطت لإبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به انظر الزرقاني.

(وكانا وليها) بالرفع اسم كان وخبرها قوله **(خالدا)** بن سعيد كما مر قريبا. **(أو عثمانا)** أو لتنويع الخلاف أي وقيل ان الذى ولى عقد نكاحها عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية وكلاهما يجتمع معها فى أمية، بن عبد شمس بن عبد مناف، **(عند النجاشي كما أتانا)**، الظرف متعلق بتزوجت، وعند تثلث عينها، والنجاشي بفتح النون وتكسر وهو أفصح، بتشديد الياء وبتخفيفها أفصح، أصحمة ملك الحبشة، انظر القاموس.

يعني أن أمنا رملة بنت أبى سفيان رضي الله تعالى عنها كان تزويجها للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بالحبشة عند النجاشي سنة سبع وقيل سنة ست، والأول أشهر، كما فى الإصابة بل فى العيون ان الثاني ليس بشيء وكونه تزوجها عند النجاشي هو المشهور ولشهرته حكى غير واحد عليه الإجماع، وقضوا بالوهم على ما فى صحيح مسلم من طريق عكرمة أن أبا سفيان قال له عليه السلام: أسألك ثلاثا فأعطاه إياهن -الحديث-. وفيه عندي أجمل العرب أم حبيبة،

أزوجك إياها فيكون تزوجها بعد الفتح وهذه طريقة باطلة عند من له أدنى علم بالسير والتواريخ.

وقال ابن الجوزي فيه وهم من بعض الرواة بلا شك، للاجماع على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجها وهي بالحبشة، وأن أباها جاء زمن الهدنة فدخل عليها فثنت عنه فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يجلس عليه. وتبعه على ذلك جماعة آخرهم أبو الحسن بن الأثير فى أسد الغابة انظر الزرقاني.

وقيل انه تزوجها بالمدينة بعد رجوعها من الحبشة، وقصد الناظم الرد على هذا بقوله عند النجاشي كما أتانا، أي جاءنا عن أهل السير.

وقوله وكانا وليها إلخ.. روى الطبراني عن الزهري أن الذى زوجها عثمان بن عفان، والذى رواه ابن سعد عنها وذكره البيهقي وبه جزم ابن القيم أن الذى زوجها خالد بن سعيد. قال اليعمري وهو أثبت قال فى المواهب لكن إن صح التاريخ المذكور فلا يصح أن يكون عثمان هو الذى زوجها لأن مقدمه من الحبشة كان فى السنة الثانية من الهجرة قبل وقعة بدر انتهى.

وقيل ان الذى تولى عقدها هو النجاشي. وكان قد أسلم. حكاه اليعمري وغيره. وفيه نظر لأنه وكيل عنه صلى الله عليه وسلم، فهو الذى قبل له انظر الزرقاني. وروي أنها لما وكلت خالد بن سعيد أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد فإنى أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وفى رواية فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة فأجبت وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار ذهب، ثم سكب الدنانير بين يد القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله أحمده واستعينه واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد

أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها.

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال أجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا.

قالت أم حبيبة فلما وصل إلى المال أعطيت ابرهة منه خمسين دينارا فردتها علي وردت علي ما كنت أعطيتها أولا. وقالت ان الملك عزم علي بذلك.

ثم جاءتني من الغد بعود وورس وعنبر وزباد كثير فقدمت به معى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ذلك فى سنة سبع من الهجرة وكان أبوها أبو سفيان حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقيل له إن محمدا قد نكح ابنتك، فقال هو الفحل لا يقدح أنفه. وهو بضم التحتية وسكون القاف وفتح الدال وبالعين المهملتين، قال الجوهري أي لا يضرب أنفه وذلك إذا كان كريما.

وقول المواهب وكان أبو سفيان الذى هو أبوها الخ.. ليس ذكره مجرد فائدة لا تعلق لها بالتزويج بل لرد القول بأن أبا سفيان هو الذى زوجها عملا بما فى مسلم من طريق عكرمة، قال الزرقاني ويعنى بهذا ما قد مر عن مسلم.

فائدة:

كان الذى بعثه عليه السلام إلى النجاشي ليخطبها له عمرو بن أمية الضمري بفتح فسكون نسبة إلى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكان الذى بعثه النجاشي معها إليه شرحبيل بضم المعجمة وفتح الراء وسكون المهملة ابن حسنة الكندي، قدمت معها ابرهة جارية النجاشي وصحبت، وحسنة اسم امه، وأبوه عبد الله بن المطاع.

وقوله فى الخطبة القدوس الطاهر عما لا يليق به، والسلام ذو السلامة من النقائص، والمؤمن المصدق رسله بخلق المعجزة لهم، والمهيمن الشهيد على عباده بأعمالهم، والجبار الذى جبر خلقه على ما أراد، قاله العلامة محمد بن عبد الباقي.

(فسلم المهر إليها إجمعا من الدنانير مئات أربعا)

سلم أعطى ودفع وفاعله ضمير النجاشي والمهر الصداق وأجمع توكيده ومئات حال من المهر وأربعا نعت لمئات، يعنى أن النجاشي دفع الصداق كله إلى رملة رضي الله تعالى عنها حال كونه أربع مائة من الدنانير أي دفعه إلى وكيلها خالد بن سعيد فدفعه خالد إليها.

وفي المستدرك أنه أمهرها عنه أربعة آلاف دينار وسكت عليه الذهبي فى تلخيصه.

وفي أبي داوود أربعة آلاف درهم، وفى نسخة من العيون تسعمائة دينار، قال فى النور وهو غلط انتهى من الزرقاني.

(وعام سبع أهديت لأحمدا)

يقال أهدي العروس إلى زوجها وهداها ، واهتداها أي زفها إليه، والظرف متعلق بأهديت كالمجرور يعنى أن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها تزوجها المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم عام سبع من الهجرة وأهديت أي زفت إليه فى ذلك العام وهذا هو الذى صححه فى الإصابة واقتصر عليه المناوي في شرح السيرة العراقي وهو الذى رواه ابن سعد، وقال أبو عبيدة تزوجها سنة ست. قال اليعمري وليس بشيء، قال الزرقاني والأول أشهر.

(وموتها فى عام مد قد بدا)

موتها مبتدأ وخبره بدا أي ظهر. يعنى أن رملة رضي الله تعالى عنها ماتت عام مد وهو أربع وأربعون من الهجرة فالميم أربعون والدال أربعة وهذا هو الذى صدر به فى المواهب وجزم به ابن سعد وأبو عبيد ورجحه البلادري. وقال ابن حبان سنة اثنين وأربعين، وقاله ابن قانع وابن مندة. وقال ابن أبي خيثمة سنة تسع وخمسين، قال فى الإصابة

وهو بعيد. وقيل ماتت سنة خمسين وقيل سنة خمس وخمسين والصحيح أنها ماتت بالمدينة وقيل بدمشق نقله الزرقاني. واقتصر المناوي على أنها توفيت بالمدينة سنة أربع وأربعين.

(وكم حوت من شرف صفيه لما غدت لأكرم البريه زوجا....)

كم هنا تكثيرية مفعول حوت أي جمعت، ومن شرف مبين لكم، وصفية فاعل حوت، وغدت بمعنى صارت واسمها ضمير يعود على صفية وخبرها قوله زوجا، والبرية الخلق، وقوله لأكرم متعلق بالخبر. ومراده أن أمنا صفية رضي الله تعالى عنها جمعت كثيرا من الشرف أي العلو حين صارت من أزواج أكرم الخلق صلى الله تعالى عليه وسلم وهي بنت حيي بضم الحاء وتكسر وتحتيتين الأولى مخففة ابن أخطب بفتح الهمزة وسكون المعجمة وفتح الطاء المهملة ابن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين ومثناة تحتية بن ثعلبة بن عبيد، من سبط لوي بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام.

قال الحافظ ولد صفية مائة نبي ومائة ملك، ثم صيرها الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أبوها سيد بني النضير، قتل مع بني قريظة وأمها ضرة بفتح الضاد المعجمة وبتشديد الراء فتاء تأنيث، بنت سموال بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام. قال البرهان لا أعلم لها إسلاما والظاهر هلاكها على كفرها.

نعم أخوها رفاعة صحابي وكانت صفية تحت سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها فكانت تحت كنانة بكسر الكاف ونونين ابن أبي الحقيق بضم المهملة وفتح القاف مصغر فقتل عنها وهو عروس يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة.

(وكانت سبيت من خيبرا فاختارها لنفسه خير الورى)

الورى العباد وخير فاعل اختار والضمير المنصوب لصفية يعني أن صفية رضي الله تعالى عنها من سبي أهل خيبر واصطفاها صلى الله

تعالى عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها كما أشار له بقوله:

(وعتقها مهرا لها حقا جعل)

قوله جعل مبني للفاعل وفاعله ضمير يعود علي قوله خير الورى وعتقها بالنصب مفعول جعل وكذا قوله مهرا وحقا مصدر منصوب بعامل محذوف وجوبا لأنه مؤكد لمضمون الجملة ويمنع تقدمه على الجملة على الأصح كما في التسهيل.

قال الدماميني وعبارته في المتن توهم تجويز التوسط ولكن كلامه في الشرح يرفع هذا الإيهام، فيمنع التوسط انتهى، وبعضه بالمعنى. وللشيخ الجكني:

ما وكد النفس أو العين منع تقديمه وقيل أيضا متسع

وتقدير العامل المحذوف هنا حقا ذلك حق.

وأشار بذلك إلى ما روي من أنه عليه السلام لما جمع السبي يوم خيبر جاء دحية بكسر الدال وفتحها ومعناه بلغة اليمن الشريف ورئيس الجند وهو ابن خليفة الكلبي، فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية، فجاء رجل إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أعطيت دحية بنت حيي سيدة بني قريظة والنضير وذلك لأن أمها ضرة بنت السموأل سيدة بني قريظة وأبوها حيي وهو سيد بني النضير، لا تصلح إلا لك، قال ادعوه بها، فجاء بها فقال عليه السلام له خذ جارية من السبي غيرها. وروي انه أعطى دحية أخت كنانة بن الربيع زوج صفية، قال أنس واعتقها وتزوجها؛ فقال له ثابت البناني ما أصدقها يا أبا حمزة؟ قال نفسها اعتقها وتزوجها. وللطبراني عنها اعتقني صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا عند الأكثر من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم، وذهب أحمد والحسن وابن المسيب وغيرهم إلى جوازه لغيره، قاله الزرقاني. ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم سد الصهباء حلت له وجهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح عروسا وسد الصهباء

بفتح السين وضمها على بريد من خيبر وأهدتها بالهمز وفى رواية بإسقاطها وهو صواب وفى رواية فقال الناس لا ندري أتزوجها أم جعلها أم ولد. قالوا ان حجبها فهي امرأته فلما أراد أن يركب حجبها. وفى رواية عن انس فانطلقنا حتى رأينا جدار المدينة هششنا إليها فدفعنا مطايانا ودفع صلى الله عليه وسلم مطيته وصفية خلفه قد أردفها، فصرع وصرعت أي وقعت فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها، حتى قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسترها، قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بفتح الميم أي يفرحن بصرعها.

وروي أنه عليه السلام قبل أن يتزوجها قال لها هل لك في؟ قالت يا رسول الله كنت أتمنى ذلك فى الشرك فكيف إذا أمكنني الله منه فى الاسلام.

وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأي بعينها خضرة فقال ما هذه الخضرة؟ فقالت كان رأسي فى حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت قمرا وقع فى حجرى فأخبرته بذلك فلطمنى وقال تمنين ملك يثرب.

وفي رواية أنها ذكرت الرؤيا لأبيها فلطمها وأنه قال لها إنك لتمدين عنقك إلى أن تكونى عند ملك العرب. فلم يزل ذلك الأثر فى وجهها حتى سألها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته.

وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بنى بها أقام ثلاثا وأولم عليها بتمر وسمن وسويق. وعنها أنه عليه السلام لم ينم ليلة بنائه بها. ولم يزل يتحدث معها. وروى الترمذي أنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكى فقد بلغنى أن عائشة وحفصة قالتا نحن أكرم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها، نحن أزواجه وبنات عمه. فقال لها ما يبكيك؟ فذكرت له ذلك. فقال ألا قلت وكيف تكونان خيرا مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم؟

(وعام خمسين بها الموت نزل)

يعني أن أمنا صفية رضي الله تعالى عنها توفيت عام خمسين من الهجرة في رمضان في زمن معاوية ودفنت بالبقيع ولها نحو ستين سنة لأنها قالت ما بلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد، وقيل ماتت سنة اثنين وخمسين في زمن معاوية أيضا وقيل سنة ست وثلاثين. قال في الاصابة وهو غلط فإن علي بن الحسين لم يكن ولد وقد ثبت سماعه منها في الصحيحين انظر الزرقاني.

(وعام سبع بعد فتح خيبرا ميمونة نكحها معتمرا)

قوله عام منصوب على الظرفية متعلق بنكح، وكذا قوله بعد، وميمونة مبتدأ وخبره نكحها، ومعتمرا حال من فاعل نكح، يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج أمنا ميمونة رضي الله عنها بعد فتح خيبر وكان فتحها في صفر سنة سبع من الهجرة على الراجح، وكان تزوجه بها بمكة وهو محرم بعمرة القضية في ذي القعدة وعلى هذا فيكون تزوجها بعد صفر الذي فتحت فيه خيبر بثمانية أشهر والله تعالى أعلم.

فيقال أنه عليه السلام أرسل جعفر بن أبي طالب يخطبها له، وجعلت أمرها إلى العباس فأنكحها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محرم، بهذا جزم ابن عباس في هذه الرواية وقد رواه عنه مالك والأئمة الستة وزاد في رواية البخاري في عمرة القضاء وبه احتج الحنفية على جواز نكاح المحرم وإنكاحه غيره، وأجاب الجمهور بأن قول ابن عباس وهم وإن كانت خالته كما قاله ابن المسيب. قال ابن عبد البر الرواية أنه تزوجها وهو حلال، متواترة عن ميمونة نفسها، وعن أبي رافع وسليمان بن يسار مولاها ويزيد بن الأصم ابن أختها وهو قول جمهور علماء المدينة وما أعلم أحدا من الصحابة روى أنه تزوجها وهو محرم سوى ابن عباس والقلب إلى رواية الجماعة أميل لأن الواحد الى الغلط أقرب انتهى. وسبقه إلى نحوه الإمام الشافعي وعلى أنه ليس بوهم فهو من خصائصه عند الجمهور النكاح حال الاحرام فلا يعارض قوله صلى

الله تعالى عليه وسلم المحرم لا ينكح ولا ينكح رواه مسلم.
قال العلامة محمد بن عبد الباقي وفى الموطإ عن سليمان بن يسار أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث أبا رافع مولاه ورجلا من الأنصار فزوجاه ميمونة، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة قبل أن يخرج مرسل وصله الترمذي وحسنه والنسائي عن سليمان عن أبي رافع، وفى صحيح مسلم من طريق يزيد بن الأصم عن ميمونة: تزوجني صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن حلالان بسرف. قال يزيد وكانت خالتي وخالة ابن عباس.
زاد الحافظ البرقاني بفتح الموحدة بعد قوله تزوجها حلالا وبنى بها حلالا فسقط الجميع بأنها لا تنافى بين رواية ابن عباس بحملها على العقد وبين روايتها لحملها على البناء. وقد رجحت روايتها على رواية ابن عباس بأنها أعلم بنفسها وبأنها امرأة كاملة وهو ابن عشر سنين. وقد تواتر عن أبى رافع، وكان السفير بينهما أنه حلال فروى الترمذي وابن خزيمة وابن حبان عن أبي رافع قال تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت أنا الرسول بينهما وعلى هذا فيحمل قول ابن عباس وهو محرم على أنه داخل فى الحرم، أو فى الشهر الحرام لأنه عربي فصيح، والعرب تقول أحرم إذا دخل الحرم وأنجد إذا دخل نجدا كما قال الشاعر:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما فدعى فلم أر مثله مجدولا

ذكر هذا الباجي فى شرح الموطأ ونقله السهيلي عن بعض شيوخه وقال فالله تعالى أعلم أراد ذلك ابن عباس أم لا. وعلى هذا فيكون عقد عليها فى الحرم بعد انقضاء العمرة ثم خرج من الحرم الى سرف وبنى بها فيه وهي بنت الحارث بن حزن بفتح المهملة وسكون الزاي فنون ابن بجير بموحدة وجيم وراء مصغر ابن هزم بضم الهاء وفتح الزاي وميم ابن رؤبة بضم الراء وفتح الهمزة وتبدل واوا ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بفتح المعجمة وفتح الصاد المهملة ففاء بن قيس عيلان بن

مضر وأمها هند قال البرهان لا أعلم لها إسلاما. وفى الإصابة أمها خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة الحميري، وكانت قبله عليه السلام عند أبي رهم، بضم الراء وسكون الهاء بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود من بنى عامر بن لئي وأبو عامر، قال البرهان لا أعلم له إسلاما. فمات عنها وقيل بل كانت عند أخي أبي رهم حويطب بن عبد العزى وأسلم يوم الفتح وقيل عند فروة أخيهما وليس بصحابي، وقيل كانت عند عبد الله بن أبي رهم وأخوات ميمونة لأمها وأبيها، لبابة الكبرى بضم اللام وخفة الموحدتين من السابقين الأولين زوجة العباس ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد صحابية وتلقب عصماء وعزة صحابية أيضا وهزيلة بالزاء مصغرا أم حفيد بالفاء مصغر صحابية أيضا كما فى الإصابة وذكر اليعمري أن عصماء غير لبابة الصغرى وتبعه الشامي وزاد أنها كانت تحت أبي بن خلف وجرى عليه البرهان وقال لم يعرف لعصماء إسلام لكن الأول به جزم فى الإصابة وكونها زوجة أبي لا يمنع كونها أم خالد فيكون أبي نكحها بعد الوليد، وأختها لأمها أسماء بنت عميس الصحابية زوجة جعفر مات عنها وخلف عليها أبو بكر ثم مات عنها، فخلفه عليها علي وأختها سلمى بنت أبي عميس صحابية أيضا كانت تحت سيد الشهداء حمزة فخلفه عليها شداد بن الهادي الليثي ومن أخواتها لأمها أيضا سلامة بالتخفيف بنت عميس ولم يعرف لها إسلام وحكى الجرجاني أن زينب أم المساكين بنت خزيمة أختها لأمها أيضا وكان يقال أكرم عجوز في الأرض أصهارا بنت عوف انتهى من الزرقاني والمواهب.

(وبعد عوده بها كان البنا في سرف...)

يفتح السين وكسر الراء المهملتين فقباء موضع على عشرة أميال وقيل ستة من مكة والعود الرجوع وكان تامة وبها يتعلق بقوله البناء يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حصل بناؤه بأمنا ميمونة بعد رجوعه من عمرة القضية بموضع يقال له سَرِفٌ، وروي أنها لما انتهت إليها خطبته صلى الله تعالى عليه وسلم لها وكانت راكبة، رمت بنفسها

من فوق البعير وقالت البعير وما عليه لله ولرسوله.

وري أنه عليه السلام لما أقام بمكة، ثلاثا أتاه حويطب بن عبد العزى وسهيل بن عمرو وأسلما بعد في نفر من قريش في اليوم الثالث وقالوا له قد انقضى أجلك فاخرج عنا فقال وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعاما فحضرتموه، فقالوا لا حاجة لنا بك ولا بطعامك. فغضب سعد بن عبادة وقال لسهيل بن عمرو كذبت ليست بأرضك ولا أرض أبيك والله لا يبرح إلا طائعا راضيا. وفي رواية أنه قال له يا عاض بظر أمه فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا سعد لا توذي قوما زارونا في رحالنا، فخرج وخلف أبا رافع على ميمونة فأقام حتى أمسى فخرج بها فلقيت من سفهاء قريش عناء فأتاه بها بسرف.

(... وكان ذاك مدفنا لها...)

الإشارة للموضع الذي بنى فيه بها يعني أنها رضي الله تعالى عنها دفنت في موضع قبتها التي بنى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها باتفاق قاله الزرقاني وقبرها مشهور يزار ويتبرك به قاله المناوي. وقوله مدفنا بكسر الفاء لأنه من دفنه كضرب.

(وكانت آخر النساء تزوجا له بلا امتراء)

اسم كان ضمير ميمونة وآخر بالنصب خبرها وتزوجا تمييز والامتراء الشك يعني أنها هي آخر من تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بلا شك.

وللعراقي:

بنت أبي سفيان وهي رملة أم حبيبة تلي صفية
من بعدها فبعدها ميمونه حلا وكانت كاسمها ميمونه

وقوله صفية بالرفع فاعل ومفعوله محذوف أي تليها أي أم حبيبة قال المناوي وكانت ميمونة اسمها برة وسماها ميمونة، وقوله وكانت كاسمها ميمونة أي مباركة، وهي آخر من تزوج. ومن العجيب أنه تزوجها بسرف وماتت بسرف، انتهى كلامه.

(عليه أزكى) أي أكثر **(صلوات ربه)** أي رحماته المقرونة بالتعظيم **(والآل والأزواج)** آل فيهما خلف عن الضمير أي وعلى آله وأزواجه، **(ثم صحبه)**.

(وعام خمسين وواحد نزل بها الحمام عندما حان الأجل)

عام منصوب على الظرفية بنزل والحمام بكسر الحاء الموت والأجل. قال في القاموس الأجل محركة غاية الوقت في الموت وحان الشيء آن انتهى.

ومعنى كلامه أنها نزل بها الموت حين حضر أجلها وهو آخر مدة حياتها سنة إحدى وخمسين سنة من الهجرة النبوية وهذا هو الصحيح. وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها وقال ابن عباس لمن معه هذه زوجة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا.

وقيل ماتت سنة إحدى وستين وقيل ثلاث وستين، وقيل ست وستين. قال البرهان هو باطل.

(ومهر كل كان خمسمائة من الدراهم سوى صفية
ورملة فإنه تقدما بيان ما أصدق كلا منهما)

يعني أن مهر كل واحدة من أزواجه عليه السلام أي صداقها كان خمسمائة درهم، فضة إلا أمنا صفية فقد مر للناظم أن مهرها عتقها وإلا رملة بنت أبي سفيان فقد قدم الناظم أن النجاشي أصدقها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أربعمائة دينار.

وقد قدمنا عن المستدرك عن الحاكم أنه أصدقها أربعة آلاف دينار وقيل غير ذلك. وقد مر أن خديجة أصدقها عنه أبو طالب اثنتي عشرة أوقية ذهبا ونشا، والنّش بفتح النون وشد المعجمة نصف أوقية. قال الزرقاني: قالوا وكل أوقية أربعون درهما فجملة الصداق خمسمائة درهم شرعي والصداق ذهب ولا ينافيه التعبير بالدرهم لأنه بيان للوزن فلا يستلزم كون الصداق فضة.

وذكر الدولابي أنه اصدقها أربعين أوقية ذهبا ونشا. وعن المتنقى أنه

أصدقها أربعمائة دينار ومرّ عن المواهب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة من ماله أي زيادة على ما دفعه أبو طالب والله تعالى أعلم.

وفي المواهب بعد ذكر أزواجه هؤلاء رضي الله تعلى عنهن ما نصه: هؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف فى ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر انتهى.

قال الزرقاني عقب قوله لا خلاف فى ذلك أي دخوله بهن وإن اختلف فى أن جويرية سرية والراجح أنها زوجة، قال ولا شك أنهن زوجاته فى الآخرة بنصه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أحد التعاليل فى حرمتهن علي غيره وأما اللاتي فارقهن فى الحياة دخل بهن أم لا، ففي فتاوي النجم يحتمل أنه كذلك ويؤيده أن الراجح حرمتهن على غيره، المعلل بما ذكر ، ويحتمل خلافه خصوصا فى المستعيذة ومن لم يردها واختارت الحياة الدنيا ويؤيده ما روى ان المستعيذة تزوجت بعده لكنه ضعيف، انتهى.

وللعراقي بعد ذكره لزوجاته المذكورات:

وابن المثنى معمر قد أدخلا ... في جملة اللاتي بهن دخلا
بنت شريح واسمها فاطمة ... عرفها بأنها الواهبة
ولم أجد من جمع الصحابه ... ذكرها ولا بأسد الغابه
وعلها التى استعاذت منه ... وهي ابنت الضحاك بانت عنه
وغير من بنى بها أو وهبت ... إلى النبي نفسها أو خطبت
ولم يقع تزويجها فالعدة ... نحو الثلاثين فخلف اثبتوا

وقوله الواهبة أي المذكورة فى القرءان وأسد الغابة فى معرفة الصحابة ولابن الأثير ولم يذكرها مع إحاطته واستيعابه وقوله علها أي لعلها التى استعاذت منه حين دنا ليقبلها وهي فاطمة بنت الضحاك ابن سفيان الكلابي، وقيل ان الواهبة نفسها أم شريك العامرية وقيل غير ذلك وقوله وغير من بنى بها إلخ.. أي عقد عليها ولم يدخل بها أو وهبت نفسها له أو خطبها ولم يعقد عليها انتهى المراد من شرحه.

ولما انهى الكلام على أزواجه المطهرات أتبعه بذكر ابنائه الكرام وبناته المكرمات عليه وعلى الجميع أطيب الصلوات فقال:

(بيـــان أولاد النبي أحـــمـــدا صلى عليـــه ربنـــا ومــــجـــدا)

قوله بيان خبر مبتدإ محذوف والبيان الإظهار والأولاد جمع ولد يقع على الذكر والأنثى والنبي صلى الله عليه وسلم سبق تفسيره في صدر الكتاب والرب المالك والمبلغ للشيء إلى كماله شيئا فشيئا والمجد الرفعة والشرف ومجده رفع قدره وشرفه دعاء بلفظ الخبر.

(أبناؤه أربعـــة فـــيـــمـــا ورد على اختـــلاف جاء في هذا العـدد)

يعني أن ابناءه صلى الله تعالى عليه وسلم وأولاده الذكور أربعة، مع اختلاف، جاء عن أهل السير في هذا العدد وهو كونهم أربعة والأصح أنهم ثلاثة فقط كما في العراقي وهو قول الزبير بن بكار وهو قول أكثر أهل النسب كما قاله الحافظ أبو عمر بضم العين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الشهير بكنيته والنسبة إلى جد أبيه وقال الدارقطني هو الأثبت ولذا اقتصر عليه اليزيد بن عياض وكونهم أربعة هو قول ابن اسحاق، وقيل كانوا سبعة القاسم وابراهيم وعبد الله والطيب والمطيب بضم الميم وفتح المهملة والتحتية الثقيلة، ولدا توأمين والطاهر والمطهر اسم مفعول ولدا توأمين أيضا ذكره ابن الجوزي وابن البرقي والذى اتفق عليه من الذكور كما في المواهب اثنان وهما القاسم وابراهيم فقط وأما قول المواهب وقيل ولد له قبل المبعث أي من خديجة ولد يقال له عبد مناف انتهى، فقال عليه الزرقاني.

روى الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة وقال في الميزان هذا افتراء الهيثم على هشام والهيثم كذبه البخاري وأبو داوود وآخرون وقال القطب الحلبي لا يجوز لأحد أن يقول هذه التسمية وقعت بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الزرقاني وعلى المؤلف مؤاخذة فإن مثل هذا لا يذكر مع السكوت عليه انتهى.

(فـــالقـــاسم الذي بـه قـــد كنيـــا)

القاسم مبتدأ وخبره محذوف أي أكبرهم، أو خبر مبتدإ محذوف

يعني أن القاسم هو اكبر أولاده صلى الله عليه وسلم وهذا هو الأصح الذي جزم به الزبير بن بكار وجزم به في الإصابة ولد قبل البعثة وبه كان يكنى وعاش حتى مشي ولم يبلغ حولين وقيل عاش سنتين وقال ابن المفضل الغلابي بالمعجمة وتخفيف اللام وموحدة عاش سبعة عشر شهرا سبعة أشهر منها بعد البعثة وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث والله تعالى أعلم انظر الزرقاني.

وقوله كنيا تخفيفه أنسب بقوله دعيا الآتي، **(وبعد عبد الله)** بعد بالضم لقطعه عن الإضافة خبر المبتدإ بعده أي وعبد الله بعد قاسم ولد بعد النبوءة ومات بمكة صغيرا، **(أيضا دعيا بالطيب الطاهر)** قوله أيضا منصوب بدعا على المفعولية المطلقة ومعنى دعى سمي قل أدع الله (الآية)، ونائبه ضمير يعود على عبد الله أي أنه كما سمى بعبد الله يسمى أيضا بالطيب وبالطاهر، أسماؤه ثلاثة وهو واحد كما أشار له بقوله **(فاللفظان ترادفا)** أي اتفقا في المعنى لاتحاد مسماهما على هذا القول وهو عبد الله. قال الزبير بن بكار، بن عبد الله بن مصعب بن ثابت، بن عبد الله، بن الزبير، بن العوام، حدثني عمي عن مصعب قال ولدت خديجة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم القاسم والطاهر، وكان يقال له الطيب واسمه عبد الله.

(وقيل بل غيران) أي وقيل الطيب والطاهر متباينان لاختلاف مسماهما وكل منهما موضوع لذات غير الذات التي وضع لها الآخر فكان له عليه السلام على هذا القول أربع ذكور: القاسم والطاهر والطيب وابراهيم. قال في المواهب اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة: القاسم وابراهيم وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن واختلف فيما سوى هؤلاء فعند ابن اسحاق الطاهر والطيب أيضا فتكون على هذا ثمانية أربعة ذكور وأربعة إناث وقال الزبير بن بكار كان له عليه الصلاة والسلام سوى إبراهيم القاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة يقال له الطيب والطاهر، ثلاثة أسماء وهو قول أكثر أهل النسب، قاله أبو عمر وقال الدارقطني

وهو الأثبت ويسمى عبد الله بالطيب والطاهر لأنه ولد بعد النبوءة فعلى هذا فتكون جملتهم سبعة ثلاث ذكور وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر وإبراهيم فتكون جملتهم تسعة، خمسة ذكور انتهى المراد.

وفي الحلة السيرا وأما أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم فأربعة: القاسم وبه كان يكنى والطاهر والطيب، فهؤلاء ماتوا وهم يرضعون وإبراهيم وهو ابن مارية القبطية انتهى.

وقال الشيخ حسن العدوي بعد قول صاحب دلائل الخيرات أبو الطاهر أبو الطيب هما كنيتان له صلى الله تعالى عليه وسلم والطاهر والطيب لقبان لواحد على الصحيح اسمه عبد الله، قال في المواهب وهذا هو الصحيح وغيره تخليط انتهى.

وقال الشيخ محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي في مطالع المسرات بعد ذكر دلائل الخيرات لكُناه صلى الله تعالى عليه وسلم الأربعة ما نصه والكنى الأربع تكنية له بأولاده الثلاثة أو الأربعة، على الخلاف في الطاهر والطيب هل هما لواحد سمي عبد الله وبالطاهر والطيب لولادته في الإسلام وهو الصحيح، أو هما لولدين احدهما الطاهر والآخر الطيب وهو قول ابن اسحاق والله تعالى أعلم.

وقال العراقي:

كان له ثلاثة بنونا	القاسم الذى به يكنونا
بمكة قبل النبوءة ولد	والطيب الطاهر وهو واحد
وهو الصحيح واسمه عبد الله	وقيل بل هذان الابنان سواه
والثالث ابراهيم بالمدينة	عاش بها عاما ونصف سنة

انتهى المراد.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه قد مرّ عن القسطلاني أن عبد الله ممن اختلف فيه، وظاهر كلامهم ان أولاده عليه السلام على القول بأنهم أربعة ذكورٌ: القاسم والطاهر والطيب وابراهيم ويسقط عبد الله، وعلى أنهم ثلاثة فمنهم القاسم وابراهيم وعبد الله ويلقب بالطاهر وبالطيب،

لولادته فى الإسلام فصلح له اللقبان. وعلى أنهم خمسة فعبد الله غير الطاهر وغير الطيب أربعة من خديجة والخامس ابراهيم. وعلى هذا فقول الناظم: «وقيل بل غيران» أي مسماهما متباين ويسقط عبد الله والله تعالى أعلم. وعلم مما مرّ أن كون الذكور ثلاثة هو الراجح جدا.

(ورابع البنين ابراهيم عليهم الرضوان والتسليم)

الرضوان هنا صفة فعل ومعناه الإنعام والإحسان وعلى انه صفة ذات فهو إرادة إنعام خاص ومثله المحبة فى هذا الخلاف لكن ان دعي به تعين فيه المعنى الأول كما صرح به السنوسي يعنى إنا إذا فرعنا على قول ابن اسحاق الذى صدر به الناظم من أن ابناءه عليه السلام الذكور أربعة يكون الرابع إبراهيم والثلاثة غير القاسم والطاهر والطيب ويكون الناظم ذكر القول بأنهم ثلاثة بصيغة تفيد ترجيحه وهي قوله «فاللفظان ترادفا». وذكر فى آخر كلامه القول فى صيغة التمريض ففي كلامه شبه تدافع والرضوان انعام خاص والتسليم مصدر سلمه إذا أمنه.

(ميلاده) الضمير لابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام مبتدأ وخبره قوله **(بطيبة المرضية)** وطيبة من أسماء المدينة ويقال لها طابة والطيبة بشد التحتية واسماؤها كثيرة. وكفى فى كونها مرضية أن الله تعالى رضيها مسكنا لخيرته من جميع خلقه دنيا وبرزخا وهي أفضل عندنا من مكة المشرفة، وقيل مكة أفضل والخلاف إنما هو فى غير البقعة التى ضمته صلى الله تعالى عليه وسلم فهي أفضل بإجماع حتى من الكعبة كما أن الكعبة أفضل بلا خلاف من غير ما احتوى على الذات الشريفة من المدينة ولأبي عمران الفاسي:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها

(وأمه مارية القبطيه) يعنى أن ابراهيم بن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمه مارية بتخفيف التحتية وهي قبطية نسبة إلى القبط نصارى مصر، وهي من حفن انصنا وحفن بفتح المهملة وسكون الفاء ونون مدينة، قال فى الفتح وهي الآن كفر (القرية) وفى الحديث

«تخرجكم الروم منها كفرا كفرا» (أي قرية قرية) من عمل انصنا بالبر الشرقي من الصعيد في مقابلة الأشمونيين انتهى نقله الزرقاني. وفي القاموس القبط بالكسر أهل مصر وإليهم تنسب الثياب القبطية بالضم على غير قياس وقد تكسر ثم قال ومنهم مارية القبطية أم ابرهيم انتهى. وهي بنت شمعون بفتح المعجمة وسكون الميم وبالعين المهملة وقيل بإهمالهما وقيل بإعجامهما وأمها من الروم وأهداها له المقوقس صاحب مصر والأسكندرية واسمه جريج بن مينا مات على نصرانيته وأهدى له معها أختها سيرين بكسر السين والراء المهملتين بينهما تحتية ساكنة وخصيا يقال له مابور بميم فألف فموحدة فواو ساكنة فراء ويقال هابوا بهاء بدل الميم وبغير راء في آخره قيل انه أخو مارية وقيل ابن عمها وأسلم وحسن إسلامه وكانت مارية بيضاء جميلة. وروي أن المقوقس لم يجد في مصر أجمل ولا أحسن من مارية وأختها فأهداهما. وروى ابن سعد عن عائشة ما غرت على امرأة إلا دونما غرت على مارية أعجب بها صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أنزلها أولا بجوارنا فكان عامة الليل والنهار عندها ثم حولها إلى العارية وكان يختلف إليها هناك، وكان ذلك أشد علينا انتهى.

وأهدى معهم ألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا وبغلة شهباء وهي دلدل وحمار أشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من عسل بنهى بكسر الموحدة وفتحها وسكون النون وبالقصر قرية من قرى مصر ودعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة في عسل بنها ولم تزل كثيرة العسل حتى الآن ووهب عليه السلام سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن. ومن مناقب مارية تبرئة الله تعالى لها ولقريبها فروي انه عليه السلام دخل عليها وهي حامل بإبراهيم فوجد عندها نسيبا لها فوقع في نفسه شيء فخرج فلقيه عمر فعرف ذلك في وجهه، فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف فكشف عن نفسه فرءاه مجبوبا ليس بين رجليه شيء فرجع عمر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال

صلى الله تعالى عليه وسلم إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله تعالى قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي وأن في بطنها غلاما مني وأنه أشبه الناس بي وأمرني أن أسميه بإبراهيم وكناني أبا ابراهيم، انظر الزرقاني.

(كانت لخير مرسل سرية) قوله سريه بضم السين وكسر الراء المشدد مشتقة من التسرر وأصله من السر وهو من أسماء الجماع، سميت بذلك لأنها يكتم أمرها عن الزوجة غالبا، وضمت للفرق بينها وبين الحرة إذا نكحت سرا، فهي من تغيير النسب وقال الأصمعي من السرور لأن مالكها يسر بها والضم قياسي وروى أبو داوود مرفوعا عليكم بأمهات الأولاد وفي رواية بالسراري فإنهن مباركات الأرحام.

وأفاد الناظم بهذا انها كانت توطأ بملك اليمين ومع ذلك ضرب الحجاب وحملت بإبراهيم ووضعته سنة ثمان وماتت رضي الله تعالى عنها في خلافة عمر سنة ست عشرة وقيل خمس عشرة ودفنت بالبقيع، انظر الزرقاني.

(صلى عليه خالق البريه)، الضمير المجرور عائد على خير من قوله خير مرسل والبرية الخلق.

(وكلهم قبل البلوغ ماتوا حياته كما روى الثقاة)

كلهم مبتدأ وخبره ماتوا وحياته منصوب بنزع الخافض أي في حياته والثقاة الأثبات أخبر أن كل واحد من أولاده الذكور صلى الله تعالى عليه وسلم مات في حياته عليه السلام قبل البلوغ وراعى الناظم معنى كل، فجمع الضمير في قوله ماتوا وللشيخ الجكني:

وإن تضف كل إلى معرف فبينما الوجهين تخيير قفي

والوجهان هما اعتبار اللفظ واعتبار المعنى وفي التنبيه عن المرادي ان المسموع في المضاف لفظا إلى معرفة إنما هو اعتبار اللفظ نحو وكلهم ءاتيه يوم القيامة . قال ولا يكاد يوجد في لسان العرب كلهم يقومون انتهى.

وقد مر بأبسط من هذا عند قوله « وكلهن كن في ذي القعده ». أما

القاسم فقد مر أنه لم يبلغ حولين وقيل عاش سنتين وقيل عاش سبعة أيام وخطاه المفضل الغلابي وقال انه عاش سبعة عشر شهرا سبعة منها بعد البعثة وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة وأما عبد الله فمات صغيرا ولم تعلم مدة حياته وأما ابراهيم فتوفي وله سبعون يوما فيما ذكره أبو داوود فعليه يكون مات سنة تسع لأنه ولد باتفاق في ذي الحجة سنة ثمان ونقل صاحب النوادر أن رواية كونه عاش سبعين يوما وهم وجزم الواقدي بأنه مات سنة عشر، وفي البخاري عن عائشة عاش سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرا على الشك. وعند أحمد عنها بسند حسن ثمانية عشر شهرا بالجزم. وكذا عنده عن جابر فهو أرجح الأقوال وحمل على سرير صغير من بيت مرضعته إلى البقيع، وصلى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبقيع، وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون وروي ان الذى غسله أبو بردة هانئ الأنصاري وروي أنه الفضل بن عباس ولعلهما اجتمعا عليه ونزل في قبره الفضل وأسامة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على شفير القبر فرأى فرجة فناول الحفار مدرة فقال انها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحي، ورش قبره بماء بعد تمام دفنه وكانت أم رافع مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم قابلته وبشر أبو رافع زوجها به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعه بكبشين وسماه يومئذ وتصدق بزينة شعره ورقا ودفنوا شعره بالأرض ولما ولد تنافست الأنصار فيمن ترضع منهن إبراهيم فإنهم أحبوا ان يفرغوا مارية له عليه الصلاة والسلام مما يعلم من ميله لها، فأعطاه لأم بردة خولة بنت المنذر من بني النجار زوجة البراء ابن أوس فكانت ترضعه في بني مازن من النجار وترجع به إلى أمه وأعطى عليه السلام أم بردة قطعة نخل رواه ابن سعد والزبير بن بكار، وفي البخاري عن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولد لي الليلة غلام سميته باسم أبي إبراهيم ثم دفعته إلى أم سيف، امرأة قين بالمدينة يقال له أبو سيف. قال عياض هو البراء بن أوس وزوجته أم سيف هي أم بردة وتعقبه الحافظ بأنه لم

يصرح أحد من الأئمة بأن البراء يكنى أبا سيف ولا بأن أبا سيف يسمى البراء. انتهى.

قال الزرقاني وحاصل ما ذكره هنا يعنى القسطلاني تبعا للحافظ أنهما امرأتان على الصحيح، وجعلهما عياض امرأة واحدة، وفى البخاري عن أنس دخلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أبى سيف القين، وكان ظئرا لابراهيم فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله؟ فقال يابن عوف انها رحمة. ثم اتبعها بأخرى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون. والقين الحدّاد ويطلق على كل صانع من قان الشيء إذا أصلحه ويجود بنفسه أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله يجود به وانكسفت الشمس يوم موت إبراهيم فقال الناس إنما كسفت لموت إبراهيم فقال عليه السلام إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والغالب أن الكسوف يكون فى الثامن والعشرين والتاسع والعشرين فكسفت يوم موته فى العاشر من الشهر عند الأكثر. وقيل فى رابعه فلذلك قالوا كسفت لموته. وفى كونه فى ربيع أو رمضان أو ذي الحجة أقوال. ولما توفي قال عليه السلام كما فى مسلم ان له ظئرين يكملان رضاعه فى الجنة انتهى. أي يرضعهما بجسمه وروحه معا بخلاف سائر أطفال المؤمنين فيرضعون من شجرة طوبا وحاضنهم ابراهيم كما أخرجه ابن أبى الدنيا وابن أبى حاتم. وعن أنس موقوفا عليه أنه قال لو بقي -يعنى ابراهيم- لكان نبيا ولكن لم يبق. لأن نبيكم آخر الأنبياء. قال الطبري وهذا إنما يقوله أنس عن توقيف يخص إبراهيم لأنه لا يلزم أن يكون ابن النبي نبيا.

وقال النووي ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل؛ وجسارة على الكلام عن المغيبات انتهى.

قال الحافظ فى الإصابة عقب كلام النووي انه عجيب مع وروده على ثلاثة من الصحابة: ابن عباس مرفوعا وأنس ابن أبي أوفى موقوفا لفظا، وحكمه الرفع، لأنه لا يقال رأيا وكأنه لم يظهر له وجه تاويله فقال ما قال وجوابه أن قضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ففى التنزيل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولا يظن بالصحابي المهجوع على مثل هذا بالظن لأنه إساءة ظن بمن عدله الله تعالى فى كتابه ورسوله فى حديثه انتهى.

والطرق الثلاثة أحدها ما أخرجه ابن ماجة والبيهقي عن ابن عباس لما مات ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى عليه وقال ان له مرضعا فى الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا، ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط. وفى سنده ابراهيم بن عثمان العبسي وهو ضعيف، لكن له شواهد منها ما عند ابن عساكر عن جابر يرفعه لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيئا. ومنها ما رواه اسماعيل بن السدي عن أنس لو عاش يعنى ابراهيم لكان نبيا، لكن لم يكن ليبقى فإن نبيكم آخر الأنبياء ومنها ما عند البخاري عن اسماعيل بن أبي خالد قال قلت يا عبد الله بن أبي أوفى رأيت ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال مات صغيرا، ولو قضي أن يكون بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكنه لا نبي بعده.

وأخرجه أحمد عن ابن أبي أوفى بلفظ لو كان بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبي ما مات ابنه ابراهيم انتهى. قال الزرقاني بعد هذه الأحاديث فهذا حديث صحيح تعددت طرقه، فكيف ينكر مع أن وجهه ظاهر والله تعالى أعلم.

وللعراقي بعد ما قدمته:

وقيل مع نقصان شهر وقضى ... سنة عشر فرطا له مضى
ومات قاسم له عامان ... وعدة الأولاد من نسوان
أربعة إلخ.

(أما بناته فأربع بلا خلف)، الخلف بالضم الإختلاف يعنى أن بناته

صلى الله تعالى عليه وسلم لم يختلف فى عددهن، بل هن أربع بالإجماع، **(و)** لكن، **(فى الكبرى)** منهن، **(خلاف نقلا)** عن أهل السير، وبين الراجح من الخلاف فقال **(أصحه زينب)** يعنى أن الأصح من الخلاف هو كون زينب أكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم. وعلى الناظم درك فى حكايته للخلاف لكون زينب هي أكبر البنات لأنه على تقدير وجوده بمكان من الشذوذ وكلامه يؤذن بأنه صحيح لما تقتضيه صيغة التفضيل من المشاركة. قال المناوي فى شرح العراقي ما نصه وهي أكبر بناته اتفاقا ولا عبرة بمن شذ، وفى المواهب أما زنيب فهي أكبر بناته بلا خلاف إلا ما لا يصح وإنما الخلاف فيها وفى القاسم أيهما ولد أولا انتهى بحروفه.

وقال الزرقاني أن أبا عمر بن عبد البر قال ولا أعلم فيه خلافا.

(... ثم اختلفوا فيها وفى القاسم فيما وصفوا)

يعني أن أهل السير اختلفوا فى القاسم وزينب أيهما ولد أولا **(فقال قوم هي)** أي زنيب **(منه)** أي من القاسم **(أكبر)** وصححه ابن الكلبي، وقدم الناظم المجرور على أفعل، وهي نزر مع الإخبار كقول الشاعر:

فقالت لنا أهلا وسهلا وزودت جنى النحل بل ما زودت منه أطيب

(وقال قوم آخرون) من أهل السير منهم الزبير بن بكار فى طائفة زينب **(أصغر)** من القاسم وفى المواهب أما القاسم فهو أول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام. وفى الزرقاني عقبه ما نصه على الأصح الذى جزم به الزبير بن بكار، وصاحب الإصابة، فقال هو بكره انتهى بحروفه. وعلى هذا فاللائق بالناظم تقديمه والله أعلم.

وحذف الناظم المفضول للعلم به وهو كثير فى القرآن نحو ذلكم أقسط عند الله. **(ورتب الثلاث فى الميلاد... رأف...)** قوله رتب مبتدأ وخبره قوله رأف والرتب بضم الراء جمع رتبة بضمها وهي المنزلة يعنى أن منازل البنات الثلاث البواقي بعد زينب فى الولادة رمز إليها الناظم براء ثم ألف ثم فاء فكل حرف سابق لآخر فهو إشارة على أن البنت التى تقدم حرف من اسمها مولدها متقدم على مولد ما ذكر بعدها:

فالراء إشارة لرقية بضم الراء فهي أكبر من بعد زنيب ثم أم كلثوم من بعد رقية وإليها أشار بالألف وبعد ذلك فاطمة الزهراء فهي أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وإليها أشار بالفاء، وقيل أن رقية أكبر من زينب وقيل أن رقية أصغرهن والأصح ما ذكره الناظم.
(وأسلمن بلا عناد) أي بلا خلاف، يعنى أن بناته صلى الله تعالى عليه وسلم أسلمن وهاجرن كلهن ولا خلاف في ذلك.

(وفي ثلاثين لعام الفيل قد ولدت زينب للرسول)

زنيب نائب فاعل ولدت والمجرور الأول متعلق بولدت وكذا الأخير وأما المتوسط فالظاهر أنه موضع النعت لثلاثين، واللام بمعنى من أي ثلاثين كائنة من عام الفيل أي مبتدأة منه والله تعالى أعلم. ومراده أن زينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولدت سنة ثلاثين عاما من ولادته صلي الله تعالي عليه وسلم وقد مر أنه ولد عام الفيل، وعن ابن اسحاق أنها ولدت في سنة ثلاثين من مولده عليه الصلاة والسلام وأدركت الإسلام وهاجرت أي بعد بدر انتهى.

(وابن الربيع أنكحت) ابن بالنصب مفعول أنكحت ونائبه ضمير زنيب يعنى ان زينب أنكحت لأبي العاصي أي زوجها له المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابن خالة زينب وأمه هالة بنت خويلد صحابية استأذنت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعرف استيذان خديجة فارتاع وقال اللهم هالة كما في البخاري.
واسم أبي العاصي لقيط بفتح اللام وكسر القاف وسكون التحتية فطاء قاله جماعة ورجحه البلادري وقيل مقسم بكسر الميم وسكون القاف وفتح المهملة حكاه ابن الأثير والسهيلي وجماعة وقيل مهشم بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الشين المعجمة حكاه في الإصابة وقيل بضم أوله وفتح الهاء وكسر الشين الثقيلة، حكاه البغوي والزبير بن بكار وقيل اسمه الزبير وقيل قاسم حكاه السهيلي والحافظ وقيل ياسر بتحتية وسين مهملة حكاه ابن مندة وأبو نعيم وكونه ابن الربيع هو الصواب،

ورواه ابن بكر ومعن وأبو مصعب وغيرهم عن مالك وروى عنه الجمهور انه ابن ربيعة وادعى الأصيلي انه ابن ربيعة فنسبه مالك مرة إلى جده ورده عياض والقرطبي وغيرهما انتهى من الزرقاني. وقال المناوي والأصح أن اسمه لقيط.

(... فلما أرسل خير مرسل ألما
به قريش في فراق زينبا فلم يجبهم للفراق بل أبى)

لما اسم شرط والعامل فيه قوله ألم وأرسل مبني للمفعول ونائبه خير وألم به أي بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قريش نزلوا به أي أتوه يعني أن أبا العاصي رضي الله تعالى عنه أتاه قريش حين بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يريدون منه أن يفارق زنيب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامتنع من فراقها، **(وأسلمت وهاجرت)** أي أدركت الإسلام وأسلمت وهاجرت بعد بدر كما رواه ابن إسحاق. وعند ابن سعد بسند صحيح من مرسل الشعبي انها هاجرت مع أبيها ويجمع بينهما بأن المعية مجازية ذكر ابن اسحاق وغيره أن أبا العاصي لما منّ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين أسر ببدر، وشرط عليه أن يبعث زينب إليه فوفى بذلك، كما في المناوي وأمرها باللحوق بأبيها، وذلك بعد بدر بشهر أو أكثر فتجهزت فحملها في هودج على بعير ساقه بها أخوه كنانة بن الربيع ومعه قوسه وكنانته فخرج رجال من قريش فأدركوها بذي طوى فسبق إليها هبار بن الأسود وأسلم بعد ذلك فراعها بالرمح فوقعت وكانت حاملا فأسقطت فقام كنانة ونثر كنانته وقال والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهما، فتكركر الناس عنه وجاء أبو سفيان في جلة قريش فقال كف عنا نبلك حتى نكلمك فقال قد عرفت مصيبتنا ونكبتنا من محمد فيظن الناس أنك إذا خرجت بها علانية انه عن ذل من مصيبتنا، وما لنا بحبسها حاجة، لكن ارجع حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث ان قد رددناها سر بها سرا وألحقها بأبيها. ففعل فأقامت ليال وخرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبها الأنصاري وكان عليه الصلاة

والسلام بعثهما وقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فأصحباها حتى تاتياني بها، فقدما بها عليه انتهى نقله الزرقاني.

(... وهاجرا من بعدها فردها خير الورى
إليه بالعقد الذى قد سبقا على الأصح لا بشان لحقا)

فاعل هاجر ضمير يرجع لأبي العاصي وخير بالرفع فاعل رد ومفعوله ضمير زنيب والورى العباد ومعنى كلامه أن أبا العاصي هاجر بعد هجرة زينب فرد إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم زوجته زينب بعقدها الأول لا بعقد جديد وذلك أنه عليه السلام بعث زيد بن حارثة فى جمادى الأولى سنة ست فى سبعين ومائة راكب إلى العيص بكسر المهملة يتعرض عيرا لقريش أقبلت من الشام فأخذوها وأسروا أناسا فيهم أبو العاصي فقدموا بهم فاستجار أبو العاصي بزينب فأجارته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد أجرت من أجرت، وقال لها أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك أي لا يطؤك فإنك لا تحلين له، ثم انه رد عليه ماله بأسره فلم يفقد منه شيئا ثم ذهب إلى مكة فأدى إلى كل ذى مال ماله وقال هل بقي لأحد منكم عندى مال؟ قالوا لا. قال فإني أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. ثم خرج وقدم المدينة وقد مر بأبسط من هذا فى البعوث. وقوله على الأصح بهذا صدر فى المواهب قيل ردها إليه بعد سنتين وقيل بعد ست سنين، وكونه ردها إليه بالعقد الأول رواية ابن عباس وفى حديث عمرو بن شعيب ردها بنكاح جديد سنة سبع قال السهيلي وهذا هو الذى عليه العمل وإن كان حديث ابن عباس أصح اسنادا لكنه لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام فرق بينهما وجمع بين الحديثين بأن معنى حديث ابن عباس ردها له على مثل العقد الأول فى الصداق والحباء فلم يحدث زيادة علي ذلك من شرط ولا من غيره نقله الزرقاني. وحديث ابن عباس أخرجه أبو داوود والترمذي وقال الترمذي ليس بإسناده بأس ولكن لا يعرف وجهه، وحديث عمرو بن شعيب رواه الترمذي وابن ماجه نقله الزرقاني أيضا.

(وولدت أمـــــامـــــة عليـــــاله...)

مـراده أن زنيب ولدت لأبى العاص رضي الله تعالى عنهما ولدا يقال له علي، استرضع فى بنى غاضرة فافتصله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وأبو العاص مشرك بمكة، وقال لأن شاركني فى شيء فأنا أحق به منه ومات وقد ناهز الحلم بعد أمه فى حياة أبيه وكان رديفه صلى الله تعالى عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له أيضا أمامة بضم الهمزة وتخفيف الميمين التى حملها صلي الله تعالى عليه وسلم فى صلاة الصبح على عاتقه وكان إذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها. وتزوجها علي بعد وفاة فاطمة خالتها بوصية فاطمة بذلك انتهى من المواهب وشرحها؛ **(وماتت عام "ح" وفيا)** الوفي التام يعنى ان زينب ماتت عام ثمان من الهجرة النبوية كما أشار له بالحاء المهملة. وفى المواهب: وماتت عام ثمان من الهجرة. وصلى عليها عليه السلام ونزل فى قبرها ومعه أبو العاص وجعل لها نعش. وري مسلم عن ام عطية قالت لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا واجعلن فى الآخرة كافورا. وروي ان التى غسلتها أم أيمن وسودة بنت زمعة وأم سلمة قال ابن عبد البر والتى شهدت أم عطية غسلها وتكفينها إنما هي أم كلثوم ورده الحافظ بأن المحفوظ أن قصة أم عطية إنما هي فى زينب.

<u>فائدة:</u>

حديث أمامة فى الموطأ وغيره ولفظ المقصود هنا من الموطإ أن رسول الله تعالى عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها انتهى.

ولأحمد فإذا قام حملها فوضعها على رقبته ولأبي داوود حتى إذا أراد أن يركع أخذها فوضعها ثم ركع وسجد حتى إذا فرغ من سجوده وقام

أخذها فردها مكانها. وهذا صريح فى أن فعل الحمل والوضع منه لا منها بخلاف ما أوله به الخطابي وابن دقيق العيد بأن الصادر منه هو الوضع لا الرفع لتعلقها به إذا سجد فينهض فتبقى محمولة حتى يركع فيضعها فيقل العمل واختلف العلماء فى تأويل هذا الحديث لأنه عمل كثير فروى ابن القاسم عن مالك أنه فى النافلة واستبعده المازري وعياض والقرطبي. وعند الزبير بن بكار والسهيلي أنها الصبح ووهم من عزاه للصحيحين وروي أشهب وابن نافع عن مالك ان ذلك لضرورة حيث لم يجد من يكفيه أمرها. وقال الباجي ان وجد من يكفيه أمرها جاز فى النافلة دون الفريضة وإن لم يجد جاز فيهما.

وروى عبد الله بن يوسف عن مالك أنه منسوخ قال الحافظ لكنه غير صحيح وذكر عياض عن بعضهم أنه من خصائصه لعصمته من أن تبول وهو حاملها ورد بأن الأصل عدم الاختصاص وحمله أكثر العلماء على أنه عمل غير متوال. وفى التمهيد حمله العلماء على أن أمامة كانت عليها ثياب طاهرة وأنه أمن منها ما يحدث من الصبيان من البول، وقال النووي ادعى بعض المالكية انه منسوخ وبعضهم من الخصائص وبعضهم انه بضرورة وكلها دعاوى باطلة وليس فى الحديث ما يخالف قواعد الشرع لأن الآدمي طاهر وثياب الأطفال وأجسادهم محمولة على الطهارة حتى تتبين النجاسة والأعمال فى الصلاة لا تبطلها إذا قلت وتفرقت وقال الفاكهاني كان السر فيه دفع ما ألفته العرب من كراهة البنات فخالفهم حتى فى الصلاة والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول وفيه ترجيح العمل بالأصل على الغالب انتهى ملخصا من الزرقاني على الموطأ وحاصل هذا ان الحديث يحتاج عندنا إلى جوابين: جواب عن الفعل الكثير وجواب عن حمله لها مع احتمال نجاسة أجساد الصبيان وثيابهم. أما الأول فأجيب عنه بأنه منسوخ وبأنه كان فى النافلة وبأنه لضرورة وبأنه خصوصية وقال بعضهم لأنه لو تركها لبكت وشغلته أكثر من شغله بحملها وهذا الجواب لم يذكر فيما مر وهو فى الزرقاني أيضا. وأجيب أيضا بأنه عمل غير متوال. وقد مر أنه حمله عليه أكثر العلماء.

وأما شأن النجاسة فأجيب بأنها كانت ثيابها طاهرة وبأنها تحمل على الطهارة حتى تتبين النجاسة كما للنووي. ومر للفاكهاني أنه من تقديم الأصل على الغالب والله تعالى أعلم. قاله مؤلفه سمح الله تعالى له.

(وأنكحت رقـيـة عـتـيـبـه وأم كلثـوم أخـاه عـتـبـه)

رقية كسمية كما فى القاموس نائب فاعل أنكحت، ومفعوله الآخر عتيبة بالتصغير، وأم كلثوم بضم الكاف كما فى القاموس عطف على رقية وأخاه عطف على عتيبة فهو عطف بأداة واحدة على معمولي عامل واحد وعتبة بالتكبير بدل مما قبله أو بيان ومراده أن رقية بنت رسول الله تعالى عليه وسلم تزوجت عتيبة بالتصغير بن أبي لهب وأن أم كلثوم أختها تزوجت عتبة أخاه وكان سن رسول الله تعالى عليه وسلم لما ولدت رقية ثلاثا وثلاثين سنة، وأم كلثوم اسمها كنيتها، ففي النور لا أعلم أحدا سماها وما ذكره الناظم رحمه الله تعالى خلاف ما اقتصر عليه القسطلاني فى المواهب وصوبه شارحه محمد بن عبد الباقي من أن عتيبة بالتصغير الميت كافرا بافتراس الأسد بسبب دعائه عليه السلام عليه، هو الذى كانت عنده أم كلثوم وكان فراقه لها قبل الدخول وأن رقية هي التى كانت تحت عتبة بالتكبير، قال الزرقاني وعتبة أسلم يوم الفتح هو وأخوه معتب لأن النبي تعالى عليه وسلم استوهبهما من ربه فوهبهما له انتهى.

وما اقتصر عليه نحوه للمناوي فى شرح العراقي فانظر اقتصار الناظم على ما ذكره ولم أر فى ابن سيد الناس ذكرا لتزويجهما لابني أبي لهب وإنما ذكر فيما رأيت تزوج عثمان بهما وكذا محمد اليدالي فى الحلة السيرا والله تعالى أعلم.

(فطلقـا همـا معـا إذ نـزلا تبت فـتـبـا لهـمـا إذ فـعـلا)

يعني أن ابني أبي لهب لما نزل قوله تعالى: {تبت يدا أبي

لهب}(السورة) قال لهما أبو لهب رأسي من رؤسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد، وقالت لهما أمهما ان أم كلثوم ورقية صبتا فطلقاهما ففارقاهما قبل الدخول كما فى المواهب والمناوي وتبت خسرت وهلكت وقوله فتبا أي خسرا وهلاكا لهما إذ فعلا ما أمرهما به أبوهما المشؤوم من فراق ابنتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله فتبا لهما دعاء وهو ترك أدب غير لائق بالنسبة للصحابي منهما إذ الإسلام يجب ما قبله ولاسيما شرف الصحبة التى لا يلحق غبارها ولا يخاض تيارها قال ابن سيد الناس أما أبو لهب فكناه أبوه بذلك لحسن وجهه قال السهيلي كني أبا لهب مقدمة لما يصير إليه من اللهب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وولدا أبي لهب عتبة ومعتب، شهدا حنينا وثبتا فيه وأختهما درة لها صحبة وأخوهم عتيبة قتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام بدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم يجعل المكبر عقير الأسد وعتيبة الصحابي والمشهور الأول انتهى كلامه.

وتقدم أن رسول الله استوهب عتبه ومعتبا من ربه فوهبهما له وما شهره ابن سيد الناس في شأن الصحابي منهما شهره غيره كما صرح به الزرقاني والله تعالى أعلم.

وفي المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني وكانت يعنى أم كلثوم تحت عتيبة المصغر ابن أبي لهب ففارقها قبل الدخول بأمر أبيه المشؤم ويروى أن عتيبة بالتصغير لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه وشق قميصه أي قميص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو خارج نحو الشام تاجرا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه. وفى رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك. وأبو طالب حاضر فوجم بجيم مفتوحة أي اشتد حزنه لها أي للدعوة، وقال ما كان أغناك يا عتيبة عن دعوة ابن أخي، فخرج فى تجر بفتح فسكون جمع تاجر من قريش حتى نزلوا بالزرقاء من الشام ليلا

فأطاف بهم الأسد فجعل عتيبة يقول يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا علي محمدا، قاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام وغلبت عليه الشقوة فلم يؤمن فعدا عليه الأسد، من بين القوم فأخذ برأسه فدغه بفتح الدال المهملة وبالغين المعجمة أي شدخه. وفي رواية فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات.

وفي رواية أنه أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة وعند أبي نعيم عن هبار بن الأسود تجهز أبو لهب وابنه عتيبة نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا قريبا من صومعة راهب فقال الراهب ما أنزلكم ها هنا، هنا سباع، فقال أبو لهب أنتم عرفتم سني وحقي؟ قلنا أجل. قال إن محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة ثم افرشوا له عليها وناموا حوله ففعلنا وبات عتيبة فوق المتاع فجاء الأسد فشم وجوهنا ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فقطع رأسه فطلبنا الأسد فلم نجده انتهى من المواهب وشرحها.

وقوله جمع تاجر قال في القاموس التاجر الذي يبيع ويشتري وبائع الخمر جمعه تِجارٌ وتُجارٌ وتَجرٌ وتُجرٌ، كرجال وعمال وصحب وكتب انتهى. وخدشه كضربه، مزقه كما في القاموس.

(ثم تزوج ابن عفان الرضا رقية....)

رجل رضي بالكسر والقصر أي مرضي ثم بعد أن طلق ابنا أبي لهب بنتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج عثمان بن عفان رقية رضي الله تعالى عنهما وكانت رقية بارعة الجمال وكذا كان عثمان وكان يقال فيهما:

أحسن زوجين رأى إنسان رقية وبعلها عثمان

وفي ذلك تقول خالته سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية:

هدى الله عثمان الصفي بقوله فأرشده والله يهدي إلى الحق

فبايع بالرأي السديد محمدا — وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث احدى بناته — فكان كبدر مازج الشمس في الأفق
فداؤك يابن الهاشميين مهجتي — فأنت أمين الله أرسلت في الخلق

وهاجر عثمان برقية الهجرتين إلى الحبشة فولدت له هناك ابنا يسمى عبد الله وكان يكنى به وذكر ابن قدامة ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون إليها ويعجبون من جمالها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا. وعن الحافظ أبى نصل الدولابي بفتح الدال وضمها أن تزويجها به كان فى الجاهلية ولكن ذكر أبو سعد وغيره ما يدل على أنه كان بعد إسلامه، أخرجه أبو سعد فى الشرق عن عثمان قال كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة رقية ابنته فدخلتنى حسرة أن لا أكون سبقت إليها فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي فأخبرتني بأن الله تعالى أرسل محمدا وذكر حثها له على أتباعه قال وكان لى مجلس من الصديق فأصبته فيه وحده فسألني عن تفكري فأخبرته بما سمعت من خالتي فذكر حثه له على الإسلام قال فما كان بأسرع ممن أن مر صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه علي يحمل له ثوبا فقام أبو بكر فساره فقعد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أقبل علي فقال أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه. فوالله ما تمالكت حين سمعته أن أسلمت ثم لم ألبث ان تزوجت رقية ذكره الزرقاني.

(أتت بنجل فقضى في عام ست بعد موت الأم
في سنة اثنين بغير وهم)

قوله أتت بحذف العاطف أي وأتت بنجل أي ولد ذكر وهو عبد الله الذى مر ذكره وقضى مات وفاعله ضمير يعود على نجل ومعنى كلامه ان رقية ولدت لعثمان ولدا بأرض الحبشة فقضى ذلك الولد أي مات فى عام ست من الهجرة بعد موت أمه رقية وكانت ماتت فى سنة اثنين من الهجرة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر حين وصل زيد بن حارثة للبشارة بقتل المشرك وهي ابنة عشرين سنة وكان خروجه عليه

السلام إلى بدر على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة وهي مريضة وخلف عليها صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان وأسامة ولما قدم عليه الصلاة والسلام عزي بها فقال الحمد لله دفن البنات من المكرمات أي لآبائهن لأنهن عورة ولضعفهن بالأنوثة ولعدم استقلالهن قال بعض العلماء وهذا ورد مورد التسلية عن المصيبة وحاشاه ان يقوله كراهة للبنات كما تظنه الجهلة وهذا رواه الطبراني والبزار وابن عدي كلهم بسند ضعيف قاله الزرقاني. وقوله فقضى ذكر في الفتح أنه عاش ست سنين ومات على ما قال ابن سعد عام أربع من الهجرة قاله الزرقاني وهذا مخالف لقول الناظم في عام ست، والوهم الغلط والله تعالى أعلم.

(وأنكح الأخرى بغير مين ومن هنا لقب ذا النورين
ولم تلد له...)

أنكح بضم الهمزة ونائبه ضمير عثمان والأخرى مفعوله الثاني وهي أم كلثوم والمين الكذب ولقب أي سمي بذلك اسما أشعر برفعة مسماه يعني أن عثمان أنكحه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أم كلثوم ابنته في ربيع الأول بوحي من الله بعد وفاة رقية ولم تلد له أم كلثوم، قال في المواهب وكان تزوج عثمان بأم كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وقال عليه السلام هذا جبريل أخبرني أن الله يامرني أن أزوجكها وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له والذي نفسي بيده لو أن عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى. وروي عن أبي هريرة يرفعه أتاني جبريل فقال ان الله يامرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها وفي هذه الأحاديث منقبة جليلة لعثمان وروي أن عمر عرض حفصة على عثمان فقال سأنظر ثم قال قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا عمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك، قال نعم يا نبي الله، قال تزوجني ابنتك وأزوج عثمان ابنتي. قال الزرقاني وبه استدل على فضل بناته على زوجاته هو انتهى.

وقوله من هنا إلخ. الظاهر أنها إشارة للمكان المجازي أي ومن مكانته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث تزوج ابنتيه لقب ذا النورين وكان يدعى فى السماء ذا النورين وقيل لقب به لأنه كان يختم القرءان فى الوتر فالقرءان نور وقيام الليل نور قاله القسطلاني.

قال المهلب بن أبي صفرة لم يعلم أحد تزوج ابنتي نبي غيره نقله الزرقاني ونحوه فى التاج.

(وعام تسع) من الهجرة النبوية **(توفيت)** أم كلثوم **(كما أتى فى السمع)** أي المسموع عن أهل السير أي المروي عنهم وكان موتها فى شعبان كما قال ابن سعد وصلى عليها عليه الصلاة والسلام ونزل فى قبرها علي وأسامة والفضل رضي الله تعالى عنها وعنهم، وجلس صلى الله تعالى عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان بفتح الفوقية وكسر الراء المهملة أي يجري دمعهما وغسلتها أسماء بنت عميس الخثعمية زوج جعفر. ثم أبي بكر ثم علي وولدت لهم. وصفية بنت عبد المطلب وشهدت أم عطية غسلها **(وبنت خير المرسلين)** صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين **(الصغرى)** فهي أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم على الأصح كما قال السهيلي. وقال أبو عمر هو الذى تركن إليه النفس وقال ابن الكلبي أصغر منها رقية، قاله الزرقاني. **(أسما)** أي أعلى من السمو وهو العلو، **(نساء العالمين قدرا)** أي منزلة وشرفا ورفعة ورتبة. أخرج ابن عبد البر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لفاطمة ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا أبت فأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالم زمانها. واختار الزركشي والقطب الخيضري والسيوطي والمغريزي انها أفضل من مريم وروى ابن عبد البر عن ابن عباس يرفعه سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية وجزم القرطبي بأن فاطمة تلي مريم فى الفضل للاختلاف فى نبوءتها ولظاهر الاستثناء فى حديث ما يسرك أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم انتهى.

والجمهور على أن مريم لم تكن نبية كما قال عياض بل حكى عليه الاجماع وان صحح القرطبي نبوءتها، قاله الزرقاني وقد مر الكلام على هذا مبسوطا عند قول الناظم في خديجة:

خـيـر نسـاء الناس أجـمـعـينا

فراجعه ان شئت واستظهر النووي أن كل واحدة من فاطمة ومريم خير نساء الأرض في عصرها قال فأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه انتهى وقد تقدم هذا. وقوله بنت مبتدأ والصغرى نعت له وكذا قوله أسمي وقوله **(مولدها)** مبتدأ وخبره ما بعده وهو قوله. **(في عام أم كانا)**، وهو واحد وأربعون عاما؛ **(من مقدم الفيل)** لمكة وهو عام ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابن عبد البر. قال في المواهب وهو مغاير لما رواه ابن إسحاق من أن ولده كلهم عليه السلام ولدوا قبل النبوءة إلا ابراهيم وقال ابن الجوزي ولدت فاطمة قبل النبوءة بخمس سنين أيام بناء البيت ومعنى كلامه أن فاطمة رضي الله تعالى عنها مولدها كان عام واحد وأربعين من مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله أبو عمر بن البر ولم يبين هل في أوله أو في آخره كما في الزرقاني وقال ابن سيد الناس اختلف في مولدها قال المدائني قبل النبوءة بخمس سنين وقال ابن السراج سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي يقول ولدت سنة إحدى وأربعين من مولده صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى المراد منه. وكانت تسمى البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى قاله في المواهب ونحوه في الفتح وزاد المناوي في شرح العراقي وجها ثالثا وهو أنها لا شهوة لها للرجال انتهى فانظره والله تعالى أعلم.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها في فمها ويمصها بضم الياء لسانه ليختلط ريقه بريقها فتعود بركته عليها وإذا أراد سفرا يكون

آخر عهده بها وإذا قدم أول ما يدخل عليها ثم ياتى أزواجه، وقال عليه السلام فاطمة بضعة منى بفتح الموحدة وحكي كسرها وضمها وسكون المعجمة أي قطعة لحم منى فمن أغضبها أغضبنى رواه الشيخان واستدل به السهيلي على كفر من سبها ونظر فيه الحافظ والحديث خرج على سبب فلا مفهوم له فلا يرد ان أولاده كلهم بضعة منه أو لأنه حين قاله لم يكن بقي منهم أحد لأن سبب هذا الحديث أنه لما خطب علي بنت أبي جهل قالت فاطمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم زعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبى جهل فقام صلى الله تعالى عليه وسلم فتشهد وقال إني أنكحت أبا العاصي فحدثني فصدقني ووعدني فوفى لى وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي الخطبة، وهذه الواقعة أي خطبة علي ابنة ابى جهل كانت بعد فتح مكة، ولم يبق حينئذ من بناته صلى الله تعالى عليه وسلم غيرها وأصيبت بعد أمها بأخواتها فأدخل الغيرة عليها مما يزيدها حزنا انتهى.

قال الحافظ وفيه أنها أفضل بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وروى الشيخان عن عائشة أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مرحبا بابنتى ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثا فبكت ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقالت ما رأيت كاليوم أقرب فرحا من حزن؛ فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سره فلما قبض سألتها فأخبرتنى أنه قال إن جبريل كان يعارضنى فى كل سنة مرة وأنه عارضنى العام مرتين، وما أراه إلا قد حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف أنا لك. فبكيت فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت وفى رواية أحمد أفضل نساء أهل الجنة. وروى النسائي والحاكم بسند جيد عن حذيفة هذا ملك من الملائكة استاذن ربه أن يسلم علي وبشرنى أن حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأمها

سيدة نساء أهل الجنة انتهى من الزرقاني. وسادت أخوتها وأمها لأنهن متن فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فكن فى صحيفته ومات فى حياتها فكان فى صحيفتها وميزانها وروى البزار أنه عليه السلام قال لفاطمة هي خير بناتى لأنها أصيبت في. **(ولما بانا)** أي ظهر **(لها)** أي لفاطمة رضي الله تعالى عنها، **(من الأعوام خمسة عشر)** قوله خمسة عشر فاعل بان ولما أسم شرط وجوابها قوله **(زوجها)** أي فاطمة **(حيدرة)** بالنصب مفعول زوج الثاني وصرفه للضرورة وحيدرة اسم الأسد قال ابن أبي جمرة وكانت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله تعالى عنها سمته باسم أبيها فلما قدم أبو طالب سماه عليا **(خير البشر)** خير بالرفع فاعل زوج والبشر الإنسان يعنى أن فاطمة رضي الله تعالى عنها لما بلغت خمسة عشر عاما زوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علي بن أبى طالب بأمر الله تعالى ففى الحديث ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من علي رواه الطبراني برجال ثقاة.

وقوله زوجها أي عقد له عليها رضي الله تعالى عنهما فى السنة الثانية من الهجرة وهل فى أوائل المحرم أو فى صفر أو رجب أو رمضان أقوال، وقال ابن عبد البر سنة ثلاث بعد أحد ورده الحافظ فى الإصابة بأن حمزة استشهد بأحد وقد ثبت فى الصحيحين قصة الشارفين لما ذبحهما حمزة وقد أراد علي البناء بفاطمة وقيل تزوجها بعد بنائه عليه السلام بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها علي بعد تزويجه بسبعة أشهر ونصف انظر المواهب وتزوجها ولها خمسة عشر سنة وخمسة أشهر ونصف ولعلي إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر وقيل غيره انتهى.

فعلى أنها ولدت قبل النبوءة بخمس سنين فيكون تزوجها ولها تسع عشرة سنة وشهر ونصف وعلى أن عليا أسلم وله عشر سنين وهو الراجح فسنه يوم التزويج أربع وعشرون سنة وشهر ونصف قاله الزرقاني. وعن أنس قال جاء أبو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة إلى النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم فسكت ولم يرجع إليهما شيئا ويروى أنه قال لكل منهما انتظر بها القضاء فانطلقا إلى علي رضي الله تعالى عنه يامرانه بطلب ذلك قال علي فنبهاني لأمر كنت عنه غافلا فقمت أجر ردائي فرحا بما انتبهت له، حتى أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة؟ قال عندك شيء؟ فقلت فرسي وبدني. بفتح الموحدة والدال أي درعي، فقال أما فرسك فلابد لك منها وأما بدنك فبعها، فبعتها من عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهما ثم ان عثمان رد الدرع إلى علي، قال علي فجئته بها أي بالدراهم فقبض منها قبضة فقال أي بلال ابتع لنا بها طيبا وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط أي مجعول فيه شرائط أي حبال ووسادة من أدم حشوها ليف، وعن جابر كان فرشهما ليلة عرسهما اهاب كبش وقال لعلي إذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك، فجاءت مع أم أيمن حتى قعدت فى جانب البيت وأنا فى جانب آخر وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أها هنا أخي؟ قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال نعم، هو كأخى فى المنزلة، فقال عليه السلام لفاطمة ائتنى بماء فقامت تعثر فى ثوبها وربما قال فى مرطها من الحياء إلى قعب بقاف مفتوحة فمهملة ساكنة قدح كبير من خشب فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ادبري فأدبرت فصب بين كتفيها ثم مثل ذلك بعلي رضي الله تعالى عنه ثم قال له أدخل بأهلك باسم الله والبركة وروى النسائي أنه قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى شملهما وهو بالتحريك الجماع ولابن عساكر عن أنس بينا أنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ غشيه الوحي فلما سرى عنه قال ان ربى أمرنى أن أزوج فاطمة من علي فانطلق فادع لى أبا بكر وعمر وسمى جماعة من المهاجرين وبعددهم من الأنصار فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائبا عن هذا المجلس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع

المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا -أي لازما- لا يستغنى عنه وأمرا مفترضا وهو قريب مما قبله فى المعنى وهو اطناب مستحسن فى الخطب أوشج به الأرحام وألزم به الأنام فقال عزّ من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنهده أم الكتاب أي أصله الذى لا يغير منه شيء ثم ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من علي بن أبى طالب فاشهدوا أني قد زوجته إياها على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي، ثم دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟ فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله.

وروي أن عليا سجد شكرا لله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، جمع الله شملكما وأعز جدكما بفتح الجيم أي حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما نسلا كثيرا طيبا.

قال أنس ابن مالك فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب. قال الزرقاني فى شرحه فجعل فيهم علماء وأولياء وكرماء وملأ بهم الأرض ولله الحمد وهم نسل النبوءة انتهى. وكانت وليمته ءاصعا من شعير وتمر وحيس وكبشا وءاصعا من ذرة. قال فى المواهب والحيس التمر والأقط قال الزرقاني فعطفها على التمر من عطف الكل على الجزء. والأقط قال عياض هو جبن اللبن المستخرج زبده وقيل لبن مجفف يطبخ به وفى القاموس الحيس تمر يخلط بسمن وأقط يعجن شديدا ثم يندر منه نواه انتهى. ولا ينافي هذا قول الشاعر:

التمر والسمن جميعا والأقط الحيس إلا انه لم يختلط

لأنه أراد انه لم يختلط فيما حضره وإنما هو حيس بالقوت لوجود الأجزاء دون الخلط انتهى المراد منه.

وقوله فيما مر وقد ثبت في الصحيحين قصة الشارفين إلخ.. أشار بهذا إلى ما رواه البخاري وغيره ولفظ المراد منه في فرض الخمس بعد أن أسنده الى علي ان عليا قال كانت لى شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعطاني شارفا من الخمس فلما أردت أن ابتني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى فناتى بإذخر أردت أن يبيعه الصواغين وأستعين به فى وليمة عرسي فبينما أنا أجمع لشارفي متاعا من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناخان الي جنب حجرة رجل من الأنصار فرجعت حين جمعت ما جمعت فإذا شارفاي قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك يميني حين رأيت ذلك المنظر منهما فقلت من فعل هذا فقالوا فعل حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت فى شرب من الأنصار فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهي الذى لقيت؟ فقال ما لقيت؟ فقلت ما رأيت كاليوم عدى حمزة على ناقتي فأجب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شرب فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه فارتدى ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة فطفق صلى الله تعالى عليه وسلم يلوم حمزة فإذا حمزة قد ثمل محمرة عيناه. ثم قال حمزة هل أنتم إلا عبيد لأبى فعرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ثمل انتهى المراد منه.

قوله شارف: مسنة من النوق، والإذخر بكسر الهمزة وذكر قوله

مناخان باعتبار لفظ شارف وروي مناختان باعتبار معناه وأجبت بضم الهمزة ولأبى ذر بحذف الهمزة أي قطعت وإنما بكى رضي الله تعالى عنه خوفا من تقصيره فى حق فاطمة أو فى تاخير الابتناء بها والشرب بفتح المعجمة المجتمعون لشرب الخمر وثمل كفرح: سكر، والخمس الذى أعطاه منه الشارف من سرية عبد الله بن جحش، انظر القسطلاني، وقال ابن حجر فى الفتح قوله رجعت حين جمعت ما جمعت زاد فى رواية ابن جريج عن ابن شهاب فى الشرب وحمزة بن عبد المطلب يشرب فى ذلك البيت أي الذى أناخ الشارفين بجانبه ومعه قينة وهي الجارية المغنية فقالت:

ألا يا حمز للشرف النواء

والشرف جمع شارف والنواء بكسر النون والمد جمع ناوية وهي الناقة السمينة .وحكى المرزباني ان هذا الشعر لعبد الله بن السائب المخزومي وبقيته:

وهن معقلات بالفناء	ضع السكين فى اللبات منها
وضرجهن حمزة بالدماء	وعجل من أطائبها لشرب
قديرا من طبيخ أو شواء	

والفناء بكسر الفاء والمد الجانب أي جانب الدار التى كانوا فيها. والقدير المطبوخ والتضريج بمعجمة وجيم التلطيخ انتهى المراد.

وفي القاموس القدير ما يطبخ فى القدر وأطائب الجزور: الكبد والسنام وهذا قبل تحريم الخمر ولذا لم يواخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حمزة.

(وولدت له من الأولاد بنتين وابنين بلا عناد)

لفاعل ضمير يعود على فاطمة والمجرور لعلي رضي الله تعالى عنهما يعنى أن فاطمة رضي الله تعالى عنها ولدت لعلي كرم الله وجهه بنتين وابنين بلا عناد أي بلا خلاف:

(الحسن، الحسين ثم زنيب وأم كلثوم إليهم تنسب)

هذا بدل مما قبله ورفعه قاطعا له عن التبعية فهو خبر مبتدأ محذوف أي وهما الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضي الله عن جميعهم وينفعنا ببركتهم وأماتنا على محبتهم.

قال فى فتح البارى أما الحسن فولد فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر وقيل بعد ذلك، ومات مسموما بالمدينة سنة خمسين وقيل قبلها وقيل بعدها وأما الحسين فولد فى شعبان سنة أربع فى قول الأكثر وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق انتهى.

وفي البخاري أنه عليه السلام قال فى الحسن إن ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى ان يصلح به بين فئتين من المسلمين، قال القسطلاني فوقع ذلك لما وقع بينه وبين معاوية بسبب الخلافة وكان المسلمون يومئذ فرقتين فرقة مع الحسن وفرقة مع معاوية وكان الحسن يومئذ أحق الناس بالخلافة فدعاه ورعه وشفقته على المسلمين على ترك الملك رغبة فيما عند الله عز وجل ولم يكن ذلك لقلة ولا لذلة، فقد بايعه على الموت أربعون ألفا انتهى منه.

وفي البخاري عن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحسن بن علي على عاتقه يقول اللهم إنى أحبه فأحبه. وفى البخاري عن أنس أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين أي بضم الحاء فجعل ابن زياد ينكت بالمثناة الفوقية آخره أي يضرب بقضيب فى أنفه وعينيه فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى موضعه وللطبراني أنه

كان ينزع ثنايا الحسين فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك عن هاتين الثنيتين فوالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الثنيتين يقبلهما ثم بكى وفى البخاري أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هما أي الحسنان ريحنتاي من الدنيا. وعند الطبراني هما ريحانتاي من الدنيا أشمهما انتهى.

وقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، قاله في الحلة السيرا وكان الحسنان يشبهان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا جعفر بن أبي طالب ومسلم بن عقيل بن أبي طالب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن جعفر والسائب بن يزيد المطلبي جد الإمام الشافعي وقثم بن العباس وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمي وكابس بن ربيعة بن عدي قال ابن حجر ونظمت ذلك في بيتين وهما:

شبه النبي لعشر سائب وأبي ... سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ... ومسلم كابس يتلوه مع قثما

قال وقد وجدت بعد ذلك ان فاطمة ابنته تشبهه فيمكن ان يغير من البيت الأول: لعشر فتجعل لأي، وهو إحدى عشر، ويغير الطاهرين هما فيجعل ثم أمهما، فيقال:

شبه النبي لأي سائب وأبى ... سفيان والحسنين ثم أمهما

انتهى المراد منه. وبعضه بالمعنى. وأخبر عليه السلام أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

(وولـدت) فاطمة على نبينا وعليها الصلاة والسلام لعلي رضي الله تعالى عنه **(رقية ومحسنا أيضا)** أي كما ولدت له الأربعة الذين تقدم ذكرهم وعليه فيكون أولادها ستت: ثلاثة ذكور وثلاثة إناث والله تعالى أعلم.

(وماتا) أي الأخيرين **(فى الصبا)** أي قبل البلوغ **(ودفنا)**. وضبط الزرقاني فى شرح المواهب محسنا بأنه بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة فالله أعلم بذلك.

ولا يتزن على هذا الضبط بيت الناظم إلا بحذف حرف العطف ولم يذكر ابن سيد الناس رقية هذه ولفظه وولدت حسنا وحسينا ومحسنا ومات صغيرا وأم كلثوم وزينب وماتت فاطمة بعد موت أبيها صلوات الله وسلامه عليه بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر وقيل بثمانية انتهى كلامه.

وكذا صاحب المواهب اللدنية لم يذكرها هو ولا الزرقاني ولفظ المراد منهما وولدت لعلي حسنا وحسينا روى ابن مندة أن فاطمة أتت بهما إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى شكواه الذى قبض فيه فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما فقال أما حسن فإن له هيبتى وسؤددى وأما حسين فإن له جودى وجرأتى ومحسنا بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المشددة وأم كلثوم قال ابن عبد البر ولدت قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزينب قال ابن الأثير ولدت فى حياة جدها وكانت لبيبة عاقلة لها قوة جنان ولم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقب إلا من ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنهما انتهى بلفظهما. ولم يذكرها أيضا الحافظ فى الفتح، وكذا المناوي فى شرح العراقي لم يذكر رقية فى أولاد فاطمة وفى الحلة السيرا والمعروف من أولاده يعني عليا أولاد فاطمة الزهراء الخمسة: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزنيب انتهى المراد بلفظه. قال كاتبه عفى الله تعالى عنه بمنه. وهذا يوذن بضعف زيادة رقية والله تعالى أعلم.

(ثم ابن جعفر بنى بزينب ووولدت له عليا ...)

ابن جعفر هذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الصحابي ابن

الصحابي أحد الأجواد وقال فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه النسائي بسند صحيح أما عبد الله فيشبه خلقي وخلقي وتزويجه من زينب بنت علي كان بعد أن ماتت عنده أختها أم كلثوم كما في المواهب وغيرها فتزوجه بها متأخرا برتبة عما ذكره الناظم في هذه الأبيات التي ذكر فيها أزواج أم كلثوم فلو ذكره بعد قوله الآتي:

فكان فيها سنن للناقد أتى به في محله

يعني أن عبد الله بن جعفر تزوج زينب بنت فاطمة رضي الله تعالى عنهم فولدت له خمسة أولاد أربعة ذكور وهم علي الذى ذكر الناظم وعون وعباس ومحمد وامرأة واحدة وهي أم كلثوم، وانتشر عقب عبد الله بن جعفر من علي هذا ومن أخته أم كلثوم فتزوجها ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ولذا لم يذكر القسطلاني من أولاده إلا عليا وأم كلثوم كما في الزرقاني ويقال لكل من ينتسب إليهم جعفري ولا ريب ان لهم شرفا لاكن ليس كشرف ابناء الحسنين كما في المواهب وغيرها، واعلم ان اسم الشريف كان في الصدر الأول يطلق على كل من كان من آل البيت سواء كان حسنيا أم حسينيا أم علويا غيرهما أم جعفريا أم عباسيا أم عقيليا فلما ولى الفاطميون مصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط. فاستمر ذلك بمصر إلى الآن. قاله العلامة الزرقاني. والحاصل أن كل من كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة له فيقال له انه من ذريته عليه السلام سواء كان ذلك من جهة آبائه أو من جهة أمهاته لكن تحريم الصدقة والاعطاء من الخمس مخصوص بمن كان من صلب بنى هاشم سواء كان ولده عليه السلام أم لا. ولأولاد الحسنين مزيد شرف لا يخفى، خصهما بذلك جدهما صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال لكل بنى أم عصبة إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصبتهما أخرجه الحاكم وأبو يعلى. قال الزرقاني فخص الانتساب والتعصيب بهما دون اختهما.

(... وحبي باختها الفاروق حتى ولدت

زيدا له...)

يقال حباه يحبوه إذا أعطاه بلا جزاء، ولا من، أو عام كما فى القاموس وحبي نائبه قوله الفاروق والضمير المضاف إليه أخت لزينب والأخت أم كلثوم ومعنى البيت أن أم كلثوم بنت علي حبي بتزويجها أمير المومنين سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عن الجميع إلى أن ولدت له ولدا يسمى زيد بن عمر وولدت له أيضا بنتا يقال لها رقية ومات عمر رضي الله تعالى عنه وهي عنده. روى محمد بن أبى عمر شيخ مسلم فى مسنده أن عمر خطب إلى علي أم كلثوم فذكر له صغرها، فقيل له إنه ردك فعاوده فقال له علي ابعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك فأرسلتها إليه فكشف عن ساقيها فقالت "مه"، لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينيك.

وذكر ابن سعد أنه خطبها فقال علي إنما حبست بناتي على بنى جعفر فقال زوجنيها فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من كرامتها ما أرصد فقال فعلت، فجاء عمر إلى المهاجرين فقال رفؤنى فرفؤه وقالوا بمن تزوجت؟ فقال بنت علي. ان النبي صلى الله تعاليي عليه وسلم قال كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وكنت قدما صاهرته فأحببت هذا أيضا وأمهرها أربعين ألفا.

قال فى المواهب فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا. قال الزرقاني فأصيب زيد فى حرب كانت بين بنى عدي فخرج ليصلح بينهم فشجه رجل وهو لا يعرفه فى الظلمة فعاش أياما وكانت أمه مريضة فماتا فى يوم واحد.

(وبعــده) أي بعد موت عمر رضي الله تعالى عنه، **(تــزوجــت)** أي أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء ابن عمها **(محمد بن جعفر)** بن أبى طالب. روى الدولابي بفتح الدال وضمها عن الحسن بن الحسن بن علي أن أم كلثوم لما تأيمت دخل عليها أخواها فقالا لها ان أردت تصيبى بنفسك مالا عظيما لقيته، فدخل علي فحمد الله وأثنى عليه وقال أي بنيتى ان الله

قد جعل أمرك بيدك فإن أحببت أن تجعليه بيدي؟ فقالت يا أبت إني امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب أن أصيب من الدنيا، فقال هذا من عمل هذين.

(وإذ مضى) محمد بن جعفر أي ذهب أي مات عنها **(تزوجت عونا أخاه)** أي أخا محمد فهو عون بن جعفر بن أبي طالب **(وقضى)** أي مات عنها . وما ذكر الناظم من أن الأول تزوجها بعد عمر محمد بن جعفر خلاف ما اقتصر عليه في المواهب من أن عونا هو الذي تزوجها أولا وسلمه شارحه وعزاه للدولابي، وكان عونا يشبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم.

(فنكحت) هي أي أم كلثوم بعد موت عون على ما للناظم، **(أخاه عبد الله)** بن جعفر **(وعنده)** أي عند عبد الله بن جعفر **(ماتت)** أم كلثوم بنت علي رضي الله عن جميعهم، **(بلا اشتباه)** أي بلا التباس في ذلك **(مع ابنها زيد)** بن عمر بن الخطاب **(بوقت واحد فكان فيها)** أي في تلك الواقعة التي هي موتهما معا، **(سنن)** أي شرائع أي أحكام واضحة **(للناقد)** أي الفطن الذي يميز الصحيح من السقيم ويستنبط الأحكام والنقد في الأصل تمييز الزائف من الدراهم وغيرها، فاستعير هنا للفطن والله تعالى أعلم.

قال الوالد حفظه الله في اللوامع واحتج ابن الماجشون بتقديم الحسين بن علي لعبد الله بن عمر للصلاة عليهما معا على أن ولي الرجل يقدم في الصلاة ولو كان مفضولا، فإن الحسين أفضل من عبد الله فقدمه للصلاة على أم كلثوم بنت علي وابنها زيد بن عمر لما ماتا في آن واحد وصلي عليهما معا، فكان فيهما سنن لم يورثا وحملا معا وجعل الغلام مما يلي الإمام ودفنا في قبر واحد وولي الغلام القبلة وأجاب ابن رشد وغيره ممن يقول بتقديم ولي المرأة على ولي الرجل في الصلاة عليها إذا كان وليها أفضل، بأن القضية إنما تحصل بها الحجة لو كان المقدم لعبد

الله بن عمر الخليفة أو غيره من الصحابة وإلا فالحسين لكماله لا يرى لنفسه فضلا ويرى الفضل لابن عمر عليه ويستحضر سن ابن عمر وحضوره المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته عليه السلام له بالصلاح. انتهى. وبعضه بالمعنى.

(وبعد موت المصطفى بأشهر ثلاثة أو ستة في الأشهر
توفيت بنت الحبيب المجتبى فاطمة أم الكرام النجبا)

الظرف متعلق بتوفيت وثلاثة نعت لقوله أشهر، وأو لتنويع الخلاف أي وقيل بعد موته بأشهر ستة والحبيب من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فعيل من المحبة بمعنى مفعول لأنه محبوب لله تعالى وبمعنى مفعل لأنه محب لله تعالى قاله الزرقاني، والمجتبى المختار وهو من أسمائه أيضا، وفاطمة بدل من قوله بنت، فهو مرفوع أو بيان. وروي عن ابن مسعود رفعه. إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها أي منعها وذريتها من النار يوم القيامة أخرجه الحافظ الدمشقي وهو ابن عساكر.

قال الزرقاني أما هي وأبناؤها فالمنع مطلق، وأما من عداهم فالممنوع عنهم نار الخلود، فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير وفيه بشرى لآله صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى بالموت على الإسلام وأنه لا يختم لأحد منهم بالكفر. انتهى المراد منه. وروى الغساني والخطيب وقال فيه مجاهيل مرفوعا إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار، ففيه بشرى عميمة لكل مسلم أحبهما انتهى.

ومعنى كلامه أن فاطمة رضي الله تعالى عنها توفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بثلاثة أشهر على قول مشهور وقيل بعده بستة أشهر وهو أشهر من الأول انتهى.

والقول بثلاثة هو الذى صدّر به سيد الناس ونصه وماتت فاطمة بعد أبيها صلوات الله وسلامه عليه بثلاثة أشهر وقيل بعده بستة أشهر وقيل بثمانية انتهى منه.

والقول بأنها ماتت بعده بستة أشهر هو الذى صدر به فى المواهب وقال إنه الأصح ونصه: وتوفيت بعده عليه السلام بستة أشهر. قال الزرقاني عقبه كما فى الصحيح عن عائشة قال الواقدي وهو الثبت، قال وذلك لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، ثم قال فى المواهب: وقيل توفيت بعده بثمانية أشهر وقيل غير ذلك. انتهى.

قال الزرقاني: فروى الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار أنها بقيت بعده ثلاثة أيام وقال غيره أربعة أشهر وقيل شهرين وقيل ثلاثة وقيل شهرا واحدا انتهى.

وروي أنها قالت لأسماء بنت عميس إني استقبحت ما يصنع بالنساء يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت يا بنت رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة؟ أي حين كانت مهاجرة مع زوجها جعفر الطيار، فدعت بجرائد رطبة فحنتها أي أمالتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة ما أحسن هذا، تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فاغسلينى أنت وعلي ولا يدخل علي أحد، رواه ابن عبد البر، واستبعده ابن فتحون بأن أسماء حينئذ كانت زوجة الصديق، فكيف تنكشف بحضرة علي فى غسل فاطمة، وأجيب بأنه لا يلزم من التغسيل الانكشاف فتغسل وهي مستورة، أو تصب وعلي يغسل.

وفي حديث أم رافع قال مرضت فاطمة، فلما كان اليوم الذى توفيت فيه اغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ولبست ثيابا جددا واضطجعت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها ثم استقبلت وقالت إنى مقبوضة الآن.

وفي رواية الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفنى أحد ولا يغسلنى ثم قبضت مكانها ودخل علي فأخبر أي من أم رافع بالذي قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها أحد، رواه أحمد بسند ضعيف، وكذا ابن سعد والدولابي، وهو مخالف لخبر أسماء بنت عميس المتقدم، قال أبو عمر بضم العين بن عبد البر وفاطمة أول من غطي

نعشها على الصفة المذكورة، فى خبر أسماء ثم بعدها زينب بنت جحش، فقول من قال زينب أول من غطي نعشها أي من أمهات المؤمنين.

وفي البخاري أن عليا صلى عليها وروى ابن سعد أن العباس صلي عليها ونزل هو وابنه الفضل وعلي فى حفرتها ولا خلف، فكل صلى عليها، والإمام العباس لأنه عمه، فقدمه انتهى. ودفنت ليلا وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين. ولما أنهى الكلام على أولاده عليه الصلاة والسلام شرع فى ذكر أعمامه وعماته بادئا بذكر الذكور فقال:

(بيـــان أعــمـــام النبي المصطفى وذكــر عـمـات الحـبـيب المقـتـفى)

بيان خبر مبتدإ محذوف، أي هذا بيان وقوله ذكر بالرفع عطف على بيان وهو عطف تفسير والمقتفى المتبع ولا شك فى كثرة أتباعه صلي الله تعالى عليه وسلم والحبيب من أسمائه عليه السلام فعيل من المحبة، بمعنى مفعول لأنه محبوب لله تعالى أو بمعنى فاعل لأنه محب له تعالى، والأعمام جمع عم وهو هنا أخ الأب.

(أعـمـامـه اثنان وعـشـرة تعـد)

يعني أن عدة أعمامه صلى الله تعالى عليه وسلم أي اخوة أبيه عبد الله المذكور اثنا عشر وعبد الله ثالث عشرهم وهذا هو الأصح وعليه اقتصر العراقي وصدر به فى المواهب، وقوله تعد أي ياتى عدها فى البيت الآتي.

(وقـيـل واحـد وعـشـرة ورد)

أي وقيل عدة أعمامه أحد عشر وعبد الله هو الثاني عشر وردّ هذا القول عن العلماء وعليه فيسقط المقدم ويكون هو عبد الكعبة كما فى المواهب والمناوي.

وفي نسخة: وقيل تسعة وعشرة ورد. أي وقيل انهم عشرة فقط قاله فى المواهب، فأسقط الغيداق وحجلا قال الزرقاني لأنهما لا وجود لهما

عند هذا القائل، هذا ظاهره. وفي العيون فأسقط عبد الكعبة، وقال هو المقدم، وجعل الغيداق وحجلا واحدا، وتبعه في السبل ثم قال في المواهب وقيل تسعة فأسقط قثم أي كما أسقط الغيداق وحجلا، ولم يذكر ابن إسحاق وابن قتيبة غير هذا وبعضهم زاد العوام وقيل انه شقيق حمزة، فيكون الأعمام ثلاثة عشر انظر الزرقاني.

وفي شرح العراقي للمناوي أن القائل ان الأعمام عشرة أسقط الغيداق وحجلا، والقائل تسعة أسقط قثم انتهى.

وفي الزرقاني أن جملة أولاد أعمامه صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة وعشرون وصحبوا كلهم إلا طالبا وعتيبة، المصغر انتهى. ولما ذكر عدد الأعمام ذكر أسماءهم على أنهم اثنا عشر لأنه الأصح فقال:

(الحارث الزبير والمقوم)

أما الحارث فهو أكبر أولاد عبد المطلب بلا خلاف وكان يكنى به وشهد معه حفر زمزم ومات في حياة أبيه وأمه صفية بنت جندب، وأولاده أبو سفيان ونوفل وربيعة والمغيرة وعبد الله وكلهم صحابة وحفيده الحارث بن نوفل بن الحارث صحابي ولاه الشيخان وعثمان مكة؛ وأما الزبير بفتح الزاي وكسر الباء عند البلاذري وحده وبضم الزاي عند الباقين فهو أسن من شقيقه والد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن أبي طالب وهو شقيق لعبد الله أيضا وأمهم فاطمة المخزومية وكان الزبير شاعرا شريفا ذا عقل ونظر وكان رئيس بني هاشم وأحد حكام قريش ويكنى أبا الحارث وابنه عبد الله، ثبت يوم حنين، وبنات الزبير ضباعة وصفية وأم الحكم وأم الزبير لهن صحبة.

وأما المقوم فهو شقيق حمزة، أمهما هالة بنت وهيب بالتصغير بن عبد مناف بن زهرة وهو بضم الميم وفتح القاف وشد الواو مفتوحة ومكسورة ويكنى أبا بكر ولد له وانقطع عقبه وهذا كله من الزرقاني.

(وعبد كعبة) ومات ولم يعقب وهو شقيق عبد الله أيضا قاله البلاذري. **(ضرار)** بحذف العاطف وهو بكسر الضاد المعجمة كما في المناوي كان من فتيان قريش جمالا وسخاء مات أيام أوحي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم، ولا عقب له، وهو شقيق العباس. قاله الزرقاني وغيره وأمهما نتلة بفتح النون وسكون الفوقية.

وقال ابن دريد نتيلة بالتصغير وجزم به في الروض والنتلة واحدة النتل وهو بيض النعام، وصحفها بعضهم بمثلثة وهي بنت جناب بفتح الجيم وخفة النون فألف فموحدة كما في الإكمال ابن كلب كما في العموم والإصابة والتبصير.

وقال البرهان صوابه كليب بالتصغير، كما في الاستيعاب والاكمال ابن النمر بالنون ابن قاسط ويقال انها أول عربية كست البيت الديباج وأصناف الكسوة لأن العباس ضل وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت فوجدته فكست الكعبة. **(قثم)** بحذف العاطف بضم القاف وفتح المثلثة معدول عن قاثم من القثم وهو الإعطاء؛ مات صغيرا وهو شقيق الحارث نقله العلامة محمد بن عبد الباقي. **(كذا المغيرة)** بضم الميم وكسر الغين المعجمة وهو جحل. قال في المواهب وجحل بتقديم الجيم على الحاء وهو السقاء الضخم. وقال الدارقطني بتقديم الحاء وهو القيد، والخلخال ويسمى المغيرة انتهى.

وقال الزرقاني عقب قوله وهو السقاء الضخم قال صاحب العين ونوع من اليعاسيب وقال الدينوري كل شيء ضخم فهو جحل، وقال عقب قوله وقال الدارقطني بتقديم الحاء ما نصه المهملة المفتوحة على الجيم الساكنة وفيه أن عطف الخلخال على القيد عطف تفسير وعزا للمختار أن الجحل الذى هو الخلخال بفتح الحاء وكسرها. قال الزرقاني فلعل اقتصارهم على الفتح أي في ضبط جحل بن عبد المطلب لأنه الذى لقب به انتهى.

(مع الغيداق) بغين معجمة مفتوحة فتحتية فدال مهملة فألف فقاف، لقب بذلك لجوده وكان أكثر قريش مالا قال ابن سعد اسمه مصعب وقال الدمياطي نوفل وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك الخزاعية، قاله الزرقاني.

وفي المناوي الغيداق بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة تحت وأصله المطرسمي بذلك لأنه كان أجود قريش وأكثرهم طعاما انتهى.

(لم يدركوا الإسلام باتفاق) مراده أن هؤلاء المذكورين من أعمامه عليه السلام وهم ثمانية لم يدركوا الإسلام أي زمنه وهو زمن بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق العلماء وقد مر عن الزرقاني أن ضرارا مات أيام أوحي إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم، وقد ذكر ذلك بعضهم عن العيون واستدرك به على الناظم والله تعالى أعلم.

(وحمزة العباس عند العلما قد أدركا البعثة ثم أسلما)

يعني أن حمزة والعباس عمي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اتفق المسلمون على أنهما أدركا رسالته عليه السلام وأسلما رضي الله تعالى عنهما. أما حمزة فقد مر قريبا أن أمه بنت عم آمنة بنت وهب لأن أمه هالة بنت وهيب، مصغرا، ابن عبد مناف فهو أخو وهب جده عليه السلام، وأرضعته أي حمزة ثويبة مرضعته عليه السلام ويكنى أبا عمارة وأبا يعلى بابنين له، أما عمارة فأمه خولة بنت قيس من بني مالك بن النجار وأما يعلى فأمه أوسية وله أيضا من الذكور عامر وروح وله من الإناث أمامة وفاطمة.

قال الزبير بن بكار ولم يعقب حمزة إلا من يعلى وحمزة أسن من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، بسنتين وقيل بأربع. وروي أنه عليه السلام قال والذى نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل بعهد الله عز وجل فى السماء السابعة حمزة أسد الله وأسد رسوله.

وقال عليه السلام، خير أعمامي حمزة، وقال سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب انتهى. وكان من السابقين. وصدر في الاستيعاب بأنه اسلم في السنة الثانية من المبعث وبه جزم في الإصابة وصدر به في المواهب وقيل في السادسة قبل إسلام عمر بثلاثة أيام وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة. وروي أن سبب إسلامه أن بعض نساء بني هاشم أخبرته أن أبا جهل آذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذ سلاحه وتعرض له حتى هم بقتله وقال له أتشتم ابن أخي وأنا على دينه، فكان سبب إسلامه الحمية. ولما اسلم كفت قريش بعض ما كانوا ينالون منه عليه السلام خوفا من حمزة فلازم نصر المصطفى عليه السلام، وهاجر معه وشهد بدرا، وقتل بها شيبة بن ربيعة مبارزة، وكانت له أول راية عقدها صلى الله تعالى عليه وسلم لأحد من المسلمين وروي أنه كان يقاتل بين يديه عليه السلام بسيفين ويقول أنا أسد الله وأسد رسوله، ويقال أنه قتل بأحد قبل أن يقتل أكثر من ثلاثين فإن صح فلا يعارضه أن قتلى أحد من الكفار ثلاثة وعشرون لأنه لا يلزم من معرفة أسماء المقتولين أن ذلك جميع القتلى. نقله الزرقاني.

وأما العباس فكان حسن الوجه جميلا أبيض له ضفيرتان معتدلا في القامة، وقيل كان طوالا بضم الطاء أي طويلا، وروي أنه لما أسر يوم بدر أراد الأنصار أن يكسوه فلم يصلح عليه إلا قميص عبد الله بن أبي فكساه إياه، فلما مات ابن أبي ألبسه عليه السلام ثوبه. قال سفيان فظني أنه مكافأة للعباس أي لإلباسه فكأنه توفية حق دنيوي ثبت له فلا يرد أنه كيف يفعل ذلك مع علمه بنفاقه ولعله أراد تخفيف عذاب غير الكفر جزاء لذلك ما دام عليه القميص، وكان العباس أسن منه عليه السلام بسنتين أو ثلاث وكان رأسا في قريش ذا رأي جوادا مطعما، إليه عمارة المسجد الحرام، فلا يدع أحدا يسب فيه ولا يقول هجرا وكانت قريش تعاقدت على ذلك وأسلموه إليه كما في الشامية وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، وكان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في العقبة الثالثة قبل إسلامه يعقد له البيعة على الأنصار وقال فيه

عليه السلام: اللهم إن عمى العباس حاطني بمكة من أهل الشرك وأخذ لى على الأنصار وأجارني فى الإسلام مؤمنا بالله مصدقا بي اللهم احفظه وحطه واحفظ له ذريته من كل مكروه.

ولما شدوا وثاقه فى أسرى بدر سهر عليه السلام تلك الليلة فقيل ما يسهرك يا رسول الله؟ قال لأنين العباس. فقام رجل فأرخى من وثاقه وفعل ذلك بالأسرى كلهم ووصفه عليه السلام فقال أجود الناس كفا، وأحناه عليهم أي أشد الناس عطفا وروي احناهم بالجمع وكلاهما جائز. وروى الطبراني بإسناد حسن أن العباس أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآه قام إليه وقبل ما بين عينيه ثم اقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شاء فاليباه بعمه. فقال العباس نعم القول يا رسول الله. قال ولم لا أقول هذا؟ أنت عمى وصنو أبى ونقيبة آبائى ووارثى وخير من أخلف من أهلي. قوله ونقيبة آبائي أي بقية الشفوقين علي من أعمامى كشفقة الأب. وقوله ووارثى أي فى القيام بتعلقاتى بعد موتى كولاية غسلى وتعظيم الناس لك. وقوله وخير إلخ. أي غير علي وقال عليه السلام له يا عم لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى آتيكم فإن لى فيكم حاجة يعنى منفعة أوصلها إليكم، فلما أتاهم اشتمل عليهم بملاءة ثم قال يا رب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتى هذه. فأمنت أسكفت الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاث مرات.

والأسكفة بضم الهمزة العتبة العليا وقد تطلق على السفلى. وقال عليه السلام: اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا وفى رواية اللهم أغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم. قوله مغفرة ظاهرة أي بضبط جوارحهم عن المعاصى، والباطنة أن يصون أسرارهم عن الحسد والكبر ونحوهما.

وفي الحديث العباس عم نبيكم أجود قريش كفا، وأوصلها وان من

ولده السفاح والمنصور والمهدي، والسفاح أول خلفائهم واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولي الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر والمنصور أخوه كنيته أبو جعفر واسمه عبد الله أيضا ولي الخلافة اثنتين وعشرين سنة، وكان فقيها بليغا حافظا للقرآن والسنة ومات محرما بالحج، والمهدي بن المنصور وليها عشر سنين وقيل فيه انه فى العباسيين كعمر بن عبد العزيز فى بني أمية.

وفي الحديث ليكونن فى ولده يعنى العباس ملوك يكونون أمراء يعز اللهم بهم الدين انتهى.

وقيل إن العباس أسلم قبل بدر ولكنه كان يكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مستكرها ولذا نهى عليه السلام عن قتله فأسره أبو اليسر ففادى نفسه ورجع الى مكة والمصطفى عنه راض وقيل أسلم يوم بدر ثم أقبل مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح بالأبواء وكان معه فى الفتح وختمت به الهجرة وروى أبو يعلى أنه استأذنه عليه السلام فى الهجرة فكتب إليه يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه فإن الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوءة.

وكان للعباس عشرة أولاد الفضل وهو أكبرهم وعبد الله وقال فيه عليه السلام هذا شيخ قريش وهو أعلم اخوته. وقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل. اللهم أحش جوفه علما وحلما وقال له نعم ترجمان القرآن أنت دعاك جبريل مرتين انتهى.

وكان الصحابة يسمونه البحر والحبر، وكان عظيما فى الخلق والخلق واسع العلم حديثا وفقها وعربية وأنسابا وشعرا وتفسيرا ومنهم عبيد الله وكان جوادا سخيا ومعبد وقثم وعبد الرحمن وكثير والحارث وعون وتمام وهو أصغرهم. ولكلهم صحبة وكان العباس يقول:

تموا بتمام فصاروا عشره يا رب فاجعلهم كراما برره
واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره

قال الزبير بن بكار كان العباس ثوبا لعارى بنى هاشم وجفنة لجائعهم ويمنح الجار ويبذل المال ويعطى فى النوائب؛ وقال ابن المسيب كانت جفنته تدور على فقراء بنى هاشم ويطعم الجائع ويؤدب السفيه.

قال الزهري هذا والله هو السؤدد انتهي من المواهب وشرحها فى مواضع متفرقة. وأخرج ابن الخطيب أنه قال عليه السلام إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولأولادك. وقال ابراهيم بن علي بن هرمة فيه:

وكانت لعباس ثلاث أعدها إذا ما جناب الحي أصبح أشهبا
فسلسلة تنهي الظلوم وجفنة تروق فيكسوها السنام المرعبا
وحلة عصب ما تزال معدة لعار ضريك ثوبه قد تهبّبا

قوله إذا ما جناب الحي إلخ.. يعنى كان زمن المحل وسنة شهباء لا مطر فيها والمرعب بالراء والعين المهملتين المقطع والعصب بفتح العين وسكون الصاد مهملتين ضرب من البرود وتهبب بموحدتين تقطع قاله كاتبه سمح الله له وقال عامر بن واثلة يمدح عبد الله وعبيد الله ابني عباس رضي الله تعالى عنهما:

كنا نزور ابن عباس فيقبسنا فقها ويكسبنا مالا ويهدينا
ولا يزال عبيد الله مترعة جفانه مطعما ضيفا ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما ننال منهن ما نبغى إذا شينا
إن النبي هو الذى به كشفت عنا عمايات ماضينا وباقينا
ورهطه عصبة فى ديننا ولهم فضل علينا وحق واجب فينا

وكان عمر يستسقي بالعباس عام الرمادة فقال اللهم ان هؤلاء عبيدك وبنو إمائك أتوا راغبين متوسلين إليك بعم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسقنا سقيا نافعة تعم البلاد وتحيي البلاد. فقال فى ذلك

عباس بن عتبة بن أبي لهب:.

بعمي سقى الله الحجاز وأهله　　عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس فى الجدب راغبا　　إليه فما أن رام حتى أتى المطر
ومنا رسول الله فينا قرابة　　فهل فوق هذا فى المفاخر مفتخر

انتهى من الحلة السيرا للشيخ اليدالي. وفى الزرقاني أن عمر خطب فقال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده: يعظمه ويفخمه ويبر قسمه؛ فاقتدوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم وفى الحديث إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا، فمنزلي ومنزل ابراهيم فى الجنة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين رواه ابن ماجه والحاكم وابن شاهين وقال هذه فضيلة تفرد بها العباس ليست لغيره وقال فيه اللهم اسكنه معي فى السناء الأعلى انتهى منه.

وتوفي العباس قبل قتل عثمان رضي الله عنهما بسنتين يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة اثنين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة ومع ذلك كان معتدل القامة وكان شديد الصوت يسمع صوته من ثمانية أميال، ذكره الحازمي انظر الزرقاني والمواهب.

(لكن أبو طالب مع أبي لهب　　قد أدركا البعث وما نالا الأرب)

قوله أبو طالب منع صرفه هنا ضرورة واسم أبي طالب عبد مناف وطالب المكني به مات كافرا اختطفته الجن ولم يعلم له خبر واسم أبي لهب عبد العزى يعني أن أبا طالب وأبا لهب ابني عبد المطلب قد أدركا بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم أي رسالته إلى جميع الثقلين لكنهما والعياذ بالله تعالى لم ينالا إلا رب بالتحريك وهو الحاجة يعني الإيمان أما أبو لهب فقال فيه تعالى {سيصلى نارا ذات لهب} وأما أبو طالب

ففي الصحيح أنه في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه وقال بعضهم أنه المعني بقوله تعالى {إنك لا تهدي من أحببت} وزعم بعض الروافض أنه أسلم عند الموت ورد ذلك في الإصابة وهو شقيق عبد الله والزبير وعبد الكعبة، كما مر وكذا برة وأم حكيم وأميمة وعاتكة عماته عليه السلام فهم شقائق عبد الله وأم الجميع فاطمة المخزومية وهي بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم قال ابن هشام وعائذ بن عمران بلا واسطة، قال السهيلي وهو الصحيح وزاد ابن اسحاق بين عائذ وعمران عبد، قال السهيلي وأهل النسب ذكروا أن عبدا أخا عائذ وأنه أب لصخرة زوجة عمرو بن عائذ وهي أم فاطمة جدته عليه السلام نقله الزرقاني. ونقل قبل هذا ان الزبير بن بكار صرح بأن من كان من ولد عمران فهو عائذ بتحتية ومعجمة ومن كان ولد أخيه عمرو فعابد بموحدة ومهملة، قال نقله الأمير في كماله والحافظ في تبصيره وأقره فسها من ضبطه بموحدة لحفظه ذلك في عتيق بن عائذ زوج خديجة قبل المصطفى عليه السلام انتهى. وقد تقدم بعض هذا.

وأولاد أبي طالب طالب فعقيل فجعفر فعلي وكل أكبر ممن يليه بعشر سنين وأختهم أم هانئ قيل وحماتة أخت لهم ثانية وأسلموا كلهم إلا طالبا فمات كافرا قاله الزرقاني. وأم علي وأخوته فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلمت وهاجرت وماتت في زمنه عليه السلام وسمت عليا حيدرة باسم أبيها أسد وكان أبو طالب غائبا فقدم فسماه عليا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعقيل إني أحبك حبين حبا لقرابتي وحبا لما كنت أعلم من حب عمي إياك.

وروي أن عقيلا لما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حاز رباع النبي عليه السلام كلها ثم أسلم وهي في يده فقال عليه السلام إنه من أسلم على شيء فهو له وأما جعفر فهو الطيار لأنه قاتل بمؤتة حتى قطعت يداه ثم قتل فأخبر عليه السلام أن الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء. قال في الفتح، وقد ادعا

السهيلي أن الذى يتبادر فى ذكر الجناحين والطيران كجناحي الطائر لهما ريش وليس كذلك انتهى.

وأما علي فلم يرد فى أحد من الصحابة، بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فيه، وسبب ذلك كثرة مخالفيه ومبغضيه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح ورباه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلازمه من صغره إلى أن مات وبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر عقب قتل عثمان، فى أواخر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكتبت بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية فى أهل الشام فكان بينهم ما كان وقال عليه الصلاة والسلام لعلي أنت منى وأنا منك، وقال له أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدى، وقال فيه لأعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله فأعطاها لعلي فقال عليه السلام لعلي من أشقى الأولين قال عاقر الناقة. قال فمن أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم. قال قاتلك. رواه الطبراني انتهى من فتح الباري.

وأما أبو لهب فأمه لبنا بنت هاجر بكسر الجيم كناه بذلك أبوه لحسن وجهه. قال السهيلي مقدمة لما يصير إليه من اللهب وكان بعد نزول السورة لا يشك مؤمن أنه من أهل النار بخلاف غيره من الكفار، فإن الأطماع لم تنقطع من إسلامهم وصحب ولداه عتبة ومعتب وثبتا يوم حنين وعتيبة المصغر قتله الأسد كافرا كما مرّ وبعضهم يجعله الصحابي والمكبر عقير الأسد. قال اليعمري وغيره والمشهور الأول انتهى من الزرقاني، وامرأته أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان.

ولما تكلم على أعمامه ذكر عماته الإناث والمراد بالأعمام هنا والعمات أخوة الأب وأخواته فقط فلا تدخل عمومة الأب ولا عمومة الجد وإن دخل ذلك فى قوله تعالى: {حرمت عليكم أمهاتكم} (الآية) وعدد العمات ستا بلا خلاف أشار لهن بقوله:

(عـــمـــاتـه صـــفـــيـة المبـــره أمـــيـــمـــة عـــاتـكـــة وبـــره
وهـــكـــذا أم حـــكـــيـــم أروى وعـنـهـم إســــــلام الأولـى يـروى)

والمبـرة بـفـتـح الميم والبـاء ضد الـفـجـور وهـو مـضـاف إلـيـه مـا قـبـلـه وأضافها للمبرة لإسلامها كما أشار لذلك بقوله:

وعـنـهـم الإســــــــلام الأولـى

وهي صفية يروى أي ينقل وبدأ بها لشرفها بالاتفاق على إسلامها يعني أن عماته عليه السلام ست ولا خلاف فى ذلك، أما أربع منهن فشقائق عبد الله كما مرّ وهن برة وأميمة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأما صفية فشقيقة حمزة وأمها هالة بنت وهيب بضم الواو مصغرا وتبدل الواو همزة ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وهي أيضا أم المقوم وحجل. وأما أروى فأمها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث وقثم وما فى العيون من أنها شقيقة عبد الله فيه نظر أما صفية فأسلمت باتفاق كما فى المواهب فقوله وعنهم أي جميع أهل السير وشهدت صفية الخندق وقتلت رجلا من اليهود طاف بالحصن الذى كانت فيه مع نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مرّ وضرب لها عليه السلام بسهم من غنائم قريظة وكانت فى الجاهلية تحت الحارث بن حرب أخي أبى سفيان بن حرب ثم هلك عنها فخلف عليها بخفة اللام العوام بن خويلد فولدت له الزبير أحد العشرة والسائب بن العوام وهو بدري أيضا ولا عقب له وأما أميمة بضم الهمزة وفتح الميمين بينهما تحتية ساكنة فاختلف فى إسلامها كما فى الفتح وكما فى المواهب فى المقصد السابع. وفى الزرقاني عن الإصابة ما يفيد اختيار القول بإسلامها وكانت تحت جحش بن رياب بكسر المهملة فتحتية مخففة فألف فموحدة الأسدي وقد مر نسبه فى أمهات المؤمنين فولدت له زينب أم المؤمنين وعبد الله بالتنكير المجدع فى الله لدعائه المستشهد فى أحد وأبا أحمد عبدا بلا إضافة وكان ضريرا ومع ذلك يطوف مكة

أعلاها وأسفلها هاجر إلى المدينة وشهد بدرا والمشاهد قيل وهاجر إلى الحبشة وعبيد الله بالتصغير أسلم وهاجر إلى الحبشة فتنصر ومات بها كافرا والعياذ بالله تعالى وأم حبيبة زوجة عبد الرحمن بن عوف وحمنة زوجة مصعب بن عمير وقتل عنها بأحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، وأما عاتكة فاختلف فى إسلامها أيضا فعدها العقيلي فى الصحابة وقال ابن سعد أسلمت وهاجرت إلى المدينة قال ابن عبد البر وأبى ذلك الأكثرون وذكرها ابن فتحون فى ذيل الاستيعاب واستدل على اسلامها وذكرها ابن مندة فى الصحابة وهي صاحبة الرؤيا المشهورة بها فى وقعة بدر، قالت رأيت فى المنام قبل قدوم خبر العير بثلاث ليال رجلا أقبل على بعير فوقف بالأبطح فقال أنفروا يا آل غالب لمصارعكم ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى ما بقي دار ولا بيت إلا دخله بعضها انتهى المراد منها. وقد تقدمت قال الزرقاني بعد هذا وأوردها فى القسم الأول من الإصابة وحكى الخلاف فكأنه اختار القول بإسلامها انتهى. وكانت تحت أبى أمية بن المغيرة فولدت له عبد الله وزهيرا أسلما وصحبا وقريبة بفتح القاف وقيل بالتصغير أسلمت وصحبت كما فى الإصابة وفى العيون أختلف فى صحبتها وهم اخوة أم سلمة أم المؤمنين لأبيها وأما برة بفتح الموحدة فكانت عند أبي رهم بضم الراء بن عبد العزى من بنى عامر بن لؤي فولدت له أبا سبرة البدري ثم خلف عليها عبد الأسد ابن هلال المخزومي فولدت له أبا سلمة زوج أم سلمة قبل المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما أن أخاه الأسود المقتول ببدر هو أول من ياخذ كتابه بشماله ولم يذكروا لبرة إسلاما والله تعالى أعلم.

ونفى ابن اسحاق إسلام غير صفية وأما أم حكيم بفتح المهملة وكسر الكاف فقيل انها توأمة عبد الله بن عبد المطلب وكانت تقول إني لحصان فما أكلم وصناع فما أعلم وهي التى وضعت جفنة الطيب للمطيبين وهي أم أروى وعامر ابني كريز بالتصغير ابن ربيعة ابن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف وأروى هذه هي أم عثمان بن عفان ولم يذكروا

لأم حكيم إسلاما. وأما أروى فأمها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث وما في العيون من أنها شقيقة عبد الله ففيه نظر وكانت تحت عمير بالتصغير بن وهب بن عبد الدار بن قصي فولدت له طليبا بالتصغير ثم خلف عليها كلدة بالتحريك ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فولدت له فاطمة وابنها طليب من فضلاء الصحابة هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا واستشهد بأجنادين ولا عقب له وذكر ابن إسحاق أن أروى لم تسلم وتعقبه ابن عبد البر بأن العقيلي ذكرها في الصحابة وذكر الواقدي بسنده أن طليبا لما أسلم دخل على أمه أروى فقال قد أسلمت. قالت: وعضدت ابن خالك، والله لو قدرنا على ما تقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه. فقال لها طليب: ما يمنعك أن تسلمي فقد أسلم أخوك حمزة؟ فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي. فقال إني أسألك بالله إلا ما أتيتيه فأسلمت عليه وصدقته. قال فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ثم كانت بعد تعضد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلسانها وتحض ابنها على نصرته وذكر الواقدي بسنده أيضا أن أبا جهل وعدة معه آذوه عليه السلام فعمد طليب بن عمير إلى أبي جهل فشجه فأخذوه فقام أبو لهب بنصره وبلغ أروى فقالت ان خير أيامه يوم نصر ابن خاله. وجزم ابن سعد بأن أروى أسلمت وهاجرت إلى المدينة، قال ويقال أنها قالت:

إن طليبا نصر ابن خاله

وآساه في ذي دمه وماله

قال ورثت النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات منها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا

كأن على قلبي بذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا

ونسب في المواهب هذا الشعر لصفية كما ياتي في وفاته عليه السلام إن شاء الله تعالى. وقال الزرقاني لكن إنما نسبه ابن سعد وغيره لأروى

بنت عبد المطلب انتهى. وقال الزرقاني قال فى الهدي وصحح بعضهم إسلامها يعنى أروى وأوردها فى الإصابة فى القسم الأول انتهى. وفي الفتح أختلف فى إسلام أروى وأميمة وعاتكة وللعراقي رحمه الله تعالى:

عماته صفية عاتكة أم حكيم برة أميمة
أروى ولم يسلم سوى صفية قيل ومع أروى ومع عاتكة

قال المناوي فى إسلامها خلاف يعنى عاتكة وكانت عند أبي أميمة بن المغيرة، عرف بزاد الركب وأم حكيم اسمها البيضاء وهي توأمة والد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت تحت كريز بضم الكاف وفتح الراء ابن ربيعة وبرة بشد الراء أم أبى سلمة بن عبد الأسد وأم أبى سبرة بن أبي رهم وأروى كانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار ثم خلف عليها كلدة بن هاشم بن عبد مناف. وقوله قيل أي قال العقيلي والمستغفري وتبعهما ابن الأثير وأسلم منهن مع صفية أروى مع عاتكة فعدوهما فى الصحابة. وذكر الحاكم فى المستدرك أن أروى أسلمت انتهى المراد منه.

خاتمة:

لم يذكر الناظم أخواله عليه الصلاة والسلام وخاله الأسود بن وهب وروى حديثه أبن منده وخاله أيضا عمير بن وهب روى عنه الخرائطي بسند ضعيف وخاله أيضا عبد يغوث والد الأسود المستهزئ وخالته فريعة بنت وهب صحابية ذكرها الزرقاني ونظمت أخواله فقلت:

(أخواله الأسود مع عمير قد أسلما وصحبا بخير

كــذا فــريـغــة بـهــا المخــتــار باها فــقــد تم لهــا الفــخــار
ومنهم عــبــد يغــوث الوالد لأحــد المســتــهــزئين الأســود)

ومباهاته عليه السلام بها هي أنه رفعها فقال من أراد أن ينظر إلى خالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالينظر إلى هذه. وقولي الأسود خبر مبتدأ محذوف أي وهو الأسود.

ولما ذكر أعمامه وعماته صلى الله تعالى عليه وسلم أتبعهم بذكر مواليه أي عتقائه وبذكر خدامه الأحرار فقال:

(بيــان مــا لــه من الموالي والخــدم الأحــرار باحــتــفــال)

البيان الاظهار والإيضاح والموالي جمع مولى وهو العتيق هنا والخدم بالتحريك جمع خادم غلاما كان أو جارية والخادمة بالهاء فى المؤنة قليل ويجمع على خدام أيضا كما فى المصباح قاله الزرقاني. والأحرار جمع حر والمراد به هنا الحر بالأصالة بمقابلته بالموالي والاحتفال المبالغة فى الشيء والاهتمام به والباء للمصاحبة ومعنى كلامه أنه يبين هنا أي يذكر عتقاءه عليه الصلاة والسلام ومن كان يخدمه من الأحرار بالأصالة حال كونه محتفلا بذكرهم أي مهتما به ومبالغا فيه بحيث لا يترك منهم أحدا.

وفي المواهب الفصل الخامس فى خدمه ومواليه. قال الزرقاني يعلم من كلامه الآتي ان هذا متداخل فمنهم من هو من الخدم والموالي ومنهم خادم لا مولى وعكسه انتهى.

ثم شرع فى ذكر الموالي فقال (زيد أسامه ابنه) هذا خبر مبتدأ محذوف أي وهم زيد بن حارثة الكلبي وأسامة بحذف العاطف وابنه نعت لأسامة يعني أن الأول ذكر الناظم من الموالي زيد بن حارثة المنوه بذكره فى كتاب الله تعالى وبعده أسامة ابنه حب رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وزيد أحد السابقين حتى قيل انه أول من أسلم واختص بذكر اسمه في القرآن: قال تعالى {فلما قضى منها زيد وطرا زوجناكها} وقال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة وان كان لمن أحب الناس إليّ وأن هذا يعني ابنه لمن أحب الناس إلي» رواه في البخاري.

وفي البخاري أنه عليه السلام كان ياخذ أسامة والحسن ويقول: اللهم أحبهما فإني أحبهما.

وعن ابن عمر فرض عمر لأسامة أكثر مما فرض لي فسألته فقال إنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منك، وأبوه أحب إليه من أبيك. وهو صحيح. وكان يقال لأسامة الحب ابن الحب، وهو بكسر الحاء أي محبوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وزيد هو بن حارثة بن شراحيل بفتح الشين المعجمة كما في المناوي بن كعب ابن عبد العزى وكان زيد قد أسر في الجاهلية لما خرجت به أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء لتزيره أهلها فأصابته خيل بني القين لما أغارت على بني معن فأتوا به سوق عكاظ وهو غلام يقع وفي الروض ابن ثمانية أعوام فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فاستوهبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منها فوهبته له فأعتقه فجزع أبوه جزعا شديدا فمر به ناس من كلب حجوا فعرفوه وعرفهم فقال أبلغوا أهلي هذه الأبيات:

أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا	فإني قعيد البيت بين المشاعر
فكفوا عن الوجد الذى قد شجاكم	ولا تعملوا فى الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله فى خير أسرة	كرام معد كابرا بعد كابر

فلما بلغوهم الشعر أتى أبوه وعمه كعب إلى مكة فسألا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه، فقالا يابن عبد

المطلب يابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتعظمون الأسير جئنا في ولدنا عبدك فامن علينا واحسن في فدائه فإنا سنرفع لك. فقال أو غير ذلك ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني فداء. قالوا زدتنا على النصف. فدعاه فخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين أن يدفعه لهما أو يبقى عنده، فقال ما أنا بالذي أختار عليك أحدا. أنت مني بمكان الأب والعم. فقالا ويحك يا زيد أ تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك؟ قال نعم. فقال عليه السلام أشهدوا ان زيد ابني أرثه ويرثني. فطابت نفس أبيه وعمه فانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام.

وعند ابن إسحاق فلم يزل عنده حتى بعثه الله فصدقه فاتفق ابن الكلبي وابن إسحاق على أن هذه القصة كانت قبل البعثة وبه جزم في الروض وروى ابن مندة أنه عليه السلام دعا حارثة إلى الإسلام قال فأسلم وهو غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال الزرقاني ولم أر لحارثة ذكرا بإسلام إلا من هذا الوجه فإن صح فهذه قدمة ثانية قدمها بعد البعثة لتفقد ولده فهداه الله فأسلم بدليل ذكرهم له في الصحابة وأورده في الإصابة في القسم الأول.

وروى الترمذي من حديث جبلة بفتح الجيم والموحدة الصحابي بن حارثة وهو أخو زيد وأكبر منه سنا قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت أرسل معي أخي زيدا فقال ها هو ذا بين يديك ان ذهب فلست أمنعه فقال يا رسول الله لا أختار عليك أحدا. قال جبلة فوجدت قول أخي خيرا من قولي انتهى من المواهب وشرحها.

وفي الكلاعي أن أباه لما فقده بكى عليه فقال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فــــوالـلـه مــــا أدري وإنـي لـســـائـل	أغـالـك بـعـدي الـسـهـل أم غـالـك الـجـبـل
ويـا لـيـت شـعـري هـل لـك الـدهـر أوبـة	فـحـسـبـي مـن الـدنـيـا رجـوعـك لـي يـحـل
تـذكـرنـيـه الـشـمـس عـنـد طـلـوعـهـا	وتـعـرض ذكـراه إذا قـرصـهـا أفـل
وإن هـبـت الأرواح هـيـجـن ذكـره	فـيـا طـول مـا حـزنـي عـلـيـه ومـا وجـل
سأعـمـل نـص الـعـيـس فـي الأرض جـاهـدا	ولا أسـأم الـتـطـواف أو تـسـأم الابـل
حـيـاتـي أو تـاتـي عـلـي مـنـيـتـي	فـكـل امـرئ فـان وإن غـره الأمـل

انتهى. وغاله أهلكه والأوبة الرجوع، وقوله يحل أي يحلي أي كفاني، فهو بمعنى حسبي، وتعرض بفتح التاء وكسر الراء أي تاتي، وأفل سقط، وقوله وما وجل أي ما وجلي أي فزعي، وما زائدة ونص العيس أقصى ما عندها من السير، وقوله أو تسأم الابل بنصب تسأم أي حتى تسأم.

قاله كاتبه عفا الله تعالى عنه بمنه.

ولما تبنى عليه السلام زيدا زوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة بالتحريك فولدت له أسامة قبل البعثة بثلاث سنين كما لابن سعد أو لخمس كما لابن أبي خيثمة ثم زوجه عليه السلام زينب بنت جحش فلما طلقها أي زيد، زوجه أم كلثوم بنت عقبة وتوفي عليه السلام ولأسامة عشرون سنة، وكان أسامة مولى لأن أبويه معا منهم: **(ثوبان عطف على زيد بحذف العاطف)**، يعني أن ثوبان رضي الله تعالى عنه من مواليه عليه السلام، وهو ابن بجدد بضم الموحدة وسكون الجيم ومهملتين أولاهما مضمومة ويقال انه عربي من سعد بن حمير اشتراه ثم اعتقه صلى الله تعالى عليه وسلم وخيره ان يرجع إلى قومه أو يقيم عنده فأقام على ولائه ولازمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يفارقه حضرا ولا سفرا إلى أن مات عليه السلام ثم تحول إلى حمص ومات بها سنة أربع وخمسين وروى أبو داوود أنه عليه السلام قال من يتكفل لي أن لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة، فقال ثوبان أنا. فكان لا يسأل أحدا شيئا قال العلامة الزرقاني ويكنى ثوبان أبا عبد الله كما في المناوي. **(أنسة)**

بحذف العاطف أيضا فهو من الموالي ويكنى أبا سرح أومسروح كان يؤذن على المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مات فى خلافة أبي بكر قاله المناوي. **(فضالة)** كسحابة فهو من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غير منسوب قاله فى القاموس. **(شقران)** بضم المعجمة وسكون القاف فراء فألف فنون واسمه صالح بن عدي الحبشي ويقال فارسي أهداه له عبد الرحمن بن عوف ويقال اشتراه منه. وذكر البغوي أنه عليه السلام ورثه من أبيه هو وأم أيمن، شهد بدرا وهو مملوك ثم اعتقه بعد بدر. وروى الترمذي أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في القبر. قال الحافظ أظنه مات فى خلافة عثمان انتهى من المواهب وشرحها. وهذا البيت قريب من بيت العراقي.

وهو زيد أسـامـة ابنه ثوبان   أنسـة وصـالح شـقـران

(ثم رباح) بفتح الراء وموحدة خفيفة وهو نوبى أسود وكان يؤذن على المصطفى إذا انفرد وهو الذى أذن لعمر فى الدخول فى المشربة. وقال البلاذري كان يستاذن عليه ثم صيره فى لقاحه بعد قتل يسار قال الزرقاني. وفى المناوي عن الطبري أنه اشتراه من وفد عبد القيس فأعتقه انتهى.

(ويسار وارد) يسار مبتدأ ووارد خبره يعنى أن يسارا أو وارد فى الموالي أي آت فهو أيضا من مواليه عليه الصلاة والسلام وهو بتحتية فمهملة خفيفة النوبي الراعي الذى قتلته العرينيون سنة ست ومثلوا به رآه عليه السلام يحسن الصلاة فأعتقه وروى أنه عليه السلام أصاب فى غزوة بنى ثعلبة غلاما اسمه يسار لكن قالوا فى ذلك انه حبشي وهذا نوبي فهما اثنان انظر الزرقاني.

(طهمان) يعنى أن طهمان مولى له صلى الله تعالى عليه وسلم قال

في القاموس طهمان كسلمان ويضم مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى، وعده ابن سيد الناس أيضا في الموالي، ولم يذكره في المواهب إلا على انه من أسماء مواليه عليه السلام سفينة فقال وسفينة واختلف في اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك. انتهى بلفظه. وقوله وقيل مهران قال النووي وهو قول الأكثر، وقوله وقيل غير ذلك مروان ونجران ورومان إلخ. ما يأتي عند ذكر سفينة عن الزرقاني ويأتي إن شاء الله كلام العراقي والمناوي عليه.

وفيه أن طهمان اسم سفينة والله تعالى أعلم.

(مـــابور) بموحدة خفيفة مضمومة وواو ساكنة ثم راء مهملة ويقال هابو بهاء بدل الميم وبغير راء في آخره كما في الإصابة قاله الزرقاني. وقال المناوي بضم الموحدة القبطي أهداه المقوقس للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شيخا كبيرا خصيا انتهى. وفي المناوي قيل هذا انه ابن عم مارية كان ياوي إليها فاتهمت به فبلغ المصطفى فبعث عليا ليقتله فقال يا رسول الله أقتله أم أرى رأيي فيه؟ قال بل ترى رأيك فيه. فلما رأى عليا والسيف تكشف فإذا هو ممسوح.

فأخبر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب انتهى.

(عبيد) أي من مواليه عليه السلام عبيد ذكره العراقي قال المناوي هو ابن عبد الغفار مولى عتاقة له حديث ذكره ابن عساكر. **(واقــد)** وهــو مولى له عليه السلام وهو بالقاف قال الزرقاني ذكره الحسن بن سفيان والطبراني وأخرجا من طريق زادان عن واقد مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رفعه من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه انتهى. **(وأبـواهمــا)** ضمير التثنية راجع لقوله عبيد واقد ومعنى كلامه أن من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم مولى اسمه عبيد وآخر اسمه أبو واقد وظاهره كظاهر العيون أن هؤلاء أربعة واقد،

وأبو واقد، وعبيد وأبو عبيد وظاهر المواهب أن واقدا وأبا واقد واحد وبه صرح الزرقاني ونصهما وواقد وأبو واقد بأو، وقال الزرقاني بعد قوله وقد ذكره الحسن بن سفيان والطبراني وأخرجاه إلى آخر ما قدمته بعد قول الناظم واقد وفيه بعد قوله أوأبي واقد ذكره ابن مندة، وقال روى عنه زادان رفعه من أطاع الله فقد ذكره وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرءان كذا ذكره فى الإصابة فى الأسماء وفى الكنى مع ان الحديث واحد والراوي واحد غايته انه عبر أولا بالاسم وثانيا بالكنية ولذا أحسن المصنف فى التعبير بأو إشارة إلى أنه عبر عنه مرة بالاسم وأخرى بالكنية وهو واحد والعلم لله تعالى انتهى كلامه. وقال المناوي بعد قول العراقي واقد ما نصه ويقال أبو واقد ذكره ابن عساكر وغيره انتهى منه. فهذا يفيد أنهما عنده واحد والله تعالى أعلم ولم يذكر فى المواهب عبيدا ولا أبا عبيد، وللعراقي:

جـــد بلال بن يســـار زيد	حنين مـا بور كـذا عـبـيـد
أبـو عـسـيب وابـو عـبـيـد	مع أبي ضـمـيـرة سـعـيـد

قال المناوي عقب قوله عبيد ما نصه ابن عبد الغفار مولى عتاقة ذكره ابن عساكر وغيره وأبو سيب بفتح أوله اسمه احمر ذكره ابن نقطة وابن مندة وقال الموصلي اسمه مرة، وأبو عبيد له فى مسند أحمد حديث أنه طبخ قدرا فيها لحم فقال المصطفى ناولني ذراعها، فقال كم للشاة من ذراع؟ ذكره فى الموالي ابن عساكر، وأبو ضميرة بضم المعجمة مصغرا ذكره ابن عبد البر وقال كان مما أفاء الله عليه، قيل اسمه سعيد الحميري من آل ذي يزن قاله البخاري وقيل روح انتهى كلام المناوي. ومراده أنهم اثنان كما للناظم.

(ورافـــع) قال المناوي مولى المصطفى يكنى أبا البهاء بفتح الموحدة وكسرها له ذكر فى حديث عند أبن ماجه، قلت يا رسول الله من خير الناس؟ قال ذو القلب واللسان الصادق. وقيل كان أولا لسعيد بن

العاصي انتهى. ويأتي إن شاء الله تعالى مزيد كلام فيه عند قول الناظم الآتي. أسلم لأن أسلم اسم أبي رافع.

(هشام) أي من الموالي هشام ذكره ابن سيد الناس ولم ينسبه، **(حنين)** بمهملة ونونين مصغرا ذكره ابن سيد الناس في الموالي، وأما القسطلاني فذكره في الخدم، وقال منهم يعني الخدام حنين، والد عبد الله مولى عباس بن عبد المطلب كان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس انتهى.

وفي الزرقاني روى البخاري في التاريخ أن حنينا كان غلاما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوهبه للعباس عمه فأعتقه فكان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. وذكره العراقي في الموالي قال المناوي في شرحه عبد أسود، كان للنبي فوهبه لعمه فأعتقه فكان عند المصطفى يخدمه انتهى منه، فلعل عده من مواليه عليه السلام وجهه انه مولى لعمه ومع ذلك يخدمه هو عليه السلام والله تعالى أعلم.

(أحمر) أو من الموالي أحمر، قال ابن سيد الناس وأبو عسيب واسمه أحمر، انتهى وقد مر كلام المناوي. وذكر الزرقاني أحمد بالدال وأحمر بالراء على أن كلا منهما اسم لسفينة وعزا ذلك للإصابة. **(سُلَيْمُ)** بالتصغير يعني أن سليما من مواليه عليه السلام وهو أبو كبشة بكاف فموحدة فمعجمة وقيل ان اسم أبي كبشة أوس وقيل اسمه سلمة أنظر المواهب. وللحافظ العراقي نفعنا الله تعالى ببركته:

كذا أبو كبشة واسمه سليم   أو أوس اسماه به أبو نعيم

وشهد أبو كبشة بدرا ومات أول يوم استخلف عمر.

وقول الناظم: **(ذو اهتمام)** الظاهر أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو ذو اعتناء بمتابعة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ويكفيه كونه بدريا وهذا على أن ذو مرفوع وهو كذلك في بعض النسخ ولو كان ذا بالنصب

لكان صوابا ويكون منادا معرا من حرف النداء وهو أظهر أي صاحب الاعتناء بالسير والله تعالى أعلم.

(كركرة النوبي) يعني أن كركرة النوبي من مواليه عليه الصلاة والسلام وهو بفتح الكافين وكسرهما ذكره ابن قرقول ونوزع قال النووي الخلاف في الكاف الأولى وأما الثانية فمكسورة جزما أهداه له هوذة اليماني فأعتقه وجعله على ثقله وكان يمسك دابته عند القتال يوم خيبر انتهى من المناوي والنوبي نسبة للنوب بالضم جيل من السودان. **(زيد)** يعني ان من مواليه عليه السلام زيد بن بولى بموحدة وهو نوبى قال ابن شاهين أصابه في غزوة فأعتقه وهو أبو يسار بن زيد التابعي المقبول رواية روى عن ابنه بلال بن يسار وليس أبوه زيد بن حارثة أنظر الزرقاني. وقوله بولى لم يتعرض لضبط الموحدة وفي القاموس انه كسكرى وزيد هذا هو الذى مر في قول العراقي بأنه جد بلال بن يسار زيد، وفي المناوي انه عليه السلام أصابه في غزوة بني ثعلبة فأعتقه. **(أسلم)**، أي من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو رافع القبطي واسمه اسلم كما اقتصر عليه المواهب عند ذكر الموالي وذكره أيضا في الخدام، وشهر فيه ذلك قال وكان على ثقله أي بفتح المثلة وكسرها وفتح القاف أي امتعته قاله الزرقاني قال وكان للعباس فوهبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه، توفي قبل قتل عثمان بيسير انتهى كلام المواهب. وقال الزرقاني بعد قول القسطلاني واسمه اسلم على أشهر الأقوال العشرة وأسلم أبو رافع قبل بدر ولم يشهدها وشهد أحدا وما بعدها وروى عنه أولاده رافع والحسن وعبيد الله، والمغيرة قال الزرقاني وقال ابن حبان مات أبو رافع في خلافة علي كما في الإصابة، وقال أي الحافظ بن حجر في التقريب مات في خلافة علي على الصحيح. ومن الموالي أيضا أبو رافع آخر والد البهي قيل اسمه رافع، كان لسعيد بن العاصي فلما مات اعتق كل من بنيه نصيبه إلا خالد بن سعيد فوهبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعتقه وزعم جماعة أنه الأول،

قال فى الإصابة وهو غلط بين فإن الأول كان للعباس فالصواب أنهما اثنان انتهى كلام الزرقاني.

وقال ابن سيد الناس وأبو رافع قيل اسمه ابراهيم وقيل هرمز وكان للعباس ثم قال وأبو رافع أيضا والد البهي ابن أبي رافع قيل كان اسمه رافعا وكان لأبي حيحة سعيد بن العاصي فمات وورثه بنوه فأعتقه بعضهم وبعضهم وهب نصيبه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعتقه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى المراد منه وبعضه بالمعنى. وللعراقي:

كـــــذا رباح ويســـــار مـــدعم	كـــــــذا أبـو رافـع وهـو أسـلـم
وقـــيل ابراهيم أو فـــثـــابت	وهـرمـــــــز يـزيـد خلف ثـابـت
ورافع كـــركـــرة فـــضـــالة	

انتهى المراد منه. وقوله وهو أسلم قال المناوي على الأشهر انتهى. فذكر العراقي خمسة أقوال فى إسم أبي رافع قال المناوي وكان للعباس فوهبه للمصطفى فلما بشر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بإسلام العباس اعتقه، وقال بعد قوله ورافع ما نصه مولى المصطفى يكنى أبا البهاء بفتح الموحدة وكسرها له ذكر فى حديث عند ابن ماجه قلت يا رسول الله من خير الناس قال ذو القلب واللسان الصادق وقيل كان أولا لسعيد ابن العاصي انتهى

(سفينة) يعنى أن سفينة من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم فأعتقه وقال آخرون اعتقته أم سلمة وشرطت عليه أن يخدمه عليه السلام فقال لو لم تشترطي علي ما فارقته فيقال له مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومولى أم سلمة وكان من أبناء فارس، وقيل من مولدي العرب، قال فى المواهب واختلف فى اسمه فقيل طهمان

وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سفينة، لأنهم كانوا حملوه كثيرا في السفر انتهى.

وقيل اسمه مروان أو نجران أو ذكوان أو شنبة بمعجمة فنون ساكنة فموحدة فتاء تأنيث أو أحمر أو أحمد أو رباح أو مفلح أو عمير أو عيسر أو عيسى أو أيمن أو قيس أو صالح أنظر الزرقاني والمناوي.

وللعراقي بعد قوله المار فضالة ما نصه:

واقد سفينة فزارة طهمان أو كيسان أومهران
مولاه ذكوان أو مروان

قوله فزارة بفتح الفاء يعني أن هذه الأسماء مسماة على شخص واحد فقيل كذا وقيل كذا فهذه الأقوال كلها في اسم سفينه وسماه المصطفى بذلك لأنهم كانوا يحملونه في السفر متاعا كثيرا. وقيل ركب سفينة فانكسرت فركب لوحا فنجى فسمي بها، وقيل اسمه رومان انتهى من المناوي.

وفي الزرقاني أن الإمام أحمد روي عنه أنه قال كنا في سفر وكان كلما أعيى رجل ألقى على ثيابه ترسا أو سيفا حتى حملت من ذلك شيئا كثيرا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، أحمل فإنما أنت سفينة، فلو حملت يومئذ وقر بعيرين أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة ما ثقل علي. وكان إذا قيل له ما اسمك؟ يقول سماني صلى الله تعالى عليه وسلم سفينة ولا أريد غيره. انتهى.

(أنجشة) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة كما ضبطه المصنف، قاله الزرقاني. يعني أن أنجشة من مواليه عليه السلام وهو من حداته أيضا كما ياتي. وفي المناوي أنه حبشي حسن الصوت بالحداء يكنى أبا مارية. وفي الصحيح رويدك يا أنجشة، رفقا بالقوارير. وفي الطبراني أنه كان من المخنثين، على عهد المصطفى صلى

الله تعالى عليه وسلم. فقال لعن الله المخنثين أخرجوهم من بيوتكم.

(ومدعم) بكسر الميم وسكون الدال المهملة وفتح العين المهملة فميم أسلم وحسن إسلامه وقتل رضي الله عنه بعد انصرافهم من خيبر واوادي القرى قاله الزرقاني. يعني أن مدعما من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عبد أسود كان لرفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الأولى فتحتية ساكنة نسبة إلى بني الضباب بالتصغير كما في رواية مسلم وله وللبخاري أهداه أحد بني الضباب بكسر وموحدتين بينهما ألف وفي رواية ابن اسحاق الضبن بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها نون وقيل بفتح المعجمة وكسر الموحدة نسبة إلى بطن من جذام وأهداه رفاعة للمصطفى عليه السلام كما في الصحيحين والموطإ واختلف هل أعتقه المصطفى أو قتل رقيقا. وقيل أن الذي أهداه له هو فروة الجذامي وجزم في الإصابة بأنه هو. وكركرة اثنان، قاله الزرقاني.

(أبو لبابة أبو هند أبو ضمرة) (...)

كل واحد من الثلاثة معطوف بحرف مقدر ومراده ان أبا لبابة وأبا هند وأبا ضمرة معدودون في مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم أما أبو لبابة بضم اللام فذكره ابن الجوزي وغيره وكان لبعض عماته فوهبته له وأما أبو هند فذكره ابن حبيب والنيسابوري والطبري وقال ان المصطفى قال زوجوا أبا هند، وتزوجوا إليه ابتاعه منصرفه من الحديبية وأعتقه. قاله المناوي.

وأما أبو ضمرة فذكره العراقي بلفظ التصغير ولا يتزن بيته إلا به وقد مر وهو:

أبو عسيب وأبو عبيد مع أبي ضميرة سعيد

وضبطه المناوي بضم الضاد المعجمة مصغرا وقال ذكره ابن عبد البر وقال كان مما أفاء الله عليه، قيل اسمه سعيد الحميري من آل ذي يزن قاله البخاري وقيل روح وقيل غير ذلك انتهى كلامه وكذا ذكره ابن سيد الناس مصغرا والله تعالى أعلم.

(والإمــــاء حين تحــــسب مــــارية سلمى وأم رافع)

الإماء جمع أمة وتحسب بالبناء للمفعول، تعدو الإماء مبتدأ وخبره مارية إلخ، وسلمى هي أم رافع كما في ابن سيد الناس والمناوي والمواهب والزرقاني وما رأيت من النسخ أعطف فيه أم رافع بالواو، فأما أن يكون عطف تفسير ولكن فيه إيهام التعدد، وأما أن يكون تصحيفا أي يعني أن موالياته صلى الله تعالى عليه وسلم سبع حين تعد على ما ذكر الناظم؛ فمنها مارية أم سيدي ابراهيم القبطية وهي بنت شمعون بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وبالعين المهملة وقيل بإهمالهما وقيل بإعجامهما أهداها له المقوقس واسمه جريح من مينا القبطي وأهدى له معها أختها سيرين بكسر السين والراء المهملتين بينهما تحتية ساكنة فياء فنون فوهب النبي عليه السلام سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن وأهدى له أيضا أختهما قيصر بفتح القاف وسكون التحتية فصاد مهملة عند مغلطاي وغيره وعند اليعمري وابن القيم بسين مهملة فراء وذكرها في المواهب مولاة له عليه السلام وكذا عدها العراقي قال المناوي في شرحه قيل زوجها لجهم بن قيس فولدت له ذكرا وقال الزرقاني بعد كلام المواهب قيل وهبها صلى الله تعالى عليه وسلم لأبيه جهم ابن حذيفة وقيل لجهم بن قيس العبدري ثم قال الزرقاني بعد كلام وكونها أمة لا شك فيه لأنه ملكها ووهبها انتهى المراد من كلامه.

وقال ابن سيد الناس في العيون ومن النساء أم أيمن الحبشية

واسمها بركة وسلمى أم رافع، إلى ان قال وقيصر القبطية أهداها له المقوقس مع مارية وسيرين قيل وهبها لأبي جهم بن حذيفة وقيل وهبها لجهم بن قيس.

وذكر ابن يونس أن زكرياء ابن الجهم ابن القيسر اخت مارية هذه وأما سيرين فوهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن. انتهى منه.

ومنها أم رافع واسمها سلمى وهي زوج أبي رافع مولاه عليه السلام وهو أسلم المتقدم ذكره. وفى المواهب وسلمى أي بفتح فسكون كما فى الزرقاني أم رافع زوج أبي رافع.

قال الزرقاني يقال أنها مولاة له عليه السلام ويقال أنها مولاة لصفية وكانت تخدمه عليه السلام وروى الترمذي أنها قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرحة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء وروى أحمد عن عائشة: جاءت سلمى امرأة أبي رافع مولي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت إنه أي أبا رافع يضربني، فقال ما لك ولها؟ قال انها توذيني. قال بماذا آذيتيه؟ قالت: ما آذيته ولكنه أحدث، وهو يصلي فقلت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ فقام يضربني. فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك ويقول يا أبا رافع لم تامرك إلا بخير.

قال فى الإصابة وسلمى هي أم رافع انتهى.

(بركة كانت بخير شافع حاضة...)

قوله بركة مصروف للضرورة عطف على مارية واسم كان عائد على بركة وحاضنة بالنصب خبر كان ويتعلق به المجرور قبله يعنى أن من مولياته صلى الله تعالى عليه وسلم بركة وهي حاضنته عليه السلام وهي أم أيمن وكان يقول عليه السلام أم أيمن أمي بعد أمي أي فى الشفقة

والحنو، على أو فى رعايتي لها واحترامها وتعظيمها، وقال فيها من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فاليتزوج أم أمين فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بعد موت زوجها عبيد الخزرجي وهو أبو أيمن علي الصحيح المكناة به فهو خزرجي لا حبشي كما مر. قيل كانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها عليه السلام وأعتقها لما تزوج خديجة، حكاه ابن سعد. وقيل كانت لأمه عليه السلام حكاه ابن أبي خيثمة. أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين إلى الحبشة والى المدينة وقد مر الكلام عليها وعلى ابنها أيمن فى صدر الكتاب عند قول الناظم: إذ حضنته..

(ميمونة) بالرفع عطف على مارية بحرف مقدر أي ومن الموليات ميمونة ذكرها العراقي. وفى المناوي أنها بنت سعد انتهى. وفى العيون وميمونة بنت سعد وميمونة بنت أبي عسيب انتهى. وعليه فهما اثنتان والله تعالى أعلم.

وتقدم فى الموالي أبو عسيب .

(ريحانة) أي ومنهن ريحانة وقيل اسمها ربيحة بالتصغير كما فى الإصابة وهي بنت شمعون بمعجمتين ابن زيد بن عمر بن قنافة بالقاف أوخنافة بالخاء المعجمة وقال فى المواهب من بنى عمر بن قريظة وقيل من بنى النضير والأول أظهر انتهى. وفى الزرقاني قال ابن عبد البر قول الأكثر أنها قرظية وقيل نضيرية انتهى.

قال ابن إسحاق وسباها صلى الله عليه والسلام فأبت إلا اليهودية فعزلها ووجد فى نفسه فبيما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة فبشره فسرّه ذلك وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني فى ملكك فهو أخف علي وعليك. فتركها واصطفاها لنفسه وكان يطؤها بملك اليمين وماتت قبل وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع

وقيل اعتقها وتزوجها واقتصر عليه ابن الأثير وقال الواقدي انه الأثبت عند أهل العلم. وعند العراقي أنه الأرجح والله تعالى أعلم.

(خضرة، رضوى) أي ومنهن خضرة ومنهن رضوى. قال المناوي وهي بفتح الراء والواو ذكرها المستغفري وابن سعد انتهى كلامه.

(فعوا حسبانه) هو أمر من وعاه إذا حفظه وحسبان بضم الحاء وكسرها العد أي فاحفظوا يا مخاطبين حد ما ذكر من مواليه ومولياته.

فوائد:

- الأولى قال النووي اعلم ان هؤلاء الموالي لم يكونوا موجودين فى وقت واحد للمصطفى بل كانوا كل منهم بعصر نقله غير واحد؛

الثانية لم يذكر الناظم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تسرى بغير مارية القبطية فقد تسرى بثلاث سواها ذكرها فى المواهب وهي ريحانة وأمة أخرى وهبتها له زينب بنت جحش والرابعة أصابها فى بعض السبي انتهى قوله وأخرى وهبتها له زينب. قال فى النور لا أعرف اسمها وفيه تقصير ففي الإصابة ان اسمها بقيسة. وقوله الرابعة أي بالنظر لمارية قال البرهان لا أعرف اسمها. قال أبو عبيد وكانت جميلة فكادها نساؤه وخفن أن تغلبهن عليه انتهى من الزرقاني. قال جامعه فقد نظمتهن تسهيلا للحفظ فقلت:

(أما سراريه سوى القبطية	**فهي ثلاث فلها المزيه**
ريحانة ميمونة وأخرى	**لا أعرف اسمها وحازت فخرا**
فكادها نساؤه وخفنا	**من حسنها عليه ان يغلبنا**
وكون أولاها من السراري	**خلافه لابن الأثير جار**
وقوله رجحه العراقي	**مخالفا للمذهب الاسحاقي)**

المزية الفضيلة وقوله وحازت فخرا أي شرفا، لجمالها، وقوله يغلبن

بالبناء للمفعول والضمير المجرور بعلى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق بيغلبن أي خفن أن تغلبهن هذه الجارية عليه صلى الله تعالى عليه وسلم. وقوله وكون أولاها يعني ريحانة من السراري خلافه جار لابن الأثير، فإنه اقتصر على أنها من الزوجات ورجحه الواقدي وقول ابن الأثير هو الذى رجحه العراقي حال كونه مخالفا لمذهب ابن اسحاق فإنه جزم بأنها كانت توطأ بملك اليمين.

وللعراقي في عد الزوجات بعد ذكره لأمنا جويرية:

فبعدها ريحانة المسبية وقيل بل ملك يمين فقط
لم يتزوجها وذاك أضبط

قوله وذاك أي الأولى، وهو كونها زوجة. أضبط أي أقوى وأصح أنظر المناوي.

قال الزرقاني والسراري بخفة الياء وشدها جمع سرية بضم السين وكسر الراء المشددة ثم تحتية مشددة مشتقة من التسرر وأصله من السر وهو من أسماء الجماع، سميت بذلك لأنه يكتم أمرها عن الزوجة غالبا، وضمت سينها جريا على المعتاد من تغيير النسب للفرق بينها وبين الحرة إذا نكحت سرا، وقال الأصمعي مشتقة من السرور لأن مالكها يسر بها فضمها قياسي انتهى.

الفائدة الثالثة بقي كثير من الموالي لم يذكره الناظم وسأذكر من نظم العراقي ما تضمنه بعض من لم يذكره الناظم وإن كان فيه بعض من ذكرهم. فمن نظمه:

ومن مواليه أبو مويهبه حازوا به فخرا على المرتبه

وهو من مولده مزينة ذكره ابن سعد والحاكم وقال شهد المريسع وكان يقود بعير عائشة اشتراه المصطفى وأعتقه ولايعرف له اسم غير كنيته

وقول حازوا به أي حاز به مزية قاله المناوي، ثم قال:

أفلح مع أنجشة وأسلم	أيمن بإذام وبدر حاتم
دوس قفير سابق رويبع	سعيد اثنان عبيد رافع
سندر سالم كريب غيلان	كذا عبيد الله سعد سلمان

باذام بموحدة وذال معجمة وبدر هو ابن عبد الله وحاتم قال اشتراني صلى الله تعالى عليه وسلم فأعتقني وقال له حاتم لا أفارقك وإن أعتقتني ودوس ذكره ابن مندة وقفيز بفتح القاف وكسر الفاء آخره زاي وسابق بمهملة وموحدة ورويفع يماني ولا عقب له وقوله اثنان هما سعيد بن زيد ذكره الدمياطي وسعيد بن أبي كندر ذكره ابن الجوزي وسند بفتح المهملة وسكون النون وسالم ذكره أبو نعيم وكريب ذكره ابن الأثير، وغيلان ذكره ابن السكن وهو بفتح المعجمة وعبد الله هو ابن أسلم وسلمان هو الفارسي ذكره في مواليه لأنه أدى عنه كتابته وأعانه على العتق، قال النووي اتفقوا على أنه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل عاش ثلاث مائة انتهى من المناوي.

وفي المواهب في الموالي: وسلمان بن عبد الله الفارسي ويقال له سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير أصله من أصبهان وقيل من رام هرمز أول مشاهده الخندق ومات سنة أربع وثلاثين ويقال بلغ ثلاثمائة سنة انتهى مع بعض كلام الزرقاني. ورام هرمز بفتح الراء والميم بينهما ألف وضم الهاء والميم بينهما راء ساكنة وآخره زاي مدينة بأرض فارس مركبة تركيب مزج وينبغي كتابة رام منفصلة وهذا رواه البخاري فعلى المصنف مؤاخذته حيث جزم بالأول. ورفض الثاني. وروى الحاكم وابن حبان أنه كان ابن ملك وانه خرج في طلب الدين وانتقل من عابد على عابد وسمع به صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج في طلبه فأسر وبيع بالمدينة وتداوله بضعة عشر اشتغل بالرق وروي انه شهد بدرا

وعمر طويلا حتى قيل انه أدرك عيسى عليه السلام وقيل بل أدرك وصي عيسى وروى أبو الشيخ أن أهل العلم يقولون عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين فأما مائتين وخمسين فلا يشكون فيها وهذا فى عدهم سلمان من الموالي. أنظر فى قصة أنه لما قدم عليه السلام المدينة أتاه سلمان ورأى علامات النبوءة فأسلم فقال كاتب على نفسك فكاتب على أن يغرس ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية من ذهب، فغرس عليه السلام الكل بيده فقال أعينوا أخاكم فأعانوه حتى أدى ذلك كله وعتق. انتهى المراد من الزرقاني.

ثم قال العراقي:

محمد هو ابن عبد الرحمن	مكحول نافع نفيع وردان
هرمز واقد يسار شمعون	ضميرة فضالة وعمرون
كذا نُبيه ونبيل وهلال	كذا أبو رافع آخر يقال
أبو البشير وأبو أثيبه	أبو لقيط وأبو صفية
كذا أبو الحمرا أبو سلام	مع أبي هند أي الحجام

ومحمد هو ابن عبد الرحمن بن ثوبان ومكحول أورده المستغفري ونافع أبو السائب كان لغيلان بن سلمان فأسلم وغيلان مشرك ففر إلى المصطفى فأعتقه ووردان قال النيسابوري سباه المصطفى من الطائف وأعتقه ومات فى حياته. وهرمز ذكره النووي وجعله غير طهمان الذى قيل فيه هرمز، وشمعون أبو ريحانة سرية المصطفى وضميرة بضم المعجمة أبن أبي ضميرة وعمرون قدم على عمر بن عبد العزيز وسأله حاجته فأجابه وقال لو سألتني إلى ان توارت بالحجاب ما منعت ونبيه مصغر، وقيل بوزن عظيم اشتراه من مولدي السراة وأعتقه ونبيل بفتح النون ذكره النووي وهلال بن الحارث ويقال هلال بن ظفر أبو الجمل بجيم ولام والأكثر أبو الحمراء بحاء وراء وأبو رافع آخر أي غير أبي رافع أسلم المذكور وأبو البشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة وأبو أثيبة بضم الهمزة وفتح المثلثة وأبو لقيط حبشي وأبو صفية ذكره ابن

عساكر، وأبو الحمرا بالقصر للضرورة هو هلال المار كما في الإصابة وغيرها وأبو سلام بشد اللام أنظر المناوي، ونفيع بضم النون ابن مسروح بمهملات. روي انه قال أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإن أبى الناس إلا أن ينسبوني فأنا نفيع ابن مسروح كذا في الزرقاني.

وفي المواهب ومنهم أبو الحمراء مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم وخادمه واسمه هلال ابن الحارث أو ابن ظفرا ومنهم أبو السمح بفتح السين المهملة وسكون الميم فمهملة واسمه إياد.

تنبيه:

قول المناوي : وشمعون أبو ريحانة سرية المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. ذكره الزرقاني. نحوه عن السخاوي وابن سيد الناس لكن ذكر أن الشامي قال وهو وهم بلا شك: فإنه من النضير أو قريظة، فوالداها من بني إسرائيل ولم يقل أحد أنه أسلم ولا أنه خدم النبي عليه السلام وأبو ريحانة المذكور في الخدم أزدي أوأنصاري أو قرشي وجمع بين الأقوال بأن الأنصار من الأزد، ولعله حالف بعض قريش فهو غير والد ريحانة السرية قطعا. انتهى وهو تعقب جيد. قاله الزرقاني.

وفيه في موضع آخر أن الحافظ قال في التبصير في حرف الشين المعجمة واهمال العين فمارية بنت شمعون أم ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبمعجمتين أبو ريحانة الصحابي، شمعون. انتهى.

وذكر العراقي في الإماء: أميمة ذكرها ابن الأثير، وروي أنها قالت كنت أوضئ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ورزينة بفتح الراء وكسر الزاء وسكون التحتية فنون وقيل بزاي فراء حكاه في الجوهرة

وركانة بضم الراء ذكره القداسي في سراريه عن أبي عبيدة. انتهى من المناوي.

(وكـــان مـن خـــدامـــه الأحـــرار أنـس ابـن مـــالك الأنصـــار)

المجرور خبر كان واسمها أنس بالتحريك، والخدام بضم المعجمة وشد الدال جمع خادم والأحرار جمع حر وهو خلاف المملوك يعنى أنه كان ممن خدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الأحرار، أنس بن مالك بن النضر، بالضاد المعجمة ابن خضم بن زيد بن حرام بن جندب ابن غنم بن عدي ابن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري أحد المكثرين من الرواة. وفى الصحابة أنس بن مالك القشري، فلذا قيل بالأنصاري، قاله الزرقاني شارحا لعبارة المواهب وهي كعبارة الناظم فلذا قيد هو بالأنصاري والله تعالى أعلم. وصح عنه أنه قال: قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين وأن أمه أم سليم بالتصغير بنت حرام أتت به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم فقالت هذا أنس غلام يخدمك فقبله وكناه عليه السلام أبا حمزة بالحاء والزاء بلغة كان يحبها ومازحه فقال له يا ذا الأذنين، وقال محمد بن عبد الله الأنصاري خرج أنس بن مالك معه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بدر يخدمه أخبرني أبي عن مولى لأنس أنه قال له أشهدت بدرا؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك. وإن لم يذكروه في البدريين لأنه لم يكن في سن من يقاتل.

وروى البخاري أنه غزا معه عليه السلام ثمان غزوات، ذكره في الإصابة فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كما في المواهب اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة.

وقال أنس رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة. فقال كما في الزرقاني عن الطبراني فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة

وعشرين وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين وتوفي بالبصرة سنة ثلاثة وتسعين أو اثنتين وتسعين أو إحدى وتسعين فقد جاوز المائة بسنة أو بثلاث أو بسبع وقيل عمره مائة إلا سنة واحدة.

وروى ابن السكن عن ثابت: قال لي أنس هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فضعها تحت لساني، قال فوضعتها تحت لسانه فدفن وهي تحت لسانه أنظر الزرقاني.

والعراقي:

فأنس ألزمهم للخدمة   اسما وهند ولدا حارثة

قال المناوي أي أول خدامه أنس بن مالك وكان ألزمهم بالخدمة، خدمه عشر سنين متوالية ودعا له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة. فدفن من صلبه نحو مائة وعاش نحو مائة، وصارت نخله تحمل السنة مرتين. انتهى.

وأسماء وهند أسلميان وهند من أصحاب الحديبية وهو الذي بعثه المصطفى لقوله يامرهم بصوم عاشوراء. وعن أبي هريرة ما كنت أرى أسماء وهندا إلا خادمين للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم للزومهما بابه قاله المناوي. وفي الزرقاني.

ومن خدامه صلى الله تعالى عليه وسلم أسماء وأخوه هند ابنا حارثة الأسلمي انتهى وياتيان للناظم:

قال أبو هريرة ما رأيت أحدا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أنس.

(ثم ابن مسعود) ثم هنا للترتيب الإخباري أي ومن خدامه عليه السلام عبد الله بن مسعود بن غافل بالغين المعجمة والفاء ابن حبيب ابن شمخ بفتح المعجمة وسكون الميم فالخاء معجمة ابن فارعاء بألف فراء ابن

مخزوم بن صاهلة بن كامل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة فهو هذلي حليف لبني زهرة وأمه أم عبد بن عبد ود، أسلمت وصحبت قاله الزرقاني وهو أحد السابقين الأولين. روى البغوي بسند صحيح أنه كان سادس الستة وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها معه عليه السلام ولازمه وقال له أذنت لك أن ترفع الحجاب، وأمره أن يصعد شجرة فياتيه بشيء منها فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا فقال عليه السلام مم تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان من أحد وقال من سره أن يقرأ القرءان غضا كما نزل فاليقرأه على قراءة ابن أم عبد. وقال أبو موسى قدمت أنا وأخي فمكثنا حينما نرى ابن مسعود إلا أنه من أهل البيت لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن مسعود صاحب الوسادة، وفي الصحيح الوساد بلا هاء وهما المخدة والمطهرة بالهاء وبلا هاء والسواك والنعلين وكان إذا قام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ألبسه نعليه ثم ياخذ العصى فيمشي بين يديه وإذا جلس جعلهما في ذراعيه كل فردة في ذراع حتى يقوم قال الزرقاني وكان حكمة ذلك تخلية يديه لخدمته عليه السلام، أو شغلهما بالطاعة، وفضائله كثيرة. وتوفي بالمدينة سنة اثنين أو ثلاث وثلاثين وقد جاوز الستين ودفن بالبقيع قاله الزرقاني.

(بـــلال) معطوف بحرف مقدر أي ومن خدامه بلال بن رباح المؤذن مولي أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وكان يلي أمر نفقاته عليه السلام ومناقبه كثيرة. قال عمر بن الخطاب أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا. (وأبو ذر) أي ومن خدمه عليه السلام أبو ذر الغفاري بمعجمة مكسورة المعروف بالزهد وصدق اللهجة أسلم قديما بمكة وأعلن بإسلامه بين قومه وضربوه فأجاره العباس ويقال انه اسلم بعد أربعة ورجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم، ومضت بدر وأحد ولم

تتهيأ له الهجرة إلا بعد ذلك وكان طويلا أسمر اللون حنيفا روى أحمد عنه إني لأقربكم مجلسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيامة، وقال عليه السلام ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر. وقال عليّ أبو ذر وعاء ملئ علما، ثم أوكي عليه واختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور انه جندب بن جنادة بضم الجيم ابن السكن، وتوفي بالربذة بفتح الراء الموحدة والمعجمة بقرب المدينة انظر الزرقاني.

(ربيعة ابن كعب حسبوا) بالبناء للمفعول أي عدوا، وهو تميم ويصح أن يكون قوله ربيعة منصوب بحسبوا بعده وفاعله راجع إلى علماء السيرة، ومعناه عدوا والفعل كنصر يعني أن ربيعة بن كعب عده أهل السير في خدمه صلى الله تعالى عليه وسلم، وكعب هو ابن مالك بن يعمر الأسلمي بالفتح نسبة إلى أسلم قبيلة من الأزد، كان صاحب وضوئه عليه السلام بضم الواو والذى يباشره فيه بنحو صب الماء فغايرت خدمته صاحب المطهرة، وكان من أهل الصفة، ولم يزل معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قبض، فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة فبقي إلى أيام الحرة وتوفي بعده سنة ثلاث وستين في ذي الحجة أنظر الزرقاني.

وفي مسند أحمد عنه كنت أخدم المصطفى فقال سلني. فقلت أسألك أن تشفع لي وتعتقني من النار فصمت قليلا، ثم قال إني فاعل. فأعني على نفسك بكثرة السجود. انتهى من المناوي.

(وعقبة ابن عامر) أي ومن خدمه عليه الصلاة والسلام عقبة بالقاف ابن عامر بن عبس بفتح المهملة وسكون الموحدة ابن عامرو بن عدي بن

عمرو بن رفاعة وكان صاحب بغلته ويقود به في الأسفار رفقا به عليه السلام في صعودها وهبوطها أو خروجها عن الطريق وكان عالما بالكتاب والسنة والفرائض شاعرا فصيحا مفوها بضم الميم اسم مفعول من فوهه الله أي أقدره الله على النطق ووسع فمه، وهو جهني. وفي الصحابة عقبة بن عامر الأنصاري وعقبة بن عامر السلمي بضم السين فلو قيده الناظم بذلك كما فعل صاحب المواهب كان أولى وروي أنه قال بينما أنا أقود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في نقب بفتح النون وسكون القاف أي طريق من تلك النقاب إذ قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أركب يا عقبة فأجللت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أركب مركبه ثم أشفقت أن يكون معصية فركبت هنيهة تصغير هنة بزيادة الهاء أي شيئا يسيرا ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. ولي مصر لمعاوية ومات سنة ثلاث وخمسين.

(وسـعـد) بسكون العين مولى أبي بكر الصديق وقيل اسمه سعيد بكسر العين فتحتية قاله المناوي وكان المصطفى تعجبه خدمته فقال لأبي بكر اعتقه فأعتقه فلزم خدمته.

(ذو مخمر) أي ومن خدمه صلى الله تعالى عليه وسلم ذو مخمر بكسر الميم وسكون المعجمة الحبشي ابن أخ النجاشي أوابن أخته وفد على المصطفى وخدمه ثم نزل الشام قاله المناوي. وفي الزرقاني ذو مخمر بالميم ويقال بموحدة ابن أخ النجاشي وابن أخته بعثه ليخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نيابة عنه منه، وفيه نوع مخالفة لما قبله والله تعالى أعلم.

(أسماء ثم هند) أي ومن خدمه صلى الله تعالى عليه وسلم أسماء وهند أخوه وهما ابناء حارثة الأسلمي كما تقدم في شرح بيت العراقي وهما رجلان كما علمت.

فائدة:

ترك الناظم من الخدام بكير بن شداخ بفتح المعجمة وشد الدال المهملة فخاء معجمة الليثي وأسلع بفتح الهمزة وسكون المهملة فلام فعين مهملة ابن شريك الأعرجي بالراء التميمي وروي أنه أشجعي وجمع بأنهما رجلان وأسلع صاحب راحلته عليه السلام كان يضع الرحل عليها وينزله عنها وفي الطبري عن أسلع قال كنت أخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأرحل له فقال لي ذات يوم يا أسلع قم فارحل. فقلت يا رسول الله أصابتني جنابة. فسكت صلى الله تعالى عليه وسلم وأتاه جبريل بآية الصعيد قاله في المواهب قال الزرقاني وفي إسناده الربيع بن بدر التيمي وهو متروك وعمر بن جراد وهو مجهول فهذا ضعيف ولا يعارض حديث عائشة في الصحيحين في سبب نزول الآية انتهى، وأربد هذا غير منسوب ومن زعم أنه ابن حبزة وابن حميد فقد وهم ذكره ابن مندة في خدامه.

قال المناوي وترك أيضا الأسود والحدرجان ابني مالك الأسدي اليماني خدماه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله الزرقاني والذي في العراقي أن الأسود بن مالك والآخر ابن أخيه الحدرجاني واسمه جزر بن الحدرجان وللعراقي:

ربيعة مع ابن مسعود أبو	ذر بكير وليث نسب
وابن شريك أسلك فأربد	كذا ابن مالك والاسم أسود
وابن أخيه الحدرجان جزر	له بخدام النبي ذكر

قال المناوي أي وكذا من خدامه الأسود بن مالك الأسدي اليماني ذكره ابن مندة وابن أخيه الحدرجان بحاء ودال وراء مهملات ابن مالك قيل إنما هو أخوه وبه جزم الحافظ بن حجر وجزر بفتح الجيم وسكون الراء وهو ابن الحدرجان ذكره ابن مندة انتهى، الحدرجان بالكسر كما في

القاموس ومن خدامه أيضا معيقيب بكسر القاف فتحتية مصغرا فموحدة ويقال بلا ياء ثانية ابن أبي فاطمة الدوسي أسلم قديما وشهد المشاهد وهاجر الهجرتين وكان يلي خاتمه ومنهم قيس بن سعد بن عبادة وكان له بمنزلة صاحب الشرطة من السلطان وأقام في خدمته عشر سنين أخرجه ابن عساكر قاله المناوي. والشرطة قال الزرقاني بضم المعجمة والراء وقد تفتح الراء الواحد شرطي أي كان قيس بمنزلة كبيرهم وهم أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم الأشداء الأقوياء من الجند وقيل لأنهم نخبة الجند، وشرطة كل شيء خياره وقيل لمن لهم علامات يعرفون بها. وفي البخاري قال أنس أن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير انتهى.

ومن الخدام أيضا المهاجر مولى أم سلمة ومنهم أيمن ابن أم أيمن وهو أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال الخزرجي كما نسبه ابن سعد وابن مندة وقال أبو عمر أيمن بن عبيد الحبشي وهو ابن أم أيمن وقد فرق ابن أبي خيثمة بين الحبشي وبين ابن أم أيمن، وهو الصواب فإن الحبشي أحد من جاء مع جعفر بن أبي طالب، من الحبشة، كما في الإصابة انتهى من الزرقاني.

ومنهم ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري كان يخدمه فبعثه في حاجة فمر بباب رجل من الأنصار فرأى امرأته تغتسل فكرر النظر إليها فخاف أن ينزل فيه الوحي فهرب على وجهه ومات خوف من الله تعالى في حياة المصطفى عليه السلام. ومنهم نعيم مصغيرا ابن ربيعة الاسلمي. ومنهم سابق وسالم، ذكرهما من خدامه ابن عبد البر. وللعراقي:

وسابق وسالم قد ذكرا	وقيل سلمى واعدد المهاجرا
قيس ابن سعد أيمن ثعلبة	كذا نعيم أبه ربيعة

وقوله وقيل سلمى، أي وقيل هو سالم المذكور، انظر المناوي. ومن الخدم أيضا أم عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورزينة براء ثم زاء مولاة زوجة صفية كما فى الإصابة ومارية جدة المثنى بن صالح لها حديث عند أهل الكوفة قالت صافحت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم أر كفا ألين من كفه أنظر الزرقاني.

(بيان حراس النبي المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا)

الحراس جمع حارس وهو الحافظ المانع له ممن يريده بسوء ويجمع أيضا على حرس بفتحتين وعلى أحراس أي هذا بيان ما كان يحرسه صلى الله تعالى عليه وسلم ويمنعه من أعدائه من أصحابه.

(حرسه فى يوم بدر سعد فتى معاذ وامرءان بعد في أحد)

حرسه فعل ماض ومقتضى القاموس أنه ككتب ومعاذ مضاف إليه ما قبله وصدق فى أنه فتى من ولد معاذ وفتى نعت لسعد وسعد هذا هو سيد الأوس، وقد ذكروا أنه فى الأنصار بمنزلة أبي بكر فى المهاجرين وقد سوده عليه السلام حيث قال قوموا إلى سيدكم أسلم بين العقبة الثانية والثالثة على يد مصعب بن عمير فأتى إلى قومه بنى عبد الأشهل ومعه أسيد بن حضير فقال إن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تومنوا فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلامسلم ومسلمة. وقد مر بأبسط من هذا وشهد بدرا وأحدا والخندق فرمي فيه بسهم حتى عاش بعده شهرا حتى حكم بين قريظة ثم مات بسببه رضي الله عنه ومناقبه كثيرة.

ومعنى كلامه أن حراسه صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم بدر ويوم

أحد ثلاثة من الصحابة على سبيل التوزيع فيوم بدر حرسه سعد بن معاذ سيد الأوس حين نام فى العريش فكان سعد على باب العريش متوشحا سيفه فى نفر من الأنصار والصديق مع المصطفى داخل العريش شاهرا سيفه لئلا يصل إليه أحد من المشركين، وبعد بدر فى أحد حرسه محمد بن مسلمة الأنصاري وذكوان كما أشار إليه فى قوله:

(محمد ذكوان). بدل من قوله امرءان، أو بيان أي وحرسه بعد بدر فى أحد محمد بن مسلمة وذكوان.

(عليهما الرحمة والرضوان) الرحمة الانعام والرضوان انعام خاص فهو أخص من الرحمة وهي تعم كل ملائم هذا شرح كلامه بحسب ظاهره واقتصر فى المواهب حين تعرض لحراسه على أن الذى حرسه فى أحد هو محمد بن مسلمة وكذا ابن سيد الناس فى عيون الأثر ولفظ العيون ويوم أحد محمد بن مسلمة وأما ذكوان فإنما ذكره بأنه حرسه بواد القرى ولفظه وحرسه بواد القرى بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد القيس، انتهى. ونقل كلامه هذا الزرقاني فى شرح المواهب مقتصرا عليه انتهى.

وذكوان بن عبد القيس أنصاري زرقي وهو مع ذلك معدود من المهاجرين سكن مع المصطفى عليه السلام بمكة ثم هاجر إلى المدينة وقد ألغزت به فقلت عاطفا له على ألغاز قبله:

وبدء من الأنصار عد مهاجرا فجاز بذاك الوصف سبقا على سبق

والبدأ السيد .

(**والحارس الزبير يوم الخندق**) يعنى أنه عليه الصلاة والسلام يوم الخندق حرسه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ولفظ العيون، ويوم الخندق الزبير بن العوام ولفظ المواهب

ومنهم الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق قال الزرقاني يحتمل حقيقة اليوم ويحتمل زمن الخندق ببقائه أياما.

(وابن أبي وقاص خير مشفق ثم أبو أيوب وابن بشر
في خيبر المشهور دون نكر)

(قد حرسوه.) قوله ابن مبتدأ وما بعده معطوفان عليه، والخبر قد حرسوه، والمجرور متعلق بقوله قد حرسوه، والمشفق هنا الخائف من الله تعالى ووقاص غير مصروف للوزن ومراده أن هؤلاء الثلاثة قد حرسوه في خيبر دون انكار وسعد هو ابن أبي وقاص واسمه مالك ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فجده أهيب أخو وهب أبي آمنة أم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو أيوب اسمه خلد بن زيد بن كليب من بني مالك بن النجار شهد بدرا والمشاهد وهوالذي نزل عليه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة وابن بشر هو عباد بن بشر الأوسي. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ثلاثة من الأوس لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا: سعد بن معاذ، وعباد بن بشر وأسيد بن حضير. أو كما قالت. والذي في العيون: وحرسه ليلة بنى بصفية أبو أيوب الأنصاري بخيبر وببعض طريقها وذكر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم أحفظ أبا أيوب كما بات يحفظني. انتهى وفي المواهب كان يحرصه عليه الصلاة والسلام أيضا عباد بن بشر. قال الزرقاني عبر بكان مع المضارع المفيد للتكرار، إشارة إلى تكرر حراسته انتهى، وأما سعد فلم يذكرا حراسته له، إلا بواد القرى، فالله تعالى أعلم.

(ثم في واد القرى كان بلال حارسا بلا امترا)

الامتراء الشك، أي وكان بلال ابن رباح المؤذن حارسا له عليه السلام في وادي القرى بلا شك وتقدم أن سعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد

القيس حرساه معه، وفى المواهب وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يوم بدر فى العريش شاهرا سيفه على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يصل إليه أحد من المشركين. قال الزرقاني كأنه لم يعده من الحرس، لأن فعله من نفسه خوفا وشفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصده منه انتهى.

ومقتضاه أنه لا يعد من الحرس إلا من قصد عليه السلام ذلك منه والله تعالى أعلم.

وروى الطبراني أن أبا قتادة حرسه عليه السلام ليلة بدر انتهى.

قال فى الإصابة وهو غلط فإنه لم يشهد بدرا انتهى وحرسه أيضا أبو ريحانة الأنصاري فى سفر، رواه أحمد وأبو أيوب ليلة دخوله على صفية وابن مسعود ومرشد ابن أبي مرشد الغنوي وحذيفة وخشرم بن الحباب ومحجن بن الأدرع الأسلمي على ما ذكره الشامي والبرهان وكان العباس عمه فيمن يحرسه رواه الطبراني أنظر الزرقاني.

(وترك الحراس لما أخبرا بعصمة الله له خير الورى)

العصمة بالكسر المنع، وأخبر مبني للمفعول وخير بالرفع يتنازعه: ترك، يطلبه: فاعلا، وأخبر: يطلبه نائبا، عن الفاعل. ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحترس من أعدائه حتى أنزل الله تعالى عليه: {والله يعصمك من الناس} وترك الحراس حينئذ. وللعلماء فى هذه الآية تاويلان أحدهما أن العصمة عامة فى كل مكروه وأن الآية نزلت بعد أن شج وجهه أوكسرت رباعيته عليه السلام، وثانيهما أن المراد العصمة من القتل خاصة، وقال فى قرة العين فى أخبار الحرمين قد عصمه الله تعالى من أعدائه حيا وميتا، وقد حصل لنا من الحكايات فى هذا الباب أن الحكم العبيدي لعنه الله أراد نقل الجسد الكريم الى مصر وبعث إلى سلطان الحجاز من الحسنين أن يحفر القبر الشريف

وينقل الجسد الطاهر الي مصر فسمع بذلك أهل المدينة فاجتمعوا بأسرهم للقتال حتى يموتوا كلهم أو يقتلوا جميع من يدنو إلى القبر الشريف لقصد حفره، وتعاهدوا على ذلك فبينما هم كذلك إذ أرسل الله تعالى عليهم ريحا عاصفة حتى شاهد أهل المدينة الجمال والخيل تدحرجها الريح فتوسلوا به عليه الصلاة والسلام حتى كشفت عنهم فأخزى الله الحكم ورد كيده خاسئا فى نحره، ثم بعث زنادقته خفية ليفعلوا ذلك، يمشون بالليل ويكمنون النهار حتى بلغوا المدينة وقصدوا الحفر تحت الأرض فأخذهم الله بشديد بطشه وخابت آمال عدو الله والحمد لله ثم كانت قصة محمود مع النصرانيين الأندلسيين وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم فقال له يا محمود إن هذين قد آذياني فأنقذني منهم ثم أطلعه على صورتي شخصين أشقرين فارتحل إلى المدينة، وفرق بها المال حتى اطلع علي الشخصين المذكورين فهددهما فأقرا أنهما نصرانيان فقتلهما. وقصة اليهودي الذى أظهر الإسلام والتنسك الفائق وسكن بقرب المسجد ثم قصد الحفر تحت الأرض إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج كل يوم قفة تراب بثيابه فيرميها خارج المدينة حتى بقي لوصوله إلى الجسد الكريم قدر ما يحفر ثلاثة أيام فرأى ملك مصر الناصر فى منامه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره بالقصة وبصفة اليهودي وقال له أدركني فسار إلى المدينة حتى بلغها فى مدة قريبة، فأمر بإعطاء الصدقة لجميع سكان المدينة وهو يتأملهم فلم ير الصفة التى بينها له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له لم يبق إلا رجل ناسك، فقال لا بد من احضاره فإذا هو بالصفة التى رآها فى منامه فهدده فأقر أنه يهودي وأطلعهم على المكان والحفر فقتلوه شر قتلة فحفروا الأساس إلى أبعد ما أمكنهم، ثم رفعوا البنيان المرصوص بحيث لا يطمع فى مثل تلك الفعلة. انتهى من الريان فى تفسير القرآن للوالد حفظه الله تعالى.

(وكان حاديا له البراء)

البراء اسم كان وحاديا خبرها والحداء بضم المهملة الغناء للإبل يعنى

أن البراء كان يحدو له عليه الصلاة والسلام أي يقول الحداء وهو الغناء للإبل والبراء هو ابن مالك بن النضر أخو أنس لأبيه وقيل شقيقه، شهد المشاهد إلا بدرا وقال عليه السلام رب أشعث أغبر لا يوبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك ولا يوبه له أي لا يتفطن له قال أنس فلما كان يوم تستور انكشف الناس فقال المسلمون يا براء أقسم على ربك فقال أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك، فحمل وحمل المسلمون معه فقتل هرمزان من عظماء الفرس وأخذ سلبه فانهزم الفرس وقتل البراء رواه الترمذي أنظر الزرقاني.

(أنجشة) عطف على البراء بحرف محذوف وأنجشة بفتح الهمزة والجيم وكان حاديا له البراء وأنجشة عبده الأسود الحبشي المكنى أبا مارية وكان حسن الحداء وقد مر فى الموالي **(جاءت بذا)** أي بكونهما حاديين له عليه الصلاة والسلام **(الأنباء)** أي الأخبار، جمع نبإ فاعل جاءت. وفى الصحيحين عن أنس كان البراء ابن مالك يحدو بالرجال وأنجشة بالنساء وكان أنجشة يحدو وينشد القريض والرجز فقال عليه السلام عبد رويدك رفقا بالقوارير وعبد منادي بحذف الأداة وفى الصحيحين عن أنس أن انجشة حدا بالنساء فى حجة الوداع فأسرعت الإبل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا انجشة رفقا بالقوارير أي بالنساء فشبهن بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليهن الكسر كما يسرع الكسر المعنوي إلى النساء. فلم يامن عليه السلام عليهن أن يقع حداءه فى قلوبهن، وفى المثل الغناء رقية الزنى. وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت فأزعجت الراكب، وأتبعته، فنهاه لأن النساء يضعفن عن ذلك لا خوفا من وقوعه فى قلوبهن. قال الدماميني وحمله على هذا أقرب إلى ظاهر لفظه. وفى المستدرك عن أنس أن البراء كان حسن الصوت انتهى من المواهب وشرحها.

تتمة:

ترك الناظم من الحداة عبد الله بن رواحة، وعامر بن الأكوع. ففي المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني وكان يحدو بين يديه عليه الصلاة والسلام فى السفر عبد الله بن رواحة، أي يقول الحداء بضم المهملة وهو الغناء للإبل.

وفي الترمذي عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة فى عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر؟! فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: خل عنه يا عمر فلهي فيهم أسرع من نطح النبل. ونضربكم بسكون الباء كقراءة أبي عمرو ان الله يامركم، وقوله اليوم أشرب غير مستحقب، وفى رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال يا عمر إني أسمع فاسكت يا عمر. وقوله عن مقيله أي محل نومه وقت القائلة كناية عن محل الراحة وقوله ويذهل الخليل أي يكون أحدهم يهلك فيذهل الهالك عن الحي وعكسه.

وكان يحدو له بين يديه عامر بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبد الله الأسلمي المجاهد بالنص النبوي وعامر عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وفى رواية لمسلم أنه أخوه. قال فى الإصابة فيمكن الجمع بأنه أخوه على ما كانت الجاهلية تفعله. وفى رواية أخرى لمسلم أنه عمه. وقد مرت قصته فى خيبر، ومن جملتها حداؤه بقوله: والله لولا الله ما اهتدينا إلخ..

قال مؤلفه سمح الله تعالى له وقد زدتها فقلت:

(ابن رواحـــة لـه أيضـــا حـــدى	وقـال قـولا مـغـضـبـا بـه العـدا
خلوا بني الكفـار عن سـبـيـله	اليـوم نضـربكم على تنزيله
كـذاك أيضـا عـامـر بن الأكـوع	وقـال فـى حـدائـه المرفـع
والله لولا الله مـا هـتـدينا	ولا تـصـدقـنـا ولا صـلـيـنـا)

والضمير فى تنزيله للنبي عليه السلام كما فى الزرقاني والبيجوري، أي تنزيله مكة ان عارضتم ولا نرجع كما رجعنا يوم الحديبية انتهى المراد منهما.

(صلى عليـه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، **ربـنـا** أي مـالكنا، **(وسلما والآل والأصحاب خير من سما)**

أي أفضل من علا باتباعه عليه السلام. وقد مر قريب من هذا التركيب فلا يحتاج لشرحه.

(بيـان رسل المصطفى لمن ملك:) الرسل جمع رسـول وسكن عينه هنا وذلك جائز اختيارا أي هذا بيان القوم الذين أرسلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الملوك جمع ملك بكسر اللام **(صلى عليـه الله مـا دار الفلك)** وهو بالتحريك جسم مستدير ومدار النجوم، وقد مر شيء من الكلام فيه عند قول الناظم ما دار نجم فى فلك. قال المناوي لما رجع المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية كتب إلى الملوك فقيل له انهم لا يقربون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر، محمد سطر ورسول سطر، والله سطر وختم به الكتب، وبعث ستة فى يوم واحد إلى الملوك فى المحرم سنة سبع وأصبح كل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، انتهى.

أي من غير مضي زمن يمكن فيه تعلم لغتهم، معجزة له عليه السلام كما فى الزرقاني. قال ولا ينافي هذا دعاء بعض الملوك الترجمان، لأنه من تعاظم الأعاجم.

(إلى النجـــاشي النبي أرســــلا   عـــمــــرا فـــبـــجل الكتـــاب وتلا)

بدأ الناظم برسالة عمرو لأنه أول رسول بعثه عليه السلام كما فى العراقي والمواهب وغيرهما ، والمجرور متعلق بأرسل والنجاشي بفتح النون وكسرها أو أفصح وتخفف ياؤه وتشدد أصحمة، ملك الحبشة. قال المناوي ومعنى أصحمة عطية، انتهى. والنبي مبتدأ وخبره أرسل، وعمرا بفتح العين مفعول أرسل وهو ابن أمية بن خويلد الضمري نسبة إلى جده ضمرة بفتح وسكون ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة، كان المصطفى يبعثه فى أموره لكونه من أمجاد العرب ورجالها قاله المناوي وبجل عظم وتلاه قرأه ومعنى البيت أنه عليه السلام أرسل عمرا بن أمية الضمري إلى النجاشي فأسلم وعظم كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعرض عن كتابه بل تلقاه بالبشر إذ قرأه وآمن به عليه السلام ووضع الكتاب على عينه ونزل عن سريره فجلس على الأرض وقال بعدما قرأ الكتاب أشهد الله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، ودعا بحق من عاج وجعل فيه الكتاب وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم أنظر الزرقاني فى مواضع متفرقة. وكان اسلام النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب، سنة ست من الهجرة.

(فـمـات مـسلمـا وصلى المصطفى   عليـه مع أصحـابه أولي الصـفى)

فاعل مات ضمير النجاشي ومسلما حال منه والصفاء بالمد وقصره وهو الخلوص إذا خلصت معاملتهم مع الله تعالى يعني أن النجاشي توفى رحمه الله تعالى مسلما فى رجب سنة تسع من الهجرة كما فى المواهب وهو قول الأكثر وقيل سنة ثمان قبل الفتح كما ذكره البيهقي كما فى الزرقاني ونعاه صلي الله تعالى عليه وسلم لأصحابه يوم توفي وصلى عليه هو وأصحابه فى المدينة.

أخرج أصحاب الصحيح عن جابر لما مات النجاشي قال صلى الله

تعالى عليه وسلم قد مات اليوم عبد صالح يقال له أصحمة، فقوموا فصلوا. وصففنا خلفه. وللدارقطني عن أبي هريرة فوثب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووثبنا معه حتى جاء المصلى فقام وصففنا وراءه فكبر أربع تكبيرات، وعن عائشة لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى علي قبره نور أخرجه أبو داوود وترجم عليه النور يرى على قبره السناء نقله الزرقاني. ولفظ الكتاب كما في المواهب: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أما بعد فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس والسلام وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقيها إلى مريم البتول، الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين. والسلام على من اتبع الهدى.

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية فقال النجاشي عندما قرأ الكتاب أشهد بالله انه النبي الأمي الذى ينتظره أهل الكتب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشفى من الخبر عنه ولكن أعواني من الحبشة قليل، فانظرني حتى أكفر الأعوان وألين القلوب، ثم كتب النجاشي جواب الكتاب إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذى لا إله إلا هو، الذى هداني للإسلام، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى ورب السماء والأرض ان عيسى عليه السلام لا يزيد على ما ذكر ثفروق انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت علي يديه لله رب العالمين وقد بعثت إليك بابني وإن شئت أتيتك بنفسي فعلت، فإني أشهد أن ما تقوله

حق، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. انتهى كلام القسطلاني.

قوله أحمد إليك أي أنهي إليك حمده، وقوله روح الله أي ذو روح أضيف إليه تعالي تشريفا له لأنه أوجده بلا أب، ولأنه يحيي الموتى والقلوب، وألقاها أوصلها وكلمته هي كـــــن.

وقول البيضاوي لعل جبريل تمثل لها شابا أمرد تستأنس بكلامه لتهيج شهوتها وتنحدر نطفتها إلى رحمها. قال السيوطي كان فى غنية عن هذا الكلام الفاسد، ولكن هذا ثمرة التوغل فى الفلسفة انتهى.

والحصينة بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين العفيفة وقوله ونفخته أي الله تعالى أي نفخ رسوله جبريل فهو عطف تفسير للروح، وفي القاموس من جملة معانيها النفخ وخلق آدم بيده أي بقدرته والموالاة المتابعة والمناصرة والهدى الرشاد، وراكب الحمار عيسى عليه السلام، وراكب الجمل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والعيان بكسر العين مشاهدة وأصحمة بوزن أربعة وحاؤه مهملة وقيل معجمة فميم وقيل بموحدة بدل الميم وقيل صحمة بغير ألف وقيل كذلك لكن بتقديم الميم وقيل بزيادة الميم فى أوله بدل الألف، ويتحصل من هذا الخلاف فى اسمه ستة ألفاظ ولم ارها مجموعة قاله فى الإصابة وصوب النووي أولها وقيل اسمه سليم بضم السين وقيل حازم والشفروق بضم المثلثة وسكون الفاء وضم الراء وسكون الواو، ثم قاف علاقة ما بين النواة والقشر وأتيتك فى محل المفعول، إن شئت أي اتياني وفعلت جواب الشرط هذا كله فى الزرقاني.

وهذا النجاشي هو أصحمة الذى هاجر إليه المسلمون وكتب له عليه السلام كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام وكتابا ءاخر بأن يزوجه أم حبيبة وبعثهما مع عمرو بن أمية الضمري ونعاه وصلى عليه بالمدينة، وأما النجاشي الذى ولى بعده وكتب عليه السلام له يدعوه إلى الإسلام فكان كافرا لم يعرف إسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم فظنهما واحد وفي

صحيح مسلم ما يصرح بأنهما اثنان أنظر المواهب والعراقي.

أول مـــا أرسـلـه الـنـبـي لملك عـمـر هو الضـمـري
إلي النجـاشي فلمـا قـدمـا نـزل عن فـراشـه فـأسلمـا
وأركب المهـاجـرين البـحـرا إلـيـه فى سـفـينـتين طرا
زوجـه رملة عـمـر قـبـله لـه ومـهـر ها النجـاشي بذلـه

قوله وأركب المهاجرين إلخ.. أي إليه عليه السلام حين بعث إليه عليه السلام مع عمرو بن أمية أن يجهز إليه أصحابه. وطرا أي جميعا؛ وقوله زوجه رملة أي بنت أبي سفيان، وكانت هاجرت مع زوجها عبيد الله بالتصغير بن جحش فارتد ومات نصرانيا بأرض الحبشة والعياذ بالله تعالى. وقوله قبله أي قبل عمرو العقد عنه عليه السلام انتهى.

وبعث النجاشي ولده فى ستين نفر من الحبشة الي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفينة فغرقوا وذلك باثر بعثه جعفرا ومن معه فى سفينة أخرى انتهى.

(ودحـيـة إلى هرقل أرسـلا فشح ...)

دحية مفعول أرسل بعده وصرفه ضرورة وهو بفتح الدال وكسرها وهو بلغة اليمن الرئيس، وشح بحاء مهملة أي بخل بملكه فلم يسلم حرصا على ملكه يعني أنه عليه السلام أرسل دحية ابن خليفة ابن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس الكلبي وهو صحابي جليل يضرب به المثل فى الحسن وكان جبريل ينزل فى صورته وكان دحية إذا قدم المدينة، لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه، قاله المناوي إلى هرقل وهو اسم ملك الروم ولقبه قيصر، وكتب له أي لدحية كتابا يدعو فيه قيصر إلى الإسلام فلم يجب بل شح بملكه، وءاثر الفانية علي الباقية، ولو تفطن لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم تسلم، وحمل الخبر على عمومه أي فى الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه، لكن

التوفيق بيد الله قاله الزرقاني عن الفتح. وكان ارسال دحية الي هرقل فى مدة صلح الحديبية كما فى البخاري عن أبي سفيان وذلك كان سنة ست اتفاقا فما فى تاريخ خليفة بن خياط احد شيوخ البخاري ان ارساله كان سنة خمس غلط لمخالفته للصحيح انظر الزرقاني، ولفظ الكتاب بعد البسملة من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، وفى رواية إلى قيصر صاحب الروم: سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يوتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون انتهى.

ولما رأى الكتاب غضب أخو قيصر غضبا شديدا واسمه يناق، بفتح التحتية وشد النون فألف فقاف، وقال ارم الكتاب، انه بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ولم يقل ملك الروم.

فقال له هرقل انك لضعيف الرأي، تريد أن أرمي بكتاب رجل ياتيه الناموس الأكبر، فإن كان رسول الله انه لحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق: أنا صاحب الروم. والله مالكي ومالكه، ثم أمر بإكرام دحية ورجع إلى حمص وجمع عظماء الروم وقال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فصاحوا صيحة حمر الوحش إلى الأبواب ووجدوها قد غلقت فقال انما اختبرت شدتكم علي دينكم فقد رأيت منكم الذى أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه. وفى رواية انه قال لهم: والله لقد قرأت فيما تقرؤن لياخذن ما تحت قدمي فهلم الى ان نتبعه فنخروا نخرة رجل واحد فلما ظن أنهم ان خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم، قال إنما قلت لأعلم صلابتكم على أمركم. وفى رواية ابن حبان انه قارب الإجابة ولم يجب، فدل على استمراره على الكفر فإطلاق صاحب الاستيعاب انه آمن أي أظهر التصديق لكنه لم

يستمر عليه، بل شح بملكه وآثر الفانية نقله الزرقاني عن ابن حجر. وهرقل كدمشق على المشهور وحكي سكون الراء وكسر القاف وبه جزم القزاز، وقيصر اسم لكل من ملك الروم و دعاية الاسلام بكسر الدال أي الكلمة الداعية إليه وبيان الكلمة قوله اسلم الخ.. وتسلم بفتح اللام وإيتاؤه الأجر مرتين لإيمانه بنبيه ثم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله فإن عليك اثم الأريسيين أي مع اثمك، والأريس بفتح الهمزة وكسر الراء فياء ساكنة الأكار أي الفلاح أي الحراث، ولفظ ابن اسحاق الأكارين زاد الزرقاني يعني الحراثين، قال ابن عبيد المراد بهم أهل مملكته وكل من يزرع فهو عند العرب فلاح سواء كان ذلك بنفسه أو بغيره، وقوله سواء بيننا أي لا نختلف فيها أي لا يختلف فيها التوراة والقرآن والإنجيل وهو أن لا نعبد إلا الله إلخ.. وفي رواية اليريسين بقلب الهمزة ياء جمع يريس ككريم، وفي أخرى بشد الياء بعد السين، وفي أخرى الإريسين بشد الراء.

وللعراقي:

ودحية أرسله لقيصرا وهو هرقل فقضا واستكبرا

قال المناوي ثبتت عنده نبوءته عليه السلام فلم يوافقه الروم فخاف على ملكه فاستكبر على الايمان لكنه أمر بإكرام دحية ويقال إنه جعل الكتاب في قصبة من ذهب تعظيما له فأخبر دحية بذلك المصطفي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ثبت الله ملكه، فلم تزل ذريته تتوارث ذلك الكتاب جيلا بعد جيل انتهى منه.

(ثم ابن حذافة الى كسرا فمزق الكتاب مزقا)

قوله ابن بالنصب عطفا على دحية وحذافة بضم أوله، وكسرى بفتح الكاف وكسرها، قال ابن الأعرابي وهو الأفصح واختاره أبو حاتم وأنكره الزجاج ورده ابن فارس وكسرى لقب كل من ملك الفرس ومعناه المظفر.

واسم كسرى هذا إبرويز بفتح الواو وكسرها ويقال له ابرواز وآخره زاي معجمة، ومقتضاه فتح همزته قال السهيلي ومعنى ابرويز المظفر انتهى. ومعنى كسرى وابرويز واحد وهو ابن هرمز. ومزق الأول مبني للفاعل معناه قطع وفاعله ضمير كسرى والكتاب مفعوله ومزق الثاني مبني للمفعول ونائبه ضمير كسرى ولفظه الماضي ومعناه الدعاء أي مزقه الله يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل عبد الله بن حذافة السهمي وكان من المهاجرين الأولين إلى كسرى بن هرمز وكتب له كتابا وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين وهو المنذر بن ساوى بالمهملة وفتح الواو الممالة نائب كسرى على البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأ الكتاب مزقه أي خرقه وقطعه فدعا عليهم المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق بفتح الزاي فيهما أي يتفرقوا ويتقطعوا فاستجاب الله له فسلط الله على ابراويز ابنه شرويه فقتله ثم قتل اخوته وكان أبوه لما علم ان ابنه يقتله احتال على قتل ابنه بعد موته فعمل في بعض خزائنه المختصة به حقا مسموما وكتب عليه حق الجماع من تناول منه كذا جامع كذا فتناول منه شيرويه فهلك بعد أبيه بستة أشهر، فلم يخلف ذكرا وملكوا أخته بوران بضم الموحدة ثم ملكوا أختها ازدميرخت فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا كما دعا به عليه السلام نقله الزرقاني.

وقيل بعث له الكتاب مع عمر بن الخطاب، قال الحافظ فلعله بعثه إلى كسرى مرتين وقيل بعثه مع خنيس، ابن خذافة وهو غلط لأنه مات بأحد، فتأيمت منه حفصة، وبعث الرسل كان سنة سبع وقيل مع خارجة ابن حذافة ولا يصح لأن خارجة كما في الإصابة من مسلمة الفتح ولفظ الكتاب بعد البسملة من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ادعوك بدعاية الله عز وجل فإني رسول الله إلى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم، فإن توليت فإن عليك اثم المجوس، ذكره في

المواهب. وقال فلما قرأ عليه الكتاب مزقه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال مزق ملكه. انتهى.

قال شارحه دعاء أو إخبار ويؤيد الأول قوله الآتي: فدعا عليهم. وهرمز والد كسرى وأبوه أنو شروان وهو كسرى الأكبر باني الإيوان وملك ثمانيا وأربعين سنة، وقيل انه هو الذى كتب إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام قال الحافظ وفيه نظر لأنه عليه السلام أنذر بأن ابنه يقتله والذى قتله ابنه هو كسرى إبرويز بن هرمز قال الحافظ ولم تجر العادة الشرعية ولا العرفية بابتداء المراسلات بالحمد وقد جمعت كتبه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم ولم يقع فى واحد منها البداءة بالحمد، بل بالبسملة.

وقوله وآمن بالله إلخ.. أكد فى هذا الكتاب وأوضح البيان لأن أهله مجوس لا يقرؤون الكتب بخلاف قيصر، وقوله بدعاية الله بكسر الدال، ولينذر بالياء وفى نسخة بالهمز، ولم يقل هنا ويوتك الله أجرك مرتين، لأنه مجوسي عابد نار ولا كتاب له، وقيل ان المجوس كان لهم كتاب فبدلوه وقوله فإن عليك اثم المجوس أي مع اثمك، وللعراقي نفعنا الله تعالى به:

وابن حذافة مضى لكسرى فمزق الكتاب بغيا نكرا

وحذافة بضم الحاء وذال معجمة وكسرى لقب لكل من ملك فارس، فمزق الكتاب وبعث إليه عليه السلام ترابا ونكرا أي منكرا، فقال عليه السلام: مزق الله ملكه بعث إلي بتراب أما إنكم ستملكون أرضه. وأرسل كسرى إلى عامله باليمن باذان ان ابعث رجلين جلدين الي هذا الرجل لياتياني بخبره فبعث قهرمانه ورجلا آخر وكتب معهما كتابا فقدما على المصطفى فتبسم ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترتعد، ثم قال ارجعا عني يومكما حتى الغد، فأتياه فقال ان صاحبكما باذان قتل

ربه فى هذه الليلة ان الله سلط عليه ابنه فقتله فرجعا إلى باذان بذلك فأسلم ولما مات باذان ولى المصطفى ابنه صنعاء وأعمالها انتهى من المناوي.

(وحاطبا إلى المقوقس ارتقا)

وحاطبا بالنصب عطف على دحية وارتقا الظاهر أنه حشو ومعناه علا وارتفع أي وأرسل حاطبا بن ابي بلتعة بفتح الموحدة والمثناة الفوقية بينهما لام ساكنة المتفق على شهوده بدرا إلى المقوقس بضم الميم فقاف مفتوحة فواو ساكنة فقاف مكسورة فسين مهملة لقبه ومعناه المطول البناء قاله البرهان. وفى القاموس وحياة الحيوان أنه لقب له. ولطائر مطوق طوقا سواده فى بياض كالحمام وليس فيهما ما يشعر بالوصف الذى ذكره البرهان قاله الزرقاني. ومتعلق ارتقا محذوف أي إليه يعنى المقوقس ومعنى البيت أنه عليه السلام أرسل حاطبا إلى المقوقس فوجد المقوقس فى مجلس مشرف على البحر فركب سفينة وحاذى بها مجلسه وجعل كتابه عليه السلام بين أصبعين من أصابعه فأشار به إليه فأمر بإحضاره فقرأ الكتاب فقارب الإسلام لكن لم يسلم على الصحيح كما أشار له بقوله:

(فقارب الإسلام حتى اهدى   جاريتين دلدلا وعبدا)

يعني أن المقوقس قارب الإسلام حتى أهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هدية عظيمة ذكر منها الناظم رحمه الله تعالى جاريتين وهما مارية القبطية وأختها سيرين وبغلة يقال لها دلدل بضم الدالين المهملتين وهي أول بغلة ريثت فى الإسلام وكانت بيضاء وقيل شهباء وقال الحميدي كان ذكرا لا أنثى قاله المناوي وياتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى فى بغاله بأبسط من هذا.

وذكر منها أيضا عبدا وهو مابور القبطي المتقدم فى الموالي وهو ابن

عم مارية فقوله دلدلا بحذف العاطف ولم يذكر الناظم أختهما، قيصر بالصاد المهملة عند مغلطاي وبالسين المهملة عند اليعمري وغيره مع أنه أهداها معهما فقد مر ذكرها في الموالي وأهدى له أيضا حماره يعفورا وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا وقدحا من قوارير وعسلا من عسل بنهى بضم الموحدة وكسرها قرية من أعمال مصر كذا في المناوي وفي الزرقاني انها بفتح الموحدة وكسرها وأهدى له مكحلة، عيدان شامية ومرءاة ومشطا وفرسا يقال له لزاز بزايين وأعطى لحاطب مائة دينار وخمسة أثواب كما في المناوي.

وللعراقي:

وحاطب أرسل للمقوقس	فقال خيرا ودنا لم يوئس
أهدى له مارية القبطيه	وأختها سيرين مع هديه
من ذهب وقدح ومن عسل	وطرف من مصر من بنها العسل

واسم أبي بلتعة عمرو بن عويمر بن سلمة اللخمي حليف قريش والمقوقس ملك مصر، والاسكندرية بكسر الهمزة وتفتح وسكون المهملة والنون وفتح الكاف والدال المهملة بلد على طرف بحر المغرب من آخر حد مصر، نسبت إلى بانيها الاسكندر الرومي، واسم المقوقس جريج بضم الجيم الأولى بن مينا بن قرقوب ويلقب به كل من ملك الاسكندرية ومصر وقيل ملك مصر والشام فرعون فإن أضيف إليهما الاسكندرية بالعزيز كما في سيرة مغلطاي وهو عظيم القبط والقبط بالكسر والواحد قبطي على القياس والقبط اسم لنصارى مصر، ولم يسلم المقوقس كما مر وغلط ابن الأثير وغيره من الحفاظ ابن مندة وأبو نعيم وابن نافع وابن قانع في ذكرهم له في الصحابة فيقول العراقي: أي دنا الى الإسلام، ومارية بتخفيف الياء أصلها البقرة وقوله قدح أي من قوارير وكان يشرب فيه المصطفي والطرف بضم الطاء المهملة جمع طرفة وهي ما يسطرف أي يستملح انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني.

ونص الكتاب إلى المقوقس بعد البسملة من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يوتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك اثم القبط {يا أهل الكتاب تعالوا.. إلى قوله مسلمون}. وبعث به حاطبا ووجده بالأسكندرية فى مجلس مشرف على البحر فركب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه فلما جيء به ووقف بين يديه فض الكتاب أي فك ختمه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا أن يدعو عليّ؟ فقال له حاطب وما منع عيسى أن يدعو على من خالفه؟! وعند البيهقي فما له لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده؟! فقال له حاطب أتشهد أن عيسى رسول الله؟ فما له حين أخذه قومه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم حتى رفعه الله فقال أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم، فقال حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى يعنى فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك، قال ان لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه، فقال له حاطب ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافي به الله فقدما سواه أن هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى أي الذين آمنوا به، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما دعاؤنا إياك إلى القرآن، إلا كدعائك أهل التورية إلى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته الحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدرك هذا النبي فالحق عليك اتباعه ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكن نامرك به.

فقال المقوقس إني قد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجد بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبإ والإخبار بالنجوى وسأنظر وأخذ كتابه عليه السلام وضمه إلى صدره فجعله فى حق من عاج ثم ختم عليه ودفعه لجارية له لتحفظه ثم دعا كاتبا له يكتب

بالعربية فكتب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن يخرج من الشام أي لأنه مخرج الأنبياء قبله، وقد أكرمت رسولك وبعثته إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام.

قوله يؤتك الله بالجزم، جواب ثان للأمر أو معطوف بحذف العاطف، وقوله سواء بيننا وبينكم أي عدل ونصف، نستووا نحن وأنتم فيها وفسر الكلمة بقوله أن لا نعبد إلا الله إلخ. والنكال العقوبة والآخرة والأولى كلمتان قالهما فرعون، وبينهما أربعون سنة، الأولى قوله ما علمت لكم من إله غيري، والأخرة قوله أنا ربكم الأعلى. وقيل الأولى الدنيا، ونكالها بالإغراق، والآخرة يوم القيامة بالإحراق، وقوله فقد بفتح الفاء وسكون القاف ودال مهملة مفعول قوله الكافي والخبأ بفتح المعجمة المستورة كأنه يشير إلى الإخبار بالمغيبات، والنجوى ما يتناجى به أي يسارر وهي من جملة الإخبار بالغيب.

وروى الواقدي عن المغيرة بن شعبة في قصة خروجهم من الطائف قبل إسلام المغيرة، أنهم دخلوا على المقوقس وسألهم عما يدعو إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أخبروه به قال المقوقس هذا نبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه فقد أمرهم بذلك عيسى، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد، ويظهر دينه الى منتهى الخف، والحافر فقالوا أي المغيرة ومن معه لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال أنتم في اللعب.

وقوله وبعثت إليك بجاريتين أي مارية واختها سيرين ولم يذكر الثالثة وهي أختهما قيصر بل اقتصر عليهما لحسنهما وجمالهما.

وروى الواقدي ان المقوقس أرسل إلى حاطب فسأله عن صفته عليه

السلام وإلى ما يدعو فلما أخبره قال القبط لا تطاوعني على اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه وسيظهر علي البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ها هنا وأنا لا أذكر من هذا حرفا ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك أحدا، قال حاطب، فذكرت قوله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه انتهى فكان كما قال أنظر الزرقاني.

واستمر المقوقس نصرانيا حتى فتحت منه مصر في خلافة عمر.

(ثم إلى من ملكا عمانا عمرا فأسلم له ودانا)

عمان بضم المهملة وخفة الميم وهي التى باليمن سميت بعمان بن سبإ وينسب إليه الجلندي رئيس أهلها والتى بالشام بفتح المهملة وشد الميم وهي التى أراد القائل:

في وجهه خالان لولاهما ما بت مفتونا لعمان

وليست مرادة هنا قطعا وإنما اختلف الرواة في ما جاء في بعض طريق حديث صفة الحوض النبوي نقله الزرقاني عن ابن حجر ومعنى أسلما انقادا له: وصدقاه وضمير له للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى دانا أطاعا فمعناهما متقارب وعمرا بالنصب عطف على دحية من قوله **(ودحية الى هرقل أرسلا)** وهو ابن العاصي بن ائل السهمي يعني أنه عليه السلام أرسل عمرو بن العاصي في ذي القعدة سنة ثمان الى جيفر بفتح الجيم فتحتية ساكنة ففاء مفتوحة فراء مهملة وعبد بموحدة وقيل تحتية بلا إضافة وللطبراني عباد وضبطه في الفتح بفتح المهملة وشد التحتية وآخره معجمة ابنا الجلندي وهما المراد بقوله عن ملكا عمانا فصدقا وانقادا لشريعته فأقرهما عليه السلام على الملك وكتب الكتاب المبعوث معه أبي بن كعب ونصه بعد البسملة:

من محمد بن عبد الله ورسوله إلى جيفر وعبدا ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني ادعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما،

فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقربا الإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما.

قال عمرو فخرجت وسرت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت الي عبد وكان أحلم الرجلين وأسلمهما خلقا، فقلت إني رسول رسول الله إليك وإلى أخيك فقال عبد أخي المقدم علي فى السن والملك، وأنا أوصلك إليه ثم قال عبد وما تدعو إليه؟ قال إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع من عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله. فقال يا عمرو انك ابن سيد قومك وكيف صنع أبوك فإنا لنا فيه قدوة؟ قلت مات ولم يؤمن وقد وددت أنه كان أسلم وقد كنت على مثل رأيه حتى هدانا الله للإسلام، فسألني أين كان إسلامك؟ قلت عند النجاشي، فأخبرته أنه قد أسلم، قال كيف صنع قومه بملكه؟ قلت أقروه. قال والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت نعم. ثم قال ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي؟ قلت بلي كان النجاشي يخرج خرجا فلما أسلم قال لا والله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته. فبلغ هرقل قوله فقال يناف أخوه اتدع عبدك لا يخرج لك خرجا ويدين دينا محدثا؟ قال هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. فمكث عمرو بباب عبد أياما وهو يصل إلى أخيه ويخبره خبر عمرو ثم انه أدخله على جفير قال عمرو فأخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فقال تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختوما ففضه وقرأه ثم دفعه إلى أخيه عبد وقرأه مثل ما قرأه إلا أني رأيت أخاه أرق منه، فقال جيفر: كيف صنعت قريش؟ فقلت تبعوه إما راغب فى الدين وإما مقهور بالسيف. قال ومن معه؟ قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره، وعرفوا أنهم كانوا فى ضلال، فما أعلم أحد بقي غيرك فى هذه الحرجة وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل فاسلما تسلم. ويستعملك على

قومك ولا تدخل عليكم الخيل والرجال. قال دعني يومي هذا وارجع إلى غدا حتى إذا كان الغدو أتيت إليه فأبى أن ياذن لى فأخبرت أخاه أني لم أصل إليه فأوصلني إليه، فقال إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدي وهو لا تبلغ خيله ها هنا. وإن بلغت خيله ها هنا، ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى، قلت وأنا خارج غدا، فلما يقن بمخرجي خلا به أخوه، فأصبح فأرسل إلى فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لى عونا على من خالفني انتهى.

الجلندي بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون والقصر كما فى الفتح غير مبال بقول شيخه فى القاموس جلنداء بضم أوله وفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهري فقصر مع فتح ثانيه، قال الأعشى:

وجلنداء فى عمان مقيما ثم قيس فى حضرموت المنيف

وذكر بثيمة أنه عليه السلام بعث عمر الى الجلندي فأسلم وأنشد أبيات منها:

فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ينادي بها فى الواديين فيصبح

قال فى الإصابة فيحتمل أن عمرا أرسل إليهم وقوله عمدت بفتح الميم بوزن قصدت، ومعناه فى لغة بكسر الميم، وقوله خلقا بضمتين والحرجة بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين فجيم شجر ملتف وفى إسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة وهي إسلام صحابي على يد تابعي، والأساقفة رؤوس دين النصارى وقوله يطؤك الخيل زاد فى العيون ويبيد خضراءك بفتح الخاء وسكون الضاد المعجمتين والمد أي جماعتك، وفيه شدة شكيمة عمرو وقوة نفسه رضي الله تعالى عنه حيث خاطبه بهذا وأنذره بالحرب والهلاك فى محل ملكه وحضرة أعوانه مع أنه لم يتمكن من الجلوس بين يديه، ومعنى ألفت وجدت، أنظر الزرقاني.

وللعراقي:

فأرسل ابن العاص حتى أدى ... كتابه إلى ابني الجلنداي

فأسلما وصدقا وخليا ... ما بين عمرو والزكاة هديا

وهديا حشو وابني الجلندي تقدم ضبطهما وضبطه الجلندي وهو في المناوي والزرقاني وما زائدة وأقام عمرو فيهم حتى بلغتهم وفاة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله المناوي.

(ولليمامة سليطا أرسلا ... فلم يفز صاحبها إذ سألا
إلى النبي جعل بعض الأمر له) ...

المجرور متعلق بأرسل بعده، واليمامة بلاد بالبادية أكثر نخيل من سائر الحجاز وهي دون المدينة في الوسط الشرقي من مكة على ست عشرة مرحلة من البصرة، قال الجوهري كانت اسمها الجو، وسميت باسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام والفوز النجاة والظفر بالخير وفاعل سأل ضمير يعود على صاحبها والضمير المضاف إليه لليمامة، وقوله جعل مفعول سأل وبعض مضاف إليه ما قبله، ومعنى كلامه أنه عليه السلام أرسل إلى اليمامة أي إلى صاحبها هوذة بن علي الحنفي كتابا مع سليط بفتح السين المهملة وكسر اللام بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بكسر الحاء وسكون السين المهملتين فلام بن عامر بن لؤي فلم يفز هوذة أي لم ينج ولم يظفر بخير بل مات على كفره، والعياذ بالله تعالى إذ قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اجعل لي بعض الأمر اتبعك، قال الزرقاني كأنه أراد شركته في النبوة أو أراد الخلافة بعده ولم يرض بكونه تحت ولايته عليه السلام حيث كتب له أسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك، انتهى. وهذا هو مراد الناظم بقوله:

(إذا سألا من النبي جعل بعض الأمر له)

يعني الاشراك في النبوة أو الخلافة بعده، فقال عليه السلام لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت. والسيابة بسين مهملة وخفة تحتية فألف فموحدة فتاء تأنيث القطعة هكذا فسره ابن حديدة وفسره البرهان بالبلح، تبعا للقاموس وهو أبلغ قاله الزرقاني.

ونص الكتاب على ما في المواهب بعد البسملة: من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك، فلما قدم سليط بالكتاب أنزله وحباه واقترأ عليه الكتاب، وقال سليط يا هوذة إنك سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح في النار وإنما السيد من متع بالإيمان ثم زود بالتقوى إن قوما سعدوا برأيك فلا تشقين به وإني ءامرك بخير مامور به وأنهاك عن شر منهي عنه، آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فإن في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار. فإن قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع. فقال سليط يا هوذة سودني من لو سودك شرفت به، وقد كان لي رأي أختبر به الأمور ففقدته فموضعه من قلبي هواء اجعل لي فسحة يرجع إلى رأيي فأجيبك به فرد ردا دون رد، أي ردا فيه لطف دون الرد بعنف. وكتب إليه صلي الله تعالى عليه وسلم ما أحسن ما تدعو إليه والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر بفتحتين فقدم على النبي صلي الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه. فلما انصرف عليه السلام من الفتح جاءه جبريل عليه السلام فأخبره أن هوذة قد مات على كفره، فقال عليه السلام إما أن اليمامة سيظهر فيها كذاب يتنبأ يقتل بعدي وظهر بها مسيلمة لعنه الله تعالى وقتل انتهى.

وهوذة هو بفتح الهاء وسكون الواو وذال معجمة كما قاله البرهان تبعا للجوهري. وقال الدميري بضم الهاء. وقوله إلى منتهى الخف

والحافر أي يصل إلى أقصى ما يصل إليه الإبل والخيل وحباه بموحدة أعطاه واقترأ الكتاب، قرأه، وهجر بلد باليمن واسم بجميع أرض البحرين كما في القاموس، وباد بالموحدة هلك، أنظر الزرقاني.

وللعراقي:

وأرسل السليط لليمامة	لهوذة ملك بني حنيفة
وأكرم الرسول إذ انزله	وقال ما أحسن ما تدعو له
وسال ان يجعل بعض الأمر	له فلم يعط قضى في الكفر

ويعطى مبني للمفعول وقضى مات وفاعله ضمير عائد على هوذة وملك بفتح الميم وسكون اللام وهوذة بدل من قوله لليمامة بتقدير مضاف أي لصاحب اليمامة هوذة.

(ثم إلى البلقا شجاعا أرسله) البلقاء هي عمان كشداد بلد بالشام. قال المناوي سميت بالبلقاء بن سورة من بني غسان. وشجاعا بضم الشين منصوب بمحذوف يفسره أرسل المشغول بالضمير وهو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن ملك بن كثير بن دودان بن أسد بن خزيمة أحد السابقين هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة. يعني أنه صلي الله تعالى عليه وسلم أرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى عمان البلقاء من أرض الشام وبعث معه كتابا إلى الحارث بن أبي شمر بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وبالراء الغساني وكان أميرا بغوطة دمشق من جهة قيصر، فلم يؤمن وهلك على كفره عام الفتح. وغوطة بضم الغين المعجمة وسكون الواو وطاء مهملة وتاء تأنيث مدينة بدمشق كثيرة الماء والأشجار أنظر الزرقاني.

ولفظ الكتاب على ما في المواهب بعد البسملة: من محمد رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق، فإني أدعوك إلى أن تومن بالله وحده لا شريك

له يبقى لك ملكك انتهى كلامه.

فانتهى إليه شجاع وهو بغوطة دمشق مشغول بتهيئة الأموال والألطاف إلى قيصر وهو آت من حمص الى إيلياء، قال شجاع فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه إني رسول رسول الله إليه، فقال لى لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكان حاجبه روميا اسمه مري بكسر الميم مخففا سألني عنه صلي الله تعالى عليه وسلم وكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في التوراة صفة هذا النبي فأنا أومن به وأصدقه وأنا أخاف الحارث بن أبي شمر أن يقتلني. قال شجاع وكان يعني الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحارث، قال فخرج الحارث يوما فوضع التاج على رأسه فأذن لى فدفعت إليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن علي بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى وكتب إلى قيصر بخبري فصادفه بإيلياء وعنده دحية عنده كتابه صلي الله تعالى عليه وسلم فكتب إلى الحارث أن لا تسر إليه ووافني بإيلياء، قال ورجع الكتاب وأنا مقيم، فقال لى متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت غدا، فأمر لى بمائة مثقال ذهب ووصلني مري بنفقة وكسوة وقال اقرأ علي رسول الله منا السلام وأخبره أني متبع دينه فأخبرته عليه السلام فقال باد ملكه وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال فقال صلي الله تعالى عليه وسلم صدق. أنظر الزرقاني.

فائدة:

ما مر من أن شجاع بن وهب أرسل إلى الحارث بن أبي شمر هو الذى فى المواهب وصدر به العراقي ثم ذكر انه قيل إنه أرسل إلى جبلة بن الأيهم الغساني ونصه:

كذا شجاع الأسدي يلقى الحارث الغساني ملك البلقى

رمى الكتاب قال إني سائر	إليه رده هرقل قيصر
وقيل بل أرسله لجبله	فقارب الأمر ولكن شغله
الملك ثم في زمان عمرا	أسلم ثم ارتد حتى كفرا

ويلقى بفتح المثناة تحت وقاف والحارث مفعوله، وقوله سائر إليه أي إلى قتاله صلي الله تعالى عليه وسلم فرده هرقل وهو قيصر عن عزمه. وقوله وقيل أي قال هشام وغيره بل إنما أرسله لجبلة بفتح الجيم والموحدة ابن الأيهم بفتح الهمزة وسكون المثناة تحت الغساني وقال ابن عبد البر كان ارساله لهما معا ولما قدم على جبلة قال له يا جبلة ان قومك نقلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم يعني الأنصار فآووه ونصروه وإن هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت بها الروم فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم، وإنما قال له قومك لأنه غساني وغسان قبيلة من الأزد وقوله فقارب الأمر وقال وددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي ولكن شغله الملك وكان آخر ملوك غسان وكان ينزل الجابية ثم أتى جبلة عمر بن الخطاب في خلافته وأسلم على يديه ثم لاحى رجلا من مزينة فلطم عينه فجاء الى عمر وقيل إلى أبي عبيدة وقال خذ لي حقي فقضى عمر بالقصاص فأنف جبلة وقال عيني وعينه سواء لا أقيم بهذه الدار أبدا ولحق بعمورية وقوله كفر حشو ومات على كفره انتهى من المناوي.

وأرسل العلا إلى البحرين	**فأسلم المنذر دون مين**

العلا هو ابن الحضرمي وكان مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها له، وهو أول من بنى مسجدا في أرض الكفر وله في قتال الردة شأن عظيم قاله المناوي والبحرين كتثنية بحر في حال النصب والجر قاعدة من قواعد اليمن كذا في النور ولا يخالفه قول القسطلاني ان البحرين اسم لإقليم مشهور مشتمل على مدن معروفة قاعدتها هجر لأن المراد بالقاعدة الجانب الكبير كالاقليم فلا ينافي أن هجر قاعدة من

قواعده قاله الزرقاني، والمين الكذب ومعنى البيت أنه صلي الله تعالى عليه وسلم أرسل العلاء بن الحضرمي واسمه خالد بن ربيعة الى صاحب البحرين وهو المنذر بن ساوى بفتح السين المهملة والواو وقال القطب بكسر الواو وكذا فى المناوي وكتب له كتابا قال الزرقاني ولم أر من ذكر لفظ هذا الكتاب فأسلم المنذر وكتب إلى النبي صلي الله تعالى عليه وسلم كتابا وساوى هو ابن الأخنس ابن بيان بن عمرو بن عبد الله ابن زيد بن عبد الله بن دارم فهو تميمي دارمي عبدي لا من عبد القيس كما ظنه بعض أفاد ذلك الرشاطي قاله الزرقاني وكان مع العلاء أبو هريرة وذكر الجلال أن أبا هريرة قال لما بعثنا رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم إلى البحرين رأيت منه ثلاثا يعنى من العلاء لما انتهينا الى شاطئ قال سموا الله واقتحموا فسمينا فاقتحمنا فما بل الماء أسفل خفافنا وصرنا بفلات ولا ماء معنا وشكوا إليه فصلى ودعا وإذا بسحابة كالترس فسقينا واستقينا ومات فدفناه بالرمل فسرنا غير بعيد فقلنا يجيء سبع ياكله فرجعنا ولم نره نقله المناوي وكتب المنذر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي يهود ومجوس فاحدث إلى فى ذلك أمرك أي بقطع الهمزة وكسر الدال فكتب إليه صلي الله تعالى عليه وسلم بعد البسملة: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، أي أوامره ونواهيه فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وانه من يتبع رسلي ويطع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك فى قومك فاترك لهم ما أسلموا عليه أي من مال وزوجات وعفوت عن أهل الذنوب المتقدمة فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

وللحافظ العراقي:

وأرسل العلا أي ابن الحضرمي	لمنذر وهو ابن ساوى الدارمي
كان مع العلا أبو هريرة	فانقاد منذر لخير ملة
ووفد المنذر عام الفتح أو	في عام تسعة خلافا قد حكوا

(والأشعري ومعاذا لليمن)

(فاسلموا دون قتال وفتن)

الأشعري بالنصب عطف على العلا وهو أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس ومعاذ هو ابن جبل الخزرجي الجشمي كان عقبيا بدريا من فقهاء الصحابة وفي الحديث نعم الرجل معاذ بن جبل وفيه أرحم أمتي أبو بكر وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، رواهما الترمذي انتهى من الفتح.

ومراده أنه عليه السلام أرسل أبا موسى ومعاذا إلى اليمن أي إلى أهله فأسلموا بلا قتال ولا فتنة ومعناهما واحد فالعطف للتفسير أي أسلم غالبهم وبعث إليهم بعد ذلك عليا فقاتل من لم يسلم منهم حتى أسلموا كما ياتي. وقد إلتفت الناظم إلى المضاف المحذوف فرد عليه الضمير في قوله "فأسلموا" أي أهل اليمن.

وللعراقي:

كذاك أرسل معاذا وأبا	موسى الى مخالف واقتربا
وقال يسرا ولا تعسرا	طوعا وبشرا ولا تنفرا

قوله مخالف بفتح الميم وخاء معجمة جمع مخلاف بكسر الميم وهو الكورة والأقليم، واليمن مخلافان أي بعث كل منهما إلى مخلاف واقتربا أي تقاربا في المكانين وقال لهما يسرا على الناس ولا تعسرا وبشرا المؤمنين وكونا طوعا أي تطاوعا ولا تختلفا ولا تنفرا الناس عن الدخول في الدين فانطلق كل منهم إلى عمله وقال لمعاذ انك ستأتي

قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله فإن أطاعوا فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن أطاعوا فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، انتهى من المناوي. وقوله واليمن مخلافان قال في المراصد واليمن ثلاث ولآيات الجند ومخاليفها وصنعاء ومخاليفها وحضرموت ومخاليفها انتهى. نقله الزرقاني.

وفي المواهب أنه عليه السلام ولى أبا موسى زبيد وعدن وولى معاذ الجند وولى أبا سفيان بن حرب نجران انتهى. وزبيد بفتح الزاء وكسر الموحدة وسكون التحتية ودال مهملة مدينة باليمن وعدن بفتحتين مدينة باليمن أيضا والجند بفتح الجيم والنون فدال مهملة مدينة باليمن ونجران بفتح النون وسكون الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمي بنجران بن زيد بن سبإ وحضرموت بفتح فسكون وفتح الراء والميم وقد تضم الميم ناحية واسعة في شرقي عدن حولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف أنظر الزرقاني.

وفي المواهب مع بعض كلام الزرقاني وبعث أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك وكان انصرافه منها في رمضان سنة تسع وقيل سنة عشر وقيل عام الفتح سنة ثمان داعين إلى الإسلام فأسلم غالب أهلها من غير قتال ثم بعث عليا بن أبي طالب بعد ذلك إليهم في رمضان سنة عشر كما قال ابن سعد فقاتل من لم يسلم فهزموا وقتل منهم فكف ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا الإجابة وكتب للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم فأمره ان يوافيه بالموسم فوافاه بمكة في حجة الوداع انتهى المراد منهما.

فائدة:

اقتصر الناظم على ما مر من رسله عليه السلام وفي المواهب وشرحها أنه عليه السلام بعث جرير بن عبد الله البجلي بالتحريك

نسبة إلى بجيلة بفتح فكسر بنت صعب بن سعد العشيرة نسبت إليها القبيلة إلى ذي الكلاع بفتح الكاف واللام الخفيفة فألف فعين مهملة اسمه اسميفع بفتح الهمزة والميم وسكون السين المهملة والتحتية وإلى ذي عمرو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا.

وروي أن ذا الكلاع قدم المدينة في زمن عمر ومعه أربعة آلاف فسأله عمر في بيعهم فأعتقهم وروى يعقوب بن شيبة أنه كان عنده اثني عشر ألف بيت فقال له عمر بعنا هؤلاء نستعين بهم على عد والمسلمين فقال لا هم أحرار، فأعتقهم كلهم في ساعة واحدة. وتوفي عليه السلام وجرير عندهم وقال جرير ما صحبني صلي الله تعالى عليه وسلم ولا رآني إلا تبسم رواه الشيخان وقال عليه السلام جرير منا أهل البيت. رواه الطبراني. وقال فيه عمر هو يوسف هذه الأمة أي لجماله انتهى. وما قدمت من ضبط ذي الكلاع عزاه الزرقاني للقسطلاني وغيره.

وللعراقي:

كـذا جـريرا نحـو ذي الكلاع	ونحـو ذي عـمـرو ونعم الداعي
دعـاهـمـا لملة الإسـلام	فـاسـتـسلمـا إليـه باستـسلام

أي بانقياد دون محاربة. قاله المناوي. وبعث أيضا عمرو بن أمية الضمري الى مسيلمة الكذاب بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام فكتب إليه مسيلمة كتابا يذكر فيه أنه رسول الله مثله وأنه أشرك مع المصطفى بالنصف في الأرض وأن قريشا قوم لا يعدلون، فكتب إليه بعد البسملة من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد {فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين}، بلغني كتابك الكذب والإفك والإفتراء، على الله والسلام على من اتبع الهدى وبعثه إليه مع السائب أخ الزبير بن العوام ذكره ابن سعد قاله الزرقاني. وللعراقي بعد ما تقدم:

وعـمـرا الضـمـري إلى مـسـيلمـه	فـلـم يـؤب عن كـذبـه ولـزمـه

أرسل له كتابه مع سائب ثانية فلم يكن بالتائب

عمرا بالنصب أي وأرسل عمرا وقوله فلم يؤب أي لم يرجع عن كذبه بكسر فسكون ولزم كذبه ثم أرسل له أي لمسيلمة كتابه مع سائب بن العوام أخ الزبير انتهى من المناوي.

وبعث أيضا المهاجر بن أمية بن المغيرة شقيق أم سلمة إلى الحارث بن عبد كلال بضم الكاف كما في المناوي وأخويه مسروح ونعيم الحميريين وكان الحارث أحد أقيال اليمن، قال الهمداني فوفد عليه الحارث فاعتنقه وأفرشه رداءه وقال قبل أن يدخل عليه يدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين صبيح الخدين فكان هو وقال في الإصابة والذي تظاهرت به الروايات أنه أرسل بإسلامه وأقام باليمن. ولابن اسحاق ان الحارث كتب إلى المصطفى شعرا يقول فيه:

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنت بما فيه من الحق آمر

انتهى من المواهب وشرحها.

وما ذكر من أن المبعوث إلى بني عبد كلال المهاجر خلاف ما للعراقي من أنه عياش بن أبي ربيعة المخزومي وسلمه المناوي ونصه بعد ما قدمت عنه:

وبعده عياشا أيضا أرسلا إلى بني عبد كلال قبلا
كلهم كتابه فأسلموا نعيم الحارث مسروحهم

ونعيم بالتصغير ومسروح بسين وحاء مهملتين والحارث بيان لبني عبد كلال انتهى. وما مر ذكره الزرقاني، والله تعالى أعلم.

وبعث أيضا بريدة بضم الموحدة ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين الأسلمي. ويقال كعب بن مالك الأنصاري إلى أسلم بفتح فسكون قبيلة من الأزد وغفار ككتاب قبيلة من كنانة وسبق إلى الإسلام منهم أبو ذر وأخوه أنيس ورجع أبو ذر إلى قومه فأسلم الكثير منهم.

وفي القبيلتين قال عليه السلام أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وفيه من جناس الاشتقاق ما يلذ على السمع وبعث أيضا عباد بن بشر الأنصاري إلى سليم ومزينة وهو اسم امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس وهي مزنية بنت كلب بن وبرة وهي أم أوس وعثمان ابني عمرو بن أد بن طابخة أنظر الزرقاني.

وبعث أيضا إلى فروة بن عمرو ويقال ابن عامر الجذامي بضم الجيم كما في المناوي وكتب إليه كتابا ولم يسم من ذهب به وكان عاملا لقيصر على من يليه من العرب فأسلم وكتب إلى المصطفى عليه السلام بإسلامه وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد الجذامي وهي بغلة شهباء يقال لها فضة بلفظ أحد النقدين وفرس يقال له الظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء لكبره وسمنه أو لقوته وصلابة حافره وحمارا يقال له يعفور. قاله القسطلاني. قال الزرقاني بناء على أنه غير عفير الذى أهداه المقوقس وبعث إليه أثوابا وقباء بفتح القاف وخفة الموحدة والمد والقصر من قبوت الشيء إذا ضممت أصابعك عليه سمي به لانضمام أطرافه سندسيا مذهبا أي قباء من السندس وهو ما رق من الديباج انتهى.

وللعراقي:

وأرسل النبي أيضا إذ كتب	لعدة لم يسّم من بها ذهب
لثروة بن عمرو الجذام	أفلح إذ أقر بالإسلام

قوله لم يسم إلخ.. أي لم يسم من ذهب بالكتاب فكتب لفروة بن عمرو الجذامي بضم الجيم وذال معجمة وأفلح فاز وظفر ولما بلغ ملك الروم إسلامه حبسه فمات في الحبس فصلبوه على ماء يقال له عفراء بفلسطين أنظر المناوي. وقال في ذلك:

ابلغ سراة المسلمين بأنني	سلم لربي أعظمي وثياب

ولما ذكر رسله عليه السلام ناسب أن يذكر من كان يكتب من أصحابه الكتب التي يبعث بها رسله أو يكتب غيرها كالوحي وإلى بيانهم أشار بقوله:

(بيـــان من كـــان من الكتـــاب له صلى عليـــــه ربنا وفـــــضله)

الكتاب جمع كاتب والمراد به من كان يكتب له صلي الله تعالى عليه وسلم الوحي أو غيره أي هذا بيان من كان يكتب له عليه السلام من أصحابه، وصلى عليه أي أعطاه صلاة أي رحمة يلازمها تعظيم وفضله زاده فضلا وهذا لا يكتسب به صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة ونحن مامورون بذلك تعظيما له عليه السلام، وفضلا منه تعالى علينا لننال به جزيل الثواب ثبتنا الله تعالى نحن وأحبتنا على محبته إلى المماة.

(زيد) قوله زيد بالرفع وما بعده معطوف عليه خبر مبتدإ محذوف أي وهم زيد إلخ.. وذكر العراقي أن عددهم اثنان وأربعون وزيد هو ابن ثابت ابن الضحاك ابن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن ملك بن النجار الخزرجي استصغر يوم بدر وشهد أحدا وقيل أول مشاهده الخندق وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك قدم صلي الله تعالى عليه وسلم المدينة وله إحدى عشرة سنة كان مشهورا بكتب الوحي وكان يكتب له المراسلات وكتب للعمرين وكان عمر يستخلفه إذا حج، مات سنة خمسين أو ثمان وأربعين، فقال أبو هريرة اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله تعالى أن يجعل في ابن عباس خلفا منه وكان أحد فقهاء الصحابة رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والفرائض، وقال عليه السلام أفرضكم زيد رواه أحمد وذهب زيد ليركب فأمسك ابن عباس بالركاب فقال تنح يابن عم رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم فقال لا هكذا نفعل بالعلماء والخبراء وكان زيد ممن جمع القرآن في خلافة أبي بكر ونقله إلى المصحف في خلافة عثمان.

(أبـــي) بحذف العاطف أي ومن كتابه عليه السلام أبي بضم الهمزة

بالنار وفى ذلك تقول زوجته عاتكة:

قـدر ابن جـرمـوز بفـارس بـهـمـة	يوم الهـيـاج وكـان غـيـر مـعـرد
يا عـمـرو لو نبـهـتـه لرأيتـه	لا طائشـا رعش الجنان ولا اليـد
شلت يمينك إن قـتـلت لمسـمـا	حلت عليك عـقـوبة المتـعـمـد

(والعـلا) أي ومن كتابه عليه السلام العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أو ابن عمارة، سكن مكة وخالف حرب بن أمية والعلاء صحابي جليل استعمله عليه السلام على البحرين فأقره أبو بكر وعمر حتى مات سنة أربع عشرة أو إحدى وعشرين ويقال أنه مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها كما مرّ.

(والخالدان) تثنية خالد كانا كاتبين له عليه السلام، ويعنى بهما خالد بن الوليد المخزومي سيف الله المسلول على المشركين وخالد بن سعيد ابن العاصي بن أمية بن عبد شمس وكان خالد هذا من السابقين قيل كان رابعا أو خامسا فعاقبه أبوه أبو أحيحة ومنعه القوت فهاجر الى الحبشة حتى قدم مع جعفر قاله الزرقاني. وفى المناوي عن شرف المصطفى للنيسابوري أن أول من كتب له عليه السلام خالد بن سعيد، قال وقيل أنه أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وهو الذى أهدى للرسول خاتمه الذى نقش عليه محمد رسول الله فوقع فى بئر أو يبس انتهى كلامه. وأما خالد بن الوليد فأسلم بين الحديبية والفتح.

(الخلفاء الفضلا)، الخلفاء بالرفع بحذف العاطف والفضلاء نعت له يعنى أنه من كتابه صلى الله تعالي عليه وسلم الخلفاء الراشدون خير هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. أما أبو بكر فهو تيمي واسمه عبد الله بن أبي قحافة بضم القاف وكان يسمى عتيقا أما لحسنه أو لسبقه إلى الإسلام أو لأنه ليس فى نسبه ما يعاب أو لأن أمه استقبلت به البيت فقالت اللهم إن هذا عتيقك من الموت، قالت ذلك

لأنها كانت لا يعيش لها ولد، أو لعتقه من النار، ولقب بالصديق لتصديقه للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم أول مرة، ولازم الصدق فلم تقع منه هفوة ولا وقفة فى حال من الأحوال أو لأن الله تعالى صدقه أي نسبه للصدق قولا وفعلا فى نحو قوله تعالى: {فأما من أعطى واتقي وصدق بالحسني}. وولي الخلافة سنتين ونصفا، قاله فى المواهب. وفى فتح الباري سنتين وثلاثة أشهر وأياما وقيل غير ذلك. قاله الزرقاني.

وأما عمر رضي الله تعالى عنه فهو من بنى عدي بن كعب ويلقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وعن ابن مسعود والله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال قاله فى المواهب وقتله بعد أن أحرم فى صلاة الصبح أبو لؤلؤة فيروز المجوسي، غلام المغيرة بن شعبة، طعنه بخنجر له رأسان ثلاث طعنات ثم طار العلج لا يمر على أحد إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من المسلمين برنسا فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه ولما أخبر عمر أنه هو الذى طعنه قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام وكان ذلك لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فعاش حتى انسلخ الشهر ودفن هلال المحرم وعمره وعمر أبو بكر على المشهور ثلاث وستون كعمره صلي الله تعالى عليه وسلم، وأما عثمان فهو ابن عفان ابن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ويلقب بذي النورين لتزوجه بنتي المصطفى صلي الله تعالى عليه وسلم. وروى البيهقي أنه كان يكتب له الأمور التى يريد اخفاءها عن الناس فهو كاتب سره، قاله الزرقاني.

وقال عليه السلام لكل نبي رفيق ورفيقي فى الجنة عثمان رواه الترمذي. قال فى المواهب وكانت خلافته إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ثم قتل شهيدا. وروي فى سبب قتله أن أهل مصر رحلوا يشكون ابن أبي سرح فعزله وكتب لهم كتابا بتولية محمد

بالنار وفى ذلك تقول زوجته عاتكة:

قدر ابن جرموز بفارس بهمة　　يوم الهياج وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لرأيته　　لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسما　　حلت عليك عقوبة المتعمد

(والعلا) أي ومن كتابه عليه السلام العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أو ابن عمارة، سكن مكة وخالف حرب بن أمية والعلاء صحابي جليل استعمله عليه السلام على البحرين فأقره أبو بكر وعمر حتى مات سنة أربع عشرة أو إحدى وعشرين ويقال أنه مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها كما مرّ.

(والخالدان) تثنية خالد كانا كاتبين له عليه السلام، ويعنى بهما خالد بن الوليد المخزومي سيف الله المسلول على المشركين وخالد بن سعيد ابن العاصي بن أمية بن عبد شمس وكان خالد هذا من السابقين قيل كان رابعا أو خامسا فعاقبه أبوه أبو أحيحة ومنعه القوت فهاجر الى الحبشة حتى قدم مع جعفر قاله الزرقاني. وفى المناوي عن شرف المصطفى للنيسابوري أن أول من كتب له عليه السلام خالد بن سعيد، قال وقيل أنه أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وهو الذى أهدى للرسول خاتمه الذى نقش عليه محمد رسول الله فوقع فى بئر أو يبس انتهى كلامه. وأما خالد بن الوليد فأسلم بين الحديبية والفتح.

(الخلفاء الفضلا)، الخلفاء بالرفع بحذف العاطف والفضلاء نعت له يعنى أنه من كتابه صلى الله تعالي عليه وسلم الخلفاء الراشدون خير هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. أما أبو بكر فهو تيمي واسمه عبد الله بن أبي قحافة بضم القاف وكان يسمى عتيقا أما لحسنه أو لسبقه إلى الإسلام أو لأنه ليس فى نسبه ما يعاب أو لأن أمه استقبلت به البيت فقالت اللهم إن هذا عتيقك من الموت، قالت ذلك

لأنها كانت لا يعيش لها ولد، أو لعتقه من النار، ولقب بالصديق لتصديقه للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم أول مرة، ولازم الصدق فلم تقع منه هفوة ولا وقفة في حال من الأحوال أو لأن الله تعالى صدقه أي نسبه للصدق قولا وفعلا في نحو قوله تعالى: {فأما من أعطى واتقي وصدق بالحسني}. وولي الخلافة سنتين ونصفا، قاله في المواهب. وفي فتح الباري سنتين وثلاثة أشهر وأياما وقيل غير ذلك. قاله الزرقاني.

وأما عمر رضي الله تعالى عنه فهو من بني عدي بن كعب ويلقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وعن ابن مسعود والله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال قاله في المواهب وقتله بعد أن أحرم في صلاة الصبح أبو لؤلؤة فيروز المجوسي، غلام المغيرة بن شعبة، طعنه بخنجر له رأسان ثلاث طعنات ثم طار العلج لا يمر على أحد إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من المسلمين برنسا فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه ولما أخبر عمر أنه هو الذي طعنه قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام وكان ذلك لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فعاش حتى انسلخ الشهر ودفن هلال المحرم وعمره وعمر أبو بكر على المشهور ثلاث وستون كعمره صلي الله تعالى عليه وسلم، وأما عثمان فهو ابن عفان ابن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ويلقب بذي النورين لتزوجه بنتي المصطفى صلي الله تعالى عليه وسلم. وروى البيهقي أنه كان يكتب له الأمور التى يريد اخفاءها عن الناس فهو كاتب سره، قاله الزرقاني.

وقال عليه السلام لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان رواه الترمذي. قال في المواهب وكانت خلافته إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ثم قتل شهيدا. وروي في سبب قتله أن أهل مصر رحلوا يشكون ابن أبي سرح فعزله وكتب لهم كتابا بتولية محمد

بن الصديق فرضوا فلما كانوا اثناء الطريق أتاهم راكب فأخبرهم أنه من عند عثمان بكتاب بإقرار ابن أبي سرح ومعاقبة جماعة من أعيانهم فأخذوا الكتاب ورجعوا وواجهوه فحلف أنه ما كتب ولا أذن، فقالوا أسلم لنا كاتبك مروان ابن الحكم فخشي عليه القتل منهم فلم يسلمه لهم فغضبوا وحاصروه في داره واجتمع جماعة يحمونه منهم، فنهاهم عن القتال، إلى أن تسوروا عليه فقتلوه يوم الجمعة بعد العصر لثمان عشرة وقيل لسبع عشر وقيل لاثنين وعشرين خلت من ذي الحجة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وأشهر على الصحيح فعظم ذلك على الصحابة وغيرهم من أهل الخير فكان ما كان أنظر الزرقاني.

وقال المحقق اليوسي في حواشي الكبرى أعلم ان عثمان لم يقتله أحد من الصحابة بل ولا حضر قتله أحد منهم ولا رضي به، قال ابن حجر المكي حيث تكلم على قتل عثمان رضي الله تعالى عنه احذر لئلا تهلك أن تعتقد أن أحدا من الصحابة أراد قتل عثمان ولا عاون عليه بوجه وإنما سكت عنه من سكت لأحد أمرين اما الخوف على النفس لأن أولئك المتمالئين من أهل مصر والشام وغيرهما على حصره أخلاط كثيرون ولا يوقرون كبيرا ولا صغيرا واما رجاء ان ذلك الحصار يودي الي تسليم مروان ليقضي بينه وبين من سعى في قتلهم ويقام عليه موجب ذلك فإنه لا يخلو حاله أي مروان من أن يكون افتات علي عثمان بكل ما فعل وهو الظاهر الذي لا يمتري فيه ذو لب إلى آخر كلامه أي اليوسي وفي آخر كلامه ما نصه والصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم على هدى والمدخل نفسه في خلاف ذلك موقع لها في ورطة يخشى عليه منها سلب الإيمان والعياذ بالله تعالى وأما من قاتل عليا فإنما قاتلوه اجتهادا لا عدوانا، ولا طلبا لدنيا لكن أخطؤوا في اجتهادهم لأن عليا هو الامام الحق وقد علم ان المجتهد لا يأثم بالخطإ بل له أجر الاجتهاد انتهى كلامه.

وقال أبو الحسن في تحقيق المباني في شرح قول الرسالة: والإمساك عما شجر أي وقع، من النزاع بينهم بعد كلام يجب على المسلم أن يتأول

ما نقل عنهم نقلا صحيحا أحسن التأويلات فيتأول ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما أن عليا طلب انعقاد البيعة أولا إذ لا تقام الحدود ولا يستقيم أمر الناس إلا بإمام وطلب معاوية القصاص من الذين قتلوا عثمان، فوقع ما وقع ولكن اتفق أهل الحق أن عليا اجتهد فأصاب، فله أجران وأن معاوية اجتهد فأخطأ فله أجر واحد انتهى المراد منه.

وقال القلشاني بعد كلام.. قال بعض الأئمة أصحاب النبي صلي الله تعالى عليه وسلم كلهم عيون ودواء العين أن لا تمس انتهى المراد منه.

ولاشك أن من ثبت له اسم الصحبة لا يتكلم فيه بغير الثناء إلا من أراد الله تعالى خذلانه، نعوذ بالله تعالى من ذلك. وأما علي فهو ابن أبي طالب، عم رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم، قال الإمام أحمد واسماعيل القاضي والنسائي لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجيدة أكثر مما جاء في حق علي وروى الطبراني أنه عليه السلام قال لعلي الله ورسوله وجبريل عنك راضون.

وروى هو وأحمد أنه عليه السلام قال لفاطمة أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي إسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما؟ وفي رواية للطبراني: أول المسلمين إسلاما؟

وقال له لا يحبك إلامؤمن ولا يبغضك إلا منافق، رواه مسلم. بايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر وكتب ببيعته إلى الآفاق وأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام. قال في المواهب وأقام في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وتوفي شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص بكتابة الصلح يوم الحديبية انتهى. وعمره ثلاث وستون على الصحيح المشهور. وملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم كما قيده غير واحد منهم النووي والأسنوي وعن الاقتاع كسرها، وذلك أنه تعهد ثلاثة من الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاصي ليلة واحدة،

ليلة سبع عشرة من رمضان فقال ابن مجلم المرادي أنا لكم بعلي وقال البرك بن عبد الله التميمي أنا لكم بمعاوية وقال عمر بن بكير التميمي أنا لكم بعمر ثم توجه كل إلى المصر الذى فيه صاحبه فأتى ابن ملجم الكوفة واختفى وتزوج قطام امرأة من الخوارج كان علي قتل أباها فشرطت عليه قتل علي فلما كانت ليلة سابع عشر رمضان سنة أربعين خرج علي للصبح فضربه ابن ملجم بسيف مسموم فى جبهته فأوصله إلى دماغه فقال علي فزت ورب الكعبة فمسكوا ابن ملجم وحبسوه حتى مات علي رضي الله تعالى عنه ليلة الأحد فقطعت أطراف ابن ملجم وجعل فى مقصورة وأحرق بالنار وروى الطبراني أنه عليه السلام قال لعلي من أشقى الأولين؟ قال عاقر الناقة. قال من أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم. قال قاتلك والذى سار إلى معاوية ضربه فداووه فصح لكن صار لا يلد وقطعت أطرافه أي صاحب معاوية وولد له فقال زياد أيولد له ومعاوية لا يولد له فقتله. وأما عمرو فاشتكى بطنه تلك الليلة فأمر خارجة بالصلاة بالناس فقتله فقيل له إنما قتلت خارجة فقال أردت عمرا، وأراد الله خارجة، فقتلوه أنظر الزرقاني. ويأتي إن شاء الله تعالى مزيد كلام في الخلفاء عند ذكر الناظم لهم فيمن يقطع لهم بالجنة.

(وثابت)، أي ومن كتابه عليه السلام خطيبه ثابت وهو ابن قيس ابن شماس بفتح المعجمة وشد الميم فألف فمهملة ابن زهير ابن مالك الخزرجي خطيب الأنصار. وقال عليه السلام نعم الرجل ثابت بن قيس. رواه الترمذي ولما نزل {لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبئ} قعد ثابت يبكي فقال له عاصم بن عدي ما يبكيك؟ فقال أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت، فرفع ذلك عاصم إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، فدعا به، فقال أما ترضى أن تعيش حميدا؟ وتقتل شهيدا وتدخل الجنة؟ قال رضيت ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم. فأنزل الله: {إن الذين يغضون أصواتهم} (الآية). أخرجه ابن جرير واستشهد باليمامة سنة إحدى عشرة وأجيزت وصيته

بعد الموت ولا يعلم ذلك لغيره. فعن أنس لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت ألا ترى يا عم وجدته متحنطا قال ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم، اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء فقاتل حتى قتل فكان عليه درع فمر به رجل مسلم فأخذه فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أخذ درعي فلان ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفى علي الدرع برمة فإيت خالدا فمره فليأخذها وليقل لأبي بكر أن علي من الدين كذا وكذا وفلان عتيق، فاستيقظ الرجل فأخبر خالدا فبعث إلى الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته نقله الزرقاني.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه فقد ألغزت بهذه القصة فقلت:

من ذا الذى أوصى وهو ميت   فأنفذ الإيصاء منه يا فتى

وأجبت سؤالي فقلت:

ذاك خطيب المصطفى ثابت ابـ   ـن قيس الخزرجي ذا فيه أتى

وهو بتشديد الواو والخزرجي بحذف الياء وثابت هذا هو الذى كتب كتاب قطن بالتحريك بن حارثة العليمي بالتصغير نسبة لبني عليم بطن من كلب واسلم قطن وصحب.

(وعامر) أي ومن كتابه عليه السلام عامر بن فهيرة بضم الفاء التيمي مولى أبي بكر أحد السابقين كان يعذب في الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه واستشهد في أهل بئر معونة باتفاق وفي البخاري وغيره أن عامرا بن الطفيل سأل من رجل منكم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض قالوا عامر بن فهيرة **(وعمرو)** من الكتاب أيضا وهو ابن العاصي بن وائل السهمي قال في المواهب أسلم عام الحديبية انتهى. وفي الإصابة أسلم قبل الفتح في صفر، سنة ثمان وقيل بين الحديبية

وخيبر وهو فاتح مصر فى أيام عمر، وكان عليه السلام يقربه لدينه وشجاعته. وروي أبو يعلى أنه عليه السلام قال عمرو بن العاصي من صالحي قريش وقال فيه عمر بن الخطاب ما ينبغي له أن يمشي على الأرض إلا أميرا وولي مصر مرتين، الأولى ولاه عمر لما فتحها وأبقاه إلى أن مات، فأبقاه عثمان ثم عزله وولى ابن سرح والثانية ولاه أمرها معاوية فمات بها سنة نيف وأربعين. قال الليث هو ابن تسعين سنة، وقال العجلي تسع وتسعين. رضي الله تعالى عنه.

(عمار سلمان بلال الصدر)

قوله الصدر صفة لبلال، ومعناه المتقدم ولا شك فى تقدم إسلام بلال رضي الله تعالى عنه وتقدمه فى الصحابة وقد قال عمر بن الخطاب: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلالا رضي الله تعالى عن جميعهم. ومراده أن هؤلاء الثلاثة من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم. أما عمار فهو ابن ياسر ويكنى أبا اليقظان وهو عنسي بالنون كما فى فتح الباري واسم أمه سمية بمهملة مصغرا أسلم هو وأبوه قديما وعذبوا لأجل الإسلام وقتل أبو جهل أمه سمية فكانت أول شهيد فى الإسلام انتهى كلام الفتح. وأما سلمان فهو ابن عبد الله الفارسي وتقدم الكلام عليه فى الموالي وأما بلال فهو ابن رباح وأمه حمامة والمشهور أنه حبشي وقيل نوبي ومر الكلام عليه أيضا.

تنبيه:

ذكر الناظم رحمه الله تعالى من الكتاب اثنين وعشرين وهؤلاء الثلاثة لم يذكرهم فى كتابه عليه السلام صاحب العيون ولا القسطلاني فى المواهب إذ تعرض لذكر الكتاب ولا العراقي مع أنه ذكر اثنين وأربعين وقال:

كتابه اثنان وأربعونا

وقال في اثنائه:

واقتصر المزي مع عبد الغني　　منهم على ذا العدد المبين
وزدت من مفترقات السير　　جمعا كثيرا فاحفظنه واحصري

فلعله لم يطلع على هؤلاء والله تعالى أعلم. وذكر ابن سيد الناس منهم أربعين:

(وابن أبي سفيان)، يعني أن من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدنا معاوية بن أبي سفيان بن حرب، بن أمية بن عبد شمس، بن عبد مناف وهو مشهور بكتابة الوحي ولي لعمر الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان وأقره عثمان مدة خلافته ومدة إمارته من قبلهما عشرون سنة وكان أمير المؤمنين عشرين سنة أيضا، بعد نزول الحسن سبط سيد المرسلين له عن الخلافة صونا لدماء المسلمين لا عجزا ولا ضعفا، وكان معاوية حاسبا وكان فصيحا حليما، وقورا فقيها، وقال عليه السلام فيه: اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب. رواه الإمام أحمد في مسنده أنظر المواهب وشرحها. قال المناوي وهو وأبوه وأخوه يزيد من مسلمة الفتح وكان هو وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك وأخصهم به، يعني للكتب له عليه السلام. انتهى ومات في العشر الأخير من رجب، سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين **(مع أبان)** يعني أن من الكتاب أبانا وكذا منهم خالد وسعيد أخوهما وهؤلاء الثلاثة أولاد أحيحة، سعيد بن العاصي الأموي وخالد قد مر الكلام عليه عند قول الناظم: والخالدان، وأما أبان فعده ابن اسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة وذكر الواقدي أنه أسلم أيام خيبر ووافقه عليه علماء الأخبار وهو المشهور قاله الزرقاني، فقول المواهب في عد الكتاب وسعيد بن العاصي أي سعيد بن سعيد ابن العاصي بن أمية وهكذا هو في ابن سيد الناس ولم يبين ذلك الزرقاني. قاله مؤلفه سمح الله له.

(وابن الربيع فاستمع بيان)

وقوله فاستمع بيان تتميم والبيان الإظهار والإفصاح أي ومن كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم حنظلة بن الربيع بن صيفي بفتح المهملة وسكون التحتية ابن الحارث التميمي كتب له عليه السلام وأرسله إلى أهل الطائف وهو ابن أخي أكثم بالمثلثة ابن صيفي وكان يقال له حنظلة الكاتب ومات في خلافة معاوية ويقال ورثته الجن وفيه تقول امرأة:

إن سواد العين أودى به حزني على حنظلة الكاتب

وقول المواهب وحنظلة ابن الربيع الأسيدي أي بضم الهمزة مصغر نسبة إلى جده الأعلى أسيد بن عمر أوبن تميم وأسيد تثقل ياؤه وتخفف، قاله الزرقاني، وقال في قول المواهب هنا الذي غسلته الملائكة انتهى كذا في النسخ وهو غلط فاضح، فإن هذا تميمي وغسيل الملائكة أوسي وهو حنظلة ابن ابي عامر، واسمه عمرو بن صيفي بن زيد الأوسي عرف أبوه في الجاهلية بالراهب وسماه المصطفى بالفاسق، ولعله كان في الأصل غير الذي غسلته الملائكة فسقط لفظ غير، انتهى كلامه.

(ثم ابن مسعود أخو الوداد)، الوداد بالتثليث المحبة، أي من الكتاب عبد الله بن مسعود الهذلي صاحب المودة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته. ففي الحديث رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، يعني ابن مسعود، ولم يذكره في المواهب حين تعرض للكتاب ولا العراقي ولا ابن سيد الناس والله أعلم. وأبوه مسعود وهو ابن غافل بن حبيب ابن شمخ من بني هذيل بن مدركة بن إلياس، مات مسعود في الجاهلية وأسلمت أم عبد الله وصحبت وكانت تكنى أم عبد وروى الحاكم أن حذيفة قال لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة يوم القيامة، وكان عبد الله هذا من علماء الصحابة، وممن هاجر الهجرتين وشهد بدرا، وروى ابن حبان أنه كان سادس ستة في الإسلام ومات في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين وقد جاوز الستين قاله في فتح الباري.

(**وحمزة منهم مع المقداد**)، حمزة هو ابن عبد المطلب، والمقداد هو ابن عمر ويقال له ابن الأسود، لأنه كان تبناه ولم يعدهما فى الكتاب من تقدم ذكرهم قريبا والمقداد كندي وذكره فى المواهب فيمن يضرب الأعناق بين يدي رسول الله عليه السلام، وكذا عده فيهم ابن سيد الناس، ولم يذكره الناظم فيما ياتي، وها أنا أذكر إن شاء الله تعالى من الكتاب من وقفت عليهم ممن تركهم الناظم، فأقول ومنهم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب، بن سعد بن تيم بن مرة، جده عليه السلام أحد العشرة وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى وأمه الصعبة أخت العلاء بن الحضرمي أسلمت وهاجرت. وقال عليه السلام يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول لك أنا معك، فى أهوال القيامة حتى أنجيك منها رواه الديلمي وابن عساكر، وقال اللهم ألق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه، رواه الطبراني وقال طلحة خير شهيد يمشي على وجه الأرض، وقال ما أنت يا طلحة إلا فياض، وروي أنه سماه طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الطلحات، وليس هو الخزاعي الذى قيل فيه:

نضر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

استشهد يوم الجمل قرب البصرة سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين أو أربع وستين وقيل غير ذلك، أنظر الزرقاني، وكونه من الكتاب ذكره العراقي، وابن سيد الناس والقسطلاني وغيرهم. ومنهم سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بالهمز بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. وقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا خالي فليرني أمرء خاله، رواه الترمذي، وتقدم الكلام عليه فى الحراس وذكره فى الكتاب القسطلاني، ومنهم أبو سفيان بن حرب، واسم أبي سفيان صخر، ومنهم ابنه يزيد بن أبي سفيان، أسلما فى الفتح، كما مرّ وكان يزيد من سادات الصحابة ويكنى أبا الحكم، قال ابن عبد البر وهو أفضل بنى أبي سفيان، وأمه زينب بنت نفيل من بنى كنانة ويقال له

يزيد الخير، كان واليا لعمر على دمشق، فلما مات وليها بعده أخوه معاوية، أعطاه، أي يزيد عليه السلام مائة بعير من غنائم حنين وأربعين أوقية، ذكرهما في الكتاب القسطلاني. وذكر ابن سيد الناس يزيد، وذكرهما معا العراقي، ومنهم عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف الزهري قاله المناوي، وقال الزرقاني عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم واسمه عبد يغوث بن وهب فجده عبد يغوث خاله عليه السلام، انتهى. وقال ابن سيد الناس وعبد الله بن الأرقم الزهري. انتهى.

ومنهم شرحبيل بضم المعجمة وفتح الراء وسكون المهملة فموحدة فتحتية فلام ابن حسنة الصحابية، ممن هاجر إلى الحبشة مع ابنها وهي أمه على ما جزم به غير واحد، وقال ابن عبد البر بل تبنته وأبوه عبد الله بن المطاع الكندي ويقال التميمي أسلم قديما هو وأخواه لأمه جنادة وجابر ابنا سفيان بن معمر بن حبيب الجمحي وهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وهو أول كاتب لرسول الله صلى الله تعالى علي وسلم وسيره أبو بكر في فتوح الشام، وولاه عمر على ربع من أرباعها، وبها مات سنة ثمان عشرة انظر المواهب وشرحها، وأول من كتب له صلى الله تعالى عليه وسلم من الأنصار أبي بن كعب، قاله ابن سيد الناس، وقال المناوي وهو يعني أبيا أول من كتب للمصطفى عليه السلام بالمدينة، وللعراقي رحمه الله تعالى:

كتابه اثنان وأربعونا	زيد بن ثابت وكان حينا
كاتبه وبعده معاويه	ابن أبي سفيان كان واعيه
كذا أبوبكر كذا علي	عمر عثمان كذا أبي
وابن سعيد خالد حنظلة	كذا شرحبيل أمه حسنة
وعامر وثابت بن قيس	كذا ابن أرقم بغير لبس
واقتصر المزي مع عبد الغني	منهم على ذا العدد المبين

قوله وكان حينا، أي من الدهر. وقوله وكان واعية أي كثير الحفظ. وفي شرف المصطفى للنيسابوري أن خالد بن سعيد هو أول من كتب له عليه السلام، وقوله كذا ابن أرقم إلخ، كتب بعده لأبي بكر ثم عمر، قال مالك بلغني أنه ورد على المصطفى كتاب فقال من يجيبه؟ فقال أنا. فأجابه فأتى به المصطفى عليه السلام فأعجبه لأنه أصاب ما أراده وكان إذا كتب إليه بعض الملوك يامره أن يجيبه ولا يقرأه لأمانته عنده، واستعمله عمر وعثمان على بيت المال، ثم استعفى عثمان فأعفاه وأعطاه ثلاث مائة درهم فأبى أن يقبلها وقال عملت لله، وكان عمر يقول ما رأيت أخشى لله منه. والمزي بكسر الميم هو الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي وعبد الغني هو الحافظ أبو محمد المقدسي، انتهى من المناوي.

ومنهم المغيرة بضم الميم على الأشهر وحكي كسرها، والهاء فيه في الأصل للمبالغة ابن شعبة الثقفي أسلم قبل الحديبية وشهدها وشهد بيعة الرضوان وكان من دهات العرب، كان يقال له مغيرة الرأي، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، ومات سنة خمسين على الصحيح وقيل قبلها بسنة أنظر الزرقاني.

ومنهم عبد الله بن رواحة الخزرجي أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها، واستشهد بمؤتة ومنهم معيقيب بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون التحتية فقاف مكسورة بعدها تحتية فموحدة قال ابن شاهين ويقال معيقب بغير الياء الثانية وهو ابن أبي فاطمة الدوسي ويقال انه من ذي أصبح وهو حليف بني أمية من السابقين للإسلام بمكة وشهد المشاهد، ومات في خلافة عثمان أو علي، وقيل عاش بعد الأربعين، ومنهم حذيفة بن اليماني واسمه حسيل بالتصغير، ويقال حسل بكسر فسكون ابن جابر العبسي بسكون الموحدة وكان صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ففي مسلم عنه لقد حدثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما كان وبما يكون إلى أن تقوم الساعة. وكان من

السابقين وأبوه صحابي أيضا فأراد هو وأبوه شهود بدر فصدهم المشركون، وشهد حذيفة أحدا وما بعدها واستشهد أبوه بأحد قتله المسلمون خطأ يظنونه من المشركين، وقد مر هذا ومات حذيفة سنة ست وثلاثين وفى المناوي أن حذيفة كان يكتب له خرص النخل، ومنهم حويطب بن عبد العزى ابن أبي قيس ابن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حلس بن عامر بن لؤي أسلم يوم الفتح وشهد حنينا وعاش مائة وعشرين سنة ومات سنة أربع وخمسين، قاله فى المواهب.

ومنهم بريدة بضم الموحدة بن الحُصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين الأسلمي فقد روي عن مجاهد ان المصطفى أعطاه أرضا باليمن، انتهى من المناوي.

ومنهم السجل، روى أبو داوود والنسائي وابن عباس فى قوله تعالى: {يوم نطو السماء كطي السجل للكتاب} السجل كاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وروى ابن مردويه وابن مندة عن ابن عمر قال: كان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتب يقال له السجل، فأنزل الله {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب} والسجل هو الرجل بالحبشة وأخرجه أبو نعيم والخطيب، فهذا الحديث صحيح وغفل من زعم أنه موضوع نقله الزرقاني عن الإصابة، ونحوه فى المناوي.

ومنهم محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الأوسي الحارثي، ذكره الجماعة، قاله المناوي ومنهم حاطب بن عمرو قاله ابن سيد الناس، وقال المناوي حاطب بن عمرو بن عتيك الأوسي، أسلم يوم الفتح وعاش مائة وعشرين سنة، انتهي.

وهذا الذى ذكر فيه مر نحوه عن المواهب فى حويطب العامري وهو صحيح وأما حاطب بن عمرو فهو معدود من أهل بدر، فلعل ما فى المناوي سبق قلم، من الناسخ والله تعالى أعلم، قاله كاتبه سمح الله له بمنه.

ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ذكره ابن سيد الناس والعراقي . ومنهم أبو أيوب الأنصاري خالد ابن زيد بن كليب ومنهم عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول بن مالك بن الحارث فهو من خيار الصحابة وأبوه رأس المنافقين، ومنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الخزرجي، صاحب الأذان كتب للمصطفى كتابا إلى من أسلم من لخم، نقله المناوي ومنهم الأرقم بن أبي الأرقم ذكره العراقي وابن سيد الناس، وقال إنه زهري وفى المناوي أنه مخزومي ابن عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وعليه فهو الأرقم بن أبي الأرقم القديم الإسلام الذى اختفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى داره والمسلمون أربعون ليلة لما خافوا المشركين وأسلم فى داره أربعون رجلا آخرهم عمر كما فى الحلة السيرا، ومنهم جُهيم بضم الجيم مصغرا ابن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، تعلم الخط فى الجاهلية وهو الذى كتب هو وشرحبيل بن حسنة كتابا بأمره عليه السلام إلى بحنة بضم التحتية وفتح المهملة وفتح النون الثقيلة فتاء تانيث ويقال فيه يوحنا ابن روبة بضم المهملة فهمزة ساكنة فموحدة ابن النصراني، صاحب أيلة، بفتح الهمزة وسكون التحتية، ويقال سميت باسم بنت مدين بن ابراهيم، وروى انها القرية التى كانت حاضرة البحر، والظاهر هلاك بحنة على دينه، قاله البرهان. ولفظ الكتاب بعد البسملة على ما فى المواهب هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة وأساقفتهم وسائرهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر ولامن بحر، انتهى.

وأمنة بالتحريك أي أمان وقوله ومن كان معه، عطف على يوحنا، أي أمنة يوحنا ولمن كان معه، وقوله وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء الضمير للشأن ونائب يمنع عائد على أهل أيلة، ونسبة الكتاب إليهما معا، أما لأنه أذن لكل منهما فى كتابة بعض الكتاب، أو أن كلا كتب نسخة، أو

كتبه أحدهما بحضور الآخر، انتهى من الزرقاني.

ومنهم جهم، ذكره العراقي ولم ينسبه هو ولا شرحه وهو بالتكبير والأول بالتصغير، كما مر، ومنهم العلاء بن عتبة بضم العين المهملة فمثناة فوقية ذكره ابن عساكر قاله المناوي ومنهم حصين بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ابن نمير مصغرا كان هو والمغيرة يكتبان المعاملات والمداينات، قاله المناوي. وقال العراقي بعد ما قدمت عنه:

وزدت من مفترقات السير	جمعا كثيرا فاضبطنه واحصر
طلحة والزبير وابن الحضرمي	وابن رواحة وجهما فاضمم
وابن الوليد خالدا وحاطبا	هو ابن عمرو وكذا حويطبا
حذيفة، بريدة أبانا	ابن سعيد وأبا سفيانا
كذا ابنه يزيد بعض مسلمه	الفتح مع محمد ابن مسلمه
عمرو هو ابن العاصي مع مغيرة	كذا السجل مع أبي سلمة
كذا أبو أيوب الأنصاري	كذا معيقيب هو الدوسي
وابن أبي الأرقم أرقم أعدد	فيهم كذاك ابن سلول المهتدي
كذا ابن زيد واسمه عبد الإله	والجد عبد ربه بلا اشتباه
واعدد حميما والعلا بن عتبة	كذا حصين بن نمير اثبت
وذكروا ثلاثة قد كتبوا	وارتد كل منهم وانقلبوا
ابن أبي سرح مع ابن خطل	وآخر أبهم لم يسم لي
ولم يعد منهم إلى الدين سوى	ابن أبي سرح وباقيهم غوى

واضبطنه بكسر الموحدة وسكون نون التوكيد الخفيفة وقوله بعض بالنصب ومسلمه بضم الميم وكسر اللام مضاف إليه ما قبله، وكذا قوله الفتح والسجل بكسر المهملة والجيم والدوسي بفتح الدال، قاله المناوي. وقد مر ضبط من يحتاج للضبط منهم، وقوله وذكروا إلخ. يعني به أن أهل السير قد ذكروا فيمن كتب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة رجال وارتدوا بعد ذلك عن الإسلام وانقلبوا إلى الكفر والعياذ

بالله تعالى. وهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وسرح بمهملات وهو أول من كتب له عليه السلام من قريش، وهو ممن أهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمه يوم الفتح، ودخل به عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم بين يديه ولم ينقم عليه شيء بعد إسلامه وولاه عثمان مصر ففتح الله تعالى علي يديه إفريقية ومات ساجدا رضي الله تعالى عنه كذا في ابن سيد الناس.

وفي الزرقاني أنه دعى أن يختم عمله بالصلاة، فسلم من الصبح التسليمة الأولى فهم بالثانية فقبض، والثاني منهم عبد الله بن خطل بفتح الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة فلام، واسم خطل عبد مناف، وهو من بني تيم بن فهر بن غالب، وكان مسلما فبعثه عليه السلام مصدقا وبعث معه رجلا من الأنصار فعدى على الأنصاري فقتله ثم ارتد ولحق بمكة. وكان له جاريتان تغنيان بهجائه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل ردته يكتب قدام المصطفى فإذا نزل غفور رحيم كتب رحيم غفور فقال له المصطفى ذات يوم أعرض علي ما كنت، أملي عليك، فلما عرضه عليه قال له المصطفى كذا أمليته عليك، فقال ابن خطل إن كان محمد نبيا فإني ما كنت أكتب إلا ما أريد، فلما كان يوم الفتح أمر عليه السلام بقتله وإن وجد تحت أستار الكعبة، فلما رأى خيل الله دخله الرعب، حتى ما يستمسك من الرعدة، فأتى الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه ودخل تحت أستار البيت فقتل. وقوله وءاخرا بهم إلخ.. يعني أن الثالث منهم لم يذكر اسمه. وفي ابن سيد الناس وذكر ابن دحية فيهم رجلا من بني النجار غير مسمى، قال كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم تنصر فلما مات لم تقبله الأرض انتهى. ومعنى لم يعد، لم يرجع، وغوى ضل، قاله كاتبه.

(وكان ممن يضرب الأعناقا — بين يديه إن رأى شقاقا
علي الزبير وابن مسلمه — وعاصم بن ثابت لتعلمه)

الأعناق جمع عنق وهو الجيد والضمير فى يديه للمصطفى عليه السلام ورأى معناه أبصر والشقاق بكسر المعجمة الخلاف والعداوة والمجرور خبر كان واسمها علي وما عطف عليه والزبير معطوف بحرف محذوف أي والزبير وقوله لتعلمه أصله تعلمنه بنون التوكيد الخفيفة وحذفها وذلك مقيس بعد الفتحة ومعنى كلامه ان عليا بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح رضي اله تعالى عن جميعهم كانوا يضربون أعناق الأسارى ونحوهم من الكفار بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أبصروا من يريد مخالفته من أعدائه، قال ابن سيد الناس والذين كانوا يضربون بين يديه الأعناق: علي والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت انتهى منه.

وفي المواهب ممزوجا بكلام الزرقاني وكان كما أخرجه الطبراني برجال الصحيح عن أنيس يضرب الأعناق بين يديه علي بن أبي طالب أبو الحسن، أمير المؤمنين الهاشمي والزبير بن العوام الحواري والمقداد بن عمرو المعروف بابن الأسود الكندي ومحمد بن مسلمة الأنصاري وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري المستشهد فى بعث الرجيع، زاد فى رواية الطبراني وأبو سعيد والمغيرة بن شعبة وكان الضحاك بن سفيان الكلابي سيافه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير وكان الضحاك بن سفيان هذا يعد بمائة فارس انتهى. قال مؤلفه وقد نظمت ما تضمنه هذا الكلام فقلت:

(أبو سعيد الخدر والمقداد	**كذا المغيرة عليهم زاد**
سيافه الضحاك وانسبه إلى	**سفيان وهو عندهم قد عدلا**
بمائة وقيس بن سعد	**كالشرطي له عظيم الجند)**

الضمير المجرور بعلى لمن قدم الناظم ذكرهم أنهم كانوا يضربون الأعناق بين يديه عليه السلام وضمير زادوا لأهل السير. قال الزرقاني

وهذا الحديث كله رواه الطبراني يعني الحديث المار ، وروى البخاري عن أنس قال إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، والشرطة بضم المعجمة والراء وقد تفتح الراء، الواحد شرطي أي بمنزلة كبيرهم وهم أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم نخبة الجند وشرطة كل شيء خياره وقيل لأن لهم علامات يعرفون بها، قاله الزرقاني:

(بيـــــان مـن يـقـطـع بـالجنـان لـهـم ومـن أذن لـلـعـــــدنـاني)

أي هذا بيان القوم الذين يقطع لهم بدخول الجنة من أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم، وبيان من كان يؤذن للمصطفى عليه السلام، نسبه الناظم إلى جده الأعلى عدنان وأشار إلى بيان من ذكر فقال:

بادئا بعــــد من يقطع له بالجنة

(يقطع) بالبناء للمفعول ونائبه قوله **(بالجنة)** أي بدخولها، **(والإكرام لعشرة)** من أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أفضلهم، وقوله **(للخلفا الأعلام)** المجرور وما عطف عليه بدل من قوله لعشرة والخلفاء بالمد جمع خليفة وقصره للضرورة، والأعلام جمع علم بالتحريك وهو السيد وسموا خلفاء لأنهم خلفوا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حراسة ما أتى به وسياسة الدنيا، وقد أشار عليه السلام كما فى تحقيق المباني إلى مدة خلافتهم بقوله الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا، ولهذا قال معاوية لما ولى بعد انقضاء ثلاثين أنا أول الملوك، انتهى كلام التحقيق.

وقوله ملكا عضوضا أي يكثر فيه الظلم، كأن أهله يعضون، وهذا تحديد إن ضم إلى ذلك خلافة الحسن، وإلا فتقريب، قاله الشيخ زكرياء فى شرح طوالع البيضاوي.

وقد مر أن خلافة الصديق سنتان ونصف، أو سنتان وثلاثة أشهر وأيام، وأن خلافة عمر عشر سنين وست أشهر وأربع ليال، وخلافة عثمان إحدى عشر سنة وإحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام. والله تعالى أعلم.

أما أبو بكر فكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة، وفى الإسلام عبد الله بن أبي قحافة بضم القاف واسمه عثمان بن عامر بن عمر، بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وقعدده إلى مرة، مستو مع قعدده صلى الله تعالى عليه وسلم، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن مالك بن عامر المار فهي تيمية أسلمت قديما فى دار الأرقم بن أبي الأرقم وأسلم أبو قحافة يوم الفتح، وفى الحديث إن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق، وفيه ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيئين والمرسلين على أفضل من أبي بكر، وفيه تأتي الملائكة بأبي بكر مع النبيئين والصديقين تزفه إلى الجنة زفا، وفيه يا أبا بكر إن الله سماك الصديق وفيه أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة، وفيه اللهم اجعل أبا بكر معي فى درجتي يوم القيامة.

وكان يلقب عتيقا إما لجماله أو لأنه ليس فى نسبه ما يعاب، أو لعتقه من النار وأما عمر فهو ابن الخطاب بن نفيل مصغرا، بن عبد العزى بن رباح بكسر الراء بعدها تحتية فألف فمهملة بن عبد الله ابن قرط بضم القاف ابن رزاح براء مفتوحة فزاي فألف فمهملة ابن عدي بن كعب بن لؤي وما مر من فتح رزاح هو فى الزرقاني، وفى الحلة السيرا أنه ككتاب وسحاب وعلى الفتح اقتصر المجد، ويكنى أبا حفص لشجاعته والحفص ولد الأسد، ويلقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل ولأنه أظهر الإسلام بمكة ففرق بين الإيمان والكفر، انظر القاموس. واختلف فى أول من لقبه بذلك فقيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه ابن أبي شيبة، وقيل جبريل رواه البغوي وقيل أهل الكتب، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة وهو آخر من أسلم فى دار الأرقم المخزومي وكان عند

المبعث شديدا على المسلمين ثم أسلم بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر، وعن ابن مسعود كان إسلام عمر عزا وهجرته نصرا وإمارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر. وفى البخاري مرفوعا والذى نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك.

وفي شرح الكبرى للسنوسي أن جبريل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو لبثت فيكم ما لبث نوح فى قومه وأنا أحدثكم بفضائل عمر ما وفيت. وإنه لحسنة من حسنات أبي بكر.

وفي الحلة السيَرا أن الحسنين دخلا على عمر فقبلهما ووهب لهما ألف دينار فانصرفا إلى علي فأخبراه بذلك فقال علي سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: عمر نور الإسلام فى الدينا وسراج أهل الجنة في الجنة، فعادا إليه ليخبراه بذلك، فقال أهلا بكما لا عادت ساعة إلا رأيتكما فيها، فأخبراه بما سمعا من علي فأمر ولده عبد الله أن ياتيه بدواة فأتاه بها فكتب البسملة وكتب: حدثني سيدا شباب أهل الجنة عن أبيهما عن جدهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: عمر نور الإسلام فى الدنيا وسراج أهل الجنة في الجنة، ثم قال يا بنى أحفظ هذه المرقعة فإذا مت فضعها فى كفني حتى ألقى الله عز وجل بهذه الشهادة. فلما مات عمر وضعها عبد الله فى كفنه فلما أصبحوا وجدوا خطا مكتوبا على قبره: صدقا، وصدق أبوهما، وصدق جدهما صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله عمر نور الإسلام فى الدنيا وسراج أهل الجنة في الجنة، نقله عن أنيس المستوحشين.

وأما عثمان فهو ابن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عمر وأبا عبد الله ويلقب بذي النورين لتزوجه بنتي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا يعلم أحد تزوج بنتي

نبي غيره، وقيل لأنه كان يختم القرآن في الوتر، فالقرآن نور وقيام الليل نور وقيل لأنه إذا دخل الجنة برقت برقتين، وفي الحديث لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان رواه الترمذي.

وفيه الحديث من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان، وفيه من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان رواهما البخاري، وفيه والله ليشفعن عثمان في سبعين ألفا من أمتي قد استوجبوا النار حتى يدخلهم الله الجنة. نقله الزرقاني.

وأما علي فهو ابن أبي طالب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوج ابنته البتول فاطمة الزهراء، وفي البخاري وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي أنت مني وأنا منك، القسطلاني أي متصل بي قربا وعلما. ولما خلفه عليه السلام على المدينة وفي غزوة تبوك وقال له تخلفني مع الذرية، قال له عليه السلام أما ترضى بأن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فقال علي رضيت وقال أنا مدينة العلم وعلي بابها.

(وللزبير وابن عوف وسعيد)

عطف علي قوله للخلفاء أما الزبير فهو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأمه صفية بنت عبد المطلب وتقدم عن عروة أنه هو أول من سل سيفه في سبيل الله. وأما ابن عوف فهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب فهو وسعد من أخواله صلي الله تعالى عليه وسلم، وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر هذا أخو الخطاب بن نفيل تقدم نسبه قريبا. وأما الزبير فقد مر بعض مناقبه في كتابه عليه السلام، وقد جمع له النبي صلي الله تعالى عليه وسلم في التفدية بين أبويه يوم الخندق كما جمعهما لسعد بن أبي وقاص يوم أحد ولم تقع هذه المنقبة لغيرهما.

وأما ابن عوف فهو أحد الستة الذين جعل عمر بينهم الشورى وكان كثير الإنفاق وروي أنه أعتق ثلاثين ألف رقبة وصح أنه إئتم به النبي صلي الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك.

(وعامر سعد وطلحة السعيد)

هؤلاء تمام العشرة المبشرين بالجنة والسعيد نعت لطلحة ومعناه من ثبتت له السعادة وهي عبارة عن المنفعة اللاحقة للعبد فى الآخرة ضد الشقاوة أعاذنا الله منها وهي عبارة عن المضرة اللاحقة فى الآخرة والإخفاء فى ثبوت هذا الوصف الذى هو السعادة لسيدنا طلحة رضي الله تعالى عنه إذ بشره بالجنة سيد الأولين والآخرين صلي الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما عامر فهو أمين هذه الأمة كما فى الصحيح، وهو أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهو يجتمع مع النبي صلي الله تعالى عليه وسلم فى فهر، وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت جدا فيكون أبو عبيدة من حيث العدد فى درجة عبد مناف، ومنهم من أدخل فى نسبه بين الجراح وهلال ربيعة فيكون على هذا فى درجة هاشم، بذلك جزم أبو الحسن بن سميع ولم يذكر غيره وأمه من بنات عم أبيه ذكر الحاكم أنها أسلمت وقتل أبوه يوم بدر كافرا ويقال انه هو الذى قتله رواه الطبراني وغيره، قاله ابن حجر فى فتح الباري.

وأما سعيد فهو ابن أبي وقاص كجبار، واسمه مالك ابن وهيب، ويقال أهيب بالهمزة بدل الواو وبالتصغير فيهما بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فجده أهيب أخو وهب جده عليه السلام وهو أحد الستة أصحاب الشورى وأحد الفرسان وأول من رمى بسهم فى سبيل الله، أسلم بعد ستة هو سابعهم.

وأما قوله لقد رأيتني وأنا ثالث الإسلام فحمل على ما أطلع عليه، وكان مشهورا بإجابة الدعوة لقوله عليه السلام اللهم استجب لسعد إذا دعاك، وقال فيه هذا سعد خالي فليرني أمرؤ خاله، وجمع له يوم أحد بين أبويه بالتفدية كما مر.

وأما طلحة فهو ابن عبيد الله بضم العين بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، بن مرة وعنده يجتمع مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وعدد ما بينهما مع مرة سواء، ويجتمع مع أبي بكر فى عمر بن كعب، فجده عثمان وجد الصديق عامر وهما وجدعان الثلاثة أولاد عمرو بن كعب وأمهم السوداء بنت زهرة بن كلاب، قاله فى الحلة السيرا وهو أحد الستة أهل الشورى ووقى المصطفى عليه السلام بنفسه فى أحد، حتى شلت أصبعه، وحمله على ظهره حتى استقل على الصخرة وقال عليه السلام، يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام له ويقول لك أنا معك فى أهوال القيامة حيث أنجيك منها، وقال عليه السلام: طلحة والزبير جاراي فى الجنة. نقله الزرقاني.

وهؤلاء العشرة وردت بشارة فى حديث واحد، ففى الحديث أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلي فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبي وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة، ونسبه فى الجامع الصغير للإمام أحمد والضياء والترمذي. قال الحنفي لم يجمع من المبشرين بالجنة فى عبارة إلا العشرة المذكورون فلا ينافي أنه بشر غيرهم كالحسنين وأمهما وغيرهم وإنما ذكر لفظ فى الجنة مع كل واحد، مع أنه يكفي ذكرها آخرا لأن المحل محل إطناب انتهى، وبعضه بالمعنى وقد نظمهم من قال:

لقد بشرت عند النبي محمد ... بجنات عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير وعامر ... وطلحة والزهري والخلفاء

ويعني بالزهري عبد الرحمن وكذلك أيضا سعد الزهري لكنه قد ذكره باسمه ونظمهم أيضا بعضهم مع تبيين نسب جميعهم، فقال:

أبناء عبد مناف سادة نجب ... منهم علي وذو النورين عثمان
وبابن عوف وسعد زهرة سعدت ... تيم بطلحة والصديق تزدان
أما سعيد أبو حفص فقومهما ... بنو عدي الأولى في الحرب فرسان
إن الزبير به عزت بنو أسد ... ما نال عزهم في الجو عقبان
أبو عبيدة فهري بجاههم ... يا رب يشملنا عفو وغفران

ولما ذكر الناظم رحمه الله تعالى العشرة المبشرين بالجنة، ذكر مؤذنيه لجمعه لهم في بيان واحد فقال:

(وعمرو أوس وبلال سعد ... زياد المؤذنون عدوا)

عمرو وما بعده مبتدأ وخبره قوله المؤذنون وقوله عدوا، خبر بعد خبر، والله تعالى أعلم. يعني أن جملة من كان يؤذن للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم خمسة أولهم بلال ابن رباح بفتح الراء وأمه حمامة بفتح الحاء، وبها اشتهر، وهو أول من أذن للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم حين شرع الاذان، ورآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في المنام، فقال له عليه السلام قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى منك صوتا، قال في المواهب ولم يؤذن بعد لأحد من الخلفاء إلا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال، فتذكر الناس النبي صلي الله تعالى عليه وسلم قال أسلم مولى عمر بن الخطاب فلم أر باكيا أكثر من يومئذ.

وفي الزرقاني عن البخاري أن بلالا قال لأبي بكر إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فامسكني وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله.

زاد ابن سعد قال أبو بكر أنشدك الله وحقي. فأقام معه حتى توفي. فتوجه إلى الشام مجاهدا بإذن عمر، قال وروى ابن عساكر بسند جيد

عن بلال أنه لما نزل بداريا رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما إن لك أن تزورني، فانتبه حزينا خائفا، فركب راحلته فأتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا نتمنى أن نسمع أذانك الذى كنت تؤذن به للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم فى المسجد فعلا سقف المسجد ووقف موقفه الذى كان يقف فيه، فلما قال الله أكبر ارتجت المدينة، فلما قال اشهد أن لا إله الله زادت رجتها، فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن، وقالوا ابعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟! فما رؤي يوما أكثر باكيا ولا باكية بالمدينة بعده صلي الله تعالى عليه وسلم، أكثر من ذلك اليوم وتوفي بلال كما فى المواهب سنة سبع عشر، أو ثمان عشرة أو عشرين بداريا وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق. وداريا بفتح الدال والراء والياء الثقيلة قاله الزرقاني.

والثاني من المؤذنين عمر عند الأكثر وقيل اسمه عبد الله ولا يمتنع أنه كان له اسمان ابن أم مكتوم وهي عاتكة بنت عبد الله المخزومية زعم بعضهم أنه ولد أعمى فكنيت به أمه لاكتتام نور بصره والمعروف أنه عمى بعد بدر بسنتين كذا فى الفتح، وتعقب بأن نزول عبس كان بمكة قبل الهجرة فلعل أصله بعد البعثة، قاله الزرقاني وهو قرشي، عامري، وهو ابن خال خديجة أسلم قديما وهاجر إلى المدينة قبل النبي صلي الله تعالى عليه وسلم وكان عليه السلام يكرمه واستخلفه ثلاث عشرة مرة وشهد القادسية فى خلافة عمر ومعه اللواء واستشهد بها، قاله الزبير بن بكار وقيل رجع للمدينة فمات بها.

والثالث سعد بن عائذا وابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظي بالإضافة، وهو بالتحريك، ورق السلم كان يتجر فيه فأضيف إليه وبالقرظي بياء النسب نسبة للقرظ بالتحريك أيضا، قال الزرقاني

وغلط من ضم القاف نسبة إلى بنى قريظة وليس منهم إنما هو مولى عمار بن ياسر وقيل مولى الأنصاري. روى البغوي أن سعدا شكى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قلة ذات يده فأمره بالتجارة فاشترى أشياء من قرظ فباعه فربح فيه، فذكر ذلك للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم، فأمره بلزوم ذلك، أذن للمصطفى عليه السلام، بقباء ونقله أبو بكر من قباء إلى المسجد النبوي فأذن فيه بعد بلال وتوارثت عنه بنوه الأذان وبقي هو إلى سنة أربع وسبعين.

والرابع أبو محذورة الجمحي واسمه أوس وقيل سلمة وقيل غير ذلك، ابن معير بكسر الميم وسكون العين المهملة وفتح التحتية وقيل اسمه سمرة وقيل محيريز علمه النبي صلي الله تعالى عليه وسلم الأذان بمكة كما فى مسلم ورتبه لأذانها كما فى القرطبي وفى رواية أن تعليمه إياه كان فى الجعرانة. قال ابن الكلبي وأقام بمكة حتى مات سنة تسع وخمسين وقيل سنة تسع وسبعين وفى الروض لما سمع أبو محذورة الأذان سنة الفتح وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزئون ويحكون صوت المؤذن غيظا فكان أبو محذورة من أحسنهم صوتا فرفع صوته مستهزئا بالأذان فسمعه صلى الله تعالي عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح صلى الله تعالي عليه وسلم ناصيته وصدره فامتلأ قلبي نورا وإيمانا ويقينا فألقى عليه الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة فكان يؤذن لهم حتى مات انتهى من الزرقاني.

والخامس زياد بن الحارث الصدائي بضم الصاد نسبة إلى صداء كغراب حي باليمن، قال الزرقاني وترك المصنف يعنى القسطلاني ممن أذن زياد بن الحارث الصدائي بضم المهملة أذن مرة فقال صلى الله تعالي عليه وسلم من أذن فهو يقيم، أخرجه أحمد وأصحاب السنن ولم يتكرر ونظم الخمسة البرماوي فقال:

للخيـر الورى خمس من الغـر أذنوا بـلال نـدي الصـــــوت بـدأ يـعـين
وعـــمـــرو الذى أم لمكتـــوم أمـــه وبالقــرط اذكــر ســعــدهم إذ يبين
وأوس أبـو مـــحـــذورة وبمكة زياد الصـــداء نجل حـــارث يعلن

فائدة:

قد مر أن عبد الله بن زيد رأى الأذان فى النوم واعلم ان الأذان إنما شرع بعد الهجرة بالمدينة وكان عليه السلام منذ فرضت الصلاة بمكة يصلي بلا أذان كما جزم به ابن المنذر والأحاديث الدالة على أنه شرع قبل الهجرة لم يصح منها شيء كما فى ابن حجر، وقال عبد الله بن زيد لما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضرب الناقوس ليجمع الناس للصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا فقلت له أتبيع الناقوس؟ فقال ما تصنع به؟ قلت أدعو به للصلاة. فقال ألا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت بلي. قال تقول الله أكبر فذكر الأذان والإقامة.

فلما أصبحت أتيت النبي صلى الله تعالي عليه وسلم فأخبرته فقال إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن، ففعلت. فلما سمع عمر الأذان خرج مسرعا يسأل عن الخبر، فقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما رأى فقال صلى الله تعالي عليه وسلم الحمد لله فإن قيل كيف يثبت الأذان برؤيا غير معصوم أجيب بمقارنة الوحي لها.

(رضوان ربنا عليهم طرا ومن تلا منهاجهم وبرا)

هذه جملةدعائية والرضوان هنا انعام خاص وإن كان الرضى قد اختلف فيه هل هو بمعنى إرادة الأنعام الخاص أو هو نفس الإنعام

بقرينة الدعاء به لهم وطرا حال بمعنى جميعا، ومن عطف على صاحب الحال وهو الضمير المجرور بعلى ولم يعد الخافض للفصل والمنهاج الطريق الواضح وتلا تبع وبر معناه أطاع ورضوان مبتدأ وخبره المجرور دعا الناظم رحمه الله تعالى لهؤلاء المؤذنين جميعا أن يرزقهم الله تعالى انعامه الخاص ولمن اتبع طريقهم الواضح وأطاع الله بمثل ذلك جزاه الله أحسن الجزاء.

قال مؤلفه سمح الله له بمنه لم يذكر الناظم رحمه الله تعالى شعراءه الذين ينافحون عنه ويمدحونه ولا خطيبه الذى كان يامره بإجابة الخطباء وقد عقد فى المواهب لهم ترجمة فذكر أن خطيبه عليه السلام ثابت بن قيس بن شماس قال وكان خطيبه وخطيب الانصار انتهى. وروى ابن السكن عن انس قال خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم المدينة فقال نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا قال الجنة، قال رضينا وقد مر بعض مناقبه فى كتابه عليه السلام وذكر أيضا أن شعراءه حسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة ونظمتهم فقلت:

(ثابت بن قيس الخطيب)

يعني أن خطيبه عليه السلام كان ثابت بن قيس وقد مر انه أنفذت وصيته بعد الموت فى ذكره فى الكتاب، ولا يعلم ذلك لغيره كما قاله الزرقاني واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة وخطيب القوم لغة من يتكلم عنهم ولما قدم وفد تميم عليه صلى الله تعالي عليه وسلم سنة تسع وكانوا سبعين نادوه من وراء الحجرات يا محمد أخرج إلينا نفاخرك ونشاجرك فإن مدحنا زين وذمنا شين فتأذى ذلك من صياحهم رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم وخرج إليهم فلم يزد على أن قال ذلك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان. إني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا. وفى رواية فقالوا إئذن لخطيبنا وشاعرنا فقال

أذنت لخطيبكم وشاعركم، فقام عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وعدة فمن مثلنا فى الناس ألسنا بروؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وإنا لو شئنا لأكثرنا الكلام ولكن نستحيي من الاكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك، أقول هذا لأن تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فأمر عليه السلام خطيبه ثابت بن قيس أن يجيبه فقام فقال الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيئ قط إلا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه حديثا وأفضله حسبا وأنزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى فى العالمين ثم دعا الناس للإيمان به فآمن برسوله صلى الله تعالي عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كنا أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعانا رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يومنوا بالله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا. أقول قولي هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام عليكم.

ويأتي ما قال شاعرهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وما أجابهما به حسان قريبا إن شاء الله تعالى.

(والشعرا حسان والنقيب نجل رواحة وكعب المنتمي لمالك الانصار ثم السلمي)

الشعراء بالمد وقصره للوزن وهو مبتدأ وخبره حسان وما عطف عليه ومعنى النقيب أنه أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها إلى

أن استشهد بمؤتة ونجل بدل من النقيب وكعب هو ابن مالك السلمي بفتحتين نسبة إلى بني سلمة كفرحة بطن من الخزرج وهو عقبي وتخلف عن بدر وشهد أحدا وما بعدها وتخلف عن تبوك وهو أحد الثلاثة الذين ذكر الله تعالى في محكم كتابه أنه تاب عليهم وهذا من أعظم المناقب، أما حسان فهو ابن ثابت بن المنذر بن عمر بن حرام بالمهملتين الأنصاري الخزرجي وكل حرام في الأنصار فهو بالراء كسحاب وفي قريش بالزاي ككتاب، قاله في الحلة السيرا وأمه خزرجية أيضا أسلمت واسمها الفريعة ونسب هو إليها نفسه في قوله:

أمسى الجلابيب قد عزوا وكقد كثروا   وابن الفريعة أضحى بيضة البلد

وروى الشيخان أنه عليه السلام قال لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك وأو شك من الراوي وأخرج ابن عساكر وأبو الفرج الاصبهاني عن بريدة أن جبريل أعان حسان بسبعين بيتا، وفي الصحيحين أن عمر مر بحسان في المسجد وهو ينشد فلحظ إليه فقال كنت أنشد وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أجب عني. اللهم أيده بروح القدس. قال أبو هريرة نعم. وروح القدس جبريل. وفي مسلم عن عائشة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله، قالت وسمعته يقول هجاهم حسان فشفي وأشفى ونافح بفاء فحاء مهملة أي دافع والمراد بذلك هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم. وروى أبو داوود أنه عليه السلام كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائما يهجوا المشركين الذين كانوا يهجونه صلى الله تعالى عليه وسلم. وروى أبو نعيم أن حسان ذكر عند عائشة فقالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ذلك حاجز بيننا وبين المنافقين لا يحبه إلا مومن ولا يبغضه إلا منافق وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام وكذا عاش أبوه ثابت وجده المنذر وجد ابيه حرام، لكن كلها

فى الجاهلية، ويشبه هذا أن لسانه كان يصل لجبهته ونحره وكذا كان أبوه وابنه عبد الرحمن قال أبو عبيدة كان حسان شاعر الأنصار فى الجاهلية وشاعر المصطفى فى أيام النبوءة وشاعر اليمن كلها فى الإسلام وتوفي حسان سنة أربع وخمسين وأما كعب فهو ابن مالك بن عمرو وهو خزرجي من بنى جشم كصرد بن الخزرجي ثم من بنى سلمة بكسر اللام وليس فى العرب سلمة بكسر اللام سوى هذا كما فى الجوهري وسمي بالسلمة واحدة السلم بكسر اللام وهي الحجارة. والثلاثة الذين تيب عليهم هو وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، فأول إسلامهم بمكة وكعب شاعر رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم وكف بصره آخر عمره انتهى من الحلة السيرا. وروى أحمد عن كعب هذا أنه قال قال لنا رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم أهجوا المشركين بالشعر فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله والذى نفس محمد بيده كأنما ينضحونهم بالنبل، نقله الزرقاني.

وأما عبد الله فهو ابن رواحة بن ثعلبة بن امرء القيس وهو من بنى كعب بن الخزرج وأحد أمراء مؤتة وأحد الشعراء الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم، ونزل فيه وفى حسان وكعب بن مالك {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا} (الآية) قاله فى الحلة السيرا. وفى الزرقاني قال المرزباني كان ابن رواحة عظيم القدر فى الجاهلية والإسلام وكان يناقض قيس ابن الخطيم فى حروبهم وروى ابن عساكر أنه عليه السلام قال لابن رواحة يا سيد الشعراء أنظر الزرقاني، ولنعد إلى ما وعدنا به من ذكر شعر وفد تميم وجواب حسان له وذلك أنه لما خطب ثابت بن قيس خطبته المارة قام الأقرع فقال كما فى المواهب وذكر الزرقاني عن ابن هشام انها للزبرقان بن بدر:

أتيناك كي ما يعرف الناس فضلنا	إذا خلفونا عند ذكر المكارم
وإنا رؤوس الناس فى كل معشر	وان ليس فى أرض الحجاز كدارم

وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وإنا لنا المرباع في كل غارة تغير بنجد أو بأرض الأعاجم

قوله خلفونا أي جاءوا بعدنا، وفي نسخة إذا اختلفوا عن احتضار المواسم، وقوله وأنا بفتح الهمزة ورؤوس الناس أشرافهم قاله الزرقاني، والمعلمين جمع معلم بكسر اللام كما في الزرقاني في غير هذا الموضع وهو الذي وسم نفسه بسيمى الحرب وانتخوا تكبروا من النخوة والأصيد الرافع رأسه كبرا والمتفاقم البطر الأشر والمرباع بالكسر ربع الغنيمة الذي كان ياخذه الرئيس في الجاهلية قاله مؤلفه غفر الله تعالى له. فأمر المصطفى عليه السلام حسان أن يجيبه فقام فقال:

هل المجد إلا السؤدد العود والندى وجاه الملوك و احتمال العظائم
نصرنا وءاوينا النبي محمدا على انف راض من معد وراغم
نصرناه لما حل وسط ديارنا بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا وطبنا له نفسا بفيء الغنائم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا في قريش عظيمها ولدنا نبي الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول ما بين قن وخادم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

وقال الزبرقان بن بدر:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القزع
أما ترى الناس تأتينا سراتهم من كل أرض هويا ثم نصطنع

فنخر الكوم عبطا في أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم الا استكانوا وكاد الرأس يقتطع

في أبيات وكان حسان غائبا فبعث إليه عليه السلام وقال قم فأجبه فقام فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوي الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم أو وازنوا أهل مجد بالندى منعوا
لا يبخلون على جار بفضلهم ولا يمسهم من مطمع طبع
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع
نسموا إذا الحرب ناشتنا مخالبها إذ الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع أسد بحلية في أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاترك عداوتهم شرا يخاض عليه السم والشنع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفاوتت الأهداء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلب يوازره فيما أحب لسان حائك صنع

السؤدد مصدر ساد أي فاق في الشرف والعود بفتح العين القديم وقوله هبلتم إلخ. تفخرون استفهام انكاري بحذف الهمزة والمجرور قبله يتعلق به والجزل محركة الملك أي تفخرون علينا والحال أنكم مملوكون لنا دائرين بين قن وخادم، والزي بالكسر الهيئة وحقن دمه انقذه من القتل والمقاسم المغانم وقسره قهره والقزع محركة السحاب وأنسه

أبصره وقوله هويا فى القاموس وأهوى هويا بالفتح والضم سقط من علو إلى سفل أو الهوى بالفتح للإصعاد وبالضم للانحدار وكعنى ويضم من الليل ساعة انتهى.

وقوله عبطا بمهملتين بينهما موحدة فى القاموس عبط الذبيحة نحرها من غير علة وهي سمينة فتية واستكان ذل وخضع وقوله واخوتهم بالنصب فيعني بهم الأنصار والسجية الطبيعة والخلائق الطبائع وأوهت شقت والطبع محركة الشديد من الوسخ والشين والعيب والذرع بالتحريك ولد البقرة الوحشية والزعانف القصار وكل جماعة ليس أصلهم واحدا والخور الضعاف والهلع جمع هلوع كصبور وهو من يجزع من الشر ويحرص على المال أو الذى لا يصبر على المصائب واكتنع اجتمع، والفدع محركة اعوجاج فى الرسغ، ويخاض يقتحم والسم بالتثليث والسلع محركة شجر مر أو سم أو ضرب من الصبر، وآزره قواه ولسان صنع بالتحريك بليغ ولما قال حسان هذه القصيدة قال الأقرع بن حابس وأبي ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا فأسلموا فأحسن المصطفى صلى الله تعالي عليه وسلم جوائزهم.

(وكان حسان على الكفار أشدهم وكعب الأنصاري(...))

أشار بهذا إلى قول المواهب وكان أشد شعرائه عليه الصلاة والسلام على الكفار حسان وكعب انتهى. قال الزرقاني لأن حسان كان يقبل بالهجو على إنسابهم فيالمون ويزيف آراءهم ويلزمهم الحجة التى لا يستطيعون لها ردا وكعب بن مالك كان كثير المناقضة لهم ويخوفهم بالحرب وكان ابن رواحة يعيرهم بالكفر وكانوا لا يبالون بأهاجيه فلما أسلم من أسلم منهم وجدوا أهاجيه أشد وأشق وفى مسلم عن عائشة قال صلى الله تعالى عليه وسلم أهجوا المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى

كعب بن مالك ثم إلى حسان فقال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ثم قال والذى بعثك بالحق لأقرينهم بلساني قرى الأديم فقال صلى الله تعالي عليه وسلم لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاهم حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد لخص لى نسبك والذى بعثك بالحق نبيا لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين (الحديث) انتهى كلامه.

قال الناظم رحمه الله تعالي:

(ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي دائما وأكمل)

قوله ذكر خبر مبتدإ محذوف أي هذا ذكر دوابه والدواب لغة كل ما دب على وجه الأرض وعرفا كل ذات أربع قوائم، أي هذا ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي على الدوام وأكملها وبدأ ببيان خيله عليه السلام فقال:

(له من الخيل العتاق عشره أوسبعة فيما حكاه المهره)

قوله عشره مبتدأ وخبره قوله له والعتاق الكرام جمع عتيق وأو فى قوله أو سبعة للخلاف، أي وقيل سبعة والمهرة بالتحريك جمع ماهر وهو الحاذق فى هذا الفن والماهر فى الأصل الحاذق بكل عمل ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالي عليه وسلم كان له عشرة من الخيل الكرام وقيل سبعة فسبعة متفق عليها كما فى العراقي والمواهب وغيرهما. قال العراقي:

سكب لزار ظرب وسبحة مرتجز ورد لحيف سبعة
وليس فيها عندهم من خلف. انتهى المراد.

وياتي ضبطها إن شاء الله تعالى عند ذكر الناظم لها. وذكر ابن سيد

الناس هذه السبعة المتقدمة وقال إنها متفق عليها وذكر بعدها خمسة عشر مختلفا فيها وقال المناوي في شرح العراقية وهي يعني الخيل ثلاثون وذكر الناظم يعني العراقي منها ثلاثة وعشرين انتهى.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه والناظم رحمه الله تعالى لم يقتصر على السبعة المتفق عليها بل لم يذكرها كلها لأنه لم يذكر سبحة مع انها متفق عليها كما في العراقي وابن سيد الناس ونقله عن الدمياطي وكذا في المواهب انها مما اتفق عليه وقال الزرقاني ان البدر بن جماعة جمع المتفق عليه في بيت وهو:

والخيل سكب لحيف سبحة ظرب   لزار مرتجز ورد لها أسرار

فذكر فيها سبحة ولم يذكر هؤلاء اسما لها سوى هذا الإسم واللفظة الأخيرة كذا هي في المطبوع فإن لم تكن مصحفة فهي بحذف الهمزة في اللفظ والله تعالى أعلم وانظر ما أراد الناظم بالعشرة فإن من قدمت ذكرهم لم يذكروا قولا بأنها عشرة حتى يعينوها وسأذكر ما ذكروا ان شاء الله وبدأ الناظم بذكر الخيل لحبه عليه السلام لها وفي الزرقاني روى النسائي عن أنس لم يكن شيء أحب الى رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم بعد النساء من الخيل وروى مالك والشيخان من طريقه عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالي عليه وسلم الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة ابن عبد البر فيه تفضيل الخيل على سائر الدواب لأنه لم يأت عنه في غيرها مثل هذا القول انتهى كلامه. وقال الحافظ بن حجر في شرح البخاري قوله في نواصيها الخير وكذا في الموطإ ليس فيه معقود ووقع بإثباتها والمراد بها ما يتخذ للغزو ان يقاتل عليه أو يربط لأجل ذلك. وفي رواية زكرياء الأجر والمغنم وقوله الأجر بدل من قوله الخير أو خبر مبتدئ محذوف أي هو الأجر والمغنم. وعند مسلم فقال بم ذلك يا رسول الله؟ قال الأجر والمغنم والناصية الشعر المسترسل على الجبهة وخص الناصية لرفعة قدرها ولكونها المقدم منها إشارة إلى ان المفضل في الإقدام بها إلى العدو دون المؤخر لما

فيه من الإدبار قالوا ويحتمل أنه كني بها عن ذات الفرس انتهى المراد منه.

(أولها) عدا وملكا **(السكب)** بفتح السين وسكون الكاف فموحدة يقال فرس سكب أي كثير الجري كأنما يصب جريه صبا شبه بفيض الماء وانسكابه يقال سكب الماء يسكبه بالضم سكبا وتسكابا فسكب هو سكوبا صبه فانصب وهو أول فرس ملكه صلى الله تعالي عليه وسلم اشتراه بعشر أواق وما مر من سكون كافه عليه اقتصر الزرقاني والمناوي وفى القاموس السكب الطويل من الرجال ثم قال وأول فرس ملكه صلى الله تعالي عليه وسلم كان وكان كميتا أغر محجلا مطلق اليد اليمنى ويحرك انتهى. وكان هو الذى يمتطي ويركب عليه كما فى العيون انتهى.

(المحجل) بصيغة اسم المفعول أي أبيض القوائم وجاور بياضه الارساغ إلى نصف الوظيف أو نحوه وذلك موضع التحجيل كما فى المصباح قاله العلامة الزرقاني وفى القاموس التحجيل بياض فى قوائم الفرس كلها ويكون فى رجلين ويد وفى رجلين فقط ورجل فقط ولا يكون فى اليدين خاصة إلا مع الرجلين انتهى. وهذا وما بعده نعوت للسكب.

(الأغر) أي فى وجهه بياض فوق الدرهم قاله الزرقاني، **(الطلق)** بفتح فسكون أي طلق اليد اليمنى كما فى القاموس وفى المواهب طلق اليمين قال الزرقاني بفتح فستكون. وحكى القاموس ضم الطاء واللام سمحها انتهى. **(ذو)** أي صاحب **(السبق)** أي الغلبة للخيل **(الذى به)** أي بالسبق والمجرور يتعلق بقوله، **(اشتهر)** أي عرف بذلك وكان كميتا بضم الكاف، قال سيبويه عن الخليل صغر لأنه بين السواد والحمرة كأنه لم يخلص له واحد منهما فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب وقيل كان أدهم أي أسود كما أخرجه الطبراني انظر الزرقاني.

(أول مـــا غـــزا عليـــه المجـتــبى بأحـــــد فلم يـزل مــــهـــــذبا)

المجتبى المختار، وهو من أسمائه صلى الله تعالي عليه وسلم والمهذب المنقى هذبه نقاه وأخلصه وأصلحه وأول مبتدأ وما مصدرية والمصدر المأول المضاف إليه ما قبله والخبر قوله بأحد يعنى أن أول غزوه عليه السلام على فرسه السكب كان فى غزوة أحد قال ابن سيد الناس السكب كان اسمه قبل أن يشتريه الضرس اشتراه بعشر أواق أول ما غزا عليه أحدا ليس للمسلمين غيره أبي بردة بن نيار ويسمى ملاوحا وكان أغر محجلا طلق اليمين كميتا وقيل كان أدهم شبه بفيض الماء وانسكابه والضرس الصعب السيء الخلق والملاوح الضامر الذى لا يسمن والعظيم الألواح وهو الملواح انتهي أيضا منه ولم يضبط الضرس وفى القاموس وككتف الصعب الخلق واسم فرس اشتراه النبي صلى الله تعالي عليه وسلم من الفزاري وغير اسمه بالسكب انتهى. وقوله العظيم الألواح فى القاموس اللوح كل صحيفة عريضة خشبا أو عظما جمعه ألواح ثم قال والملواح الضامر والمرأة السريعة الهزال والعظيم الألواح انتهى. وقوله أبو بردة بن نيار هو ككتاب كما فى القاموس.

(والـــورد) بفتح فسكون لون بين الكميت والأشقر شبه بالورد الذى يشم أهداه له تميم الداري فأعطاه عمر بن الخطاب فحمل عليه فى سبيل الله ثم وجده يباع برخص فأراد شراءه فقال له عليه السلام لا تشره أنظر العيون والمواهب، وقوله والورد خبر مبتدإ محذوف تقديره وثانيها دل عليه قوله أولها ولا يكون عطفا على السكب لأنه يكون للمعنى أولها السكب والورد إلخ، وذلك لا يصح. **(و)** ثالثها **(المرتجز)** بضم وسكون الراء وكسر الجيم سمي بذلك لحسن صهيله كأنه ينشد رجزا واكان أبيض وهو الذى شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين، أنظر العيون، وخزيمة أنصاري أوسي روى الطبراني وغيره أنه عليه السلام اشترى فرسا من سواء بن الحارث فجحده فشهد له خزيمة فقال صلى الله تعالي عليه وسلم ما حملك على الشهادة ولم

تكن معه حاضرا، فقال صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقا، فقال عليه السلام من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه، وإلى هذا أشار بقوله واصفا للمرتجز:

(الذي شهد له) أي النبي عليه السلام **(به)** عائد على الموصول، **(خزيمة)** بالصرف للوزن فاعل شهد، **(حين)** ظرف متعلق بشهد وهو مضاف لقوله، **(جُحد)** بالبناء للفعول ونائبه ضمير يعود على المرتجز بتقدير مضاف أي أنكر بائعه بيعه وفى مسند ابن أبي أسامة عن النعمان بن بشير فرد صلى الله تعالي عليه وسلم الفرس على الأعرابي وقال لا بارك الله لك فيها فأصبحت من الغد شائلة برجلها أي ماتت وهذه ترد على تعيين كونه من أفراسه المعلومة المعينة بأسمائها وسواء هذا صحابي من وفد محارب وأخرج ابن مندة عن المطلب بن عبد الله قال قلت لبني الحارث أبوكم الذى جحد بيعة رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم قالوا لا تقل ذلك، فلقد أعطاه بكرة وقال ان الله سيبارك لك فيها فما أصبحنا نسوق سارحا ولا بارحا إلا منها انتهى. من الزرقاني. وقال قبل هذا وقيل ان الذى شهد فيه خزيمة الملاوح وقيل الطرف وقيل النجيب انتهى. وفى العيون بعد الكلام الذى مر عنه فى شهادة خزيمة وقيل هو **(الطرف)** بكسر الطاء المهملة نعت للمذكر خاصة انتهى المراد منه. و رابع الخيل، الطرف بكسر الطاء وسكون الراء المهملتين ففهاء وهو مما اختلف فيه. وفى القاموس والطرف بالكسر الكريم الطرفين، منا جمعه أطراف ومن غيرنا جمعه طروف والكريم من الخيل أو الكريم الأطراف من الآباء، والأمهات، أو نعت للذكور خاصة **(واللحيف)** بالحاء المهملة بوزن رغيف وبالتصغير أيضا سمي به لكبره وسمنه. وقال الهروي لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض به أي يغطيها وكونه بالحاء المهملة هو المعروف حتى قيل لا وجه لضبطه بالمعجمة، قاله ابن الأثير. ويروى بالجيم. قال فى الفتح فإن صح فهو سهم عريض النصل كأنه سمي به لسرعته ويروى بالخاء المعجمة وحكوا فيه التصغير والتكبير أيضا أنظر الزرقاني. وفى القاموس فى باب الحاء المهملة وكأمير أو زبير

فرس للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه يلحف الأرض بذنبه. وفيه فى باب الخاء وكأمير أو زبير فرس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو بالحاء وأما رواية الجيم فلم يذكرها. واللحيف، قال فى المواهب أهداها له ربيعة بن أبي البراء انتهى. وقال الزرقاني واسم أبي البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري يعرف عامر بملاعب الأسنة وفى الإصابة ربيعة بن ملاعب الأسنة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا ما قرأت فى ديوان حسان تصنيف أبي سعيد السكري وقال حسان لربيعة بن عامر يحرضه بعامر بن الطفيل بأخفاره ذمة أبي براء:

ألا من مبلغ عني ربيعا	بما أحدثت فى الحدثان بعدي
أبوك أخو الفعال أبو براء	وخالك ماجد حكم بن سعد
بني أم المبنين أم يرعكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء	ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أيغسل عن أبي هذه العذرة ان أضرب عامرا ضربة أو طعنة؟ قال نعم. فرجع فضرب عامر ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتص، فقال قد عفوت عنه. ورأيت له رواية عن أبي الدرداء فكأنه عمر فى الإسلام ، انتهى.

فقول البرهان لا أعلم لربيعة إسلاما ولا ترجمة، تقصير وأبوه أبو براء هذا من مشاهير العرب، وقد اختلف فى إسلامه وصحبته كما قدمته فى بئر معونة، انتهى. بخ.

(والملاوح)، يعنى أن الملاوح من خيله عليه السلام وهو مما اختلف فيه وهو بضم الميم وكسر الواو كما فى الزرقاني، وقال المناوي عقب قول العراقي والخلف فى ملاوح وهوالضامر الذى لا يسمن السريع العطش العظيم الألواح وكان لأبي بردة بن دينار فأهداه له، انتهى.

ومر نحوه عن ابن سيد الناس.

(والضرس) يعني أن الضر س من خيله عليه السلام عند الناظم. وذكر ابن سيد الناس أن السكب كان اسمه الضرس قبل أن يشتريه صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي المناوي نحوه ولم يذكراه فرسا مستقلا ولم يذكره في المواهب ولا شارحه، وإنما ذكر الزرقاني عن السهيلي: الضريس بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء فتحتية فسين مهملة، قال وتبعه اليعمري والعراقي، انتهى كلامه.

وما نقله عن اليعمري والعراقي هو كذلك فيهما ، الحاصل أن القاموس والمناوي وابن سيد الناس إنما ذكروا الضرس على أنه كان اسم السكب قبل اشترائه له عليه السلام من الفزاري فغير اسمه ولم يضبطه منهم إلا القاموس، فقال إنه ككتف كما قدمته والله تعالى أعلم.

واللزاز، يعني أن اللزاز من خيله عليه السلام وهو مما اتفق عليه منها وهو بكسر اللام وبزايين معجمتين بينهما ألف من قولهم لازرته أي لاصقته كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته، وقيل لاجتماع خلقه، واللزاز المجتمع الخلق الشديد وقال السهيلي معناه لا يسابق شيئا إلا لزه، أي أثبته. أهداه له المقوقس وكان معجبا به وكان تحته يوم بدر، ذكره سليمان النحوي. ورد بأن بدرا في العام الثاني ورسله إلى الملوك بعد عوده من الحديبية وكان معه في المريسيع، قاله المناوي. وزاد الزرقاني أن الزايين خفيفتان. قال روى ابن مندة من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده، قال كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند سعد والد سهل ثلاثة أفراس فسمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسميهن: لزاز، والطرب واللخيف اي بالخاء المعجمة، انتهى.

(ذاك)، الإشارة إلى لزاز **(السابح)** أي الحسن مد اليدين في الجري وسبح الفرس جريه، قاله في العيون وفي القاموس والسوابح الخيل

لسبحها بيديها فى جريها انتهى. قال جامعه سمح الله له وقد نظمت ما اطلعت عليه من خيله عليه السلام مما لم يذكره الناظم فقلت:

(ضريس، بحر سبحة مندوب)

يعني أن هذه الأربعة من خيله عليه السلام على خلاف فيما عدا سبحة وهي الضريس بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء المهملة فتحتية ساكنة، فسين مهملة كما مر والبحر، وكان كميتا اشتراه من ناس قدموا من اليمن فسبق عليه مرات، فجثى صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه ومسح وجهه، أي وجه الفرس، وقال ما أنت إلا بحر، فسمي بحرا لسرعة جريه، شبه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه، وكان سرجه دفتان من ليف، وروى الشيخان عن أنس أنه كان فزع بالمدينة فاستعار عليه السلام فرسا لأبي طلحة يقال له المندوب فركبه ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فلما رجع، قال ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحرا، وهذا الحديث ورد بألفاظ، وهذا الفرس لأبي طلحة واسمه المندوب، وما قبله اشتراه هو عليه السلام من تجار من أهل اليمن واسمه البحر نقله الزرقاني. وأما سبحة فبفتح السين المهملة وسكون الموحدة فحاء مهملة فتاء تأنيث وهي مما اتفق عليه وهي من قولهم فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين فى الجري وأما المندوب فهو من ندبه فانتدب أي دعاه فأجاب.

قال ابن سيد الناس وقال ابن الأثير أي المطلوب سمي بذلك من الندب وهو الرهن عند السباق، وقيل لندب كان في جسمه وهو أثر الجرح وقال عياض يحتمل أنه لقب أو اسم بغير معنى كسائر الأسماء، قاله الزرقاني.

(مرواح شحا أبلق نجيب)

يعني أن هذه الأربعة من خيله عليه السلام فأما المرواح فهو بكسر

الميم وسكون الراء فواو فألف فحاء مهملة من أبنية المبالغة مشتق من الريح، سمي به لسرعته أو من الرواح لتوسعه فى الجري أو من الراحة لأنه يستراح به، أهداه له قوم من مدجج بفتح الميم وسكون المعجمة وكسر المهملة فجيم قاله فى المواهب وشرحها، ونحوه فى المناوي. وأما شحا فهي بفتح الشين المعجمة وشد الحاء المهملة والقصر قاله المناوي والزرقاني وهي من قولهم فرس بعيد الشعوة أي الخطوة، قاله فى العيون، وأما الأبلق فهو الذى فيه بياض وسواد حمل عليه بعض أصحابه، قاله الزرقاني وأما النجيب فهو بفتح النون وكسر الجيم فهو بوزن كريم معناه (وظرب ذو لمة يعبوب) يعنى أن هذه الثلاثةمن خيله صلى الله تعالى عليه وسلم. أما الظرب فهو بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء المهملة فموحدة واحد الظراب وهي الجبال الصغار سمي به لكبره وسمنه، وقيل لقوته وصلابة حافره أهداها له فروة بن عمرو الجذامي، قاله القسطلاني. وقال الزرقاني ما مر من الضبط اقتصر عليه البرهان. ويقال بكسر أوله وسكون الراء وقدمه الشامي وقال بعد قوله أهداها أنثه بعد أن ذكر لأن الفرس يجوز تذكيره وتأنيثه وكأنه جمع بينهما لاحتمال كونه مذكرا ومؤنثا انتهى.

وفي المناوي أنه كان معه فى المريسيع وأما ذو لمة، فهو بكسر اللام وشد الميم قال فى العيون واللمة بين الوفرة والجمة فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن فهي وفرة فإذا زادت حتى ألمت بالمنكبين فهي لمة، فإذا زادت فهي جمة، وأما اليعبوب فهو بفتح التحتية وسكون المهملة وموحدتين بينهما واو، وهو الفرس الجواد، وجدول يعبوب شديد الجري قاله الزرقاني وفى المناوي واليعبوب الفرس الجواد الطويل الجري سمي به لشدة جريه انتهى.

(سجل وذو العقال واليعسوب) هذه من خيله عليه السلام أيضا أما السجل فهو بكسر السين المهملة وسكون الجيم بعدها لام قاله الزرقاني والمناوي وزاد من قولهم سجلت الماء فانسجل صببته فانصب، وأما ذو

العقال فهو بضم العين وشد القاف وتخفيفها، فألف فلام وهو ظلع في قوائم الدابة كما في العيون ورجح القسطلاني التخفيف.

وفي القاموس وكرمان داء في رجل الدابة إذا مشى ظلع ساعة ثم انبسط انتهى.

وأما اليعسوب فأصله طائر أطول من الجراد لا يضم جناحه إذا وقع شبه به الخيل.

واليعسوب غرة مستطيلة في وجه الفرس، قاله المناوي. وفي العيون اليعسوب سيد القوم وأمير النحل، والفرس الجواد.

(والأدهم السرحان والمرتجل) يعني أن هذه الثلاثة من خيله عليه السلام فالأدهم معناه الأسود والسرحان بكسر السين وسكون الراء المهملتين والسرحان الذئب وهذيل تسمي الأسد سرحانا، قاله في العيون وتبعه القسطلاني والمرتجل بضم الميم وسكون الراء وفتح الفوقية وكسر الجيم وباللام مأخوذ من ارتجل الفرس ارتجالا إذا خلط العنق بشيء من الهملجة فراوح بين شيء من هذا وشيء من هذا. فالعنق ان يباعد خطاه ويتوسع في جريه والهملجة أن يقاربها مع الاسراع قاله المناوي.

(عن ابن خالويه هذي نقلوا)، يعني أن هذه الثلاثة الأخيرة وهي الأدهم والسرحان والمرتجل نقلها علماء السير عن ابن خالويه، عزاها له المناوي في شرح العراقية وعزا له في المواهب الأخيرين ولم يذكر الأدهم، قال الزرقاني وابن خالويه هو الحسين بن احمد الإمام المشهور المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة.

كعب بن مالك ثم إلى حسان فقال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ثم قال والذى بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم فقال صلى الله تعالي عليه وسلم لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاهم حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد لخص لى نسبك والذى بعثك بالحق نبيا لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين (الحديث) انتهى كلامه.

قال الناظم رحمه الله تعالي:

(ذكـــر دوابه عليـــه أفـــضل صـــلاة ربي دائمــا وأكـــمل)

قوله ذكر خبر مبتدإ محذوف أي هذا ذكر دوابه والدواب لغة كل ما دب على وجه الأرض وعرفا كل ذات أربع قوائم، أي هذا ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي على الدوام وأكملها وبدأ ببيان خيله عليه السلام فقال:

(له من الخيل العتاق عشره أوسبعة فيما حكاه المهره)

قوله عشره مبتدأ وخبره قوله له والعتاق الكرام جمع عتيق وأو فى قوله أو سبعة للخلاف، أي وقيل سبعة والمهرة بالتحريك جمع ماهر وهو الحاذق فى هذا الفن والماهر فى الأصل الحاذق بكل عمل ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالي عليه وسلم كان له عشرة من الخيل الكرام وقيل سبعة فسبعة متفق عليها كما فى العراقي والمواهب وغيرهما.
قال العراقي:

سكب لزار ظرب وسبحة مرتجز ورد لحيف سبعة
وليس فيها عندهم من خلف. انتهى المراد.

وياتي ضبطها إن شاء الله تعالى عند ذكر الناظم لها. وذكر ابن سيد

الناس هذه السبعة المتقدمة وقال إنها متفق عليها وذكر بعدها خمسة عشر مختلفا فيها وقال المناوي في شرح العراقية وهي يعني الخيل ثلاثون وذكر الناظم يعني العراقي منها ثلاثة وعشرين انتهى.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه والناظم رحمه الله تعالى لم يقتصر على السبعة المتفق عليها بل لم يذكرها كلها لأنه لم يذكر سبحة مع انها متفق عليها كما في العراقي وابن سيد الناس ونقله عن الدمياطي وكذا في المواهب انها مما اتفق عليه وقال الزرقاني ان البدر بن جماعة جمع المتفق عليه في بيت وهو:

والخيل سكب لحيف سبحة ظرب لزار مرتجز ورد لها أسرار

فذكر فيها سبحة ولم يذكر هؤلاء اسما لها سوى هذا الإسم واللفظة الأخيرة كذا هي في المطبوع فإن لم تكن مصحفة فهي بحذف الهمزة في اللفظ والله تعالى أعلم وانظر ما أراد الناظم بالعشرة فإن من قدمت ذكرهم لم يذكروا قولا بأنها عشرة حتى يعينوها وسأذكر ما ذكروا ان شاء الله وبدأ الناظم بذكر الخيل لحبه عليه السلام لها وفي الزرقاني روى النسائي عن أنس لم يكن شيء أحب الى رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم بعد النساء من الخيل وروى مالك والشيخان من طريقه عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالي عليه وسلم الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة ابن عبد البر فيه تفضيل الخيل على سائر الدواب لأنه لم يأت عنه في غيرها مثل هذا القول انتهى كلامه. وقال الحافظ بن حجر في شرح البخاري قوله في نواصيها الخير وكذا في الموطإ ليس فيه معقود ووقع بإثباتها والمراد بها ما يتخذ للغزو ان يقاتل عليه أو يربط لأجل ذلك. وفي رواية زكرياء الأجر والمغنم وقوله الأجر بدل من قوله الخير أو خبر مبتدئ محذوف أي هو الأجر والمغنم. وعند مسلم فقال بم ذلك يا رسول الله؟ قال الأجر والمغنم والناصية الشعر المسترسل على الجبهة وخص الناصية لرفعة قدرها ولكونها المقدم منها إشارة إلى ان المفضل في الإقدام بها إلى العدو دون المؤخر لما

فائدة:

لم يذكر الناظم من البغال إلا ثلاثة مع قوله كلها، وفي العيون بعد ذكر هذه الثلاثة المتقدمة وبعث صاحب دومة الجندل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة وقيل أهدى له كسرى بغلة ولا يثبت وعن ابن عباس أهدى النجاشي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة فكان يركبها فهذه ست انتهى منه.

وللعراقي:

بغاله خمسة أو فستة	دلدل مع فضة والإيلية
وبغلة أهدى له الأكيدر	وجاء من كسرى وفيه نظر
وبغلة أهدى له النجاشي	وهو بأخلاق النبي الفاشي

قوله بغلة مفعول مقدم والأكيدر بالتصغير صاحب دومة الجندل، وهو ابن عبد الملك النصراني واختلف في إسلامه والأصح أنه لم يسلم وإن خالدا قتله على نصرانيته وأهدى له عليه السلام مع البلغة جبة سندس جعل أصحابه يعجبون منها فقال لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا، وقوله وجاء من كسرى أي وجاء أنه أتاه من كسرى بغلة هدية، رواه الثعالبي في تفسيره عن ابن عباس، فركبها بحبل من شعر، وأردفه خلفه وأخرجه الحاكم في مستدركه.

قال الحافظ الدمياطي وفيه نظر لأنه مزق كتابه كما مر وفي اسناد الثعالبي عبد الله القداح ضعيف وأجيب باحتمال أن الذى أهداها له شيرويه ولده أو ابن عمه كسرى بن قباذ أو ازدشير بن شيرويه فإن هؤلاء كلهم ملكوا بعد قتل أبرويز على أنه لا يلزم من تمزيق الكتاب أن لا يهدى له انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني.

وقوله وبغلة مفعول مقدم أيضا والنجاشي ملك الحبشة وقوله وهو بأخلاق النبي الفاشي أي وهو أي ما ذكر من أن النجاشي أهدى له بغلة

مذكور فى كتاب أخلاق النبي لأبي الشيخ بن حبان عن ابن عباس والفاشي الكبير الشهرة أنظر المناوي فهذه ست بغال وزاد بعضم سابعة تسمى حمارة شامية رواه ابن السكن عن بسر بضم الموحدة وسكون المهملة والد عبد الله الحارثي قاله الزرقاني.

(ثم حمار اسمه يعفور)، ثم هنا للترتيب الذكري كالتي قبلها، وحمار مبتدأ خبره محذوف أي له حمارا واسم كأن حذفت هي وخبرها أي كان له عليه الصلاة والسلام حمار اسمه يعفور بسكون المهملة وضم الفاء مصروف، قاله الحافظ وهو اسم ولد الظبي كأنه سمي به لسرعته وقيل تشبيه باليعفور فى عدوه وهو ولد الظبي وولد البقرة الوحشية أهداه له فروة بن عمرو الجذامي قال الواقدي مات منصرفه عليه السلام من حجة الوداع وبه جزم النووي وقيل طرح نفسه فى بئر لأبي الهيثم يوم موته عليه السلام، ذكره ابن حبان فى الضعفاء، وقال لا أصل له وليس سنده بشيء. أنظر الزرقاني.

وجزم اليعمري بأن له حمارا اسمه عفير بالتصغير رأهداه له المقوقس مع دلدل وحمارا اسمه يعفور أهداه له فروة بن عمرو مع فضة انتهى. وقيل هما واحد زعمه ابن عبدوس ورده الدمياطي وصدر فى المواهب أنهما اثنان فقال وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير عفيرا أهداه له المقوقس ويعفورا أهداه له فروة بن عمرو ويقال هما واحد، انتهى.

وعفير بالتصغير مأخوذ من العفرة وهو لون التراب كأنه سمي بذلك للونه والعفرة حمرة يخالطها بياض وروي البخاري عن معاذ قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير الحديث ثم المشهور كما فى الألفية أنهما اثنان أنظر الزرقاني.

وللعراقي:

حماره عفير أو يعفور … أو فهما اثنان وذا المشهور

وكـون ذا كـان اسـمـه زيادا	أو بـيـزيـد مـنـكـر اسـنـادا
وثالـث أعـطاه سـعـد يسنده	رديفـه قـيس بن سـعـد ولده

قوله أو فهما إلخ، أي وقيل هما اثنان، وقوله وكون ذا إلخ أشاربه إلى ما في تاريخ ابن عساكر لما فتح المصطفى خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال له ما اسمك قال زياد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبه إلا نبي (الحديث). قال ابن عساكر حديث غريب وفيه غير واحد من المجهولين، وقوله وثالث أي وله حمار ثالث أعطاه له سعد بن عبادة فإنه زاره ماشيا فأركبه في رجوعه حمارا وأرسل قيس بن سعد معه فأردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه فلما وصل إلى بيته أراد أن يرد الحمار فقال هو هدية رواه ابن مندة، في كتاب أسماء من أردفهم المصطفى خلفه يسنده عن قيس المذكور رديفه، وزاد في الشامية حمارا رابعا أعطاه له بعض الصحابة، انتهى من المناوي والزرقاني. **(والناقة القصوى فقط ماثور)**، الناقة مبتدأ وال خلف عن الضمير والقصواء خبره أي وناقته عليه السلام القصواء أي اسمها ذلك وقوله ماثور خبر مبتدإ محذوف أي ذا ماثور أي منقول عن العلماء وقط اسم فعل بمعنى انته أي وإذا ذكرتها فانته عن ذكر غيرها وانظر لمَ أفردها عن اللقاح مع ذكره لهن وقد عدها الحافظ العراقي فيهن فقال:

كـانت له لقـاح الحنـاء	عـريس بغـوم السـمـراء
بـردة والمروة والسـعـدية	حـفـيـدة مـهـرة واليـسـيـرة
رياء والشـقـراء والصـهـبـاء	عـضـبـا وجـدعـاءهمـا القـصـواء

وفي المواهب وكان له عليه الصلاة والسلام من اللقاح القصواء وهي التى هاجر عليها إلخ. ويأتي إن شاء الله ضبط ما ذكر في هذه الأبيات منها عند ذكر الناظم للقاح وما فعل الناظم يشبه صنيع ابن سيد الناس فإنه قال وأما النعم فكانت له ناقته التى هاجر عليها تسمى القصواء

والعضباء والجدعاء وكانت شهباء ثم ذكر بعد ذلك اللقاح، قال الحافظ بن حجر والقصواء بالفتح والمد ناقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى.

وقال الزرقاني فى شرح المواهب بفتح القاف والمد على غير قياس والقياس القصر كما وقع فى بعض نسخ أبي ذر، والقصو قطع طرف الأذن وقد قيل كان طرف أذنها مقطوعا، وزعم الداوودي أنها كانت لا تسبق فقيل القصواء لأنها بلغت من السبق أقصاه، قال عياض ووقع فى رواية العذري فى مسلم بالضم والقصر وهو خطأ انتهى.

وقال المناوي القصواء بفتح القاف والمد

(وهي التى امتطى بلا امتراء نبينا فى الهجرة الغراء)

قوله وهي بسكون الهاء وامتطاها جعلها مطية أي ركبها والامتراء الشك ونبينا فاعل امتطى والغراء نعت للهجرة ومعناه الشهيرة يعني أن القصواء هي التى هاجر عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة إلى المدينة وكانت لأبي بكر ابتاعها هي وأخرى من بني الحريش بثمان مائة درهم فاشتراها عليه السلام بأربعمائة درهم ولم يقبل هبتها من أبي بكر لتتم هجرته لله تعالى وهذا على ترادف الأسماء لها كما ياتي، وذكر الواقدي أن القصواء من نعم بني قشير وعاشت بعده عليه السلام وماتت فى خلافة أبي بكر.

ولابن إسحاق ان التى هاجر عليها الجدعاء وكانت من ابل بني الحريش وكذا فى رواية البخاري فى غزوة الرجيع عن عائشة وهو أقوى إن لم نقل أنهما واحدة، وكان علي القصواء يوم الحديبية ويوم الفتح مردفا أسامة أنظر الزرقاني والمناوي.

وفي الشفاء أنها كانت تكلمه عليه السلام وأن العشب كان يبادر إليها فى الرعي وأن السباع تجتنبها وتناديها إنك لمحمد وان الاسفرايني ذكر

أنها لم تاكل ولم تشرب، بعد موته عليه السلام حتى ماتت.

(وكـــــان لا يحـــــمله إن نزلا   عليـــــه وحي غـــــيـــــرها...)

اسم كان ضمير يعود على نبينا عليه السلام وخبرها الجملة بعدها، وغيرها بالرفع فاعل يحمل، ووحي فاعل نزل ومعنى البيت ظاهر. **(ونقلا ان اسمها العضباء والجدعاء فقد ترادفت لها الأسماء)** يعنى أن غير واحد من العلماء نقل أن القصواء والجدعاء والعضباء أسماء مترادفة أي متفقة فى المعنى ومسماها واحد، وعليه اقتصر فى العيون كما مرّ واقتصر عليه العراقي وكذا صاحب القاموس فإنه قال والعضباء الناقة المشقوقة الأذن، ولقب ناقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وقال الجدع قطع الأنف أوالأذن، ثم قال والجدعاء ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهي العضباء، والقصواء ولم تكن جدعاء ولا عضباء ولا قصواء وإنما هي ألقاب، انتهى منه.

وفي ابن سلطان بعد نقل كلام القاموس وقيل اثنتان وقيل ثلاث انتهى منه.

وبعدم الترادف صدر فى المواهب فقال وكان له من اللقاح القصواء وهي التى هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بهما عضب ولا جدع، وإنما سميتا بذلك. وقيل بأذنها عضب، وقيل العضباء والجدعاء واحدة والعضباء هي التى كانت لا تسبق. فجاء عربي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه انتهى. والجدعاء بفتح الجيم وإسكان الدال المهملة. وقول الشامي المعجمة سبق قلم وهي المقطوعة الأذن، أو الأنف، أو الشفة. والعضباء بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها موجدة ومدّ المقطوعة الأذن، أو المشقوقتها. قال ابن فارس وكانت مشقوقة الأذن، وقوله فجاء إعرابي قال الحافظ بن حجر لم أقف على اسمه بعد التتبع الشديد. والقعود بفتح القاف ما استحق الركوب من الإبل وأقل

ذلك أن يكون ابن سنتين إلى ان يدخل السادسة فيسمى جملا، وقوله فسبقها وللنسائي سابق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعرابي فسبقه، وفى الحديث المسابقة على الإبل والتزهيد فى الدنيا وحسن خلقه عليه السلام وتواضعه وعظمته فى صدور أصحابه، نقله الزرقاني.

(ومائة كانت له من الغنم) قال اليعمري وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مائة من الغنم لا يريد أن تزيد على ذلك، كلما ولدت بهمة ذبح الراعي مكانها شاة ونحوه فى المواهب. وللعراقي:

كان له مائة شاة غنما ... ولا يريد أن تزيد كلما
ولد منها بهمة راعيها ... ذبح شاة لا يزيد فيها

وإذا ذبح الشاة جعل البهمة مكانها. قاله المناوي. والبهمة بالفتح أولاد الضأن والمعز جمعه بهم ويحرك وبهام قاله فى القاموس.

(ومعها) أي الغنم ،**(عشرون)**مبتدأ خبره ما قابله، **(لقحة)** بكسر اللام وفتحها **(تلم)** بالبناء للمفعول أي تجمع مع الغنم، تتميم للبيت، واللقحة الناقة القريبة العهد بالولادة إلى ثلاثة أشهر، ثم هي بعد الثلاثة لبون وجاء اللقحة فى البقر والغنم أيضا كما ذكره البرهان، قاله الزرقاني. وسمى العراقي من لقاحه عليه السلام كما تقدم: الحناء بفتح المهملة وشد النون والمد وهي التى نحرها العرينيون والعريس بضم العين المهملة وفتح الراء وشد المثناة التحتية وسين مهملة وكانت لأم سلمة وبغوم بضم الموحدة وضم الغين المعجمة وهو فى الأصل صوت الناقة التى لا تفصح به، والسمراء بسين مهملة ممدودة وكانت لعائشة رضي الله تعالى عنها. وبردة أهداهما له الضحاك بن سفيان الكلابي كانت تحلب كما تحلب اللقحتان، كانت لأم سلمة وكان يرعاها هند ومروة أهداها له سعد بن عبادة، والسعدية بفتح السين وسكون العين وكسر الدال المهملات وحفيدة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء والحفيدة السريعة، ومهرة بضم الميم أرسلها له سعد بن عبادة، من نعم بني عقيل

وكانت غزيرة اللبن جدا واليسيرة بضم الياء أوله مما استاقه العرينيون ورياء بفتح الراء المهملة وشد التحتية ومد ابتاعها من بني عامر والشقراء بشين معجمة وقاف وللعراقي عاطفا على ما تقدم من اللقاح ما نصه:

وغيرهن والجمال الثعلب	وجمل أحمر والمكتسب
غنمه في يوم بدر من أبي	جهل فأهداه إلى بيت النبي
في أنفه برة أي من فضة	غاظ به كفار أهل مكه

قوله وغيرهن أي وغير ما مر مما يطول ذكره والجمال كثيرة ومنها الثعلب بفتح المثلثة وسكون العين بعث المصطفى عليه يوم الحديبية خراش بن أمية الخزاعي حين بلغه قتل عثمان ليكشف عن أمره فعقروا الجمل وقوله وجمل أحمر روى ابن سعد عن نبيط رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حجته على جمل أحمر والمكتسب بضم الميم وسكون الكاف وفتح السين المهملة على صيغة اسم المفعول غنمه يوم بدر وكان يغزو عليه ويضرب في لقاحه. وأهداه في عمرة الحديبية إلى البيت ليغيظ به أهل مكة والبرة بضم الموحدة وفتح الراء المخففة فتاء تانيث حلقة صغيرة انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني. **(وكان)** عليه الصلاة والسلام **(يختص بشرب)** بتثليث الشين لبن **(شاة تدعى)** بالبناء للمعول أي تسمى تلك الشاة **(بغيثة لدى الرواة)** المجرور متعلق بتدعى وهي بالغين المعجمة فتحتية ساكنة فمثلثة وقيل اسمها غوثة بالواو بدل الياء وبه صدر في المواهب والعيون وسيرة العراقي فيفيد هذا اعتماده قال في العيون وكانت له شاة تسمى غوثة وقيل غيثة وشاة تسمى قمرا وعنز تسمى اليمن وكانت له سبعة اعنز منائح ترعاها أم أيمن، والمنائح جمع منيحة وهي في الأصل شاة أو بقرة يعطيها صاحبها لمن يشرب لبنها ثم كثر استعمالها على كل شاة أو بقرة معدة لشرب لبنها قاله الزرقاني ونحوه للمناوي في شرح قول العراقي:

كـــــانـت لـه مـنـائـح بـركــــــة زمــزم سـقـيـا عـجـزة وورشـــة
أطـلال أطـراق قــــمــــر مـع يمن وغـــوثـة أو غــيـــشــة بل فـى الـسنن

كانت له مائة شاة إلخ وقد مر وبركة بالتحريك وسقيا بضم المهملة وسكون القاف وعجزة بفتح العين المهملة وسكون الجيم وورشة بشين معجمة وقوله أو غيثة أي وقيل اسمها غيثة قاله المناوي وأطلال بفتح الهمزة كما فى الزرقاني.

(وديكه الأبيض جاء فى الخبر)

يعني أنه جاء فى الخبر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له ديك أبيض عزاه العراقي للمحب الطبراني. قال فى سيرته:

وكان أيضا عنده ديك له أبيض فالمحب قد نقله.

قال الزرقاني بعد نقله لهذا البيت يشير إلى ما رواه أبو نعيم والحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف عن أبي زيد الأنصاري مرفوعا الديك الأبيض صديقي وعدو إبليس. يحرس داره وتسع دور حولها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبيته معه فى البيت وأحاديث الديك حكى ابن الجوزي بوضعها ورد عليه الحافظ بما حاصله أنه لم يتبين له الحكم بوضعها أي ليس فيها وضاع ولا كذاب، نعم هو ضعيف من جميع طرقه والله تعالى أعلم.

انتهى منه وفى المناوي نهى عن سب الديك وقال إنه يوقظ للصلاة كما رواه أبو داوود قال الحافظ زعم أهل التجربة أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب فى ماله انتهى كلامه. وديك أفرق بالفاء فراء فقاف أي عرفه مفروق، كما فى القاموس.

(ولم يجئ فيه اقتناؤه البقر)

الضمير المجرور عائد على الخبر يعنى أنه لم يات فى الخبر أنه صلى

الله تعالى عليه وسلم اقتنى البقر، أي اتخذه قنية فلا ينافي أنه ضحى به عن نسائه باحتماله أنه ابتاعها عند إرادته التضحية كما فى المناوي وهذا أحسن من قول العيون وأما البقر فلم ينقل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك شيئا منها انتهى.

قال الزرقاني بعد نقله أي للقنية فلا يرد عليه ما فى الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر فى حجة الوداع، وتجويز أنه ملكها وضحى هو بها رده البرهان بأن فى مسند أحمد عن عائشة دخل علينا يوم النحر بلحم بقر، وقلت ما هذا؟ قال نحره صلى الله تعالى عليه وسلم عن أزواجه وبوب عليه البخاري باب ذبح الرجل البقر عن نسائه من غير أمرهن.

(بيـــــان مـــــا لـه من الســــلاح)

أي هذا بيان ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من السلاح. والسلاح ككتاب والسلح كعنب والسلحان بالضم آلة الحرب أو حديدتها قاله فى القاموس.

(صلى عليــــــه واهب الفـــــلاح)

أي معط الفلاح وهو الله تعالى والفلاح قال القسطلاني هو جمع اسم لأنواع الخير، انتهى.

وفسره بعضهم بنيل كل محبوب والنجاة من كل مرهوب، وقال المناوي السلاح ما يقاتل به فى الحرب ويدافع به، والتذكير فيه أغلب وجمعه أسلحة وسلاحات، والسلح بوزن حمل لغة فى السلاح ثم شرع يذكر سلاحه عليه السلام، بادئا بالسيوف لأنها أشرف آلة الحرب فقال:

(له من الأسياف تسعة فقط) أتى بجمع القلة لمناسبته لكونها تسعة كما للناظم **(أسماؤها)** أي تلك السيوف **(مروية)** أي منقولة **(عمن فرط)**

أي تقدم من العلماء **(منها)** أي من سيوفه عليه الصلاة والسلام السيف **(الذى أصابه)** غنمه صلى الله تعالى عليه وسلم **(من)** العاصي بن منبه السهمي على ما اقتصر عليه فى العيون يوم **(بدر)** وقيل كان لمنبه بن وهب، وقيل لمنبه أو نبيه بن الحجاج قال الحاكم والأخبار فى أنه من خيبر واهية وروى الطبراني بسند ضعيف أن الحجاج بن علاط أهداه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم كان عند الخلفاء العباسيين ويقال أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة وصنع منها وكونه غنم فى بدر أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن، غريب، والحاكم وصححه قاله الزرقاني. **(وكان)** هذا السيف **(يدعى)** بالبناء للمفعول أي يسمى **(ذا الفقار)** أي صاحب الفقار بفتح الفاء وكسرها كما فى العيون والمواهب. قال الزرقاني وقال فى النور حكى غير واحد فيه الفتح والكسر انتهى.

وقول الخطابي بفتح الفاء والعامة تكسره ان أراد الأكثر فصحيح وإن أراد الجملة فلا. وكان هذا السيف لا يفارقه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن ملكه يكون معه فى كل حرب، لأنه نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. وإن صح القول بأنه عليه السلام أعطاه لعلي وانتقل فى أولاده فكأنه كان يأخذه منه فى الحروب أو أعطاه له عند موته انتهى كلامه.

(فادري) أي اعلم هذا تتميم للبيت . وقال المناوي بكسر الفاء جمع فقرة وقيل بفتحها جمع فقارة سمي به لفقرات كانت فى وسط ظهره، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد انتهى. وقال فى المواهب وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكارته ونعله من فضة انتهى.

وقائمته مقبضه وقبيعته بالقاف ما على طرف مقبضته وحلقته بإسكان اللام وفتحها ما فى أعلاه تجعل فيه العلاقة وذؤابته بمعجمة أي علاقته كما فى العيون وبكارته حلقه التى فى حليته، وهي ما يكون فى وسطه ونعله حديدته التى فى أسفل غمده وهذا السيف هو أشهر

أسيافه عليه السلام وسمي ذو الفقار لأنه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر وهو غير العضب. وحكى مغلطاي أنهما واحد وقيل سمي بذلك لأنه كان فيه حفار صغار والفقرة الحفرة التى فيها الودية، قال الأصمعي دخلت على الرشيد فقال أريكم سيف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الفقار ؟ قلنا نعم. فجاء به فما رأيت سيفا قط أحسن منه إذا نصب لم ير فيه شيء وإذا بطح عد فيه سبع فقر وإذا صفحته يمانية يحار الطرف فيه من حسنه وكذا قال قاسم فى الدلائل أن ذلك يرى فى رونقه شبيها بفقار الحية، فإذا ألتمس لم يوجد. وفى رواية عن الأصمعي فأذن لى فى تقبيله فقبلته انتهى المراد من الزرقاني فى مواضع **(ومثله القلعي)** بفتح اللام واسقاط الياء لفظا ولم يسم كما فى العراقي يعني أن القلعي سيف من أسيافه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى المواهب بضم القاف وفتح اللام وقال المناوي بفتح القاف واللام بعين مهملة انتهى. وقال الزرقاني بعد كلام المواهب الذى فى النهاية والدر واللب وغيرهما أنه بفتح القاف وهو الذى أصابه من قلع بفتحتين موضع بالبادية يقال له مرج قريب من صلوان قريب من همذان انتهى.

(والبتّار) بفتح الموحدة وشد الفوقية ومعناه القاطع. قال المناوي وهو أول سيف تقلد به صلى الله تعالى عليه وسلم. **(والحتف)** بفتح المهملة وسكون الفوقية بفاء وهو الموت أصابه من سلاح بنى قينقاع قال **(قد جاءت بذا الأخبار)** أي قد جاءت الأخبار بأن ما ذكر من أسيافه صلى الله تعالى عليه وسلم ، **(كذلك المخذم)** بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المعجمة فميم والخذم القطع بسرعة، ومنه سمي أنظر المناوي.

(والقضيب) بفتح القاف وكسر الضاد المعجمة وسكون التحتية وموحدة. قال المناوي أصابه من سلاح بنى قينقاع. قال وذكر عياض فى فصل أسمائه صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل، قال معه قضيب من حديد يقاتل به انتهى. وقال الزرقاني يطلق يعنى القضيب بمعنى اللطيف من السيوف وبمعنى السيوف القاطع كما فى

النور، وقيل ان القضيب ليس بسيف، بل هو قضيبه المشوق قال العراقي:

وقيل ذا قضيبه المشوق ... كان بأيدي الخلفاء شوق

وفي العيون وكان له قضيب يسمى المشوق من شوحط. ولم يبين هو ولا المناوي ولا الزرقاني معناه في الأصل ولعل معناه المنحوت. والله تعالى أعلم. وكان يمسك هذا القضيب بيده ثم وجدت في الزرقاني بتفسير أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما نصه ومعني المشوق الطويل الرقيق من المشط وهو جذب الشيء ليطول انتهى.

(والعضب) هذا أيضا من الأسياف النبوية وهو بفتح المهملة وسكون المعجمة أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر وهو في الأصل السيف القاطع، وسمي به هذا السيف **(و)** من أسيافه عليه السلام أيضا. **(الرسوب)** بفتح الراء وضم السين المهملتين وسكون الواو فموحدة قيل أنه من الأسياف السبعة التى أهدت بلقيس إلى سليمان. قال في المواهب أي يمضي في الضربة ويغيب فيها، من رسب يرسب أي بضم السين إذا ذهب إلى أسفل، وإذا ثبت قال الزرقاني لأن ضربته تغوص في المضروب به، وتثبت فيه والرسوب والمخذم أصابهما من الفلس بضم الفاء وسكون اللام فسين مهملة وقيل بضم الفاء واللام وقيل بفتح الفاء وسكون اللام وهو صنم لطيء كان الحارث قلده إياهما فبعث المصطفى عليه السلام عليا إليه فهدمه وعزل السيفين له عليه السلام وذكر المدائني أن زيد الخير وهبهما الي المصطفي لما وفد عليه **(يا لبيب)** تميم واللبيب العاقل. قال مؤلفه سمح الله تعالى له بمنه بقي من الأسياف التسعة سيف يقال له مأثور بهمزة ساكنة ومثلثة وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام، ورثه من أبيه. وبقي من أسيافه أيضا الصمصامة ويقال له أيضا الصمصام، وبقي اللحيف فتكون أحد عشر سيفا أو عشرة إن لم يكن القضيب سيفا، وقد نظمتها في بيتين وهما:

(كـذاك منهـا سـيـفـه مـاثـور ومـن أبـيـــه ارثـه مــاثـور)

الضمير المجرور بمن للأسياف، وماثور الأولى اسم السيف فهو بدل من قوله سيفه، وماثور الثانية خبر عن قوله ارثه، والمجرور قبله يتعلق به، ومعنى ماثور الثانية منقول عن العلماء فلا إيطاء فيه. ومعنى البيت أنه من أسيافه عليه الصلاة والسلام سيف اسمه مأثور بهمزة ساكنة ومثلثة. قال في المواهب وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام وهو الذي يقال أنه قدم به المدينة في الهجرة، انتهى.

قال الزرقاني ورثه من أبيه انتهى. وقال اليعمري كان له عليه السلام سيف يقال له ماثور ورثه من أبيه، وقدم به المدينة انتهى. وقال المناوي في شرح العراقية بضم المثلثة وهو أول سيف ملكه وقيل ورثه من أبيه قال الدمياطي وهو الذي يقال أنه عمل أهل الجنة انتهى. وبذكر المأثور صدر اليعمري والقسطلاني في ذكر الأسياف، وثاني البيتين هو:

(والبعض للصمصام واللحيف قـد زاد في عـدة ذي السـيـوف)

يعني أن بعض العلماء زاد في أسيافه عليه السلام على الأسياف التسعة المتقدمة سيفين وهما الصمصامة سيف عمرو بن معدي كرب، وكان مشهورا ذكره اليعمري وغيره، قال المناوي وزاد بعضهم في أسيافه الصمصامة كانت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي فوهبها لخالد بن سعيد حين استعمله علي اليمن وكانت مشهورة عند العرب، واللحيف سيف مشهور فهذه أحد عشر سيفا انتهى كلامه.

وقال العلامة محمد بن عبد الباقي وزاد اليعمري وغيره الصمصامة ويقال له الصمصام بفتح المهملة وإسكان الميم فيهما السيف الصارم الذي لا ينثني كان سيف عمرو بن معدي كرب، وكان مشهورا فوهبه صلى الله تعالى عليه وسلم لخالد بن سعيد بن العاصي واللحيف سيف مشهور فهذه أحد عشر أو عشرة إن حذف منها القضيب انتهى.

ولما ذكر الناظم الأسياف أتبعها بذكر عدد الرماح ولم يذكر أسماءها فقال:

(وكان عنده من الرماح أربعة تعد للكفاح)

قوله تعد بضم الفوقية مبني للمفعول أي تهيأ والكفاح بكسر الكاف القتال يعنى أنه عليه السلام كان عنده أربعة أرماح معدة لقتال الكفار، وفى حديث أحمد عن عمر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول جعل رزقي تحت ظل رمحي نقله المناوي وكونها أربعة هو الذى فى المواهب لكن قال الزرقاني كذا عدها مغلطاي أي أربعة فتبعه المصنف على عادته وقد عدها صاحب العيون والهدي والسبل والعراقي خمسة انتهى المراد منه. وقال العراقي:

كان له من الرماح خمسة من قينقاع جاءه ثلاثة

ورابع له يسمى المثويا والخامس المثني بذاك سميا

قوله من قينقاع لخ أي غنمها من يهود بنى قينقاع بتثليث النون وقوله المثويا من الثواء أي ان المطعون به يقيم مكانه، قاله المناوي. ولم يتعرض لضبطهما. وفى الزرقاني أن المثوي بضم الميم وإسكان المثلثة وكسر الواو ثم ياء أي القاتل سمي به لأنه يثبت المطعون، وفيه أن المثني بضم الميم وإسكان المثلثة وفتح النون وكسرها كما فى النور قال الزرقاني ولعل وجه التسمية أنه كان لينا انتهى.

ولم أقف على اسم لسوى هذين من الرماح. وفى العيون بعد ذكر الرماح وكانت له حربة تسمى النبعة وحربة كبيرة اسمها البيضاء وحربة صغيرة دون الرمح، شبه العكاز يقال لها العترة، انتهى

وفي المواهب وشرحها وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم حربة كبيرة بالنسبة لما بعدها وإن كانت دون الرمح أيضا تسمى البيضاء

وحربة أخرى دون الرمح بنصفه عريضة النصل لكن سنانها فى أسفلها بخلاف الرمح فإنه فى أعلاه شبه العكاز بضم العين وشد الكاف، عصى ذات زج، بزاي مضمومة فجيم مشددة أي سنان يقال لها العنزة بفتح المهملة والنون والزاي تركز بضم الفوقية وفتح الكاف فزاي أي تغرز فيصلي إليها أي إلى جهتها. انتهى المراد منهما.

(ومثلها) أي الرماح، **(قسيه)** عليه الصلاة والسلام والقسي بكسر القاف وضمها جمع قوس **(فى العد)** يعنى أن أقواسه صلى الله تعالى عليه وسلم مماثلة للرماح فى أن عدد كل منهما أربعة على ما ذكر الناظم وعدها العراقي خمسة وذكر أسماءها فقال:

أقواسه خمسة الروحاء   وقوس شوحط هي البيضاء

وقوس نبع وهي الصفراء   كذلك الكتوم والزوراء

والقوس مؤنثة ويقل تذكيرها والشوحط بشين معجمة مفتوحة فواو ساكنة فحاء وطاء مهملتين ضرب من شجر الجبال والنبع بفتح النون وسكون الموحدة وعين مهملة شجرة تتخذ منها القسي ومن أغصانها السهام وقوله هي البيضاء أي تسمى بذلك والصفراء اسم للأخرى وكذا الروحاء وهذه الثلاث أصابها من سلاح بنى قينقاع، والزوراء منقولة من الجنس لأن الزوراء اسم للقوس كما فى القاموس والكتوم بفتح الكاف ففوقية سميت بذلك لانخفاض صوتها إذا رمي عنها وهي التى تكسرت يوم أحد حتى صارت شظايا لكثرة رميه عليه السلام عنها حتى انحاز العدو فأخذها قتادة بن النعمان وله قوس أخرى تسمى السداد بفتح السين علم منقول من السداد الذى هو الصواب انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني. وللعراقي:

أحرابه البيضاء ثم النبعة   وحربة صغيرة عنزة

(والترس والجعبة مما أبدي) الترس مبتدأ والجعبة عطف عليه وخبر المبتدإ المجرور بعده وما موصول اسمي وصلته ابدي بمضم الهمزة

ومعناه أظهر وفاعله مستتر. يعني أن ترسه صلى الله تعالى عليه وسلم وجعبته من جملة ما يبديه الناظم أي يذكره، والترس بضم أوله معروف، وجمعه ترسة كعنبة وتروس كفلوس وتراس كسهام وربما قيل أتراس قال ابن السكيت ولا يقال أترسة كأرغفة وإذا كان من جلد لا خشب فيه يسمى درقة قاله المناوي. وذكروا له ثلاثة تروس ترس اسمه الزلوق بفتح الزاي وضم اللام فواو ساكنة فقاف سمي بذلك لأنه يزلق بفتح اللام عنه السلاح وترس اسمه الفتق بضم الفاء وفتح الفوقية فقاف قاله الزرقاني. وفى المناوي أنه بضمهما. وترس ثالث أهدي إليه وفيه تمثال عقاب أو كبش، فكرهه، فأصبح وقد أذهب الله عنه التمثال انتهى.

والجعبة بفتح الجيم والموحدة بينهما مهملة ساكنة كنانته التى يجمع فيها النبل، وكنانته عليه السلام تسمى الكافور قاله الزرقاني.

(وأدرع كانت له بهيه أسماؤها فضة والسعديه)

قوله بهيه صفة أدرع ومعناه الحسنة والبهاء الحسن يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له أدراع سبع، ذكر الناظم منها ثلاثا، والدرع بكسر الدال القميص المتخذ من الزرد وهي مؤنثة فى الأكثر وتصغر على دريع بغير هاء على غير قياس وربما قيل دريعة والجمع أدراع وأدرع ودروع قاله المناوي. وفضة بكسر الفاء والسعدية بمهملة مضمومة وغير معجمة ساكنة أصابها من بنى قينقاع، وكانت درع داوود التى لبسها لقتال جالوت، وقيل السعد بلد تعمل فيه الرماح قاله المناوي وفى المواهب والسعدية ويقال بالغين وهي درع عكير القينقاعي قيل وهي درع داوود التي لبسها حين قتل جالوت. وفضة كان قد أصابهما من بنى قينقاع انتهى قوله. السعدية بفتح السين وجوز بعضهم ضمها وإسكان العين ودال مهملات منسوبة للسعد وهي جبال معروفة وفى معرب الجوا ليقي أنه بالسين والصاد لأنه قياس فى كل سين معها حرف استعلاء قال الشاعر:

وخافت من جبال السعد نفسي

وقوله ويقال بالغين أي بضم السين وإسكان الغين المعجمة. قال البرهان وهو الذى أحفظه قال ابن القطاع موضع تصنع فيه الدروع أي ناحية بسمرقند كما فى اللب أنظر الزرقاني.

(ثالثها ذات الفضول تدعى كانت له يوم جنين درعا)

ومعها السغدية كما ياتي، وقوله ثالثها مبتدأ وخبره تدعى أي تسمى ونائبه مستتر وذات بالنصب مفعوله الثاني يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له درع تسمى ذات الفضول بفاء مضمومة وضاد معجمة مضمومة فواو فلام سميت بذلك لطولها أرسلها إليه سعد بن عبادة عند مسيره إلى بدر، وكانت من حديد موشحة بنحاس، وكان عليه عليه الصلاة والسلام هي والسعدية يوم حنين مظاهرا بينهما وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد عليه ذات الفضول أوفضة وأفاد البرهان وغيره أنه لم يظاهر بين درعين إلا فى ذينك اليومين أنظر الزرقاني والمناوي.

وللعراقي نفعنا الله به:

أدرعه سبعة السعديه ذات الفضول وكذا فضيه

ذات الحواشي ما لها كفاء ذات الوشاح الخرنق البتراء

وذات الفضول هي التى كانت مرهونة عند أبي الشحم اليهودي فى ثمن شعير اشتراه لأهله وكان ثلاثين صاعا كما فى الصحيح وعند النسائي أنه عشرون صاعا وكان الدين إلى سنة، وذكر ابن الطلاع أن أبا بكر افتك الدرع بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم والحواشي جمع حاشية وهي فى الأصل جانب الثوب، وذات الوشاح بكسر الواو وخفة الشين المعجمة فألف فمهملة وكانت موشحة بنحاس والخرنق بكسر المعجمة وسكون المهملة وكسر النون وفتحها وقاف ولد الأرنب، فكأنها

سميت بذلك لقصرها والبتراء بفتح الموحدة وسكون الفوقية والمد سميت بذلك لقصرها وما مر من تفسير الخرنق أنها ولد الأرنب أحد اطلاقين وثانيهما الفتي من الأرانب انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني والعيون.

(ومغفر يدعى السبوع كان له)

المغفر كمنبر ما يلبسه الدارع على رأسه عند الزرد وغيره قاله المناوي. وقال الزرقاني بعد وقول المواهب وكان له عليه الصلاة والسلام مغفر من حديد انتهى. صفة لازمة على أنه ما نسج من زرد الدرع أو مخصصة على أنه ما يلبس على الرأس من القلنسوة والسبوع بفتح السين المهملة وضمها فموحدة فواو فغين معجمة كما فى النور أي السابغ بمعنى الطويل، يعنى أنه عليه السلام كان له مغفر من حديد، يدعى السبوغ أي يسمى بالسبوغ ويقال له أيضا ذو السبوغ بالفتح والضم أي على ما فى النور أي الطول وفى القاموس ضمه وهو ظاهر قول الخلاصة:

وفعل اللازم مثل قعدا

له فعول انظر الزرقاني وله أيضا مغفر ثان يسمى الموشح بضم الميم وفتح الواو والشين المعجمة المشددة فمهملة وهو من حديد أيضا كما فى المناوي وللعراقي:

مغفره السبوغ والموشح   فسطاطه الكن كما قد صرحوا

ومعنى آخر البيت أنه عليه السلام كان له فسطاط أي بيت من شعر يسمى الكن بكسر الكاف سمي بذلك لأنه يستتر من الحر والبرد والفسطاط بضم الفاء وكسرها وبالطاء والتاء مكانها انظر الزرقاني.

(ونحوه منطقة مجمله)، يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له منطقة مجملة أي مزينة بالفضة فكان فيها ثلاث حلق فضة وهي من اديم وكان ابزيمها من فضة والطرف الذى يدخل في الابزيم من فضة أيضا والإبزيم بكسر الهمزة وسكون الموحدة فزاي فتحتية فميم هو

الذى فى رأس المنطقة وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر وهي بكسر الميم ما يشد به الوسط ذكر ابن سعد وغيره انه عليه السلام يوم أحد شد على وسطه منطقة وأقره اليعمري فقول ابن تيمية لم يبلغنا أنه شد على وسطه منطقة تقصير كما فى الزرقاني. وللحافظ العراقي:

كانت له منطقة أديم فضة الحلق والإبزيم

أي من أديم مبشور يشد بها وسطه وكان فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم الذى فى رأس المنطقة كان فضة وطرفها فضة ذكره الدمياطي وانتطق شد المنطقة ويسميها الناس الحياضة والأديم الجلد المدبوغ قاله المناوي.

(وراية سوداء بالعقاب، تدعى هداك الله) أي أرشدك دعاء بلفظ الخبر **(للصواب)**، ضد الخطإ أي وكان من آلات حربه صلى الله تعالى عليه وسلم رايته مربعة كما فى العيون سوداء من نمرة أي صوف تدعى أي تسمى بالعقاب والراية ثوب يجعل فى طرف الرمح ويخلى كهيئته تصفقه الرياح وهي العلم الكبير روى ابن عساكر عن عائشة كان لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح أبيض، ورايته سوداء قطعة من مرط من صوف تسمى العقاب انتهى. من المناوي. وفى العيون كان له راية سوداء مربعة يقال لها العقاب وراية بيضاء يقال لها الزينة، وربما جعل فيها الأسود وروى أبو داوود أن له راية صفراء وروى ابن حبان من حديث ابن عباس قال مكتوب على رايته لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وقال الحافظ الدمياطي روي أن لواءه أبيض مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. وللحافظ العراقي:

رايته العقاب كالنمراء مع راية صفراء مع سوداء

كانت له ألوية بيض كذا أسود مع أغير منها اتخذا

وقوله كالنمراء اسم ثان لها فتسمى بالعقاب وبالنمراء وسميت

بالنمراء لكون لونها لون النمر لما فيها من بياض وسواد. وقوله مع راية صفراء هذه الراية المخصوصة لم يكن لها اسم. وروى الطبراني أن المصطفى عقد رايات الأنصار وجعلهن صفرا، وقوله مع راية سوداء أي غالب لونها السواد أي بحيث ترى من بعد سوداء لأن لونها كان سوادا خالصا والألوية جمع لواء وهو العلم الصغير وروى ابن عساكر كان لواء المصطفى يوم دخل مكة أبيض فحمله سعد بن عبادة وروي أيضا عن أنس وعائشة كان له لواء أسود وقوله مع أغبر منها اتخذا أي وربما اتخذ بعضها من أغبر ففي حواشي السنن للمنذري عن مجاهد كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لواء أغبر، انتهى. أي بين البياض والسواد.

قال ابن حجر الراية بمعنى اللواء وهو العلم الذى يحمل فى الحرب ويعرف به صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يرفعه إلى مقدم العسكر وصرح بعض أهل اللغة بترادفهما والأحاديث تدل على التغاير فلعل التفرقة عرفية انتهى من المناوي.

(وكان أيضا عنده لواء أبيض قد فشت بذا الأنباء)

يريد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له مع رايته السوداء لواء أبيض كما قدمته وقد فشت أي كثرت وشاعت بذلك الأنباء بفتح الهمز جمع نبإ وهو الخبر وقد مر الكلام فى ترادف الراية واللواء وتغايرهما ومر بأبسط من ذلك فى أول الكتاب واختصاره ذلك أنه علي التغاير فالراية العلم الكبير يجعل فى طرف الرمح ويترك تصفقه الرياح ويعرف به مكان صاحب الجيش، واللواء العلم الصغير وعلى الترادف فكل منهما العلم الذى يحمل فى الحرب والله تعالي أعلم.

(بيان ما له من الثياب ومن أثاث فاستمع خطابي)

أي هذا بيان ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الثياب جمع ثوب وما كان له من الأثاث وهو بفتح الهمزة ومثلثتين متاع البيت

كالمشط والمرآة والمكحلة ونحوها والخطاب الكلام فهو بمعنى اسم المفعول أي المخاطب به وأصله مصدر خاطبه والخطاب توجيه الكلام إلى الغير بقصد الافهام.

وإلي ذكر كل ما له نسبة الى سيد المرسلين
ترتاح انفس الطالبين وتشتاق قلوب المتذاكرين
وذكر أخباره مما يؤنق الأسماع ويهز من المحب له الطباع

ولله در الأديب الأريب حيث يقول ولقوله قبول:

يا ليت حر الوجه مني كانا لوطئ نعل المصطفى مكانا

(كان له من الثياب اثنا عشر على الذى نقله أهل السير)

السير كعنب جمع سيرة بالكسر وهي فى الأصل هيأة السير أي طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم وهيأته وحاله ثم خصت بحاله فى غزواته ونحوها قاله الزرقاني ومراده والله تعالى أعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتمع عنده من الثياب التى أعدها للبس اثنا عشر وهي التى ذكرها بعد ولم أقف على هذا التحديد وقال العراقي فى سيرته:

له ثلاث من جباب تلبس في الحرب إحداهن منها سندس
أخضر ثم جبة طيالسه تغسل للمرضى وكانت ملبسه

انتهى ما ذكره والجباب جمع جبة وقوله تغسل للمرضى أي وتسقى لهم غسالتها للإستشفاء وقوله وكانت ملبسه أي غالبا، انتهى من المناوي.

وقال فى العيون قال ابن فارس ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم توفي حبرة وإزارا عمانيا وثوبين صحراويين وقميصا صحاريا وآخر سحوليا وجبة يمنية وكساء أبيض، وقنانص صغار

الأطئة ثلاثا أو أربعا وخميصة وملحفة مورسة وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة يعتم بها يقال له السحاب، وهبها لعلي وعمامة سوداء ويلبس يوم الجمعة غير ثيابه المعتادة كل يوم ولا يخرج يوم الجمعة إلا معتما وكان له رداء مربع وكان له فراش من أدم حشوه ليف وكساء أحمر من شعر، وكساء أسود ومنديل يمسح به وجهه انتهى المراد منه.

وسأشرح إن شاء الله بعض ما ذكره **(منها قميصان له شعار)** القميص اسم لما يلبس من المخيط الذى له كمان وجيب يلبس تحت الثياب ولا يكون من صوف كذا فى القاموس مأخوذ من التقمص بمعنى التغلب لتغلب الإنسان فيه وقيل سمي باسم الجلد التى هي غلاف القلب فإن اسمها القميص قاله البيجوري فى شرح الشمائل والشعار ككتاب من اللباس ما يلي شعر الإنسان ويفتح قاله فى القاموس ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له قميصان يليان جسده الشريفة وفى شمائل الترمذي من حديث أم سلمة قالت كانت أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القميص وفيه من حديث أسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الي الرسغ، انتهى. وأحب اسم كان والقميص خبرها وهو المشهور فى الرواية وقيل بالعكس وإنما كان أحب إليه لأنه استر لليدين من غيره ولأنه أخف على البدن والظاهر أن المراد فى الحديث القطن والكتان، دون الصوف، لأنه يؤذي البدن، ويدر العرق ويتأذى بريح عرقه المصاحب فقد ورد أن المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سوى قميص واحد ففي الوفاء بسنده عن عائشة رضي الله تعالي عنها قالت ما رفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط غداء لعشاء ولا عشاء لغداء ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين ولا زوجين من النعال قال البيجوري وهذا يخالف ما ذكره الناظم والله تعالي أعلم.

وقوله كان كم قميص، وفى رواية كان كم يد رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم إلخ. والرسغ بضم الراء وسكون السين أو الصاد لغتان فغين معجمة مفصل ما بين الكف والساعد وأخرج البيهقي وغيره عن علي رضي الله تعالي عنه أنه كان يلبس القميص حتى إذا بلغ الأصابع قطع ما فضل ويقول لا فضل للكمين على الأصابع، ويجري مثل ذلك فى أكمامنا، قال الحافظ العراقي:

ولو أطال أكمام قميصه حتى خرجت عن المعتاد

كما يفعله كثير من المتكبرين فلا شك فى حرمة ما مس الأرض منها بقصد الخيلاء وقد حدث الناس اصطلاح بتطويلها فإن كان من غير الخيلاء بوجه فالظاهر عدم التحريم، انتهى من البيجوري.

(ثم كساءان له دثار) ثم هنا للترتيب الذكري والكساء بالكسر معروف ويكون من صوف أو شعر أو خز أو قطن أو غير ذلك، كما صرح به الزرقاني والبيجوري والقسطلاني وغيرهم والدثار بالكسر ما فوق الشعار من الثياب قاله فى القاموس، ومعنى كلامه أنه عليه السلام كان له كساءان، أي رداءان يلبسهما فوق القميص الذى يلي جسده الكريم، والكساء ما يستر أعلى البدن، ضد الإزار قاله البيجوري في باب ما جاء فى صفة إزار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفي الشفاء كان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس ما وجده فيلبس فى الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع منها لمن لم يحضر إذ المباهاة فى الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما يؤدي الي الشهرة فى الطرفين وقد ذم الشرع ذلك انتهى المراد منه. ابن سلطان والشملة ضبطت بالفتح وفى القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى. والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة إنما هي بالكسر أيضا والخشن الغليظ ضد الرفيع.

والبرد الثوب الذي فيه خطوط وفي الحديث: {إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس}. وقوله ما وجده أي ما صادفه، أي ما تيسر من غير كلفة ولا شهوة. وقوله ويقسم بالتخفيف ويجوز تشديده للتكثير، والأقبية جمع قباء ككساء وأكسية صنف من الثياب والديباج بكسر الدال وتفتح نوع من الحرير والمخوصة بشد الواو المنسوجة وقيل فيه طرائف من ذهب مثل خوص النخل وهو ورقه وفي رواية المزرورة بالذهب أي لها ازرار منه وقوله ويرفع أي يدخر وقوله لمن لم يحضر أي كان غائبا من أصحابه كمخرمة ابن نوفل فإنه بلغه أنه عليه السلام قدمت عليه أقبية فذهب إليه فخرج عليه السلام إليه ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك.. وجعل يريه محاسنه ثم أعطاه له؛ فنظر إليه فقال رضي مخرمة. وقوله ليس من خصال الشرف أي ليست من شمائل أرباب الشرف والعظمة،.وقوله الشهرة في الطرفين الأعلى والأدنى وقد ورد النهي عن الشهرتين. انتهى كلام ابن سلطان.

ونقل في المواهب كلام القاضي عياض هذا، قال الزرقاني في شرحها الشملة بفتح المعجمة وسكون الميم ما يشتمل به من الأكسية التي يلتحف بها وقيل يختص بما له هدب، وقال ابن دريد كساء يؤتزر به وهي البردة أو المخوصة بضم الميم وفتح المعجمة وشد الواو بصاد مهملة أي منسجوة بأعلام من ذهب كالخوص، وقيل المكفوفة، وقوله رضي مخرمة، جزم الداوودي بأنه من كلامه عليه السلام، فرجح الحافظ أنه من كلام مخرمة، وقوله إذ المباهاة إلخ.. وأكثر من يتباهى بذلك محدث النعمة، ومن لا قدر له انتهى كلامه.

(وجبتان) أي وكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، جبتان تثنية جبة بالضم، قد مر عن العراقي أنها ثلاث والله تعالى أعلم. وفي شمائل الترمذي عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لبس جبة رومية ضيقة الكمين ، انتهى.

قال البيجوري أي لبسها في السفر وذلك في غزوة تبوك، والجبة من

الملابس معروفة وقيل ثوبان بينهما حشو فقد تقال لما لا حشو له إذا كانت ظهارته من صوف والرومية نسبة للروم، وفي أكثر الروايات شامية نسبة للشام، ولا تناقض لأن الشام يومئذ كانت مساكن الروم، وقوله ضيقة الكمين أي بحيث إذا أراد إخراج يديه لغسلهما تعسر فيعدل إلى إخراجهما من ذيلها ويؤخذ منه كما قال العلماء أن ضيق الكمين مستحب في السفر لا في الحضر وإلا فأكمام الصحابة كانت واسعة. وعلم من كلامهم في هذا الباب أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، آثر رثاثة الملبس فكان أكثر لبسه الخشن من الثياب وكان يلبس الصوف ولم يقتصر من اللباس على صنف بعينه وكان يلبس الرفيع أحيانا، فقد هديت له حلة اشتريت بثلاثة وثلاثين بعيرا، أو ناقة، فلبسها مرة، وأما السراويل فقد وجدت في تركته عليه السلام لكن لم يلبسها، على الراجح، وأول من لبسها الخليل عليه السلام، وفي حديث ابن مسعود مرفوعا كان على موسى عليه السلام، حين كلمه ربه كساء من صوف وقلنسوة من صوف وجبة من صوف وسراويل من صوف وكانت نعلاه من جلد حمار مية. انتهى المراد من كلامه.

وقال القسطلاني في المواهب، وعن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها وكان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، يلبسها فنحن نغسلها للمرض نستشفي بها رواه مسلم، وقوله جبة طيالسة بإضافة جبة إلي طيالسة، وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة نسبة إلي كسرى ملك الفرس، ولبنة بكسر اللام وإسكان الباء رقعة في جيب القميص وفيه جواز لبس ما له فرجان وأنه لا كراهة فيه، وأن المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه وأنه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب فإنه يحرم كل جزء منهما قاله النووي اهـ كلاهما بحروفه. وقوله طيالسة نوع من الثياب لها علم وقوله مكفوفان إلخ.. أي عمل على جيبها وكميها وفرجها

كفاف من حرير، وكفة كل بالضم طرفه وحاشيته وقبضت ماتت، ونستشفى به نطلب الشفاء لملابستها لعرقه وبدنه ورقعة أي قطعة حرير جعلت فيه ولو جديدا وليس المراد أنها جعلت فيه لإصلاح خلله، وقوله يحرم كل جزء منهما أي على الرجال في الذهب قاله الزرقاني.

فائدة:

قال الزرقاني: قيل هذا في شرح قول قرة ابن إياس فأدخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم ما نصبه بفتح الجيم وسكون التحتية يطلق على فتحة القميص المحيطة بالعنق وعلى ما يجعل في صدره ليجعل فيه الشيء وبه فسره أبو عبيد، وإليه أشار البخاري وقال ابن بطال كان جيب السلف عند الصدر، انتهى ونحوه للبيجوري.

(وإزار) بكسر الهمزة مرفوع عطف على ما مرّ يعني أنه عليه السلام كان له إزار يأتزر به والإزار ما يستر أسفل البدن والرداء ما يستر أعلاه وذكر ابن الجوزي في الوفاء بسنده عن عروة ابن الزبير قال طول رداء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أربعة ذرع وعرضه ذراعان ونصف ونقل ابن القيم أن طوله ستة أذرع في ثلاثة وشبر، وأما إزاره فطوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين، قاله البيجوري. وفي الشمائل للترمذي عن أبي بردة عن أبيه أي أبي موسى الأشعري، قال أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض روح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، في هذين، وملبد بصيغة اسم المفعول والملبد المرقع وقيل الذي ثخن صدره حتى صار كاللبد، والكساء ما يستر أعلى البدن، ضد الإزار، وقوله فقالت قبض أرادت أنهما كانا لباسه وقت مفارقته للدنيا، صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما فيهما من الرثاثة والخشونة فلم يكترث عليه السلام بمتاعها الفاني مع أن ذلك كان بعد فتح الفتوح، وكمال سلطان الإسلام، ويؤخذ منه انه ينبغي للإنسان أن يجعل آخر عمره محلا لترك الزينة قاله البيجوري. وفي المواهب عن عون بن أبي جحيفة قال رأيت النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم

وعليه حلة حمراء كأني انظر إلى بريق ساقيه، قال سفيان إزاره حبرة والبريق اللمعان، وقال في القاموس الحلة بالضم إزار ورداء ولا تكون إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة، وقال ابن القيم وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط جمر مع الأسود انتهى المراد منها. وفي الزرقاني البحت بفتح الموحدة وسكون المهملة فمثناة فوقية الخالص وفي المصباح الحلة لا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد. وفي الفتح قال أبو عبيد الحلل برود اليمن والحلة إزار ورداء ونقله ابن الأثير وزاد إذا كان من جنس واحد اهـ المراد.

وعن أنس كان أحب الثياب إلي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يلبسه الحبرة والحبرة بزنة عنبة ضرب من برود القطن اليمانية سميت حبرة لأنها تحبر أي تزين والتحبير التحسين. وقال ابن بطال كانت أشرف الثياب عندهم وجمع بين هذا وحديث الشمائل المتقدم بأن حبه للقميص حين يكون عند نسائه وللحبرة حين يكون عند صحبه لأن عادة العرب الإئتزار والارتداء وبأنه كان يتخذ القميص من الحبرة انظر الزرقاني.

وعن عائشة خرج رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ذات ضحوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود رواه مسلم والمرط بكسر الميم وإسكان الراء كساء من صوف أو خز، يؤتزر به، والمرحل بتشديد الحاء المهملة كمعظم هو الذي فيه صور الرحال، قال النووي الذي رواه الجمهور، وضبطه المتقنون بالحاء المهملة، أي على صور رحال الإبل ولا بأس بهذه الصور، وإنما يحرم تصوير الحيوان التام الخلق، وفي القاموس برد مرجل كمعظم، أي بالجيم فيه صور الرجال، انظر المواهب وشرحها، انظر الزرقاني، وزعم أنه جعله على رأسه يرد بأنه ليس في الحديث ما يدل عليه، وبأنهم أطبقوا على أنه كساء يؤتزر به، قاله قبل هذا اهـ.

(وثياب أربعه) مراده أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان له مع ما تقدم من الثياب أربعة أثواب أخر، ولم يبين الناظم أسماءها ولا صفتها،

والذي تقدم قميصان ورداءان وهما الكساءان في كلامه وجبتان وإزر، وفي الشمائل عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، خرج وهو يتكئ على أسامة بن زيد عليه ثوب قطري قد توشح به، والقطري بكسر القاف وسكون الطاء بعدها راء ثم ياء نسب، نسبة إلي القطر، وهو نوع من البرد اليمنية يتخذ من قطن وفيه حمرة وأعلام مع خشونته أو نوع من حلل جياد تحمل من بلد بالبحرين اسمها قطن بالتحريك فكسرت القاف وسكنت الطاء على خلاف القياس. وقوله توشح به أي وضعه فوق عاتقه أو خالف بين طرفيه وربطهما بعنقه انتهى من البيجوري.

فائدتان:

الأولى اعلم أنه قد صح شراءه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل، فقد روى أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان أنه اشتراه وفي الهدي والظاهر أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إنما اشتراه ليلبسه، قال الحافظ وما كان ليشتريه عبثا وإن كان غالب لبسه الإزار وفي حديث ضعيف أنه لبسه وكانوا يلبسونه في زمانه وبإذنه، وهو فارسي معرب يذكر ويؤنث ولم يعرف أبو حاتم التذكير وقيل جمع سروال أو سروالة أو سرويل بكسرهن والسراوين بالنون لغة في السراويل انظر الزرقاني.

الثانية روى الطبراني مرفوعا أزرة المؤمن إلي أنصاف ساقيه وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار والأزرة بالكسر الحالة وهيئة الائتزار قاله القسطلاني. الزرقاني هذا أصوب في ضبط الحديث وإن ضمها الأكثر. وعن ابن عمر أنه عليه السلام قال الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئا من ذلك خيالاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، رواه أصحاب السنن إلا الترمذي قاله القسطلاني، وقال إنما ورد من هذا الإطلاق يعني وما أسفل من ذلك ففي النار ونحوه محمول على أنه من قبل الخيلاء. قال الزرقاني ونص

الشافعي على ان التحريم مخصوص بالخيلاء فإن لم يكن لها كره. وفي البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة. والخيلاء بكسر الخاء وضمها الكبر، والجمة بضم الجيم وشد الميم الشعر المتدلي إلى المنكبين أو إلى أكثر وترجيل الشعر تسريحه ودهنه، ومرجل بكسر الجيم ويتجلجل بجيمين مفتوحتين ولامين أي يسوخ والرجل المذكور جزم غير واحد أنه قارون وعن قتادة أنه يخسف به كل يوم قامة، وعن بعضهم أن الرجل اعرابي من فارس، وإعجاب المرء بنفسه ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر، نقله الزرقاني.

(ثم العمامة السحاب)

يعني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له عمامة يعتم بها يقال لها السحاب فوهبها لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالي عنه كما أشار له بقوله **(أعني)** أي بالعمامة التي تسمى بالسحاب، العمامة، **(التي وهبها)** المصطفي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي أعطاها **(عليا)** بن أبي طالب، **(فلا تكن بعلمها)** أي معرفتها **(غبيا)** أي بليدا لا معرفة عندك، قال في العيون وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة يعتم بها يقال لها السحاب وهبها لعلي وعمامة سوداء انتهى. وقال الزرقاني بعد قول المواهب: وعمامة اسمها السحاب وأخرى سوداء ما نصه دخل بها يوم الفتح مكة كما في حديث جابر عند الترمذي وكانت فوق المغفر أو تحته وقاية من صدء الحديد فلا يخالف حديث أنس في الصحيحين أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر.

(ثم قلانس صغار لاطيه   وهي ثلاث فاغتنم بيانيه)

القلنسوة بفتح القاف وضم السين والقلنسية بضم القاف وكسر السين تلبس في الرأس جمعها قلانس وقلانيس وقلنس قاله في القاموس،

ويقال قلنساة بإبدال الواو ألفا وهي غشاء مبطن يستر به الرأس أبيض أو أسود أو غيرهما من جلد أو غيره، قال العسكري هي التي تغطي بها العمائم وتستر من الشمس والمطر، انظر الزرقاني. ولاطية بالياء مسهل من الهمز اسم فاعل من لطئ كمنع وفرح إذا لصق والهاء في قوله بيانية للسكت يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له ثلاث قلانس صغار لاطية أي لاصقة برأسه الشريف، قال في المواهب وكان له عليه الصلاة والسلام عمامة تسمى السحاب ويلبس تحت القلانس اللاطية وقوله تسمى السحاب أي وعمائم أخر واللاطئة اللاصقة، قال في المصباح لطئ بالأرض يلطؤ مهموز مثل لصق وزنا ومعنى، قاله الزرقاني. وفي القاموس لطئ بالأرض كمنع وفرح لصق لطئا ولطوءا انتهى.

(والمشط من عاج له) والمشط مبتدأ وخبره له ومن عاج حال أي والمشط له عليه السلام حال كونه من عاج والعاج هو الذبل كما في المواهب قال المحقق الزرقاني والعاج هو ظهر السلحفاة البحرية كما في المصباح قائلا وعليه يحمل أنه كان لفاطمة سوار من عاج ولا يجوز حمله على أنياب الفيلة، لأن أنيابها ميتة بخلاف السلحفاة انتهى.

وعليه يحمل المشط النبوي بالأولى ومن ثم قال المصنف يعني القسطلاني وهو الذبل بفتح المعجمة وإسكان الموحدة وباللام قال المصباح شيء كالعاج وفي القاموس عظام دابة بحرية تتخذ منها الأسورة والأمشاط انتهى كلام الزرقاني. وفيه أن المشط بضم الميم مع إسكان الشين وضمها وبكسر الميم مع إسكان الشين ويقال ممشط بميمين أولاهما مكسورة انتهى.

(والمكحله) هي هنا الكحل نفسه لا وعاؤه ففي المناوي بعد قول العراقي والمكحلة ما نصه: يكتحل منها عند النوم، والكحل بضم الكاف وكحل عينه كنصر كما في المناوي أيضا.

وقال في المواهب وكان له ربعة أسكندرانية يجعل فيها المرءاة ومشطا من عاج وهو الذبل والمكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا في كل عين وكان

له في الرابعة المقراض والسواك وهذه الرابعة أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية انتهي المراد منها.
والربعة بفتح الراء وسكون الموحدة فعين مهملة كجونة العطار بإسكان الواو وربما همزت وهي جلد يجعل في العطار الطيب وأسكندرانية منسوبة إلي الاسكندرية وهذه الربعة يجعل فيها هذه المذكورات انظر الزرقاني. وفي العراقية:

كانت له أربعة أي مربعه	كجونة يجعل فيها أمتعه
سواكه ومشطه والمكحله	كذلك المرآة والمقراض له

والجونة بضم الجيم ما يجعل فيه الطيب. وقوله امتعه أي امتعته وتلك الامتعة هي سواكه ومشطه إلخ.. وكانت هذه الأشياء لا تفارقه في السفر قاله المناوي.
(مرآته المقراض والسٌواك له)، مرآته معطوف بحرف محذوف وكذلك المقراض والمرآة بالكسر هي التي كان ينظر فيها فلم تبد أوسم من وجهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمقراض بكسر الميم وجمعه مقاريض وكان مقراضه يسمي الجامع كما في المناوي عن الطبراني، والسواك بكسر السين على الأفصح كما قاله الحافظ وهو هنا الآلة، ويطلق على الفعل أيضا، وقد مر قريبا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجعل سواكه في ربعة كجونة العطار، وفي البخاري من حديث أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته يستن بسواك بيده، ويقول أع أع والسواك في فيه كأنه يتهوع وفي البخاري أيضا عن حذيفة كان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك وقوله يستن بفتح أوله وسكون المهملة وفتح المثناة الفوقية وتشديد النون يستاك إما لأن السواك يمر على الأسنان أو لأنه يسنها أي يحدها وأع بضم الهمزة وسكون المهملة كذا في رواية أبي ذر، وأشار ابن التين إلى ان غيره رواه بفتح الهمزة، ورواه ابن خزيمة والنسائي بتقديم العين على الهمزة، ولأبي داوود بهمزة مكسورة ثم هاء والرواية الأولى أشهر، وإنما اختلفت الروايات

لتقارب مخارج هذه الأحرف، وكلها راجعة إلى حكاية صوته إذ جعل السواك على طرف لسانه الداخلي كما عند أحمد يستن إلي فوق ولذا قال كأنه يتهوع والتهوع التقيئ أي له صوت كصوت المتهوع علي سبيل المبالغة، ويستفاد منه مشروعية السواك، على اللسان طولا أما الأسنان فالأحب فيها أن يكون عرضا وفيه حديث مرسل عند أبي داوود وله شاهد موصول عند العقيلي في الضعفاء، وفيه ان السواك من باب التطيب لا من باب إزالة القاذورات لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يختف به وبوبوا عليه باستياك الإمام بحضرة رعيته، ويشوص بضم المعجمة وسكون الواو بعدها مهملة والشوص بالفتح الغسل والتنقية كذا في المحكم الخطابي هو دلك الأسنان بالسواك أو بالأصابع قاله الحافظ في فتح الباري، وروى مسلم وأبو داوود والنسائي عن عائشة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك قاله في المواهب، وفي الزرقاني عقبه ما نصه لأجل السلام على أهله إذ السلام اسم شريف وليطيب فمه الطيب لتقبيل أهله زيادة في حسن العشرة وتعليم الأمة لا لتغيير فمه كما زعم لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم المنزه المبرء عن أن يلحقه شيء من ذلك انتهى المراد منه.

(ثم فراش أدم قد حشيا بالليف)

الفراش بكسر الفاء بمعنى المفروش وجمعه فرش ككتاب وكتب، ويقال له أيضا فرش من باب التسمية بالمصدر، قاله البيجوري والزرقاني، ومعنى كلامه أنه عليه السلام كان له فراش من أدم بفتحتين أي مصنوعا منه وحشو ذلك الفراش ليف بكسر اللام أي ليف النخل، وفي الشمائل للترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إنما كان فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ينام عليه من أدم، حشوه ليف. وفي رواية حشوه من ليف، انتهى.

قوله الذي ينام عليه أي في بيتها كما يدل عليه الخبر الآتي واحترزت بالذي ينام عليه من الذي يجلس عليه، وقوله من أدم بتفحتين جمع أديم

وهو الجلد المدبوغ أو الأحمر، أو مطلق الجلد، وقوله حشوه ليف أي محشوة من ليف النخل، كما هو الغالب عندهم، ويؤخذ منه أن النوم على الفراش المحشو لا ينافي الزهد، نعم لا ينبغي المبالغة في حشوه لأنه سبب لكثرة النوم، كما يعلم من الخبر الآتي، قاله البيجوري.

وقال جسوس من أدم بفتحتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ أو الأحمر أو مطلق الجلد وضمير حشوه للفراش والليف هو الذي يخرج في أصول سعف النخل لأول خروجها تحشى به الوسائد والفرش ويفتل منه الحبال، انتهى المراد منه.

وذكر في المواهب هذا الحديث ونسبه للشيخين. قال الزرقاني بعد قولها: الذي ينام عليه، قيد به لأن الفراش قد يكون للجالس، والمراد عندها في غالب أحواله فلا ينافي أنه نام على قطيفة، ولا ما رواه الترمذي عن حفصة كان فراشه مسحا وأدما بفتحتين جمع أدمة أو أديم وحشوه بالفتح انتهى المراد منه.

وفي المناوي فراشه من أدم أي بفتحتين جمع أدمة أو أديم، قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه اقتصر هؤلاء السادة على أن الأدم بفتحتين لكونه هو الرواية والله تعالى أعلم، وفي القاموس أنه بضمتين جمع أديم وبالتحريك اسم للجمع انتهى.

وفي الشمائل أيضا عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين قال، أي محمد، سألت عائشة ما كان فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتك؟ قالت من أدم حشوه من ليف. وسألت حفصة ما كان فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتك؟ قالت مسحا يثنيه ثنيتين فينام عليه.

فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة؟ قالت قلنا هو فراشك إلا أننا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا هو أوطأ لك. قال ردوه لحالته الأولى فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة.

قوله مسحا بكسر الميم وسكون السين قال ابن حجر ثوب خشن من

صوف، وقال في المحكم كساء من شعر يلبسه الزهاد، والرهبان وقوله ثنيناه من باب ضرب، يقال ثناه إذا عطفه ورد بعضه على بعض، وثنيتين بكسر المثلثة تثنية ثنية كسدرة، وفي رواية بحذف الفوقية وكسر المثلثة أيضا، تثنية ثني كحمل، وذات بالرفع فاعل كان تامة ويروى بالنصب على الظرفية والفاعل ضمير يعود على الوقت وعلى الروايتين فلفظ ذات مفخم، وقلت أي في نفسي أو لبعض خدمي وأوطأ أي ألين من وطأ الفراش كحسن، وقوله فإنه أي الشأن ووطأته بفتح فسكون فهمزة أي لينه فنعني تهجدي، انتهى ملخصا من جسوس والبيجوري.

فائدتان:

الأولى روى مسلم وغيره أنه عليه السلام قال فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان.

قال العلماء معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يضاف للشيطان لأنه يرتضيه ويحسنه، وقيل انه علي ظاهره وأنه إذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل، وأما تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا بأس به لأنه قد يحتاج كل منهما إلي فراش عند المرض ونحوه قاله القسطلاني.

وقوله فراش مبتدأ ومخصصه محذوف أي واحد، قال القرطبي بين به غاية ما يجوز للإنسان أن يتوسع فيه من الفرش لا أن الأفضل أن يكون له فراش يختص به ولامرأته فراش، فقد كان، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليس له إلا فراش واحد، وأما فراش الضيف فيتعين للمضيف اعداده لأنه من إكرامه ولأنه لا يتأتى له شرعا الاضجاع ولا النوم معه وأهله على فراش واحد انتهى من الزرقاني.

وقال جسوس في شرح الشمائل وهل الأولى أن يكون لكل واحد من الزوجين فراش وهو الذي ذكره في الإكمال قائلا لأنه أصلح للجسم وأقل

لاستدعاء الموافقة وتحريك الشهوة أوالأفضل اجتماعهما في فراش واحد، وهو الذي ذكره النووي قائلا لأنه الذي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل، مع ملازمته قيام الليل، فإذا أراد القيام قام وتركها لا سيما إن علم من حال المرأة الحرص على المباشرة، فيجمع بين وظيفته وقضاء حقها المندوب ونقل الحطاب عن البرزلي أنه يندب مبيته معها في فراش لما يدخل عليها من المسرة، إلا أن يكون لقصد عدم الوطأ لما يدخل عليه من الضرر في جسمه أو تكون هي مائلة إلي الكبر فمبيته معها مما يضر بدنه.

الثانية: روى البيهقي وغيره عن عائشة قالت دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قطيفة وفي رواية عباءة مثنية فبعثت إلي بفراش حشوه الصوف، فدخل علي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا يا عائشة؟ قلت فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إلي بهذا. فقال رديه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة. انتهى. فاتخاذي لهذا ليس عجزا عن غيره، بل اختيارا لعدم الترفه المشعر بالمباهاة وحظ النفس.

وعن ابن مسعود نام رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، على حصير فقام وقد أثر في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك؟ قلت كسرى وقيصر على الخز والديباج وأنت نائم على هذا الحصير يا رسول الله! بأبي أنت وأمي لو كنت ءاذنتنا ففرشنا لك شيئا يقيك منه. فقال ما لي والدنيا. ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها. وروى الحاكم عن عمر قال دخلت عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، في مشربة وإنه لمضطجع على خصفة وإن بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا وأن فوق رأسه لاهاب عطين وفي ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه وجلست، فقلت أنت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر علي سرر الذهب وفرش الحرير والديباج؟! فقال أولئك عجلت لهم طيباتهم في الدنيا وهي وشيكة الإنقطاع وإنا قوم ادخرت لنا

طيباتنا في آخرتنا.
والمشرفة بفتح الميم وسكون المعجمة وضم الراء وفتحها، غرفة يرقى عليها، والخصفة بفتحات وعاء من خوص ، وفي رواية فإذا هو مضطجع على رمال حصير بكسر الراء وتضم أي سرير مرمول بما يرمل به الحصير أي ينسج ورمال الحصير ضلوعه المتداخلة فيه كالخيوط في الثوب والوسادة المخدة، وقوله لإهاب بالنصب اسم إن، وكتب بحذف الألف على لغة ربيعة وكثير من المحدثين يكتبون المنصوب بصورة المرفوع اكتفاء بالنطق به منصوبا، وعطين أي متغيرا منتنا، والقرظ محركة ورق المسلم الذي يدبغ به.
وروي أنه عليه السلام ما عاب مضطجعا قط ان فرش له اضطجع وإلا اضجع علي الأرض. انتهى من المواهب وشرحها.
(ثم قدحان فعيا) الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة وهو أمر من وعاه إذا حفظه وثم للترتيب الذكري، أي ثم بعد ما مر أذكر أن له عليه السلام قدحين تثنية قدح بالتحريك وهو إناء بين لا صغير ولا كبير وربما وصف بأحدهما وجمعه أقداح كسبب وأسباب، **(فواحد)** مبتدأ وصفته محذوفة أي منهما **(بفضة)** متعلقة بقوله **(مضبب)** بصيغة اسم المفعول وهو خبر المبتدأ ومعنى مضبب مشدود بضباب ثلاث من فضة. روى البخاري أن قدح المصطفي انكسر فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة قاله المناوي. وقال جسوس ثبت في الصحيح أن قدح النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان عند أنس قدح جيد عريض أي طوله أقصر من عرضه اتخذ من النضار بضم النون وخفة المعجمة ومعناه العود الخالص وقال بعض أرباب السير أصله من النبع بفتح النون وسكون الموحدة وقيل كان من الإثل يميل إلي الصفرة. وفي الصحيح أيضا أنه انصدع فسلسل بفضة انتهى المراد منه.

(والتور من حجارة ومخضب)
قال المناوي وكان توره الذي يتوضأ منه من حجارة والتور إناء كبير

يتطهر منه وقال الناظم ومخضب عطف على التور فهو من حجارة أيضا والله تعالي أعلم.
وفي البخاري باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة ثم ساق حديث أنس: أوتي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمخضب من حجارة فيه ماء، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم، قلنا كم كنتم؟ قال ثمانين وزيادة، قال الحافظ في شرحه هو بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة بعدها موحدة والمشهور أنه الإناء الذي تغسل فيه الثياب من أي جنس كان وقد يطلق على الإناء صغر أو كبر، والقدح أكثر ما يكون من الخشب مع ضيق فمه وعطف الخشب والحجارة على المخضب والقدح ليس من عطف العام على الخاص بل بين هاذين وهاذين عموم و خصوص من وجه، وقال في شرح باب الوضوء من التور، التور بفتح المثناة شبه الطست وقيل هو الطست انتهى. وفي القاموس التور إناء يشرب فيه. انتهى.
ويصح أن يكون قول الناظم ومخضب عطف تفسير ويكون أشار إلى أن ذلك التور بعينه يقال له المخضب ففي عيون الأثر وكان له قدح يسمى الريان، وآخر مضبب يقدر بأكثر من نصف المد فيه ثلاث ضباب من فضة، وحلقة وكان له تور من حجارة يقال له المخضب يتوضأ فيه وكان له مخضب من شبه تكون فيه الحناء وركوة تسمى الصادرة ومغتسل من صفر انتهى.
وفي القاموس الشبه والشبهان محركتين النحاس الأصفر انتهى.
قال هذا الشارح: والحاصل من كلامه أن المخضب هنا يصح أن يكون عطف تفسير قصد به بيان أن التور الذي يتوضأ فيه يسمى المخضب، ويصح أن يراد به إناء الحناء فيكون عطفا على التور مغايرا له وهو الأصل في العطف، ويكون وصفه محذوفا أي وكان له مخضب من شبه أي من نحاس، أصفر وهذان الاحتمالان يؤخذان من كلام العيون المتقدم.
ويصح أن يريد بالمخضب الإناء الذي تغسل فيه الثياب كما مر عن ابن حجر أنه هو المشهور في تفسير المخضب والله تعالي أعلم.

(ومن زجاج قدح) يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان له قدح من الزجاج، قال الشيخ أبو حيان بعثه إليه النجاشي وروى البزار وابن ماجه عن ابن عباس أهدى المقوقس للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه وآخر من فخار وروى ابن مندة عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده رأيت المصطفي أخرج شيئا من فخار انتهى من المناوي. وللعراقي:

أقداحه الريان والمغيث — وآخر مضبب يغيث
به إذا مسهم من حاج — وقدح آخر من زجاج
وقدح تحت السرير عيدان — يقضي به حاجته في الأحيان
مركنه من شبه وتوره — حجارة من ناله يميره

والريان بفتح الراء وشد التحتية والمغيث بضم الميم فغين معجمة آخره مثلثة ومضبب فيه ثلاث ضباب من فضة وحلق يعلق بها وقوله يغيث به أي وكان له قدح آخر مضبب بفضة وكان يغيثهم به إذا مستهم حاجة فيشربون منه فيشفون رواه أبو يعلى وغيره. فمن زائدة كما في المناوي والعيدان بفتح أوله وكسره كما نقله قاضي القضاة السعد الحنبلي وكان يجعله تحت سريره يبول فيه في الأحيان ليلا رواه أبو داوود والنسائي وقوله مركنه أي مخضبه، من شبه وهو ضرب من النحاس وكان له مغتسل من صفر انتهى من المناوي. والمركن كمنبر وآخره نون كما في القاموس. وفي شمائل الترمذي من رواية ثابت قال أخرج إلينا أنس بن مالك قدحا غليظا مضببا بحديد فقال يا ثابت هذا قدح رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه أن أنسا قال لقد سقيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بهذا القدح الشراب كله: الماء والنبيذ والعسل واللبن. وقوله مضببا أي مشدودا بضباب من حديد جمع ضبة بالضم وهي حديدة تجمع بها الخشب وتمنعها من التفرق وقوله هذا قدح رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إشارة إلي كمال تواضعه. قال البيجوري المشار إليه هو القدح بحالته التي هو عليها فالمتبادر من ذلك أن التضبيب كان في زمنه، صلى الله تعالى عليه

وسلم وتجويز كون التضبيب من فعل أنس حفظا للقدح غير مرضي واشترى هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانية ألاف درهم. وعن البخاري أنه رآه بالبصرة وشرب منه كذا في شرح المناوي. والذي في شرح القاري أن الذي أشتري من ميراث النضر وشرب منه البخاري كان مضببا بفضة ويمكن الجمع بأنه كان مضببا بكل من الفضة والحديد. والنبيذ ماء حلو يجعل فيه تمرات ليحلو وكان ينبذ له، صلى الله تعالى عليه وسلم، أول الليل ويشرب منه إذا أصبح يومه ذلك، وليلته التي يجيئ والغد إلى العصر فإن بقي منه سقاه الخادم إن لم يخف منه اسكارا وإلا أمر بصبه وهو له نفع عظيم في زيادةالقوة انتهى كلامه.
وقال جسوس في قوله لقد سقيت يقال سقى وأسقى وكل منهما يستعمل في الخير وضده. {وسقاهم ربهم شرابا طهورا} {وسقوا ماء حميما} {وأسقيناكم ماء فراتا} {لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه} خلافا لابن حجر لقوله سقى للخير وأسقى للضده انتهى وقال لعله إنما سقاه الخادم لما حدث فيه من الرائحة التي تكره وقوله العسل أي ماء العسل لأنه يلحس ولا يشرب انتهى منه.
(ومغتسل له من الصفر) أي وكان له عليه السلام إناء من الصفر يغتسل فيه والصفر بالضم من النحاس وصانعه الصفار والذهب والخالي ويثلث وككتف قاله في القاموس **(وقصعة تمل)** الظاهر أنه بضم الفوقية وكسر الميم ومفعوله محذوف أي الآكلين يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له قصعة تسمى الغراء وكانت كبيرة جدا تمل الآكلين منها أي تشبعهم حتى يملوا من الأكل لعظمها وبركتها والله تعالي أعلم.
وللحافظ العراقي:
ركوته كانت تسمى الصادره   قصعته الغراء ليست قاصره
قال الإمام المناوي سميت الصادرة لأنه يصدر عنها بالري رواه أبو الشيخ وكانت قصعته تسمى الغراء ليست قاصرة أي ليست قليلة السعة بل كانت كبيرة جدا لا يحملها إلا أربعة رجال رواه أحمد وأبو

داوود ورواه أيضا أبو الشيخ وكانت له حفنة لها أربع حلق انتهى. والركوة بالتثليث.

(والصـــاع والســـرير ثم المد)

يعني أن هذه الثلاثة كانت له عليه السلام. أما الصاع فأعده لإخراج زكاة الفطر كما قاله العراقي. قال في القاموس الصاع والصواع بالكسر والضم الذي يكال به، وتدور عليه أحكام المسلمين أو الصاع غير الصواع ويؤنث وهو أربعة أمداد معياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما إذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، انتهى بحذف. وأما السرير فكان، صلى الله تعالى عليه وسلم، ينام عليه، وعن عائشة رضي الله عنها كان لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، سرير مرمل بالبردي وعليه كساء أسود قد حشوناه بالبرد فدخل أبو بكر وعمر عليه فإذا النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، نائم عليه، فلما رءاهما استوى جالسا فنظرا فإذا أثر السرير في جنب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالا يا رسول الله ما يؤذيك خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وأهل كسرى وقيصر علي فرش الديباج والحرير؟ فقال عليه السلام لا تقولا هذا، فإن فراش كسرى وقيصر في النار وإن فراشي هذا عاقبته إلي الجنة. رواه ابن حبان في صحيحه قاله القسطلاني. ومرمل بضم الميم وفتح الراء وشد الميم والبردي بفتح فسكون نبات يعمل منه الحصر، المعنى أن قوائم السرير موصولة مغطاة بما نسج من ذلك النبات وقوله ما يؤذيك بحذف الإستفهام انظر الزرقاني.

وروى البلاذري عن عائشة قالت كانت قريش بمكة وليس شيء أحب إليها من السرير تنام عليه فلما قدم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ونزل منزل أبي أيوب قال ما لكم سرير؟ قال لا. فبلغ ذلك أسعد بن زرارة فبعث إليه بسرير له عمود وقوائمه ساج فكان ينام عليه حتى تحول إلي منزلي فكان فيه فوهبه لي فكان ينام عليه حتى

توفي وصلي عليه وهو فوقه، فطلبته الناس يحملون عليه موتاهم فحمل عليه أبو بكر وعمرو والناس طلبا لبركته ثم اشترى ألواحه عبد الله بن إسحاق، مولى معاوية بأربعة آلاف درهم ذكره ابن حماد وأنه بيع في ميراث عائشة رضي الله عنها قاله المناوي وفي الفتوحات السنية. وللعراقي:

كان له سرير أهداه له أسعد وهو ساج استعمله
موشح بالليف ثم وضعا عليه لما مات ثم رفعا
عليه أيضا بعده الصديق كذاك أيضا عمر الفاروق

وأسعد هو ابن زرارة كما مرّ وقوله وهو ساج أي قوائمه من ساج قاله المناوي. والساج شجر وأما المد فمكيال معروف وهو بالضم وهو رطل وثلث أو ملأ كفي الإنسان المعتدل مع مدهما وبه سمي مدا قال في القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا انتهى.

وفي البخاري انه، صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد والصاع أربعة أمداد ومعنى يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد بملئه كما في الفتح وللحافظ العراقي:

كان له صاع لأهل الفطرة وقعبه كان اسمه بالسعة

وقوله لأجل أي لأجل إخراجها وقوله وقعبه إلخ.. أي وكان له قعب من صفر يسمي السعة، انتهى من المناوي. وفي القاموس القعب القدح الضخم أو يروي الرجل.

(وخاتم من فضة يعد)

أي وكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم من فضة وقوله يعد معناه معدود مع ما مرّ مما يتصل به صلى الله تعالى عليه وسلم من لباس وغيره. والخاتم بفتح التاء وكسرها. قال ابن حجر ويقال فيه خيتام وخاتام وخيتوم والمراد به هنا الحلقة من الفضة التي كان يلبسها صلى الله تعالى عليه وسلم وفي القاموس الخاتم حلي للأصبع، كالخاتم والخاتام

والخاتيام والخيتأم والختم محركة والخيتام انتهى المراد منه. وقال المناوي أشهر لغاته كسر التاء وأوصلها بعضهم إلي عشر، قال ابن عدي والخاتم عادة في الأمم الماضية وسنة في الإسلام قائمة ومازال الناس خلفا وسلفا يتخذونها من غير نكير انتهى.
وفي المواهب وتحصل السنة بلبس الخاتم ولو مستعارا أو مستاجرا، لكن الأوفق للسنة الملك، والاستدامة على ذلك، ويجوز تعداد الخواتم اتخاذا وأما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي، عدم الجواز وبه صرح المحب الطبري. وعن الخوارزمي أنه يجوز أن يلبس زوجا في يد، وفردا في الأخرى. ثم قال القسطلاني والذي يظهر كلام المحب الطبري، انتهى المراد منها.
والخوارزمي بضم الخاء المعجمة وكسر الراء وسكون الزاي وقول الطبري هو مذهب مالك ولو كان وزن المتعدد درهمين قاله الزرقاني وقال جسوس في شرح شمائل الترمذي: اعلم ان اتخاذ خاتم الفضة مستحب ولو لم يحتج إليه للختم، وقوله يكره إلا لذي سلطان لحديث في ذلك كالقاضي لأنه يحتاج إليه للتختم به لكن قال ابن عرفة هذا إذا اتخذ للسنة وأما اليوم فلا يفعله إلا من لا خلاق له، ويقصد به غرض سوء، فأرى أن لا يباح لمثل هؤلاء، انتهى.
وعلي هذا فإذا صار شعار السفلة، ومن لا خلاق له من أهل المجون والفسقة لم يجز لأن صيانة العرض بترك سنة واجب. وفي المعيار عن عز الدين لا يجوز ترك السنة بمشاركة مبتدع فيها، ومازال العالمون والصالحون يقيمون السنن مع العلم بمشاركة المبتدعين، ولو ساغ ذلك لترك الأذان والإقامة، والسنن الرواتب، انتهى.
وهذا عند التأمل غير ما منعه ابن عرفة لأنه لا يلزم من منع ما صار من شعار من لا خلاق له ومنع ما فيه مطلق المشاركة فقط، وقال الأبي لو اختص أهل الفسق والظلم بشيء مما أصلته السنة كالخاتم والخضاب فينبغي لأهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم، انتهى كلام جسوس.
وفي الشمائل عن ابن عمر اتخذ النبي صلي الله تعالى عليه وسلم خاتما

من فضة فكان يختم به ولا يلبسه وفيه عن أنس لما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكتب إلى العجم، قيل له ان العجم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم، فاصنع خاتما، انتهى.
وفي الزرقاني وكان اتخاذه سنةسبع كما جزم به ابن سيد الناس، وجزم غيره بأنه في السادسة، وجمع الحافظ بأنه كان في أواخر السادسة، وأول السابعة لأنه إنما اتخذه لما أراد المكاتبة للملوك في مدة الهدنة مع قريش، وكانت في ذي القعدة سنة ست ورجع إلى المدينة في ذي الحجة ووجه رسله للملوك في المحرم فاتخذه قبل توجيه الرسل وكان صانع الخاتم يعلي ابن منيه بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية وهو اسم امه واسم أمه أبية. روى الدارقطني عنه قال أنا صنعت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاتما لم يشركني فيه أجد، نقش فيه محمد رسول الله انتهى.
وللحافظ العراقي:

خاتمه من فضة وفصه	منه ونقشه عليه نصه
محمد سطر رسول سطر	الله سطر ليس فيه كبر
وفصه لباطن يختم به	وقال لا ينقش عليه يشتبه
يلبسه كما روى البخاري	في خنصر يمين أو يسار
كلاهما في مسلم ويجمع	بأن ذا في حالتين يقع
وخاتمين كل واحد بيد	كما بفص حبشي قد ورد

والفص بتثليث أوله وهو هنا ما ينقش فيه اسم صاحبه ومن في قوله منه تبعيضية والضمير للخاتم أي فصه بعضه، روى أبو داوود عن أنس: كان خاتم النبي صلي الله تعالى عليه وسلم فضة كله وفصه منه ولا ينافيه ما في مسلم عن أنس أيضا أنه كان من ورق وكان فصه حبشيا لأن المراد أن صائغه حبشي أو مصنوع كصنع الحبشة أو إن له خاتمين أحدهما فصه حبشي والآخر فصه منه، كما سيذكره الناظم، ونقشه بفتح النون وسكون القاف وضم الشين، ونص الشيء ذكره، على الهيئة التي ورد عليها أي وهيأته التي كان منقوشا عليها ما ورد أنه كان فيه ثلاثة

أسطر. وكبر بكسر الكاف وسكون الموحدة أي ليس فيه ما يدل على تكبر وظاهر البخاري وغيره أن السطر الأول محمد وهذا الترتيب قد جاء في التنزيل، وقول الاستوى في حفظي أنها تقرأ من أسفل ليكون اسم الله فوق، رد بأنه لا وجود له في شيء من الأحاديث، وقوله وفصه لباطن أي باطن كفه وحكمته أن ذلك كما قال الناظم أبعد من العجب، وأحفظ للنقش، قال المناوي فجعله كذلك أفضل اقتداء به وقولهم يختم به إذا أرسل إلي ملوك العجم وغيرهم، وقوله وقال لا ينقش إلخ. بالبناء للمفعول أي لا ينقش عليه أحد من الناس لئلا يشتبه نقش خاتمه بخاتم غيره ففي مسلم لا ينقش أحدكم على نقش خاتمي ويلبسه بفتح الموحدة، وخنصر بالخاء والصاد والتنوين انتهى من المناوي.

وقال جسوس ظاهره أن الكتابة لم تكن على السياق العادي فإن ضرورة الختم تقتضي أن تكون الأحرف منقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا، وعن بعضهم أن كتابته كانت مستقيمة وتنطبع كتابة مستقيمة انتهى.

وروى الترميذي عن ابن عمر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه، قال البيجوري، أي فكان يختم به الكتب التي يرسلها للملوك ولا يلبسه في يده، ويجمع بينه وبين الأخبار الدالة على أنه كان يلبسه بأن له خاتمين أحدهما منقوش بصدد الختم به ولا يلبسه والثاني كان يلبسه ليقتدى به أو أنه لا يلبسه دائما بل غبا، ثم قال البيجوري بعد هذا قال ابن جماعة ونقش الخواتم ان لم تكن كتابة بل لمجرد التحسين، فمقصد مباح، إذا لم يقارنه ما يحرمه، كنقش نحو صورة كبش وإن كان كتابة، فتارة النقش من الحكم ما يذكر الموت كما روي ان نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظا وتارة ينقش اسم صاحبه كما هنا. انتهى.

فوائد:

الأولى أخذ من إيثار النبي صلي الله عليه السلام الفضة كراهة التختم بنحو حديد أو نحاس وروي أنه عليه السلام رأى بيد رجل خاتما من

صفر، فقال ما لي أجد منك ريح الأصنام، فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار.
وروى أنه عليه السلام أمر أن يعمل له خاتم من حديد فجعله في أصبعه فأتاه جبريل فقال انبذه من أصبعك فنبذه فأمر بخاتم يصاغ له فعمل له خاتم من نحاس فجعله في أصبعه فقال له جبريل أنبذه، فنبذه وأمر بخاتم يصاغ له من ورق فجعله في أصبعه فأقره جبريل الحديث لكن اختار النووي أنه لا يكره، لخبر الشيخين التمس ولو خاتما من حديد نقله البيجوري.
الثانية كان خاتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده في يد أبي بكر، ثم في يد عمر مدة خلافتهما ثم كان في يد عثمان ست سنين من خلافته حتى وقع من عثمان كما في البخاري في بئر أريس بهمزة مفتوحة فراء مكسورة فتحتية ساكنة فسين مهملة حديقة قرب مسجد قباء.
قال القسطلاني لا تصرف، وقال الكرماني الأصح الصرف. وفي رواية لمسلم أنه سقط من معيقيب في بئر أريس وعليه فتكون نسبة سقوطه إلى عثمان مجازية ويكون معناه في يد في تصرف، وفي الصحيح عن أنس: كان خاتم النبي صلي الله تعالى عليه وسلم في يده وفي يد أبي بكر بعده وفي يد عمر بعد أبي بكر فلما كان عثمان جلس في بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده قال الحافظ وغيره كان ذلك في السنة السابعة من خلافته ومن يومئذ انتقض أمر عثمان وخرج عليه الخوارج قال ابن بطال يؤخذ منه أن قليل المال إذا ضاع يجب البحث في طلبه والاجتهاد في تفتيشه. قال الحافظ فيه نظر فإن فعل عثمان لا حجة فيه لان الظاهر انه إنما بالغ في التفتيش عليه لكونه صلى الله تعالي عليه وسلم قد لبسه، وختم به ومثل ذلك يساوي قدرا عظيما من المال ولو كان خاتم غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لاكتفى في طلبه بدون ذلك انتهى انظر الزرقاني.
الثالثة ما ورد أنه صلي الله تعالى عليه وسلم أمر بالتختم لم يثبت

نحو من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا قال الحافظ بن رجب وكلها يعني الأخبار الواردة فيه لا تثبت وقال السخاوي في بعضها أنه موضوع انظر المواهب وشرحها.

(وكان قد أهدى له خفين أصحمة أيضا بدون مين)

اسم كان عائد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها الجملة بعدها والخف معروف، فقال جسوس في شرح الشمائل هو ما صنع على هيئة القدم ساترا لمحل الفرض من جلد انتهى. وأصحمة بهمزة مفتوحة وسكون الصاد وفتح الحاء المهملتين فميم وقيل حاؤه معجمة وقيل بموحدة بدل الميم وقيل بغير ذلك والأولى صوبها النووي، وقف على ما قلت عند قوله:

إلي النجاشي النبي أرسلا عمرا..

ومعنى البيت أنه عليه السلام كان له خفان أهداهما له أصحمة النجاشي بفتح النون وكسرها وتخفف ياؤه وتشدد بدون مين، أي كذب، قال جسوس، والنجاشي لقب ملوك الحبشة كتبع اليمن وكسرى للفرس وقيصر للروم والشام وهرقل للشام فحسب وفرعون للقبط والعزيز لمصر وخاقان للترك وهذه ألقاب جاهلية انتهى منه.

ومعنى أصحمة عطية وفي البيجوري إنما قيل له النجاشي لانقياد أمره والنجاشة بالكسر الإنقياد انتهى.

وروى الترمذي عن ابن بريدة عن أبيه أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما وقوله خفين أي وقميصا وسراويل وطيلسانا وقوله ساذجين بفتح الذال المعجمة وكسرها قال المحقق أبو زرعة أي لم يخالط سوادهما لون آخر وهذه اللفظة تستعمل في العرف لذلك المعنى ولم أجدها في كتب اللغة ولا رأيت المصنفين في غريب الحديث ذكروها وقوله ومسح عليهما يدل لجواز المسح على الخفين وهو اجماع من يعتد به وقد رواه ثمانون صحابيا وأحاديثه متواترة ومن ثم قال بعض الحنفية أخشى أن

يكون انكاره كفرا، انتهى من البيجوري.
وقال جسوس في قوله ساذجين بفتح الذال المعجمة أي غير منقوشين أو لا شية فيهما تخالف لونهما أو لا شعر عليهما كما في قوله نعلين جرداوين وفيه بعد هذا ان النجاشي كتب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم إني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك أم حبيبة وأهديتك هدية جامعة قميص وسراويل وعطاف وخفين ساذجين، قال الهيثم رواية العطاف الطيلسان انتهى منه.
وفي الشمائل أيضا عن المغيرة بن شعبة قال أهدى دحية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خفين فلبسهما وقال إسرائيل وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدري النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أذكرهما أم لا وقوله تخرقا أي الخفان أو الجبة، والخفان وذكى مبتدأ أي مذكى وهما فاعل سد مسد الخبر، وروى الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن ابن عباس كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوما فقعد تحت شجرة فنزع خفيه قال ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف، فحلق به في السماء فانسلت منه سالخ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذه كرامة أكرمني الله بها.

وفي رواية فجاء غراب فاحتمل الأخر فخرجت منه حية فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما انتهى المراد منه.

تتمة:
في ذكر نعله صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي القاموس النعل ما وقيت به القدم عن الأرض، كالنعلة مؤنثة جمعه نعال وفي المناوي النعل كل ما وقيت به القدم عن الأرض فلا تشمل الخف عرفا بل ولا لغة إن ثبت قيد الأرض في كلام أهل اللسان انتهى.
وقال جسوس النعل تجيئ مصدرا وتجيء اسما وهي لباس الأنبياء

وكان يلبسها غالب حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وربما مشى حافيا بلا نعل تواضعا لله وطلبا للثواب، لاسيما في عيادة المريض، قال الحافظ العراقي:

يمشي بلا خف ولا نعل إلى عيادة المريض حوله الملا

وكانت نعله صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة معقبة ملسنة كما رواه ابن سعد والمخصرة هي التي لها خصر دقيق، والمعقبة هي التي لها عقب أي سير من جلد في مؤخر النعل يمسك به عقب القدم والملسنة هي التي في مقدمها طول على هيئة اللسان لأن سبابة رجله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت أطول أصابعه فكان في مقدم النعل بعض طول يناسب طول تلك الأصبع انتهى من البيجوري.

وروى الترمذي عن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما أي لكل منهما قبالان تثنية قبال بكسر القاف وبالموحدة زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها ويسمى شسعا بكسر المعجمة وسكون السين المهملة، وكان عليه السلام يضع أحد القبالين بين الإبهام والتي تليها والأخرى بين الوسطى والتي تليها. وقوله مثنى بضم الميم وفتح المثلثة وشد النون المفتوحة أو بفتح الميم وسكون المثلثة وكسر النون وشد الياء روايتان أي كان شراك نعله مجعولا اثنين من السيور انظر البيجوري. والشراك بكسر السين المعجمة أحد سيور النعل التي تكون على وجهها قاله جسوس. وفيه قبل هذا ان الشراك هو الذي يكون على ظهر القدم يربط فيه أي القبال انتهى. وذكر المناوي عن الحريري وغيره أن المصطفى كان يضع أحد الزمامين بين الإبهام والتي تليها والآخر بين الوسطى والتي تليها ويجمعهما إلي السير الذي بظهر قدميه وهو الشراك انتهى كلامه. وللعراقي نفعنا الله تعالى ببركته:

ونعله الكريمة المصونه طوبى لمن مس بها جبينه

لها قبالان بسير وهما سبتيتان سبتوا شعرهما

وطولها شبر وأصبعان وعرضها مما يلي الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم خمس وفوق ذا فست فاعلم
ورأسها محدد وعرض ما بين القبالين أصبعان اضبطهما
وهذه تمثال تلك النعل ودورها اكرم بها من نعل

قوله المصونة أي عن الادناس ابن العربي والنعل المعروفة لباس الأنبياء وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين وقوله طوبى أي راحة وطيب عيش حاصل لمن مس موضع قدمه تبركا به، وفي الحديث قابلوا النعال يقال قابلت النعل وأقبلتها إذا جعلت لها قبالا، ويقال نعل مقابلة ومقبلة والباء في بسير بمعنى من، أي قبالان من سير، والسبت بالكسر جلد البقر يدبغ مطلقا أو بالقرظ وتجلب من اليمن سميت بذلك لأنها سبت عنها شعرها أي حلق وأزيل، إذ البست القطع أو لأنها أسبتت بالدباغ أي لانت والأصبع بتثليث الهمزة والموحدة وقوله مما يلي الكعبان أي من جهة الكعبين وقوله وفوق ذا أي فوق بطن القدم فعرضه ست من الأصابع فاعلم هذه الحدود وقوله وعرض ما بين القبالين أصبعان، أي متلاصقان، وقوله وهذه أي هذه الصفة، صفة تمثال تلك النعل ودورها ومما جرب من بركتها أن من أمسك تمثالها عنده متبركا به أمن من بغي البغاة وغلبة العداة وحرز من كل شيطان مارد وعين حاسد وإن أمسكتها المرأة الحامل بيدها وقد اشتد عليها الطلق سهل وضعها ذكره ابن عساكر، انتهى من المناوي.

وقوله اضبطهما بكسر الموحدة من باب ضرب كما قاله الهلالي في شرح خطبة القاموس وروى الشيخان من طريق ابن جريج أنه قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبتية قال إني رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها.

ابن الأثير وجه السؤال كونها نعال أهل النعمة ولم تنعلها الصحابة والسبتية بكسر المهملة وسكون الموحدة المدبوغة بالقرظ والتي سبت عنها الشعر أي حلق وعن ابن عمرو حريث بضم الحاء ومثلثه القرشي

المخزومي قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفين مخروزتين والخصف ضم شيء إلي شيء والمراد أن نعله وضع فيها طاق على طاق، وكانت له أيضا نعل من طاق واحدة كما دلت عليه الأخبار وكان لنعله قبالان ولنعل أبي بكر قبالان ولنعل عمر قبالان وأول من اتخذ قبالا واحدا عثمان ووجه بأنه أراد أن يبين أن اتخاذ القبالين ليس لكراهة قبال واحد ولا لمخالفة الأولى بل لكونه عادة وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وشأنه كله وفي الحديث إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين وإذا نزع فليبدأ بالشمال وفي أبي داوود أنه نهى عليه السلام أن ينتعل الرجل قائما وهو نهي تنزيه وإرشاد وخصه الطيبي وغيره بما في لبسه قائما تعب كالناموسة والخف لا قبقاب انتهى من المواهب وشرحها.

ومثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم مجرب للبركة، كما ذكر العلماء وهو لعمري بذلك حقيق وجدير فقد حاكى ما كان موطئ القدم للبشير النذير صلي الله تعالى عليه وسلم ما عكف على لثمه مشتاق وما حن محب إلي زيارة قبره واشتاق صلاة وسلاما يدومان الي يوم التلاق.

وذكر الشيخ الورع أحمد بن عبد المجيد أنه حذى تمثال النعل لبعض الطلبة قال فجاءني يوما فقال رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجبا أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم اشف ببركة هذا النعل زوجي وفي نسخة اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفاها الله للحين. وللشيخ أبى الحسن البلنسي رحمه الله تعالى:

يا مبصرا تمثال نعل نبيه	قبل مثال النعل لا متكبرا
واعكف به فلطال ما عكفت به	قدم النبي مروحا ومبكرا
أو ما ترى أن المحب مقبل	طللا وإن لم يلف فيه مخبرا

وللمسعودي مذيلا على ما قبله:

ولربما ذكر الحبيب حبيبه ... بشبيهه فغدى له متصورا
ويظن حين يرى اسمه في رقعة ... أن قد رأى فيها الحبيب مصورا
لاسيما في حق نعل لم يزل ... صونا لأخمص خير من وطء الثرا
فعساك تلثم في غد من لثمها ... كأس النبي إذا وردت الكوثرا

انتهى من المناوي وللإمام أبي بكر أحمد بن أحمد الإمام الأنصاري القرطبي:

ونعل خضعنا هيبة لبهائها ... وإنا متى نخضع لها أبدا نعل
فضعها على أعلى المفارق إنها ... حقيقتها تاج وصورتها نعل
بأخمص خير الخلق حازت مزية ... على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر ... وان بحار الجود من فيضها خلوا
سلونا ولكن عن سواها وإنما ... نهيم بمغناها الغريب وما نسلوا
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزه ... حميم ولا مال كريم ولا فسل
شفاء لذي سقم رجاء لبائس ... أمان لذي خوف كذا يحسب الفضل

المزية الفضيلة والمفرق بزنة مسجد حيث يفرق الشعر، وحلو بضم الحاء المهملة واللام من حلي الشيء يحليه إذا صيره حلوا ولم يقل حليت تنزيلا للبحار منزلة العقلاء وقوله سلونا إلخ. أي عما شئتم فلنا به علم وإحاطة ولكن عن غيرها فلا تسألونا ومعناها بغين معجمة محلها، والغريب أي البعيد في الصفة عن الأماكن المعروفة قاله الشيخ العلامة محمد بن عبد الباقي وها أنا ان شاء الله تعالى آتي بما استطعت من تمثال هذه النعل الشريفة موطإ القدم الزكية المنيفة واجعله في متن هذا الشرح رجاء لبركته راجيا من الله تعالي الدخول في أهل خدمته والموت على سنته، والحشر في زمرته وليكون ذلك وسيلة لقبوله وتمامه على الوجه المحمود وحصوله نسأل الله تعالى أن يمتعنا في الدارين بقرب نبيه الكريم وأن يجعلنا نحن وأحبتنا عقب الموت في جنات النعيم وهذه صورة ما أمكن من تمثال النعال في المحول ولله در شاعر العلماء وخطيب البلغاء في قوله:

يا ليت حر الوجه مني كانا لوطإ نعل المصطفى مكانا

ولله در أبي اليمن بن عساكر حيث يقول:

يا منشدا في رسم ربع خال ومناشدا لدوارس الأطلال
دع ندب ءاثار وذكر مآثر لأحبة بأنوا وعصر خال
والثم ثرى الأثر الأثير فحبذا إن فزت منه بلثم ذا التمثال
أثر له بقلوبنا أثر لها شغل الحلي بحب ذات الخال
قبل لك الإقبال نعلي أخمص حل الهلال بها محل قبال
ألصق بها قلبا يقلبه الهوى وجلا علي الأوصاب والأوجال
صافح بها خدا وعفر وجنة في تربها وجدا وفرط تخال
سبيل حر جوى ثوى بجوانح في الحب ما جنحت إلي الإبلال
يا شبه نعل المصطفى نفسي الفدى لحلك الأسمى الشريف العالي
هملت لمرءاك العيون وقد نئا مرقى العيون بغير ما امهال
وتذكرت عهد العقيق فناثرت شوقا عقيق المدمع الهطال
وصبت فواصلت الحنين إلي الذي مازال بالي منه في بلبال
أذكرتني قدما لها قدم العلى والجود والمعروف والإفضال
أذكرتني من لم يزل ذكري له يعتاد في الإبكار والآصال
ولها المفاخر والمآثر في الدنا والدين في الأقوال والأفعال
لو أن خدي يحتذى نعلا لها لبلغت من نيل المنى ءامال
أو أن جفاني لوطإ نعالها أرض سمت عزا بذا الإذلال

قوله يا منشدا أي للشعر، فمفعوله محذوف، والمناشد المخاطب، والطلل ما شخص من الآثار، نزل الأطلال منزلة العقلاء وأثبت لهم المناشدة، وقوله دع ذكر ءاثار أي أترك ذكر محاسن، والمآثر جمع مأثرة بفتح الثاء وضمها وهي المكرمة، وفي المصباح هي كالأثرة المكرمة، المتورثة، وخال أي ماض، وخال الأولى أي خال من أهله، واللثم التقبيل، لثم كضرب وسمع، كما في القاموس، أي ألثم التراب الذي حصلت له النداوة من أثر النعل الكريمة إن أمكن ذلك وإلا فقبل مثالها فحبذا اللثم إن ظفرت بلثم ذا التمثال، وقوله أثر خبر مبتدإ محذوف أي هذا التمثال أثر، من

آثار المصطفى له بقلوبنا أثر أي تأثير بمعنى صورة منتقشة لها أي لأجل الصورة فلذا أنت الضمير العائد على الأثر وشغل بالبناء للمجهول والخلي الفارغ، والخال الشامة في الخد، تخالف لونه فتزيده حسنا، والمعنى أنه يتذكر بحسن صورة ما انتقش في قلبه من ذلك الأثر حسن الشامة بخد محبوبته، والأخمص القدم المرتفع عن الأرض ووجلا بكسر الجيم خائفا وعلى بمعنى اللام، أي اجعل قلبك مشغولا بتلك النعل حالة كونه خائفا من الأوجاع وأنواع الخوف لتقصيره في محبتها، وقوله سيبل أي ما ذكر من المصافحة والتعفير حر جوى أي حرقة، وجد وثوى أقام، والجوانح الضلوع تحت الترائب وقوله في الحب أي لأجل الحب وجنحت مالت، والإبلال بكسر الهمزة وسكون الموحدة الإذهاب، والعقيق موضع قرب المدينة وعقيق المدمع أي الدمع المشبه بالعقيق في الحمرة، والبال القلب، والبلبال بالفتح الهم، وأذكرتني بكسر التاء خطاب لصورة التمثال وقدما بفتحتين وقدم العلا بكسر القاف وفتح الدال والابكار جمع بكرة ويحتذى يقطع انظر الزرقاني.

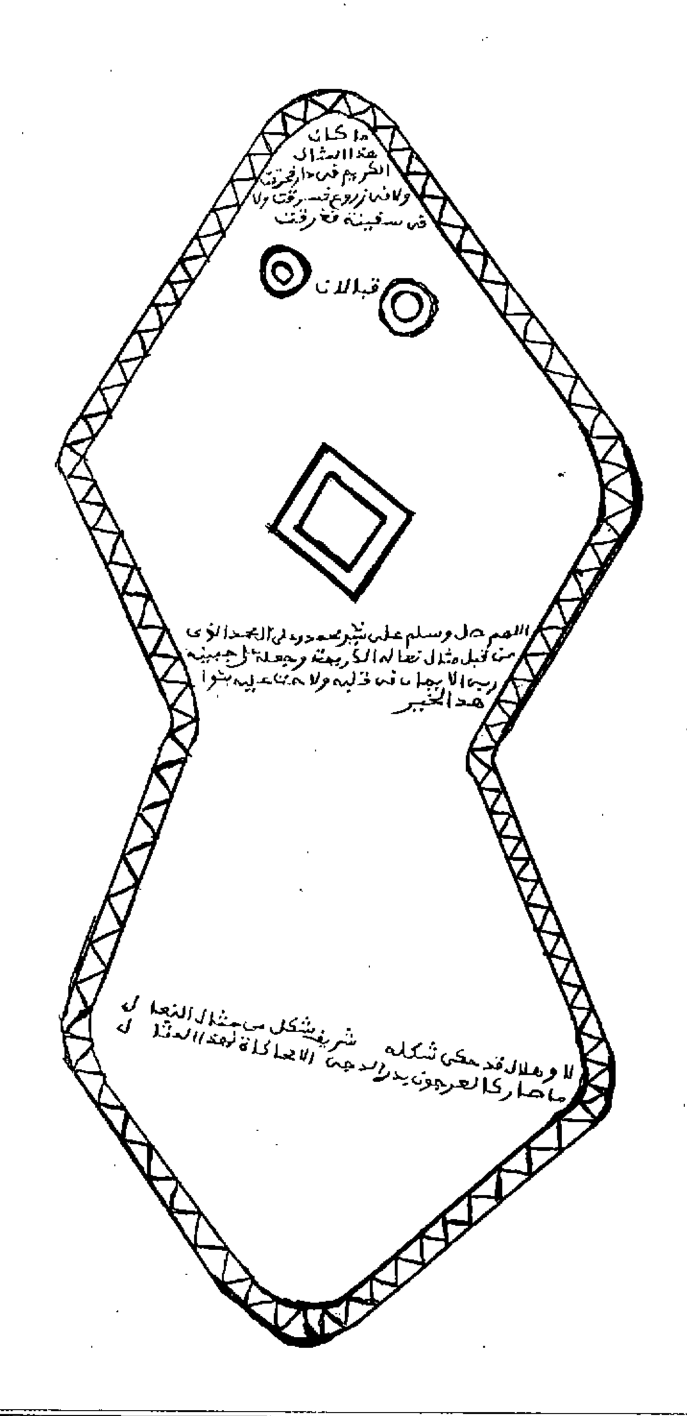
وقال أبو الحكم مالك بن المرحل بالفتح أحد فضلاء المغاربة، وله نظم حسن كما في الزرقاني:

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه ... ونمنم خد الطرس بالنقش راقمه
رؤف عطوف أوسع الناس رحمة ... وجادت عليهم بالنوال غمائمه
له الحسن والإحسان في كل مذهب ... فـئاثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيئين كلهم ... وكل فعال صالح فهو خاتمه
أحب رسول الله حبا لو أنه ... تقاسمه قومي كفتهم قسائمه
كأن فؤادي كلما مر ذكره ... من الورق خفاق أصيبت قوادمه
أهيم إذا هبت نواسم أرضه ... ومن لفؤادي إن تهب نواسمه
فأنشق مسكا طيبا فكأنما ... نوافحه جاءت به ولطائمه
ومما دعاني والدعاوي كثيرة ... إلي الشوق أن الشوق مما أكاتمه

مـثـال لنعلي من أحب هويتـه فـهـا أنا في يومي وليلي لاثمـه
أجـر على رأسي ووجـهي أديمه وألثـمـه طورا وطورا ألازمـه
أمـثله في رجل أكـرم من مـشى فـتـبصـره عـيني ومـا أنا حـالمه
أحـرك خـدي ثم أحـسب وقـعـه على وجنتي خطوا هناك يداومـه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي لماش علت فوق النجوم براجمـه
سأجـعله فـوق الترائب عـوذة لقلبي لعل القلب يبرد حـاجـمـه
وأربطه فـوق الشؤون تميـمـة بجـفني لعل الجـفن يرقئ سـاجـمـه
ألا بأبي تمثـال نعل مـحـمـد لطاب لحـاذيه وقـدس خـادمـه
يـود هـلال الأفـق لـو أنـه هـوى يزاحـمنا في لثـمـه ونزاحـمـه
سـلام عليـه كلمـا هبت الصـبـا وغنت بأغـصـان الأراك حـمـائمـه

نمنم بنونين وميمين زخرف ونقش والطرس بالكسر الصحيفة وراقمه كاتبه شبه الورق الأبيض بعد كتبه بحسناء زينت بنقش والنوال بالفتح العطاء، ولو أنه بدرج الهمزة، وقسائمه جمع قسيمة وهي النصيب، والورق بضم الواو وسكون الراء الحمام، والخفاق شديد الخفقان وهو الاضطراب، والقوادم عشر أو أربع ريشات في مقدم الجناح، جمع قادمة، وأهيم لا أدري أين أتوجه والنواسم الرياح جمع ناسمة، ونوافحه جمع نافحة وهي وعاء المسك، ولطائمه جمع لطيمة وهي الإبل، تحمله وأديمه جلده والمراد الرقعة المصور فيها جلدا أو غيره، وألازمه أضمه إلي صدري وأمثله، أفرض أني أشاهده وقوله فتبصره عيني أي كأن عيني تبصره لشدة حضوره في ذهني وحالمه بلام قبل الميم كالتأكيد لقوله فتبصره، وفي نسخة حاكمه بالكاف أي لا أتمكن من حقيقته وإنما أحكم بمثاله فقط والوجنة ما ارتفع من لحم الخد وخطوا بفتح فسكون أي مشيا منه صلي الله تعالى عليه وسلم والعوذة الرقية، وحاجمه بحاء مهملة فألف فجيم حرارته الشديدة، والتميمة الحرز، وأربطه بضم الباء وكسرها وساجمه دمعه السائل، والاستفتاح أي أفدي بأبي تمثال نعل محد، واللام في لطاب جواب قسم مقدر، أي والله لقد طاب ذلك التمثال لصانعه.

صورة النعل



فائدة:

روى الترمذي أنه صلي الله تعالى عليه وسلم قال لا يمشين أحدكم في نعل واحد لينعلهما جميعا أو ليحفيهما. والنهي للكراهة ومحله إن لم تكن ضرورة وإلا فلا كراهة. وعليه يحمل ما روي أنه عليه السلام ربما فعله ويحتمل أنه لبيان الجواز انظر جسوسا. وقوله لينعلهما أي القدمين بضم الياء من أنعل وبفتحها يقال نعل بفتح العين وتكسر، ويحفيهما بضم أوله من الإحفاء وهو الإعراء عن نحو النعل قاله البيجوري.

وروى الترمذي أيضا مرفوعا: إذا انتعل أحدكم فاليبدأ باليمين وإذا نزع فاليبدأ بالشمال. قال جسوس والأمر للاستحباب قال عياض اجماعا انتهى، ومما ورد في باب التنعل أنه يكره قائما لكن حمل علي نعل يحتاج في لبسهما إلي الاستعانة باليد لا مطلقا، قاله البيجوري.

(وكان ثوبان له للجمعه غير ثياب لبسه المرتفعه)

ثوبان اسم كان والخبر له، ولبسه بضم اللام. ومعنى البيت أنه عليه السلام كان له ثوبان يلبسهما للجمعة غير أثوابه الشريفة المعدة للبس. وفي العيون ويلبس يوم الجمعة ثوبا غير ثيابه المعتادة كل يوم، ولا يخرج يوم الجمعة إلا معتما بعمامة يرسلها بين كتفيه ويديرها ويغرزها انتهى.

وفي الموطإ أنه عليه السلام قال: ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين للجمعة سوى ثوبي مهنته. والاستفهام متضمن للتنبيه والتوبيخ فيقال لمن أهمل شيئا أو غفل عنه ما عليه لو فعل كذا، وقوله ثوبين هما قميص ورداء أو جبة ورداء.

قال ابن عبد البر: ومهنته بذلته وخدمته، والرواية بفتح الميم وقد تكسر، وفيه الندب لمن وجد سعة أن يتخذ الثياب الحسان للجمع. وكان عليه السلام يفعل ذلك ويعتم وفيه الأسوة الحسنة انتهى من شرح الزرقاني عليه.

(وكان منديل له ليمسحا به على الوجه المنير الأصبحا)
المنديل بالكسر والفتح وكمنبر ما يتمسح به والمنير المضيء المشرق والأصبح الحسن، وهو نعت مقطوع عن التبعية مفعول فعل محذوف تقديره أعني، ومعنى البيت أن المصطفى صلي الله تعالى عليه وسلم من جملة ما كان عنده من اللباس منديل يمسح به وجهه الشريف. وفي العيون وكان له منديل يمسح به وجهه انتهى.
(صلى عليه ربنا) أي أولاه رحمة يقارنها تعظيم، والرب المالك **(وسلما)** أي أمنه من كل ما يخاف، **(وآله وصحبه وكرما)** أي أعطاه وإياهم كل كمال يناسبهم.

(بيان بعض معجزات المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا)

أي هذا الباب يذكر فيه بعض ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات ووقع تصديقا له من خوارق العادات:
وهو أمر كثير لا تحيط به الأفهام، ولا تضبطه المحابر والأقلام، صلى الله تعالى عليه وسلم، عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.
والمعجزة في الأصل اسم فاعل من الإعجاز وهي لفظ أطلق على الآية الدالة على صدق النبي. قال اليوسي والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الإسمية أو للمبالغة كعلامة وتسميتها معجزة مجاز، لأن المعجز في الحقيقة هو الله، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها. وهي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى علي يد مدعي الرسالة مقارنا لدعوى الرسالة متحد به قبل وقوعه غير مكذب، سالم من المعارضة وعبر بأمر دون فعل، لشمول ما كان عدميا كعدم الإحراق بالنار وخرج بالخارق للعادة ما كان موافقا لها. وبقوله على يد مدعي الرسالة، الكرامة، لأنها على يد مدعي الولاية واحترز به أيضا عن أن يتخذ الكاذب معجزة نبي قبله معجزة له لأنه لم تظهر على يده، والتحدي هنا عبارة عن قول الرسول: آية صدقي أن يكون كذا.. وهو في الأصل طلب المعارضة في

الحداء بالضم أي الغناء للإبل، يكون حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره، يستحدي كل منهما صاحبه، أي يطلب حداءه. ثم توسع فيه واستعمل في كل مباراة، يقال تحديت فلانا، إذا نازعته الغلبة، وخرج بقيد التحدي الآيات الإرهاصية بكسر الهمزة نسبة للمصدر. يقال أرهصت الحائط ورهصته إذا جعلت له رهصا أي أساسا كما في حاشية اليوسي وذلك كشق الصدر وإظلال الغمامة ونحوهما مما وقع له صلي الله تعالى عليه وسلم قبل النبوءة إرهاصا أي تأسيسا لنبوءته.

وفي المنح المكية أن قيد التحدي لا يخرج المتأخر عن التحدي لأنه يلزم عليه إخراج أكثر آياته صلي الله تعالى عليه وسلم كنبع الماء ونطق الحصا والجذع، مع أن إصطلاح السلف على إطلاق المعجزة على كل خارق، وليس بسحر انتهى.

واحترزت بقولي غير مكذب بأن يقول آية صدقي أن ينطق هذا الجماد بتكذيبه ويقيد عدم المعارضة من السحر فإنه يمكن الإتيان بمثله وهذا مبني على دخول السحر في الخارق، وقال السنوسي ومن المعتاد السحر وإن كان سببه العادي نادرا خلافا لمن جعل السحر خارقا، وقال ابن أبي شريف الحق أن السحر ليس من الخارق، وإن أطبق القوم على عده منه، لأنه يترتب على أسباب كلما باشرها أحد خلقه الله تعالى عقبها كترتب شفاء المريض على تناول الأدوية الطبية فإن هذا غير خارق.

(منها) من معجزاته صلي الله تعالى عليه وسلم **(القرآن)** بنقل حركة الهمزة إلي الراء قبله، وحذف الهمزة مبتدأ وخبره المجرور قبله، **(المعجز)** لجميع البلغاء أو الفصحاء أي المظهر لعجزهم عن أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه كالكوثر أو قدرها، **(الذي بهر)** أي غلب، وفي القاموس بهر كمنع غلب ضوءه ضوء الكواكب وفاعل بهر قوله **(إعجازه)** والمفعول قوله **(كل العقول)** جمع عقل وهو نور روحاني تدرك به العلوم الضرورية والنظرية، **(وقهر)** موافق في المعنى لبهر، ومعنى البيت أن من معجزاته صلي الله تعالى عليه وسلم القرآن الذي بهر إعجازه كل أهل العقول وقهرهم فلم يقدروا على حصر وجوه إعجازه مع عدهم

لكثير منها كحسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة لعادة العرب، ونصاعة ألفاظه، وتوافق مقاطع آياته وتناسب كلماته، وما احتوى عليه من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة والمواعظ والحكم والأحكام وضرب الأمثال وإفحام الخصوم وروعة القلوب التي تلحق عند سماعه والهيبة التي تعتري عند تلاوته وكون قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن ما بلغ يمل مع الترديد ويعادي إذا أعيد وحسبك بقاؤه على مر الدهور محفوظا من كيد الكافرين وتحريف الملحدين وهو الأنيس في الخلوات والوسيلة الكبرى في الأزمات أماتنا الله تعالى على الإيمان به ووفقنا لاجتناب ما نهى عنه وامتثال ما أمر به.

والقرآن هو اللفظ المنزل على محمد صلي الله تعالى عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته، قاله في جمع الجوامع، فخرج باللفظ المنزل الأحاديث غير الربانية فلم ينزل لفظها بل معناها والتورية والإنجيل مثلا، ويقيد الإعجاز الأحاديث الربانية، كأنا عند ظن عبدي بي إلخ.. وبالمتعبد بتلاوته أبدا ما نسخت تلاوته أي نحو الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتت. قال عمر فإنا قد قرأناه انظر المحلي.

فائدة:

قال بعض القراء القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات فنصفه بالحروف النون من نكرا في الكهف، والكاق من النصف الثاني ونصفه بالكلمات الدال من قوله والجلود في الحج، ولهم مقامع من النصف الثاني ونصفه بالآيات: يأفكون من سورة الشعراء، وقوله فألقي السحرة من النصف الثاني، ونصفه بالسور آخر الحديد والمجادلة من النصف الثاني انظر الإتقان.

(فلم يجئ بمثله ولن يجي إنس ولا جن ....)
هذا بيان لكونه معجزا والفعلان يتنازعان فيما بعدهما وكأنه يقول إنما حكمنا بإعجاز القرآن لأنه لم يجئ فيما مضى إنس ولا جن بما يماثل ما تحدى به وهو أقصر سورة منه ولا يجيئون به فيما يأتي ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا ...

((...) وكم من مزعج لهم مقرع على الإتيان به..)
المزعج المحرك، والمقلق قال في القاموس زعجه كمنعه أقلقه، وقلعه من مكانه كأزعجه والتقريع التعنيف، واغلاظ القول والضمير المجرور بالباء عائد على مثل، وكم للتكثير يعني أنهم لم يقدروا على الاتيان بمثل القرآن مع أنهم وجدوا ما يحملهم على الإتيان به من حضهم على ذلك وتعنيفهم، قال تعالى{فاتوا بسورة من مثله فاتوا بسورة مثله}، {فاتوا بعشر سور مثله}، {قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}، قال القاضي في الشفا فلم يزل يقرعهم، صلى الله تعالى عليه وسلم، أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته، مخادعون أنفسهم بالتشغيب. وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين، والرضى بالدنية، كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، **(وهم)** ،أي العرب الذين بعث فيهم النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فرسان هذا الشأن)** يعني به فصاحة الكلام وبلاغته فقد أوتوا من فصاحة اللسان ما لم يؤت أنسان وخصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم.

(قد امتطوا منه جواد السبق)
يعني أن العرب قد امتطوا من هذا اللسان كل فرس جواد يسبق الخيل

عند الرهان اتخذوه مطية فهم يتصرفون فيه كيف شاؤوا ويتوصلون به إلي ما أرادوا **(وأحرزوا)** أي حازوا وأخذوا **عنانه** أي الجواد **(في النطق)** أي الكلام، جعل الكلام جوادا يمتطى وأضاف إليه العنان لأنه يضاف للخيل، وأخبر أنهم ملكوا مقود ذلك الجواد في حال تكلفهم بزمام البلاغة والفصاحة بأيديهم لكنهم لما سمعوا القرآن لم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم، فانقادوا إليه مذعنين من بين مهتد ومفتون وعجزوا عن معارضته وصرحوا بجحده كما قال **(بل خسروا)** بكسر الراء أي انعقدت ألسنتهم عن مباراته **(وهم ألد اللد)** الألد الخصم الذي لا يريع إلي الحق جمعه لد بضم اللام والجملة حالية واللد مضاف إليه ما قبله أي والحال أنهم أشد لددا ممن يوصف باللد، **(إلا عن الدعوى)** أي إلا عن مجرد دعوى المعارضة مع العجز بقلوبهم لو نشاء لقلنا مثل هذا، وقد قال لهم الله: {ولن تفعلوا} فما فعلوا وما قدروا، ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة الكذاب، كشف عواره لجميعهم وسلب ما ألفوه من فصيح كلامهم **(ومحض الجحد)** أي الانكار المحض، أي الخالص فهو من إضافة الصفة للموصوف، فقالوا والعياذ بالله تعالى إن هذا إلا إفك افتراه. وقالوا أساطير الأولين وغير ذلك. وفي الشفا في وصف العرب: وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب، يوتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلي كل سبب، فيخطبون في المقامات وشديد الخطب، ويرتجلون فيه بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فياتون من ذاك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللئال ويجرئون الجبان، ويبسطون يد الجعد البنان، ويصيرون الناقص كاملا، ويتركون النبيه خاملا، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، ومنهم الحضري ذو البلاغه البارعه، والألفاظ الناصعه والكلمات الجامعه، وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغه، والقوة الدامغة، والقدح الفالج، والمهيع الناهج، لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم. والبلاغة ملك قيادهم. قد حووا

فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها، وتقاولوا في القل والكثير، وتساجلوا في النظم والنثير، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. أحكمت ءاياته، وفصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا، وأشهد في الخطابة رجالا، وأكثر في السجع والشعر سجالا، وأوسع في الغريب واللغة مقالا، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخا بهم في كل حين، ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملإ أجمعين، أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا انتهى. المراد منه قوله وتظافر إيجازه وإعجازه، بالظاء المشالة كما في النسخ المصححة أي تعاون وتصحف على الدلجي فقال إنه بالضاد ومقرعا بفتح القاف وكسر الراء المشددة أي موبخا قاله ابن سلطان. **(فعند ذاك أمر القرءان ان تضرب الأعناق والبنان)** الإشارة راجعة إلي اتضاح صدق رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالآيات الدالة على تصديقه وتضرب بالبناء للمجهول ونائبه الأعناق جمع عنق وهو الجيد والبنان قيل هي المفاصل وقيل الأصابع ومعنى كلامه أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أقام بمكة بعد بعثته ثلاث عشرة لم يشتغل إلا بتقرير أدلة ما أوتي به من توحيد الله وإرساله هو إليهم وترديد ذلك في المحافل عليهم وإقامة البراهين لديهم فأتاهم بما لا يعده البشر من المعجزات التي لم تبق معها شبهة لمنصف ولا معاند فلما اتضحت لهم رسالته وصدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذبوه عنادا أمره الله تعالى بالهجرة والسيف فقام بما أمره الله تعالى به وجاهدهم أشد الجهاد فقتل الرجال وسبى النساء والأولاد ودوخ البلاد وشهر الإسلام وكسر الأصنام، جزاه الله عنا أفضل ما جازى به

نبيا عن قومه. قال تعالى {فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان}، قال الوالد حفظه الله تعالى في الريان الأعناق جمع عنق وهي الرقبة والخطاب قيل للملائكة فيكون متصلا بما قبله وقيل للمؤمنين فيكون منقطعا عما قبله، قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بني آدم فعلمهم الله ذلك وفوق قيل صلة أي أضربوا الأعناق وقيل على حقيقتها وأراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وقيل أراد المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبح وكل بنان يعني كل مفصل وقيل هي أطراف أصابع اليدين، قال البغوي قال عطية يعني كل مفصل وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الأطراف جمع بنانة، قال ابن جزي البنان قيل المفاصل وقيل الأصابع وهو أشهر في اللغة، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره. وقيل انه تعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وأشرفه وهو الرأس وبضرب البنان وهو أضعف الأعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد. **(لله ما حواه)** القرآن العظيم أي جمعه **(من عجائب)** تبيين لما أي من الأمور التي يتعجب منها، **(جلت)** أي عظمت **(عن الحصر)** بالعد، **(ومن غرائب)** قريب مما قبله كإخباره عن الأمم السالفة كأمة نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم فإن معرفة ذلك لا تكاد تحصل للأفراد، من علماء أهل الكتب فضلا عمن كان أميا لم يتعاط كتابا قط ولم يعان دراسة من قوم ليس لهم كتاب ولم يبعث فيهم نبي بعد إبراهيم وإسماعيل وكإخباره عن المغيبات الآتية فبعضها شوهد فيما مضى كقوله تعالى «لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين (الآية) {وعدكم الله مغانم كثيرة} (الآية) وقوله تعالى {وهم من بعد غلبهم سيغلبون} أي الروم من بعد غلبة الفرس لهم سيغلبون الفرس وسبب نزولها أن الفرس لما غلبوا الروم فورد مكة خبرهم فرح المشركون وقالوا للمسلمين نحن وفارس أميون لا كتاب لنا وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن عليكم، ونزلت الآية الى قوله {في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله} إلى قوله: {غافلون}. فقال أبو

بكر لا يقرن الله عيونكم فوالله لتظهرن الروم على فارس في بضع سنين وقال أبي بن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك أجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك فقال البضع ما بين الثلاث إلي التسع فزايده أي في الإبل وماده في الأجل يجعلها مائة قلوص إلي تسع سنين ومات أبي بعد قفوله من أحد بجرح من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، بسرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبي فأمره عليه السلام أن يتصدق بها وبه أخذ أئمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة في دار الحرب وأجاب الشافعية بإنه كان قبل تحريم القمار والله تعالى أعلم. انتهى من شرح علي القاري للشفا.

ومما أخبر به ولم يات بعد ولكنه ياتي بلا شك الساعة وأشراطها. وفي الإضاءة:

وما احتوى عليه من أنباء غيب بتصريح أو الإيماء

أي الإشارة، ففيه من هذا أمور تكثر، والبعض بالفيض عليها يعثر، ومنه ما ابن برجان أظهر، في أخذ بيت المقدس المطهر، من قوله بضع سنين قبل ان، يكون ثم كان طبقا في الزمن، أي والبعض يطلع عليها أي على اخذ المغيبات التي اشتمل عليها بطريق الإشارة بسبب الفيض الإلهي عليه وهي طريقة أرباب القلوب نفعنا الله تعالى ببركتهم ويعثر هذه مقتضى القاموس انه من باب كتب وما أشار إليه من عجائب ما اتفق وهو ان ابن برجان في تفسير سورة الروم ذكر أن بيت المقدس يبقى بيد الروم لما تغلبوا عليه سنة اثنين وتسعين وأربعمائة بعد حصارهم شهرا أو نصفا وقتلوا أكثر من سبعين ألفا منهم جمع من العلماء والزهاد وهدموا المساجد وجمعوا من هناك من اليهود وحرقوهم فأخذ ابن برجان رضي الله تعالى عنه من قوله تعالى في بضع سنين انه يبقى بأيديهم إلى سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة ثم يغلبون

ويخرجون منها وتصير دار إسلام إلي آخر الأبد، فبقيت في أيديهم إلي أن أخذها السلطان صلاح الدين منهم، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت مدة بقائه بأيد الروم إحدى وتسعين سنة، ووجه أخذه لذلك أن الباء اثنان والضاد تسعون والعين سبعون والسين ثلاثمائة والنون خمسون والياء عشر والنون خمسون ومجموع ذلك اثنان وسبعون وخمسمائة فأخذ هو هذا العدد وأضاف إليه معنى البضع وجعله عشرة احتياطا أوزاد المجرورة بفي فصار مجموعه اثنين وثمانون وخمسمائة وهي غاية غلبهم عليه فأخذ ولله الحمد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ومات هو رضي الله تعالي عنه قبل أخذه من الروم بدهر، وهو قد مات في أيام المقتفي وكانت وفاة المقتفي سنة خمس وخسين وخمسمائة فشوهد ما أخبر به ابن برجان بعد موته بدهر، على وفق ما أخبر به انتهى، نقله ابن الأعمش عن السيوطي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: جميع العلم في القرآن لكن، تقاصر عنه افهام الرجال، وسئل بعض الحكماء، من بعض العلماء ما في كتاب الله تعالى من علم الطب؟ فقال كله في نصف آية هي قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت نقله ابن سلطان على القاري **(لو لم يجئ)** رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بآية)** أي معجزة تدل على صدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(سواه)** أي غيره والضمير عائد على القرآن وجواب لو كفاه إلا أنني اعترضت بينهما جملة «**صلى عليه ربنا**» أي مالكنا نحن جميع الحوادث، **(كفاه)** عما عداه من المعجزات وقد ذكروا أن في القرآن نحوا من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف وقيل غير ذلك وعدد إنا أعطيناك عشر كلمات وقد تحدى بأقصر سورة وإذا قسم القرآن على نسبة إنا أعطيناك كان أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز بنفسه بوجهين: بلاغته أي ما فيه من مراعاة الوجوه التي يطابق بها اللفظ، مقتضى الحال فهي من جهة المعنى والثاني نظمه أي كونه أعلى نسق لا يشبهه غيره من الكلام نظما و سجعا ونثرا وتناسب كلماته وإيتاء كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها في محل لا يليق به غيرها ابن عطية

الذي عليه الجمهور في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وذلك أن الله تعالي قد أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله، فإذا تركبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك، والبشر يعتريهم الجهل والنسيان، انتهى المراد من الزرقاني. وبيان القسمة المتقدمة أن سبعين ألفا إذا قسمت على عشرة خرج لكل واحد منها سبعة آلاف فإذا قسمت السبعة آلاف خرج لكل واحد منها سبعمائة فيصير الحاصل أن كل جزء سبعة آلاف وسبعمائة والنيف يختلف الخارج بحسب الخلاف في عدده انتهى ومنه أيضا: وفي المواهب بعد كلام وإنما المعجز ربط المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف **(لكنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **أتى** من عند الله تعالي تصديقا **(بما أعيا البشر)** البشر محركة الإنسان وهو مفعول أعيى أي أتعبهم إحصاءه وفاتهم عده **(من معجزات بينات)** المجرور مبين لما يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، جاء من المعجزات أي الخوارق الدالة على صدقه الظاهرة لكل أحد بما بلغ من الكثرة مبلغا لا تقدر الإنس أن تحصيه بالعد قال اليوسي في حواشي الكبرى لا يخفى أن لنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، معجزات لا تنحصرْ ولا يدرك قعر بحرها وقد اشتمل القرآن على نيف وأربعة عشر ألفا ذكر بعضهم انه وقف في بعض الكتب المدونة في هذا العلم الشريف من الآيات على ما انتهى إلي مئتي ألف بل تنيف، ومصنفه مع ذلك مصرح بالاعتذار انتهي. وقال المناوي في شرح العراقي وهو أكثر الأنبياء معجزة فقيل انها تبلغ ألفا وقيل ثلاثة آلاف سوى القرآن فإن فيه نحو ستين ألف معجزة انتهى المراد منه وقوله **(كالقمر)** مثال لبعض معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، يعني أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر له فرقتين لما كذبه كفار قريش وسألوه ءاية تصدقه وذلك قبل الهجرة بنحو خمس سنين كما نص عليه القرآن وتواترت به الأحاديث كما حققه السبكي وغيره، وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة ولم يقع انشقاقه لغيره، صلى الله تعالى عليه وسلم، قاله الهيثمي في

شرح الهمزية وقال القاضي في الشفا أخبر الله تعالى بوقوعه بلفظ الماضي وأعراض الكفرة عن ءاياته وأجمع المفسرون على وقوعه كما في الصحيح عن ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، اشهدوا والجبل حراء وفي رواية أنس حتى رأوا حراء بينهما وقوله فرقتين إلخ روي باللام أيضا أي فلقتين وروي أنهم لما رأوه قالوا هذا سحر ابن أبي كبشة قال ابن مسعود فقال انظروا ما ياتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فأخبروهم بذلك فقالوا هذا سحر مستمر أي قوي من المرة وهي القوة أو دائم مطرد فيدل على أنهم رأووا قبلها آيات متتابعة وقوله ابن أبي كبشة بفتح الكاف وسكون الموحدة ومعجمة قيل أحد أجداده لأمه قالوه عداوة لأن عادة العرب إذا انتقصت نسبت إلي جد غامض وقيل أبوه من الرضاعة كذا في الزرقاني ونقل البيهقي عن الحليمي ان من الناس من قال إن المراد بقوله تعالى {انشق القمر} سينشق قال الحليمي فإن كان كذلك فقد وقع في عصرنا مشاهدة الهلال ببخارى في الليلة الثانية منشقا نصفين عرض كل منهما عرض القمر ليلة أربع أو خمس ثم اتصلا وصار في شكل أترجة إلى أن غاب، قال وأخبرني من أثق به أنه شاهده في ليلة أخرى قاله المناوي.

(وغسل قلبه وشق الصدر وحشوه بسر أي سر)

هذه الثلاث بالجر عطف على قوله كالقمر والسر الأمر الخفي وأي صفة لما قبله ويعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من معجزاته شق صدره الشريف وغسل قلبه المنيف وحشو ربه اللطيف له بما لا يعلمه إلا هو من أنوار النبوءة والحكمة وتقدم الكلام على هذا مستوفى في صدر الكتاب ومر أنه لم يجد لذلك الشق مسا أي ألما، أما شقه عند حليمة فرواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر كما مر والراجح انه وقع وهو ابن أربع سنين خلاف ما مر للناظم وأما شقه للبعث عند نزول اقرأ

فرواه أبو داوود الطيالسي والحارث البغدادي والبيهقي وأبو نعيم وأما شقه عند الإسراء فرواه الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي والبرقاني وغيرهم ولا عبرة بمن نفاه لأن رواته ثقاة مشاهير انظر الزرقاني. وقال العراقي أنكره ابن حزم وعياض وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق في الصحيحين وقال القرطبي لا يلتفت لانكاره وقال العسقلاني استنكره بعضهم ولا انكار في ذلك فقد تواردت به الروايات نقله ابن سلطان وهذا الذي ذكرت هو الذي ذكر الناظم أنه وقع له من شق الصدر وروى عبد الله بن الإمام أحمد بسند رجاله ثقاة وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء أن صدره شق قبل البعثة وقد مر الحديث في ذلك وروي أيضا شقه مرة خامسة وهو ابن عشرين ولا يثبت وذكروا أن شق الصدر وغسل القلب شاركته فيه الأنبياء راجع ما مر.

(وجيء بالبراق للإسراء به إلي الأقصى من السماء)
نائب جيء ضمير النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، والبراق بضم الموحدة من البريق لشدة لمعانه أو من البرق لسرعة سيره وطيرانه قالوا ليس بذكر ولا أنثى. والإسراء مصدر أسرى يقال سرى وأسرى إذا سار ليلا ومعنى البيت أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه أتي ليلا بالبراق مسرجا ملجما فركبه وأسرى به إلي الأقصى من السماوات وظاهره أنه ركب على البراق إلى أعلى السماوات وهو ظاهر البخاري كما قاله ابن المنير، قال ابن حجر الهيثمي والمشهور أنه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج وهو مرقاة من ذهب ومرقاة من فضة صعد فيه هو وجبريل ولنذكر أولا حديث مسلم في الإسراء فقد قال عياض إن ثابت البناني بضم الموحدة وخفة النون جود روايته له عن أنس وفي الشفا من حديث مسلم من رواية ثابت عن أنس بن مالك أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركتبه حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط

بها الأنبياء ثم دخلت المسجد وصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جريل عليه السلام أخذت الفطرة ، ثم عرج بنا إلي السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرحب بي ودعى لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء الثانية فاستفتح جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء الثالثة فذكر مثل الأول، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعى لي بخير، ثم عرج بنا إلي السماء الرابعة وذكر مثله، فإذا بإدريس، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرحب بي ودعى لي بخير، قال الله تعالي {ورفعناه مكانا عليا} ثم عرج بنا إلي السماء الخامسة، فذكر مثله فإذا أنا بهارون صلي الله تعالى عليه وسلم فرحب بي ودعى لي بخير ثم عرج بي الي السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرحب بي ودعى لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم، صلى الله تعالى عليه وسلم، مسندا ظهره إلى البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم عرج بي الي سدرة المنتهى فإذا أوراقها :كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالي يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله تعالى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة إلي آخر الحديث وفي قصة الإسراء ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام رواه ابن عباس، وفي حديث أنس أنه صلي بالأنبياء ببيت المقدس وروى غير أنس أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمهم في السماء والأسراء قال غير واحد انه قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا ومذهب معظم السلف

والمسلمين أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمرو وأبي هريرة ومالك بن أبي صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وابن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب والحسن وابن زيد وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج والطبري وابن حنبل وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وعليه تدل الآثار وصحيح الأخبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل إلا عند الإستحالة.
وأما تسميتها رؤيا في قوله تعالى {وما جعلنا الرؤيا إلخ فقوله تعالى فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين إذ ليس في الحلم فتنة، ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه على أن بعض المفسرين ذهب إلي أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك. وأما تسميتها مناما، في حديث، وفي آخر بين النائم واليقظان فيحتمل أن وصول الملك إليه وهو نائم وقوله ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام ولعله أراد انه استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته أو يكون لما غمره من عجائب ما اطلع عليه وخامر باطنه ومن مشاهدة ما شاهده فلم يستفق ويرجع إلي البشرية إلا وهو في المسجد الحرام ويكون عبر بالنوم عن هيأة النائم من الإضطجاع انتهى من الشفا.
قال مؤلفه سمح الله تعالي له ويشهد للتاويل الأخير حديث البخاري: من صلى نائما فله نصف أجر القاعد أي من صلى مضطجعا فله نصف صلاة من صلى جالسا، والله أعلم.
وقال القسطلاني قوله بين النائم واليقظان أي في ابتداء الحال ثم استمر يقظانا في القصة كلها ومثلت له أرواح الأنبياء بالصور التي كانوا عليها والبراق ليس بذكر ولا أنثى وفي رواية شاذة أنه له جناحان وفي أخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر وصدره ياقوتة حمراء قاله الهيثمي في شرح الهمزية.
وها أنا أذكر إن شاء الله تعالى ما يحتاج إليه من كلام الإمام علي

القاري على الحديث المتقدم قوله أتيت بصغة المجهول المتكلم وطويل أي مائل الى الطول وطرفه بفتح فسكون أي نظره وبيت المقدس بفتح فسكون فكسر أو على زنة محمد أيضا لأن فيه يتقدس من الذنوب أو لأنه منزه عن العيوب والحلقة بإسكان اللام وفتحها ويربط بضم الموحدة وكسرها معموله محذوف أي دوابهم أو البراق وفي ربطه دليل على أن الإيمان بالقدر لا يمنع الحازم من الحذر ومنه قوله عليه السلام أعقل وتوكل، وقوله بإناء من خمر وإناء من لبن وفي البخاري وإناء من ماء وروي أنها ثلاثة: لبن وخمر وعسل، وروي أربعة لبن وخمر وعسل وماء، ولعله الأظهر. حيث عرض عليه من الأنهار الأربعة الموعود بها في الجنة واختار اللبن لأنه مغن عن غيره بخلاف غيره وقوله اخترت الفطرة أي علامة الإسلام حيث أعرض عن الخمر وأخذ اللبن لكونه طيبا طاهرا سهل المرور في الحلق سليم العاقبة والخمر أم الخبائث جالبة لأنواع شرور الحوادث وقوله عرج بنا الضمير إلي الله أو جبريل أو البراق وفي نسخة صحيحة بالبناء للمجهول وكذا فيما بعده وهو في غاية من القبول مع الإشارة إلي ان سيره من المسجد الأقصى الي السماوات لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذي له درجة من ذهب وأخرى من فضة وبه سميت القصة. وقوله ابني الخالة أي لأن أم يحيى إيشاع أخت مريم. وقوله دعوا في نسخة صحيحة دعيا وفي القاموس دعيت له لغة في دعوت وشطر الحسن نصفه أو بعضه وأراد بالحسن جنسه أو حسن حواء أو حسن سارة أو حسن نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم،. وقوله إدريس هو سبط شيث وجد والد نوح أول مرسل بعد ءادم. وقوله مكانا عليا هو شرف النبوءة والقربة؛ وعن الحسن هو الجنة إذ قال لملك الموت أذقني الموت ليهون علي، ففعل بإذن الله تعالى ثم حيي؛ فقال له ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل؛ ثم قال ملك الموت اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج فقال الله تعالى بإذني دخل دعه؛ وقيل في السماء الرابعة لهذا الحديث والبيت المعمور يقال له الضراح بمعجمة مضمومة فراء فألف فحاء

مهملة من الضراحة أي المقابلة إذ هو مقابل للكعبة وسدرة المنتهى أي ينتهى علم الخلائق عندها فإليها ينتهي ما تصعد به الملائكة من الأرواح والأعمال وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها. قال ابن عباس والمفسرون سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهى إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والله أعلم.
والآذان بالمد جمع إذن والفيلة بكسر ففتح جمع فيل وقوله وإذا ثمرها كالقلال في رواية الدلجي وإذا نبقها والقلال بالكسر جمع قلة كقبة وقباب وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل فيها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت به قلة لانها تقل أي ترفع وتحمل وليست بهجر التي من توابع البحرين. وقوله ان الإسراء كان قبل الهجرة بسنة قاله كثير من المحدثين وذكر النووي أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الإسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكي الاجماع على أنه كان بمكة والذي نختاره ما قاله شيخنا الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة في ربيع الأول انتهى وفي روضة الأحباب أنه كان في سبع وعشرين من رجب على وفق ما عليه عمل الحرمين الشريفين؛ وقيل في ربيع الآخر وقيل في رمضان وقيل في شوال وقيل كان بعد نقض الصحيفة وأجمعوا على أنه كان بعد الوحي. وقوله ظهرت بمستوى أي صعدت بمكان عال ومستوى اسم مفعول وصريف الأقلام صوت حركتها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ وفي نسخة صرير براءين وهو أشهر في اللغة انتهى المراد منه. وقد مر كثير من الكلام على هذه القصة عند قوله شرفه الرحمن بالإسراء إلخ..
(بل لم يزل)، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(يرقى)** أي يصعد فوق السماوات **(إلي أن نالا)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، فألفه للاطلاق **(منزلة)** من القرب والدنو إلي الله تعالى دنو تقريب واصطفاء ورؤية عيان لا دنو حيز ومكان **جلت** أي عظمت تلك المنزلة التي نالها عليه الصلاة والسلام عن أن ينالها ملك مقرب ولا نبي مرسل غيره **(فلن**

تنالا) أي لا ينالها أحد فيما ياتي ولم ينلها أيضا فيما مضى.
وروي أن جبريل لما وصل معه سدرة المنتهى قال له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ها أنت وربك هذا مقامي لا أتعداه ومقامي بفتح الميم أي موضعي المشار إليه بقوله تعالى: {وما منا إلا له مقام معلوم وهو سدرة المنتهى التي لا يتجاوزها أحد إلا نبينا محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، قاله النووي. قال الزرقاني واعلم أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ان كان استمر على البراق في عروجه يكون بلوغه أعلى السموات في سبع خطوات لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه والصحيح خلافه وهو انه إنما ركبه إلى بيت المقدس ثم رقى في المعراج وهو السلم له درجة من ذهب ودرجة من فضة وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة انظر المواهب وشرحها وذكر الشيخ علي القاري في شرح الشفا أنه عليه السلام سأل جبريل أن يراه علي صورته التي جبل عليها فقال لن تقو على ذلك، قال بلى، قال فأين تشاء أن تخيل لك فقال بالأبطح فقال لا يسعني.قال فبمنى قال لا يسعني. قال فبعرفات قال ذلك بالحري أن يسعني فواعده فخرج النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، للوقت فإذا جبريل قد استوى له أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالأفق الأعلى في جانب المشرق في أقصى الدنيا عند مطلع الشمس فسد الأفق من المغرب فلما رآه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كبر وخر مغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى إذا دنا منه قدر قوسين أفاق فأراه في صورة الآدميين كما في سائر الأوقات فضمه إلي نفسه فقال لا تخف يا محمد، فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا. قال كيف لو رأيت إسرافيل عليه السلام إن العرش على كاهله وإن رجليه قد خرقتا تخوم الأراضين السفلى وأنه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتي يكون كالوضع يعني كالعصفور الصغير قيل ولم ير جبريل عليه السلام أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد فإنه رءاه فيها مرة في الأرض ومرة في السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى،

ذكره الأنطاكي.

(حباهذوالعزةبالمقا م فيها(...))

الضمير المنصوب له عليه السلام وذو فاعل والعزة بكسر العين من الصفات الجامعة للتنزه عن كل نقص والاتصاف بكل كمال والمقام مقام الشفاعة الكبرى للفصل بين الخلائق وهي عامة في جميع من ضمه المحشر وهو المقام المحمود الموعود به في الآية الكريمة لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون والضمير المجرور عائد على ليلة المعراج المفهومة من السياق. وفي القاموس حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا من أو عام. ومعنى البيت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة أسرى به أعطاه الله تعالى مقام الشفاعة العظمى التي يتبرء منها ويسلمها له أكابر الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام. قال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس إلي غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد بك نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا. قوله أقم الصلاة الآية إشارة إلى الوقت الذي تقام فيه الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس زوالها وهو إشارة لوقت الظهر والعصر وغسق الليل ظلمته إشارة إلي المغرب والعشاء معا، وقرءان الفجر صلاة الصبح، سميت بذلك لطول القراءة فيها قيل عطف على الصلوات وقيل معمول إقرا مضمرا ومعنى مشهودا تحضره ملائكة الليل وملائكة النهار، وقوله من الليل متعلق بمقدر أي وقم وقتا من الليل وتهجد، اسهر به، أي في ذلك الوقت أو بالقرآن ونافلة لك أي زيادة على الصلوات المفروضة وفي قيام الليل كثير من الفوائد منها أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس وينور القلب ويحسن الوجه، ويذهب الكسل، وموضعه تراه الملائكة كما يتراءى لنا الكوكب الدري في السماء.

وفي الحديث من قام بعشر ءايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف كتب من المقنطرين رواه أبو داوود. وقوله عسى، قال في اللباب قيل أجمع المفسرون على أن عسى

واجب من الله. وهو كالعلة لما قبله وانتصاب مقاما على الظرفية بإضمار فيقيمك أو على الحال أي ذا مقام محمود.
وفي القسلطاني في شرح وابعثه مقاما محمودا انه مفعول به على تضمين ابعث اعط ابن العربي وفي وجه كون قيام الليل سببا للمقام المحمود قولان: أحدهما أنه تعالي يجعل ما يشاء سببا لفضله من غير معرفة لنا بوجه الحكمة والثاني أن قيام الليل فيه الخلوة بالبارئ تعالى ومناجاته دون الناس فيعطى الخلوة به ومناجاته في القيمة فيكون مقاما محمودا ويعطى فيه من المحامد ما لم يعط أحد ويشفع فيشفع، انظر الريان.
وفي الشفا من رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض ممزوجا ببعض كلام شارحه ابن سلطان قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون بشد الميم أي يحزنون حزنا شديدا إلا أنه لا يهتم أحد إلا لنفسه ولا يلتفت إلي غيره، ولو كان أقرب أهله. وقال فيلهمون إلي طلب الشفاعة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا أي لكان حسنا أو لو للتمني، لا جواب لها، وعن أبي هريرة فتدنو الشمس أي تقرب من رؤوسهم قدر الميل على اختلاف في أن المراد ميل الفرسخ أو ميل المكحلة فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده أي بقدرته من غير واسطة في خلقته ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى تريحنا من مكاننا أي بالإزالة عن محل الغضب الى موضع حكم الرب من دار الثواب أو دار العقاب فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله أي فلا يمكنني الشفاعة فيه لاسيما ونهاني عن الشجرة فعصيت أي بذوقها وهل هي شجرة الكرم أو السنبلة أو النخلة أي التين نفسي نفسي، أي أهم عندي من غيري أو أخلص نفسي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي نوح فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض أي

من الكفار فلا ينافي أن آدم أيضا مرسل إلي أولاده الأبرار وكذا شيث بن آدم وادريس وسماك الله عبدا شكورا، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا بفتح الغين وجوز اسكانها أي وصلنا من الشدة، ألا تشفع لنا إلي ربك، فيقول إن ربي قد غضب اليوم أي أظهر غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي، وفيه إيماء إلي قوله تعلى {يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها}. قال أي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويذكر سؤاله ربه بغير علم يعني قوله ان ابني من أهلي، وفي رواية أبي هريرة لقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلي غيري اذهبوا الى ابراهيم فإنه خليل الله فياتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلي ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله أي مثل ما تقدم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها . ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله قال فياتون موسى فيقول لست لها. ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس وهو عطف تفسيري وسماه خطيئة على عادة الأنبياء في استعظامهم محقرات جائزة صدرت منهم إذ لم يكن هذا عن عمد بل عن خطإ في كافر ظالم لمسلم سبطي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله تعالى أي ذو روح خاص من خلقه أجراه فيه بنفخ جبريل في جيب درع أمه فأوجد في بطنها غلاما بلا توسط مادة أو إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله وكلمته أي حيث أوجد بكلمة كن فياتون عيسى فيقول لست لها، عليكم بمحمد عبد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى بصيغة المفعول المضارع وابدال الهمزة الثانية واوا للاجتماع الذي وقع فيه الاجماع أي فياتوني فأقول أنا لها أي معد ومؤخر ومخلوق لها فأنطلق فاستاذن على ربي فيأذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا، الحديث، وفي آخره فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي. وقوله ثلاث كلمات كذبهن أي في صورة كذبات وهي: اني سقيم، وفعله كبيرهم، وانها اختى لسارة. وليست كذبات وإنما هي معاريض أراد إني سقيم لأن من عاش

يسقم أو يهرم ويموت، وأختي أي في الإسلام، وأراد بقوله فعله كبيرهم التبكيت بدليل إن كانوا ينطقون. والحكمة في الاتيان لمن ذكر قبله عليه السلام اظهار عظم جاهه عند الله اذ لو أتوه أول مرة لما ظهر أن غيره لا يشفع انتهى.
وفي الصحيحين لكل نبي دعوة أي عامة يدعو بها واختباة دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة أي أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، منها ما لا يعد، لكن حالهم في باقي دعواتهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم دعوة فيما شاؤوا يدعون بها على يقين من الإجابة وفي رواية في الصحيحين فتعجل كل نبي دعوته أي طلب حصولها في الدنيا وإني ادخرت شفاعتي لأمتي في العقبى فإنها أعم وأبقى زاد مسلم فهي نائلة إن شاء الله تعالى. من مات لا يشرك بالله شيئا. اللهم يا أرحم الراحمين اجعلنا ممن تناله شفاعته، صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم شفعه فينا بجاهه عندك. **(وبالرؤية والكلام)** يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أعطاه الله تعالي ليلة المعراج رؤيته بلا مكان ولا مقابلة، ولا جهة للمرءى تعالى عن ذلك، وكلمه مباشرة بلا واسطة ملك، أما رؤيته له فقال بها ابن عباس وأنس وعكرمة وكان الحسن يحلف لقد رءا محمد ربه وقال الخازن روي عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكي عن أبى الحسن الأشعري وجمع من أصحابه أنه رآه وأنكرته عائشة وجاء مثله عن أبى هريرة وهو المشهور عن ابن مسعود ثم قال الخازن والحجج وان كانت كثيرة فإنا لا نتمسك إلا بالأقوى وهو حديث ابن عباس، قال الشيخ محي الدين والراجح عند أكثر العلماء أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رءا ربه عز وجل يعني بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم.. هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه، ثم

أن عائشة لم تنف الرؤية عنه بحديث عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط، والجواب عن احتجاجها بقوله لا تدركه الأبصار إن الإدراك هو الإحاطة والله تعالي لا تحيط به الأبصار ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية انتهى. انظر الريان. وللمقري:

وقد رءا خير الورى الديانا ليلة أسراء به عيانا
في المذهب المصحح المشهور وهو الذي ينمى إلي الجمهور

وقال ابن سلطان والراجح كما قال النووي عند أكثر العلماء أنه رآه بعيني رأسه وإثبات هذا ليس إلا بالسماع منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو مما لا شك فيه وإنكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته واحتجت بقوله تعالي {لا تدركه الأبصار}، وقلنا الإدراك الإحاطة ولا يلزم من نفيها نفي الرؤية انتهى. وأما تكليمه تعالى له فحكى عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر ابن محمد وابن مسعود وابن عباس انظر الخازن نقله الريان وفي حديث المعراج الذي في الشفا في تعليمه عليه السلام الأذان فقيل من وراء الحجاب، صدق عبدي أنا أكبر قال عياض ظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب، كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، أي وهو أي البشر لا يراه أي الحق سبحانه حجب بصره عن رؤيته تعالي انتهى.

وقال ابن سلطان والمراد بقوله من وراء حجاب أن يكون البشر من وراء حجاب البشرية المانعة من شهود الذات الصمدية بل يسمعه ولا يراه كما كلم موسى عليه السلام وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب وإنما هو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم والله تعالى أعلم. وبهذا يؤول الإشكال من إيهام سماع كلامه تعالى في الحديث المتقدم من جهة محصورة انتهى.

وبعضه بالمعنى وروى أحمد عن معاذ أنه عليه السلام قال إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست، وفي رواية فوضعت جنبي فإذا أنا

بربي في أحسن صورة. فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت أنت أعلم أي رب مرتين، قال فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردتها بين ثديي فعلمت ما في السماء والأرض. وفي الرواية الثانية فتجلى لي كل شيء، وعرفت ما في السماء والأرض ثم تلا هذه الآية: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين} ثم قال فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت في الكفارات. قال وما هو؟ قلت المشي على الأقدام إلى الطاعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإبلاغ الوضوء أماكنه على المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه، الحديث. قوله في أحسن صورة يحتمل أنه حال من الرائي ومعناه رأيته وأنا في أحسن صورة من غاية انعامه أوحال من المرءى تعالى وصورته ذاته المنزهة عن المماثلة. وقال الخطابي الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وعلى معنى صفته، تقول صورة هذا الأمر كذا أي صفته والمراد بالإختصام تقاولهم في فضل تلك الأعمال، وقوله فوضع كفه كناية عن تخصيصه تعالى إياه بمزيد الفضل، وإيصال الفيض إليه وإلا فلا كف ولا وضع حقيقة، كما أن من عادة الملوك إذا أراد أحدهم أن يقرب بعض خدمه ويذكر معه أحوال مملكته أن يضع يده على ظهره ويلقى ساعده على عنقه تلطفا به وتعظيما لشأنه. والبرد الراحة والضمير في بردها يعود إلي الكف وأراد بقوله بين ثديي قلبه وهو كناية عن وصول ذلك الفيض الى قلبه ذكره الانطاكي قاله على القارئ وقال تعالى {والنجم إذا هوى} إلي قوله تعالي {فأوحى إلي عبده ما أوحي}، النجم الثريا وهوى سقط وصاحبكم أي نبيكم المبعوث إليكم وهو محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقوله إن هو أي القرآن، أو نطق محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، والشديد القوي هو جبريل والقوي جمع قوة، روي أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين والمرة القوة أو المنظر الحسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن وقال في الضياء

شديد القوى في خلقه ذو مرة أي شدة في عقله ورأيه، واستوى استقام واعتدل، بمعنى انه ظهر للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، على حقيقته التي خلق عليها وهو أي جبريل بالأفق أي جانب المشرق عند مطلع الشمس والأعلى الأرفع وهذه هي المرة التي رءاه فيها على حقيقته في الأرض، وقوله دنا أي جبريل من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، حين خر مغشيا عليه لما رآه وتدلى زاد في القرب، وكان جبريل من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، قدر قوسين عربيتين أو أدنى علي تقدير كم فأوحى الله تعالي إلي عبده جبريل ما أوحاه جبريل إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل الضمائر في الآية كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه، إلي جناب قدسه وقاب قوسين كناية عن تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران. نقله الوالد حفظه الله تعالي في الريان. وروي في حديث الإسراء عنه عليه السلام فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك بفتح الراء أي ليسكن فزعك يا محمد ادن، ادن، وان روي بضم الراء فالمعنى لتطمئن نفسك والروع بالضم القلب، ومنه الحديث نفث جبريل في روعي انظر ابن سلطان) **(وفرض)** أي أوجب والفاعل عائد إلي قوله ربه، **(الخمسين)** صلاة علينا أول مرة **(ثم)** لم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يتردد بين ربه تعالي وموسى عليه السلام يطلب من ربه الكريم التخفيف على أمته شفقة منه علينا إلى أن **(خففا)** المولى الكريم **(عنا)** معاشر الأمة، **(به)** أي بجاهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى أن انتهت الخمسون **(لخمسة)** من الصلوات في اليوم والليلة ولله الحمد. **(وضعفا)** المولى تبارك وتعالي بفتح العين المشددة أي كثر **(ثوابها)** أي الصلوات الخمس، **(إذ)** أي حين، **(كثر)** هو أي الله تعالى لنا معاشر الأمة **(الأمدادا)** بفتح الهمزة جمع مدد بالتحريك وهو العطاء **(تفضلا)** من المولى جل وعز، والتفضل الإعطاء عن اختيار لغير عوض ولا استحقاق يصح أنه

نصب بفعل محذوف أي تفضل بهذا تفضلا ويصح أنه مفعول له عند من لا يشترط كونه قلبيا **(وقلل)** هو أي الله تعالى **(الأعدادا)** المفروضة علينا أولا فجعلها خمسا بعد أن كانت خمسين وجعل ثواب كل واحدة من الخمسة قدر ثواب عشرة من الخمسين، ومعنى البيتين أنه تعالى فرض ليلة أسري بالنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة ثم في تلك الليلة خفف عنا الخمسين بجاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انتهى العدد المفروض لخمس صلوات في كل يوم وليلة فقلل العد وكثر ثواب تلك الخمس فجعل كل واحدة ثوابها قدر ثواب عشر صلوات مع أنا لا نستحق عليه ذلك فله الحمد على ذلك وعلى ان جعلنا ببركة نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، خير أمة أخرجت للناس.

ولنذكر تمام حديث الإسراء المتقدم وهو فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت مما غشيها فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلي موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك؟ فقلت خمسين صلاة، فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل فخبرتهم فرجعت إلي ربي أي إلي الموضع الذي ناجيته فيه أولا، فناجيته فيه ثانيا فقلت رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلي موسى فقلت حط عني خمسا، قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلي ربك فاسأله التخفيف فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنها خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة. ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت له سيئة واحدة. قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع إلي ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه. قوله لكل صلاة عشر أي ثواب عشر صلوات وقوله فلتك خمسون أي بحسب

المضاعفة ولعل هذه المراجعة لما ألهمها لم يكن الوجوب مبرما أو أوجبها أولا ثم رحمنا فنسخها بيانا فيجوز نسخ وجوب الشيء قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح إسماعيل عليه السلام قصده تبيانا لمحل فضله وكرمه. وقوله استحييت بياءين وفي نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو أن المبالغة في تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين من باب الوفاء في تحمل البلاء لحصول الولاء انظر ابن سلطان. **(وأم خير مرسل للرسل)** يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أم الرسل ليلة الإسراء في السماء كما أمهم في الأرض ببيت المقدس وقد مرّ عند قول الناظم صدر الكتاب، شرفه الرحمن بالإسراء إلخ الحديث الذي فيه تعليمه عليه السلام الأذان تلك الليلة، وفي ءاخره. وقال أي الراوي ثم أخذ الملك أي المؤذن بيد محمد فقدمه، فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح، رواه عياض في الشفاء. وقوله خير فاعل أم وللرسل مفعوله واللام زائدة **(وعاد)** هو أي خير مرسل أي رجع الى منزله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمكة بعد أن عرج به من المسجد الأقصى وهو بيت المقدس **(من قبل انقضاء)** أي تمام **(الليل)** ففي رواية ابن اسحاق والطبراني وابن جرير عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله تعالي عنها فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأهبنا بشد الموحدة أيقظنا، انظر ابن سلطان، **فأخبر** هو أي المصطفى عليه السلام، **(الناس)** أي قريشا وغيرهم ممن حضر **(بما قد اطلع عليه)** أي أعلمه الله تعالي به وعرفه وأراه **(في مسراه)** أي سيره ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وهو مسجد القدس والمراد بالبركة حوله بركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى إلي زمن عيسى عليهم السلام وهو محفوف بالأنهار والأشجار والأزهار والثمار قاله ابن سلطان. **(لما)** ظرف زمان أي حين **(أن رجع)** وإن زائدة وأخبرهم أيضا بما رآه في معراجه مما شاء الله أن يخبرهم به وأراد المصنف بالمسرى ما يشمل العروج ووجه تسمية بيت المقدس بالأقصى لبعد مسافته من المسجد الحرام وقد مر أن من جملة ما أخبرهم به ركوب البراق وسرعة

سيره وربطه بصخرة ببيت المقدس وصلاته بالأنبياء فيه وعروجه إلي المحل الذي لم يصل إليه غيره ورؤيته لله تعالي وكلامه إياه ورؤيته جبريل على صورته التي خلق عليها ورؤية الجنة وتعليمه الأذان وصلاته بالأنبياء في السماء وغير ذلك ، وأخبرهم بصفة بيت المقدس ففي مسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن أشياء أي من بيت المقدس لم أثبتها أي لم أضبطها فكربت بالبناء للمجهول كربا أي غما يأخذ بالأنفس ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى لي لانظر إليه وما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه في حديث الإسراء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لما رجعت إلي خديجة وما تحولت عن جانبها أي إلى جانب آخر منها وفيه إشعار بتقليل زمن الإسراء مع أنه كان إلي مقام قاب قوسين أو أدنى ولعله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أول ما رجع دخل على خديجة انتهى من الشفا وشرح القاري له.

تنبيه:

قد مر للنظام أن الإسراء كان ورسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ابن أشهر وواحد وخمسين عاما وذلك ينافي أن خديجة رضي الله تعالي عنها أدركت الإسراء لأنها ماتت هي وأبو طالب في آخر السنة العاشرة من البعث بعد انقضاء الحصار والحديث المار آنفا عن الشفا صريح في انها أدركت الإسراء والجواب أن الذي قاله الزهري ورجحه عياض والقرطبي والنووي ثلاثتهم في شرح مسلم أنه كان بعد المبعث بخمس سنين وفي الفتح عن الزهري انه قبل الهجرة بخمس سنين انظر المواهب وشرحها وفي شرح ابن سلطان ان النووي ذكر أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء أن الاسراء بعد المبعث بستة عشر شهرا انتهى. وهذا يفيد أن الراجح إدراك خديجة للإسراء وإن اختلف العزو فيه للنووي لكن صدر في الشفا بأنه قبل الهجرة بسنة وفي ابن سلطان ان السبكي اختاره والله تعالي أعلم قاله مؤلفه سمح الله تعالي له.

(فمن سعيد مؤمن بما ذكر ومن شقي خاسر به كفر)
معني البيت أنه عليه السلام لما أخبر الناس بقصة الإسراء كان الناس على قسمين فمنهم سعيد مومن أي مصدق بما أخبر به، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومنه شقي خاسر أي ضال كفر به والعياذ بالله تعالى. خسر كفرح وضرب: ضل، قاله في القاموس. ولما كذبه من كذبه صلى الله تعالى عليه وسلم في الإسراء صدقه الصديق وروي أنه لقب به في ذلك اليوم.
وقوله فمن سعيد مؤمن إلخ، يصح عندي أن مجرور من محذوف وما بعد من مرفوع بالابتداء أي فمنهم سعيد ومنهم شقي، والضمير عائد على قوله الناس، وحذفه لدلالة الكلام عليه، كقوله :
وحاجة ما إن لها عندي ثمن ميسورة قضاؤها منها ومن
أراد ومني. ويصح أنه بمعنى إلى والمجرور متعلق بمحذوف أي فانقسموا إلي سعيد وإلى شقي ويصح أن الفاء زائدة ومن للبيان أي فأخبر الناس الذين هم سعيد مصدق بما أخبره به وشقي كافر به. ويكون كقوله:
أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من منادومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

والله تعالى أعلم. واعلم أن بعضهم قال إن الإسراء كان يقظة بجسده إلي بيت المقدس وبروحه إلى السماء وذهب بعضهم إلى أنه رؤيا منام وأنه إسراء بالروح مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، والحق هو ما قدمته من أنه بالجسديقظة في القصة كلها والصحيح أن الإسراء والمعراج في ليلة وقيل كان الإسراء في ليلة والمعراج في أخرى.

(والشمس بالصهباء للمختار ردت (...))
الشمس مبتدأ وردت بالبناء للمجهول ونائبه ضمير الشمس، والجملة

خبره والصهباء بالمد ويقصر موضع على مرحلة من خيبر يعني أن من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم أن الله تعالى رد له الشمس بعد غروبها فرجعت من مغربها وحديثها خرجه الطحاوي وابن مردويه. قال في الشفاء وأما رد الشمس له فخرج الطحاوي عن أسماء بنت عميس بمهملة مضمومة مصغرا من طريقين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل أي علي العصر حتى غربت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أي بعد ما أفاق من الاستغراق أصليت يا علي؟ قال لا. فقال اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس. قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء. وقوله وقفت ويروى وقعت بالعين بدل الفاء. قال الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقاة أي فلا عبرة بمن طعن في رجالهما فجعلهما حديثين لروايته لهما من طريقين، هذا وقال ابن الجوزي أنه موضوع وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف أسانيد الطحاوي وقال ابن الجوزي أنا لا اتهم بوضعه إلا ابن عقدة لأنه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى. ولا يخفى أن مجرد كون الراوي رافضيا أو خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه إذا كان ثقة وكأن الطحاوي لاحظ هذا المعنى ثم من المعلوم أن من حفظ حجة على من لم يحفظ والأصل العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية. وأما ما ذكره ابن الجوزي من أن في الصحيح أن الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع فالجواب أن الحصر باعتبار الأمم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية قاله ابن سلطان. وقال في الشفا وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوءة. قال ابن سلطان والصحاوي هو الإمام الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبراني وغيره وهو مصري من أكابر علماء الحنفية، لم يخلق مثله وكان أولا شافعيا يقرأه على خاله المزني ثم صار حنفيا توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وطحا من قرى مصر، انتهى. وهذا

الحديث ذكره في المواهب وذكر ان ابن تيمية ذكر أنه موضوع، وقال والعجب من القاضي عياض مع جلالة قدره في علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته، موثقا رجاله انتهى. قال الزرقاني ولا عجب أصلا لأن إسناد حديث أسماء حسن، وكذا إسناد أبي هريرة الآتي كما صرح به السيوطي قائلا ومن ثم صححه الطحاوي والقاضي عياض وذكره ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ كما بينته وقد نص ابن الصلاح وغيره على تساهل ابن الجوزي في الموضوعات حتى أنه أدرج فيه كثيرا من الأحاديث الصحيحة، قال السيوطي:

ومن غريب ما تراه فاعلم فيه حديث من صحيح مسلم

فهذه غفلة شديدة منه، يحكم بوضع حديث في الصحيحين وقال في الفتح أخطأ ابن الجوزي وكذا ابن تيمية في زعم وضعه يعني الحديث المتقدم انتهى المراد من كلام الزرقاني.

ثم قال في المواهب: وقال شيخنا أي السخاوي، قال الإمام أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزي لكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض، وأخرجه ابن مندة وابن شاهين من حديث أسماء وابن مردويه من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني بإسناد حسن انتهى.

وأسماء هذه خثعمية تزوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر ثم علي وولدت لهم وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، لأمها والحجر بتثليث الحاء الحضن، والأظهر أن الرأس كان على ركبته وهو نائم وتمكن الرأس من الفخذ فجعل الحضن محلا للرأس، تجوزا، قاله الزرقاني والطحاوي بفتح المهملتين وروى الطبراني بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا في حاجة هي قسم غنائم خيبر ورجع وقد صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العصر ووضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك علي احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس. قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى

وقعت على الجبال وعلى الأرض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء.
وفي لفظ آخر، كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فأنزل عليه يوما وهو في حجر علي، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما سرى عنه صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر وقوله وفي لفظ آخر أي للطبراني أيضا انظر المواهب وشرحها.

(ويوم العير في الأخبار)
المجرور متعلق بمحذوف أي روي هذا في الأخبار ومعنى كلامه أن الشمس ردت أيضا معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم يوم قدوم عير قريش التي مر بها ليلة أسري به فأخبرهم أنها تقدم يوم الأربعاء فلما ولى النهار ولم تجئ العير أشرفت قريش ينظرون فدعا، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يمد له ذلك حتى تقدم عير قريش قبل انقضائه فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ذكره في الشفاء وذكره في المواهب وقال الزرقاني في قوله حبست عليه أمسكها الله تعالى وعوقها عن سيرها حتى قدمت العير قبل غروبها انتهى.
وقال ابن سلطان في شرح الشفا في تفسير حبست أي ببطء حركتها وقيل توقفت وقيل ردت كما تقدم انتهى
الناظم مشى على هذا القول الأخير في كلام ابن سلطان ويقدر لكلامه حبست إذ لا يشترط تقدير العامل بعد العاطف كما قال ناظم التسهيل:
لم يشترط تقديرنا ما يعمل   من بعد عاطف
وقوله أشرفت أي قامت على شرف وهو المكان المرتفع لتنظر العير قادمة أم لا وولى النهار أدبر بمقاربة الغروب وقال الزرقاني وعورض هذا بما ورد واقتصر عليه البيضاوي والزمخشري أنه عليه السلام قال يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخططتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس فخرجوا ينتظرون طلوعها فقال قائل منهم هذه الشمس قد

طلعت وقال آخر هذه الإبل قد طلعت يقدمها إلخ.. فقالوا ان هذا إلا سحر مبين.
وعند ابن أبي حاتم فلما كان ذلك اليوم الذي قال انهم ياتون فيه أشرف الناس ينتظرون حتى إذا كان قرب نصف النهار أقبلت العير يقدمها ذلك الجمل كما وصف صلى الله تعالى عليه وسلم ولا معارضة لأنه مر بعيرين بل بثلاثة، وكأن إحداهما تأخرت. روى ابن مردويه والطبراني عن أم هانئ قالوا أخبرنا عن عيرنا قال أتيت على عير لبني فلان بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت إلي رحالهم فليس بها منهم أحد وإذا قدح ماء فشربت منه ثم انتهيت إلي عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان: غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت إلى عير بني فلان بالتنعيم يقدمهم جمل أورق عليه مسح أسود وعليه غرارتان سوداوان (الحديث) انتهى.
وذكروا أيضا أن الشمس حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق وتعقب بأن الثابت في الصحيح أنه عليه السلام صلي العصر في وقعة الخندق بعدما غربت الشمس وأجيب بأنه كان في يوم آخر إذ وقعة الخندق كانت أياما انتهى المراد من كلام الزرقاني. **(وإذ)** معمول اذكر محذوفا (أتى الفجار) يعني كفار قريش **(نحو الباب)** أي داره التي هو فيها صلى الله تعالى عليه وسلم **(لقتله)** أي لأجل قتله صلى الله تعالى عليه وسلم والعامل فيه أتى وذلك حين أراد الهجرة فعلموا أنه أجمع لحربهم فتشاوروا فيما يفعلون به فأشار إليهم اللعين أبو جهل بأن ياخذوا من كل بطن من قريش رجلا فيقتلوه دفعة ليتفرق دمه في قريش ووافقه اللعين إبليس على الرأي كما مر مستوفى في الكلام على الهجرة فأتاه جبريل فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه صلى الله تعالى عليه وسلم يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه فلما رءا صلى الله تعالى عليه وسلم مكانهم أمر عليا أن ينام مكانه وقال تسبح برداءي هذا

الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه ثم خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من الباب ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده فما ترك رجلا منهم إلا ووضع على رأسه ترابا. وعند ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم كما في المواهب فما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل ببدر كافرا. وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

(فقام) صلى الله تعالى عليه وسلم **(بالتراب)** الذي كان بيده عليه السلام وهو يتلو على ما في المواهب قوله: يس إلى قوله تعالى: فأغشيناهم فهم لا يبصرون. **(وذره)** أي التراب، أي فرقه، **(على رؤوس القوم)** الذين كانوا يريدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم **(فسقطت أذقانهم)** جمع ذقن بالتحريك وهو مجمع اللحيين، **(بالنوم)** أي بسببه ثم انصرف عليه السلام حيث أراد فلم يره أحد منهم. وروى أحمد بإسناد حسن أنه خرج حتى لحق بغار ثور وفي البيضاوي فبيت عليا على مضجعه وخرج مع أبي بكر الى الغار انتهى. وروي ان القوم أتاهم آت ممن لم يكن معه فقال ما تنتظرون ها هنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا هو عليه تراب، **(وقال)** عليه السلام **(شاهت الوجوه)** أي قبحت، **(ودعا)** عليهم، **(فمن أصابه ببدر صرعا)** أي فكل من أصابه ذلك التراب صرع أي قتل ببدر كافرا والعياذ بالله تعالى. وفي العيون في عدد المعجزات: وإن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال شاهت الوجوه وحصبهم فما أصاب رجلا منهم بشيء من الحصباء إلا قتل يوم بدر انتهى منه.

<u>**تنبيه:**</u>

قد مر عن المواهب أنه عليه السلام تلا عند خروجه يس، قال الزرقاني عن السهيلي يؤخذ منه أن من أراد النجاة من ظالم أو أراد الدخول عليه

يتلو هذه الآيات وقد روي في فضل يس مرفوعا أن من قرأها خائف أمن أو جائع أشبع أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي انتهى. وفي الشفا ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش اجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم أي حجبها عن رؤيته **وذر التراب أي** فرقه ونثره على رؤوسهم وخلص منهم. قوله ومنه **أي** ومن قبل أخذ الله أبصار الأعداء وبيتوه بشد التحتية أي دبروه ليلا ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة، قال الحلبي وكانوا مائة ومعنى خلص نجا من غير أن يصيبه شيء وفي رواية أنه خرج من ظهر البيت طأطأت له جارية اسمها مارية خادمته عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدران الذي للبيت من ظهره **قاله على القارئ.** وللعراقي:

كذا التراب في رؤوس القوم قد وضعه ولم يره منهم أحد

والقوم كفار قريش وذلك لما أراد الهجرة فاجتمعوا ببابه فأخذ كل منهم سيفا ليضربوه ضربة رجل واحد فخرج عليهم ووضع التراب على رؤوسهم ولم يره منهم أحد قاله المناوي.

(وفي حنين إذ رمى الأقواما بقبضة فانهزموا انهزاما)

قوله في حنين متعلق برمى بعده وإذ معمول لأذكر محذوفا أي وأذكر من معجزاته صلى الله عليه وسلم إذ رمى جيوش الكفار على كثرتهم في غزوة حنين بقبضة من التراب بضم القاف وتفتح بمعنى مقبوضة كما في ابن سلطان وفي رواية تناول حصيات وفي رواية أخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق أحد منهم إلا امتلأت عينه وفمه ترابا، فولى المشركون الأدبار وانهزموا انهزاما شديدا وروي أن الكفار كانوا نحو ثلاثين ألفا ووصول تلك الحصيات الى كل واحد من هذه الألوف حتى هزمتهم وشتت شملهم من أعظم المعجزات. قال المناوي وهو أبهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها حبال السحرة انتهى. وللعراقي رحمه الله تعالى:

والجيش في يوم حنين إذ رموا منه بقبضة ترابا هزموا
وأنزل الله به كتابا وامتلأت أعينهم ترابا
وترابا تمييز وقوله به أي في شأن الرمي فقال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى قاله المناوي وما ذكر من أن الآية نزلت في شأن الرمي يوم حنين غير متفق عليه قال ابن جزي في تفسير هذه الآية كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب أوحصى ورمى بها في وجوه الكفار فانهزموا فمعنى الآية أن ذلك من الله في الحقيقة انتهى.
وقال الثعالبي في تفسيرها روي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ يومئذ ثلاث قبضاة من حصى أو تراب فرمى بها في وجوه القوم فهزموا عند آخر رمية ويروى أنه قال يوم بدر شاهت الوجوه وهذه الفعلة أيضا كانت يوم حنين بلا خلاف انتهى وقال الخازن بعد كلام في تفسيرها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى عليه تراب فرمى في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم فذلك قوله عز وجل وما رميت (الآية) انتهى. واقتصر على أن هذا يوم بدر كما يعلم بالوقوف عليه انتهى. وكلام المفسرين هذا من الريان تفسير الوالد حفظه الله تعالى:
(وفي حمام الغار والعناكب حاكت وباضت أبدع العجائب)
قوله أبدع أفعل تفضيل وهو مبتدأ وخبره المجرور قبله والبدعة في اللغة ما فعل على غير مثال قال تعالى: {قل ما كنت بدعا من الرسل} والعناكب جمع عنكبوت وحاكت أي نسجت راجع للعناكب، وباضت أي ألقت بيضها راجع للحمام وباضت وحاكت الظاهر أنهما بدل اشتمال مما قبلهما بتقديران يعني وفي بيض الحمام على الغار ونسج العنكبوت على فمه مع ان فيه المصطفى صلي الله تعالى عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله تعالى عنه معجزات لم يقع مثلها قبلهما، وذلك من أعظم

الأمور التي يتعجب منها لأنها لم تكن مألوفة لأن هذين الحيوانين متوحشان لا يالفان معمورا فمهما أحسا بإنسان فرا منه وروي أن المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا إلي بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام، وروي أن بعض قريش قال لهم ادخلوا الغار فقال أمية ابن خلف وما أربكم إلي الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد، وروي أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيتا بالنسل وحمايته في الحرم وفي المثل آمن من حمام الحرم والعنكبوت دويبة تنسج في الهواء واستعمال الحوك في فعلها مجاز لما بينهما من المشابهة وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل انه عليه الصلاة والسلام لما دخل هو وأبو بكر الغار أنبت الله على بابه الراءة وهي بالراء المهملة والمد والهمز أم غيلان، ضرب من العضاه وعن الدنيوي انها تكون مثل قامة الإنسان لها زهر أبيض تحشى به المخاد كالريش في الخفة واللين وما أحسن قول صاحب البردة:

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

وتنسج بفتح التاء وكسر السين وضمها أي العنكبوت ولم تحم أي الحمام ففيه لف ونشر مقلوب وقوله وقاية الله إلخ. أي حفظه لحبيبه بهذين الضعيفين جدا من عدوه مع شدة بأسه كفت عن الدروع المضاعفة وهي المنسوجة حلقتين حلقتين وعن العالي من الأطم بضمتين وهي الحصون التي يتحصن فيها. وقال أيضا في لاميته:

وا غيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبي معمور ومأهول

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد ءاواهما غيل

وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فيا حبذا نسج وتجليل

عناية ضل كيد المشركين بها وما مكائدهم إلا الأضاليل

إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها حول

قوله كمثل قلبي صفة مصدر محذوف أي تعميرا وتهويلا كتعمير وتأهيل قلبي، والغيل بكسر المعجمة الشجر الكثير الملتف والعناية بكسر العين وفتحها. وجلل بجيم غطى، ووهن ضعف، وقوله ينظرون أي إلي الحمام وبيضه ونسج العنكبوت انتهى من الزرقاني. والنسج بفتح النون بمعنى المنسوج قاله السجلماسي في شرح الهمزية وقوله فيما مر ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد، رواية الشفا أن أبيا قال ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى انه قبل ان يوجد محمد.

(وإذا رأى سراقة الهلاكا بك استغاث فنجا هناكا)

سراقة هو ابن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين بينهما مهملة ساكنة ثم ميم ونقل النووي في التهذيب والبرهان في النور فيه فتح الجيم والشين وهو من بني مدلج بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام ابن مرة بن عبد مناة بن كنانة أسلم بالجعرانية، منصرفه عليه السلام من الطائف قاله الزرقاني والخطاب في البيت للنبي صلى الله عليه وسلم لحضوره في الذهن أي وإذ عاين وتيقن سراقة الهلاك حين أراد المكر بك يا رسول الله استغاث بك أي طلب منك أن تغيثه أي تخلصه من الهلاك الذي عاينه فدعوت له فنجا أي خلص مما كان خافه وهناك الأقرب فيها أنها للزمان هنا نحو هنالك ابتلي المؤمنون أي نجا تلك الساعة وأشار بهذا الى القصة المتقدمة في الهجرة. قال في الشفا قصته حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه وأتبعه حتى إذا قرب دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبي وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فقال للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم: أتينا. فقال لا تحزن إن الله معنا، فساخت ثانية إلي ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره صلى الله

تعالى عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. قوله الهجرة بكسر الهاء وقال التلمساني بفتح أو كسر قوله جعلت قريش فيه قال السهيلي بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وأنذر بالبناء للمجهول أي أعلم سراقة به أي بتوجهه عليه السلام إلى المدينة وساخت بالخاء المعجمة أي غاصت وغابت والأزلام جمع زلم بفتحتين أو بضم ففتح وهي سهام لا ريش بها ولا نصل يكتب على أحدها افعل وعلى آخر لا تفعل، وغيرهما مغفل وكان محلها داخل الكعبة وكان بعضهم يضعها في متاعه وجعبته فإذا عرض له مهم أخرج سهما فإن خرج افعل، فعل أو لا تفعل ترك وإن خرج المغفل اعاد العمل وقيل المكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الثاني نهاني والثالث غفل لا شيء عليه وأصل معنى استقسم ضرب بها لإخراج ما قسم الله له من أمره ونهيه، قاله ابن سلطان.

وفي البخاري أن قريشا جعلوا دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره وللاسماعيلي ان سراقة لما نجا قال هذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك تمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا وخذ منهما حاجتك فقال لا حاجة لنا في إبلك وفي رواية أن سراقة قال يا نبي الله مرني بما شئت قال فقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له رواه البخاري. وقوله مسلحة أي حارسا له بسلاحه. ولابن عقبة وابن اسحاق عن سراقة فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين خرجت للقائه ومعي الكتاب فألقيته بالجعرانة فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر، ادن، فدنوت منه وأسلمت، انتهى.

ولما بلغ أبا جهل أمر سراقة لامه على تركهم فقال:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمدا ... نبي ببرهان فمن ذا يقاومه

عليك بكف القـوم عنه فـإنني أرى أمـره يومـا سـتبـدوا مـعالمه
وروي انه عليه السلام قال له يوم لحقهما في الهجرة كيف بك إذا لبست سواري كسرى فعجب من ذلك فلما أوتي بها عمر وبتاجه ومنطقته دعا سراقة فألبسه السوارين وقال ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك، إعرابيا من بني مدلج. ورفع عمرو صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين انظر الزرقاني.
(ودرت الألبان)أي كثرت **(إذ)** أي حين **(مسحتا)** بيدك المباركة على **(ضروع من شياه)** لا لبن لها، **(شتى)** جمع شتيت بمعنى متفرق نعت لشياه، يعني أن ذلك وقع معجزة له عليه السلام غيرما مرة، والمسح كالمنع امرار اليد على الشيء ومثل الناظم رحمه الله تعالى لما ذكر من درور الألبان بثلاثة أمثلة أولها أشار له بقوله **(كشاة عبد الله)** بن مسعود الهذلي القديم الإسلام من علماء الصحابة وقال فيه المصطفى عليه السلام رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وكانت حائلا لا لبن لها ولم ينز بفتح الياء وسكون النون وضم الزاي أي لم يثب ولم يعل عليها فحل للضراب فدرت وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود قاله ابن سلطان **(والمقداد)** أي وشاة المقداد وكانت حائلا لا لبن لها وهي في صحيح مسلم، قال ابن سلطان وقصة شاة المقداد مختصرة ما روي عنه قال أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهب أسماعنا وأبصارنا من الجهد يعني الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي فانطلق بنا إلي أهله فإذا ثلاث أعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا، فكنا نحلب فكان يشرب كل انسان نصيبه ونرفع للنبي نصيبه فيجيء من الليل فيشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة ان نبي الله ياتي الأنصار فيتحفونه ما به حاجة إلي هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على ما فعلت خشية أنه إذا جاء فلم يجده يدعو علي فأهلك وجعل لا يجيء النوم وأما صاحباي فناما فجاء صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيئا فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من أطعمني

واسق من سقاني قال فأخذت الشفرة وانطلقت إلى الأعنز أيتها أسمن أذبحها له فإذا هي حفل كلهن فعمدت إلي إناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به إليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الأرض، فقال أفدني سوأتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فما هي؟ قال فقلت يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذه إلا رحمة من الله ، انتهى كلامه.

(وأم معبد) أي وشاة أم معبد وتقدمت قصتها في الهجرة مبسوطة، واختصارها أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مر هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ومعهم دليلهم عبد الله بن الأريقط وهو على الكفر على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية بقديد وكانوا مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال عليه السلام أتاذنين لي أن أحلبها؟ قالت نعم. فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت وحلب وسقى القوم حتى رووا، وشرب هو آخرهم الحديث. وشاة أم معبد أختلف فيها هل هي عنز أو نعجة والأصح أنها نعجة بيضاء نقله حماد في شرع كتاب الأنساب عن السهيلي.

(من الأفراد) الظاهر أنه خبر مبتدإ محذوف أي وهذه المعجزات من الأفراد جمع فرد وهو الذي لا نظير له، وفسرها بعضهم بقوله: أي الأشخاص الذين وقع ذلك في شياههم والله تعالى أعلم. وفي الشفا ومنه أي من هذا النوع بركته في درور الشياه الحوافل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد انتهى. قال ابن سلطان في شرحه وكلها كانت مثل شاة أم معبد ودرت ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم،. وقوله الحوائل بالهمز جمع الحائلة وهي الشاة العديمة اللبن. ومعاوية بن ثور وفد على النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له ومسح رأسه وأعطاه أعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية في أبيه:

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات

انتهى. وفي شرح صلاة ربي للشيخ اليدالي أنه عليه السلام اجتاز هو وأبو بكر بعبد يرعى غنما فاستقياه لبنا فأتاهما بشاة لا لبن فيها وحلبها، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد أن دعى فسقى أبا بكر ثم الراعي ثم شرب، وهذا محمول على علم سيد العبد مع ظن رضاه والجواب بأنه مال حربي لا يصح لأن هذا قبل مشروعية الجهاد. انتهى.

(وكم من الأعيان قلبه انجلى بلمس يمناك بمشهد الملا)

كم هنا تكثيرية وهي مبتدأ ومن الأعيان مميزها وقلبه مبتدأ وانجلى خبره والجملة خبر كم والباء في بلمس سببية، والملا جماعة الأشراف أي ومن معجزاتك يا رسول الله أن كثيرا من الأشياء انقلبت عينه أي تحولت ذاته بسبب لمس يدك المباركة وحضر ذلك جماعة أصحابك الأشراف ونقلوه لمن بعدهم جزاهم الله أحسن الجزاء ومثل لذلك بقوله:

كـئاية العرجون إذ أضاء لولد النعمان في سوداء

العرجون بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو أصل العرق الذي يعوج وينعطف ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله العذق مطلقا قاله ابن سلطان.

وقال الزرقاني أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى يابسا على النخل.، سمي بذلك لانعراجه وانعطافه. ونونه زائدة انتهى.

والنعمان بضم النون ويعني بولده قتادة بفتح القاف الأوسي البدري صاحب العين التي ردها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقوله في سوداء نعت لمحذوف أي في ليلة سوداء أي مظلمة **(مطيرة)** فعيلة بمعنى فاعلة واسناد المطر إليها مجاز ولا يقال أنها بمعنى مفعولة أي ممطور فيها لوجود الهاء قاله الزرقاني.

(عشوا) بالقصر أي صاحبها أعشا فلا يبصر فيها لظلمتها. وقوله **(إلى أن ولجا)** غاية لقوله أضاء ومعنى ولج دخل ومفعوله محذوف تقديره بيته. **(فضرب الشيطان حتى خرجا)** وكان يراه علي غير صورته

والمعنى أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما رواه أحمد بسند صحيح كما في ابن سلطان أن قتادة بن النعمان صلى معه صلى الله تعالى عليه وسلم، العشاء في ليلة مظلمة مطيرة فأعطاه عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا، أي من الأذرع ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان. فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج ونسبه في المواهب لأبي نعيم قال الزرقاني والمخرج هذه القصة الطبراني وقال انه كان في صورة قنفذ قال وأخرج أحمد عن أبي سعيد قال هاجت السماء فخرج النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، لصلاة العشاء فبرقت برقة فرأى قتادة فقال ما السري يا قتادة؟ قال يا رسول الله إن شاهد العشاء قليل، فأحببت أن أشهدها. قال إذا صليت فات فلما انصرف اعطاه عرجونا فقال خذ هذا فسيضيء لك فإذا دخلت البيت ورأيت سوادا في زاوية البيت فاضربه قبل أن تتكلم فإنه شيطان انتهى. وقوله سوادا أي جسما ذا سواد. ومراد الناظم بقلب العين هنا تحول عرض العرجون إلى كونه ضوءا ولم يذكره ابن سلطان ولا الزرقاني في انقلاب الأعيان وإنما ذكر ذلك من رأيت في جذل عكاشة ونحوه ويأتي إن شاء الله. قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه ومما يناسب إضاءة العرجون إضاءة العصى لعباد بن بشر وأسيد بن حضير وإضاءة أصابع حمزة بن عمرو الأسلمي حتى جمعوا على ضوء أصابعه ركابهم وما سقط من متاعهم وكان كل مما ذكر في ليل شديد الظلمة وقد نظمت ذلك في ثلاثة أبيات فقلت:

(ولابن بشر وأسيد ابن حضير	**ضوء العصا كمثل مصباح منير**
كذا أصابع ابن عمرو الأسلمي	**حمزة ضوءها بدا في الظلم**
حتى ركابهم عليها جمعوا	**وعزو هذا للبخاري يسمع)**

ابن بشر هو عباد بن بشر بن وقش بفتح الواو أسلم قبل الهجرة وشهد بدرا وأبلى في اليمامة بلاء حسنا واستشهد بها وأسيد بضم الهمزة

وحضير بضم المهملة ابن سماك وهما أوسيان أشهليان وروى البخاري في تاريخه عن عائشة قالت ثلاثة من الأنصار لم يكن أحدا يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر، انتهى.
وقصتهما باختصار انهما كانا عند النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل منهما عصى فأضاءت لهما عصى أحدهما فمشيا في ضوئها، اكراما لهما ببركة نبيهما، آية له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإظهار السر.
قوله عليه السلام بشر المشايين في الظلم إلي المساجد بالنور التام يوم القيامة، رواه أبو داوود وغيره. وادخر لهما يوم القيامة ما هو أعظم وأتم من ذلك، قاله الزرقاني. قال في المواهب حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه أي مقصده. وفي رواية ومعهما مثل المصباحين وقولي كذا أصابع ابن عمرو هو حمزة بحاء مهملة ابن عمرو بن عويمر بن الحارث بن سعد الأسلمي صحابي جليل، كان يسرد الصوم أخرج البخاري في تاريخه عنه قال كنا مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وان أصابعي لتنير قاله في المواهب وساقه الشامي بلفظ وما سقط من متاعهم. وتنير بضم التاء أي تضيء، انتهى من الزرقاني. وساق هاتين القصتين في المواهب عقب قصة العرجون.

(والجذل لابن محصن ببدر دفعته (...))
الجذل بكسر الجيم ويفتح وسكون ذال معجمة أي أصل شجرة والمراد به هنا عود وقيل هو الخشبة الغليظة ومحصن كمنبر وابنه هو عكاشة الأسدي البدري وهو بضم المهملة وشد الكاف وتخفيفها، انظر ابن سلطان، والجذل الأرجح رفعه على الابتداء وخبره دفعته ويتعلق به المجروران، **(فعاد)** هو أي الجذل أي صار ببركته، صلى الله تعالى عليه

وسلم، **(سيفا)** خبر عاد، **(يفري)** بفتح التحتية أي يقطع صفة لقوله سيفا أي فصار في يده سيفا قاطعا يعني أن من قلب الأعيان معجزة له، صلى الله تعالى عليه وسلم،ما رواه البيهقي من أنه عليه السلام دفع لعكاشة بن محصن حين انكسر سيفه يوم بدر جذل حطب وقال له اضرب به فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض أي بريق اللمعان شديد المتن من المتانة وهي القوة أو قوي الظهر فإن المتن هو أصل الشيء الذي به قوامه بمنزلة الظهر للأعضاء، قاله علي القارئ.

(ولم يزل) ذلك السيف، **(لديه)** أي لدى عكاشة أي عنده يشهد به المواقف **(حتى استشهدا)** بالبناء للمجهول في قتال أهل الردة، **(عونا)** أي معينا له على القتال، وفيه إيماء الى اسمه فإنه كان يسمى العون، **(به)** يتعلق بقوله **(يضرب أعناق)** جمع عنق وهو الجيد **(العدا)** بكسر العين وضمها جمع عدو، **(وإذ دفعت)** يا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لابن جحش)** بفتح الجيم وسكون المهملة يعني بابن جحش عبد الله البدري المجدع في الله وهو بن أسد خزيمة **(بأحد)** بضمتين أي في يوم أحد **عسيب نخل** العسيب كأمير، قال في ابن سلطان في تفسيره أي جريدة منه، مما لا خوص عليه وما نبت عليه الخوص فهو سعف، والخوص الأوراق انتهى منه.

وفي القاموس والعسيب جريدة من النخل مشتقة من دقيقة يكشط خوصها والذي لم ينبت عليه الخوص من السعف **فعدا** اسمها عائد على العسيب وخبرها قوله **سيفا** أي صار سيفا **يجد** بفتح فضم جيم أي يقطع والمعنى أن من انقلاب الأعيان معجزة له عليه السلام أنه دفع جريدة من النخل لعبد الله بن جحش يوم أحد فصار في يده سيفا قاطعا كما رواه البيهقي. قال مؤلفه سمح الله تعالى له ومما يناسب هذا من انقلاب الأعيان ما نقله ابن سلطان على القارئ شارح الشفا انه عليه السلام أعطى سلمة بن أسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان في يده فإذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد. وقد نظمت ذلك فقلت:

(أعطى قضيبا يوم بدر سلمه أعني ابن أسلم نبي المرحمه)
وذا القضيب من عراجين ابن طاب فصار سيفا صارما بلا ارتياب
وقولي نبي فاعل أعطى وابن طاب نخل بالمدينة كما في القاموس انتهى. وقال الناظم نفعنا الله تعالى ببركته وجمعنا وإياه في جنته:

(والماء قد زودت قوما رفدا فعاد أيضا لبنا وزبدا)
يشير به إلى ما في الشفا للقاضي عياض ونصه ومن ذلك تزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبده في فمه، انتهى منه. السقاء بكسر أوله وأوكاه ربط وكاءه، وأوكاه ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء وقوله فإذا به وفي نسخة فإذا هو لبن وقوله في فمه في نسخة، في فيه انتهى من ابن سلطان. وما في الشرح المعزو للمامون من ان القاضي عياض لم يذكر هذه القصة في الشفا فيه نظر ولعلها خرجت من النسخة التي بيده والله تعالى أعلم، قاله جامعه. وقول الناظم الماء منصوب بزودت بعده، والرفد بالكسر العطاء وهو منصوب على الحال وزبدا بضم الزاء المعجمة والمعنى ومن قلب الأعيان معجزة لك يا رسول الله، الماء الذي قد جعلته زادا لبعض أصحابك فانقلبت عينه لبنا طيبا وزادا وعاد كصار معنى وعملا.
(وأخبرتك الشاة بعد الشي بأنها سمت فداك حي)
سمت بضم السين جعل فيها سم بتثليث السين جعلت فيها زينب بنت الحارث اليهودية سما قاتلا لوقته، اجتمعت لها اليهود على ذلك السم بعينه فسمت الشاة جميعا وأكثرت السم في الكتف والذراع لأنهما بلغها أنه عليه السلام يحبهما وهي زوجة سلام بالتشديد ابن مشكم وقد يخفف كما مرّ ولما أهدتها له عليه السلام ومعه ناس من أصحابه تناول عليه السلام الكتف على ما في المناوي ولما ازدرد منه لقمة قال ان هذا الكتف يخبرني أنه مسموم وفي رواية غيره أن الذراع هو الذي أخبره وذلك بعد ما أكل منها بشر بن البراء فمات وهل مات في الحال أو بعد

سنة فقتلت به وقيل أنها لم تقتل وجمع بأنها لم تقتل أولا ولما مات أسلمها لأوليائه فقتلوها وقال الزهري تركت لأنها أسلمت وقالت استبان لي أنك صادق وهي اخت مرحب وروي أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لها ما حملك على هذا؟ قالت إن كنت نبيا لن يضرك وإن كنت ملكا أرحت الناس منك. فاحتجم عليه السلام على كاهله وقال في وجعه الذي توفي فيه مازالت أكلة خيبر تعاودني فالآن قطعت ابهري والعداد بالكسر اهتياج وجع اللديغ بعد سنة قال الشاعر:

ألا قي من تذكر ءال ليلى   كما يلقى السليم من العداد

وعلي هذا فهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، شهيد مع ما أكرم به من النبوءة، نقله اليدالي. وقد تقدمت هذه القصة في خيبر. وفي المناوي وعاش عليه السلام بعد ذلك أربع سنين، وفي رواية أنها أسلمت وعفا عنها وفي رواية أنه قتلها. وجمع البيهقي بأنه تركها لأنه لا ينتقم لنفسه ثم قتلها وليه قصاصا ويحتمل أنه قتلها لنقضها العهد بما فعلته. وفي رواية أنه صلبها انتهى كلامه.

(والطفل في المهد بتصديقك يا   أزكى الورى قد فاه فيما رويا)

المهد الموضع يهيأ للصبي ويوطأ والطفل مبتدأ وخبره فاه أي نطق ويتعلق به المجروران قبله والورى العباد وأزكاهم معناه أطهرهم وتقرير البيت أن نقول ومن معجزاتك يا أطهر العباد أن الطفل تكلم في المهد بتصديقك فيما روي أي نقل وأشار بهذا إلى ما رواه البيهقي وغيره عن معرض بن معيقيب اليماني قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ورأيت منه عجبا، جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، وقد لفه في خرقة وقال له رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يا غلام من أنا؟ قال أنت رسول الله. قال صدقت بارك الله فيك. ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب، فكنا نسميه مبارك اليمامة. ومعرض بضم الميم وفتح المهملة وكسر الراء المشددة ثم ضاد معجمة كما في الإصابة وفي التلمساني وغيره اسم فاعل من أعرض وروي بكسر أوله كأنه آلة وفي

الشفا انه يعرف بحديث شاصونة اسم راويه وهو بشين معجمة وألف وصاد مهملة وواو ساكنة ونون وله طرق وغاية ما يفيده تعدد طرقه أنه ضعيف لزوال ما كان يخشى أنه من وضع الكريمي. أما الحسن فمن أين له ومداره على ثلاثة مجاهيل شاصونة وشيخه وشيخ شيخه قاله الزرقاني في شرح المواهب. وقوله ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب أي بلغ زمن التلكم، قاله على القارئ في شرح الشفا. قال هذا الشارح ويناسب هذا شهادة الأخرس له عليه السلام بالرسالة كما في الشفا والمواهب عن البيهقي وقد نظمته معزوا له فقلت:

(وبرسالتك الأخرس شهد وعزوه للبيهقي قد عهد)

أي عرف ولفظ المواهب. وعن فهد بن عطية أن النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط وقال من أنا؟ فقال أنت رسول الله، ونحوه في الشفا. وفهد بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفي نسخة وراء مهملة قال في المنتقى ولا أعرف بدال ولا براء والذي في البيهقي أنه عن شمر بن عطية انتهى. وهو كما قال إذ ليس في الصحابة من اسمه ذلك لا بدال ولا براء. وإنما هو شمر بكسر المعجمة وسكون الميم وراء بلا نقط ابن عطية الأسدي الكاهلي صدوق من أتباع التابعين قاله الزرقاني. وفي ابن سلطان ولعله تصحيف وإنما روى البيهقي عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم آخره راء انتهى منه.

وقوله قد شب أي كبر وصار شابا قاله الشارحان الماران آنفا. قال الزرقاني فأنطقه الله بعدما كان أبكم، فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق انتهى. ثم ذكر الناظم رحمه الله تعالى شهادة الجمادات والبهائم له بالرسالة فقال:

(وكم جمادات وعجماوات فاهت بتصديقك في أيات)

كم للتكثير والجماد ما لا روح فيه والعجماء البهيمة أي ومن معجزاتك صلى الله تعالى عليك وسلم أن كثيرا من الجمادات والحيوانات قد نطقت بتصديقك. وقوله في آيات، في بمعنى مع، أي مع معجزات أخر

دالة على صدقك وقعت في الجمادات والحيوانات غير الشهادة بالرسالة كتسبيح الحصا والطعام بيدك الشريفة وطاعة الراجي له وسجود الجمل وشكواه إليه والله تعالى أعلم.

فمن شهادة الجماد له بالرسالة أن قريشا لما طلبته عليه السلام حين خرج عليه السلام مهاجرا وكان قد صعد ثبيرا فقال له ثبير اهبط يا رسول الله إني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله تعالى. وقال له حراء إلي يا رسول الله بتشديد الياء أي إئت أواقبل. وقال عليه السلام لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وعن علي قال كنت مع النبي في ابتداء النبوءة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل أي حجر كما في ابن سلطان ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وروى الحاكم بإسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، في سفر فأقبل إعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أين تريد؟ قال إلى أهلي. قال هل لك إلى خير؟ قال وما هو؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. قال هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هذه الشجرة. وفي رواية هذه السمرة. فدعاها، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت إلى منبتها ورجع الإعرابي إلي قومه وقال يا رسول الله إن يتبعوني آتيك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك.

وقوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة أي تشق والسمرة بفتح المهملة وضم الميم شجرة عظيمة ذات شوك من الطلح، وجمعها بفتح السين وضم الميم وسكونها ومنبتها بفتح الموحدة قياسا وكسرها سماعا. قاله الزرقاني.

وأما شهادة الحيوانات له فمنها قصة الذئب ولها طرق من حديث أبي سعيد وأنس وأبي هريرة وابن عمرو فحديث أبي سعيد رواه أحمد

والترمذي والحاكم وصححاه، قال أبو سعيد عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه، وقال ألا تتقي الله تعالى تنزع مني رزقا ساقه الله تعالي إلي. فقال الراعي يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس. فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما سبق. وفي طريق ألا أخبرك بأعجب من كلامي؟! رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبإ ما سبق وما يكون. وفي لفظ يدعو الناس إلي الهدى وإلي الحق وهم يكذبونه. قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلي زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخبره وقد اختلف في مكلم الذئب فقيل أهبان بن أوس وقيل سلمة بن الأكوع، وكان ذلك سبب إسلامه، وقيل أهبان بن الأكوع الأسلمي عم سلمة وقيل أهبان بن الأكوع الخزاعي وقيل رافع بن عميرة وقال ابن عبد البر، كلم الذئب ثلاثة من الصحابة: رافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس، قاله الزرقاني. وأما حديث أنس فرواه أبو نعيم بنحوه وأما حديث أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور عنه قال أبو هريرة جاء الذئب فاقعى بين يدي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجعل يبصبص بذنبه أي يحركه فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا. قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فأدبر الذيب وله عواء (الحديث). وروى ابن وهب أن أبآ سفيان بن حرب وصفوان بن أمية قبل إسلامهما رأيا ذئبا وجد ظبيا فجرى خلفه لياخذه فدخل الظبي الحرم فانصرف عنه فعجبا من ذلك. فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلي الجنة وتدعونه إلي النار. فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة أي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في أهلها. وقيل معناه خالية بأن يسلم أهلها ويهاجروا قاله الزرقاني.

وروى الطبراني والبيهقي وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي عن ابن عمر واللفظ للطبراني أن النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان في محفل من أصحابه إذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا فقال على من هؤلاء الجماعة؟ فقالوا على هذا الذي يزعم أنه نبي. فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك، فلولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك ولسررت الناس بقتلك أجمعين. فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله. فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا؟! ثم أقبل الاعرابي على رسول الله فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال من تعبد؟ قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيئين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك. فأسلم الإعرابي. وفي آخر الحديث فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي وقد طعن في هذا الحديث بالضعف وقد رواه الأيمة الكبار. وأما تسبيح الطعام والحصى ففي البخاري عن ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.. وفي الترمذي عنه كنا نأكل مع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، الطعام ونحن نسمع تسبيحه. وفي ابن عساكر عن انس أخذ النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن. وفي البزار والطبراني والبيهقي عن أبي ذر انهن سبحن في كف عثمان انظر الشفا وشرح القاري عليه وأما طاعة الداجر له فعن عائشة قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، جاء

وذهب وأما سجود الجمل له فعن أنس قال كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه أي يسقون وانه استصعب عليهم ومنعهم ظهره وان الأنصار جاؤا إلي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالوا إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى، صلى الله تعالى عليه وسلم، نحوه فقالت الأنصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب، الكلب وإنا نخاف عليك صولته فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل إلي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ، صلى الله تعالى عليه وسلم، بناصيته أذل ما كان قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نفعل، فنحن أحق بالسجود لك فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يصح لبشر أن يسجد لبشر، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها انتهى. ونسني بالنون أي نسقي والكلب الحيوان المعروف والكلب بفتح فكسر صفة له، أي الذي أصابه كالجنون من أكل لحم الإنسان ونحوه وخر ساجدا أي واضعا مشفره بالأرض باركا والحائط البستان وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ مررنا ببعير يسنى عليه أي يسقى عليه فلما رآه البعير جرجر فوضع جيرانه بالأرض وجرجر بجيمين وراءين صوت كثيرا بشدة وردد ذلك لكن بالصوت المعتاد للإبل على المتبادر وفهم عليه السلام من جرجرته شكواه كما قاله في آخر الحديث فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه. والجران بكسر الجيم فراء مهملة فألف فنون مقدم عنق البعير من مذبحه إلي منحره، انظر المواهب وشرحها. وفي الشفا في حديث الجمل كان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، دعاه فوضع مشفره على الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء

والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس أي إلا كافر الثقلين، ومشفره بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء فراء أي شفته وبرك بتخفيف الراء أي ناخ، وفي رواية أنه عليه السلام قال لهم إنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره. فقالوا نعم. قال بئس الجزاء. وروى أحمد والبزار بسند صحيح عن أنس دخل النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها! قوله فسجدت له الظاهر أن سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام قاله شارحه ابن سلطان. وفي الزرقاني عن البيهقي عن جابر في قصة الجمل أنه عليه السلام قال فما شأنه؟قالوا سنونا عليه عشرين سنة فلما كبر سنه أردنا نحره فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، تبيعونه؟ قالوا هو لك يا رسول الله. فقال احسنوا عليه حتى ياتي أجله انتهى.

(وقبضة التمر التي قد أطعما منها جميع الجيش وهي نحو ما كانت بل أربى منه ...)

القبضة بالضم وتفتح ملؤ الكف بمعنى مقبوضة قال ابن سلطان مأخوذة من القبض وهو الأخذ بجميع الكف وفي القاموس القبضة وضمه أكثر ما قبضت عليه من شيء انتهى. وقوله قبضة مبتدأ خبره محذوف أي ومن معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ملء كف من التمر أطعم به جيشا كله حتى شبعوا وبقي نحو ما كان قبل أكلهم بل أربى أي أزيد وأكثر مما كان. فقوله نحو بالرفع خبر قوله وهي بسكون الهاء أي قدرما كانت وأشار بهذا إلي ما في الشفا عن أبي هريرة قال أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هل من شيء؟ قلت نعم؛ شيء من التمر في المزود. قال فاتيني به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به

(الحديث). وتاتي بقيته بعد قوله **(بل قد أنفقا من ذلك التمر ابن صخرا وسقا ولم يزل لديه)** أي لدى أبى هريرة يأكل منه. ويطعم حياة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وحياة أبي بكر وعمر وعثمان إلي أن قتل عثمان عام خمس وثلاثين فاستلب منه كما أشار له بقوله **(حتى انتهبا)** بالبناء للمجهول أي سلب منه. **(مقتل)** مصدر نائب عن ظرف الزمان أي وقت مقتل **(ذي النورين)** و هو عثمان بن عفان لقب بذلك لتزويجه بنتي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما مر مع زيادة **(فيما انتهبا)** من الأموال وتمام القصة وقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأبي بكر وعمر وعثمان إلي أن قتل عثمان فانتهب مني. فذهب. وفي رواية لقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز وجل. وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة انتهى كلام الشفا.

وقوله في أوله: هل من شيء؟ أي هل عندك من شئ؟ والتنكر للتقليل وقوله قلت نعم شيء. أي عندي شيء يسير. والمزود بكسر الميم وفتح الواو، وعاء من جلد يجعل فيه الزاد وقوله خذ ما جئت به أي مع الزيادة الحاصلة من البركة، وقوله وأدخل يدك أي فيه ولا تكبه بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم، أي لا تقلبه، وقوله وأطعمت أي غير ي وانتهب بصغة المجهول أي سلب، وقوله فذهب أي استمر غائبا عني قاله العلامة ابن سلطان. وقول الناظم ابن سخر: فاعل انفق ومفعوله أوسقا جمع وسق والوسق ستون صاعا والصاع أربعة أمداد بمده عليه السلام وابن صخر هو أبو هريرة واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي الصحابي المشهور أحد المكثرين أسلم أيام خيبر ومات في آخر خلافة معاوية.

(وكم من القليل قد أكثرتا)

الخطاب له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكم تكثيرية مفعول أكثرت أي ومن معجزاتك يا رسول الله صلي الله تعالي عليك وسلم تكثيرك

القليل وقد وقع ذلك منه عليه السلام كثيرا بحيث لا يحصر وللجزائري بعد ذكر شيء من المعجزات:

أمـا القليل وتكثـيـر له مـدد حـدث ولا حـرج عن خـيـرة الرسل

ومن ذلك حديث أبى هريرة في البخاري حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي أمره أن يتبعه فوجد لبنا أي قليلا وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت أي في نفسي ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها، فدعوتهم وذكرت أمر النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروي ثم يأخذه الآخر فيشرب حتى يروي وهكذا حتى روى جميعهم، قال فأخذ النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب. فشربت ثم قال اشرب فما زال يقولها حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا فأخذ القدح وحمد الله وسمى وشرب الفضلة. ومن ذلك حديث أبي أيوب الأنصاري النجاري العقبي البدري واسمه خالد بن زيد أنه صنع لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما بضم الزاي أي مقدار ما يشبعهما فقال له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك، ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع. وقال أبو أيوب فأكل من الطعام مائة وثمانون رجلا قال في الشفا قال ابن سلطان وكان عشرين أكلوا بعد المائة والستين ومن ذلك حديث سمرة بن جندب أتيّ النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوما ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا عند النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثلاثين ومائة وصنعت شاة، فشوى سواد بطنها قال وإيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة بفتح الحاء وتضم أي قطع له قطعة من سواد بطنها وسواد بطنها هو الكبد خاصة. وقيل القلب، انظر ابن سلطان. ومن ذلك حديث أبي هريرة أنه أصاب الناس في غزوة

تبوك مجاعة فقال عمر يا رسول الله أرى أن تامر الناس أن ياتوا بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة قال {نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزداهم فجعل الرجل يجيئ بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع شيء يسير قال سلمة بن الأكوع فخزرته بكريضة العنز فدعا، صلى الله تعالى عليه وسلم، عليه بالبركة ثم قال خذوا أوعيتكم قال فأكلوا حتى شبعوا ولم يبق في الجيش وعاء إلا ملئوه حتى ان الرجل ليعقد قميصه فيأخذ فيه وبقي منه فضحك، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى بدت نواجذه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، لا يلقى الله عبد بها غير شاك فيحجز عن الجنة. قوله نطع بكسر النون وفتح الطاء على أفصح لغاته وفتح النون والطاء وفتح النون وكسرها مع اسكان الطاء ما يتخذ من الأدم ويحجز بالنصب أي يمنع قاله الزرقاني وروي ابن أبي عاصم وابن ابي خيثمة عن ام مالك الأنصارية أنها جاءت بعكة سمن إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأمر بلالا فعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة فجاءت فقالت أنزل في شيء؟ قال وما ذاك؟ قالت رددت علي هديتي. فدعا بلالا فسأله فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك هذه بركة يا أم مالك، ووقع لأم سليم شبيه بهذه أخرج الطبراني عنها: كانت لي شاة فجعلت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها فجاءت أم سليم فرأت العكة مملوءة تقطر سمنا فقالت يا زينب ألست أمرتك أن تبلغي هذه العكة لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ياتدم بها قالت قد فعلت فإن لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخبرته فقال قد جاءت بها. فقلت والذي بعثك بالهدي إنها ممتلئة سمنا فقال أتعجبين إن الله أطعمك. نقله الزرقاني. ومن ذلك ما رواه أحمد والبيهقي بسند جيد عن علي قال جمع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق وصنع لهم مدا

من الطعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو، ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه. قاله في الشفا. والجذعة الشاة الداخلة في السنة الثانية وقيل المراد بها هنا الإبل كما ورد مفسرا في بعض الأحاديث والفرق بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة آصع بكيل الحجاز وقيل يسع اثني عشر صاعا بصاع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، والعس بضم العين وشد الشين المهملتين قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة من لبن ورووا بضم الواو. قاله ابن سلطان ومن ذلك ما روي أنه في غزوة الخندق أشبع ألفا من صاع شعير أو دون صاع وشاة صغيرة فانصرفوا وبقي بعد انصرافهم أكثر مما كان. قال العراقي:

وأطعم الألف زمان الخندق من دون صاع وبهيمة بقي
بعد انصرافهم عن الطعام أكثر مما كان من طعام

والبهيمة تصغير بهمة بالفتح ولد الضأن الذكر والأنثى. وأطعم أيضا جيش الخندق بتمر قليل جدا أتت به جارية صغيرة السن بنت بشر بن سعد، كما رواه أبو نعيم في الدلائل وأشار له العراقي بقوله:

كذاك قد أطعمهم بتمر أتت به جارية في صغر

أي صغيرة السن. وضمير أطعمهم عائد على أهل الخندق انظر المناوي. وللعراقي أيضا:

كذا ك أقراص شعير جعلت من تحت ابط أنس فأكلت
جماعة منها ثمانون وهم قد شبعوا وهو كما أتى لهم

يعني أنه بقي بعد شبعهم كأنه لم يمسه أحد والأقراص المذكورة لفتها أم سليم في خمار لها وأرسلت بها ابنها أنسا.

(وكم من الأموات قد أحييتا)

كم للتكثير مفعول أحييت والخطاب له، صلى الله تعالى عليه وسلم، من ذلك ما روي عن الحسن البصري أن رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو وامرأته فذكر الرجل أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلي الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي بإذن الله تعالى

فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك. فقال لها ان أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا لي منهما. وأخرج أبو نعيم أن جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنته وأتى بها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأكل القوم وكان عليه السلام يقول كلوا ولا تكسروا عظمها ثم انه، صلى الله تعالى عليه وسلم، جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فإذا الشاة قامت تنفض ذنبها. وفي الشفا عن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني؟ قلنا نعم. فقالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلي رسولك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملني هذه المصيبة فما برحنا حتى كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا بكسر العين أي فعاش مدة فأكل وأكلنا معه وفيه إشارة إلي ان الكرامات نوع من المعجزات، قاله ابن سلطان وفي شرح المواهب للزرقاني أنه عاش إلي وفاة النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وروي أنه بقي بعده وهلكت أمه في حياته. قال الزرقاني ووجه ذكره في المعجزات أنه أحيي بالدعاء باسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وحضوره ومن ذلك ما أورده السهيلي والخطيب وغيرهما أن أبويه عليه السلام أحييا له فآمنا به كما مرّ وروي عن سعيد بن المسيب أن رجلا من الأنصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله وعن النعمان بن بشير كان زيد بن خارجة بن زيد بن سراوة الأنصاري فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة إذ خر فتوفي فاحتملوه إلي بيته وسجوه حتى إذا كان بين المغرب والعشاء سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا أنصتوا، فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب، فحسروا عن وجهه فإذا القائل يقول على لسانه: محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيئين لا نبي بعده كان ذلك في الكتب الأول، ثم قال صدق، ثم قال هذا رسول الله، السلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته. وزيد هذا شهد بدرا وأبو خارجة قتل هو وابنه سعيد بن خارجة بأحد.

(وكم من الأشجار إذ دعوتا أتت مطيعة لما أمرتا)

كم مبتدأ وخبره أتت، ومطيعة منصوب على الحال من فاعل أتت، وما مصدرية أي مطيعة، لأمرك ويصح أنها موصول اسمي، أي للذي أمرتها به، ومعنى البيت أن كثيرا من الأشجار جاءت مطيعة ومنقادة لأمره عليه السلام حين دعاها. فمن ذلك ما في مسلم عن جابر أنه ذهب، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقضي حاجته، فلم ير شيئا يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلي إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله تعالى، فانقادت معه كالبعير المخشوش يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا. وفي رواية قال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله ألحقي بصاحبتك حتى يجلس خلفكما رسول الله فرجعت حتى لحقت بصاحبتها وجلس خلفهما، فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، مقبلا والشجرتان قد افترقتا نقله في الشفا، وقوله المخشوش بخاء وشينين معجمات أي الذي جعل في أنفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه حبل ويجعل في أنفه لينقاد بسهولة وإن كان من شعر فهو خزامة وإن كان من صفر أو حديد فهو برة بضم الموحدة وتخفيف راء ويصانع يلاينه وينقاد له، والمنصف بفتح الميم وسكون الميم وفتح الصاد وتكسر الوسط والإلتئام الاجتماع، وألحقي بفتح الحاء وزحفت بفتح الزاء والحاء والفاء انتقلت من محلها وفي رواية فرجعت أي عن حالتها، وأحضر بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة أي اعد أو اجر وإنما فعل ذلك ليلا يحس عليه السلام بأنه قريب منه فيتأذى بقربه. وقوله أحدث نفسي أي بهذا الأمر الغريب قاله ابن سلطان ومن ذلك حديث يعلى بن سيابة وهي أنه وأبوه مرة بن وهب الثقفي قال كنت مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في مسير فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاء تين وسيابة بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فألف فموحدة

ووديتين بفتح الواو وكسر الدال المهملة وشد التحتية أي نخلتين صغيرتين وأشاءتين بفتح الهمزة وشين معجمة ممدودة بمعنى وديتين وضبطه بكسر الهمزة سبق فلم قاله على القاري. وللعراقي:

وجاء مرة قضاء الحاجه فلم يجد سترا سوى أشاءه
ومثلها لكن هما بعدتا أمر كلا منهما فأتتا
تخد الأرض ذي وذي حتى قضى حاجته أمر كلا فمضى

وقوله بعدتا أي بعدت كل منهما عن صاحبتها وتخد بضم الخاء المعجمة وشد الدال المهملة أي تشق وقوله أمر كلا منهما روى أحمد والطبراني والحاكم عن يعلى بن مرة أنه عليه السلام قال له اذهب إلي تلك الشجرتين فقل لهما رسول الله يامركما أن تجتمعا فذهبت، فقلت لهما فاجتمعا فقضى حاجته، ثم رجع فقال اذهب فقل لهما افترقا، فقلت، فتفرقتا. وفي رواية فرجعت كل واحدة إلي مكانها.

وروي أن اعرابيا قال له بم أعرف أنك رسول الله؟ قال بأن تدعو هذا العرق من هذه النخلة يشهد بأني رسول الله. فدعاه فسقط إليه وشهد ثم قال ارجع فعاد فأسلم الاعرابي. انتهى من المناوي.

وفي الشفا عن يعلى ان طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به أي دارت حوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم رجعت إلى منبتها فقال صلى الله عليه وسلم إنها استاذنت أي ربها أن تسلم علي أي فأذن لها فجاءت وسلمت. انتهى. وهذا كثير.

(والجذع قد حن حنين الثكلى إليك حتى نال منك وصلا)

الجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ساق النخلة والحنين بفتح المهملة ونونين بينهما تحتية ساكنة صوت كالأنين يكون عند الشوق لمن يهواه إذا فارقه وتوصف به الإبل كثيرا والثكلى بفتح المثلثة وسكون الكاف فاقدة الولد والمراد بحنين الجذع شوقه وانعطافه إليه صلى الله عليه وسلم لأن الحنين شوق المرأة إلى ولدها فشبه شوق الجذع بشوق المرأة على ما يفهم من قصر المصباح الحنين على ذلك، لكن في الجوهري

الحنين الشوق وتوقان النفس وفي القاموس الحنين الشوق وشدة البكاء انتهى. والذي في الأحاديث المسوقة هنا أنه صوت فالمراد من الحنين الصوت الدال على شوقه انظر المواهب وشرحها. ومعنى البيت: ومن معجزاتك يا رسول الله اشتياق الجذع الذي هو جمادا إليك لما فارقته فلم يزل يحن إليك إلى أن نال منك وصلا أي مواصلة يعني بذلك ما روي أنه عليه السلام التزمه وضمه إليه كما ياتي. **(لو لم ينزله)** أي لو لم ينل الجذع الوصل منك يا رسول الله **(لم يزل)** إلي يوم القيامة **(كئيبا)** أي حزينا باكيا عليك يا رسول الله **(ما لاح)**أي ظهر، **(سنى)** أي ضوءا أي ما ظهرت الشمس وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام ذلك، وقوله **(غريبا)** أي بمنزلة الغريب وهو البعيد عن الأهل والوطن وأشار بهذا إلى ما روي أنه عليه السلام قال والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال في المواهب قال العلامة التاج بن السبكي الصحيح أن حنين الجذع متواتر انتهى. وسبقه إلي ذلك القاضي عياض فقال في الشفا الخبر به متواتر ففي حديث أبي بن كعب كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي مستندا إلي جذع إذ كان المسجد عريشا أي مسقفا بالجريد وكان يخطب إلي ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه وهو تميم الداري كما في أبي داوود هل لك أن تجعل منبرا تقوم عليه ويسمع الناس خطبتك؟ قال نعم. فلما صنع له المنبر من أثل الغابة كما في الصحيح وضعه صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان إذا بدا له صلى الله تعالى عليه وسلم أن يخطب تجاوز الجذع الذي كان يخطب عليه خار حتى تصدع وانشق. وفي رواية أنس فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره أي ارتعد واضطرب بأهله. وفي رواية جابر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية سهل بن سعد الساعدي وكثر بكاء الناس لما رأوا به أي من الحنين. وفي رواية حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه أي تسلية له فسكت. وفي رواية عن أنس والذي نفسي

بيده لو لم التزمه أي اعتنقه لم يزل هكذا أي باكيا إلي يوم القيامة تحزنا على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي إظهارا للحزن الزائد على الصبر على فراقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأمر به، صلى الله تعالى عليه وسلم، فدفن تحت المنبر وفي طريق فدفنت فأراد الخشبة، وما أحسن قول بعض أرباب الحال:

الصبر يحمد في المواطن كلها
إلا عليك فإنه مذموم

وفي رواية أنه عليه السلام دعاه فجاء يخرق الأرض بضم الراء وكسرها أي يشقها فالتزمه أي اعتنقه توديعا ثم أمره فعاد إلي مكانه. وفي حديث بريدة أنه عليه السلام قال له إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه ينبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوصك وثمرك، والخوص بضم الخاء ورق النخل وإن شئت أغرسك بكسر الراء في الجنة فياكل أولياء الله تعالى من ثمرك. ثم أصغى له النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، يستمع ما يقول، فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني أولياء الله تعالى وأكون في مكان لا أبلى فيه بفتح الهمزة واللام أي لا أفنى فسمعه أي كلام الجذع من يليه أي من يقرب من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم،. قيل وممن سمعه ابن عمر قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك. فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد فعلت. اختار دار البقاء على دار الفناء. فكان الحسن البصري إذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، شوقا إليه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه انتهى من الشفا وشرحه.

قال القاري وما أحسن قول من قال:

وألقي حتى في الجمادات حبه ... فكانت لإهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده ... فأن أنين الأم إذ تجد الفقدا
يحن إليه الجذع يا قوم هكذا ... أما نحن أولى أن نحن له وجدا
إذا كان جذع لم يطق بعد ساعة ... فليس وفاء أن نطيق له بعدا

انتهى منه.

قال الهيثمي بعد الكلام على قصة الجذع وذلك يدل على أن الله خلق فيه الحياة والشوق لأن مذهب الأشعري أن الإدراك شرطه الحياة ولذا عامله النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، معاملة الحي بالتزامه كما يلتزم الغائب أهله انتهى.

وقال القاضي عياض اختلف أئمة النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله تعالى فيها دون تغيير أشكالها عن هيآتها وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر؛ وذهب آخرون إلى إيجاد الحياة أولا ثم الكلام بعدها وحكي هذا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله تعالى أعلم.

إذا لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها بمجردها مع عدم الحياة، أما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شروط الحياة إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي وأحال الجبائي من بين سائر الفرق وجود الحروف والأصوات إلا من حي والتزم ذلك في الحصى والذراع والجذع انتهى.

وفي المواهب والحنين صوت المتألم المشتاق عند الفراق وإنما يشتاق إلى بركة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويأسف على مفارقته أعقل العقلاء والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على أن الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا حنّ وأنّ، فإن قلت مذهب الشيخ الأشعري أن الأصوات لا يستلزم خلقها في المحل خلق الحياة ولا العقل أجيب بأنه كذلك إلا أن الشوق إنما يكون شوقا معنويا عقليا ومذهب الشيخ أن الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها. ولله در القائل:

وحن إليه الجذع شوقا ورقة ... ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته ... لكل امرئ من دهره ما تعودا

ومرددا بفتح الدال صفة صوتا وبكسرها حال من فاعل رجع، وقر سكن وقوله لكل امرئ إلخ. يعني أنه أمر مطرد في كل من اعتاد أمرا وانقطع

عنه فإنه يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته، فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه أحبته المسافرون سفرا طويلا قاله الزرقاني. والعشار جمع عشراء وفي القاموس انها من النوق التي مضى من حملها عشرة أشهر أو ثمانية وهي كالنفساء من النساء انتهى.

فائدة:
أشبه الأقوال بالصواب أن صانع المنبر النبوي اسمه ميمون، وهو مولى امرأة من الأنصار كما في الصحيح وقيل مولى سعد بن عبادة فكأنه في الأصل مولى امرأته ونسب إليه مجازا، أو اسمها فتيهة أسلمت وبايعت. وأما ان صانعه تميم الداري أو باقول باللام آخره أو الميم الرومي أو صباح بفتح المهملة وخفة الموحدة أو قبيصة أو مينا بكسر الميم أو صالح مولى العباس أو ابراهيم أو كلاب مولى العباس فلا اعتداد بها لوهائها كما بسطه في فتح الباري قاله الزرقاني.

(وكم عمى وعمه اذهبتا عن أعين وعن قلوب حتى
أدركت الأبصار والبصائر ما لم تكن تكنه الضمائر)

العمى ذهاب البصر كله والعمه بالتحريك التردد في الضلال والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب والضمائر القلوب والضمير في الأصل داخل الخاطر وكم للتكثير مفعول أذهبت والخطاب له، صلى الله تعالى عليه وسلم، والأعين جمع عين وهي الباصرة والمعنى وأذهبت يا رسول الله العمى عن الأعين والتردد في الضلال عن القلوب اذهابا كثيرا حتى أدركت الأبصار أي العيون التي كانت متصفة بالعمى من المحسوسات ما لم تكن تظن أهل العقول أنها تدركه، وأدركت أهل البصائر من العلوم والمعارف بعد أن كانت متصفة بالضلال ما لم يكن يخطر في البال أنها تدركه وهذا كله ببركتك يا رسول الله صلى الله تعالي عليك وسلك.

والمرء في ميزانه أتباعه فاقدر إذا قدر النبي محمد

روى النسائي عن عثمان بن حنيف قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري قال انطلق وتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في.
قال فرجع وقد كشف الله عن بصره، قاله في الشفا والنساي بالقصر ويمد، وحنيف بالتصغير وعثمان هذا شهد أحدا وما بعده وهو أخو سهل وعبادة وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي والحاكم وصححاه وابن ماجه قاله على القاري وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين قاله في الشفا. وحبيب بفتح المهملة وروي بضم المعجمة مصغرا وفديك بالدال المهملة والتصغير كما رواه البيهقي والطبراني وبالثاني وهو الراء المهملة رواه ابن أبي شيبة وروي أنه عليه السلام سأله عما أصابه قال كنت أقود جملا فوقعت رجلي على بيض حية فعميت. وقوله يدخل الخيط إلخ.. في رواية وإن عينيه لمبيضتان، قاله علي القاري، وفي الزرقاني أن فديكا هذا من بني سلامان وقال بعد ذكر القولين المتقدمين فيه ما نصه وقيل فويك بالواو، قاله البغوي والأزدي وابن شاهين والمستغفري وابن عبد البر وغيرهم. وقال ابن فتحون رأيته في كتب ابن أبي حاتم وابن السكن بالواو وقال الزرقاني بعد قول المواهب وإن عينيه لمبيضتان وهذا أعظم في المعجزة، انتهى.
ويناسب هذا وإن لم يكن فيه إذهاب العمى ما روي أنه عليه السلام قال في غزوة خيبر لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوق الناس لذلك فسأل عن علي فقيل به رمد، فدعاه فجاء وانسان يقوده لشدة الرمد ففتح عينيه وتفل فيهما وقال خذ الراية وامض بها يفتح الله عليك فبرئتا لما خالطهما ريقه الشريف الذي هو الشفاء الأكبر، فذهب بتلك الراية ففتح الله على يديه

وكان يضرب بعينيه المثل من حدة الإبصار ويبصر كما يبصر العقاب وفي رواية البيهقي فما رمدتا حتى مضى، والطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع المصطفى إلي الراية يوم خيبر، وسقطت عين قتادة بن النعمان يوم أحد وقيل يوم بدر وقيل الخندق فردها المصطفى بيده فكانت أصح عينيه، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى وقيل أصيبت عيناه معا فسقطتا على وجنتيه فأتى بهما النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان، قاله الدارقطني غريب تفرد به عمار بن نضر بن مالك وهو ثقة. وأما اذهابه العمه وهو الضلال فمن المعلوم أنه لم تصل نعمة من نعم الله تعالى إلي مخلوق من هداية وغيرها إلا وهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، أصلها ومصدرها، ومادتها.

ما أرسل أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها	يعلم هذا كل من يعقل

وكان عليه السلام كثيرا ما ياتيه الكافر يريد قتله فإذا دنا منه أو مسه أذهب الله تعالى عنه ما كان في قلبه، وألقى الإيمان في قلبه ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم،. وتأمل ما وقع لفضالة بفتح الفاء بن عمير يوم الفتح حين هم أن يقتل النبي صلي الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال أفضالة؟ قال نعم يا رسول الله. قال ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال لا شيء. كنت أذكر الله. فضحك عليه السلام ثم قال استغفر الله ثم وضع يده المباركة على صدره. فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئا أحب إلي منه، وقد مر هذا.

وتأمل ما وقع لأبي محذورة حين سمعه المصطفى يحكي الأذان متلاعبا به في فتية من قريش، فناداه، فلما قام بين يديه عليه السلام ألقى الله

تعالى الإيمان في قلبه، فتشهد ورتبه للأذان وكان حسن الصوت جدا. ومثل هذا كثير.

(وكم من الأدواء قد أبرأتنا في الحال بالراحة إذ لمستنا)

الداء المرض جمعه أدواء وأبرأه شفاه والراحة الكف، ولمسه يلمسه ويلمسه مسه بيده قاله في القاموس، يعني وأبرأت يا رسول الله كثيرا من الأمراض حين مسسته بيدك المباركة وحصل برؤه في حال لمسك له أي في وقته فهو في المعنى مؤكد بقوله بعده إذ. فمن ذلك حديث ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها به جنون فمسح النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي ذكره في الشفا وثع ثعة بمثلة وعين مهملة مشددة فيهما أي قاء مرة والجرو بتثليث الجيم ولد الكلب والسبوع وشفي بصيغة المجهول أي برئ من جنونه والحديث رواه أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة قاله ابن سلطان.

ومن ذلك ان خبيب بن يساق بفتح الياء وفي نسخة بكسر الهمزة ويفتح أصيب يوم بدر بضربة علي عاتقه حتى مال شقه فرده، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونفث عليه حتى صح فانطلق فقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك، وكانت تقول لا عدمت رجلا وشجك هذا الوشاح، فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك إلى النار وخبيب بضم المعجمة مصغرا وهو خزرجي شهد بدرا وما بعده انظر الشفا وشرح القاري له ومن ذلك أن معاذ بن عمرو بن الجموح جاءه عليه السلام يحمل عاتقه يوم بدر فألصقه وبصق عليه فالتصق وتقدم ذلك مبسوطا، ومن ذلك أن شرحبيل بضم أوله ويقال شراحيل الجعفي بضم الجيم كانت في كفه سلعة بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهي زيادة تحدث بين الجلد واللحم كالغدة وكانت تمنعه القبض علي السيف وعنان الدابة، شكاها للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فمازال يطحنها بيده حتى رفعه ولم يبق لها أثر. ويطحنها بفتح الحاء أي يعالجها ورفعها أزالها من كفه انظر

الشفا وشرحه.
ومن ذلك أن عبد الله بن عتيك الأنصاري لما قتل أبا رافع بن أبي الحقيق نزل من درج أبي رافع قال فانتهيت إلي درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، وفي رواية فأخبر أصحابه بقتله فحملوه فلما وصل إلى النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، مسح رجله قال ابن عتيك، فكأني لم أشكها.
ومن ذلك ما وقع لعتبة بضم المهملة وسكون الفوقية ابن مرقد السلمي فإنه أصابته الشرى فأقعده النبي عليه السلام بين يديه قال فألقيت ثوبي على عورتي فنفث عليه السلام في يديه ثم دلك بها الأخرى ثم أمرها على ظهري وبطني فبرئ وبقي بعد ذلك بعتبة طيب عجيب وكان له ثلاث نسوة وما منهن واحدة إلا تجتهد في التطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها، وكان عتبة أطيب منهن ريحا مع أنه لا يمس طيبا، والشرى بفتح الشين المعجمة بعدها راء مهملة مقصورة قروح صغار حمر، حكاكة، مكربة، كما في القاموس ذكر هذه القصة جسوس في أول شرح الشمائل.

(بل فـار منهـا الماء لما ظمـئـوا حتى ارتوى الأصحاب بل توضؤوا)
فار الماء يفور نبع وجاش وظهر مرتفعا، وبل هنا للانتقال دون ابطال ما قبلها وظمئ كفرح، ظمئا وظمئانا عطش أو أشد العطش، قاله في القاموس. وارتوى وروى بمعنى وضمير منها عائد على الراحة في البيت قبله يعني أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، نبع الماء من راحته الشريفة حين عطش أصحابه، فشربوا حتى رووا وتوضؤوا ووقع ذلك منه مرارا.
وفي المواهب قال القرطبي قصة نبع الماء بين أصابعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد تكررت منه في عدة مواطن، في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي انتهى.
وقال في الشفا هذه القصة رواها الثقاة من العدد الكثير والجم الغفير

عن الكافة متصلة بالصحابة انتهى المراد منه.
وفي المواهب لم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه، قال الملزمي ونبع الماء من بين أصابعه أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا لأن خروج الماء من الحجارة معهود قال تعالى: {وإن من الحجارة لما يتفجر منها الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء}. وقال الشاعر:
إن كان موسى سقي الأسباط من حجرفإن في الكف معنى ليس في الحجر
وفي الصحيحين عن أنس حانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس ان يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع أي بتثليث الموحدة من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم. وفي لفظ للبخاري كانوا ثمانين رجلا. وفي لفظ له فقلنا لأنس كم كنتم؟ قال كنا ثلاثمائة. قال النووي من هنا بمعنى إلى وهي لغة المعنى توضأ القوم حتى وصلت النوبة إلى الآخر. وقوله بوضوء بفتح الواو وروي المهلب أنه قدر وضوء رجل واحد وعن أنس كنت مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وإبلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل بشيء من ماء في شن، فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته أي كفه مع أصابعه في الماء، قال أنس فرأيتها تتخلل عيونا بين أصابعه فسقينا إبلنا ودوابنا وتزودنا فقال أكفيتم قلنا نعم يا رسول الله فرفع يديه فارتفع الماء والشن بفتح المعجمة والنون الثقيلة القربة البالية وعيونا تمييز محول عن الفاعل أي تتخلل عيونها أي تنفذ والضمير في رأيتها للصحفة انظر الزرقاني. وعن سالم بن أبي الجعدي عن جابر عطش الناس يوم الحديبية وكان بين يديه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه فقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع، صلى الله تعالى عليه وسلم، يده في الركوة فجعل الماء يفور من

بين أصابعه كأمثال العيون، فقلت كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة انتهى.
وعطش كفرح والحديبية بالتخفيف، وتشدد بئر بين مكة وجدة والركوة بتثليث الراء إناء من جلد يتوضأ فيه نحو الإبريق ذكره الدلجي وهو غير ملائم لوضع اليد فيه اللهم إلا أن يقال المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء وفي التلمساني انها للماء من الأدم كالتور يتوضأ منه انظر ابن سلطان، ومن ذلك حديث ابن مسعود كنا مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في سفر وقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال غير واحد والحكمة في طلبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فضلة الماء في هذه المواطن لئلا يظن أنه الموجد للماء، ففعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع إناء تأدبا مع الله تعالى إذ هو المنفرد بابتداع المعدومات على غير مثال سبق.

فائدتان:

- الأولى: أختلف في كيفية نبع الماء المذكور فذهب أكثر العلماء إلى أنه يخرج من ذات أصابعه عليه السلام. قال القسطلاني وهذا هو الصحيح، وذهب بعضهم إلي أن الماء كثر في ذاته فسار يفور أي يظهر مرتفعا من بين أصابعه؛
- الثانية هذا الماء أشرف من جميع المياه كما قاله البلقيني وغيره. قال السيوطي:

وأفضل المياه ماء قد نبع ... بين أصابع النبي المتبع
يليه ماء زمزم فالكوثر ... فنيل مصر ثم باقي الأنهر

انظر الزرقاني.

ومطروا سبتا إذا استسقيتا ... بها وأقلعت إذا استصحيتا

قوله مطروا بصيغة المجهول أي أرسل الله تعالي عليهم المطر، وهو ثلاثي وهو بمعنى الرباعي. وقال بعضهم الثلاثي في الرحمة والرباعي في العذاب، والأحاديث واردة بخلافه، ففي الصحيح مجيء الرباعي في الرحمة، وسبتا بفتح المهملة وسكون الموحدة أي أسبوعا، وإذا بالكسر لالتقاء الساكنين ظرف زمان للمضي في الموضعين والاستسقاء طلب السقي والضمير في قوله بها للراحة، ويعني بالاستسقاء بها رفعه عليه السلام لها في الاستسقاء كما ياتي. وأقلعت كفت مبني للفاعل وفاعله يعود على السحاب المفهوم من السياق، والاستصحاء طلب الصحو وهو هنا انكشاف السحاب، ومعنى البيت أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن الناس لما قحطوا جاءه رجل فسأله السقي، وكان يخطب يوم الجمعة، رفع عليه السلام يديه وقال {اللهم اسقنا} ثلاثا، وفي رواية اللهم أغثنا وما في السماء قزعة إذ ذاك، فأرسل الله عليهم المطر من الجمعة إلى الجمعة فلم يروا الشمس سبتا أي أسبوعا، فلما كانت الجمعة الثانية جاءه ذلك الرجل أو غيره فسأله أن يدعو الله أن يكشفها عنهم فدعا فانكشفت عن المدينة وخرجوا يمشون في الشمس والحديث في الموطأ والبخاري وغيرهما.

ففي البخاري عن أنس أن رجلا دخل المدينة يوم الجمعة ورسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قائم يخطب ثم قال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يديه ثم قال اللهم أغثنا ثلاثا.

قال أنس فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ولما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة يعني الثانية ورسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال فرفع، صلى الله تعالى عليه وسلم، يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام

والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك سألت أنس بن مالك أهو الأول فقال ما أدري.
قوله هلكت الأموال أي المواشي وانقطعت السبل أي الطرق، فلم تسلكها الإبل لهلاكها أو ضعفها من قلة الكلإ أو بعدم الأقوات فلم يوجد ما يحمل عليها، ويغيثنا بضم أولها من أغاث أي أجاب وبفتحه من غاث أي انزل المطر، والسحاب المزن المجتمع، والقزعة بالتحريك وتسكن القطعة الرقيقة من السحاب، كأنها ظل إذا مرت تحت السحاب الكثير، وخصها بعضهم بزمن الخريف، وقوله من ورائه أي سلع، والترس الدرقة وسبتا بتفح السين المهملة وسكون الموحدة أي أسبوعا وفي رواية ستا أي ستة أيام ولا تنافي بينهما فمن قال ستا ألغى الكسر ومن قال سبتا أضاف إلي الستة يوما ملفقا من الجمعتين. ولأبي ذر عن الكشميهيني سبعا بالعين بعد الموحدة وقوله هلكت الأموال أي بسبب غير الأول وهو كثرة الماء المانعة لها من الرعي وانقطاع السبل لتعذر سلوكها من كثرة المطر وقوله يمسكها أي السحابة بالجزم جواب الأمر وحوالينا أي أنزله حولنا ولا تنزله علينا حيث نستضر به ولم يطلب رفعه بالكلية لأنه رحمة، وهذا من حسن الأدب في الدعاء، والإكام بكسر الهمزة وبفتحها مع المد جمع أكمة بالتحريك وهي ما دون الجبل وأعلى من الرابية، والظراب ككتاب جمع ظرب ككتف جبل منبسط بالأرض، أوالروابي الصغار دون الجبال، وبطون الأودية المواضع التي يستقر بها الماء ويبقى ومنابت الشجر أي المواضع التي ينبت بها الشجر، وأقلعت بفتح الهمزة أي كفت، السحابة الماطرة عن المدينة انتهى من النهر الجاري في شرح البخاري للوالد حفظ الله تعالى.

(ومن عليه أو له دعوتا   أصاب في الحالين ما سألتا)

يعني أن من معجزاتك يا رسول الله أن كل من دعوت له بخير أو كل من دعوت له بشر أصاب ما سألت له من خير أو شر، لإجابة دعائك.
والحال تقال للوصف وللزمن وتصح هنا إرادة كل منهما، أي نال ذلك في وقت دعائك له أو عليه، وتكون في ظرفية أو ناله كان على أي صفة من

كونه محبوبا مدعوا له أو مبغضا مدعوا عليه والعياذ بالله تعالى، وتكون في للمصاحبة والأول أظهر والله تعالى أعلم قاله القاضي عياض في الشفا.
وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، لجماعة بما دعا لهم أو عليهم أمر متواتر في الجملة معلوم ضرورة. وقوله في الجملة أي لا على التفصيل وفي البخاري أنه دعا لأنس بن مالك فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته. قال أنس فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة.
وفي رواية للصحيحين يدون النساء، وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب اليوم من رخاء العيش ما أصبت. ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطا، ولا ولد ولد، قوله يعادون بضم الياء وشد الدال أي يعد بعضهم بعضا ويزيدون. وفي رواية عنه دفن لصلبي مقدم الحاج البصرة عشرون ومائة، قيل وكان مقدمه سنة خمس وتسعين وقد ولد لأنس بعد ذلك أولاد كثيرون، وتوفي بسنة ثلاث وتسعين واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لأنس علي تفضيل الغنى على الفقر وأجيب بأنه مختص بدعائه عليه السلام وبأنه قد بارك فيه فلم يكن فيه فتنة ولم يحصل بسببه مضرة انتهى من ابن سلطان. ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ففتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي بفتح الجيم وتكسر أي تقطعت وأخذت كل زوجة من زوجاته ثمانين ألفا وكن أربعا، وقيل مائة ألف، وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه بنيف، بشد التحتية وسكونها وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله وأوصى بألف فرس في سبيل الله، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها وهذا مع صدقاته الفاشية في حياته: اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير تحمل من كل شيء وتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها، وتصدق مرة بشطر ماله أربعة آلاف ثم

بأربعين ألفا، ثم تصدق بخمس مائة فرس في سبيل الله، ثم بخمس مائة راحلة، وحث عليه الصلاة والسلام يوما على الصدقة فجاءه بأربعة آلاف درهم، وقال يا رسول الله كان لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة، فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت، انتهى ملخصا من الشفا وشرح القاري له.

ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال ذلك، وروي أنه عليه السلام قال اللهم علمه الكتاب ومكنه في البلاد وقه العذاب. وقال لسعد بن أبي وقاص اللهم استجب له إذا دعا، فما دعا على أحد إلا استجيب له.

وفي الصحيح أن رجلا نال من علي كرم الله وجهه بحضرته، فقال اللهم إن كان كاذبا فأرنا فيه آية. فجاء جمل فتخبطه حتى قتله. وفي البخاري أنه عليه السلام دعا على أبي سعدة اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه علي عينيه من الكبر يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد. وقال اللهم أيد الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب فاستجيب له في عمر. وروى الحاكم عن عائشة أنه قال اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة. وقال صحيح على شرط الشيخين. وأما ما يدور على الألسنة من قولهم اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين، فلا يعلم له أصل في المبنى وإن كان يصح نقله في المعنى على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم أبي جهل وكان يكنى أولا أبا الحكم فكناه النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أبا جهل فغلبت عليه قاله علي القاري. وقال لأبي قتادة أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره بفتحتين أي ظاهر جلده. فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة رواه البيهقي. ودعا لابن عباس كما رواه الشيخان اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان بعد يسمى الحبر وترجمان القرآن بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما وفتحهما أي مفسره. وقال للنابغة الجعدي لما أنشده قصيدته الرائية: لا يفضض الله

فاك بضم المعجمة الأولى فما سقطت له سن. وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا، وإذا سقطت له سن تنبت له أخرى، وعاش عشرين ومائة وقيل مائة وثمانين وقيل مائتين وأربعين، وروي أنه لما أنشده قوله فيها:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال عليه السلام إلى أين يا أبا ليلى؟ قال فقلت إلى الجنة. قال نعم إن شاء الله. ولما أنشده قوله فيها:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له تأن إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال عليه السلام أجدت ودعا لعروة بن أبي الجعد بالبركة وقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا. والكناسة بضم الكاف موضع وسوق بالكوفة، وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم. ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف ولا يصيبه حر ولا برد. ودعا لفاطمة ابنته بعدم الجوع، قالت فما جعت بعد. ومن دعائه عليه السلام على غيره أي بالشر، دعاؤه على كسرى بأن يمزق الله ملكه لما مزق كتابه، فمزق ملكهم ولم يبق للفرس رئاسة في سائر أقطار الدنيا. ودعا على ابن أبي لهب: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد. والمشهور أنه عتيبة بالتصغير كما مر وأن المكبر هو الصحابي وكذا أخوهما معتب صحابي وسبب الدعوة أنه أراد الخروج إلى الشام فأتى المصطفى عليه السلام فقال يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى بالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجهه صلي الله تعالى عليه وسلم وطلق ابنته فدعا عليه ورجع إلى أبيه فأخبره ثم خرج مع أبيه في نفر من قريش إلي الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه غثونا يا معشر قريش إني أخاف على ابني دعوة محمد، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتيبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وقيل ان المصغر هو الصحابي والمكبر هو قتيل

الأسد والله تعالى أعلم. وقد تقدمت هذه القصة. ودعا على الحكم بن أبي العاصي وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي يجلس خلفه عليه السلام فإذا تكلم حرك هو شفته وذقنه حكاية لفعله فرآه عليه السلام فقال كن كذلك فلم يزل يختلج أي يرتعد إلي أن مات. والحكم هذا أبو مروان وعم عثمان بن عفان أسلم يوم الفتح ومات في خلافة عثمان، قال بعضهم إنما فعل ما فعل من جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة والله تعالى أعلم.

ودعا على محلم بكسر اللام المشددة ابن جثامة بفتح الجيم وشد المثلثة فمات لسبع ودفن فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة. وقوله صدين بفتح الصاد ويضم جبلين أو واديين هذا كله من الشفا وشرح ابن سلطان له ودعا على قريش بالقحط فأصابتهم سنة هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاء أبو سفيان يستعطفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال يا محمد تامر بصلة الرحم وإن قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث وأطبقت عليهم سبعا فشكوا كثرة المطر فسأل الله رفعه، فارتفع، قاله المناوي. وسبب الدعاء على محلم المتقدم أنه عليه السلام بعث سرية فيها محلم فأمر عليهم عامر بن الأضبط فقتله محلم غدرا فجرى ما جرى والعياذ بالله انظر ابن سلطان.

ودعا على قريش لما وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم، فقال اللهم عليك الملأ من قريش، اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة إلخ.. قال ابن مسعود فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر أي معظمهم لأن أشقاهم وهو عتبة بن أبي معيط الذي وضع السلا حمل من بدر أسيرا فقتله علي بعرف الظبية مقفلهم من بدر بأمره عليه السلام، وعمارة ابن الوليد لم يقتل ببدر أيضا بل سحر بأرض الحبشة فصار مع الوحش وهلك على كفره بأرض الحبشة في زمن عمر انظر الشفا وشرحه.

(وكم من الغيوب قد نبأتا بها فلم تعد الذي ذكرتا)
الغيوب جمع غيب وهو ما غاب عنا، ونبأ معناه أخبر، وتعد بفتح الفوقية وسكون المهملة وضم الدال مضارع عداه يعدوه إذا جاوزه جزم بحذف آخره، وكم للتكثير وهي مبتدأ وخبره نبأتا والخطاب للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، والضمير المجرور عائد على الغيوب أي وكثير من الأمور المغيبة عنا أخبرتنا بها قد أطلعك الله تعالى عليها فلم تتجاوز الوصف الذي ذكرته لأنك لا تخبر إلا بما أوحاه الله إليك فلا يكون خبرك إلا مطابقا لما في نفس الأمر. قال تعالى: {إن هو إلا وحي يوحى}.
ولنا في هذا المعنى في عد بعض المعجزات:
وكم من المغيبات ذكرا فبعضها مضى وبعض سيرى
وإخباره عليه السلام بالغيوب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره وقد مر في وجوه اعجاز القرآن كثير من أخباره عن الأمم الماضية والعصور الخالية ومما أخبر به عليه السلام مما سيأتي أشراط الساعة كالدجال وعيسى وخروج ياجوج وماجوج، والدابة وطلوع الشمس من مغربها ومعها القمر، وخروج النار من قعرة عدن ترحل الناس إلي محشرهم تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا والنفخ في الصور عند فناء الخلق، والنفخ فيه عند بعثهم، وباليوم الآخر وما فيه من حشر ونشر وصراط وحوض وميزان وجنة ونار وغير ذلك. وأخبر بخروج المهدي وهو بفتح الميم وشد الياء كما قاله ابن سلطان وهو من ولد فاطمة، يملأ الأرض عدلا كما ملأت جورا ويملك سبع سنين أو أكثر واسمه محمد بن عبد الله، ويبايع بين الركن والمقام وتنصره عدة أهل بدر رهبان بالليل وأسود بالنهار، ويصلي عيسى خلفه ويساعده على قتل الدجال بباب لدّ وقبله علامات يخسف القمر في رمضان أول ليلة منه أو ثالثه، وتخسف الشمس في نصفه وهاتان العلامتان لم تكونا منذ خلقت الدنيا، وتظهر النار في السماء جهة المشرق ثلاث ليال قبل خروجه وقبله صوت في نصف رمضان يوقظ النائم ويفزع اليقظان

وقبله السفياني وهو كافر يقتل العلماء والزهاد، ويظهر الفجور والفساد.
وورد أن قبل السفياني رجلا من بني هاشم وأخبر بأن الأرض زويت له فرأى مشارقها ومغاربها وقال سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها ووقع ذلك. وقال لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة أي إلي قرب قيامها، فسره علي بن المديني بالعرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو العظيمة، وفسره غيره بأنهم أهل المغرب وقد ورد أهل المغرب، قال علي القاري يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، تكون بالغرب مدينة يقال لها فاس، أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة وهم على الحق متمسكون به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون إلي يوم القيامة، وقيل المراد بأهل الغرب أهل الشام. وعن حذيفة: قام فينا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلي قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، والله ما ترك من قائد فتنة إلي أن تقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته. وقوله قائد فتنة أي أمير لها يقود إلي المحاربة. وأخبر بأن أمته تنفق كنوز كسرى وقيصر فوقع ذلك، وبافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هم الذين قال فيهم النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي، وهم أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لخلو مذاهبهم من البدعة. وأخبر بظهور الفتن وكثرة الهرج بفتح الهاء وسكون الراي وهو القتل. وأخبر بملك بني أمية والمراد بهم بنو مروان وأول من ملك من بني أمية بعد الخلفاء سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه بقي تسع عشر سنة وثلاثة أشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين وأشهرا ثم معاوية بن يزيد ومات بعد أربعين يوما، ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة أشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات في شوال سنة ست وثمانين، ثم ابنه

الوليد ومدته تسع سنين، ثم أخوه سليمان بن عبد الملك وولايته سنتان، ثم عمر بن عبد العزيز وولايته سنتان، ثم هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو المسمى يزيد الناقص وولايته خمسة أشهر، ثم ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما، ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو آخرهم قاله ابن سلطان.
وأخبر بملك بني العباس وبغير هذا مما لا يكاد ينحصر:

(فكل ذي علم وذي عرفان منك استمده سوى الرحمان)

العرفان بالكسر المعرفة، والمادة أصل الشيء المأخوذ منه، يعني أن كل عالم وكل عارف بالله تعالى إنما استفاد علمه ومعرفته منه لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو أصل المخلوقات كلها وقد حجر الله تعالى نعمه أن يصل منها شيء إلي مخلوق إلا بواسطته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما قول الناظم رحمه الله تعالى: سوى الرحمن فالصواب حذفه والله تعالي أعلم، لأن الله تعالى لا يوصف بالمعرفة كما هو معلوم ولأن علمه تعالى لا يوصف بأنه مستمد لقدمه حتى يحتاج إلي الاستثناء، والله تعالى أعلم.

(هذا وكم من آية لا تحصى عدا منحتها ولا تستقصى)

هذا خبر مبتدإ محذوف أي الأمر هذا، وكم تكثيرية والآية المعجرة، ومنحتها بالبناء للمجهول أي أعطيتها أي أعطاكها الله تعالى تصديقا لك ولا تستقصى أي لا تستوفى أو هذا منصوب بمحذوف أي اعرف هذا الذي ذكرت لك من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكثير من المعجزات أعطاها الله تعالى له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا تحصى بالعد ولا تستوفى فلا نتعرض لعدها.

(فالحمد لله الذي أعطاكا ما لم ينله أحد سواكا)

الحمد الوصف بكل كمال، والخطاب في أعطاكا للمصطفى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي الوصف بما لا يحاط به من الكمالات ثابت لله الذي أعطاك يا رسول الله من الفضائل ما لم يعطه لمخلوق غيرك لا من الأنبياء ولا من الملائكة وأحرى غيرهم، وتفضيله صلي الله تعالى عليه وسلم على جميع المخلوقات قد تقدم أنه مما يجب اعتقاده كما نص عليه الزركشي ونقله الأيسي في شرح الهمزية عن العلامة البلقيني وقال الإمام السنوسي في شرح الجزائري يكاد ذلك أن يكون مما علم من الدين ضرورة انتهى.

وفي المواهب في ذكر خصائصه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما نصه: ومنها ان آدم وجميع المخلوقات خلقوا لأجله وقال الزرقاني بعده ما نصه: رواه البيهقي وغيره كشيخه الحاكم وصححه عن ابن عباس أوحى الله إلي عيسى أن آمن بمحمد وامر أمتك أن يامنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار الحديث وهو لا يقال رأيا فحكمه الرفع، وروى ابن عساكر لقد خلقت الدنيا وأهلها أعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا. ولما ذكر الناظم ما وفقه الله تعالى لذكره من سيرته ذكر اتمام الله تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته إلى حضرة القدس وهي الجنة دار كرامة أوليائه فقال:

(ذكر وفاته صلاة ربه — عليه ثم ءاله وصحبه)

قوله ذكر خبر مبتدأ محذوف أي هذا ذكر وفاته أي موته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي المصيبة العظمى التي لم يصب الأولون والآخرون بمثلها ولن يصابوا بمثلها أبدا ولذا قال عليه الصلاة والسلام لتعز الناس في مصيبتهم المصيبة بي، قال في المواهب وهذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان، انتهى.

اللهم اجعل نبينا لنا فرطا وأجرا واجعله لنا سلفا وذخرا واجعل حوضه لنا موعدا لأولنا وآخرنا ولا تحل بيننا وبينه يوم القيامة بمنك يا أرحم الراحمين، اللهم شفعه فينا بجاهه عندك، اللهم آجرنا في المصيبة به

أجرا يكون على قدر عظمها بجاهه الرفيع، وأحلنا في الدارين في حرزه المنيع وجنابه المريع صلي الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه وجميع أتباعه، صلاة وسلاما يدومان إلي يوم الدين.
قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه لم أطق التطويل في هذا الباب لما اشتمل عليه مما تذوب لسماعه الألباب.

(توفي المختار عام أيّ وعمره صح على المرضيّ)

قوله توفي مبني للمجهول ونائبه قوله المختار وهو من أسمائه صلي الله تعالى عليه وسلم ومعناه المفضل على جميع المخلوقات أي توفاه الله تعالى أي أماته، صلى الله تعالى عليه وسلم، إكراما له. قال تعالى: {وللآخرة خير لك ن الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضي} وعام منصوب على الظرفية وعامله توفي وأي مجرور بالإضافة أي توفي عام إحدى عشرة من مقدمه المدينة المنورة أي توفي بعد أن مكث فيها عشر سنين وتوفي في أول الحادية عشرة. وقوله عمره بفتح العين وضمها مبتدأ وخبره قوله صح، أي ثلاث وستون سنة، فالصاد ستون والجيم ثلاث والعمر مدة الحياة، والجملة في موضع الحال أي والحال أن عمره حين وفاته ثلاث وستون سنة على القول المرضي، أي المختار المعتمد وأشار به إلي ما في الشمائل عن عائشة وابن عباس ومعاوية أنه صلي الله تعالى عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.
قال الامام البيجوري في شرحه: واتفق العلماء أن هذه الرواية أصح الروايات الثلاث الواردة في قدر عمره، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومقابل قوله على المرضي أن عمره ستون سنة وأن عمره خمس وستون. قال البيجوري ورواية أنه ابن ستين محمولة على أن راويها اقتصر على العقود وألغى الكسور. ورواية خمس وستين محمولة على ادخال سنة الولادة وسنة الوفاة، قال واتفقوا على أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أقام بالمدينة عشرا بعد الهجرة كما اتفقوا على أنه أقام بمكة قبل البعثة أربعين سنة وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد البعثة

والصحيح أنه ثلاثة عشرة سنة فيكون عمره ثلاثا وستين. وقيل أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين، وحملت هذه الرواية على ما عدى مدة فترة الوحي وهي ثلاث سنين فتوافق رواية ثلاث عشرة انتهى.

وللشخ عبد الرحيم بن الشيخ حسين العراقي:

عاش ثلاثا بعد ستين على أصحها والخلف في هذا خلا

أي سبق في عصر التابعين فمن بعدهم إلى عصرنا، قاله المناوي.

(وقت الضحى في مثل يوم ولدا فيه عليه الله صلى أبدا)

قوله وقت منصوب على الظرفية وناصبه توفي، وقوله يوم يصح إعرابه مجرورا، وبناؤه على الفتح وهو الراجح بإضافتة إلي مبني، وأبدا منصوب بصلى، ومعنى البيت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، توفي في وقت الضحا، في مثل اليوم الذي ولد فيه من ربيع الأول وهو يوم الإثنين، وعبارة غيره حين اشتد الضحاء بالفتح والمد وهو قرب الزوال كما ياتي، والظاهر تمشية المصنف عليه فيضبط الضحا بالفتح ويكون مقصورا للوزن على حذف مضاف فقوله وقت الضحى أي وقت اشتداد الضحاء، وكونه توفي يوم الاثنين أمر متفق عليه عند أهل العلم. وقال أكثرهم إنه في ثاني عشر ربيع. قال المناوي: قال السهيلي: اتفقوا على أنه مات يوم الاثنين، قالوا كلهم في ربيع الأول غير أنهم قالوا أو أكثرهم في ثاني عشر ولا يصح أن يكون مات يوم الاثنين إلا في ثاني الشهر أو ثلالث عشره آو خامس عشره لأن وقفة الوداع كانت يوم الجمعة بإجماع المسلمين فيكون أول ذي الحجة يوم الخميس، فيكون المحرم إما بالجمعة أو بالسبت فإن كان بالجمعة فصفر، أما أن يكون بالسبت أو بالأحد فإن كان بالسبت فيكون أول ربيع الأحد، أو الاثنين وكيفما كان فلم يكن ثاني عشر ربيع يوم الاثنين بوجه، انتهى.

وإلى هذا أشار العراقي بقوله:

في يوم الاثنين لدى الجميع وفاته إما بثاني الشهر

أو مستهل أو بثان عشر وهو الذي أورده الجمهور

لكن عليه نظر كبير

لأن وقفة الوداع الجمعه — فلا يصح كونها فيه معه

وقيل بل في ثامن بالجزم — وهو الذي صححه ابن حزم

وكان ذاك عندما اشتد الضحا — أو حين زاغ الشمس خلف صرحا

وقوله وهو الذي أورده الجمهور أي هذا القول الذي هو أنه توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع، وقوله فلا يصح كونها أي الوقفة، فيه أي في يوم الجمعة معه، أي مع وفاته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سواء تمت الشهور أو نقصت، أو تم بعضها و نقص بعضها. وقوله وقيل بل في ثامن، أي من ربيع الأول، والضحا بالقصر للوزن في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة وهذا قول أكثر المؤرخين، والآخر أنه حين زاغت الشمس وصححه الحاكم وخلف بضم المعجمة وسكون اللام وصرح أي به، مبني للمفعول، أي صرح به الأئمة انتهى من المناوي.

وقوله الضحا بالقصر للوزن أي مع الفتح وهو قرب الزوال، ففي المواهب وقد كانت وفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء وهو كما في الزرقاني بالفتح والمد قرب الزوال انتهى.

وفي البيجوري جزم أهل السير بأنه مات حين اشتد الضحا بل حكى صاحب جامع الأصول عليه الاتفاق.

(وخير المختار في البقاء — في هذه الدار وفي اللقاء

لربه فاختار أن يلقاه)

يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم تقبض روحه الكريمة حتى خيره الله تعالى بين لقائه لله تعالي بالموت عاجلا وبين بقائه في دار الدنيا أي إلي انقضائها كما يدل عليه ما ياتي فاختار لقاء الله تعالى فحينئذ نقله الله تعالى إلي دار كرامته عن هذه الدار التي هي دار الأكدار والفناء وكذا يخير غيره صلي الله تعالى عليه وسلم من الأنبياء، عليهم السلام. قال في المواهب: ولما كان الموت مكروها بالطبع،

لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير، انتهى.
قال الزرقاني في قوله يخير بضم الياء وفتح الخاء المعجمة كما في الصحيح من حديث عائشة وياتي في المتن انتهى.

(صلى عليـــه اللـه مـــا أرقـــاه)
أي ما أعلاه إلى مقام لم يحم حوله نبي مرسل ولا ملك مقرب إذ هو المختص بسيادة الأولين والآخرين وقد اعترف له بذلك جميع المقربين صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم أجمعين.
وروي أنه عليه السلام خطب الناس قبل موته بخمس فقال: «إن عبدا خيره الله بين أن يوتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده. فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال أبو سعيد فعجبنا له. وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن عبد خيره الله بين أن يوتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال أبو سعيد فكأن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به. وعن عائشة انه عليه السلام كان يقول ما من نبي يقبض إلا يرى الثواب ثم يخير ولأحمد من حديث أبي مويهة قال قال لي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك، وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة.

قوله والخلد أي البقاء في الدنيا إلي انقضائها، وقوله وبين لقاء ربي أي عاجلا، وقوله فاخترت لقاء ربي والجنة أي حبا في لقاء الله وزهدا في الدنيا مع أن الجنة معطاة له على التخييرين وعن عائشة قالت كان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحي بضم التحتية وفتح الحاء المهملة وشد

التحتية أي يسلم إليه الأمر و يملك في أمره أو يسلم عليه تسليم الوداع أو يخير بين الدنيا والآخرة وأو شك من الراوي قاله المصنف، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما أفاق شخص بفتحتين بصره نحو سقف البيت أي ارتفع ثم قال اللهم في الرفيق الأعلى، أي اجعلني في الرفيق الأعلى أو في بمعنى مع، فقلت إذا لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح. وفي رواية أبي موسى أسأل الله الرفيق الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل وظاهره أن الرفيق المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين أي في الآية من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ومن الملائكة الثلاثة المذكورين في الحديث لا معهم فقط.

وقال ابن الأثير الرفيق الأعلى جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى، لأن الرفيق من أسمائه تعالى، وقيل المراد به حضرة القدس وهي الجنة وبه جزم الجوهري وابن عبد البر وغيرهما.

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة قالت دعا النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فاطمة في شكواه الذي قبض فيه وللكشميهني فيها فسارها بشيء فبكت ثم دعا فسارها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت أي بعد وفاته سارني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أنني أول أهله يتبعه فضحكت. وفي رواية للصحيحين عن مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال لها مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها. ولأبي داوود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن عائشة قالت ما رأيت أحدا أشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في قيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قام إليها وقبلها وأجلسها في محله، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فانكبت عليه فقبلته، قال القسطلاني

واتفقت الروايتان على ان الذي سارها به أولا فبكت هو إعلامه إياها بأنه يموت من مرضه ذلك، واختلفتا فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة أنه اخباره إياها بأنها أول أهله لحوقا به وفي رواية مسروق أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله لحوقا به مضموما إلى الأول وهو الراجح، انتهى.

وقولها سمتا بفتح المهملة وسكون الميم ففوقية وهديا بفتح فسكون ودلا بفتح الدال المهملة وشد اللام والثلاثة عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيبة كما في النهاية، انتهى من المواهب وشرحها.

(ومدة السقم يد (...))

مدة مبتدأ وخبره قوله يد والسقم بضم السين المهملة وسكون القاف المرض، وفيه في غير هذا المرض التحريك أيضا وكذلك العرب والعجم والرشد والبخل والشغل والعدم والسخط والحزن والولد فهذه الألفاظ فيها ضم الفاء مع سكون العين وفيها فتحهما معا. ومعنى البيت أن مدة مرضه عليه السلام أربعة عشر يوما أشار له بقوله يد، فالياء عشر والدال أربعة وهذا القول حكاه ابن الجوزي كما في المناوي وحكاه في المواهب بصغة التمريض فإنه قال واختلف في مدة مرضه فالأكثر أنها ثلاثة عشر يوما وقيل أربعة عشر وقيل اثنا عشر وقيل عشرة أيام وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح، انتهى.

وقال الزرقاني ان القول الذي صدر به في المواهب هو المشهور، قال وجمع شيخنا بجواز اختلاف أحواله في ابتداء مرضه فذكر كل منهم اليوم الذي علم بحصول ما رآه من حاله وشدة مرضه التي انقطع بها عن الخروج في بيت عائشة كانت سبعة أيام، انتهى.

وللعراقي:

مرض في العشر الأخير من صفر	أقام في شكواه ذاك اثني عشر
أو عشرا أو أقام أربع عشرة	أو بثلاث عشرة قد ذكره

كذا ابن عبد البر، انتهى المراد منه.
قال المناوي بعد قوله من صفر قال ابن عبد البر بداية وجعه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة في بيت ميمونة ثم انتقل حين اشتد به وجعه إلي بيت عائشة انتهى. وفي البيجوري ان ابتداء مرضه كان في ثاني ربيع، انتهى.
وعن عائشة أتى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ذات يوم من جنازة لبعض أصحابه بالبقيع وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وا رأساه.. فقال بل أنا وا رأساه.. ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك.. فقالت لكني بك والله لو فعلت أي لو قام بي ذلك فهو بضم التاء أو بفتحها خطابا أي لو فعلت الغسل وما بعده لقد رجعت إلي بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك فتبسم، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه.
وقوله بل أنا وا رأساه، اضراب بمعنى دعي ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي فإنك لن تموتي في هذه الأيام، بل تعيشين بعدي، وقد تبين أن أول مرضه عليه السلام كان صداع الرأس والظاهر أنه كان مع حمى فإن الحمى اشتدت به فكان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحل أوكيتهن يتبرد بذلك وقد قيل ان لهذا العدد خاصية في دفع ضرر السم والسحر، وقد ثبت حديث من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر.
وللنسائي في قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات وسنده صحيح، انتهى ملفقا من المواهب وشرح الزرقاني.
وفي شمائل الترمذي عن عائشة قالت رأيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعني على منكرات الموت أو قال سكرات الموت ومنكرات بالنون أي شدائده فإنها أمور منكرة لا يألفها الطبع وسكراته استغراقات، وهذا إنما بحسب الظاهر للناس مما يتعلق بحاله الظاهر لأجل زيادة رفع الدرجات والترقي في أعلى

المقامات، أما حاله مع الملأ الأعلى فكان على خلاف ذلك، فإن جبريل أتاه في مرضه ثلاثة أيام يقول له كل يوم إن الله أرسلني إليك إكراما وإعظاما وتفضيلا يسألك عما هو أعلم به منك، كيف تجدك؟ وجاءه في اليوم الثالث بملك الموت فاستأذنه في قبض روحه الشريفة فأذن له ففعل، قاله البيجوري. وقال جسوس فمثال المنكرات والسكرات واحد وفي الشمائل أيضا عن عائشة قالت لا أغبط أحدا بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأغبط بكسر الموحدة من الغبطة وهي ان يتمنى أن يكون له مثل ما للغير من غير أن تزول عنه، وهون الموت سهولته ومرادها بذلك إزالة ما تقرر في النفوس، من تمني سهولة الموت لأنها لما رأت شدة موته، صلى الله تعالى عليه وسلم، علمت أنها ليست علامة ردية بل مرضية فليست شدة الموت علامة على سوء حال الميت ولا سهولته علامة على حسن حاله. والحاصل أن الشدة ليست علامة على سوء ولا ضده والسهولة ليست إمارة على خير ولا ضده انتهى من البيجوري.
وفي المواهب عن ابن مسعود دخلت على النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو يوعك وعكا شديدا أي يحم فقلت يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت ذلك إن لك لأجرين قال أجل كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري. والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل ألم الحمى، وقيل ارعادها الموعك وتحريكها إياه وكان عليه صلوات الله وسلامه عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها، فقيل له في ذلك، فقال إنا معاشر الأنبياء كذلك، يشدد علينا البلاء وتضاعف لنا الأجور. واعلم أنه عليه السلام استأذن أزواجه في مرضه أن يقيم في بيت عائشة فإذن له فأقام عندها سبعا. وفي الطبراني أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، انتهى كلام المواهب مع يسير من كلام الزرقاني.

وفي الشمائل عن أنس قال: لما وجد رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم من كرب الموت أي شدة ما وجد قالت فاطمة: وا.. كرباه.. فقال النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا كرب على أبيك بعد اليوم. قال جسوس في شرحه نقلا عن ابن سلطان بين لها أن كرب أبيها سريع الزوال منتقل إلى حسن الحال فأنت أيضا لا تكربي فإن محن الدنيا فانية وان العبرة بالمحن الباقية انتهى.

وآخر الحديث الماضي انه قد حضر بأبيك ما ليس بتارك منه أحدا والموافاة يوم القيامة، قال جسوس هذه تسلية أخرى سلاها أولا بأن ذلك الكرب غير مستمر وإنما هو منقطع بالقرب وثانيا بأن هذا الأمر النازل عام لجميع الخلائق والمصيبة إذا عمت هانت فاصبري ولا تحزني والموافاة الملاقاة يوم القيامة وموت العارفين مجرد انتقال من هذه الدار الضيقة الأقطار الموسومة بالفناء ودوام الأكدار إلى دار النعيم المقيم ولذلك يتمنون الموت وهو أحب إليهم من البقاء وقد كتب سيدي رضوان عند وفاته:

قرب الرحيل إلي الحبيب فمرحبا	أهلا به أهلا وسهلا مرحبا

وينسب للإمام أبي حامد الغزالي:

قل لإخوان رأوني ميتا	فبكوني ورثوني حزنا
أتخالون بأني ميتكم	ليس ذاك الميت والله أنا

إلي أن قال:

كنت قبل الموت ميتا بينكم	فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليوم أناجي ملكا	وأرى الله جهارا علنا

إلي أن قال:

لا ترعكم هجمة موتي فما	هي إلا نقلة من ها هنا
لا تظنوا الموت موتا إنه	لحياة هي غايات المنى

وقد نص المحققون على أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وسائر الأنبياء أحياء في قبورهم، وقد نقلوا قضايا تدل لذلك منها سماع رد سلامه على من سلم عليه ومنها مده يده الشريفة لسيدي أحمد الرفاعي لما انشد تجاه الحضرة الشريفة.

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
فهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وقد ورد ما يدل على دعائه لأمته واستغفاره لهم بعد موته، صلى الله تعالى عليه وسلم، انتهى المراد من كلام جسوس.

الحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد المصطفى فهي نعمة لا يحصى شكرها ولا يستوفى.

(وقد دفن ليلة الأربعاء خير من أمن)
دفن بالبناء للمجهول أي ووري ونائبه خير وأمن مبني للمجهول أيضا أي جعله الله أمينا وكان معروفا بالأمانة قبل البعثة ومعنى كلامه أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، توفي يوم الاثنين قرب الزوال وتأخر دفنه عليه الصلاة والسلام إلي ليلة الأربعاء فتم دفنه في آخرها. وفي الترمذي عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين قال قبض رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم الاثنين فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ودفن من الليل قال سفيان وغيره سمع صوت المساحي من آخر الليل قوله ودفن آخر من الليل أي ليلة الأربعاء وهذا قول الأكثر وقيل ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء. وقوله من آخر الليل فيه بيان لإجمال رواية الباقر، وإنما أخروا دفنه مع أن المطلوب الإسراع بالتجهيز لشدة دهشهم حتى صاروا كأجساد بلا

روح وأجسام بلا عقول أو لاشتغالهم بأمر الخلافة ليكون لهم إمام يرجعون إليه عند التنازع في شيء من أحواله أو لعدم اتفاقهم على موته أو على محل دفنه أو للأمن من تغيره أو ليبلغ موته النواحي القريبة فيحضروا جنازته اغتناما للثواب، قاله جسوس. وقوله
مكث بضم الكاف وفتحها وقوله سمع بصغة المجهول ومحمد الباقر من التابعين فالحديث مرسل والمساحي بفتح الميم جمع مسحاة بكسرها وهي كالمجرفة إلا أنها من حديد وهي من السحو بمعنى الكشف والإزالة، قاله البيجوري وفي الشمائل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال توفي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء، قال أبو عيسى هذا حديث غريب انتهى. وأبو عيسى هو الترمذي ومعناه ابتدئ في مقدمات دفنه بتجهيزه يوم الثلاثاء فلا ينافي أنه فرغ من دفنه في آخر ليلة الأربعاء، وحيث أمكن الجمع فلا حاجة لما قيل أن هذا الحديث سهو من شريك، قاله البيجوري.

(ودهش الأصحاب إذ مات النبي)
دهش كفرح، تحير أو ذهب عقله من وله، قاله في القاموس. يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما مات دهش أصحابه وطاشت عقولهم من عظم المصيبة التي نزلت بهم وحق لهم الدهش. قال جسوس في شرح الشمائل، قال في عيون الأثر لما توفي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك. فأما عمر رضي الله تعالى عنه فكان ممن خبل فجعل يقول والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم. وأما عثمان فأخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم وأقعد علي وأضنى عبد الله بن أنيس من الضنى وهو المرض، انتهى.

وقال القشيري والسلمي سقمت البصائر عند وفاته، صلى الله تعالى

عليه وسلم، إلا رجل وهو أبو بكر رضي الله تعالى عنه. فإن الله تعالى أيده بقوة السكينة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. فصار الكل مقهورا تحت سلطان مقالته لما بسط الله تعالى عليه من نور جلالته، فالشمس بطلوعها يندرج في شعاعها أنوار الكواكب، انتهى.

(ولم يكن أثبت فـــيـــهم من أبي بكر)

أثبت بالرفع اسم يكن وفيهم خبره، يعني أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن في الصحابة عند وفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، أحد أثبت منه قلبا ولا أشد جلدا، فلم يقع له عند نزول هذه المصيبة العظمى والداهية الدهياء ما وقع لغيره من أكابر الصحابة بل وجد عنده من العلم والقوة والثباة ونور اليقين المانع من استيلاء المصائب على قلبه ما لم يوجد عند غيره، ووافقه على ذلك العباس عمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أشار له الناظم بقوله:

(... وعـــمـــه الرضى العـــبـــاس)

قوله عمه بالجر عطف على أبي بكر والرضى بالكسر والقصر المرضي نعت له والعباس بدل من عمه ومعنى كلامه ان أصحابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليس فيهم إذ ذاك من هو أثبت قلبا من أبي بكر والعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما. فروى ابن اسحاق وعبد الرزاق والطبراني أن العباس قال لعمر هل عندكم عهد من رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ذلك؟ قال لا. قال فإنه قد مات! ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة واضحة، وهذا من موافقة العباس للصديق، قاله الزرقاني. ووافقهما أيضا المغيرة بن شعبة ففي المواهب من رواية الإمام أحمد عن عائشة قالت سجيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة واستاذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر إليه عمر فقال

واغشياه. فقال المغيرة يا عمر مات. قال عمر كذبت! إن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يموت حتى يفني الله المنافقين! ثم جاء أبو بكر من السنح فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال إنا لله وإنا إليه راجعون. مات رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم.. ووافقهم أيضا ابن أم مكتوم كما في مغازي أبي الأسود عن عروة قال ان ابن أم مكتوم كان يتلو: {إنك ميت وإنهم ميتون}. والناس لا يلتفتون إليه، نقله الزرقاني.

(فخطب الصديق خير الناس وثبت القوم)

خطب كنصر، أتى بخطبة، والصديق فاعل وخير الناس نعت له، أي خير من حضر من الناس بلا خلاف. وقوله وثبت القوم أي سكن اضطرابهم لما خطب خطبته المشهورة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} إلى قوله {الشاكرين}، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}، {إنك ميت وإنهم ميتون}. قال ابن عباس والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم منه، فما أسمع بشرا إلا يتلوها، يعني {وما محمد إلا رسول} (الآية)..

وروى الترمذي بإسناده عن سالم بن عبيد وكانت له صحبة، قال أغمي على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في مرضه فأفاق فقال حضرت الصلاة؟ فقالوا نعم. فقال مروا بلالا فاليؤذن، ومروا أبا بكر أن يصلي للناس أو قال بالناس. قال ثم أغمي عليه فأفاق، فقال حضرت الصلاة؟ فقالوا نعم. فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت عائشة إن أبي رجل أسيف إذا قام ذلك المقام بكى فلا يستطيع فلو أمرت غيره. قال ثم أغمي عليه فأفاق، فقال مروا بلالا فليؤذن وأبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب أو صاحبات يوسف.

قال فأمر بلال فأذن، وأمر أبو بكر فصلى بالناس، ثم ان رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجد خفة فقال انظروا إلى من أتكئ عليه، فجاءت بريرة ورجل آخر فاتكأ عليهما، فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص فأومأ إليه أن يثبت مكانه حتى قضى أبو بكر صلاته، ثم ان رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبض، فقال عمر والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبض، إلا ضربته بسيفي هذا. قال وكان الناس أميين لم يكن فيهم نبي قبله؛ فأمسك الناس فقالوا يا سالم انطلق إلى صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فادعه، فأتيت أبا بكر وهو في المسجد فأتيته أبكي دهشا فلما رآني قال أقبض رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،؟ قلت إن عمر يقول لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبض إلا ضربته. فقال لي انطلق فانطلقت معه، فجاء والناس قد دخلوا على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال أيها الناس أفرجوا لي فأفرجوا له، فجاء حتى أكب عليه ومسه فقال إنك ميت وإنهم ميتون. ثم قالوا يا صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أقبض رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،؟ قال نعم. فعلموا أن قد صدق. قالوا يا صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أيصلى على رسول الله؟ قال نعم. قالوا وكيف؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون ثم يدخل قوم، فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون حتى يدخل الناس. قالوا: يا صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أيدفن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال نعم. قالوا أين؟ قال في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أن قد صدق. ثم أمرهم أن يغسله بنو أبيه واجتمع المهاجرون يتشاورون فقالوا انطلق بنا إلي أخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر فقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر بن الخطاب من له مثل هذه الثلاثة؟ {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} منهما قال ثم بسط يده

فبايعه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة، انتهى.
قوله آغمي عليه أي لشدة ما حصل له من الضعف، وفتور الأعضاء، فالإغماء جائز على الأنبياء، لأنه من المرض، وقيده الغزالي بغير الطويل، وجزم به البلقيني بخلاف الجنون، فليس جائزا عليهم لأنه نقص، وليس اغماؤهم كإغماء غيرهم لأنه إنما يفتر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم، وأسيف حزين، أي يغلب الحزن فلا يطيق أن يشاهد محلك خاليا منك، وصواحب أو صاحبات يوسف صواحبات جمع صواحب فهو جمع الجمع ووجه التشبيه إظهار خلاف ما يبطن لأن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة وأضمرت أنهن ينظرن إلى حسن يوسف فيعذرنها في حبه وأمنا عائشة أظهرت أن سبب محبتها صرف الإمامة عن أبيها أنه رجل أسيف وأضمرت أن لا يتشاءم الناس به لأنها ظنت أنه لا يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، وبريرة بفتح الباء وكسر الراء الأولى بنت صفوان وهي قبطية أو حبشية مولاة عائشة، والرجل الآخر في رواية أنه نوبة عبد أسود وفي رواية للشيخين خرج ابن عباس ورجل آخر وهو علي وفي رواية العباس وولده الفضل وفي رواية العباس وأسامة ويمكن التوفيق بتعدد خروجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، واتكأ عليهما: اعتمد عليهما كما يعتمد على العصى وينكص أي يرجع القهقرى وفيه ضم الكاف وكسرها وقوله قبض أي وأبو بكر غائب بالعالية عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجية بعد إذنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ذلك لحكمة إلهية وأكب عليه قبله وقوله وكان الناس أميين أي لا يقرؤون ولا يكتبون والمراد أنهم لم يحضروا موت نبي فقولهم لم يكن فيهم نبي قبله تفسير له وقوله فأمسك الناس، أي عن النطق بموته، خوفا من عمر، وصاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا ينصرف إن أطلق إلا لأبي بكر وإنما دعوه لأنه قوي القلب عند الشدائد راسخ القلب عند الزلازل فهو الذي يسكن الفتنة والسنح بضم السين موضع بأدنى عوالي المدينة بينه وبين المسجد الشريف ميل، وقوله وقالت الأنصار قائل ذلك هو الحباب

بن المنذر، قاله على عادتهم في الجاهلية أن يكون لكل قبيلة رئيس ولما قالوا ذلك رد عليهم أبو بكر محتجا بالحديث الذي رواه نحو أربعين صحابيا الأئمة من قريش، وفي رواية الخلافة لقريش، والثلاثة التي اجتمعت لأبي بكر أحدها ثاني اثنين إذ هما في الغار، وثانيها إثبات الصحبة، والثالثة إثبات المعية في قوله {إن الله معنا}، وقوله فليصل بالناس نقل الدمياطي أن أبا بكر صلى بالناس سبع عشرة صلاة أولها عشاء الجمعة وآخرها صبح الاثنين، وانتهى المراد من البيجوري.

((...) وجـــاء الخـــضـــر مـــعـــزيا لهم على مـــا أثروا)

يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما توفي جاء أبو العباس أحمد الخضر فسمعوا صوته من ناحية البيت معزيا لهم والتعزية هي الحمل على الصبر، ومعزيا حال من قوله الخضر، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قوله ما أثروا أي العلماء أي على ما نقلوه، وفي المواهب عن جعفر الصادق عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثلاث ليال نزل عليه جبريل فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟ فقال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، ثم استاذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستاذن على آدمي قبلك ولا يستاذن على آدمي بعدك، قال إيذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تامر إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها. قال وتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال نعم. أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني. قال جبريل يا محمد إن الله قد اشتاق إلي لقائك، قال، صلى الله تعالى عليه وسلم، فامض يا ملك الموت لما أمرت به، فقال جبريل يا رسول الله،

هذا آخر موطئي من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه.
فلما توفي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، {كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة} إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب. فقال علي أتدرون من هذا، هو الخضر عليه السلام، رواه البيهقي ورواه الحاكم. ولا يصح لضعف سنده ولكنه وجد في مشهور من كتب الحديث.

وقالت عائشة ان من نعم الله علي أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري بفتح فسكون فيهما . وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي بذال معجمة وقاف مكسورة والنحر موضع القلادة من الصدر والسحر الصدر، وفي الأصل الرئة والحاقنة بحاء مهملة وقاف مكسورة قيل طرف الحلقوم وقيل نقرة الترقوة وقيل تحت السرة وقيل غير ذلك. والذاقنة ما علا من الحلقوم والمراد أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، توفي ورأسه بين عنقها وصدرها ولا يعارض ما سبق من أن رأسه كان علي فخذها لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلي صدرها، انتهى منها مع شرحها.
وأخرج أبو نعيم عن علي قال لما قبض، صلى الله تعالى عليه وسلم، صعد ملك الموت باكيا إلي السماء والذي بعثه بالحق نبيا لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وا محمداه.. الحديث قاله في المواهب في محل بعد هذا وقوله عن جبريل هذا آخر موطئي من الأرض المنفي نزوله بالوحي المتجدد فلا ينافي ما ورد أنه ينزل ليلة القدر ويحضر قتال الكفار مع المسلمين ويحضر من مات على طهارة من المسلمين وياتي مكة والمدينة خروج الدجال ليمنعه منهما وينزل على عيسى لا بشرع جديد انظر الزرقاني.

فائدة:

قال ابن حجر في فتح الباري في كتب العلم وخضر بفتح أوله وكسر ثانيه أو بكسر أوله وإسكان ثانيه ثبتت بهما الرواية وبإثبات الألف واللام فيه وبحذفهما، انتهى.

واختلف فيه، فقيل نبي مرسل، وقيل نبي غير مرسل، وقيل ولي، قال الحافظ في الفتح في كتب أحاديث الأنبياء وذكر المصنف في هذا الباب حديث أبي هريرة إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضرا زاد عبد الرزاق في مصنفه الفروة الحشيش الأبيض وما أشبهه، انتهى. ووافقه الحريري وقال ابن الأعرابي الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه. وعن مجاهد أنه سمي بذلك لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، قال الحافظ وقد اختلف في اسمه قبل ذلك، وفي اسم ابيه وفي نسبه، وفي نبوءته وفي تعميره، فقال وهب بن منبه هو بليا بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها تحتية وقيل اسمه إلياس وقيل اليسع وقيل عامر وقيل خضرون بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن ارفخشر بن سام بن نوح وعليه فولد قبل ابراهيم، لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم وقد حكى الثعلبي قولين في كونه قبل الخليل أو بعده، قال وهب وكنيته أبو العباس وروى الدارقطني عن ابن عباس أنه ابن آدم لصلبه، وهو ضعيف وذكر أبو حاتم إنه ابن قابيل بن ءادم رواه عن أبي عبيدة وغيره وعن اسماعيل بن أبي أويس أنه ابن مالك بن عبد الله بن نضر بن الأزد وعن ابن لهيعة انه ابن فرعون نفسه وقيل ابن بنت فرعون وقيل ابن عابيل بن معمر بن عيصوا بن اسحاق بن إبراهيم وقيل كان أبوه فارسيا رواه الطبري.

وروى ابن إسحاق أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان ودعا لمن يحفظ جسده حتى يدفنه بالتعمير فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذي تولى دفنه الخضر، انتهى المراد

من كلام ابن حجر. وفي سنن ابن ماجه انه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال في مرضه أيها الناس إن أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزى بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي، انتهى من المواهب.

وما أحسن قول القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلدي ... واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد
واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نوب تنوب اليوم تكشف في غد

وقال الآخر:

تذكرت أن قد فرق الدهر بيننا ... فعزيت قلبي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

(وغسل المختار في الثياب)

يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجرد من ثيابه التي مات فيها عليه السلام، بل غسل وهي عليه والمراد بها قميصه فالمراد بالجمع المفرد والله أعلم.

قال الحافظ العراقي:

غسل من بيره بئر غرس ... ولم يجرد من قميص اللبس

قال المناوي في شرحه اللبس بضم اللام وروي ابن إسحاق عن عائشة لما أرادوا غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قالوا ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله بثيابه؟! فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه ثيابه يصبون الماء فوق القميص، انتهى.

ونحوه في المواهب وعزاه للبيهقي، إلا أن لفظه فغسلوه وعليه قميصه يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص، وقوله غسل من بيره إلخ أي بوصية منه، رواه ابن ماجه عن علي مرفوعا إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بيري بير غرس، وكانت بيرا لسعد بن خيثمة، وكان المصطفى، صلى الله تعالى عليه وسلم، يشرب منها، وغرس بفتح الغين المعجمة وسكون الراء فسين مهملة، انتهى من المناوي.

وذقنه هو بفتح الذال والقاف مجتمع لحييه، جمع القلة أذقان والكثرة ذقون كأسد وأسود، قاله في المصباح نقله الزرقاني وفي المواهب عن ابن ماجة فاغسلوني بسبع قرب من بير غرس، ثم قال وروى ابن النجار أنه عليه الصلاة والسلام قال رأيت الليلة أني على بير من الجنة، فأصبح على بير غرس فتوضأ منها وبزق فيها، انتهى المراد منها.

وقوله من بيري أضافها إليه لأنه كان يشرب منها وبزق فيها وهي بقباء وحديث ابن ماجة سنده جيد، انتهى.

وغسل، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح بفتح القاف أي الخالص الذي لم يخالطه كافور ولا غيره والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وهو طيب معروف شجره بالهند والصين يظل خلقا كثيرا وتالفه النمور انظر الزرقاني.

(وولي الغسل من الأصحاب علي والعباس ثم ابناه
قثم الفضل ومولياه شقران مع أسامة)

يعني أن الذين تولوا غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، من أصحابه هؤلاء المذكورون وهم علي بن أبي طالب وهو الذي باشر الغسل وعمه العباس وابنه الفضل يعينانه في تقليب جسمه الشريف وقثم بضم القاف ابن العباس ومولياه عليه السلام شقران بضم المعجمة وأسامة بن زيد وهؤلاء الثلاثة كانوا يصبون الماء وأعينهم مربوطة بعصابة وكان علي يدلكه بخرقة كما في العراقي، وقال ان ذلك من تحت

القميص ونصه بعد قوله ولم يجرد من قميص اللبس.

يدلكه بخرقة على من تحته وهو له ولي
قال المناوي من تحته أي القميص، وقوله وهو له ولي أي وعلي هو الذي تولى غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بوصية منه كما رواه الواقدي عنه. وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الحارث قال غسل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، علي وعلى يد علي خرقة فأدخل يده تحت القميص يغسله والقميص عليه انتهى كلام المناوي.
وفي المناوي وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولياه يصبان الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني إلا أنت، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي وأخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فكان يقول بأبي وأمي طبت حيا وميتا. وأخرج أبو داوود عنه ذهبت انظر ما يكون من الأموات فلم أر شيئا وكان طيبا حيا وميتا، وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها وجعل على يده خرقة وأدخلها تحت القميص وذكر ابن الجوزي عن جعفر الصادق كان الماء يستنقع بكسر القاف أي يجتمع في جفونه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فكان علي يحسوه أي يشربه، انتهى المراد منها.
وقوله والعباس مبتدأ وابنه عطف عليه والخبر يعينانه أي في تغليب جسمه الشريف وضمير أعينهم للعباس ومن بعده لا لعلي، فإنه لم يعصب عينيه وطمست بفتح الطاء والميم زال ضوؤها وصورتها أي فإني أخشى على غيرك ان تحين منه لفتة فتطمس عيناه، وأما أنت يا علي فأعرف تحرزك عن ذلك فلا أخشى عليك.
وروي أن عليا نودي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا أن يديم النظر إليه، وقوله سطعت أي ارتفعت قاله الزرقاني، قال مؤلفه سمح الله تعالى له وانظر ما مر عن البيهقي من أنهم يصبون فوق

القميص ويدلكونه بالقميص هل يخالف رواية ابن سعد والحاكم، من أن عليا كان يدلك بخرقة تحت القميس أم لا، ولم يتعرضوا لذلك.

((...) وذكرا أن ابن خولى معهم قد حضرا)

فكان ينقل الماء وقيل حضر ذلك المكان ولم يل شيئا، قوله ذكرا بصيغة المجهول يعني أن بعض أهل السير كالعراقي وابن سيد الناس وغيرهم قد ذكر أن هؤلاء المذكورين حضر معهم في غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أوس بن خولى بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ومثناة تحتية ساكنة بعد اللام وهو خزرجي سالمي من بني عوف شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها، قاله المناوي، وهذا الضبط هو الذي صدر به وعزاه للقطب الحلبي ونقل أيضا عن الشاطبي والزمخشري والعسكري أنه بفتح الخاء والواو وشدة الياء، انتهى.

وللعراقي:

غسله علي والعباس وقثم والفضل ثم ناس
أسامة شقران يصببان الما وأوس حاضر المكان
وقيل كان ينقل الماء له وأن عمه لم يشاهد غسله

وأوس هو ابن خولى حاضر المكان، أي الذي غسل فيه من غير أن يلي وقيل كان ينقل الماء لغسله، روى البغوي عن ابن عباس كان الذي غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، علي والفضل فقالت الأنصار ناشدناكم الله فأدخلوا معهم رجلا يقال له أوس بن خولى وهو من أهل بدر، انتهى من المناوي.

وقال جسوس، قال في عيون الأثر غسله علي والعباس، وابناه الفضل وقثم ومولياه، أسامة وشقران وحضرهم أوس بن خولى الأنصاري، انتهى. ثم قال جسوس إلا أن الذي باشر غسله علي، انتهى المراد منه فقول الناظم قد حضرا يصح أن يفسر بكل من القولين أي حضر معهم مكان الغسل من غير أن يلي شيئا، أو حضر وولي نقل الماء كما مر والله تعالى أعلم. ولم يذكر في المواهب حضور ابن خولى وذكر أنهم حنطوا

مساجده ومفاصله ووضؤوا ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه أي بخروه عودا وندا بفتح النون وتكسر، وشد الدال طيب معروف أو العنبر، صلى الله تعالى عليه وسلم، تسليما.

(وكفن المختار في أثواب بيض ثلاثة بلا ارتياب)
يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفن في ثلاثة أثواب بيض يمنية بلا ارتياب أي بلا شك.

(دون عمامة ولا قميص ولا خياطة على المنصوص)
معنى كلامه أن الأكفان الثلاثة لم يكن فيها قميص ولا عمامة ولم تخط عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(بل جعلت لفائفا وأدرجا فيها (...))
أي لف، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيها، أي في تلك اللفائف.

((...) عليه الله صلى وسلم تسليما (مدرجا) بضم الميم وفتح الراء منصوب على المفعولية المطلقة بأدرج أي أدرج فيها إدراجا. وفي الرسالة وقد كفن النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ثلاثة أثواب بيض سحولية أدرج فيها إدراجا، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال أبو الحسن أي لف فيها لفا، انتهى. وما صرح به الناظم من أنها لفائف يمكن أنه ظاهر كلام الرسالة، وذكر الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح الموطإ وفي شرح المواهب ان في طبقات ابن سعد التصريح بأن الثلاثة المذكورة أزرة ورداء ولفافة، انتهى، والله تعالى أعلم. ولفظ الموطإ مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، زوج النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، انتهى. قال الزرقاني والحديث رواه البخاري وأصحاب السنن عن مالك بهذا السند

وتابعه السفيانان ويحيى القطان وغيرهم، كلهم عن هشام، وقوله ثلاثة أثواب في طبقات ابن سعد أزرة ورداء ولفافة، زاد ابن المبارك من كرسف، أي قطن. وقوله سحولية بضم المهملتين ويروى بفتح أوله نسبة إلى سحول قرية باليمن، وقال الأزهري بالفتح المدينة وبالضم الثياب، وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أي ليسا معدودين من جملة الثلاثة، بل زائدان عليها فلا يخالف قول مالك وأبي حنيفة باستحبابهما ويحتمل أن معناه لم يكن مع الثلاثة غيرها وهو قول الشافعي والجمهور بعدم استحبابهما وإنما ذلك جائز.
وقالت الحنابلة بالكراهة والنفي في الحديث نحو ما قيل في قوله تعالى: {بغير عمد ترونها} أي بغير عمد أصلا، أو بغير عمد مرئية، وقال بعض الحنفية معناه ليس فيها قميص جديد، انتهى منه.

وقال القباب في شرحه لقواعد عياض الحديث محمول عند مالك على أنهما كانا في الكفن إلا أنهما ليسا محسوبين في ثلاثة الأثواب، انتهى. ونحوه للعدوي في حاشية الرسالة. وفي المواهب والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح أشهر وهو رواية الأكثرين، وفي النهاية تبعا للهروي بالفتح منسوب إلي السحول وهو القصار لأنه يسحلها أي يغسلها أو إلي سحول وهي قرية باليمن، وأما الضم فهو جمع سحل، وهو الثوب الأبيض النقي اهـ. قال الزرقاني وفيه شذوذ لأنه نسب إلي الجمع وقيل إن اسم القرية بالضم، انتهى.
ثم ذكر في المواهب أن النووي صوب تفسير الشافعي وقال إن الثاني وهو تفسير مالك ضعيف لأنه لم يثبت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفن في قميص وعمامة، انتهى.
قال الزرقاني وهو مشترك الإلزام إذ لم يثبت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يكفن فيهما والحديث يحتملهما، انتهى.
وقال العراقي بعد أن ذكر أنه عليه السلام كفن في ثلاثة:

وقــد روى الحــاكم أن قــد كــفنا   في ســبــعـــة وبالشــذوذ وهنا
أي وضعف بأنه شاذ، قاله المناوي.

(وفــرشت للمـصطفى في القـبــر   قـطيــفــة حـمــراء دون نكر)
القطيفة بفتح القاف وكسر الطاء المهملة فتحتية ساكنة ففاء كساء له خمل وفرشت بصيغة المجهول أي بسطت ونكر بضم النون أي انكار يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرشت له في لحده قطيفة حمراء نجرانية كان يتغطى بها ويروى كان يجلس عليها، قال الزرقاني ولا خلف بينهما لجواز أنه فعل الأمرين، فرشها له، صلى الله تعالى عليه وسلم، مولاه شقران بضم الشين، وقال والله لا يلبسها أحد بعدك.
وقولي نجرانية قال الزرقاني بفتح النون وإسكان الجيم نسبة لبلد بين اليمن وهجر، انتهى.
ولم يذكر الناظم رحمه الله تعالى القول بأنها أخرجت بعد ذلك قبل إهالة التراب عليه وعزاه المناوي للواقدي، وفي المواهب ان ابن عبد البر قال ثم أخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع، انتهى.
وللعراقي:
وفــرشت في قــبــره قطيــفـــة   وقـــيل أخــــرجت وهذا أثبت
وظاهر العراقي ترجيح كونها أخرجت والله تعالى أعلم. وقال المناوي في شرح القول الأول روي في الإكليل عن ابن عباس كان شقران حين وضع المصطفى، صلى الله تعالى عليه وسلم، في حفرته أخذ قطيفة كان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، يلبسها ويفرشها ودفنها معه في القبر، وقال والله لا يلبسها أحد بعدك، انتهى.
قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه وقد صرح في هذه الرواية بأن القطيفة كان يلبسها ويفرشها عليه السلام أي يفعل الأمرين اللذين جمع الزرقاني بين الروايتين بجواز أنه فعلهما وقوله يفرشها مقتضى القاموس أنه بضم الراء، وفي المواهب قال النووي وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مخدة

ونحو ذلك تحت الميت في القبر، وشذ البغوي من أصحابنا فقال لا بأس بذلك لهذا الحديث، والصواب كراهة ذلك، كما قاله الجمهور. وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا بذلك، انتهى.

(وكان في طيبة حافران للشق واللحد فجاء الثاني وألحد القبر له (...))

يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما أرادوا حفر قبره الشريف اختلفوا في الشق واللحد فقال المهاجرون شقوا كأهل مكة وقالت الأنصار الحدوا كما نحفر بأرضنا وكان في طيبة وهي المدينة حافران أحدهما مهاجري يشق وهو أبو عبيدة بن الجراح والثاني أنصاري يلحد وهو أبو طلحة زيد بن سهل، فقالوا نبعث إليهما فأيهما جاء قبل الآخر فعل فعله، فبعثوا إليهما فجاء أبو طلحة أولا فألحد له فعلموا أن اللحد هو الذي اختار الله تعالى لنبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنه الأفضل قال في المواهب وحفر أبو طلحة لحد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في موضع فراشه حيث قبض وقال الزرقاني في شرحه روى ابن سعد اختلفوا في الشق واللحد فقال المهاجرون شقوا كأهل مكة وقالت الأنصار ألحدوا كما نحفر بأرضنا، فقالوا ابعثوا إلي أبي عبيدة وأبي طلحة فأيهما جاء قبل الآخر فليعمل عمله، فجاء أبو طلحة فقال والله إني لأرجو أن يكون الله قد اختار لنبيه أنه كان يرى اللحد، فيعجبه فألحد له، انتهى منه.

وقوله وألحد القبر له فاعل ألحد ضمير يعود على قوله الثاني وهو أبو طلحة لأنه هو الحافر للحد، وفي القاموس لحد القبر كمنع وألحد عمل لحدا انتهى. والضمير المجرور في البيت للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فمعنى قوله ألحد القبر له أي عمله له لحدا، وفي الحديث اللحد لنا والشق لغيرنا وفي الرسالة واللحد أحب إلي أهل العلم من الشق وهو أن يحفر للميت تحت الجرف، في حائط قبلة القبر إذا كانت الأرض

صلبة لا تتهيل وتتقطع وكذلك فعل برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال القلشاني فسر اللحد ولم يفسر الشق وهو أن يوسع القبر ثم يحفر في وسطه قبر آخر قدر الميت، وجاء اللحد لنا والشق لغيرنا ولما توفي عليه السلام بعث الصحابة لرجلين أحدهما يشق والآخر يلحد واتفق الصحابة على أن يحفر له السابق فسبق الذي يلحد فاختار الله تعالى لنبيه اللحد فكان هو الأفضل، انتهى منه.

وفي المواهب واختلف فيمن أدخله قبره وأصح ما روي أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس. ويقال دخل معهم أوس بن خولى وكان آخرهم عهدا برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قثم بن العباس، انتهى. قال الزرقاني أي أنه تأخر في القبر حتى خرجوا، انتهى كلامه. وصدر العراقي بأن الذين غسلوه دخلوا قبره، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونصه:

ودخل النفر الألى في الغسل ... وقيل لا أسامة وخولي
زاد ابن سعد أيضا ابن عوف ... مع عقيل امنو من خوف

قوله الألى في الغسل أي الذين مر ذكرهم في الغسل والنفر الجماعة وقيل دخلوا قبره إلا أسامة وأوس بن خولى انظر المناوي والنفر هنا بسكون الفاء قاله مؤلفه.

((...) وأطبقا ... عليه تسع لبنات مطبقا)

قوله أطبق بالبناء للمفعول ونائبه تسع، ومطبقا بضم الميم وفتح الموحدة منصوب على المفعولية المطلقة، يعني أنه لما وضع في قبره الشريف أطبق عليه تسع لبنات اطباقا. قال في المواهب وروي أنه بني في قبره تسع لبنات، انتهى. وقال الحافظ العراقي:

ولحدوا له ونصبت ... عليه تسع لبنات أطبقت

قال المناوي لحدوا بفتح الحاء واللحد الشق في جانب القبر وتسع بتقديم المثناة على السين واللبنة بكسر الموحدة ما ضرب من الطين قبل الطبخ، وأطبقت أي جعلت على مقداره من جميع جهاته كالغطاء، انتهى.

وقال في القاموس الطبق محركة غطاء كل شيء وأطبقته جعلته وطبقته فانطبق وتطبق والطبق أيضا من كل شيء ما ساواه، وقد طابقه انتهى.

(في بيت عائشة)

المجرور متعلق بقوله ألحد يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، حفر قبره الشريف في بيت أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها، أي تحت فراشه، في الموضع الذي قبض فيه، وذلك أنه لما فرغوا من الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قالوا أين ندفنوه؟ فقال ناس عند المنبر وقال آخرون بالبقيع، فجاء أبو بكر فقال سمعت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول ما دفن نبي إلا في مكانه الذي توفي فيه. فحفر له فيه، أخرج الإمام في الموطأ. قال الزرقاني في شرحه وأخرج الترمذي عن أبي بكر مرفوعا ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، قال الزرقاني هذا من خصائص الأنبياء كما ذكره غير واحد والأفضل في حق من عداهم الدفن في المقبرة ومن كل مدينة جبانة، انتهى. وقولي ولما فرغوا من الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، اعلم أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، صلى عليه الناس أفلاذا لا يؤمهم أحد كما في الموطأ وغيره وكان الناس يدخلون عليه فوجا فوجا فيصلون صفا صفا ليس لهم إمام، وروى ابن سعد أن عليا قال هو إمامكم حيا وميتا. وقال الزرقاني بعد كلام ذهب جماعة إلي أنه لم يصل عليه، وإنما كان الناس يدخلون فيدعون ويصدقون، وقال عياض الصحيح الذي عليه الجمهور أن الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كانت صلاة حقيقة لا مجرد الدعاء فقط، انتهى. نعم لا خلاف أنهم لا يؤمهم أحد فقيل تعبدي وقيل ليباشر كل واحد الصلاة عليه منه إليه، وقال الشافعي وذلك لعظم أمره، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتنافسهم فيمن يتولى الصلاة عليه وقيل لعدم اتفاقهم على خليفة وقيل لوصيته

بذلك، وروى البزار والحاكم من سند فيه مجهول أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما جمع أهله في بيت عائشة قالوا فمن يصلي عليك؟ قال إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سرير اخرجوا عني فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة بأجمعهم ثم ادخلوا علي فوجا فوجا وسلموا تسليما. وفي الترميذي أن الناس قالوا لأبي بكر أنصلي على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،؟ قال نعم. قالوا وكيف نصلي عليه؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يدخل قوم ويصلون فيكبرون فيدعون فرادى انتهى المراد من كلامه.

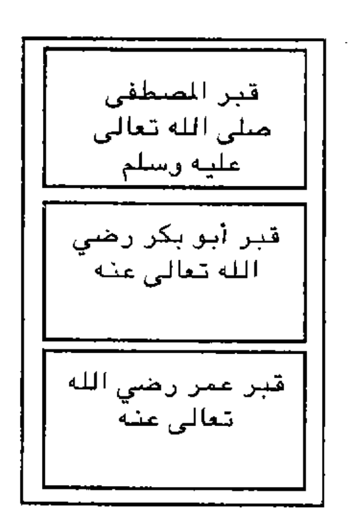
وللعراقي:

ثم أتى الرجال فوجا فوجا صلوا فرادى ومضوا خروجا
ثم النساء بعدهم فالصبية في حديث وبه جهالة
صلى عليه أولا جبريل ثمت ميكلائيل إسرافيل
ثم يليه ملك الموت معه جنوده الملائك المجتمعه

وقوله خروجا أي خارجين ثم بعد الصبيان دخل العبيد فصلوا أفذاذا إرسالا وقوله وبه جهالة أي في اسناده، عبد الملك بن عبد الرحمان مجهول، قاله المناوي، وفي الحديث الذي أشار إليه هو ما قدمته عن الزرقاني **والصديق يليه ثم حوله الفاروق** الصديق مبتدأ ويليه خبره يعني أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قبره هو الذي يلي قبر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وراءه وقبر سيدنا عمر وراء قبر أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وهذا مراده بحوله والله تعالى أعلم.

وروى أبو بكر الآجري من طريق إسحاق بن عيسى عن عثيم بن نسطاس قال رأيت قبر النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في إمارة عمر بن عبد العزيز ورأيته مرتفعا نحوا من أربعة أصابع ورأيت قبر

أبي بكر وراء قبره ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه، قال في المواهب والأجري بضم الجيم المعجمة وشد الراء المهملة نسبة إلي عمل الأجر وبيعه وعثيم بمهملة فمثله مصغر ونسطاس بكسر النون وسكون المهملة ورواه أبو نعيم بزيادة وصوره لنا قاله الزرقاني.

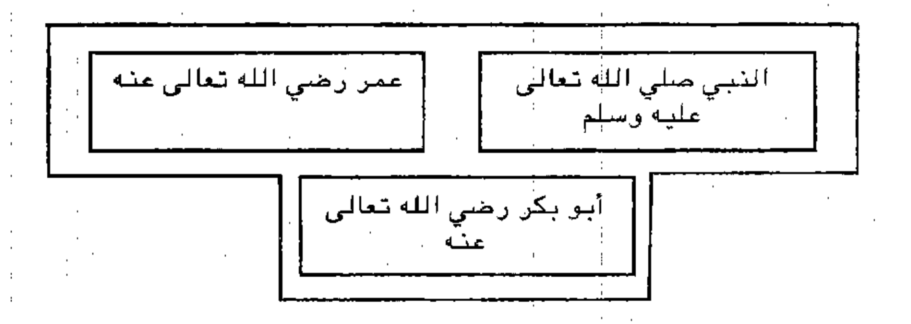


ولمؤلفه شوقا إلي هذه الروضة الشريفة:

يا روضة طاب منها الرق والقلم ... ولاح نور الهدى وانجابت الظلم
فيها النبي وأبو بكر خليفته ... وسيدي عمر فاروقنا العلم
يا ليتني كنت فيها قاطنا أبدا ... بل ليتني زرتها بل ليتني أمم
عليه والآل والأصحاب أجمعهم ... أزكى صلاة وتسليم يعمهم

وفي البخاري من طريق سفيان التمار وهو من كبار التابعين أنه رأى قبر النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، مسنما، زاد أبو نعيم وقبر أبي بكر وقبر عمر كذلك، وروى أبو داوود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال دخلت على عائشة فقلت يا أمه أكشفي لي عن قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة أي لا مرتفعة كثيرا ولا لاصقة بالأرض يقال لطئ بكسر الطاء ولطا بفتحها أي لصق مبطوحة ببطحاء العرصة

الحمراء، قال الزرقاني وغاية ما يفيد هذا أنها لم تكن غاية في الارتفاع وهو المطلوب فكيف يتأتي احتمال أنه لم يكن مسنما، انتهى. زاد الحاكم فرأيت رسول الله أي قبره، صلى الله تعالى عليه وسلم، مقدما وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعمر رأسه عند رجلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال الزرقاني قال أبو اليمن بن عساكر وهذه صفته:



وفي المواهب قال رزين ورش قبره، صلى الله تعالى عليه وسلم، رشه بلال بقربة بدأ بها من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء ورفع قبره عن الأرض قدر شبر ولما دفن، صلى الله تعالى عليه وسلم، أخذت فاطمة من تراب القبر ووضعته علي عينها وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد	أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها	صبت على الأيام عدن لياليا

والغوالي بمعجمة جمع غالية أخلاط من الطيب وروي أنها قالت:

اغبر ءافاق السماء وكورت	شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبي كئيبة	أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها	وليبكه مضر وكل يمان

انظر الزرقاني. وقال المناوي الغالية أخلاط من الطيب مركبة من مسك وعنبر وعود وكافور. وقال النووي هي عنبر ومسك مخلوطان بدهن وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك، انتهى كلام المناوي.

قاصر على أسماء الأجناس مع المشي على الضعيف قاله الزرقاني.
وقوله الموضوع على الذات أراد به ما دل عليه اللفظ، وقوله لتعريفها كأسمائه تعالى فإن مدلولها لا يلتبس بغيره حتى يراد تمييزه والمراد منها تعريف عباده به تعالى، وقوله أو تخصيصا أي تمييزها عن غيرها كأسماء المخلوقات وقوله والمسمى هو الذات أراد به المسمى جوهرا أو عرضا كمسمي البياض وقوله إذا أطلق أي كالألفاظ الموضوعة وقوله أحس كالنقوش الدالة عليها فإذا تصورت انتقل منها إلي الألفاظ ثم منها إلي معانيها وقوله فهم منها ذلك المعنى أي للعالم بالوضع، قاله الزرقاني. وفي الزرقاني بعد هذا بنحو أربع أوراق: ونقل الغزالي الاتفاق وأقره في الفتح على أنه لا يجوز لنا أن نسميه، صلى الله تعالى عليه وسلم، باسم لم يسمه به أبوه ولا يسمي به نفسه، انتهى. أي لا يجوز لنا أن نخترع له علما وإن دل على صفة كمال ولا يرد على الاتفاق الخلاف في أسمائه تعالى لثبوت صفات الكمال كلها له تعالي، والنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، إنما يطلق عليه الكمال اللائق بالبشر فلو جاز ما لم يرد به سماع لربما وصف بما يليق بالله دونه على سبيل الغفلة، انتهى كلامه.

(وذكـــــر بعض الوصف والثناء)
ذكر بالرفع عطف على بيان أي هذا ذكر بعض أوصافه، صلى الله تعالى عليه وسلم، سواء كانت خلقية بفتح الخاء وهي الراجعة للصورة الظاهرة وتدرك بالبصر أو خلقية بضمها كالحلم والزهد ونحوها من الأوصاف المدركة بالبصيرة، وقوله الثناء أراد به هنا أوصافه التي يثنى عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بها فهو في المعنى مقارب لقوله في الوصف، **(وكان أجمل الورى)** الورى الخلق، يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو أجمل الخلق، أي أحسنهم صورة. قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله، صلى الله تعالى

عليه وسلم، رواه الشيخان. وقال أبو هريرة ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا تبسم يتلألأ، الجدر، وقوله كالشمس إلخ.. أي يتوهج كتوهج الشمس بحسنه وصفائه وبهاء ضيائه، وقوله يتلألأ بهمزتين أي تلمع ثناياه كاللؤلؤ، والجدر بضمتين جمع جدار وهو حائط الدار، والحديث رواه أحمد والترمذي وابن حبان، قاله ابن سلطان. وقال جابر بن سمرة وقال له رجل أكان وجهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مثل السيف؟ فقال لا. بل مثل الشمس والقمر. وكان وجهه مستديرا، قاله في الشفا. وقوله مستديرا أي غير مستطيل فلا ينافي ميلانه إلي الطول، قاله ابن سلطان، وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به كما مرّ أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب قوله وأحلاه بالإفراد أي الناس وكذا قوله وأحسنه أي تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته من قريب.

وفي حديث ابن أبي هالة يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وخصه لأن ذاك زمان كماله وسمي بدرا لمبادرته الشمس في الغروب ليلا ومبادرتها إياه في الطلوع صباحا، وقال علي رضي الله تعالي عنه في آخر وصفه، من رآه بديهة هابه، أي خافه، مخافة العظمة، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والناعت الواصف والأحاديث الواردة في هذا لا تكاد تنحصر. ولا يدرك قعر بحرها المنهمر انظر الشفا وشرح القارئ له. وقال الإمام التسولي لو لم يكن له، صلى الله تعالى عليه وسلم، سوى ما اشتملت عليه ذاته من المحاسن لكفاه فإن جميع الواصفين له، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يدركوا من أوصافه إلا اليسير، لأن ما حوت ذاته من المحاسن خرق عادة ولم يوجد لبشر سواه فقد قالوا أن الله تعالى أخفى عن الصحابة جل جماله لطفا بهم لأنه لو أبداه لهم لذهبت عقولهم فلا يبلغون عنه شيئا، ولذا أسلم أبو ذر رضي الله عنه عند رؤيته، انتهى.

وفي مطالع المسرات أن كل واحد منهم ينظر إليه على قدر طاقته بل

منهم من لم يكن يملأ عينيه منه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

((...) وأكملا   خلقا وخلقا بل لعمري أفضلا)

يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أكمل من جميع الخلق في الخلق بفتح المعجمة وسكون اللام وهو ما يرجع إلى صورته الظاهرة وفي الخلق بضمتين وهو ما يرجع إلي الأوصاف الباطنة كالشجاعة والحلم والصبر والحياء والكرم ووفور العقل الذي هو أصل كل كمال والجود والسخاء والإحتمال أما الشجاعة فهي قوة القلب عند البأس وكان عليه السلام أشجع الناس وما ولى العدو ظهره قط، وتأمل ما تقدم مما وقع له يوم حنين وهو راكب على البغلة التي لا تصلح للكر ولا للفر ومع ذلك يركضها في نحور العدو وينادي باسمه ووصفه الذي هو موجب غضبهم عليه وتكذيبهم له: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما الحلم فهو حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات للغضب الباعث على العجلة في العقوبة والصبر حبس النفس على ما تكره فهو أعم من الحلم، فالصبر يكون على العبادة وعن المعصية وفي المصيبة وأما الجود والكرم والسماحة ومعانيها متقاربة فلا شك أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان منها بالمحل الذي لا يدركه غيره. وفرق بعضهم بين هذه الحقائق فقال الكرم الإنفاق بطيب النفس أي انبساطها فيما يعظم خطره بفتحتين ويسكن أي قدره والانتفاع به فلا يطلق على ما يقل نفعه وسموه مزية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة أي صعوبة الخلق والسخاء سهولة الإنفاق على الأقارب والأجانب والغني والفقير وقال بعضهم من أعطى البعض فهو سخي ومن بذل الأكثر فهو جواد، ومن بذل الكل فهو كريم. وأما الحياء فهو رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أوما يكون تركه خيرا من فعله وكان عليه السلام أشد الناس حياء، انتهى من الشفا وشرح ابن

سلطان له.

وقوله بل لعمري أفضلا بل هنا للانتقال بغير ابطال ولعمري مبتدأ وخبره محذوف أي قسمي ولا شك أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أفضل من جميع المخلوقات. **(أخطأت)** يصح أنه للخطاب، أي أخطأت يا مادح، ويصح أن الضمير للمتكلم أي أخطأت أنا. **(إن شبهته بالبدر في الحسن)** وكأنه رحمه الله تعالي في هذه الأبيات يشير إلي الأخذ على مجلي حلبة المديح النبوي حيث قال كالزهر في ترف إلخ.. وما فعل الإمام البصيري هو الجاري على ألسنة العرب نظما ونثرا وتأمل قول ابن رواحة أوحسان على الخلاف في ذلك:

روح من النور في جسم من القمر كحلة نسجت بالأنجم الزهر

وقول حسان:

واق وماض شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الأناجيل

وقول أمنا عائشة رضي الله عنها: وقد نظرت إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوما فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنت والله أولى بقول أبي بكر الهذلي.. وإذا نظرت إلى أسرة وجهه... برقت كبرق العارض المتهلل... وقد مر قول ابن أبي هالة فيما تقدم يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، وقول أبي هريرة كأن الشمس تجري في وجهه كما مر، وقال جابر بن سمرة فيما مر أن وجهه مثل الشمس والقمر، وهذا كثير جدا. ومن أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، النجم والشمس كما في المواهب، والسراج.

(أو جعلته كالبحر في الجود)

أي أخطأت إن جعلته في الجود مثل البحر وجوابه ما تقدم، **(أو مثلته بالزهر، في ترف)**، الزهر بالفتح النور والترف النعومة، أي وأخطأت إن قلت إنه مثل الزهر في النعومة، ترف كفرح تنعم، وترفته نعمته **(أو قلت نحو الدهر في همم)**، تهمم الشيء طلبه والهمة بالكسر ويفتح ما

هم به من أمر ليفعل والهوى قاله في القاموس أي وأخطأت أيضا إن قلت أنه مثل الدهر في الهمم أي في أنه لا يطلب أمرا إلا أدركه كما قال البصيري كالزهر في ترف والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في همم، وفيه من البديع أن كلا شطريه متصارع في نفسه.

وقال حسان بن ثابت:

له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

والعذر للإمام البصيري كثرة ذلك في ألسن الشعراء، كقوله:

إذا أعجبتك الدهر حال من امرئ فدعه وواكل أمره والليالیا

وقوله:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا

وقول ابن دريد:

إن الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياه للبلا

ومن نحو تشبيهه قوله تعالى: {كأنهن بيض مكنون، كأنهن الياقوت والمرجان} جريا على لغة العرب.

((...) ولو عكست المثلا لكان عندي خطئا بل خطلا)

العكس قلب الشيء والمثلا محركة الصفة ومنه مثل الجنة والخطأ ضد الصواب والخطل محركة الخفة والكلام الفاسد الكثير ومعنى كلامه ولو قلبت الصفة فشبهت هذه الأشياء المتقدمة به، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما ذكرت فقلت إن البدر كهو في الحسن إلى آخرها لكان ذلك غير صواب بل كان كلاما فاسدا، والبدر إنما اكتسب الحسن منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن نوره مستفاد منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذا جود البحر وهمة الدهر ونعومة الزهر ولينه، إنما استفيد جميع ذلك منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذا لولا هو عليه السلام ما خلق قمر ولا شمس ولا بر ولا بحر ولا جنة ولا نار، ولا إنس ولا جان ولا

غير ذلك. وفي الحديث القدسي خلقتك من أجلي وخلقت الخلق من أجلك أو كما قال. أي خلقت الخلق لأعرفهم كرامتك علي. انظر الزرقاني.

(من أين للبدر بهاء خده) البهاء الحسن. **(من أين للدهر وفاء عهده)**، أي من أي جهة وصل للبدر حسنه؟ ومن أي جهة وصل للدهر، إنه لا يعاهد بشيء إلا وفى به، أي لم يصل لهما ذلك إلا من جهته، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(من أين للأزهار لين عطفه؟)** الأزهار جمع زهر وهو النور واللين بالكسر والعطف بالكسر جانب الشيء أي من أي جهة حصل للزهر لين جانبه ونعومته؟ **(من أين للبحر سخاء كفه؟)** السخاء الكرم شبه البدر بشخص والبحر بشخص وأضاف إليهما ما هو من لوازمهما وكذا ما بينهما.

(لا والذي أعطاه كل الحسن ما إن له من مشبه في الكون)
لا زائدة والذي قسم وجوابه قوله ما إلخ... ومن زائدة ومدخولها مبتدأ وخبره المجرور قبله وإن مؤكدة لما أي وأقسم بالله الذي أعطى النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كل الحسن ما له عليه السلام من مشبه في الكون. أي المخلوقات المكونات وقد تقدم أن الصحابة رضوان الله عليهم منهم من لم يكن يملأ عينيه منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مع أن الله تعالى أخفى عنهم جل جماله لطفا بهم لئلا تطيش عقولهم وقوله لا والذي أعطاه إلخ.. قال الشيخ البوني:

... وكثيرا وجدا وجود لا زائدة قبل القسم

كمثل لا أقسم، لا أفعل ذم. وزيادتها قبله وجوابه مثبت كثير نحو: {فلا أقسم بمواقع النجوم} (الآية)، {ولا أقسم بهذا البلد} وقد تزاد قبله وجوابه منفي كبيت الناظم ونظيره قوله:

أخلاي لا تنسوا مواثيق بيننا
فإني لا والله ما زلت ذاكرا

قال مؤلفه غفر الله تعالى له ولأحبابه وها أنا إن شاء الله تعالي أذكر نظم الحافظ العراقي لوصف أم معبد بنت خالد الخزاعية به، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأذكر ما يحتاج له من كلام شارحه المناوي قال العراقي:

تقول فيه بلسان ناعت	أبلج وجه ظاهر الوضاءة
الخلق منه لم تعبه ثجله	كلا ولم تزر به من صعله
أدعج والأهداب فيها وطف	من طولها أو غطف أو عطف
والجيد فيه سطع وسيم	والصوت فيه صحل قسيم

قوله بلسان بالتنوين وناعت صفة له، أي بلسان واصف لمحاسنه الظاهرة هو رجل أبلج وجه أي نيره مشرقه ولم ترد بلج الحاجب لأنها وصفته بالقرن الذي هو ضده والوضاءة الحسن والجمال. قال ابن عباس لم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضووه ضوء السراج، رواه ابن الجوزي. والخلق بفتح المعجمة وسكون اللام وتعبه بفتح الفوقية وكسر العين وثجلة بمثلثة مضمومة وجيم ساكنة وهي عظم البطن مع استرخاء أسفله والمراد لم يوجد في بدنه شيء يعاب وروي بنون مفتوحة وحاء مهملة ساكنة أي لم تعبه رقة هزال، قال القتبي ولم أسمع بالنحل أي بنون وحاء مهملة في غير هذا الموضع إلا في العطية. وقوله كلا، ردع لمن عابه بشيء من ذلك ولم تزر بضم المثناة الفوقية وسكون الزاي من الازراء الاستحقار والاستخفاف بالشيء والصعلة بفتح الصاد وسكون العين المهملتين صغر الرأس. وكان عليه السلام عظيم الهامة وأدعج شديد سواد العين والأهداب جمع هدب بضم فسكون ووطف بفتح الواو والطاء المهملة وغطف بفتح الغين المعجمة بدل الواو وهما بمعنى وهو أن يطول شعر الأجفان وينعطف. وفي رواية عطف بعين وطاء مهملتين مفتوحتين وهي بمعناهما والجيد بكسر الجيم بمعنى العنق الوارد في رواية أم معبد، وسطع بمهملتين مفتوحتين أي طول ووسيم أي حسن مضيء وفي

حديث أبي هالة أن عنقه كان في صفاء الفضة وليس وصفه بالوسامة في حديث أم معبد وصحل بفتح الصاد والحاء المهملتين هو كالبحة أي لم يكن حاد الصوت وقسيم جميل الوجه كله أي كل موضع منه أخذ قسما من الجمال، انتهى المراد من كلام المناوي.

وللعراقي بعد ما قدمت:

كثيف لحية أزج أقرن	أحلاه من قرب له وأحسن
أجمله من بعد وأبهى	يعلوه إذ ما يتكلم البها
كذاك يعلوه الوقار إن صمت	منطقه كخرز تحدرت
فصل الكلام ليس فيه هذر	حلو المقال ما عراه نزر
لا بائن طولا ولا يقتحم	من قصر فهو عليهم يعظم

كثيف لحية أي في لحيته اجتماع والتفاف، وهو بمعنى كث اللحية، وأزج مقوس الحاجبين مع ظهور الشعر وطول في طرفه وهذا خلقة فيه وأقرن أي متصل أحد الحاجبين بالآخر، كذا وصفته أم معبد، وعورض برواية ابن هالة سوابغ في غير قرن وأجيب بأنه كان بحسب ما يبدو للناظر من بعد أو بغير تأمل وأما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلا دقيقا فهو أبلج في الواقع أقرن بحسب ما يبدو للناظر بغير تأمل وأحلاه بالافراد أي من تأمله من قرب رآه أحلى الناس وأحسنهم ومن رآه من بعد رآه أبهى الناس وأحسنهم ووحد الضمير حملا على لفظه أو على الجنس أي أحلى هذا الجنس أي الناس وقوله يعلوه إذ ما يتكلم البها، لفظ أم معبد إن تكلم سماه وعلاه البهاء أي ارتفع وعلا بكلامه على جلسائه والوقار الرزانة وتحررت تساقطت وفصل الكلام أي بينه يفصل بين الحق والباطل لفظ أم معبد حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر أي ليس بقليل لا يفهم ولا كثير يمل، ولا يقتحم من قصر بالبناء للمفعول ولفظ أم معبد ولا تقتحمه عين من قصر أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقارا له، انتهى المراد منه ثم قال العراقي:

بنظرة المنظر والمقدار	تحفه الرفقة بائتمار
إن أمروا تبادروا امتثالا	أو قال قولا انصتوا اجلالا
فهو لدى أصحابه محفود	أي يسرعون طاعة محشود
ليس بعابس ولا مفند	بذاك عرفته أم معبد

نضرة المنظر حسنه وهي بفتح النون وسكون المعجمة وقوله والمقدار أي وعظم مقداره وتحفه، يطوفون به؛ ويدورون حوله؛ وقوله بائتمار أي مع ائتمارهم بأمره، والمحفود المخدوم، والمحشود من يجتمع الناس حوله ليمتثلوا قوله ويهتدوا بأفعاله والعابس كالح الوجه لمن يجالسه والمفند بفتح الفاء وكسر النون مشددة من يكثر اللوم أو المنسوب إلي الجهل وقلة العقل انظر المناوي.

ومن نظم العراقي لوصفه هند بن ابي هالة له عليه السلام:

مفلج الأسنان سهل الخد، أشنب بادن طويل الزند... عنقه يرى كجيد دمية... مع صفاء لونه كالفضة... قال في القاموس: مفلج الثنايا منفرجها وظاهرها اختصاصه بالثنايا ويؤيده إضافته الى الثنيتين في خبر ابن عباس وقول بعضهم يحتمل الانفراج مطلقا يرده أن المقام مقام مدح وقد صرح جمع بأن تباعد الأسنان كلها عيب عندهم وسهل الخد أي غير مرتفع الوجنتين وهو معنى أسيل الخدين وأشنب أي لأسنانه غاية البريق واللمعان والبياض وبادن ضخم البدن لا مطلقا بل بالنسبة لما مر، من كونه شثن الكفين والقدمين جليل المشاش والكتد، ولما كانت البدانة قد تكون من كثرة اللحم والسمن المفرط الموجب لرخاوة البدن وهو مذموم أردفه ابن أبي هالة الوصاف بنفي ذلك فقال: متماسك أي يمسك بعض أجزائه بعضا، من غير ترجرج ولا استرخاء فهو على الخلق الأول لم يضره السمن فهو لما بلغ السن الذي شأنه استرخاء اللحم كان كالشباب والزند كفلس قال الزمخشري ما انحسر عنه اللحم من الذراع والدمية الصورة من نحو رخام أو عاج والمراد الصورة التي بولغ في تحسينها فشبه عنقه بالدمية في الاستواء والاعتدال وبالفضة في اللون

والأشراق، انتهى من المناوي.

(ما أبصر الراؤون قط مثله)

ما نافية والراؤن جمع راء فاعل أبصر وقط ظرف زمان للتعميم في الزمن الماضي يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم ير الراؤون مثله في الحسن فيما مضى ولن يروا مثله فيما ياتي لأنه لا مماثل له في الحسن أصلا حتى يرى. وفي الترمذي عن علي كرم الله وجهه لم ار قبله ولا بعده مثله. وللعراقي:

يقول من ينعته ما قبله   أو بعده قط رأيت مثله

ويشمل المثل هنا المساوي فقط أو مع زيادة والمنفي هنا عموم الشبه فلا ينافي نوعا منه وهو المثبت للذين يشبهون به، صلى الله تعالى عليه وسلم، انظر المناوي. وقال أبو بكر نظرت إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ليلة مقمرة فجعلت انظر إليه مرة وإلى القمر أخرى، وحسن جماله يزيد على القمر، فقلت صدق الله إذ قال وسراجا منيرا.

(يا ما أحيلاه وأبهى شكله (...))

الشكل الصورة وأبهى معناه أحسن وما تعجبية أي ما أحلاه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وما أحسن صورته والتصغير في أحلى للتعظيم وفي الدماميني وغيره أن التصغير لم يسمع إلا في أحسن وأملح، كقوله:

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا   من هؤليـاء كن الضال والسمر

وشذ تصغير أفعل مقصورا على السماع خلافا لابن كيسان في اطراده، انتهى المراد منهما.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه التصغير هنا وإن كان للتعظيم والمحبة فالصواب أن يصان عنه هذا الجناب الرفيع لأنه يدخل الأسماء المعظمة فكذلك المعاني المفخمة، وهذا هو الأبلغ في الأدب في حق من

إليه جميع من ضمه المحشر في الشفاعة يرغب، صلى الله تعالى عليه وسلم، صلاة وتسليما منه إليه علي قدر جاهه العظيم، نسأله سبحانه بمنه أن يحلنا نحن وأحبتنا بجاهه عقب الموت جنات النعيم، آمين، آمين آمين يا أرحم الراحمين. **(فهو)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لعمري)** قسم اعترض بين المبتدإ وهو قوله فهو بسكون الهاء وخبره الذي هو قوله **(مفرد)** أي واحد لا ثاني له **(في الحسن)** أي ما أعطي له عليه السلام من الحسن الذي لم يشاركه فيه غيره فلا ينافي أن غيره أعطي بعض الحسن فالمنفي إنما هو مشاركة مخلوق له في حسنه بحيث يكون مماثلا له في الحسن. وقوله **(معنى وصورة)** أراد بالمعنى الأوصاف الباطنة كالسجايا من كمال العقل والحلم والصبر والزهد والكرم وغيرها وبالصورة الذات الظاهرة وأوصافها المرئية بالبصر قد أوتي عليه السلام من حسن الخلق ما لم يؤته مخلوق غيره وحسن الخلق ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الأفعال، قال العراقي:

بعثه الرحمن بالارفاق كيما يتم صالح الأخلاق

قال المناوي أشار به إلى ما في حديث أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق، وفي رواية للبزار مكارم بدل صالح، والمراد بذلك أن الأنبياء بعثوا بمكارم الأخلاق وبعثت منها بما بعثوا وبإتمام ما بقي، انتهى المراد منه. **(ولا أستثنى)** أحدا من الخلائق في قولي أنه عليه السلام أحسن من جميعها بل ذلك على عمومه بلا خلاف، وقد أوتي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كل الجمال والجلال ويوسف أعطي شطر الحسن أي شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة إذ كانت لا تفارق الحور إلا فيما يطرأ على الآدميات من الحيض وغيره انظر ابن سلطان، وفي الشفا عن أنس ما بعث الله تعالى نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا أي من الكل فشمل صورة يوسف وصوت داوود وفي الحديث دلالة على جواز مثل هذه الإضافة إذا لم يرد بها المهانة قاله

علي القاري.

(له من الأسمـاء والصـفـات مـا بـه على كل الأنام قـد سـمـا)
يعني أنه عليه السلام له من الأسماء الحسنة والأوصاف العلية ما يدل على أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد سما أي علا وارتفع على جميع الأنام وهو كسحاب الخلق والمراد بالأسماء الألفاظ التي جعلت دالة على ذاته الشريفة وقد مر أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى والاعتناء بشأنه ولذا يكثرون أسماء الشيء الذي لهم به عناية وقد مر أن أسماءه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أعلام وأوصاف في حقه وإن كانت أعلاما فقط في حق غيره، فمحمد علم في حقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وصفة لأنها منقولة من اسم مفعول حمد بالتشديد للتكثير فمعناه كثرة حمد الخلائق له عليه السلام مرة بعد مرة والمراد بالصفات المشار لها في بيت الناظم سائر أخلاقه العلية وأوصافه السنية وآدابه الشرعية كالدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والتوأدة والوقار والصمت والمروءة وحسن العشرة بكسر العين كما في المناوي أي الصحبة والمخالطة، وغير ذلك مما جبل عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم إن أشهر أسمائه، عليه السلام، كما في المواهب، زاد الشامي: وأجلها: محمد، والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدح. قال الأعشى:

إليك أبيت اللعن كان وجيفها إلى الماجد القرم الجواد المحمد

وبها سماه جده عبد المطلب ليطابق ما سماه الله تعالى به، فقيل له لم سميت ابنك محمدا وليس من أسماء آبائك، وعادة العرب تسمية المولود باسم أحد آبائه؟ فقال أردت أن يكون محمودا في السماء لله وفي الأرض لخلقه، فحقق الله رجاءه. وقيل سماه بها لرؤيا رآها وهي أنه رأى في المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم

عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور قال وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس بسبعين ضعفا، وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وناسا من قريش تعلقوا بها وقوما منهم يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع عيونهم فرفعت يدي لأتناول منها فلم أنل فقيل لي النصيب للذين تعلقوا بها، فقصها على كاهنة قريش فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ويحمده أهل السماء وأهل الأرض وعق عنه عبد المطلب بجزور يوم سابعه وقيل بكبش. ويلي محمدا في الشهرة أحمد كما في الفتح قاله الزرقاني. وقال المناوي محمد وأحمد أعظم أسمائه وأشهرها وأبلغها، وإليهما ترجع جميع صفاته، قال السهيلي وغيره كان المصطفى أحمد قبل أن يكون محمدا لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب القديمة وتسمية محمد وقعت في القرآن، انتهى. ونحوه في المواهب عن السهيلي ونقل نحوه عن القاضي، قال وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس. قال الزرقاني وكذلك في الآخرة، يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس وأحمد معناه أحمد الحامدين لله تعالى. وقال ابن القيم اختلف في اسمه أحمد فقيل بمعنى فاعل فمعناه أحمد الحامدين، وقيل بمعنى مفعول فمعناه أحق الناس وأولاهم أن يحمد.

(ماذا عسى يا فائق الأنام حسنا وإحسانا على التمام
أن يبلغ المثنون باللسان طرا (...))

قوله ماذا ملغاة ولا يصح أن تكون موصولة لأن جملة عسى غير خبرية كما قالوا في قوله:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق

وفائق اسم فاعل من فاقه فوقا وفواقا، علاه بالشرف، وحسنا وإحسانا منصوب بنزع الخافض، وطرا حال من المثنون، أي أي شيء عسى أن

يبلغه المثنون عليك، أي المادحون لك يا رسول الله جميعا بألسنتهم يا من علا على جميع الخلق بالشرف ففاقهم في حسن ذاته وكمال صفاته البشرية وفاقهم في الإحسان إلى غيره أي الإنعام عليه مع تمام هذين الأمرين فيك يا رسول الله فقد بلغت مرتبة من الحسن لم يبلغها مخلوق سواك كما بلغت من الإحسان إلى الغير ما لم يبلغه مخلوق غيرك فإن الله تعالى بمحض اختياره حجر نعمه أن يصل منها شيء إلي مخلوقه إلا من تحت يده، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقوله علي التمام، على بمعنى مع، كما قررت أي لا يبلغ المثنون عليك مبلغا يناسب قدرك، ولو أثنوا عليك أي مدحوك. **(مدى الزمان)** أي إلى منتهاه ومدى الشيء غايته والزمان اسم لليل والنهار وما اشتملا عليه من الساعات

(بعد ثناء الله في القرآن عليك بالخلق العظيم الشان)

أي منتهاه. وهذا مقتبس من قول لسان الدين بن الخطيب:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم يفتح له اغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما أثنى على أخلاقك الخلاق

وقال:

وإذا كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح

أي غايته. وقال سلطان المحبين عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركته:

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

وأشار الناظم بهذا إلى قوله تعالى: {وإنك لعلى خلق عظيم}. قال ابن الخازن لما كانت أخلاقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كاملة وأفعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بأنها عظيمة وحسن الخلق قوة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والتشديد في المعاملات والتحبب إلي

الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب، والمعاشرة مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور وترك التهاجر والتقاطع واحتمال الأذى من الأدنى والأعلى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر، ولقد كان جميع ذلك في رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولهذا وصفه الله تعالى بقوله: {وإنك لعلى خلق عظيم}. وقال الحسن هو آداب القرآن. قالت عائشة كان خلقه القرآن، انتهى المراد منه. نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان. وقال المناوي ولما اجتمع فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من خصال الكمال ونعوت الجلال ما لا يحصى أثنى الله تعالي عليه في كتابه الكريم بقوله: {وإنك لعلى خلق عظيم}، وأتى بعلى المشعرة بأنه استعلى على معالي الأخلاق واستولى عليها ووصف بالعظيم دون الكريم لأن الكريم يراد به السماحة واللين وخلقه غير مقصور عليه فعنده غاية الرحمة للمؤمنين وغاية الغلظ على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم يكن همه سوى الله تعالى ولهذا قالت عائشة، رضي الله تعالي عنها، كان خلقه القرآن. أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه وغير ذلك.
وإليه أشار الناظم يعني العراقي بقوله:

أكرم به خلقه القرآن فهو لدى غضبه غضبان
يرضى بما يرضى إلخ..

وضمير فهو للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولدى بمعنى عند، أي فهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، غضبان عند غضب القرآن أي عند كل ما جاء فيه غضب الله تعالي على أحد من الكفار ويرضى بما يرضاه القرآن ويتأدب بآدابه بكل ما أثنى عليه القرآن ودعا إليه تحلى به وكلما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه.
واعلم أن كمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل والحق أن أصل حسن الخلق غريزي وتمامه مكتسب، انتهى المراد منه.

(صلى عليه ربنا وسلما والآل والأصحاب أنجم السما)

أي الذين هم في الاهتداء بهم إلي طريق الحق بمنزلة نجوم السماء في الاهتداء بها في البر والبحر. وفي الحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

(واغفر لعبدك الذليل الجان ذنوبه يا واسع الغفران
ما لاذ بالبيت العتيق واحتمى ببابك السامي مسيء قد سما)

ما مصدرية ظرفية ولاذ به لوذا ولواذا مثلثلة تحصن به واستتر، والبيت العتيق الكعبة شرفها الله تعالى قيل لأنه أول بيت وضع بالأرض، أو أعتق من الغرق أو من الجبابرة أو من الحبشة، أو لأنه حرام لم يملكه أحد، قاله في القاموس. واحتمي تمنع وقوله ببابك خطاب للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، بدليل قوله الآتي: يا أكرم من تبسما؛ وقوله قد سما صفة لقوله مسيء ومعنى سما نهض وأتى قال امرء القيس:

سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

وفي القاموس سما سموا ارتفع، والقوم خرجوا للصيد، انتهى. وفسر الأعلم سموت بنهضت ويدل على هذا التفسير نسخة قدم بالقاف والدال المكسورة أي أتى. **(يروم)**، حال من فاعل سما أي نهض وأتي يروم أي يطلب **(غفرانا)** للذنوب ويروم أي يطلب. **(وتوفيقا لما يرضيك يا أكرم من تبسما)** وذلك هو الذي فيه مرضاة الله تعالي من يطع الرسول فقد أطاع الله. وأشار بهذا إلى أن غالب ضحكه التبسم وربما ضحك حتي بدت نواجزه.

(ظلمت نفسي وأتيت ارتجي ببابك الغفران (...))

ظلم نفسه جنى عليها أي جنيت على نفسي بالمعاصي وأتيت أرجو الغفران بسبب الاحتماء والوقوف ببابك يا رسول الله وعادة الكرام أن السائل إذ وقف بباب أحدهم لا يرد فكيف به، صلى الله تعالى عليه وسلم، فما سئل شيئا قط فقال لا. والباب هنا كناية عن الالتجاء إليه

والتعرض لنفحاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(يا من يلتجي)** لجأ إليه كمنع وفرح لاذ به أي تحصن **(إليه كل الناس يوم الفزع)**، الفزع الذعر والفرق والفعل كمنع وفرح فزعا ويكسر ويحرك قاله في القاموس ويوم الفزع يوم القيامة ويعني بهذا أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو الذي يستغيث الناس به يوم القيامة في الموقف الهائل بل حين تراكمت الأهوال عليهم وضاق بهم الخناق وطال وقوفهم وألجمهم العرق واتهم البرآء أنفسهم وكشف عن ساق فيشفع هو، صلى الله تعالى عليه وسلم، الشفاعة العامة في جميع من ضمه المحشر بعدما أسلمها له أكابر الرسل وقال كل واحد منهم لست لها. وينادى يا محمد سل تعطه، واشفع تشفع، فيقول يا رب أمتي أمتي. **(كن لي شفيعا)** أي ضمني إليك في جاهك يا رسول الله والشفاعة لغة الضم ومنه الشفع ضد الوتر والشفعة لأنها ضم أحد الشريكين نصيب شريكه إلي نصيبه، والشفاعة ضمك للغير في جاهك كما في المفهم للقرطبي. **(وأجر)** أي أعذ وانقذ شخصا **(ذا جزع)** يعني نفسه. والجزع نقيض الصبر قاله في القاموس. **(فأنت خير شافع)** ولذا لا يشفع أحد إلا بعد فتحك له يا رسول الله باب الشفاعة، **(وأعطف)** أي أشفق شافق. ومن أسمائه عليه السلام العطوف أي الشفوق لكثرة شفقته علي أمته، قاله الزرقاني. **(وأنت بالأمة منها أرأف)**، المجروران يتعلقان بأرأف أي أنت أشد رأفة بأمتك منهم بأنفسهم والرأفة أشد الرحمة وأبلغها، قاله أبو عبيدة وقال ابن دحية الرأفة لدفع المكاره والرحمة لطلب المحاب وقال غيره الرأفة إحسان مبدؤه شفقة المحسن والرحمة إحسان مبدؤه فاقة المحسن إليه قاله الزرقاني وروى الشيخان عن أبى هريرة رفعه إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها والحجزة بضم المهملة حيث ينتهي طرف الإزار، فكأنه قال آخذ بأوساطكم لأنجيكم من النار قاله الزرقاني في محل آخر. **(فلا تكلني)** يا رسول الله إلى غيرك أي لا تسلمني إليه

ولا تتركني. وكل إليه الأمر وكلا ووكولا سلمه وتركه **(وأجـــرنـي)** أي أعذني يا رسول الله أنا **(وأبـي والأم)** بالنصب أي أمي **(والأهـل)** أي أقاربي وفي حكمهم الزوجة **(غـدا)** يعني به يوم القيامة قال تعالى: {ولتنظر نفس ما قدمت لغد} **(من نصبي)** بالتحريك وهو التعب وذلك اليوم يوم تعب إلا من وقاه الله بمحض فضله من ذلك، قال تعالى: {وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة} أجارنا الله تعالى وأحبتنا وجميع المسلمين. **(بجاهك الأكرم لذت سيدي)** أي تحصنت بجاهك الأكرم عند الله تعالى والجاه القدر والرفعة وسيدي منادا بحذف يا، **(ومن يلذ به)** أي يتحصن به من مكاره الدنيا والآخرة **(إلى الرشد هدى)** الرشد الهدى وهو ضد الغي وهداه أرشده والمجرور متعلق بما بعده. أي ومن يتحصن بجاهك هدي في الدنيا إلي طريق الرشد وذلك علامة على نجاته في الآخرة.

(بجاهك الأعظم يا خير نبي ... ما يبلغ الراغب أقصى مطلب) الراغب السائل وهو منصوب بيبلغ بضم التحتية وأقصى مفعوله الثاني وما مبتدأ وخبره المجرور أول البيت، ومعنى كلامه أن في جاهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من العظم عند الله تعالى ما يوصل كل سائل بجاهه، عليه السلام، إلي أقصى مطالبه، وفي الحديث توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم. اللهم شفعه فينا بجاهه عندك، اللهم يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدك ومحبتك وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلي لقائك يا ذا الجلال والإكرام.

فأنت باب الله أي امرئ ... وافاه من غيرك لا يدخل
يا أكرم الخلق على ربه ... يا خير من فيهم به يسأل

غيره.

الله عظم قدر جاه محمد ... وأناله قدرا عليه عظيما

في محكم التنزيل قال لخلقه صلوا عليه وسلموا تسليما
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصبحه وسلم تسليما.

(ومطلبي ببابك الغفران والعفو والتوفيق والرضوان
والأمن يوم الروع والقبول والفوز بالمحبوب والوصول)

لما ذكر الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به أن جاهه، صلى الله تعالي عليه وسلم، من توسل به حقيق بنيل أقصى مسؤوله بين مطالبه هو وهي شريفة فقال: ومطلبي إلخ... والخطاب لله تعالى وبابه نبينا، صلى الله تعالي عليه وسلم، وتقدم وأنت باب الله إلخ.. ودعاؤه مرجو الإجابة ففيه وصفه لنفسه بغاية الاضطرار والالتجاء والاحتماء وقرع الباب ومدح المسؤول به، صلى الله تعالي عليه وسلم، ووصفه بأنه أرأف بالأمة من أنفسهم والاعتراف بالذنب على وجه الانكسار وقد قيل من فتح له في الدعاء فتح له في الإجابة. أما الغفران فهو ستر الذنب. وقد ورد أن من العباد من ينسي الله حفظته ذنوبه والعفو عدم المؤاخذة بالذنب والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وضده الخذلان أعاذنا الله تعالى منه. والرضوان هنا إنعام خاص وقد اختلف فيه هل هو صفة ذات فيكون معناه إرادة الانعام الخاص أو صفة فعل فيكون معناه ما قدمته لكن السؤال إنما يتعلق بالفعل لحدوثه لا بالإرادة لقدمها كما صرحوا به وهو ظاهر. ومن مسؤوله أيضا الأمن من المخاوف يوم القيامة وهو مراده بيوم الروع والروع الفزع وقبول أعماله، والفوز أي الظفر بكل محبوب له فهو عطف عام على خاص، وأما قوله والوصول فيحتمل أن معناه الوصول إلى ما يحب فيكون من عطف المرادف ويحتمل أن يريد به الوصول الذي هو من اصطلاح السادة الصوفية. نسأل الله تعالى النصيب الأوفر من طريقتهم بلا محنة وقد قالوا لا مسافة تقطعها فتصل منها إلى الله تعالى، إنما الوصول زوال حجابك حتى تعلم أنك

من الله تعالى بحيث يراك وهو أقرب إليك من حبل الوريد فيكون ذلك منتجا لمراقبتك له بحالك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو مقام الإحسان.

تنبيه:
ذكر في المواهب عن ابن عبد السلام أن من خصائصه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه يجوز أن يقسم به على الله تعالى دون غيره من الأنبياء والملائكة والأولياء. قال الزرقاني وأما الاستشفاع بهم فمستحب كما استشفع عمر بالعباس، فقال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون، رواه البخاري. وكذا يستشفع بما فعله من خير يذكره في نفسه فيجعله شافعا لأن ذلك لائق بالشدائد كما في خبر الثلاثة الذين آووا في الغار قال وتعقب ما لابن عبد السلام بأنه لا اتجاه لما ذكره لأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال بل في بعض الأخبار التصريح بخلافه وذكر التستري عن معروف الكرخي أنه قال لتلامذته إذا كان لكم إلى الله تعالى حاجة فأقسموا عليه بي، فإني الواسطة بينكم وبينه الآن بحكم الوراثة عن المصطفى، انتهى كلامه.

(فيا هناء من قبلتموه ويا عناء من رددتموه)
الخطاب في الموضعين لله تعالى والهناء بالفتح والمد السرور والفرح، والعناء بالفتح والمد التعب وهذا تعجب، أي فما أشد سرور من قبلتموه وما أشد تعب من رددتموه والعياذ بالله تعالى، وضمير الجمع هنا للتعظيم.

(حاشى أولى الرحمة والإحسان من أن يردوا راجي الغفران)
قال الأشموني الصحيح أنها يعني حاشى التنزيهية اسم مرادف

للتنزيه منصوب انتصاب المصدر بدلا من اللفظ بالفعل سبحان الله وقراءة حاشا بالتنوين أي تنزيها لله تعالى، انتهى المراد منه.
ومعنى البيت أنزه أولي الرحمة والإحسان أي الإنعام تنزيها أن يردوا عبدا يرجو غفران الذنوب وهذا تذلل واستعطاف لله تعالى أن يجيب دعاءه، ثم ذكر ما يدل على التوكل وتفويض الأمر إلى الله تعالى فقال:

(فليس للعبد سوى مولاه   أدناه فضلا منه أو أقصاه)
أي فليس للعبد ملجأ سوى مالكه تبارك وتعالى سواه أدناه أي قربه بالانعام عليه فضلا منه أي بمحض فضله أو أقصاه أي أبعده عدلا منه فعذبه لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فإن أنعم ففضل وإن عذب فعدل، لأن من تصرف في ملكه بما أراد فقد عدل. فحذف الناظم عدلا بعد قوله أو أقصاه اكتفاء بقوله فضلا **(فما لنا)** معشر العباد **(في الحالتين)** أي حالتي الإدناء والاقصاء نعوذ بالله تعالى من الخذلان **(مذهب)** أي مكان نذهب فيه **(عن باب مولانا)** أي ما لكنا عز وجل **(إلى من نذهب)** أي لا أحد نذهب إليه، إذ هو المتصرف في جميع المخلوقات بلا واسطة ولا شريك له ولا معين نسأله سبحانه التوفيقا... وكونه غدا بنا رفيقا... والدفع للضراء والبلاء... والسبق في ميدان الأصفياء... فهو على ما شاءه قدير وبسماع من دعا جدير أي إجابته آمين يا رب العالمين.

(يا رب من للهالك الغريق   ليس له سواك من رفيق)
الرفق اللطف، وفي هذا البيت إظهار الفاقة والاضطرار إلى الله تعالى إذ جعل نفسه بمنزلة الغريق في البحر فلا يرى حولا ولا قوة ولا شيئا ينفعه إلا إعانة مولاه ولطفه. **(يا رب أنقذه)** الضمير منصوب للهلاك الذي عبر به الناظم عن نفسه ومعنى انقذه أعذه وأجره **(من الحريق)** أي الإحراق أو فعيل بمعنى مفعل فهو بمعنى محرق وهو النار وبالأول فسر

المحلي والضياء وذوقوا عذاب الحريق، وفسره البيضاوي بالثاني، نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان. **(بالمصطفى الهادي إلي الطريق)** أي المستقيم أي بجاه المصطفى الهادي، والمصطفى والهادي من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، والمصطفى المختار من جميع الخلق والمصفى من الكدر والهادي المرشد والداعي.

(يا رب من للمقعد الكسير   المفرط المفرط الأسير)

المقعد بضم الميم وسكون القاف وفتح المهملة العاجز عن القيام والكسير فعيل بمعنى مفعول والمفرط بسكون الفاء وكسر الراء مخففة المكثر من المعاصي والمفرط بفتح الفاء وكسر الراء المهملة المقصر في فعل الطاعات والأسير من أسرته ذنوبه وهذا تواضع منه رحمه الله تعالي واستدعاء لقبول التوبة. وفي الحديث: إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله تعالى وليس عليه شاهد من الله بذنبه، وفيه التائب من الذنب كمن لا ذنب له وفيه ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر منه قاله المنذري في الترغيب. وفي الحديث والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم، رواه مسلم وغيره. اللهم أغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

(بالمجتبى جرني وكن مجيري   بوجهه من لفحة السعير)

المجتبى من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، ومعناه المختار واجرني بإسقاط همزة القطع كقوله:

إذا بكيت قبلتني أربعا   فأربعا ثم اربعا ثم اربعا

أي أعذني واللفحة الاحراق، والسعير تطلق على النار وعلى الخامس من أبوابه، أعاذنا الله تعالى من جميعها بجاه سيد الأولين والآخرين عليه

أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين.

(يا رب عبد جاء مستجيرا   مستشفعا بمن أتى بشيرا)
عبد مضاف إليه ما قبله ويعني به نفسه ومستجيرا حال أي طالبا أن يجار ومستشفعا أي متوسلا ومتوجها والمجرور يتنازعه الحالان قبله وبشيرا حال من فاعل أتى أي مبشرا لمن أطاعه بالجنة وهي من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم.

(له وللإخوان ولأهلينا   طرا) (..)
قوله له يتنازعه مستجيرا ومستشفعا وطرا حال ومعناه جميعا وأبدل من قوله بمن قوله **(بطه المصطفى ياسينا)** أما طه فعده خلائق من أسمائه عليه السلام وقيل إنه هو المراد بقوله تعالى طه فقيل أراد يا طاهر من العيوب ويا هادي إلى كل خير وأما المصطفى فمعناه المختار وقد تقدم، وأما يس فذكره جماعة في أسمائه عليه السلام وجاء في بعض التفاسير يس : يا سيد، حكاه السلمي وغيره انظر المناوي، وفي المواهب وأما طه فروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لي في القرآن سبعة أسماء فذكر منها طه، وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان، وقيل يا طاهر يا هادي وقيل معناه يا عظيم الشفاعة للأمة انتهى المراد منها.
وقوله قيل معناه يا رجل أي رجل، وحرف النداء مقدر معه وهذا بالنبطية وهي لغة سواد العراق أو عك أو عكل وقوله يا طاهر أي من كل ذنب وعيب، ويا هادي إلى كل خير وقوله يا مطمع بضم الميم وسكون الطاء اسم فاعل من أطمع قاله الزرقاني. والمعتمد أن طه من أسماء الحروف التي رجح جماعة أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه. وأما يس فقيل معناه يا إنسان بلغة طيء قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقيل بالحبشية قاله مقاتل وقيل بالسريانية حكاه الكلبي وعن ابن الحنفية معناه يا محمد، وعن أبي العالية يا رجل وعن أبي بكر الوراق معناه يا

سيد البشر، وعن جعفر الصادق يا سيد انظر المواهب.

(بالعبد عبد الله بالمزمل أجب دعاء مستغيث وجل)

المجرور متعلق بقوله أجب، وعبد الله معطوف بحذف العاطف والمستغيث طالب الإغاثة والوجل بكسر الجيم الخائف ويعني به نفسه والعبد وعبد الله والمزمل من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، فاسمه، صلى الله تعالي عليه وسلم، العبد، ذكره في المواهب، قال الزرقاني مأخوذ من نحو {سبحان الذي أسرى بعبده} سمي به لأنه الكامل في العبودية، انتهى. وأما عبد الله فقال في المواهب سماه الله تعالي به في أشرف مقاماته، انتهى. قال تعالى {وإنه لما قام عبد الله وقال وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا} وقال: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا} الانس والجن اتفاقا والملائكة على الصحيح، وقال {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}، وقال: {فأوحي إلى عبده ما أوحي} ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية. ولما رفعه الله تعالي إلي حضرته السنية ورقاه إلى أعلى المعالي العلوية ألزمه تشريفا له اسم العبودية ولما خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار أن يكون نبيا عبدا وكان يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله. وتطروني بضم أوله أي لا تتجاوزوا الحد في مدحي بأن تقولوا ما لا يليق بي. وليس للعبد إلا اسم العبد ولذا كان عبد الله أحب الأسماء إليه، انتهى.

قال الزرقاني فالنهي إنما هو عن ذلك وإلا فمدحه، صلى الله تعالي عليه وسلم، مطلوب من كل أحد وقد سمعه وأجاز عليه مع أن أحدا لا يبلغه، وروى مسلم أنه عليه السلام قال أحب الأسماء إلي الله عبد الله وعبد الرحمن وللطبراني وغيره إذا سميتم فعبدوا وللطبراني بسند ضعيف مرفوعا أحب الأسماء إلي الله ما تعبد له، انتهى. ومن أسمائه، صلى

الله تعالي عليه وسلم، عبد الكريم وعبد الجبار، وعبد الحميد وعبد المجيد، وعبد الوهاب، وعبد القهار، وعبد الرحيم وعبد الخالق، وعبد القادر، وعبد المهيمن، وعبد القدوس، وعبد الغياث، وعبد الرزاق، وعبد السلام، وعبد المومن، وعبد الغفار انظر المواهب وغيرها.
وأما اسمه المزمل، صلى الله تعالي عليه وسلم تسليما، فأصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي وسمي به لما روي أنه عليه السلام كان يفرق بفتح الراء أي يخاف من جبريل أول ما جاءه ويتزمل بالثياب وقيل سمي به لأنه أتاه وهو، صلى الله تعالي عليه وسلم، متزمل في قطيفة وقال السدي معناه يا أيها النائم، وكان متلففا في ثياب نومه. وعن ابن عباس يعني المتزمل بالقرآن وعن عكرمة بالنبوءة وقيل من الزمل بمعنى الحمل أي المتحمل بأعباء النبوءة وقال السهيلي ليس المزمل باسم من أسمائه يعرف به، وإنما هو مشتق من حالته التي كان متلبسا بها، حالة الخطاب والعرب إذا قصدت الملاطفة بالمخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها حال النداء كقوله عليه السلام لعلي وقد نام ولصق جنبه بالتراب قم أبا تراب، قال سهل بن سعد وما كان لعلي اسم أحب إليه منه.

(بالحاشر العاقب بالمدثر يا رب عللني بحوض الكوثر)

الإضافة بيانية أي الحوض الذي هو الكوثر وقد قيل ان الكوثر هو الحوض وقيل نهر في الجنة يشخب منه ميزابان في الحوض وقيل الخير الكثير وقيل غير ذلك وفي القاموس العل والعلل محركة الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا، عله يعله ويعله علا وعللا وأعله، انتهى ولم يذكر علله بهذا المعنى بل قال بعد هذا وعلله بطعام وغيره تعليلا، شغله به، فيصح أن معناه يا رب فاشغلني بشرب الحوض، أو يكون قاس التضعيف والله أعلم. وهذه الثلاثة من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم. أما اسمه عليه السلام العاقب، فسر بأنه آخر

الأنبياء. قال أبو عبيدة كل شيء خلق بعد شيء فهو عاقب، ولذا قيل لولد الرجل عقبه، وكذا آخر كل شيء. وروى ابن وهب عن مالك قال معنى العاقب ختم الله تعالى به الأنبياء وختم بمسجده هذا المساجد، يعني مساجد الأنبياء. وقد زاد يونس عن الزهري عند مسلم الذي ليس بعده نبي، انتهى من الزرقاني على الموطإ. وقوله زاد يونس أي بعد قوله عليه السلام وأنا العاقب. وأما اسمه الحاشر ففي الموطإ وغيره وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي بكسر الميم وخفة الياء والافراد وبشد الياء مع فتح الميم مثنى روايتان واختلف في معناه فقيل على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي وقيل معناه علي أثري أي انه يقدمهم وهم خلفه لأنه أول من تنشق عنه الأرض وقيل معناه على اثري بمعنى ان الساعة على اثره أي قريبة منه كما قال بعثت أنا والساعة كهاتين. وفي فتح الباري اي على أثري أي انه يحشر قبل الناس وهو موافق لرواية يحشر الناس على عقبي بالافراد ولبعضهم بالتثنية ويحتمل أن يريد على زماني إشارة إلى أنه ليس بعده نبي واستشكل بأنه يقتضي أنه محشور فكيف يفسر به حاشر وأجيب بأن اسناد الفعل الى الفاعل إضافة وهي تقع بأدنى ملابسة فلما كان لا أمة بعد أمته لأنه لا نبي بعده نسب الحشر إليه لأنه يقع عقبه انظر الزرقاني على المواهب، وأما المدثر فأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال والمدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو ما يلي الجسد ومنه الحديث: الانصار شعاري والناس دثاري، ذكره المناوي. وفي الصحيح أنه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا الملك الذي جاءني بحراء على عرش بين السماء والأرض فرعبت منه ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني، فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر، والمعنى يا أيها المتدثر بثيابه على ما عليه الجمهور. وعن عكرمة يا أيها المدثر بالنبوءة وأثقالها.

(بصاحب القضيب والنجيب أدعوك يا رب فكن مجيب)

أي أدعوك يا رب بصاحب القضيب والنجيب فأجب دعائي وهذان اسمان من أسمائه عليه السلام. أما صاحب القضيب فمعناه صاحب السيف، كما وقع مفسرا به في الانجيل، ففيه معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك، وهذا كناية عن شجاعته وكثرة جهاده، وفتوحاته هو وأمته، صلى الله تعالي عليه وسلم، وقد يحمل على أنه قضيبه الممشوق الذي كان يمسكه وكان يستلم به الركن ويكون هذا عبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم لأن عادة عظمائهم وخطبائهم اتخاذ العصى ومعنى الممشوق الطويل الرقيق من المشق وهو جذب الشيء ليطول قاله الزرقاني، وقد مر قول العراقي:

وقيل ذا قضيبه الممشوق كان بأيد الخلفا يشوق

وأما قوله والنجيب فظاهره ان من أسمائه عليه السلام صاحب النجيب، والذي في دلائل الخيرات راكب النجيب، وهو الذي في الشفا، وفسره شارحه ابن سلطان بناقته التي كان يركب في حجة الوداع وغيرها. قال فهو تفسير للناقة في قوله راكب الناقة، قال والنجيب يطلق عرفا على الخفيف السريع من الإبل، انتهى كلامه.

(بصاحب المعراج والبراق قني فأنت الله خير واق)

قوله قني أمر من وقاه إذا صانه وحفظه وحذف متعلقه ليعم الوقاية من كل مرهوب في الدارين أي احفظني يا ألله من كل ما يخاف في الدارين بجاه صاحب المعراج وهو محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمراد بالمعراج هنا القصة التي اختص هو، صلى اله تعالي عليه وسلم، بها في تلك الليلة، ويطلق المعراج على آلة العروج أي السلم الذي هو مرقاة له درجة من ذهب ودرجة من فضة والله أعلم.

وقوله والبراق الذي في دلائل الخيرات والشفا أن اسمه راكب البراق، والبراق تقدم وصفه في محله.

(بصاحب المقام واللواء عني أمط يا رب كل داء)

ماطه، يميطه ميطا نجاه وأبعده كأماطه، ومعنى البيت نح وأبعد عني يا رب كل داء بجاه نبيك صاحب المقام المحمود، أي الذي يحمده فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة العظمى. فقوله المقام على حذف الصفة كما قررت وقوله واللواء أي صاحب اللواء، وهو من أسمائه عليه السلام أيضا، والمراد به لواء الحمد. قال الزرقاني والصحيح أنه حقيقي. والله تعالى أعلم بكيفيته، انتهى المراد منه.

(بالهاشمي المصطفى محمد يا رب وفقني وقوم أود)

الأود محركة مصدر أود كفرح بمعنى اعوج والهاشمي من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، نسبة إلى جده هاشم كما في المواهب والتوفيق، خلق القدرة على الطاعة، توسل الناظم رحمه الله تعالى إلى ربه أن يوفقه لطاعته ويقوم عوجه بجاهه عليه السلام.

(بأحمد المختار خير مرسل يا رب فاغفر لي وأصلح عملي)

المختار من أسمائه عليه الصلاة والسلام ومعناه المفضل على جميع الخلائق إنسا وجنا وملكا إجماعا، صلى الله تعالي عليه وسلم تسليما، وإصلاح العمل إخلاصه لله تعالى وأراد بالعمل ما يشمل القول والنية.

(وبنبي الرحمة المقف يا رب وفقني عسى أوف)

معنى أوفي أتمم ما أمرتني به، قال تعالى: {وإبراهيم الذي وفي} أي تمم ما أمر به، ونبي الرحمة من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، وكذا نبي الرحمة. وفي الحديث إنما أنا رحمة مهداة. أي ذو رحمة أو بالغ فكأنه عينها ومهداة بضم الميم وللطبراني بعثت رحمة مهداة، ابن دحية معناه أن الله بعثني رحمة للعباد، لا يريد لها عوضا، انتهى.

وفي المواهب وشرحها بعثه الله رحمة لأمته ورحمة للعالمين فرحم الله به الخلق مومنهم بالهداية وكافرهم بالأمن من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال والمنافقين بالأمن من القتل وتأخير عذابهم وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له تعظيما له إذ كان في صلبه، وقبول توبته إذ توسل به وحظ نوح خروجه من السفينة سالما إذ كان في صلب ابنه سام، وحظ إبراهيم أن كانت النار عليه بردا وسلاما إذ كان في صلبه كما أفاده العباس بقوله:

وردت نار الخليل مكتتما   في صلبه أنت كيف يحترق

فرحمته عليه السلام لا تخص وجوده بل عمت من قبله ومن رحمته ما ألقى الله له من دعوة الشفاعة التي ادخرها لأمته وجعل أمته أمة مرحومة وأمرها بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء، وقال الراحمون يرحمهم الله. وأما المقفي فقال الزرقاني هو بضم الميم وفتح القاف وكسر الفاء المشددة ورد في حديث عند احمد وغيره برجال ثقاة، انتهى. وذكره في الشفا. قال ابن سلطان بكسر الفاء المشددة أي الذاهب المولي فمعناه آخر الأنبياء والمتبع لهم كالقفي فكل شيء يتبع شيئا فقد قفاه انتهى. وقال المناوي بكسر الفاء المشددة بصيغة اسم الفاعل أي التابع للأنبياء وقافية كل شيء آخره وكل من تبع شيئا فقد قفاه قال تعالى: {ثم قفينا على آثيرهم برسلنا} والمفعول أي جعله الأنبياء عقبهم وسبقوه بالزمان، انتهى. فقد زاد على الأولين أن فيه صيغة المفعول والله تعالى أعلم. ومعنى البيت أن الناظم توسل إلي الله تعالى باثنين من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، وهما نبي الرحمة والمقفي بكسر الفاء أن يخلق له القدرة على الطاعة رجاء أن يوفي أي يتمم ما أمره الله تعالى به. وقال ابن سلطان بعد قول الشفا في موضع قبل ما نقلت عنه آنفا في تفسير وأنا المقفي قفيت النبيئين ما نصه أي جئت بعدهم واتبعت هديهم أو أريد به المولي الذاهب والمعنى أنه أراد آخر النبيئين فإذا ذهب فلا نبي بعده. وأما قول الدلجي

قال الله تعالى: {ثم قفينا على آثيرهم برسلنا} فيوهم أن الوصف بصيغة اسم المفعول وليس كذلك، انتهى بحروفه. وكذا القسطلاني اقتصر على ضبطه بصيغة اسم الفاعل وقال أي قفى من قبله من الرسل فكان خلفهم وهي لفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه قفوا إذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس لمؤخره وقافية البيت، انتهى.
قال الزرقاني عقبه ان ابن الأعرابي قال إن معناه المتبع للرسل لأن معنى قفى: تبع، انتهى.
قال جامعه فعلم من هذا أنه بالكسر لا غير ذلك إذ لم يذكر الفتح فيه ممن تقدم إلا المناوي بعد أن صدر بالكسر وقد مر نفي ابن سلطان للفتح، وتعقبه له والله تعالى أعلم.

(وبنبي التوبة الماحي امح من قلبي سوى حبك حتى يطمئن)
معنى البيت أنه يتوسل باسمين من أسمائه عليه السلام وهما نبي التوبة والماحي أن يمحو الله تعالي من قلبه كل شيء سوى حبه لله تعالي حتى يطمئن قلبه أي يثبت ويرسخ فلا يلتفت إلى غيره. والمحبة الميل إلي ما يوافق المحبوب. قال بعضهم وطمأنينة القلب ثبوته على الإيمان ورسوخه حتى لا يتزلزل، أما اسمه عليه السلام نبي التوبة فإن الأمم رجعت لهدايته عليه السلام بعدما تفرقت بها طرق الضلال إلي الصراط المستقيم، قاله في المواهب وقال الزرقاني والتوبة الرجوع ولكونه سببا في توبتهم أضيف إليها وقيل لاخباره عن الله تعالى بقبولها أو لأنه كثير التوبة قال إمام الحرمين إذا أضيفت إلي العباد أريد بها الرجوع عن الزلات إلي الندم عليها وإذا أضيفت إلي الرب أريد بها رجوع نعمه وآلائه، انتهى.
وقال ابن سلطان في شرح قول الشفا وبنبي التوبة أي من حيث أنه يتوب على يده جمع كثير أو لأن توبة أمته حاصلة بمجرد الندامة بخلاف توبة الأمم السالفة فإنها كانت بارتكاب الأمور الشاقة أو لأنه

كثير التوبة لحديث البخاري: إني استغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة أو لأن باب التوبة يغلق في آخر هذه الملة، انتهى.
وأما اسمه الماحي ففي الموطأ والصحيحين وغيرهم لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، قوله يمحو الله بي الكفر أي العام أو غلبته علي دين الإسلام، ابن التلمساني معناه يذهب أصله والشرع به حتي يكون معتقدا ومذهبا قاله ابن سلطان، وفي المواهب في تفسيره فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار ما بين عباد أوثان ويهود ونصارى وصابئة ودهرية لا يعرفون ربا ولا معادا أو من عباد الكواكب والنار وفلاسفة لا يعرفون شرئع الأنبياء ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى أظهر دينه علي كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، انتهى، وبعضه بالمعنى.
قوله وأهل الأرض كلهم كفار لا يرد عليه إلياس والخضر لأنهما لما لم يخالطا أهل الأرض لم يعدا من أهلها ولا المتمسكون بما لم يبدل من الشرائع لقلتهم جدا فكأنهم لا وجود لهم. وقوله وصابئة قال في الكشاف قوم خرجوا من اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقال غيره طائفة تميل إلي النصارى واعتقدوا تأثير الأفلاك وقدم العالم وألوهية الشمس وأنكروا الرسالة في البشر والدهرية بفتح الدال انظر الزرقاني.

(بكل ما له من الأسماء أدعوك يا معلم الأسماء)

لما توسل الناظم رحمه الله تعالى بما ذكر من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، على الخصوص توسل بجميع ما له من الأسماء في علم الله تعالى وذلك مظنة الإجابة. وقوله يا معلم الأسماء هو الله تعالى ويحتمل أن يريد تعليمه تعالى أسماء المسميات لمن عرفها له من خلقه على العموم إذ لم يعلم مخلوق شيئا ولا يعلمه إلا بتعليم الله له، ذلك {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا} ويحتمل أن معناه يا

معلم أسماء كل شيء، لآدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كما قال: {وعلم آدم الأسماء كلها}.

قال الثعالبي وعلم، معناه وعرف وتعليم آدم هنا عند قوم الهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم بقول، أما بواسطة ملك أو بتكليم قبل هبوطه إلي الأرض فلا يشارك موسى عليه السلام في خاصيته، انتهى.
وقوله الأسماء أي جميع أسماء بني آدم وأسماء أجناس الأشياء كالفرس والشجرة وغير ذلك قال ابن جزي. وقال البغوي علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، انتهى. وقال في الذهب الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية، والمعرفة بأن ألقى في قلبه معرفتها فلما تفرق أولاده تكلم قوم بلسان أحبوه وتناسوا غيره، انتهى، نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان.

(فلا تخيب سيدي رجاء فيك وظني فاستجب دعاء)

خاب، يخيب خيبة حرم ولم ينل ما طلب وخيبه الله والرجاء قال الشادلي في شرح خطبة الرسالة تعلق القلب بمطموع يحصل في المستقبل مع الأخذ في عمل محصل له وإن تجرد عن العمل فهو طمع وهو قبيح والرجاء حسن، انتهى.
وقوله بمطموع أي دنيوي أو أخروي ولا يخفى أن اتصافه بكونه مطموعا إنما هو بعد التعلق ففي العبارة مجاز وقوله وهو قبيح أي شرعا إن كان المطموع مامورا أو عرفا إن كان دنيويا انظر العدوي. وقوله إن كان المطموع مامورا أي إن كان سببه مامورا كالجنة مثلا، فسببها وهو العبادة مامور به، وقوله وظني أي حسن ظني فيك وهو ان تنيلني ما سألتك.

(يا رحمة للعالمين إنني بك استعنت للذي أهمني)

قوله يا رحمة بالنصب لأنه شبيه بالمضاف واستغاث به، طلب بجاهه، أن يغاث وأهمني معناه أحزنني، وقوله رحمة للعالمين من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ذكره غير واحد وقال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} قال الزرقاني في شرح المواهب فهو رحمة لجميع الخلق المؤمن بالهداية والمنافق بالأمن من القتل والكافر بتأخير العذاب عنه، انتهى. ونحوه للمناوي وزاد ولجميع الحيوانات لأن بوجهه يستسقى الغمام وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت النبات ويكون لها سقيا ورعيا، وروي ان المصطفي قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال نعم. كنت خائفا فأمنت.

(ويا رؤوفا ورحيما أنت من نفسي أولى بي فخذها وارتهن)

هذان اسمان من أسمائه، صلى الله تعالي عليه وسلم، ومعنى البيت يا رسول الله انت أولى بي من نفسي أي أحق بي منها فخذها وارتهنها أي خذها رهنا عندك يقال ارتهن إذا أخذ رهنا، وقوله أنت أولى بي من نفسي قال الله تعالي: {النبيء أولى بالمؤمنين من أنفسهم}. ومعنى الرؤوف شديد الرحمة وبليغها والرحمة رقة القلب وهو، صلى الله تعالي عليه وسلم، أرحم الخلق، وأعطفهم وأشفقهم وأرقهم قلبا قال تعالي: {بالمؤمنين رؤوف رحيم}. قال أبو عبيدة الرأفة أرق من الرحمة إذ هي رقة القلب والرأفة أشد الرحمة وأبلغها انتهى. وقيل معنى الآية رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين يستغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم إلا في الحدود، ومع إقامتها عليهم يمنع من آذاهم ثم هو في قبره عليه الصلاة والسلام تعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ثم هو يوم القيامة همه أمته فيشفع لهم حتى لا يبقى منهم أحد في النار وهذان الإسمان مما سماه الله تعالى به من أسمائه الحسنى لكنها بهذا المعنى من المحال عليه فتؤول باللازم وهو إرادة الخير لأهله واعطاء ما لا

يستحقه العبد من الثواب ودفع ما يستوجبه من العقاب، قاله الزرقاني والرؤوف يستعمل بحذف الواو، قال جرير:
كفعل الوالد الرؤوف الرحيم
وللعراقي:
وهو المسمى بنبي الرحمة في مسلم وبنبي التوبة وفيه أيضا بنبي الملحمه وفي رواية نبي المرحمه والمتوكل النبي الأمي والرؤف الراحم أيّ رُحْم انتهى المراد منه.

(ولست أبتغى فكاك الرهن يا حبذا ان صح حوز العين)
ابتغاه طلبه، وفك الرهن فكا وفكوكا خلصه كافتكه، والاسير فكا وفكاكا وقد يكسر خلصه وفكاك الرهن ويكسر ما يفتك به، قاله في القاموس ويا الداخلة على حبذا للتنبيه لا للنداء.
قال الدماميني قال المصنف لأن قائل أحد الثلاثة قد يكون وحده كقول مريم يا ليتني مت قبل هذا، انتهى.
ويعني بالثلاثة ليت ورب وحبذا، ومقتضى القاموس أن قول الناظم فكاك اسم عين لا مصدر ومعنى البيت أن الناظم لما سأل من المصطفى، صلى الله تعالي عليه وسلم، أن ياخذ نفسه تكون عنده رهنا أخبر أنه لا يحب أن يجد ما يخلص به نفسه من الرهنية بل يحب أن يحوز مع نفسه ذاته عنده عليه السلام إن كان يصح حوز العين أي الذات ونبه أصحابه على أن ذلك محبوب عنده، انتهى.

(يا ليت حر الوجه مني كانا لوطإ نعل المصطفى مكانا)
ثم استشعر أنه لا يملك نفسه مع الله تعالى حتى يرهنها فأخبر أنه قد أساء الأدب حيث رهن ما لا يملك فقال:

(هذا وقد أسأت في ارتهان ما ليس لي يا مالك الأعيان)

رهن الشيء كمنع وأرهنه جعله رهنا وارتهن منه أخذه قاله في القاموس. والناظم استعمل مصدر ارتهن بمعنى وضع الرهن كما هو ظاهر، وهذا خبر مبتدأ محذوف أي الأمر هذا، ثم قال: وقد أسأت أي فعلت سيئا في جعلي ما لست أملكه -وهو نفسه- رهنا وخاطب المولى تبارك وتعالى فقال: يا مالك الأعيان: الذوات كلها، فال استغراقية وهو ما لك الأعيان والاعراض والمتعالي في أفعاله وأحكامه عن آن يتصف بالأعراض.

(فامنن على عبد العزيز الجان بالعفو والرحمة والغفران)
من عليه منا أنعم والجاني المذنب لأنه جنى على نفسه وهذا هضم منه لنفسه وتواضع. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، **أي أقر واعترف** فأغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت والعفو عدم المؤاخذة بالذنب وكذا الغفران والرحمة النعمة أي أنعم يا ألله على المؤلف الذي هو عبد العزيز اللمطي بغفران الذنوب ودخول الجنة، آمين يا رب العالمين واغفر لنا وله ولجميع المسلمين.

(وصل يا رب على المختار) أي المفضل علي جميع الحوادث بلا خلاف، **(وآله وصحبه الأبرار)** جمع بر وهو المطيع والكريم، أي وصل علي آله أي أقاربه المؤمنين وهم بنو هاشم اجماعا وقال الشافعي وبنو المطلب بن عبد مناف، وقال اصبغ هم كل من خرج من لؤي وقيل هم أتباعه وأصحابه، كل من آمن به واجتمع معه ومات على دينه.

فائدة:
اختلف في عدة الصحابة الذين توفي صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم فقيل مائة ألف وعشرون ألفا وقيل مائة ألف وأربعة عشر ألفا وقيل كانوا ثمانين ألفا، قال المناوي والتحديد بعيد بل هو كالمتعذر مع تفرق

الصحب في الأقطار والبوادي والبراري والقرى والأمصار، انتهى المراد منه.

(قد تم نظم قرة الأبصار بحول رب ماجد غفار)

الحول الإعانة والماجد والمجيد الرفيع العالي والكريم والغفار كثير المغفرة للذنوب. **(في غرة الشهر)** أي أوله والمجرور يتعلق بتم **(الأغر)** وصفه بذلك لإشراقه بظهور ذاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(مولد اسمى الورى)** أي أعلاهم مقاما، **نبينا محمد**، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما، **(بطيبة)** متعلق أيضا بتم وطيبة من أسماء المدينة المنورة **(الغراء)** أي الحسناء المنيرة ووصفها بذلك لإشراقها بنور المصطفى، صلى الله تعالي عليه وسلم. **(دار المصطفى، صلي عليه ربنا وشرفا وإله وصحبه ومن تلا)** أي تبع **(منهاجهم)** أي طريقتهم **(من الأنام)** كسحاب وساباط وأمير الخلق **(مسجلا)** أي مطلقا.

يقول جامعه العبد الفقير إلى رحمة ربه اللطيف القدير المالكي الأشعري عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي أعلى الله تعالى في الدارين رتبتهم بجاه ذي المقام السمي النبي العربي القرشي الزمزمي، نبينا وحبيبنا ومولانا وقرة أعيننا ومقتفانا صلى الله تعالى عليه وسلم أتم صلاة وأزكى سلام ما أنيل من توسل بجاهه أقصى المرام ونتوسل إلي الله به أن يرزقنا نحن وأحبتنا حسن الختام والحلول عقب الموت في دار السلام قد انتهى ما أردت جمعه من شرح قرة الأبصار المسمى بنزهة الأفكار على حسب ما أردنا من البيان الذي قصدناه ولم آلُ جهدا في تهذيبه وتنقيحه وتبيينه لكلام المؤلف وتوضيحه لكن من هو مثلي من أبناء الزمان عرضة للخطإ والنسيان مع أني لم أجد لها شرحا يحل مشكلا ويفصل مجملا أو يحل مقفلا، جعله الله تعالى بمنه

من الأعمال الناجحة في الآخرة والحمد لله أوله وآخره، الحمد لله على ما أسبغ علينا من نعمه وأولاه وأتحفنا به من آلائه وأسداه، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، يا ألله يا أرحم الراحمين ويا عفو عن المذنبين ويا مالك الخلائق أجمعين أغفر لنا ولوالدينا ولأشياخنا ولذريتنا وأحبتنا ولجميع المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الخميس الموفي عشرين من شوال عام إحدى وثلاث مائة بعد الألف، عرفنا الله تعالى خيره ووقانا شره وضيره آمين، آمين، آمين.

رب وفقني فلا أعدل عن   سنن الساعين في خير سنن

انتهى.

فهرست الجزء الثاني من شرح الإمام الجليل المجدد
عبد القادر بن محمد بن محمد سالم على نظم الشيخ عبد العزيز اللمطي

«قرة الأبصار في سيرة النبي المختار»

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة